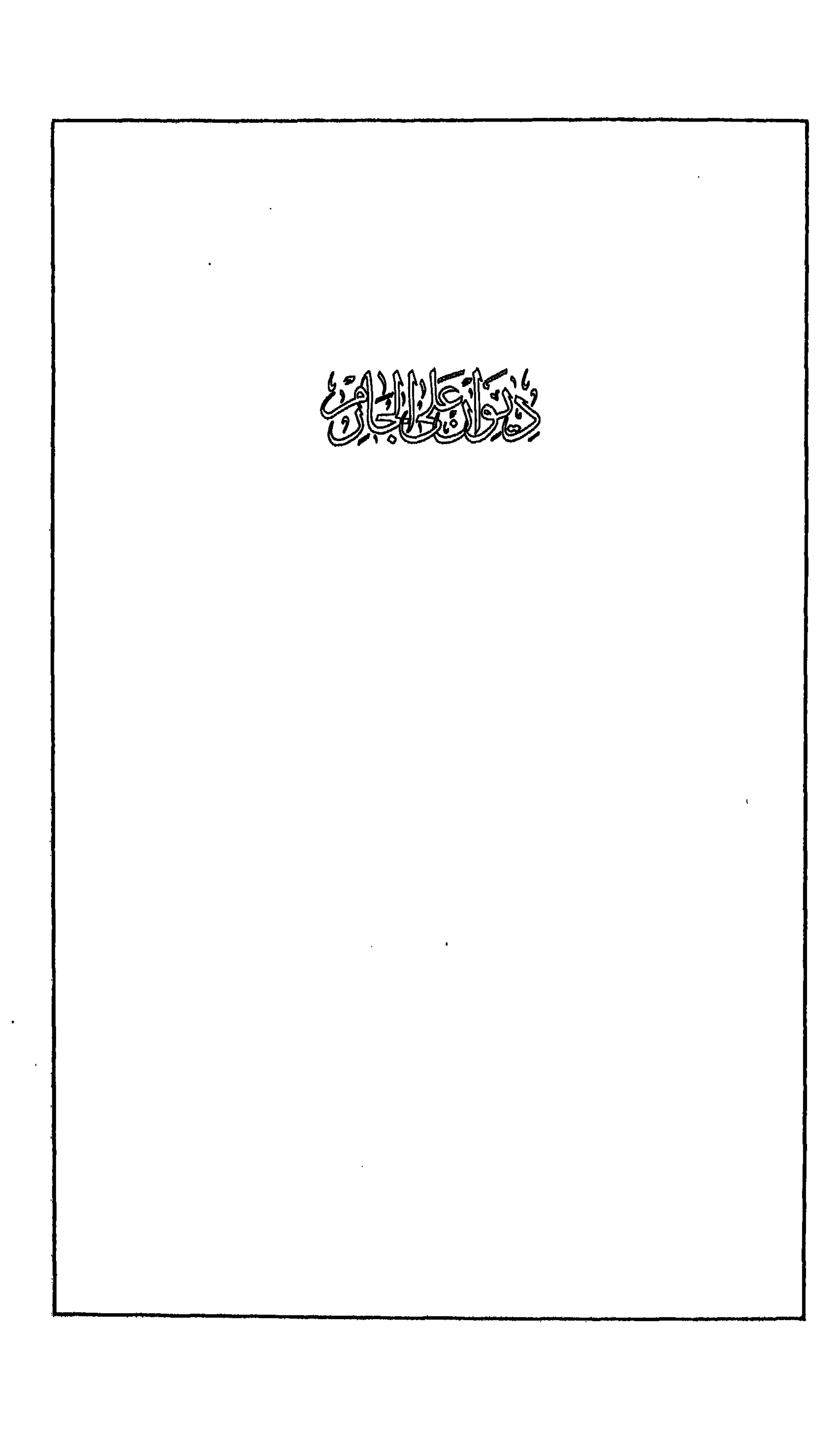









ديوان علي الجارم

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الطبعة الثانية
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الشروق
...راد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
...- تلكس : 93091 SHROK UN
...ناكس : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
- تلكس : SHOROK 20175 LE



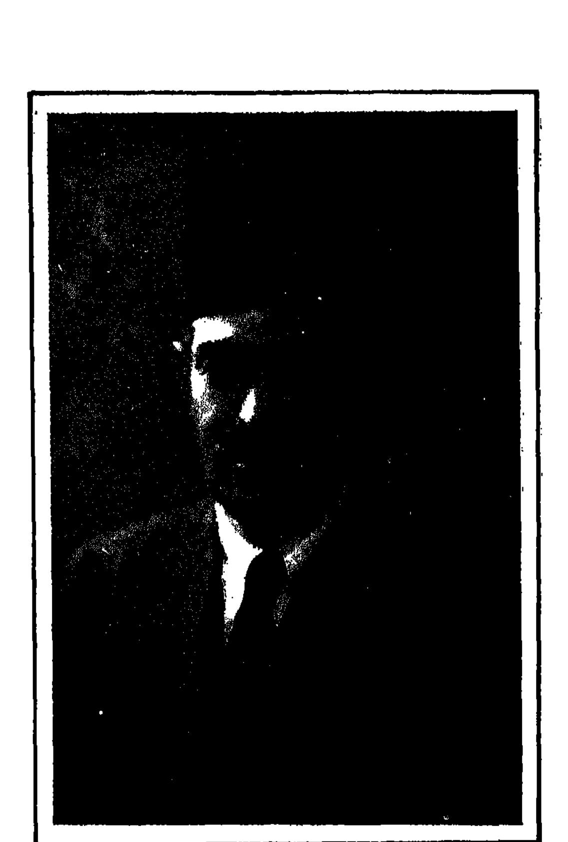
الديوان الكامل للشاعر علي الجارم

ويضم قصائد تنشر للمرة الأولى

الجزء الأول

دار الشروق

الغلاف للفنان حلمي التوني



شاعر مصر الكبير وشاعر العروبة

المرحوم على الجارم

ولد الشاعر على الجارم بمدينة رشيد عام ١٨٨٢ م ونال دراسته الأولية وحفظ القرآن ببلدته ثم انتقل إلى الأزهر لينهل من علومه العديدة على أيدى أساتذة أجلاء مثل الشيخ محمد عبده ثم التحق بدار العلوم حتى تخرج فيها وكان ترتيبه الأول على أقرانه فأوفد فى بعثة إلى انجلترا عام ١٩٠٨ م ومكث بها أربع سنوات ثم عاد إلى الوطن عام ١٩١٢ م حيث عمل مفتشا للغة العربية بوزارة المعارف ثم كبيرا لمفتشى اللغة العربية وعضوا بمجمع اللغة العربية منذ إنشائه ثم عميدا لدار العلوم حتى بلغ سن الستين عام ١٩٤٢ م وتوفى فى ٨ فبراير ١٩٤٩ م.



تقـــديم

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

كان «على الجارم» زينة المجالس كما كان يقال فى وصف الظرفاء من أدباء الحضارتين العباسية والأندلسية .

تجلس إليه فتسمع ما شئت من نادرة أدبية أو ملحة اجتماعية أو شاهد من شواهد اللغة أو نكتة من نكت الفكاهة ، ولا تدرى كلما تهيأ للكلام : ماذا أنت سامع بعد هنيهة ... فقد تترقب النكتة فتسمع الفائدة ، وقد تسأل عن الشاهد فتسمع «القافية» التى لا تعذر كما يقول أبناء البلد كلما عرضت المناسبة «لقفشة» من القفشات لا تهمل فى سياقها ، ولكنك واثق فى النهاية أنك خرجت بفصل ممتع من طراز فصول العقد أو الكامل أو نفح الطيب ، وأنك لو اخترت الحديث واقترحته لما ظفرت بخير مما استوفيته عفو الخاطر بغير سؤال .

كنا فى جلسة بعض اللجان بمجمع اللغة فقلت له جوابًا على تحية من تحياته : أجزيا أستاذ :

عـــلىٌّ «بـــيكٌ» الجارمْ أديب ، شـــاعـــر ، عـــالم

فما تردد أن قال على عادته من سرعة البديهة : إنها إجازة لا تجوز «لعلىٌّ بيكُ» ... قلت : ولكنها تجب علينا إذا أعجبتك القافية !

والبيت توحيه الفكاهة كما هو ظاهر ، ولكنه صميم الجد إذا أردنا أن نجعل الرأى فى مقام النقد والتقدير للزميل الفقيد ، فهو أديب وافر المحصول من زاد الأدب أو زاد الرواية الأدبية من قديمها إلى حديثها ومن مبتكرها إلى منقولها ، وهو عالم باللغة ، وعالم مع اللغة بفنون التربية وفروعها ، وهو الشاعر الذى زوّده الأدب والعلم بأسباب الإجادة والصحة ، فكان شعره زادًا لطالب البيان فى عصره ومثالاً صالحًا للثقافة التى أسهم فيها بأدبه وعلمه .

وقد تعوّد نقادنا عند الكلام على جيل الجارم والجيل الذى تقدمه أن يقرنوا كل شاعر حديث بشاعر مجيد ممن تقدموه ولاح للناقد أنه قدوة للناشئين من بعده ، ولكننا لا نحسب أننا نقيّم الجارم فى مقامه إذا قلنا إنه شبيه بالبارودى أو بصبرى أو بشوقى أو بحافظ أو بشعراء هذه الطبقة السابقين لجيله . فإن للجارم مدرسة خاصة من مدارس الشعر الحديث تقوم على قواعد غير تلك القواعد

كلها عند إجمالها أو إفرادها وتخصيصها باسم كل شاعر معدود فى أولئك الشعراء .

إن الجارم ركن من أركان مدرسة شعرية تستحق الآن أن تعرف بملامحها وأن تستقل بعنوانها ، فلا تلتبس بمدرسة أخرى تنسب إلى علم من أعلام الشعر المخضرمين بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

إنها مدرسة يجوز لنا أن نسميها بمدرسة « دار العلوم » ونعجب لأنها لم تتميز بهذه الميزة الواضحة وهى أدلّ عليها من كل جامعة أخرى تفرّقها ولا تقارب بين أوصالها .

فإذا سمّينا أركان هذه المدرسة الثلاثة ، وهم : حفنى ناصف ومحمد عبد المطلب وعلى الجارم بترتيب السن أو الجيل ، فمن اليسير جدًّا أن نلمس وجوه الشبه بين كل منهم وصاحبيه وإن لم يكن شبهًا من أشباه القوالب المصنوعة يمنع الفوارق الخاصة أو يخفى دلائل الاستقلال بطابع الشخصية المستقلة .

ومنهم عبد المطلب ــ مثلاً ــ أقرب إلى البداوة التى نشأ بين أحضانها وحرص على ألوانها وسماتها ، ولكن من ذا الذى يعرض قصائده عرضًا ويستطيع أن يجد له زميلاً أقرب إليه من ناصف فى لباقته أو الجارم فى رقّته ؟ من ذا الذى يقارب بينه وبين حافظ أو محرم ولا يشعر بالغرابة بينهم ؟ ومن ذا الذى يقارب بينه وبين ناصف أو الجارم ولا يشعر بملامح « الأسرة » تقرنه بأخيه وإن اختلفا كاختلاف الغرباء فى بعض الشيات والأزياء .

نكاد نقول إن الشعر قد انقسم بعد نشأة أدباء دار العلوم إلى مدرستين : مدرسة « الأفندية » والمدرسة المعـمّـمـة أو الدرعمية .

ونكاد نقول إن الأديب الدرعمى سيقول ولو بدّل زيه كما قال الجارم بين جده الباسم وفكاهته الصادقة :

لبست الآن قبّعة بعيدًا عن الأوطان ، معتاد الشجون
فإن هى غيّرت شكلى فإنى «متى أضع العمامة تعرفونى»

وهل هى ملامح « زى » بين العمامة أو الطربوش أو القبّعة ؟ وهل هى ملامح « عنوان » بين الأزهرية والجامعية والدرعمية ؟

كلا ، بل هى ملامح « أسرة » فكرية نفسية خلقتها « طبيعة الدراسة » التى انفردت بها « دار العلوم » ولم تشبهها دراسة من قبيلها فى لغتنا ولا فى لغة أخرى من لغات الثقافة المعروفة لدينا .

فالدرعمى «لغوى عربى سلفى عصرى» ولكن على منهج فريد فى بابه بين مناهج المعاهد السلفية والمدارس الإفرنجية ، وبين مناهج المحافظة والتجديد ، ومناهج الابتداع والتقليد .

ولا يسعك وأنت تقرأ قصيدة الشاعر من أركان المدرسة الدرعمية أن تحجب فكرة «اللغة» عن خاطرك وأن تنكر أن قائل هذا الشعر يثبت على القديم وإن أخذ بنصيبه من الجديد وحرص على انتسابه إليه حرصه على انتسابه إلى التراث القديم .

إن قافية «معتاد الشجون» فى بيت الجارم قد تكون من ضرورات القوافى التى يقبلها الشعراء غير مختارين ، ولكن لا يسعك وأنت تتوقف لديها أن تنسى أن لا بس القبعة الذى قالها قد وضعها فى دار الغربة ؟ وأن الشجون ترد هنا على البال ولا ترد كلمة أخرى بديلاً منها ؟

وإن قراءة «الدرعمى» هى التى جذبت هذه الكلمة من محفوظات الأدب العربى ليقولها غريب تعتاده شجون وتذكره بها القبّعة وذكرى العمامة ؟

واقرأ هنا وهناك ما شئت من قصائد الصفحات التالية فإنك ترى التشطير وبيت التخلص ومحسنات الأشباه والنظائر ولكنك لا تلبث أن ترى القبّعة إلى جانب العمامة ، وأن ترى «الشجون المعتادة» بين الوطن الثقافى الأصيل والوطن الثقافى المستحدث ، وهما حيث كانا يتلاقيان «وبينهما برزخ لا يبغيان» .

على أن الطابع المستقل من «الشخصية الجارمية» يبدو على كل لمحة «درعمية» تصادفها بمعانيها أو ألفاظها فى قصائد هذا الديوان .

إننا نرى «عليًّا» برقته ودعابته حين نسمع حنينه إلى الشباب فى قوله :

هات عهد الشباب إن غاص فى الما ء ، وإن غاب فى السماء فهاته
ما أرانى من غيره غير ثوب ضم أردانـــه على علاّتــه
ربّ شيخ فى عالم الطب حى ويـراه الـزمـان من أمواتـه

و «علىّ» برقّته ودعابته هو الذى يقول فى الشيخ المتصابى :

لـنـا شـيـخ تولّى أطـبـاه يهيم بحب ربـات الـقـدود
يغازل إذ يغازل من قيام وإن صلى يصلى من قعود

والظريف الحكيم هو الذى يقول فى خطابه للمكروب :

لست كالواو ، أنت كالمنجل الحصّا د ، إن أحسنوا لك التمثيلا

ما غلبت النفوس بالعزم لكنْ هكذا يغلب الكثير القليلا
ربّ طفل تركت من غير ثدى يضرب الأرض ضجّة وعويلا
وفتاة طرقتها ليلة العر س ، وقبل الخليل كنت الخليلا
كحّلوا جفنها فكحّلت فيها كل جفن أسى وسُهدًا طويلا

وهو الذى يحيي الإذاعة فيقول :

ونبّهتِ وسنانَ جفن الصبا ح ، بآى من الكلم المنزل
وغنّيتِ حتى تعزّى الحز ين وقرّ الشجىّ وهام الخلى
وكم قد هزلت لتشفَى النفو س فكان من الجد أن تهزلى

وهو القائل مفتخرًا بالعرب :

صعدوا للعلا بريش نسور ومضوْا للردى بعزم أسود
أينما ركّزوا الرماح ترى العد ل مقيمًا فى ظله الممدود
وترى العلم يلتقى بهدى الد ين على منهج سوى سديد
فسحوا صدرهم لحكمة يونا ن وآداب فــارس والهنود
تلك آثارهم شهودًا على المجـ د ، وما هم بحاجة لشهود

وهو القائل مخاطبًا العربية :

أنت علمتنى البيان فمالى كلّما لحت حار فيك بيانى
لغة الفن أنت والسحر والشعر ونور الحجا ووحى الجنان

نعم . ويعود المقام ــ إن لم نعد نحن إليه ــ لنقول « الأديب الشاعر العالم » يستوى على منبره حين يزجى التحية إلى اللغة العربية ، وإنها لتحييه بأحسن منها كلما ذكرت له مأثرته ومآثر أصحابه فى إحياء بيانها وإطلاق لسانها وبقائها على الأزمان نورًا للحجى ووحيًا للجنان .

عباس محمود العقاد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله ، والصلاة على جميع رسله وأنبيائه ، وبعد فانى لا أريد أن أسهب فى الكلام على معنى الشعر وخصائصه . ومبعث الروحانية فيه ، ذلك لأن هذا المبحث طرقه الباحثون كثيرًا فأخفقوا . وأطالوا فيه فكانت إطالتهم أول دليل على العىّ والحصر ، ومن العىّ إطالة الكلام ، وتكرار تاء التـمتام .

أرادوا أن يحدُّوا روحانيته بالألفاظ . فعجزت الألف ، وضلت الباء ، وكيف يحيط المحدود بغير المحدود ؟ وكيف تكشف ظلمة المادة توهّج النور ؟

إن شرح آثار الإحساس الجسمى من أبعد الأمور تأتيًا ، وأدخلها فى باب الاستحالة . أرأيت لو أنك ذقت سكرًا أو ملحًا ، ثم سألك سائل متعنت أن تشرح له طعم السكر أو الملح ، أكنت مستطيعًا ؟ أرأيت لو شممت وردًا أو نرجسًا ، ثم بدهك إنسان يفقد حاسة الشم أن تبين له فى وضوح ودقة ذلك الأثر الذى شعرت به . أكنت قادرًا على أن تجد له اللفظ إن وجدت المعنى ؟

فإذا كان هذا الشأن . وتلك الحال فى إحساس الأجسام ، فكيف فى إحساس العقول ؟ وإذا كانت الألفاظ عاجزة عن وصف أثر المادة الجامدة فى الأجسام ، فكيف تكون إذا همت بوصف أثر الروح النورانية فى النفوس والأرواح ؟

حاول عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» ، أن يشرح ما بهر نفسه من ضروب البلاغة فى بعض ما ساق من الشواهد فأخفق وأخفق ، وطالما نظرتُ متسمًا إليه وهو يكد ويكدح ، ويعلو ويسفل ، ويحاول الوصول إلى مواطن السحر فلا يستطيع ، ويتلمس اللفظ لشرح ما يجول بنفسه فلا يوفق ، والغيظ ينفخ أوداجه ، والألم تسمعه فى نبرات لفظه . يرسل الصيحة إثر الصيحة ، كأنما يدعو إلى اصطياد ظبى نافر ، أو إلى التوثب الى أجنحة طائر ، ثم هو بعد طول الصياح وشدة الإلحاح لم يعمل شيئًا ، ولم يترك فى كف القارئ شيئًا !

إنك تهتز للبحترى ، وتطرب له ، ولكنك لا تستطيع أن تفضّ خاتم سحره ، ولا أن تنقل

إلى نفس غيرك صدى جرسه فى نفسك حين يقول فى الفتح بن خاقان :

وَلَمّا حَضَرْنا ساحَةَ الإِذْنِ أُخِّرَتْ رِجالٌ عن البابِ الذى أنا داخِلُهْ

فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إلى ذِى مَهابَةٍ أُقابِلُ بَدْرَ التِمِّ حينَ أُقابِلُهْ

فَسَلَّمْتُ فاعْتاقَتْ جَنانِىَ هَيْبَةٌ تُنازِعُنى القَوْلَ الذى أنا قائِلُهْ

السحر فى اختيار النظم ، وفى إبداع التصوير ، وفى وضع الكلمة فى موضعها ، وفى الجرس والنغم ، ولكن أين السبيل إلى إبانة ذلك ؟

قف أمام صورة بديعة لمصور ماهر، وكن ممن يفهمون سرّ الفن، ومعنى الألوان وامتزاجها وتشاكلها ، ثم اشرح لصديق آيات النبوغ فيها ، فإن فعلت ــ ولن تفعل ــ فتجرّأ على إفشاء سر البيان ، وتصوير الخيال .

والناس يلهجون قديمًا بقول عُروة بن أذينة :

إنَّ التى زَعَمَتْ فُؤادَكَ مَلَّها خُلِقَتْ هَواكَ كما خُلِقْتَ هوًى لها

بَيْضاءُ باكَرَها النَّعيمُ فَصاغَها بِلَباقَةٍ فَأَدَقَّها وأَجَلَّها

مَنَعَتْ تَحِيَّتَها فَقُلْتُ لِصاحِبِى ماكانَ أَكْثَرَها لَنا وأَقَلَّها !

فَدَنا وقالَ لَعَلَّها مَعْذُورَةٌ فى بَعْضِ رِقْبَتِها فَقُلْتُ لَعَلَّها

ويقولون : إن أبا السائب المخزومى نزل بُعروة بن عبيد الله ، فقال له : ألك حاجة ؟ قال نعم ، أبيات لعروة بن أذينة ، بلغنى أنك سمعته ينشدها ، فأنشده الأبيات ، فلما بلغ قوله :

فَدَنا وقالَ لَعَلَّها مَعْذُورَةٌ فى بَعْضِ رِقْبَتِها فَقُلْتُ لَعَلَّها

طرب وقال : هذا والله الدائم الصبابة ، الصادق العهد ، لا الذى يقول :

إن كان أَهْلُكِ يَمْنَعُونَكِ رَغْبَةً عَنِّى ، فَأَهْلى بِى أَضَنُّ وأَرْغَبُ

لقد عدا هذا الأعرابى طوره ! وإنى لأرجو أن يُغْفَرَ لصاحب هذه الأبيات لحسن الظن بها ، وطلب العذر لها ، ثم عرض عروة الطعام فقال : لا والله ، ماكنت لأخلط بهذه الأبيات طعامًا حتى الليل !

إن الأديب وحده هو الذى يفهم الشعور الذى ملك على المخزومىّ نواحى نفسه ، واللذة الفنيّة التى لم يُرد أن يفسدها بطعام طول يومه .

ثم انظر إلى قول سعد بن ناشب وكان من مردة العرب ، وشياطين الإنس ، تجد فخامة وجزالة وبطولة لا يصوّرها إلا الشعر ، ولا يدركها إلا ذوق الشاعر .

إذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ونكّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جانِباً
ولم يَسْتَشِرْ فى رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ولم يَرْضَ إلاَّ قائِمَ السَّيْفِ صاحِباً

ومن التصوير الرائع الذى يملك الجنان ، ويعقل اللسان قول أبى نواس :

وَرَكْبٌ تَسَاقَوْا عَلَى الأَكْوارِ بَيْنَهُمُ كَأْسَ الكَرَى فَانْتَشَى الْمَسْقِيُّ والسَّاقِي
كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمْ والنَّوْمُ وَاضِعُها عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَعْنَاقِ
سارُوا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْدًا لِرَاحِلَةٍ حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ بَعْدَ أَشْوَاقِ
مِنْ كُلِّ جائِلَةِ الطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ مُشْتَاقَةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَاقِ

قالوا : إن محمد بن زياد الأعرابى كان يطعن على أبى نواس ، ويعيب شعره . ويضعّفه ويستلينه ، فجمعه مع رواة شعر أبى نواس مجلس ، فأنشده أحدهم الأبيات السابقة ، فقال : لمن هذه الأبيات ؟ وكتبها ، فقال : للذى تذمه وتعيب شعره أبى على الحكمى ، قال : اكتم علىّ ، فو الله لا أعود لذلك أبدًا .

وإذا أردت لهو أبى نواس وعبثه الذى يبعث فى النفس إعجابا يروغ من التصوير ، ونشوة تفر من الوصف والتعبير ، فاستمع إليه حين يقول :

غَنِّنَا بِالطُّلُولِ كَيْفَ بَلِينَا وَاسْقِنَا نُعْطِكَ الثَّنَاءَ الثَّمِينَا
مِنْ سُلافٍ كَأَنَّها كُلُّ شىءٍ يَتَمَنَّى مُخَيَّرٌ أَنْ يَكُونَا
فَإِذَا مَا اجْتَلَيْتَهَا فَهَبَاءٌ يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبِيحُ الْعُيُونَا
ثُمَّ شُجَّتْ فَاسْتَضْحَكَتْ عن لآلٍ لو تَجَمَّعْنَ فى يَدٍ لاقْتُنِينَا
فى كُؤُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ دائِرَاتٌ ، بُرُوجُهَا أَيْدِينَا
طالِعاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

هذا فن يدركه الذوق ، ولا يشرّح تشريح الجثث .

ومن الأبيات التى يروعك جمالها : ويهتز وجدانك لتأثيرها ، ويبهر نفسك تصويرها ، قول الشريف الرضى :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيارِهِم ... وطُلُولُها بِيَدِ الْبِلَى نَهْبُ
فَتَلَفَّتَتْ عَيْنِى فَمُذْ خَفِيَتْ ... عَنِّى الطُّلُول تَلَفَّتَ الْقَلْبُ

ولو أردنا أن نقول فى لطف جمال الشعر وروحانيته . وعجز الألفاظ عن الإحاطة بسره ، وإماطة اللثام عن مكنون سحره ، لطال حبل الكلام ، وحاد القلم عن الجادّة ، ولكنا نستطيع أن نقول فى جملة قصيرة إن جمال الشعر فى نظمه وجرسه ورنينه ، وفى انتقاء ألفاظه وتجانسها . وفى ترتيب هذه الألفاظ ترتيبًا يبرز المعنى فى أروع صورة وأبدعها ، وفى اختيار الأسلوب الذى يليق بالمعنى ويليّق به . فمرة يكون إخبارًا ، ومرة يكون استفهامًا ، ومرة يكون استنكارًا ، ومرة يكون نفيًا ، ومرة يكون تعجبًا . كل ذلك يكون مع المحافظة على الأسلوب العربى الصميم .

ثم فى المعانى وابتكارها أو توليدها من القديم فى صورة جديدة رائعة . ثم فى الخيال وحسن تصويره والتزام الذوق العربى فيه . ثم فى إحكام القافية والتمهيد اليها ، ثم فى انتقاء البحر الذى يلائم موضوع القصيد ، ثم فى التنقل فى القصيدة فى فنون شتّى من القول مع المحافظة على الوحدة الشعرية ، ثم فى روح الشاعر وخفة ظله ، وانسياقه مع الطبع . وتعمده لمس مواطن الشعور .

ولا يكون جمال الشعر دائمًا بالمجاز والتشبيه وضروب التزويق اللفظى . وإنما جماله فى استعداده للنفاذ إلى النفس والوصول إلى القلب على أى صورة كان . وفى أى ثوب يكون ، ولأمر ما كان لبعض الشعر الجاهلى منزلته التى لا تسامى . ومحله الذى لا ينازع . ولأمر ماهوى الشعر صريعًا يلهث حينما أثقله المتأخرون بنفائس الحلى وأنواع الحلل .

وقد يخلط من لا بصر له بالشعر بين تأثير الحال التى قيل فيها الشعر وتأثير الشعر نفسه ، وكثيرًا ما نال الشاعر تصفيق الجماهير واستحسانهم لأنه يتجه إلى عاطفة فيهم سريعة الالتهاب سهلة الإثارة ، وكثيرًا ما يلجأ بعض الشعراء فى موضوع بعيد عن عاطفة العامة إلى الاستطراد إلى ذكر ما يثير نفوسهم استجداءً لصيحات الاستحسان وطلب الإعادة .

هذا دجل أدبىّ نعوذ بالله منه ، وهذا إفساد للفن ممن يريدون الالتصاق بالفن . شأن هؤلاء شأن صغار المصورين الذين يعمدون إلى دريهمات العامة بالاكثار من الألوان الزاهية البراقة ، وإن ضاع الانسجام ، وقُتِل الفن الرفيع قتلا .

وربما كان الشعر أعصى الفنون على التعلم ، وأبعدها من أن ينال بالدرس والتدريب ، إنما هو شعاع يضعه الله فى قلب من يشاء ، وهبة يمنحها لمن يشاء ، وحاسة معنوية يزيدها فى خَلْق نفر من عباده يحسون بها ما لا يحسه كثير من الناس ، فيترجمونه بيانًا ساحرًا ، وقولا مبينًا .

والشعر طريق معبّدة بين عالم الأجسام وعالم الأرواح ، ينقل إلى المادة الفانية نفحات الروح الخالدة ، ويرسل إلى ظلمات الحياة نورًا قدسيًا ، يبدّد غيوم الغموم ، ويكشف السبيل للأمل الحائر .

فليس الشعر الوزن وحده ، ولا القافية وحدها ، ولا الكلمات التى تملأ فراغ التفاعيل ، وإن عذبت ولطفت ، وإنما الشعر ما وراء كل بيت من ضوء روحانىّ وجد له بين ألفاظه منفذًا ، ومن سحر سماوىّ زحزح البيتُ دونه طرف الستار .

وشأن الشعر شأن الفنون كلها ، إما أن يكون فنًا ، وإما ألاّ يكون ، وإما أن يكون شعرًا ، وإما ألاّ يكون ، فليس فيه كبقية منتجات العقول جيد ومتوسط وردئ . فهو إما أن يكون جيدًا ، وإما ألاّ يكون شعرًا ، نعم إن الجودة متفاوتة ، ولكنها إذا نزلت إلى حد التوسط فقد الشعر مميزاته ، وسلب مقوماته ، وأصبح كلامًا ، كما يُجرّد القائد المذنب من رتبه وألقابه فيصبح جنديًا .

والكلام فى الشعر يطول ، وبحور الشعر فيّاحة النواحى ، بعيدة الغور ، ولكنى أريد هنا أن أقدّم للأدباء وجمهرة المثقفين مجموعة أشعارى ، بعد أن أرجأت طويلاً نشرها ، وأهملت كثيرًا فى جمعها ، وبعد أن ألح علىّ كثير من أصدقائى فى إبرازها لتنال حظها فى سوق الأدب .

فإذا استطاعت هذه الأشعار أن تزيد فى بناء العربية صفا ، أو أن تضيف إلى آياتها البينات حرفا . أو أن تذيع من مسكىّ معانيها شذًا طيبًا وعرفًا ، فقد بلغت المنى ، وحمدت السرى ، ونلت التوفيق كله ، وسكنت نفسى أن قدمت بين يدىّ عملاً أشعر أن فيه أداء لحق لغتى وأمتى ، وأن فيه غذاء صالحًا للناشئة المصرية الكريمة التى بذلت حياتى وأبذل ما بقى منها فى تثقيفها وإنهاضها إلى الأوْج الذى تريد وأريد .



أبو الزهراء

في ذكرى المولد النبوي الكريم جادت قريحة الشاعر بهذه القصيدة العصماء عام ١٩٤٨ م.

أطلّت على سُحبِ الظلامِ ذُكاءُ — وفُجّرَ من صخرِ التنوفةِ ماءُ[١]

وخُبّرت الأوثانُ أنّ زمانَها — تولّى، وراحَ الجهلُ والجهلاءُ[٢]

فما سجدت إلاّ لذى العرشِ جبهةٌ — ولم يَرتفعْ إلاّ إليه دُعَاءُ[٣]

تبسّم ثغرُ الصبحِ عن مولدِ الهُدى — فللأرضِ إشراقٌ به وزُهَاءُ[٤]

وعادت به الصحراءُ وهى جديبة — عليها من الدينِ الجديد رُوَاءُ[٥]

ونافست الأرضُ السماءَ بكوكبٍ — وضيءِ المحيّا ما حَوَتْه سماءُ[٦]

له الحق والإيمانُ بالله هالة — وفى كلّ أجواءِ العقولِ فَضاءُ[٧]

تألّق فى الدنيا يُزيح ظلامَها — فزال عمىً من حوله وعَماءُ[٨]

وردّ إلى العُرْب الحيَاة وقد مضى — عليهم زمانٌ والأمامُ وَرَاءُ[٩]

حجابٌ طوى الأحدَاثَ والناس دونهم — فأظهر ما تجلو العيون خفَاءُ[١٠]

بنت أممٌ صرحَ الحضارةِ حولهم — وأقنعهم إبلٌ لهم وحُداءُ[١١]

عُقولٌ من الأحجارِ هامت بمثلها — وكل بَكيمٍ للبكيمِ كِفاءُ[١٢]

فكم كان للرومانِ والفرسِ صولةٌ — وهمْ فى بوادى أرضهم سُجناءُ[١٣]

عِرَاكٌ وأحقادٌ يشبّ أوَارها — جحيمًا، وكِبرٌ أجْوَفٌ وغَباءُ[١٤]

---

(١) ذكاء: الشمس، صخر التنوفة: الحجارة بالمفازة والمقصود صحراء الحجاز.

(٥) رواء: حسنة المنظر.

(١١) حداء: سوق الإبل والغناء لها.

عجبتُ لأمرِ القومِ يحمونَ ناقةً ... وساداتهم من أجْلِها قُتلاءُ (١٥)

* * *

بدا فى دُجى الصحراء نورُ محمدٍ ... وجلجلَ فى الصحراء منهُ نِداءُ (١٦)

نبىٌ به ازدانت أباطِحُ مكةٍ ... وعزَّ به ثَوْرٌ وتاه حِرَاءُ (١٧)

يُنادى جرئُ الأصغريْن بدعوةٍ ... أكبَّ لها الأصنامُ والزُّعماءُ (١٨)

دعاهم لربٍ واحدٍ جلَّ شأنه ... له الأمرُ يولى الأمرَ كيف يَشاءُ (١٩)

دعاهم إلى دينٍ من النورِ والهُدىَ ... سَماحٌ ورفقٌ شاملٌ ووفَاءُ (٢٠)

دعاهم إلى نبذِ الفخارِ وأنهم ... أمامَ إلهِ العالمينَ سَواءُ (٢١)

دعاهم إلى أن ينهضوا بِعُفاتهم ... كِرامًا ، فطاحَ الفقرُ والفقراءُ (٢٢)

دعاهم إلى أنْ يفتحوا القلبَ كى ترى ... بصيرتُه ما يُبصر البُصراءُ (٢٣)

دعاهم إلى القرآنِ نورًا وحكمةً ... وفيه لأدواءِ الصدورِ شِفاءُ (٢٤)

دعاهم إلى أن يهزموا الشركَ طاغيًا ... تسيلُ نفوسٌ حوله ودِماءُ (٢٥)

دعاهم إلى أنْ يبتَنُوا الملكَ راسخًا ... له العدلُ أسٌّ والطموحُ بناءُ (٢٦)

دعاهم إلى أن الفتىَ صنع نفسهِ ... وليس له من قومِهِ شُفعاءُ (٢٧)

دعاهم إلى أن يملكوا الأرضَ عُنوةً ... مساميحَ ، لا كِبرٌ ولا خُيلاءُ (٢٨)

فلبّاه من عُليَا مَعدٍ غضافِرٌ ... كُماةٌ إذا اشْتدَّ الوغَى شُهداءُ (٢٩)

أشدَّاء ما باهى الجهادُ بمثلهم ... وهم بينهم فى أمرهِم رُحماءُ (٣٠)

أساءوا إلى الأسيافِ حتى تحطّمت ... وما مَرَّةً للمستجيرِ أساءوا (٣١)

وقد حملوا أرواحَهُمْ فى أكفِّهم ... وليس لهم إلاّ الخلود جَزاءُ (٣٢)

إذا حكموا فى أمّةٍ لان حكمُهم ... فما هى أنعامٌ ولا هى شَاءُ (٣٣)

---

(١٧) أباطح : مسيل واسع فيه حصى . تاه : اختال .

(١٨) الأصغرين : القلب واللسان . أكب : سقط .

(٢٢) عفاتهم : طلاب المعروف . طاح : ذهب .

(٢٩) معد : قبيلة معد وهى من أشراف العرب . غضافر : أسود شجعان . كماة : رماة .

(٣٣) شاء : الكثير من الغنم .

فهل تعلم الصحراء أنَّ رعاءها حُماةٌ بـآفـاق الـبلاد رُعَـاءُ(٣٤)

وأنهمُ إن زاولوا الحكمَ سَاسةٌ وإن أرسلوا أحكامهم فقهاءُ(٣٥)

لقد شربوا من منهل الدين نُغبةً مـطـهرةً ، فالظامئون رِوَاءُ(٣٦)

وقد لمحوا من نورِ طه شُعاعةً فكل ظلامٍ فى الوجود ضِياءُ(٣٧)

نبىٌّ من الطُّهرِ المصفّى نجاره سماحة نفسٍ حُرّةٍ وصَفاءُ(٣٨)

وصبرٌ على اللأواء ما لانَ عُودهُ ولا مَسَّهُ فى المعضلاتِ عَناءُ(٣٩)

وزهدٌ له الدنيا جناح بعوضة وكل الذى تحت الهباء هَباءُ(٤٠)

تراه لدى المحراب نُسكًا وخشيةً وتلقاهُ فى الميدانِ وهو مَضَاءُ(٤١)

إذ صالَ لم يترك مَصالاً لصائلٍ وإن قَال ألقت سمعَها البُلغاءُ(٤٢)

كلامٌ من الله المهيمن روحُه ومن حلل الفُصحى عليه رداءُ(٤٣)

كلامٌ أرادته المقاويلُ فالتوى عليها ، وضلّت طُرقَه الحُكماءُ(٤٤)

كلامٌ هو السحرُ المُبين وإن يكن له ألفُ مثل الكلام وَبَاءُ(٤٥)

عجيبٌ من الأمىِّ علمٌ وحكمةٌ تضاءل عن مرماهِمَا العُلماءُ(٤٦)

ومن يَصطفِ الرحمن افالكون عبده ودُهم الليالى أينَ سارَ إماءُ(٤٧)

* * *

نبى الهدى قد حرّق الأنفسَ الصدَى ونحن لفيضٍ من يديك ظِمَاءُ(٤٨)

أفِضْها علينا نفحَةً هاشميةً يُلَمُّ بها جُرحٌ ويبرأُ دَاءُ(٤٩)

فليس لنا إلاّ رِضَاكَ وسيلةٌ وليس لنا إلاّ حِمَاكَ رَجاءُ(٥٠)

حننا إلى مجدِ العروبةِ سامقًا وما نحنُ فى ساحاتِه غُرباءُ(٥١)

---

(٣٤) رعاءها : ولاتها والمقصود رعاة الأغنام بها . رعاء : غطاء . يراعون الحقوق .

(٣٦) نغبة : جرعة .

(٣٨) نجاره : أصله .

(٣٩) اللأواء : الشدة .

(٤٣) حلل الفصحى : أردية الفصاحة والبلاغة .

(٤٤) أرادته المقاويل : أرادت محاكاته . التوى عليها : صعب عليها .

(٤٧) دهم الليالى : الليالى حالكة السواد .

زمان لواء العُربِ يُزهى بقومه ... وما طاله في العالمين لِواءُ[52]
زمان لنا فوق الممالكِ دولةٌ ... وفي الدهر حكمٌ نافذٌ وقضاء[53]
فيا رب هيئ ا[illegible]ادِ سبيلَنا ... إذا جار خَطبٌ أو ألمَّ بَلاءُ[54]
ونصرًا وهديًا إن طغى السيلُ جارفًا ... وفاضَ بما يحوى الإناء إنَاءُ[55]
نناجيكَ هذى راية العُربِ فاحمها ... فمن حولها أجنادُكَ البُسَلاءُ[56]
رميْنا بكفٍّ أنت سدّدت رميها ... فما طاشَ سهمٌ أو أخلّ رِمَاءُ[57]
أعِزّنا بحق المصطفى منك قوّةً ... فليس لغيرِ الأقوياء بَقاءُ[58]
وأسبغْ علينا درعَ لطفِك إنّها ... لنا في قتامِ الحادثاتِ وِقاءُ[59]

* * *

إليك أبا الزهراء سارت مواكبي ... مواكبُ شعرٍ ساقهن حَياءُ[60]
وأنّى لمثلى أنْ يُصوّر لمحةً ... كَبَادُون أدنى وصفها الشُعراءُ[61]
ولكنها جهدُ المحبِ فهل لها ... بقُدسِك من حظ القبولِ لِقاءُ[62]
ولى نسبٌ يُنمى لبيتكَ صانَنى ... وصانته منىّ عِزّةٌ وإباءُ[63]
عليك سلامُ اللهِ ماذَرّ شارقٌ ... وما عطّر الدنيا عليكَ ثناء[64]

---

(٥٨) أعزنا : مدنا .

(٥٩) أسبغ : أتمم . قتام : غبار وقيل : لون فيه غبرة وحمرة .

(٦١) كبا : سقط .

(٦٣) نسب : انتماء وقرابة يشير إلى نسب الشاعر إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام .

(٦٤) ذر : طار . شارق : ناحية المشرق .

مِصر

أنشدها الشاعر بقاعة المحاضرات بالجامعة المصرية فى افتتاح المؤتمر الطبى العربى الثانى فى ٣٠ من يناير سنة ١٩٣٩ م.

صوَّرَ اللهُ فيكِ معنى الخُلُودِ فابلُغى ما أردتِهِ ثمَّ زيدِى(١)
أنتِ يا مِصْرُ جَنَّةُ اللهِ فى الأرْ ض ، وعَيْنُ العُلَا وَوَاوُ الوجود(٢)
أنتِ أمُّ المَجْدَيْنِ بَيْنَ طَرِيفٍ يتَحدَّى الوَرَى وبَيْنَ تَلِيدِ(٣)
كم جديدٍ عليه نُبْلُ قديمٍ وقديمٍ عليه حُسْنُ جديدِ !(٤)
قد رآكِ الدهرُ العَتِىُّ فَتاةً وهو طِفلٌ يلهو بِطَوْقِ الوليدِ(٥)
شابَ من حَوْلِكِ الزمانُ وَماَ زلْتِ كغُصْنِ الرَّيْحَانَةِ الأُمْلُودِ(٦)
أنتِ يا مِصْرُ بَسْمَةٌ فى فم الْحُسْـنِ ، ودمعُ الْحَنانِ فوقَ الْخُدُودِ(٧)
أنتِ فى القَفْرِ وَرْدَةٌ حَوْلَهاَ الشَّوْ كُ ، وفى الشوك عِزَّةٌ لِلْوُرُودِ(٨)
يَلْثِمُ البحرُ مِنْكِ طِيبَ ثغُورٍ بَيْنَ عَذْبِ اللَّمَى وبَيْنَ بَرُودِ(٩)
يابْنَةَ النيلِ أنتِ أحْلَى مِنَ الْحُبِّ وأَزْهَى من ضاحِكاتِ الوُعُودِ(١٠)
تَكَرَ النيلُ فيكِ تِبرًا وأوْهَى لِيتَهُ من قساوةِ الْجُلْمودِ(١١)
فَتَنَ الأَوَّلِينَ حَتَّى أشارُوا نحو قُدْسِيِّ مائِهِ بالسُّجُودِ(١٢)

---

(٦) الريحانة : واحدة الريحان وهو نبت طيب الرائحة . الأملود : الغصن الناعم اللين .

(٨) المراد بالقفر هنا : الصحارى التى تحيط بمصر وتكتنفها .

(٩) الثغور : جمع ثغر وهو الفم والثغور أيضا هى المدن التى تقع على البحار . اللمىّ : سمرة الشفتين. البرود : البارد .

(١١) الجلمود : الصخر .

وَوَشَى لِلرِّيَاضِ ثوبًا وَحَلَّى | كلَّ جِيدٍ من الرُّبَا بعُقُودِ[١٣]
أنتِ للاّجِئِينَ أمٌّ ، وَوِرْدٌ | لِظِماءِ القلوبِ عَذْبُ الورودِ[١٤]

* * *

قَدْ حَمَلْتِ السِّرَاجَ للنَّاسِ ، وَالكَوْ | نُ غريقٌ فى ظُلْمَةٍ وَخُمودِ[١٥]
لا نَرى فيك غيرَ عهدٍ مَجيدٍ | قَرَنَتْهُ العُلاَ بعهدٍ مَجيدِ[١٦]
وجُهودٍ تمثَّلَتْ فى صُخُورٍ | وصخورٍ تشَبَّهتْ بجُهُودِ[١٧]
عِظَمٌ يَبْهَرُ السَّمَاءَ ، وشَأْوٌ | عَاقَ ذاتَ الْجَناحِ دُونَ الصُّعُودِ[١٨]
أنتِ يا مِصْرُ صَفْحَةٌ مِنْ نُضَارٍ | لَمَعَتْ بَيْنَ سَالِفَاتِ العُهُودِ[١٩]
أَيْنَ رَمْسِيسُ والكُمَاةُ حَوَالَيْهِ | مُشَاةٌ فى المَوْكِبِ المشْهُودِ؟[٢٠]
مَلأَ الأرضَ والسماءَ ، فَهَذِى | بجنودٍ ، وهَذِهِ ببُنُودِ[٢١]
وجُموعُ الكُهَّانِ تهتفُ بالنَّصْرِ | وتتلو النَّشيدَ إثْرَ النَّشيدِ[٢٢]
وبناتُ الوادِى يَمِسْنَ اخْتِيالاً | ويُحَيِّين بين دُفٍّ وَعُودِ[٢٣]
أين عَمْرُو فتى العُرُوبةِ والإقْدامِ ، | أوْفَى مُجاهِدٍ بالعقودِ؟[٢٤]
شَمَّرِىٌّ يُحَطِّمُ السَّيفَ بالسَّيْفِ ، | ويرمِى الصِّنديدَ بالصِّنديدِ[٢٥]
لَمْ يكن جَيْشُه لدَى الزَّحْفِ إلاَّ | قُوَّةَ العَزْمِ صُوِّرتْ فى جُنودِ[٢٦]
قِلَّةٌ دَكَّتْ الْحُصون وبَثَّتْ | رِعْدَةَ الرُّعبِ فى الْخضَمِّ العَديدِ[٢٧]
ذُعِرَ الموتُ أنَّهم لَمْ يَخافُو | هُ ولم يَرْهَبوا لِقاءَ الحديدِ[٢٨]
ينظرون الفِرْدَوْسَ فى ساحةِ الْحَرْ | بِ فيستعجلون أجْرَ الشَّهيدِ[٢٩]
صَعِدُوا للعُلاَ بريشِ نُسورٍ | ومَضَوْا للرَّدَى بِعَزْمِ أُسُودِ[٣٠]

---

(١٣) وشى الثوب : زينه بالنقوش . الربا : جمع ربوة وهى المرتفع من الأرض .
(١٨) البَهْر : الغلبة . الشأو : الغاية .
(٢٠) الكماة : جمع كمىّ . الشجاع أو لابس السلاح . الموكب : الجماعة . بنود : البند العلم الكبير .
(٢٣) دفّ : الذى يضرب به .
(٢٤) يشير الشاعر إلى الفاتح العظيم عمرو بن العاص ، ويصفه بالشجاعة والإقدام والوفاء بالعهود .
(٢٥) شمّرىّ : ماض فى الأمور مجرب . الصنديد : السيد الشجاع .

أَيْنمَا رَكَّزُوا الرِّماحَ تَرى العَدْ لَ مُقيمًا فى ظِلِّها المَمْدودِ(٣١)
وتَرى المُلْكَ أَرْيحيًّا . عَلَيْهِ نَضْرةٌ من سَمَاحَةِ التَّوحيدِ(٣٢)
وتَرَى العزمَ عابِسًا لِوُثوبٍ وتَرى السيفَ ضاحكًا فى الغُمُودِ(٣٣)
وترى العِلْمَ يلتقى بِهدَى الدِّينِ على مَنْهَجٍ سَوِيٍّ سديدِ(٣٤)
ملكُوا الأرضَ لم يُسيئوا إلى شَعْبٍ ، ولم يحكموه حُكْمَ العبيدِ(٣٥)
هُمْ جُدُودِى ، وَأَينَ مِثْلُ جُدودى إن تَصَدَّى مُفاخِرٌ بالجُدُود ؟(٣٦)

* * *

فَسَحُوا صَدْرَهُم لحِكْمةِ يُونَا نَ وآدابِ فارسٍ والهُنُودِ(٣٧)
وأصاروا بالتَّرجَمَاتِ علومَ الرُّو مِ وِرْدًا لِلنَّاهِلِ المستفيدِ(٣٨)
حَذَقوا الطِبَّ والزمانُ غُلامٌ والثقافاتُ رُضَّعٌ فى المُهُودِ(٣٩)
وَشُعوبُ الدنيا تُعالِجُ بالسِّحْرِ وحَرْقِ البَخُورِ والتَّعقيدِ(٤٠)
هَلْ ترى لابن قُرَّةٍ من مثيلٍ ؟ أو تَرَى لابن صاعدٍ من نديد ؟(٤١)
والطبيبُ الكِنْدِيُّ لم يُبْقِ فى الطِّبِّ مَزِيدًا لحاجةِ المُسْتَزِيدِ(٤٢)
أَين أين الرَّازيُّ ، أين بَنُو زُهْرٍ دُعاةُ النُّهُوضِ والتَّجْدِيدِ ؟(٤٣)

---

(٣١) ركز الرمح : أثبته فى الأرض . وهذا كناية عن الإقامة .

(٣٤) المنهج : الطريق الواضح . سوىّ : قويم .

(٤١) ذكر الشاعر بعض أعلام الطب من العرب مفاخرًا بهم . « وابن قرة » هو سنان بن ثابت بن قرة . وكان من أطباء المقتدر « وابن صاعد » هو هبة الله ويعرف بابن التلميذ . كان فى أيام المقتفى لأمر الله ، قالوا : ولم يكن مثله بعد أبقراط .

(٤٢) الكندى : هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى من بيت ثرى نبيل . ويلقب بفيلسوف العرب . ولد فى أواخر القرن الثانى للهجرة . وكان مترجما عالما بالطب والفلسفة والحساب والمنطق . واتصل بالمأمون والمعتصم .

(٤٣) الرازى : هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب الكيمياوى توفى سنة ٣١١ هـ . ألف كتاب الأقطاب فى ثلاثين مجلدا . « وبنو زهر » . أهل بيت كلهم علماء وأطباء . أشهرهم أبو العلاء بن زهر ثم ابنه أبو مروان ثم ابنه أبو بكر .

وابنُ سِينا ، وأينَ كابنِ نَفيسٍ عَجَزَ الوَهْمُ عن مداهِ المَديدِ؟[٤٤]

* * *

هـذه أُمّةٌ من الصَّخرِ. كانت في قِفَارٍ من الحياة وَبِيدِ[٤٥]
تأكُلُ القَدَّ والدُّعَاعَ من الجُو عِ وتَهْفُو شوقًا لِحَبِّ الْهَبِيدِ[٤٦]
وتُثِيرُ الحروبَ شَعْواءَ جهلاً وتدُسُّ الوَئيدَ إثْرَ الوَئيدِ[٤٧]
نَبعَ النورُ بالنُّبُوّةِ فيها فطَوَى صفحةَ اللَّيالي السُّودِ[٤٨]
ومضَى يملأُ المالكَ عَـدلاً بَاسِمَ الوعْدِ مُكْفَهِرَّ الوَعيدِ[٤٩]
أطْلَقَ العقلَ من سَلَاسِلِهِ الدُّهْمِ ونحّاه عن صَلِيلِ القُيُودِ[٥٠]
بَلغَتْ مِصْرُ في التَّآليفِ أَوْجًا فاتَ طَوْقَ المُنَى بِمَرْمَى بَعِيدِ[٥١]
فاسأل الفاطِميَّ كَمْ من كتابٍ زَانَ تاريخَهُ وسِفْرٍ فريدِ؟[٥٢]
والصَّلاحِيُّ والمالِيكُ كانوا مَوْئِلَ العِلْمِ في عُصورِ الرُّكُودِ[٥٣]
تلك آثارُهُمْ شُهُودًا عَلَى المَجْدِ ، ومَاهُمْ بحاجَةٍ لشُهُودِ[٥٤]

* * *

اتَّئِدْ أيها القَصِيدُ قَلِيلاً أنا أرتاحُ لاتِّئادِ القَصِيدِ[٥٥]
وإذا ما ذكرتَ نَهضَةَ مِصْرٍ فاملأ الخافِقَيْنِ بالتَّغْرِيدِ[٥٦]

---

(٤٤) ابن سينا : هو أبو علي الحسن بن سينا . ولد في قرية من بخارى . درس الفلسفة والطب ونضج نضجًا مبكرًا . وتقلد الوزارة لشمس الدولة في همذان . توفي سنة ٤٢٨ هـ . وابن نفيس : هو علي بن أبي الحزم القرشي صاحب كتاب الشامل في مائة مجلد وهو أندلسي .

(٤٦) القدّ : جلد الشاة الصغيرة . الدعاع : حب شجرة برية أسود يختبز منه . الهَبيد : الحنظل .

(٤٧) الوئيد : وأد بنته . دفنها حية .

(٥١) الأوج : ضد الهبوط وهو هنا الرفعة والعلو .

(٥٢) السفر : الكتاب .

(٥٣) الموئل : الملجأ . الركود : عصور تراجع النهضة العلمية ببغداد ـ وهو في هذا البيت يذكر أن مصر كانت ملجأ العلوم والعلماء زمن صلاح الدين وزمن المماليك في عصور انحطاط النهضة في بغداد .

(٥٥) اتئد : تمهل وتأن .

(٥٦) الخافقين : المشرق والمغرب .

ثم مَجِّدْ مُحمَّدًا جَدَّ «إسْمَا عيلَ» واصْعَدْ ماشئتَ فى التَّمْجيدِ[57]
جاءَ والنَّاسُ فى ظَلامٍ من الظُّلْـمِ وعَصْفٍ من الخُطُوبِ شَديدِ[58]
حَسَـراتٌ لـلـذُّلِّ فى كـلِ وَجهٍ وسِمَاتٌ للغُلِّ فى كلِّ جيدِ[59]
فـأزاحَ الـغِـطَاءَ عنهم فـقاموا فى ذُهُولٍ، وأقبَلُوا فى سُمُودِ[60]
وهَـداهُـمْ إلى الحيـاةِ فَسَارُوا فى حِمًى من لِوَائِهِ المعْقُودِ[61]
كَمْ بُعُوثٍ للغَرْبِ بَعْدَ بُعُوثٍ وَوُفُودٍ لـلشرقِ بَـعْـدَ وُفودِ![62]
غَرَسَ الطبَّ فى ثَرَى مُلْكِهِ الخِصْـبِ، ورَوَّى من دَوْحِهِ كُلَّ عُودِ[63]
وأتَى بَـعْـدَهُ المجدِّدُ «إسْمَـا عيلُ» ذُخْرُ المُنَى ثِمَالُ الجُودِ[64]
وَ«فُؤادٌ» تعيشُ ذِكرَى «فُؤادٍ» فى نعيمٍ من رَحْمةٍ وخُلُودِ![65]
رَدَّ مَـجْـدًا لِـمِصْـرَ لَوْلاَ نَـدَاهُ وَحِـجَـاهُ مـاكـانَ بـالـمَرْدُودِ[66]
كـلَّ يومٍ لَـهُ بـنـاءٌ مَشِيـدٌ للمعالى، إلى بِناءٍ مَشِيدِ[67]
ما اعتَلَى الطِبُّ قِمَّةَ النَّجْمِ إلاَّ بجَناحٍ من سَعْيِه المَحْمُودِ[68]
سَعِدَتْ مِصر بالجَهابِذِ فى الطِبِّ، فَكَمْ مِنْ مُحاضِرٍ ومُعيدِ![69]
وَعَلَى رَأسِهِمْ أبو الحسنِ الجَرَّا حِ، مَنْ كالرَّئيسِ أوْ كالعَميدِ؟[70]
أيُّـهَا الوَافِدُونَ من أمَمِ الشَّرْ قِ وأشْبَالـه الأُبَاةِ الصِّيدِ[71]

---

(٥٨) عَصف من الخطوب : عصفت الريح اشتدت فهى عاصفة وعاصف . الخطب : الأمر الشديد وجمعه خطوب .

(٥٩) الغل : واحد الأغلال : وهو طوق من حديد يوضع فى رقاب الأسرى وأمثالهم .

(٦٠) سمود : رفع الرأس تكبرًا .

(٦٣) يقول : إن محمد على أول من أنشأ مدرسة للطب فى مصر .

(٦٤) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .

(٦٦) الندى : الجود والكرم . الحجا : العقل والمراد هنا الرأى والتدبير والعقل السديد .

(٦٩) الجهبذ : النقّاد الخبير . والجمع جهابذ .

(٧٠) وهو فى هذا البيت يخص بالذكر استاذ الجراحين الدكتور على إبراهيم باشا عميد كلية الطب .

(٧١) الأباة : جمع أبى : وهو الذى يأنف الذل والصغار .

اِهْبِطُوا مِصرَ، كَمْ بِهَا مِن قلوبٍ   شَفَّهَا حُبُّكُمْ، وَكَم مِنْ كُبُود[٧٢]

قَدْ رَأَيْنَا فى قُرْبِكُمْ يَوْمَ عِيدٍ   قَرَنَتْهُ المُنَى إلَى يَوْمِ عِيد[٧٣]

إنَّ مِصـرًا لـكـم بلادٌ وأهْـلٌ   لَيْسَ فى الْحُبِّ بَيْنَنَا من حُدُود[٧٤]

جَمَعتْنَا الفُصْحَى فما من وِهَادٍ   فَرَّقَتْ بَيْنَنَا وَلا من نُجُودِ[٧٥]

يَصِلُ الحبُّ حَيْثُ لا تَصِلُ الشَّمْـسُ، ويجتَازُ شَامِخَاتِ السُّدُودِ[٧٦]

* * *

أُمَّةَ العُرْبِ آنَ أنْ يَنهَضَ النَّسْـرُ، فَقَدْ طَالَ عَهْدُهُ بالرُّقُودِ[٧٧]

صَفِّقِي بِالْجناحِ فى أُذُنِ النَّجْـمِ، وَمُدِّى فَضْلَ العِنَانِ وسُودِى[٧٨]

وأعِيدِى حَضَارةً زانَتْ الدُّنْـيَا فكم وَدَّتِ المُنَى أنْ تُعِيدِى[٧٩]

إنَّمَا المَجْدُ أنْ تُرِيدِى وَتَمْضِى   ثُم تَمْضِى سَبَّاقَةً وَتُرِيدِى[٨٠]

لا يَنَالُ العُلاَ سِوَى عَبْقَرِيٍّ   راسِخِ العَزْمِ كالصَّفَاةِ جَلِيدِ[٨١]

* * *

قَدْ أَعَدْنَا عهْدَ العُرُوبَةِ فِى مِصْـرَ وذِكْرَى فِرْدَوْسِهَا المفْقُودِ[٨٢]

وَبَدأْنَا عَصْرًا أغرَّ سَعِيدًا   بِمَلِيكٍ مَاضٍ أَغَرَّ سَعِيدِ[٨٣]

قَدْ حَبَاه الشبابُ رأيًا وعَزْمًا   عَلَوِيُّ المَضَاءِ والتَّسْدِيدِ[٨٤]

قام بالأمْرِ أرْيحِيًّا رَشِيدًا   فَذَكَرْنَا بِهِ عُهُودَ «الرَّشِيدِ»[٨٥]

---

(٧٢) شَفَّها حُبُّكم : هزلها وأنحلها .

(٧٣) المُنى : جمع مُنية وهى ما يتمناه الإنسان . إلى يوم عيد : كان افتتاح المؤتمر يوم وقوف الحجّاج بعرفات .

(٧٥) الوهاد : جمع وهد، وهو الأرض المنخفضة . والنجود : جمع نجد وهو الأرض المرتفعة .

(٨١) الصفاة : الحجر الصلد الضخم .

(٨٢) الفردوس : فى الأصل البستان وهو من أسماء الجنة ويريد بالفردوس المفقود ، ما كان للعربية من مجد وحضارة فى أيام ازدهارها .

(٨٣) الأغر : الأبيض من كل شىء .

(٨٤) حباه : أعطاه بغير عوض . التسديد : صدق الرمى والإصابة . علوى : نسبة إلى جده محمد على .

(٨٥) الأريحى : السهل الخلق الكريم . والرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى العظيم زها الإسلام والعلم والأدب فى أيامه .

إنَّ حُبَّ «الفَارُوق» وَهْوَ وَحِيدٌ ... فى مَكانٍ منَ القلوب وَحِيدِ[86]

أَلْسُنُ الْعُرْبِ كلُّهَا دَعَوَاتٌ ... ضَارِعَاتٌ بالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ[87]

أبْصَرُوا فى السَّماء مُلْكًا عَزِيزًا ... رافِع الرَّأس فَوْقَ صَخْرٍ وَطِيدِ[88]

وَرَأوْا عَاهِلاً يَفِيضُ جَلالاً ... مِنْ هُدَى ربِّه العَزِيز الْحَمِيدِ[89]

عَاشَ لِلْمُلْكِ وَالعُرُوبَةِ ذُخْرًا ... فى نعيمٍ مِنَ الْحَيَاةِ رَغِيدِ[90]

يَـوْمُ السَّـلَام

نشرت هذه القصيدة فى صباح إعلان انتهاء الحرب العالمية الثانية فى أوائل مايو سنة ١٩٤٥ م .

داعِبِ الشرقَ باسمًا وسعيدا ... وائتلِقْ يا صباحُ للناسِ عِيدا (١)

نَسِيَتْ لحنَها الطيورُ فصوِّرْ ... لِبَنَاتِ الغُصُونِ لحنًا جديدا (٢)

فزَّعتْها عن الرياضِ خَفافيـ ... ـشُ تَسُدُّ الفضاءَ غُبْرًا وسُودا (٣)

أَلِفَتْ مُوحِشَ الظلامِ فودَّتْ ... أن تبيدَ الدنيا وألاّ يَبيدا (٤)

فاسجَعى يا حمامةَ السلْمِ للكو ... نِ ، وهُزِّى أعطافَه تغريدا (٥)

غرِّدى فالدموعُ طاح بها البِشْـ ... ـرُ ، وأضحى نَوْحُ الثَكالَى نشيدا (٦)

واسمَعى ! إنَّ فى السماء لحُونا ... أَسَمِعْتِ الترتيلَ والترديدا ؟ (٧)

كلّما اهتزَّ للملائكِ صَوتٌ ... رجّعَتْه أنفاسُنا تحميدا (٨)

رنَّةُ النصر فى السماواتِ والأر ... ضِ ، أعادتْ إلى الوجودِ الوجودا (٩)

مَوْلِدٌ للزمان ثانٍ شهدْنا ... ه ، فيامَنْ رأى الزمانَ وليدا ! (١٠)

* * *

(١) ائتلق : أشرق .

(٢) بنات الغصون : فروع الشجر اللينة الصغيرة . أو الطيور .

(٣) فزعتها : أخافتها . خفافيش : طيور ليلية والمراد بها الطائرات المغيرة ليلا .

(٥) اسجعى ياحمامة : رددى صوتك بالغناء من أجل السلام . أعطافه : جوانبه .

(٦) طاح بها : ذهب بها . نوح : البكاء . الثكالى : النساء اللاتى فقدن أبناءهن .

(٧) لحونا : أناشيد .

(٨) رجّعته : أعادته . تحميدا : شكرا وثناء .

سكن السيفُ غِمْدَه بعد أنْ صا   لَ عنيفًا مُناجزًا عِرْبِيدا[11]
ما احمرارُ الأصيلِ إلا دماءٌ   بقيتْ فى يَدِ السماء شُهودا[12]
طائراتٌ ترمى الصواعقَ لا تخـ   ـشى إلـهً، ولا تخافُ عبيدا[13]
أجهدتْ فى السُّرى خوافقَ عِزْرِيـ   ـلَ فرفّتْ من خَلْفهنَّ وئيدا[14]
كلّما حلّقتْ بأُفْقِ مكانٍ   تركتْ فيه كلَّ شيء حصيدا[15]
كم سمِعْنا عَزيفَها من قريبٍ   فغدا الرأىُ والسدادُ بعيدا[16]
يلفَحُ الشيخَ والغلامَ لَظاها   ويُصيبُ الشجاعَ والرِعْديدا[17]
كم وحيدٍ بين الرجامِ بكى أمَّـ   ـا، وأمّ بكتْ فتاها الوحيدا![18]
مُدُنٌ كُنَّ كالمحاريبِ أمْنًا   ترك الْخَسْفُ دُورَهنَّ سُجودا[19]
وقُصورٌ كانت ملاعبَ أُنْسٍ   أصبحتْ بعد زَهْوِهِنَّ لُحودا[20]

* * *

لَهْفَ نفسى عَلَى دماءٍ زكيّا   تٍ كَقَطْرِ الغمامِ طُهْرًا وجُودا![21]
سِلْنَ من خدِّ كلِّ سيفٍ نُضارا   بعدما حَطَّم الحديدُ الحديدا[22]
لَهفَ نفسِى عَلَى شبابٍ تحدَّى   عَذَباتِ الفِرْدَوْسِ زَهْرًا وعُودا![23]
لَهفَ نفسِى والنارُ تعصِفُ بالجَيْـ   ـشِ فتلقاه فى الرياح بَديدا![24]

---

(١١) سكن السيف : هدأ السيف فى جرابه . عربيدا : مؤذيا .
(١٢) احمرار الأصيل : ظهور الشفق الأحمر فى السماء قرب الغروب .
(١٤) السرى : السير ليلا . خوافق : أجنحة . عزريل : سيدنا عزرائيل ملك الموت . وئيدا : بطيئا .
(١٦) عزيفها : صوتها .
(١٧) يلفح : يحرق . لظاها : لهيبها . الرعديد : الجبان .
(١٨) الرجام : الأحجار المتناثرة الضخام .
(١٩) المحاريب : جمع محراب وهو مكان الإمام من المسجد والمقصود المساجد .
(٢٠) لحودا : قبورا .
(٢١) لهف نفسى : حزن نفسى وحسرتها على ما أريق من دماء .
(٢٢) سلن : من سال . نضارا : الذهب .
(٢٤) بديدا : مبددا .

ذكّـرتْـنـا جـهـنّـمًـا كـلّما أُلْـ ـقِى فَوجٌ صاحتْ تُريدُ المزيدا[٢٥]

كـالبراكـيـنِ إنْ تمشّتْ، وكـالبـ ـحر إذا جاشَ بالْحميمِ صَهُودا[٢٦]

و إذا الماءُ كان نارًا فَمَنْ يَرْ جو لنارٍ إذا استطارتْ خُمودا ؟[٢٧]

أُمَـمٌ تـلـتـقى صـبـاحًـا على المو تِ لـتستقبلَ المساءَ هُـمـودا[٢٨]

وفـريـقٌ لـلـفـتك يـلـقى فـريقًا وحُشودٌ للـهَـوْلِ تلقى حُشودا[٢٩]

كم حُطامٍ فى الأرضِ كان عقولاً ورَمادٍ فى الْجَوّ كان جُهودا ![٣٠]

وأمـــانٍ ونَشْوةٍ وشَـــبـــابٍ ذهبتْ ·مثلَ أَمسِها لن تَعودا ![٣١]

قُبُلاتُ الحسانِ مازلن فى الخَـ ـدِّ ، فهل عفَّرَ الترابُ الْخُدودا ؟[٣٢]

ووعـودُ الـغـرامِ مـــاذا عـــراهــا أغدتْ فى الثّرَى الْخضيبِ وعيدا ؟[٣٣]

كم دُموعٍ ، وكم دماءٍ ، وكم هَوْ لٍ ، وكم أَنَةٍ ، تفُتُّ الكُبودا ![٣٤]

إنّما الحربُ لـعـنـةُ اللهِ فى الأر ضِ ، وشرٌّ بمَنْ عليها أُريدا[٣٥]

صَـدَّقَتْ ما رأى الملائكُ من قَبْـ ـلُ ، ومـا كـان قـولهم تـفْنيدا[٣٦]

إنّ لله حكـمـةً دونَـهـا الـعـقـ ـلُ فَـخَـلِّ الـمراءَ والترديـدا[٣٧]

كيف نصفو ونحن من عُنْصرِ الطـ ـينِ ، فسادًا وظلمةً وجُمودا ؟[٣٨]

* * *

---

(٢٥) إشارة فى البيت إلى الآية القرآنية الكريمة : «يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد» .

(٢٦) جاش بالحميم : غلى ماؤه فصار حارًا . صهودا : شدة الحرارة .

(٢٧) خمودا : سكون لهب النار .

(٢٨) همودا : الأرض التى لا نبات فيها والمقصود لا حياة بها .

(٣٣) عراها : أصابها . الثرى الخضيب : التراب الملون بالحمرة ويقصد بها هنا الدماء .

(٣٤) أنة : التألم بصوت . تفت : تشق .

(٣٦) ماكان قولهم تفنيدا : ماكان قولهم كذبا . ويشير الشاعر إلى الحديث الذى دار بين رب العزة والملائكة فى سورة البقرة : «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون» . صدق الله العظيم .

(٣٧) خل : أترك . المراء : الجدل فى الحديث .

ذَهَبَ الموتُ بـالـحُـقودِ فماذا ... لو محوتم قبلَ المماتِ الْحُقودا ؟[39]

شـهواتٌ تـدِّمُر الأرضَ كى تحـ ... ـيا ، وتجتاحُ أهلَها لتسودا ![40]

وجـنونٌ بأُلمْلكِ يعصِفُ بالدنـ ... ـيا ، لكى يملِكَ القُبورَ سعيدا ![41]

يذبح الطفلَ أعْصَلَ النابِ شيطا ... نًا ، ويحسو دَمَ النساء مَرِيدا ![42]

ويُسَوِّى جَماجـمَ الـنـاسِ أبْـرا ... جا ، ليبغى إلى السماء صُعودا ![43]

قد رأينا الأسودَ تقنَعُ بالقو ... تِ ، فليتَ الرجالَ كانت أسودا ![44]

* * *

قُتِلَ العلمُ ، كيف دبّر للفَتْـ ... ـكِ عَتادًا ، وللدّمارِ جنودا ![45]

فـهو كـالخمـر تَنْشُرُ الشرَّ والإثْـ ... ـمَ وإنْ كان أصلُها عُنقودا ![46]

أبـدعَ المهـلـكـاتِ ثم توارَى ... خـلـفَـهـا يملأُ الوَرى تهديدا[47]

مـادتِ الـراسـيـاتُ ذُعْرًا وخَفَّتْ ... مِنْ أفانينِ كَيْدِهِ أنْ تميدا[48]

وقلوبُ النجوم ترجُفُ أن يجـ ... ـتازَ يومًا إلى مَداها الْحُدودا[49]

مُحْدَثاتٌ عزّتْ على عقلِ إبليـ ... ـسَ فعَضَّ البنانَ فَدْمًا بليدا[50]

عـالِـمٌ فى مـكـانِه ينسِفُ الأرْ ... ضَ ، وثانٍ يحزُّ منها الوَريدا[51]

حَسْرَتا للحياةِ ! ماذا دهاها ؟ ... أصبح الناسُ قاتلاً وشهيدا[52]

* * *

أصحيحٌ عاد السلامُ إلى الكو ... ن ، وأضحى ظِلاًّ به ممدودا ؟[53]

ورنينُ الأجْراسِ يصدَحُ بالنصـ ... ـر ، فيا بِشْرَهُ صباحًا مَجيدا ![54]

---

(٤٢) أعصل الناب : معوج فى صلابة . يحسو : يشرب بنهم . مريدا : شديدا عاتيا .

(٤٧) توارى : اختفى . الورى : الدنيا .

(٤٨) مادت : تحركت وذهبت . الراسيات : الجبال الشوامخ .

(٤٩) ترجف : تضطرب خوفا من العلم أن يصل إليها ونشير هنا إلى رؤية الشاعر لما حدث الآن من اجتياز العلم للفضاء .

(٥٠) محدثات : أشياء جديدة . الفدم : العيىّ عن الكلام وقلة فهم .

(٥١) يحز : يقطع . الوريد : العرق الذى يجرى فيه الدم .

سايَرَتْها قلوبُنا ثم زِدْنا … فأضَفْنا لشَدْوِهنّ القصيدا ! (٥٥)

رَدِّدى ردِّدى ترانيمَ إسحا … قَ ، وهُزِّى الحسانَ عِطْفًا وجيدا (٥٦)

أنتِ صُورُ الحياةِ قد بَعَثَ النا … سَ ، وكانوا جماجمًا وجُلودا (٥٧)

قد سئمنا بالأمسِ صَفَّارةَ الإنْـ … ـذارِ والوَيْلَ والعذابَ الشديدا (٥٨)

ردِّدى صوتَكِ الحنونَ طويلاً … وابعثى لحنَكِ الطروبَ مديدا (٥٩)

واهتِفى يا مآذِنَ الشرقِ بالله … ـه ثناءً ، وباسمِه تمجيدا (٦٠)

واسطَعى أيها المصابيحُ زُهْراً … واجعلى شوقَنا إليك وَقودا (٦١)

قرَّتِ النفسُ واطمأنَّتْ وكانت … أملاً حائرَ الطريقِ شَريدا (٦٢)

* * *

ليت شعرى ماذا سنجنى من النصـ … ـرِ وهل تصدُقُ الليالى الوُعودا ؟ (٦٣)

وهل «الأربعُ الروائعُ» كانت … حُلُمًا ، أو مواثِقًا وعُهودا ؟ (٦٤)

وهل انقادتِ الممالكُ للعد … لِ ، فلا سيِّدًا ترى أو مَسُودا ؟ (٦٥)

وهل الحقُّ صار بالسلمِ حقًّا … وأذابَتْ لظَى الحروبِ القُيودا ؟ (٦٦)

وهل العُرْبُ تستردُّ حِماها … وتُناجى فِرْدَوْسَها المفقودا ؟ (٦٧)

وَترى فى السلامِ مجدًا طريفًا … جاء يُحْيى بالأمسِ مجدًا تليدا ؟ (٦٨)

بذَلَتْ مصرُ فوق ما يبذُلُ الطَّوْ … قُ ، وقد يُسْعِفُ النديدُ النديدا (٦٩)

فى فيافى صَحْرائِها لَمَعَ النصـ … ـرُ ، وولَّى «رُوميلُ» يغدو طريدا (٧٠)

فهى إذْ تنثُرُ الورودَ تُناغى … أملاً ضاحكًا يفوقُ الورودا (٧١)

وهى ترجو ، لا ، بل تريدُ ، وأَجْدِرْ … بابنةِ النيلِ وَحْدَها أنْ تُريدا ! (٧٢)

---

(٥٦) ترانيم : غناء . إسحاق : هو اسحاق الموصلى المغنى العربى العظيم . عطفا : الجانب . الجيد : العنق .

(٥٧) الصور : البوق .

(٦١) زهرًا : متلألئة مشرقة .

(٦٢) قرت النفس : سكنت وهدأت . حائر الطريق : غير مهتد لسبيله .

(٦٤) الأربع الروائع : الحريات الأربع فى ميثاق الاطلنطى .

(٧٠) فيافى : الصحراء الممتدة الشاسعة . روميل : أحد قادة الألمان فى الحرب العالمية الثانية وهزم فى معركة العلمين .

رثاء سعد

فجعت الأمة المصرية بموت زعيمها « سعد زغلول باشا » فى ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٢٧ م فكان لموته حزن عام شمل جميع أرجاء القطر ، فانبرى الأدباء والشعراء لرثائه وذكر مآثره وتعداد فضائله ، والاشادة ببطولته وعظمته ، وندبوا فيه العزيمة الصادقة ، والهمة العالية ، والعزة والاباء ، وأكرم صفات الرجولة الكاملة .

لاَ الدَّمعُ غاضَ ، وَلا فُؤادُكَ سَالى ... دَخَلَ الْحِمَامُ عَرِينَةَ الرِّئْبالِ (١)

وَأَصابَ فى الْمَيْدانِ فارسَ أُمَّةٍ ... رَفَعَ الكِنَانَةَ بَعْدَ طُولِ نِضَالِ (٢)

رَشَقَتْه أَحْداثُ الْخطوبِ فأقْصَدَتْ ... حَرْبُ الْخُطُوبِ الدُّهْمِ غيرُ سِجَالِ (٣)

لِلْمَوْتِ أَسْلِحَةٌ يَطِيحُ أَمَامَها ... حَوْلُ الْجرىءِ ، وَحِيلَةُ المُحْتَالِ (٤)

مـاكـانَ سَعْـدٌ آيـةً فى جيلِه ... سَعْدُ الْمُخَلَّدُ آيةُ الأَجْيَالِ (٥)

تَفْنَى أَحَادِيثُ الرِّجالِ وَذِكْرُهُ ... سَيَظَلُّ فى الدُّنْيا حَدِيثَ رِجَالِ (٦)

سَارٍ كَمِصْبَاحِ السَّماءِ يَحُثُّه ... كَرُّ الضُّحَى وتَعاقُبُ الآصالِ (٧)

* * *

(١) غاض : جف وذهب . الحمام : الموت . عرينة الرئبال : مأوى الأسد .

(٢) الكنانة : مصر . الكنانة : جعبة السهام .

(٣) رشقته : رمته . احداث الخطوب : ما ينزل من المكاره ويصيب . أقصدت : لم تخطئ المقتل . الدهم : السود . الحرب السجال : التى تكون ، مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء .

(٤) يطيح : لا يثبت لها ولا يقوى عليها . الحول : القوة .

(٥) الآية : المعجزة .

(٧) سار : متوثب غير خامد ولا ساكن . مصباح السماء : الشمس . يحثه : يغريه ويستنهضه . كر الضحى : مروره . الآصال : جمع أصيل ، وهو ما بعد العصر إلى المغرب .

أرأيْتَ مصرَ تهبُّ لاِسْتقلالِها ... والسَّيْفُ يَلْمَعُ فوقَ كلِّ قَذَالِ [٨]

والذُّعرُ يعصفُ بالقُلوب كَمَا جَرتْ ... هُوجُ الرِّياحِ على كَثِيبِ رِمالِ [٩]

والأرضُ تَرْجُفُ ، والسَّماءُ مَرِيضَةٌ ... والنَّفْسُ حَيْرَى والهُمُومُ تَوَالى [١٠]

والناسُ فى صَمْتِ المَنُونِ كأنَّهُمْ ... صُوَرٌ كَسَاها الحزْنُ ثَوْبَ خَبَالِ [١١]

إنْ حَدَّثوكَ فَبِالعُيون لِيَتَّقوا ... رَصَدَ العيون ، وشِرَّةَ المُغْتالِ [١٢]

والموتُ يَخْطرُ فى الجُمُوعِ وحَوْلَه ... أجْنادُه ، من أنْصُلٍ وَعَوالى [١٣]

رَيَّانَ من مُهَجِ الشَّبابِ كأنَّمَا ... مُهَجُ الشَّبابِ سُلافَةُ الجِرْيَالِ [١٤]

وجَنَانُ مِصْرَ عَلَى جَنَاحَىْ طَائرٍ ... مِمَّا أَلَحَّ عليه مِنْ أهْوالِ [١٥]

تَرْنُو إلى أبنائِها بِنَوَاظِرٍ ... غَرِقَتْ بماءِ شُؤُونِها الهَطَّالِ [١٦]

وإذَا بِصَوْتٍ هزَّ مصرَ زئيرُهُ ! ... غضَبُ اللُّيوثِ حمايةُ الأشْبَالِ [١٧]

صوْتٌ كَصُورِ الحشْرِ جَمَّعَ أمَّةً ... مُنْحَلَّةَ الأطرافِ والأوْصالِ [١٨]

فتطَلَّعتْ عَيْنٌ ، وأصْغَتْ بعدَها ... أذُنٌ ، وهمَّتْ ألْسُنٌ بسؤالِ [١٩]

مَنْ ذلك الشَّعشَاعُ طال كأنَّه ... صدرُ القَنَاةِ وعامِلُ العَسَّالِ ؟ [٢٠]

مَنْ ذلك النَّمِرُ الوَثُوبُ ؟ وذلك الـ ... أَسَدُ المُزَمْجِرُ ذُو النِّداءِ العالى ؟ [٢١]

ومَنْ الذى اخْتَرقَ الصُّفوفَ كأنَّه ... قَدَرُ الإلهِ يسيرُ غيرَ مُبالى ؟ [٢٢]

---

(٨) القذال : مؤخر الرأس ، ويريد الرأس عامة .

(١٢) العيون الثانية : الجواسيس رصدهم : مراقبتهم لهم . الشرة (بالكسر) : الشر .

(١٣) يخطر : يمشى مزهوًا . الأنصل : جمع نصل ، ويريد به السيف . العوالى : الرماح .

(١٤) المهج : هنا الدماء . الجريال : الخمر ، سلافتها : ما تحلّب وسال قبل العصر ، وهو أفضل الخمر .

(١٥) الجنان : القلب ، ووجود الجنان على جناحى طائر كناية عن اضطرابه فزعا وهمًا . ألحّ : دام وتتابع فى شدة .

(١٦) ترنو : تديم النظر . الشؤون : عروق الدموع . الهطال : المتتابع المنهمر .

(١٨) الصور : القرن ينفخ فيه . الحشر : الجمع ، يريد يوم القيامة . يشير بصور الحشر إلى قوله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور) . الأوصال : الأطراف ، الواحد : وصل (بالكسر وبالضم) . منحلة الأطراف والأوصال : أى لا رابطة بين أهليها .

(٢٠) الشعشاع : الطويل . القناة : الرمح . صدرها : معظمها وهو ما يلى السنان . العسال : الرمح الخطار ، عامله : صدره .

سعْدٌ ، وحسبُكَ منْ ثَلاثة أحْرفٍ ... ما في الْبَرِيّةِ من نُهًى وكمالِ(٢٣)

كَتّب الكتائبَ حَوْل مصرَ ، سِلاحُها ... صبْرُ الكريمِ ، وهمّةُ الفعّال(٢٤)

ومِنَ السُّيوفِ إرادةٌ مَصْقولةٌ ... طُبِعَتْ ليومِ كريهةٍ ونزال(٢٥)

ومِنَ السّوابِغ حِكْمةٌ سَعْدِيّةٌ ... تُزْرِى بوَقْعِ أسِنّةٍ ونِبَال(٢٦)

ومِن الْحصونِ فؤادُ كلِّ مُصابِرٍ ... جَهْمِ العَزيمةِ ضاحكِ الآمال(٢٧)

فَمضَى إلى النّصرِ الْمبينِ مُؤَزّرًا ... والشّعبُ يَهتفُ باسْمه ويُغالى(٢٨)

وَهَدَى الشّبَابَ إلَى الْحياةِ فأدْرَكُوا ... مَعْنَى الْحياةِ وَعِزَّ الاسْتِقْلالِ(٢٩)

وَجَرَى يُغَبِّرُ ، لَا الْعَسِيرُ بِخَاذِلٍ ... أملاً ، ولا نَيْلُ السُّهَا بِمُحال(٣٠)

فكَأَنّه سَيْفُ الْمُهَيْمِنِ «خالِدٌ» ... وكَأَنَّ دَعْوَتَهُ أذانُ «بِلَال»(٣١)

مَا رَاعَهُ نَفْيٌ ، وَلَا لَعِبَتْ به ... فى حُبِّ مِصْرَ زَعَازِعُ الأوْجَال(٣٢)

وَيَرَى الْحتُوفَ وَقَدْ مَلأْنَ طَرِيقَه ... نَارَ الْحُبَاحِبِ ، أَوْ وَمِيضَ الآل(٣٣)

---

(٢٣) النهى : العقول ، الواحدة : نهية (بالضم) . سميت كذلك لأنها تنهى عن القبيح .

(٢٤) كتب الكتائب : جمع الجيوش .

(٢٥) طبعت : صيغت وعملت . الكريهة : الشدة . النزال : القتال والطعان .

(٢٦) السوابغ : الدروع ، الواحدة : سابغة . سعدية : نسبة إلى الزعيم الراحل سعد زغلول . تزرى بوقع ... الخ ، أى لا تباليها ولا تأبه لها . الأسنة : جمع سنان وهو نصل الرمح . النبال : السهام . الواحد : نبل .

(٢٧) المصابر : الذى يبز غيره فى الصبر ويغلبه فيه . جهم العزيمة : عابسها . عبوس العزيمة دليل على قوتها وصلابتها . ضاحك الآمال : أى مملوء رجاء وثقة بنجاح أمنيته وأمله .

(٣٠) يغبر : يثير الغبار ، وهذا كناية عن السرعة فى السير . السها (بالألف والياء) : كوكب صغير من بنات نعش الصغرى ، يضرب به المثل فى الشىء البعيد إدراكه والحصول عليه .

(٣١) المهيمن : من أسماء الله تعالى . خالد : هو خالد بن الوليد المخزومى الصحابى المعروف ، وقد سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، لقوته وبأسه على الكفار وكثرة ما أبلى : سيف الله المسلول . وإلى هذا يشير الشاعر . وكانت وفاته فى خلافة عمر بن الخطاب . بلال : هو بلال بن رباح مؤذن الرسول - صلى الله عليه وسلم .

(٣٢) ما راعه : ما أفزعه ولا أخافه . زعازع الأوجال ، أى شدائد المخاوف وما يعصف منها بالأفئدة ويزعزعها .

(٣٣) الحتوف : المهالك . الحباحب : اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا نارًا ضعيفة مخافة الضيفان ، فضربوا بضعف ناره المثل . الحباحب أيضا : ذباب يطير بالليل له شعاع فى ذنبه كالسراج ، وربما جعلوا الحباحب لما يرى فى ذنبه كأنه نار . الآل : الذى يرى فى الصحراء طرفى النهار كأنه ماء . وميضه : لمعانه وبريقه .

يـزدادُ فى عضْفِ الشَّدائِـدِ قُوَّةً ... ويَجُولُ حِينَ يَضِيقُ كُلُّ مَجالِ[٣٤]

كَالشُّعْلَةِ الحَمْراءِ لَوْ نَكَّسْتَها ... لأَضَفْتَ إشْعَالاً إلَى إشْعَالِ[٣٥]

والسَّيْلُ إنْ أَحْكَمْتَ سَدَّ طَرِيقِه ... دَكَّ الحُصُونَ فَعُدْنَ كَالأَطْلالِ[٣٦]

والصَّارِمُ الفَصَّالُ لَمْ يَكُ حَدُّه ... لَولاَ اللَّهِيبُ بِصَارِمٍ فَصَّالِ[٣٧]

* * *

خَصْمٌ شَرِيفٌ نَالَ مِنْ خُصَمَائِهِ ... مَا نَالَ مِنْ إجْلاَلِ كُلِّ مُوَالِى[٣٨]

عَرفُوهُ وَضَّاحَ السَّرِيرَةِ طَاهِرًا ... شَرُّ البَلاءِ خُصُومَةُ الأَنْذَالِ ![٣٩]

إنَّ الشَّجَاعَةَ أَنْ تُنَاضِلَ مُصْحِرًا ... لاَ أنْ تَدِبَّ كَفَاتِكِ الأَصْلاَلِ[٤٠]

* * *

إنْ قَامَ يَخْطُبُ قُلْتَ حَيْدَرَةُ انْبَرَى ... لِلْقَوْلِ فِى سَمْتٍ وَصِدْقِ مَقَالِ[٤١]

إعْجَازُ عَارِضَةٍ ، وَنُورُ بَدِيهَةٍ ... وَبَدِيعُ تَنْسِيقٍ ، وَحُسْنُ صِقَالِ[٤٢]

يَخْتَارُ مِنْ آيِ الكَلاَمِ جَوَاهِرًا ... دُرَرُ البَلاَغَةِ كَأْسُهِنَّ غَوَالِى ![٤٣]

مَا عَقَّهُ حُرُّ البَيَانِ ، وَلاَ جَزَتْ ... أُمُّ اللُّغَاتِ وَفَاءَهُ بِمِطَالِ[٤٤]

والسَّامِعُونَ كَأَنَّمَا لَعِبَتْ بِهِمْ ... صَهْبَاءُ قَدْ نُفِحَتْ بِرِيحِ شَمَالِ[٤٥]

فَإِذَا أُثِيرَ رَأَيْتَ (بُرْكَانًا) رَمَى ... حُمَمًا ، وَدَكَّ الأَرْضَ بِالزِّلْزَالِ[٤٦]

---

(٣٧) الصارم الفصال : السيف القاطع .

(٤٠) مصحرا ، أى بارزا ظاهرا ، الأصلال : جمع صل (بالكسر) وهى الحية .

(٤١) حيدرة : الأسد ، وهو لقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين ويقول فى ذلك : « أنا الذى سمتنى أمى حيدرة »

وهو معروف بالفصاحة فى القول ، وخطبه مجموعة فى كتاب (نهج البلاغة) . فى سمت : أى فى حسن هيئة ووقار .

(٤٢) العارضة : البيان واللسن . الصقال : صقل الألفاظ والاتيان بالواضح الأخَّاذ منها .

(٤٤) عقه : امتنع عليه وخانه . حر البيان : خالصه ونقيه . أم اللغات : اللغة العربية . وفاءه : أى وفاءه لها بنصرتها . ويشير بذلك إلى رآسته للمؤتمر المصرى الذى كان من همّه جعل التعليم فى المدارس المصرية باللغة العربية (ما عدا اللغات) وقد كان باللغة الانجليزية . المطال : التسويف وعدم الوفاء .

(٤٥) الصهباء : الخمر ، سميت بذلك للونها . نفحت بريح شمال : أى هبت عليها ريح الشمال الباردة فأكسبتها برودة ، والخمر تسوغ وتجود إذا كانت كذلك .

مُتَنَمِّرًا كَاللَّيْثِ دِيسَ عَرِينُه ... مُتَوَثِّباً يَدْعُو الرِّجَالَ نَزَالِ[٤٧]
كَلِمٌ إِذَا حَدَرَ اللِّثَامَ رَأَيْتَهَا ... حَالَتْ إِلَى مَسْنُونَةٍ وَنِصَالِ[٤٨]
لَا تَذْكُرُوا نَارَ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا ... نَارُ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا كَذُبَالِ![٤٩]

* * *

نَفْسٌ كَأَنْفَاسِ الْمَلَائِكِ طُهِّرَتْ ... وَشَمَائِلٌ أَحْلَى من السَّلْسَالِ[٥٠]
وَتَوَاضُعُ النُّسَّاكِ فِيهِ يَزِينُه ... شَمَمُ الْمُلوكِ وَعِزَّةُ الْأَقْيَالِ[٥١]
وَخَلَائِقٌ كَالزَّهْرِ سَارَ عَبِيرُهُ ... مَا بَيْنَ أَمْوَاهٍ وَبَيْنَ ظِلَالِ[٥٢]
وَعَزِيمَةٌ جَبَّارَةٌ لَوْ حُمِّلَتْ ... «أُحُدًا» لَمَا شَعَرَتْ له بِكَلَالِ[٥٣]
وَشَجَاعَةٌ فِي اللهِ يَكْلَؤُهَا الحِجَا ... وَالْحَزْمُ فِي الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَالِ[٥٤]
وَعَقِيدَةٌ لَوْ هُزَّتِ الْأَجْبَالُ مِنْ ... ذُعْرٍ لَمَا اهتزَّتْ مَعَ الْأَجْبَالِ[٥٥]

* * *

دَارُ النِّيَابَةِ عُوجِلَتْ فِي مِدْرَهٍ ... كَانَ الزَّمَانُ بِهِ مِنَ الْبُخَّالِ[٥٦]
ضُرِبَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ لَمَّا أَنْ غَدَا ... فِي دَهْرِهِ فَرْدًا بِلَا أَمْثَالِ[٥٧]

---

(٤٨) اللثام : ماكان على الفم من فضل العمامة . حدره : أزاله عن موضعه . ويريد بحدره للثام : استعداده للخطابة . حالت : تحولت . ويريد بالمسنونة : الرماح ، وبالنصال : السيوف .

(٤٩) الصواعق : جمع صاعقة وهى نار تسقط من السماء لا تمر على شىء إلا أحرقته . الذبال : جمع ذبالة وهى فتيلة المصباح .

(٥٠) أنفاس الملائكة طاهرة لأنها تمتزج بالصلاة والتسبيح ، الشمائل : الطباع ، الواحد : شمال (بالكسر) . السلسال : الماء العذب .

(٥١) النساك : جمع ناسك وهو العابد المتزهد المتقشف . الشمم : الإباء والأنفة . الأقيال : جمع قيل ، وهو الرئيس .

(٥٢) عبير الزهر : ما ينبعث عنه من ريح طيبة . الأمواه : المياه .

(٥٣) أحد : جبل معروف ، كانت عنده غزوة عرفت به . الكلال : التعب والاعياء .

(٥٤) يكلؤها : يحفظها ويرعاها . الحجا : العقل . وفى الادبار والاقبال ، أى فى شدته ورخائه .

(٥٦) عوجلت . أى دهمها الموت فى مدرهها . المدره : زعيم القوم والمتكلم عنهم .

(٥٧) الأمثال (الأولى) : جمع مثل (بالتحريك) وهو القول السائر . وأمثال (الثانية) : جمع مثل (بكسر أوله أو بالتحريك) : وهو الشبيه والنظير .

قَدْ كَانَ فَيْصَلَهَا إِذَا عَجَّتْ بِهَا … لُجَجُ الْخِلَافِ وَلَجَّ كُلُّ جِدَالِ (٥٨)

يَزِنُ الْكَلَامَ كَمَا يُوَازِنُ صَيْرَفٌ … فِى النَّقْدِ مِثْقَالاً إِلَى مِثْقَالِ (٥٩)

وإِذَا الْحَقِيقَةُ أَظْلَمَتْ أَسْدَالُهَا … صَدَعَ الدُّجَى فَبَدَتْ بِلَا أَسْدَالِ (٦٠)

جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَى الْوِفَاقِ وصَانَه … مِنْ وَهْنِ رِعْدِيدٍ وَطَيْشِ مُغَالِى (٦١)

لم يَنْتَقِلْ حَتَّى تَفَجَّرَ نَبْعُهُ … وشَفَى النُّفُوسَ نَمِيرُهُ بِزُلَالِ (٦٢)

عَقَدَ الإِلَهُ عُرَاهُ جَلَّ جَلَالُهُ … أَتُرَى لِعَقْدِ اللهِ مِنْ حَلَّالِ ؟ (٦٣)

* * *

لَهْفِى عَلَيْهِ وَهْوَ رَهْنُ فِرَاشِهِ … مُتَفَزِّزًا مِنْ دائِهِ القَتَّالِ ! (٦٤)

لَهْفِى عَلَى لَيْثِ الكِنَانَةِ أُغْمِدَتْ … أَظْفَارُهُ مِنْ بَعْدِ طُولِ صِيَالِ ! (٦٥)

قَنَصَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ واحِدَ دَهْرِهِ … ورَمَتْهُ مِنْ أَدْوَائِها بِعُضَالِ (٦٦)

يَرْنُو إِلَيْهِ الْعَائِدُونَ بِأَعْيُنٍ … غُزْرِ الدُّمُوعِ كَثِيرَةِ التَّسْآلِ (٦٧)

مُتَقَدِّمِينَ ، تَسُوقُهُمْ لُمَعُ الْمُنَى … مُتَرَاجِعِينَ ، مَخَافَةَ الإِعْوَالِ (٦٨)

والْمَوْتُ يَسْخَرُ بِالْحَيَاةِ وطِبِّها … جُهْدُ الْحَياةِ نِهَايَةُ الآجَالِ ! (٦٩)

---

(٥٨) الفيصل : القاضى يفصل فى الأمور بثاقب رأيه . عجت : اشتدت وثارت . لجج الخلاف : قوى وهاج تشبيها له بلجج البحر ، وهى معظمه حيث يشتد ماؤه .

(٥٩) الصيرف : الصرّاف .

(٦٠) الأسدال : الستور ترخى فتحجب ما وراءها .

(٦١) الوفاق : الأتحاد بين أبناء مصر على اختلاف أديانهم . صانه : حفظه ووقاه . الوهن : الضعف والخور . الرعديد : الجبان . الطيش : الخرق فى الرأى والشطط فى التقدير .

(٦٢) النبع : عين الماء ، والضمير فيه يعود على الوفاق . النمير : الماء الناجع فى الرىّ . الزلال : الماء البارد العذب الصافى .

(٦٣) العرا : جمع عروة ، وهى من الثوب أخت زره . والضمير فى عراه يعود إلى الوفاق .

(٦٤) متفززا : لا يقر على حال ولا يستقيم على جنب من تباريح الألم .

(٦٥) إغماد الأظفار فى الليث من مظاهر فتوره وضعف سطوته وانحلال قوته ، ويريد به الموت .

(٦٦) بنات الدهر : نائباته . العضال من الأدواء : المستعصى منها على الشفاء .

(٦٨) لمع المنى : بارقات الرجاء . الأعوال : البكاء مع صوت . يصف العائدين .

والشَّعْبُ يَسْأَلُ : كَيْفَ سَعْدٌ؟ مالَه ؟ والنَّاسُ فى ذُعْرٍ وفى بَلْبَالِ[٧٠]
يَفِدُون لِلْبَيْتِ الْكَرِيمِ كَأَنَّهُمْ زُمَرُ الحجيجِ تَسيرُ فى أَرْسَالِ[٧١]
يَفْدُون بالنَّفْسِ الرَّئيسَ ، وإنَّما نَفْسُ الرَّئيسِ بقَبْضَةِ المُتَعَالى ![٧٢]
عَرَفُوا الجميلَ ، ولا تَزالُ بَقيَّةٌ فى النَّاسِ لِلإحْسَانِ والإجْمَالِ ![٧٣]
مَنْ يَشْتَرِى حُسْنَ الثَّناءِ فإنَّما بِفعَالِهِ يَشْرِيهِ ، لا بِالْمَالِ[٧٤]

* * *

يَأَيُّها النَّاعِى ! حَنَانَكَ ! إنَّما هِىَ أُمَّةٌ أَضْحَتْ بِغَيْرِ ثِمَالِ ![٧٥]
مَاذا تَقُول ولِلرَّزِيئَةِ رَوْعَةٌ تُغْنِى بَلاَغَتُها عن الأَقْوالِ ؟[٧٦]
مَنْ كَانَ يَرْثِى أُمَّةً فى وَاحِدٍ تَكْفِيه بارِقَةٌ مِن الإجْمَالِ[٧٧]
وإذا الْبَيانُ أَبَى عليهِ فَرِيدُهُ فالدَّمْعُ فِيه فَرائِدٌ ولآلى[٧٨]

* * *

سَارَتْ مَطِيَّةُ نَعْشِهِ عُجْباً به تَخْتَالُ بين الوَخْدِ والإرْقَالِ[٧٩]
فِيها ـ كتَابُوتِ الْكَلِيمِ ـ سَكِينَةٌ وَبَقِيَّةٌ مِنْ هَيْبَةٍ وَجَلاَلِ[٨٠]

---

(٧٠) البلبال : همّ النفس وما يعتريها من وساوس وأحزان .
(٧١) الزمر : الجماعات . الأرسال : جمع رسل (بالتحريك) . وهو الجماعة من كل شىء .
(٧٣) الاجمال : الاحسان فى الصنع .
(٧٥) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .
(٧٦) الرزيئة : المصيبة لا قوة على احتمالها .
(٧٧) البارقة : الومضة . الاجمال : الاختصار .
(٧٨) فريد البيان : عزيزة ونادرة . الفرائد : الجواهر النفيسة ، الواحدة : فريدة .
(٧٩) المطية : الدابة تمتطى ، أى يعتلى مطاها ، وهو ظهرها . جعل النعش مطية . الوخد والارقال : ضربان من السير فيهما سعة خطو .
(٨٠) الكليم : هو موسى عليه السلام . يشير إلى قوله تعالى : « إنَّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة » .

لا تحملوه على المدافع إنّما ... فخر الزعيم قيادة الأعزال[81]
أجدر بمن حملوه فى غزواته ... أن يحملوه عشية الترحال[82]

* * *

سيروا على سنن الزعيم ، فإنّه ... سنن الهدى وجلائل الأعمال[83]
قد خطّ من أخلاقه وجهاده ... للفتية السارين خير مثال[84]
إن كان لم ينجل فإن له بكم ... عدد النجوم الزهر من أنجال[85]
لا تيأسوا ، فلكم أبيدت قبلكم ... أمم بيأس قاتل وملال[86]
إنّ الشعوب تصاب فى أبطالها ... وحياتها فى سيرة الأبطال ![87]
هى قدوة للعاملين ، وأسوة ال ... مستبسلين ، وقصة الأطفال[88]
سعد حياة فى الممات ، وقبره ... مهد الجهاد ومجد الاستقبال[89]
أحرى بمن وهب الحياة لقومه ... ألاّ تمسّ حياته بزوال[90]

(٨٣) السنن : الطريق .

(٨٥) لم ينجل : لم يعقب ولدا . الزهر : المتلألئة المشرقة .

(٨٩) مهد الجهاد : موطنه ومبعثه .

إبراهيم بطل الشرق

بمناسبة مرور مائة عام على وفاة إبراهيم باشا وإزاحة الستار عن لوحة نقشت على قاعدة تمثاله المقام بميدان الأوبرا بالقاهرة عام ١٩٤٨ م .

طُموحٌ ! وإلاّ ما صِراعُ الكتائبِ ؟ ... وعَزمٌ ! وإلاّ فيمَ حَثُّ الرَّكائبِ ؟ (١)

إذا المجد لم يترك وراءكَ صَيحةً ... مُدَوِّيَةً ، فالمجدُ أوهامُ كاذبِ (٢)

يخوضُ الهمامُ العبقرى بعزمهِ ... ظلامَ الفيافى فى ظلامِ الغَياهبِ (٣)

وأرْوَعُ ما تهفو له العينُ رايةٌ ... تُداعبها الأرواحُ فى كَفِّ غالبِ (٤)

وكم بَطلٍ فى الأرضِ غابَ وذكرُهُ ... يُحلِّقُ فى الآفاقِ ليسَ بغائبِ ! (٥)

يُدوِّنُه الميلادُ بينَ لِداتِهِ ... ويكتُبه التاريخُ بينَ الكواكبِ (٦)

وما مَاتَ من أبقى لمصر مجادةً ... تُطاول أعنانَ السماء بغاربِ (٧)

حَماهَا بعزمٍ لوراَتْه قواضبٌ ... لأضحَى سناهُ حسرةً فى القواضبِ (٨)

ومن مثل ابراهيم إن حمى الوغَى ... وأمطرت الأرضُ السماءَ بحاصبِ (٩)

صَواعِقُ تلقى للحتُوفِ صَواعقاً ... وسُحْبٌ عُجَاجٍ تلتقى بسحائبِ (١٠)

---

(١) الكتائب : الجيوش . حث : حض . الركائب : الفرسان .

(٣) ظلام الفيافى : ظلمة الصحراء الموحشة . ظلام الغياهب : ظلمة المجهول .

(٦) يدونه : يسجله . لداته : نظائره .

(٧) مجادة : مجدا تليدا . اعنان السماء : آفاق السماء . بغارب : المقصود الطويل الشامخ .

(٨) قواضب : الأشجار الممتدة الأغصان . سناه : ضوءه .

(٩) حمى الوغى : اشتد القتال . بحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء .

(١٠) صواعق : نار تسقط عليهم من السماء . الحتوف : الموت . عجاج : مليئة بالدخان والغبار .

وزمـزمـةٌ تُنسى الـرعـودَ هـزيـمَـهـا ... وتثقب آذانَ النجومِ الثواقبِ[١١]

سلُوا عنه « عكا » إنَّها إن تكلَّمتْ ... معَاقلُها حدثتكُمْ بالعجائبِ[١٢]

رماهَا بجيشٍ لو رمَى مشرِقَ الضُّحى ... لفر حسيرَ الطرفِ نَحو المغاربِ[١٣]

رماهَا فتىً لا يعرف الشك رأيه ... ويعرف بالإلهَام سرَّ العواقبِ[١٤]

ممنـعـةٌ مـا راضَـهـا عـزمُ قـائـدٍ ... وعذراءُ لم تَظْفَرْ بها كَفُّ خاطبِ[١٥]

أتـاها « بـنـوبـارتٌ » يُـداوى نـدوبَهُ ... وآبَ يصُك الوجه صَكَّ النوادبِ[١٦]

أتـاهَا يـجُر الـذَّيـلَ فى تيه واثقٍ ... فعادَ يَجُر الذَّيْلَ فى خِزى خَائبِ[١٧]

رآهَا وفى العنقودِ والكرم ما اشْتَهىَ ... وأيْنَ من العنقُودِ أيدِى الثعالبِ ؟[١٨]

وكم وضَعت مِنْ إصْبعٍ فوقَ أنفها ! ... وكم غمزَتْ أسوارُهَا بالحواجبِ ![١٩]

رأت فـاتـحَ الـدنْـيا يـفرُّ جـبـانـةً ... ويُلْقى على الأقدار نظرةَ عاتبِ[٢٠]

ولـكـنَّ ابراهيم فى الـروْعِ كـوكـبٌ ... إذا انقضّ فالآطام لُعبة لاعبِ[٢١]

* * *

ويـوم « نصـيبين » التى قـامَ حولها ... بنُو التركِ والألمانُ حُمْرَ المخالبِ[٢٢]

عَلاهَـا فتى مصرٍ بضربـةِ فـيصلٍ ... ولـكـنَّـهـا لـلنصرِ ضربة لازبِ[٢٣]

---

(١١) وزمزمة : صوت الرعد . هزيمها : صوتها . الثواقب : المضيئة .

(١٢) عكا : مدينةَ عكا وقد فتحها إبراهيم باشا . معاقلها : حصونها .

(١٣) حسير الطرف : كليل النظر ملهوفا . المغارب : أى فى جهة الغرب .

(١٤) الشك : الريبة والظن . الالهام : ما يلقى فى الروح . سر العواقب : ما يؤول إليه آخر الشىء .

(١٥) ممنعة : ممنوعه الفتح على القواد قبله . ماراضها : استعصت على القواد .

(١٦) بونابرت : يقصد نابليون بونابرت حينما أراد فتحها فاستعصت عليه . ندوبه : أثر الجراح . آب : عاد . يصك الوجه : يلطم وجهه . النوادب : النساء الباكيات على الميت .

(١٧) تيه : تكّبر . فى خزى خائب : فى ذل وهوان ولم ينل مطلبه .

(١٨) العنقود : واحد عناقيد العنب . الكرم . . شجر العنب . يشير إلى قصة الثعلب والعنب الشهيرة .

(٢٠) فاتح الدنيا : المقصود نابليون بونابرت . جبانة : خوفا . عاتب : لائم .

(٢١) الروع : القتال . الآطام : السيل المرتفع الأمواج تتكسر بعضها على بعض .

(٢٢) نصيبين : معركة انتصر فيها إبراهيم باشا . حمر المخالب : صُبغت ايديهم باللون الأحمر وهو لون الدماء .

(٢٣) علاها : استولى عليها . فتى مصر : إبراهيم باشا . بضربة فيصل : بضربة قوية مسددة فى اتقان . لازب : ثابت .

فريعَ لها البوسفورُ وارتَج عرشُه ... وصاحت ذئابُ الشرِّ من كلِّ جانبِ[٢٤]

أبى الغربُ أن تختال للشرقِ رايةٌ ... وأن يقفَ المسلوبُ فى وجه سالبِ[٢٥]

أيَدْعى سليلُ الشرقِ للشرق غَاصِبًا ... ومغتالهُ فى الغربِ ليسَ بغاصبِ ؟[٢٦]

سياسَةُ حِقْدٍ أيْن من نفثاتِهاَ ... لعاب الأفَاعِى أو سموم العقاربِ ؟[٢٧]

* * *

حنَانًا لابراهيم لاقى كتائِبًا ... من الكيدِ لم تَعْرِف نضَالَ الكتائبِ[٢٨]

غزُوه بجيشٍ بالدهاء مُحارِبٌ ... ولكنّه بالسيف غير محاربِ[٢٩]

فالينُوا منه قناةً صليبةً ... ولاكدّرُوا من صفو تلك المناقبِ[٣٠]

* * *

عرفنا لحامى القبلتيْنِ جهادَهُ ... وكَمْ هانَ مطلوبٌ لعزّةِ طَالبِ[٣١]

له العُرْبُ القت فى إباءٍ زِمَامَها ... وكانت سَرَابًا لايُنالُ لشاربِ[٣٢]

فوحّدهَا فى دولةٍ عربيةٍ ... تُزاحم فى ركب العُلَا بالمناكبِ[٣٣]

يقولون قِفْ بالجيش ماذَا تريدُه ؟ ... وماذا تُرجِّى من وَرَاء السباسب ؟[٣٤]

فقالَ إلى أنْ تنتهى «الضادُ» أنتهى ... وحيث تسيرُ العُرْبُ تسرى نجائبى[٣٥]

---

(٢٤) ريع لها : خاف واهتز . البوسفور : كناية عن تركيا . ارتج عرشه : اهتز ملكه .

(٢٥) أبى : رفض . الغرب : كناية عن دول أوربا الغربية . المسلوب : المسروق . سالب : المختلس .

(٢٦) سليل الشرق : ابن الشرق والمقصود إبراهيم باشا . غاصبا : آخذا للشيء ظلما . مغتاله : قاتله خدعة .

(٢٧) نفثاتها : ما ينفثه الشخص من فيه .

(٣٠) لينوا : جعلوه لينا . قناة صليبة : رمحا شديدا لا يلين . المناقب : الصفات الحسنة .

(٣١) حامى القبلتين : لقب لقّب به إبراهيم باشا والمقصود المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

(٣٢) إباء : عزة . زمامها : قيادتها . سرابا : ما يرى فى منتصف النهار على أنه ماء فى الصحراء وليس بماء .

(٣٣) المناكب : عظم العضد والكتف .

(٣٤) ترجى : تأمل . السباسب : الأرض المستوية أو المفازة .

(٣٥) «الضاد» : لغة الضاد أى اللغة العربية . نجائبي : الركائب التى يركبها الجيش .

لقد زُهيت مصر بباعثِ شعبِها   لكسب المعَالى واقتناء الرغائبِ[٣٦]
وكَمْ كتبَ التاريخُ لابن محمدٍ   خَوالِدَ ، والتاريخُ أصدَقُ كاتبِ[٣٧]
وكَمْ صانَ مصرًا من بنيه مملكٌ   بعيد منال العزمِ جَمّ المطَّالبِ[٣٨]
شمائلُ « فاروقٍ » وعزّةُ ملكِه   تَزيدُ جَلالاً فى جلال المناسبِ[٣٩]

---

(٣٦) زهيت : افتخرت . الرغائب : الشىء المرغوب .

(٣٧) «محمد» : محمد على باشا . خوالد : الدائمة البقاء .

(٣٨) بعيد منال العزم : قوى العزيمة . جم : كثير .

(٣٩) شمائل : الصفات . فاروق : آخر ملوك مصر .

الحُبُّ والحَرْبُ

سنة ١٩١٦ م .

مالى فُتِنْتُ بلحظِكِ الفَتَّاكِ وسَلَوْتُ كُلَّ مَليحَةٍ إلاّكِ ؟[١]

يُسْرَاكِ قَدْ مَلَكَتْ زِمامَ صَبَابتى ومَضَلَّتِى وهُدَاىَ فى يُمْنَاكِ[٢]

فإذا وَصَلْتِ ، فَكُلُّ شَىْءٍ باسِمٌ وإذا هَجَرْتِ ، فكُل شَىْءٍ باكِى[٣]

هذا دَمِى فى وَجْنَتَيْكِ عَرَفْتُهُ لاتَسْتَطِيعُ جُحُودَهُ عَيْنَاكِ ![٤]

لو لم أَخَفْ حَرَّ الْهَوَى وَلَهِيبَهُ لَجَعَلْتُ بَيْنَ جَوَانحِى مَثْوَاكِ[٥]

إِنِّى أَغارُ منَ الْكُؤوسِ فَجَنِّبِى كأسَ الْمُدَامَةِ أَنْ تُقَبِّلَ فاكِ[٦]

خَدَعَتْكِ ما عَذُبَ السُّلافُ وإِنَّمَا قد ذُقْتِ لَمَّا ذُقْتِ حُلْوَ لَمَاكِ[٧]

لَكِ مِنْ شَبَابِكِ أَوْ دَلاَلِكِ نَشْوَةٌ سَحَرَ الأَنَامَ بِفِعْلِهَا عِطْفَاكِ[٨]

* * *

قالَتْ خَلِيلَتُها لها لِتُلِينَها ماذا جَنَى لَمَّا هَجَرْتِ فَتَاكِ ؟[٩]

هِىَ نَظْرَةٌ لاقَتْ بِعَيْنِكِ مِثْلَهَا ماكانَ أَغْنَاهُ وما أَغْنَاكِ ![١٠]

قد كانَ أَرْسَلَهَا لِصَيْدِكِ لاَهِياً فَقَرَرْتِ مِنْهُ وعادَ فى الأَشْرَاكِ[١١]

---

(٧) فاعل خدع ضمير مستتر يعود على المدامة وما نافية . السلاف : الخمر . اللمى مثلثة اللام : سمرة مستحسنة فى باطن الشفة . والمراد الشفة نفسها .

(٨) النشوة : السكر . سحر : استمال وجذب . الأنام : جميع الخلق . العطف : الجانب .

عَهْدِي بِهِ لَبِقَ ٱلحديثِ فَمَا لَهُ ... لا يَسْتَطِيعُ ٱلقَوْلَ حِينَ يَرَاكِ ؟[١٢]

إِيَّاكِ أَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ ... عَرَفَ الحياةَ بِحُبِّهِ إِيَّاكِ[١٣]

إِنَّ الشَّبَابَ وَدِيعَةٌ مَرْدُودَةٌ ... والزُّهْدُ فِيهِ تَزَمُّتُ النُّسَّاكِ[١٤]

فَتَشَمَّمِي وَرْدَ ٱلحياةِ ، فَإِنَّهُ ... يَمْضِي ، ولا يَبْقَى سِوَى الأَشْوَاكِ[١٥]

لَمْ تُنْصِتِي ، وَمَشَيْتِ غَيْرَ مُجِيبَةٍ ... حَتَّى كَأَنَّ حَدِيثَهَا لِسِوَاكِ[١٦]

وَبَكَتْ عَلَيَّ ، فما رَحِمْتِ بُكَاءَها ... ما كانَ أَعْطَفَهَا ، وما أَقْسَاكِ ![١٧]

* * *

عَطَفَتْ عَلَيَّ النَّيِّرَاتُ وساءَلَتْ ... مَذْعُورَةً قَمَرَ السَّمَاءِ أَخَاكِ[١٨]

قالَتْ نَرَى شَبَحًا يَرُوحُ ويَغْتَدِي ... ويَبُثُّ فى الأَكْوَانِ لَوْعَةَ شاكِي[١٩]

أَنَّاتُ مَجْرُوحٍ يُعَالِجُ سَهْمَهُ ... وزَفِيرُ مَأْسُورٍ بِغَيْرِ فَكَاكِ[٢٠]

يَقْضِي سَوَادَ اللَّيْلِ غَيْرَ مُوَسَّدٍ ... عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ ، وقَلْبٌ ذاكِي[٢١]

حَتَّى إذا ما الصبحُ جَرَّدَ نَصْلَهُ ... أَلْفَيْتَهُ جِسْمًا بِغَيْرِ حَرَاكِ[٢٢]

إِنَّا نَكادُ أَسًى عَلَيْهِ ، ورَحْمَةً ... لِشَبَابِهِ ، نَهْوِي مِنَ الأَفْلاكِ[٢٣]

مِنْ عَهْدِ قابِيلٍ ولَيْسَ أَمامَنا ... فى الأَرْضِ غَيْرُ تَشاكُسٍ وعِرَاكِ[٢٤]

ما بَيْنَ فَاتِكَةٍ تَصُولُ بِقَدِّهَا ... وفَتًى يَصُولُ بِرُمْحِهِ فَتَّاكِ[٢٥]

* * *

يا أَرْضُ وَيْحَكِ قَدْ رَوِيتِ فَأَسْئِرِي ... وَكَفَاكِ مِنْ تِلْكَ الدِّماءِ كَفَاكِ ![٢٦]

---

(١٨) النيرات : النجوم المضيئة .

(٢١) وسده الوساد : جعله يتكئ عليه . الوساد : المتكأ أو المخدة . ومعنى غير موسد أنه قلق لا يستقر على فراش . مسهدة : مؤرقة ساهرة . ذاكٍ : مشتعل متوقد .

(٢٤) العهد : الزمان . قابيل وهابيل : ابنا آدام عليه السلام قرّب كل منهما إلى الله قربانًا فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فحنق على أخيه وقتله . وقصتهما فى القرآن الكريم : سورة المائدة . الآيات ٢٧ ـ ٣١ . التشاكس : الاختلاف والشقاق . العراك : القتال .

(٢٦) ويح : كلمة رحمة . روى من الماء : يروى ريا . والسؤر : البقية والفضلة . أسأر : أبقى فى الإناء بعد شربه بقية .

فى كُلِّ رَبْعٍ مِنْ رُبُوعِكِ مَأْتَمٌ ... وثَوَاكِـــلٌ ونَوادِبٌ وبَواكِى[27]

قد قامَ أَهْلُ الْعِلْمِ فيك ودَبَّرُوا ... بَرِئَتْ يَدِى مِنْ إثْمِهِمْ ويَداكِ ![28]

كاشَفْتِهِمْ سِرَّ الْعَناصِرِ فَانْبَرَوْا ... يَتَخَيَّرُونَ أَمَضَّها لِرَداكِ[29]

نَثَرُوا كِنانَتَهُمْ ، وكُلُّ سِهامِها ... لِلْفَتْكِ والتَّدْمِيرِ والإهْلاكِ[30]

دَخَلُوا عَلَى الْعِقْبانِ فى أَوْكارِها ... وتَسَرَّبُوا لِمَسابِحِ الأسْماكِ ![31]

فَتَأَمَّلِى ، هَلْ فى تُخُومِكِ مَأْمَنٌ ؟ ... أَمْ هَلْ هُنالِكَ مَعْقِلٌ بِذُراكِ ؟[32]

ظَهْرُ اللُّيُوثِ وذاكَ أَصْعَبُ مَرْكَبٍ ... أَوْفَى وأَكْرَمُ مِنْ أَدِيمِ ثَراكِ[33]

لَيْتَ الْبِحارَ طَغَتْ عَلَيْكِ وسُجِّرَتْ ... أو أَنَّ مَنْ يَطْوِى السَّماءَ طَوَاكِ ![34]

* * *

لم يَبْقَ فى الإنْسانِ غَيْرُ ذَمائِهِ ... فَدَراكِ يا رَبَّ السَّماءِ دَراكِ ![35]

وإذا النُّفُوسُ تَفَرَّقَتْ نَزَعاتُها ... قامَتْ إذا قامَتْ بِغَيْرِ مَساكِ[36]

---

(٢٧) الربع : المنزل ومحلة القوم . المأتم : المناحة . الثواكل : جمع ثاكل وهى المرأة التى فقدت ولدها . النوادب : جمع نادبة وهى المرأة التى تندب الميت أى تعدد محاسنه .

(٢٩) العناصر : الأصول ، والمراد بسرها خواصها وصفاتها . انبرى للشىء : تجرّد له .

(٣٠) الكنانة : جعبة من الجلد توضع فيها السهام . ونثر الكنانة إنما يكون لاختيار أصلب السهام وأعظمها تأثيرًا . الفتك : البطش والقتل على غفلة . التدمير : الاهلاك .

(٣١) العقبان : جمع عقاب وهو من جوارح الطير . الأوكار : جمع وكر وهو عش الطائر . التسرب : الدخول فى السرب وهو الجحر أو البيت فى الأرض .

(٣٢) التخوم : معالم الأرض وحدودها مفردها تخم . المعقل : الملجأ . الذرا : جمع ذروة وهى من كل شىء أعلاه .

(٣٣) الليوث : جمع ليث وهو الأسد . الأديم : ظهر الأرض . الثرى : التراب الندىّ .

(٣٤) طغى البحر : هاجت أمواجه وارتفعت وزادت مياهه حتى جاوزت الحد ، وطغيان البحار على الأرض إغراقها . سجرت : زيد اضطرابها وغليانها . والشاعر يشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى الآية القرآنية الكريمة «يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدًا علينا ، إنا كنا فاعلين» ١٠٤ ـ سورة الأنبياء .

(٣٥) الذماء : بقية النفس . دراك : أدرك .

(٣٦) النزعات : المذاهب والميول . المساك : الموضع يمسك الماء ويراد به هنا الحائل الذى يقف فى وجه الميول الشريرة والأطماع المبيدة .

والسَّيْفُ أَظْلَمُ ما فَزِعْتَ لِحُكْمِهِ   والـحَـزْمُ خَيْرُ شَمائِلِ الأَمْلاكِ[٣٧].

ومِنَ الـدماء طَـهـارَةٌ وَعـدالَـةٌ   ومِنَ الـدماء جِنايَةُ السُّفَّاكِ[٣٨]

والْـعِلْـمُ مِيزانُ الْـحَياةِ فإِنْ هَوَى   هَوَتِ الْحَياةُ لأَسْفَلِ الأَدْرَاكِ[٣٩]

---

(٣٧) فزع إليه : لجأ إليه عند الفزع وهو الخوف . الحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة . وحزم فلان رأيه أتقنه .
الشمائل : الأخلاق والطباع ، مفردها شمال . الأملاك : جمع مَلك .

(٣٨) السفاك : جمع سافك ، اسم فاعل من سفك الدم بمعنى أراقه .

رشـــيد

غاب الشاعر عن بلده رشيد فترة طويلة ، فأنشأ هذه القصيدة عام ١٩٤١ م يشيد فيها بجمالها وبمجدها القديم ، ويتألم لانتشار داء الفيل فيها ، ويحث أهلها على استئصاله :

جـدّى يـا رشيـدُ للحبِّ عَهْدَا ... حَسْبُنا حسبُنا مِطالاً وصدًّا [١]

جـدّى يـا مـديـنـةَ السحرِ أحلا ... ماً ، وعَيشاً طَلْقَ الأسارير رَغْدا [٢]

جـدّى لمحةً مضتْ من شـبـابٍ ... مثل زهر الربا يرفُّ ويندَى [٣]

وابـعثى صَحْوةً أغار عليها الشـ ... ـيبُ ، حتَّى غدتْ عَناءً وسُهدا [٤]

وتـعـالَىْ نـعـيشُ فى جَـنَّـةِ الما ... ضى ، إذا لم نجدْ من العيشِ بُدًّا [٥]

ذِكْرياتٌ ، لو كان للدهرِ عِقْدٌ ... كنّ فى جيدِ سالفِ الدهر عِقدا [٦]

ذِكْـريـاتٌ مضتْ كـأحلام وصلٍ ... وسُدًى نستطيعُ للحُلْمِ رَدًّا [٧]

قـد رشـفـنـا مختومهنَّ سُلافـاً ... وشـمـمْـنـا رَيّا شذاهُنّ نَدّا [٨]

---

(١) حسبنا : كفانا . مطالا : تطويلا وتسويفا . صدا : اعراضًا .

(٢) طلق : غير مقيد . الأسارير : قسمات الوجه . رغدا : واسعا طيبا .

(٣) يرف : يتحرك وينتشر . يندى : يجود .

(٤) صحوة : تنبيه وافاقة . أغار : هجم . عناء : تعبا . سهدا : سهرا .

(٦) جيد : العنق . سالف : الماضى .

(٧) سدى : هيهات .

(٨) مختومهن : أواخرهن . سلافا : خمر . ريا : هو الارتواء بالماء . شذاهن : رائحتهن الذكية الفوّاحة . ندا : الرائحة الطيبة .

والهوى أمْرَدُ المحيّا يناغي فتيةً تُشبهُ الدنانيرَ مُرْدَا[٩]

عيشوا سادرين ، فالجدُّ هزلٌ ثمّ جدّوا ، فصيّروا الهزلَ جدّا[١٠]

ويح نفسي ، أفدى الشبابَ بنفسي وجديرٌ بمثلهِ أن يُفدّى[١١]

إنْ عددنا ليومِه حسناتٍ شغلتْنا مساوئُ الشيْبِ عدّا[١٢]

جذوةٌ للشبابِ كانت نعيماً وسلاماً على الفؤادِ وبَرْدا[١٣]

قد بكيْناه حينَ زال لأنّا قد جهلْنا من حقّه ما يُؤدّى[١٤]

وقتلناه بالوقارِ ضلالاً وهو ما جار مرّةً أو تعدّى[١٥]

ما عليهم إن هام عمرٌو بهندٍ أو شدا شاعرٌ بأيام سُعدى ! ؟[١٦]

شُغِفَ الناسُ بالفضولِ وبالحِقْدِ ، فإنْ تلقَ نعمةً تلقَ حِقدا[١٧]

* * *

أرشيدٌ ، وأنت جنّةُ خُلْدٍ لو أتاح الإلهُ في الأرضِ خُلْدا[١٨]

حين سمّوْكِ « وردةً » زُهِيَ الحسنُ ، وودّ الخدودُ لو كنّ وَرْدا[١٩]

توّجتْ رأسَكِ الرمالُ بتبرٍ وجرى النيلُ تحت رجليْكِ شهدا[٢٠]

وأحاطت بكِ الخمائلُ زُهْراً كلُّ قدٍّ فيها يعانقُ قدّا[٢١]

والنخيلُ النخيلُ ! أرخت شعوراً مُرسَلاتٍ ، ومدّت الظلَّ مدّا[٢٢]

كالعذارَى يدنو بها الشوقُ قُرْبًا ثم تنأى مخافةَ اللومِ بُعْدا[٢٣]

---

(٩) أمرد : الغلام ليس في وجهه شعر . المحيا : الوجه . الدنانير : في استدارة الوجه ولونها الأحمر .

(١٠) سادرين : غير مبالين ولا مهتمين .

(١٣) جذوة : جمرة من نار . الفؤاد : القلب .

(١٥) جار : ما زاد عن حده أو ما مال عن قصده .

(١٦) هام : شغف . عمرو : رجل كان رمزا في أشعار العرب وهند كذلك وسعدى كذلك .

(١٩) وردة : إشارة إلى اسمها في اللغة الإنجليزية .

(٢١) قد : القوام .

(٢٣) تنأى : تبعد .

حول أجيـادِهـا عـقـود عـقـيـقٍ ونُضارٍ، صفاؤه ليس يصدا[٢٤]

يـا ابـنـةَ الـيـمِّ لا تُـراعى فـإنّـى قد رأيتُ الأمورَ جَزْراً ومدّا[٢٥]

قد يعودُ الزمانُ صفواً كما كا نَ، ويُمسى وعيدُه المُرُّ وعدا[٢٦]

كـنـتِ مـذ كـنـتِ والليالى جواريـ ـكِ، وكان الزمانُ حولَك عبدا[٢٧]

كـلّـمـا هـامت الـظنونُ بماضيـ ـكِ رأتْ عِزَّةً وأبصرن مجدا[٢٨]

بكِ أهلى، وفيكِ مَلْهى شبابى ولكَمْ فيكِ لى مَراحٌ ومَغْدَى[٢٩]

لو أصابتكِ مسّةُ الريحِ ثارت بفؤادى عواصفٌ ليس تَهْدا[٣٠]

أنـا مـن تُـرْبِك النقى وشعرى نفحاتٌ من وَحْى قُدْسِك تُهْدَى[٣١]

كنتُ أشدو به مع الناس طفلاً فتسامَى فصرتُ فى الناسِ فَرْدا[٣٢]

من رزايـا الـنـبوغِ أنّكَ لا تـلـ ـقَ أنيساً، ولا تَرَى لكَ نِدّا[٣٣]

قـد جَـزَيْـنـاكِ بـالحنانِ حَـنـاناً وجزينا عن خالصِ الوُدِّ وُدّا[٣٤]

ليتَ لى بعد عودتى فيك قبراً مثلما كنتِ مَنْبِتاً لى ومَهْدا[٣٥]

* * *

أصـحـيـحٌ أن الخطوبَ أصـابـتـ ـكِ، وأنّ الأمراضَ هَدَّتْكِ هدّا؟[٣٦]

---

(٢٤) أجيادها : أعناقها . عقود عقيق : قلائد من الأحجار الكريمة . نضار : ذهب . يصدا : يصيبه الصدأ . يشبه نخل البلح الزغلول الأحمر اللون بعقود العقيق ونخل البلح السمانى الأصفر اللون بلون الذهب .

(٢٥) ابنة اليم : لأن النيل شرقها والبحر المتوسط شمالها . تراعى : تخافى . جزرا ومدا : رجوع ماء البحر إلى الخلف ثم تقدمه إلى الشاطئ .

(٢٦) صفوا : صافيا خالصا .

(٢٨) هامت : أولعت . الظنون : التردد والشك .

(٢٩) مراح : مكان للراحة . مغدى : عودة .

(٣٠) مسة الريح : لمسة الهواء .

(٣١) وحى قدسك : الهام طهرك .

(٣٢) تسامى : ارتفع وعلا .

(٣٣) رزايا : مصائب . أنيسا : أحد يؤنس وحدتك . ندا : نظيرا .

(٣٤) جزيناك : كافأناك .

وغدا «الفيلُ» فيكِ داءً وبيلاً ... نافثاً سُمَّه مُغيرًا مُجِدًّا ؟[٣٧]

كم رأينا من عاملٍ هدَّه الدّا ... ءُ ، وأرداه وَقْعُهُ فتردَّى[٣٨]

كان يسعَى وراء لُقمةِ خُبْزٍ ... ولَكَمْ جدَّ فى الحياة وكدّاً[٣٩]

فغدا كالصريع يلتمسُ الجُهْـ ... ـدَ ليحيا به فلم يَلْقَ جُهدا[٤٠]

إن مشى يمشِ بائساً مستكيناً ... كأسيرٍ يجرُّ فى الرجْلِ قِدّا[٤١]

خلفه من بَنيه أنضاءُ جوعٍ ... وهو لا يستطيع للجوعِ سَدّا[٤٢]

كلّما مدّ كفَّه لسؤالٍ ... أشبعتها اللئامُ نَهْراً وطَرْدا[٤٣]

أمن الحق أن نعيش بِطاناً ... ويجوعَ العَليلُ فينا ويصْدَى ؟[٤٤]

* * *

وَلَكَمْ تلمَحُ العيونُ فتاةً ... مثل بدرِ السماء لمَّا تبدّى[٤٥]

هى من نَغْمَةِ البشائرِ أحلَى ... وهى من نَضْرةِ الأزاهرِ أندَى[٤٦]

تتمنَّى الغُصُونُ لو كنَّ قدًّا ... حينَ ماستْ ، والوردُ لو كان خدًّا[٤٧]

حوّمتْ حولَها القلوبُ فَراشاً ... ومشت خلفَها الصواحبُ جُنْدا[٤٨]

وارتدت بالخِمارِ فاختبأ الحسـ ... ـنُ ، يُثير الشجونَ لما تردّى[٤٩]

لعِبتْ بالنهَى فأصبح غَيًّا ... كلُّ رُشْدٍ ، وأصبح الغيُّ رُشدا[٥٠]

حسَدَ الدهرُ حسنَها فرماها ... بسهامٍ من الكوارثِ عَمْدا[٥١]

طرقتها الحمَّى الخبيثةُ ترمى ... بشُواظٍ ، يزيده الليلُ وَقْدا[٥٢]

---

(٣٧) الفيل : داء الفيل الذى يؤدى إلى ورم الأطراف ويجعل الإنسان عاجزا عن المشى .

(٤١) قدا : سيرا من جلد غير مدبوغ والمقصود هنا القيد .

(٤٢) انضاء : جمع نضو وهو الضعيف المهزول .

(٤٤) بطانا : شباعا . يصدى : يعطش .

(٤٦) نغمة البشائر : التبشير بالخير بصوت حسن .

(٤٧) قدا : قواما . ماست : تتبختر .

(٤٩) تردى : سقط .

(٥٠) النهى : العقل . غيا : ضلالا . رشد : هداية .

(٥٢) شواظ : لهب لا دخان فيه . وقدا : اتقادا واشتعالا .

روضـــةٌ من محاسنٍ غـــالها الإغـ ـصارُ حتى غَدَتْ خمائلَ جُرْدَا(٥٣)

حلّ داءُ الفيلِ العُضالُ برِجْلَيْـ ـهـا ، وألقى أثقالَه واستبدّا(٥٤)

كـم بكتْ أمُّها عليها فما أغْـ ـنى نُواحٌ ، ولا التحسُّرُ أجْدَى(٥٥)

ويحَها ، أين سِحْرُها؟ أين صارت؟ أين ولّى جمالُها؟ أين نَدّا؟(٥٦)

أين أين ابتسامُها؟ ذهب الأُنْـ ـسُ ، ومال الزمانُ عنها وصَدّا(٥٧)

أين فَتْكُ العيونِ؟ لم يترك الدهْـ ـرُ سيوفًا لها ، ولم يُبْقِ غِمْدا(٥٨)

أين خَلْخالها؟ لقد خلعتْه وهي تبكي أسىً وتنفُثُ صَهْدا(٥٩)

طار خُطّابُها فلم يَبْقَ فردٌ وتولّى حَشْدٌ يحذِّرُ حشدا(٦٠)

لسعتها بعوضةٌ سكنت بئْـ ـرًا ، وقد كان جسمُها مستعدّا(٦١)

إن هذا البعوضَ أهلك «نُمْرو ذَ» وأفنى ما لم يُعَدُّ وأعْدَى(٦٢)

فاحذروه فإنّه شرُّ خَصْمٍ وتصدّوْا لحربِهِ إنْ تصدَّى(٦٣)

جَرِّدوا حَمْلةً على الفيلِ أنجا دًا كرامًا ، ومزِّقوا الفيلَ أُسْدا(٦٤)

أرشيدٌ دونَ المدائنِ تبقى مُسْتَراضًا لكلِّ داءٍ ووِرْدا؟(٦٥)

يفتكُ السمُّ في بَنيها فلا ترْ فعُ كفًّا ، ولا تحرِّكُ زَندا؟(٦٦)

ثم تُلْقى السلاحَ إلقاءَ ذلٍّ والجراثيمُ حولَها تتحدّى(٦٧)

يا لَعاري! فليت لي بين قومي بطلاً يكشِفُ الشدائدَ جَلْدا(٦٨)

ظَمِئَ الشعْرُ للثناء ، فهل آ نَ له أن يَفيضَ شكرًا وحمدا؟(٦٩)

---

(٥٣) جردا : جرداء .

(٥٦) ندا : بعد ــ ذهب .

(٥٩) تنفث : تنفخ . صهدا : حرارة شديدة .

(٦١) سكنت بئرا : يشير إلى توالد البعوض الناقل للمرض فى الآبار التى كان يستعملها أهل رشيد للشرب .

(٦٢) نمروذ : ملك جبّار فى عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يدّعي الالوهية وجادله سيدنا إبراهيم فأفحمه وأخيرا أهلكه الله ببعوضة حقيرة . أعدى : جار ــ تجاوز الحد ــ زاد .

(٦٤) أنجادا : معاونين مغيثين .

(٦٥) مستراضا : مرتعا ومتسعا . وردا : موردا .

(٦٦) زندا : المقصود الذراع .

(٦٨) جلدا : صلبا قويا .

أبـو الأشـبـال ...

نشرت هذه القصيدة يوم أزيح الستار عن تمثال الخديو إسماعيل بالإسكندرية فى شهر ديسمبر عام ١٩٣٨ م .

مجدٌ على الأمواجِ يُشْـرِفُ عـالى — هـذا جـهادُكِ مصرُ فى تمثالِ (١)
هـذا ابنُ ابراهيـم واهبُ قومِه — نِـعَـمَ الحيـاةِ وبـاعثُ الآمـال (٢)
هذا الـذى جَلَّتْ عظائمُ سَعْيِه — عن أنْ تُصَوِّرَها بَنانُ خَيال (٣)
هذا المليكُ العبقرىُّ ، عَنَتْ له — أُمَمٌ ودانتْ صَوْلَةُ الأبطال (٤)
هذا أبو الأشبالِ ، سَلْ عنه العُلا — تُنْبِئكَ حقاً مَنْ أبو الأشبال (٥)
هذا أبو التاريخِ من أضحَى اسمُه — أُنْشودَةَ الأجـيـال للأجـيـال (٦)
هـذا الـذى يَبْنِى فيُنْشِئُ دَوْلَةً — أبقَى على الدنيا من الأجبال (٧)
هذا أبو الذهبِ الذى غَمَرَ المُنَى — بـعـوارِفِ الإحسـان والأفضـال (٨)
هـذا الـهُمامُ ، وهـذه أعمالُـه — أرأيتَ كـيفَ جلائلُ الأعمال ؟ (٩)
هـذا الـذى فاروقُ مِصْرَ حَفـيدُه — زينُ الشبابِ وسيدُ الأقْيال (١٠)

---

(١) على الأمواج : اشارة إلى أنه يطل على البحر .
(٢) إبراهيم : إبراهيم باشا والد الخديوى اسماعيل .
(٣) جلت : عظمت . بنات خيال : ما يتصوره الشاعر من الأخيلة .
(٤) عنت : خضعت له . دانت : خضعت .
(٨) عوارف : طيبات المعروف .
(١٠) الأقيال : السادة العظماء ــ الملوك .

الأعـــمَـى

أقامت جمعية رعاية العميان بمصر فى ١٥ من إبريل سنة ١٩٣٧ م حفلة بدار الأوبرا ، لحضّ المحسنين على مدّ يد الاحسان إلى هذه الطائفة البائسة ، لتتمكن الجمعية من توسيع نطاقها وتثقيف عدد كبير من هؤلاء المكفوفين ليستطيعوا العيش وحدهم ، وليستغنوا عن ذُلّ السؤال ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى هذا الحفل .

مَنْ مُجيرى مِنْ حالِكات اللّيالى ؟ نُوَبَ الدَّهْرِ مالكُن ومالى ! [١]

قد طوَانى الظلامُ حتّى كأنِّى فى دَيَاجى الوجودِ طَيفُ خَيَال [٢]

كلُّ ليلٍ لهُ زَوالٌ ولَيْلى دقَّ أطنابَهُ لِغَيرِ زَوال ! [٣]

كلُّ ليلٍ لهُ نجومٌ ، ولكنْ أينَ أمثالهُنَّ من أمثالى ؟ [٤]

تَثِبُ الشّمسُ فى السماء وشَمْسى عُقِلَتْ دُونَها بألفِ عِقَال [٥]

لا أرَى حِينما أرَى غيرُ حَظّى حَالِكَ اللّونِ عَابِسَ الآمال [٦]

* * *

هو جُبٌّ أعيشُ فيه حزيناً كاسِفَ النّفسِ دائمَ البَلْبَالِ [٧]

---

(١) حالكات الليالى : الليالى الشديدة السواد والظلمة . نوب الدهر : نوازله وما يصيب به .

(٢) طواه ، أى احتواه وجعله بين ثناياه . دياجى الوجود : غياهب ظلماته وحالك سواده . طيف خيال : ما يراه النائم فى نومه .

(٣) الأطناب : الأوتاد ، الواحد : طنب (بضمتين) . دق الأطناب : كناية عن الاقامة وعدم الرحيل ، لأن بيوت العرب كانت خياما تطوى مع السفر . وتنشر وتدق أطنابها عند الاقامة .

(٥) تثب الشمس : تتنقل فى السماء . عقلت : حبست وقيدت . ودونها ، أى دون السماء . العقال : حبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه .

(٦) عابس الآمال : أى مظلمها .

(٧) الجب : البئر البعيدة الغور . كاسف النفس : أى حزين عابس . البلبال : الهم والهواجس المقضة المزعجة .

ما رأتْ بَسْمةَ الشُّموسِ زَوَايا ... هُ ، ولا دَاعَبتْ شُعَاعَ الْهِلال[٨]

فإذا نِمْتُ فالظَّلامُ أمامِي ... أوْ تيقَّظْتُ فالسَّوَادُ حِيالى[٩]

أتَقَرَّى الطَّريقَ فيه بِكَفِّي ... بين شَكٍّ وحَيْرَةٍ وضَلال[١٠]

وأُحِسُّ الهواءَ فهْوَ دَلِيلى ... عن يَمينِى أسيرُ أوْ عَنِ شِمالى[١١]

كُلَّما رُمْتُ منه يَوْمًا خَلاصًا ... عَجَزتْ حِيلَتِي ورَثَّتْ حِبالى[١٢]

عَبَثًا أُرْسِلُ الأنِينَ مِن الْجُبِّ إلى سَاكِنى القُصُورِ العَوالى ![١٣]

مَنْ لسارٍ بِلَيْلةٍ طولُها العُمْرُ ، يَجُوبُ الْأَوْجالَ لِلْأَوْجالِ ؟[١٤]

مُتَرَدٍّ فى هَاوِيَاتٍ وِهَادٍ ... لاهِثٍ فوقَ شامِخاتِ جِبال[١٥]

عند صَحْراءَ للأعاصيرِ فِيها ... ضَحِكُ الْجِنِّ أو نَحِيبُ السَّعالى[١٦]

لم يَزُرْها وشْىُ الرَّبيعِ ولكنْ ... لك ماشئْتَ من نسيجِ الرِّمال[١٧]

لَيْس للطيرِ فوقَها من مَطارٍ ... أوْ بَنِى الإِنْسِ حَوْلَها من مَجال[١٨]

خَلَقَ اللهُ قَفْرَها ثم سَوَّى ... من ثَراهُ أنامِلَ البُخَّال[١٩]

رَهْبةٌ تَملأُ الْجَوانِحَ رُعْبًا ... وأدِيمٌ وَعْرٌ كحدِّ النِّصَال[٢٠]

وامْتدادٌ كأنَّه الأَمَلُ الطَّا ... ئشُ مَا ضاقَ ذَرْعُهُ بِمُحَالِ[٢١]

سارَ فيها الأعمَى وَحِيدًا شرِيدًا ... حائرًا بينَ وَقْفَةٍ وارْتِحالِ[٢٢]

---

(٨) بسمة الشموس ، أى ضوءها .

(١٠) أتقرى الطريق ... الخ ، أى أتتبع الطريق بكفى أتلمس بها مواضع الأمن .

(١٤) يجوب : يقطع الأرض سائرا . الأوجال : المخاوف ، الواحدة : وجل (بالتحريك) .

(١٥) المتردى : الساقط . الوهاد : الأراضى المنخفضة . الهاويات : البعيدة الانخفاض . اللاهث : الذى يخرج لسانه تعبًا وإعياء وعطشًا . شامخات الجبال : العالية المرتفعة .

(١٦) الأعاصير : عصف الرياح وشدة هبوبها وزوابعها . النحيب : البكاء . السعالى : جمع سعلاة ، وهى أنثى الغول . يريد الغيلان عامة . .

(١٧) وشى الربيع : نباته ذو الألوان المختلفة . الوشى (فى الأصل) : تطريز الثوب وتجميله .

(١٨) من مطار ، أى من طيران . من مجال ، أى من أثر لجولان الناس وسيرهم .

(٢٠) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر ، الواحدة : جانحة . أديم الصحراء : وجهها . النصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف والسكين .

(٢١) الطائش : الذى يذهب على غير هدى وقصد . ضيق الذرع : كناية عن قلة الحيلة وضعف الطاقة .

فى هَجِيرٍ ماخَفَّ حَرُّ لَظَاه بِنَسِيمٍ ، ولا بِبَرْدِ ظِلاَلِ(٢٣)
مَلَّ عُكَّازَه من الضَّرْبِ فى الأرْ ضِ على خَيْبَةٍ ورِقَّةِ حالِ(٢٤)
يَرْفَعُ الصَّوْتَ لا يَرَى مِنْ مُجِيبٍ أَقْفَرَ الكَوْنُ من قُلُوبِ الرِّجالِ !(٢٥)

* * *

مَنْ لِهَاوٍ فى لُجَّةٍ هِىَ دُنْيا هُ وأَيَّامُ بُؤْسِهِ المُتَوَالِى ؟(٢٦)
ظُلَمٌ بَعْضُها يُزاحِمُ بعْضًا كَلَيالٍ كَرَرْنَ إثْرَ لَيالِى(٢٧)
يَفْتَحُ المَوْجُ ماضِغَيْهِ فَيَهْوِى ثمّ يطْفُو مُحطَّمَ الأوْصالِ(٢٨)
لا تَرَى منه غيرَ كَفٍّ تُنادِى حينَما عَقَّه لسانُ المَقَالِ(٢٩)
والرِّياحُ الرِّياحُ تَعْصِفُ بالمِسْكِينِ عَصْفَ الأيامِ بالآجالِ(٣٠)
يَسْمَعُ السُّفْنَ حَوْلَه ماخِراتٍ مَنْ يُبَالِى بمِثْلِه مَنْ يُبَالِى ؟(٣١)
يسمعُ الرَّقْصَ والأهَازِيجَ تَشْدُو بَيْنَ وَصْلِ الْهَوَى وهَجْرِ الدَّلاَلِ(٣٢)
شُغِلَ القَوْمُ عنه بالقَصْفِ واللَّهْوِ وهامُوا بِحُبِّ بِنْتِ الدَّوَالِى(٣٣)
ما لَهُمْ والصَّرِيعَ فى غَمْرةِ اللُّجِّ يَصُدُّ الأهْوَالَ بالأهْوَالِ(٣٤)
لا يُرِيدُون أنْ يُشَابَ لهم صَفْوٌ بِنَوْحٍ لِلبُؤْسِ أو إعْوَالِ(٣٥)

---

(٢٣) الهجير : شدة الحر . اللظى : اللهب والحرقة .

(٢٦) الهاوى : الساقط . اللجة : معظم البحر حيث يكثر الماء ويصعب المخرج .

(٢٨) الماضغان : الحنكان لمضغها المأكول . واستعارهما للموج لأنه يهصر الأجسام ويضعضعها . الأوصال : الأعضاء . الواحد . وصل .

(٢٩) عقه : خانه ولم يسعفه بالمقال .

(٣٠) الآجال : الأعمار .

(٣١) السفن الماخرات : الجاريات التى تشق الماء مع صوت .

(٣٢) الأهازيج : جمع أهزوجة . وهى ما يهزج به من الأغانى ، أى ما يترنم بها ويطرب .

(٣٣) القصف : الإقامة فى لهو وأكل وشرب . بنت الدوالى ، أى الخمر . الدوالى : عنب بالطائف أسود إلى الحمرة ، ومنه تعصر الخمر . وجعلها بنته لأنها منه .

(٣٤) الصريع : المصروع . غمرة اللج ، أى حيث يكثر ماء البحر ويشتد .

(٣٥) يشاب : يختلط به ما يعكره . الصفو : ما صفا لهم من شأنهم ولذ وطاب . النوح والإعوال : البكاء ورفع الصوت به .

هكذا تُمْحِلُ القُلوبُ، وأنْكَى أن تُباهِى بذلكَ الإمْحال! [٣٦]
هكذا تُقْبَرُ المروءةُ فى النّا س، ويُقْضَى على كَريمِ الخِلال! [٣٧]

* * *

مَنْ لهذا الأعمى يَمُدُّ عصَاه عاصِبَ البَطْنِ لم يَبُحْ بسُؤالِ؟ [٣٨]
مَنْ رآهُ يَرَى خَليطًا من البُؤ سِ هَزيلاً يَسِيرُ فى أسْمَال [٣٩]
هو فى مَيْعَةِ الصِّبا وتَراهُ مُطْرِقَ الرَّأسِ فى خُشوعِ الكُهّال [٤٠]
ساكنًا كالظَّلامِ، يَحْسَبُهُ الرَّا ءُونَ معنًى لليأسِ فى تِمْثَال [٤١]
فَقَدَ الضَّوْءَ والحياةَ، وهل بَعْـ ـدَ ضِياءِ العَيْنَيْنِ سَلْوَى لِسال؟ [٤٢]
مَطَلَتْهُ الأيامُ والناسُ حَقًّا فَقَضَى عَيْشَه شَهيدَ المِطَال [٤٣]

* * *

ما رَأى الرَّوْضَ فى مَآزِرِهِ الخُضْـ ـرِ يُبَاهِى بحُسْنِها ويُغَالى [٤٤]
ما رَأى صفْحةَ السماءِ وَمَا رُكِّـ ـبَ فيها مِنْ باهِرَاتِ اللآلى [٤٥]
ما رَأى النِّيلَ فى الخَمائِلِ يَخْتَا لُ بأذيالِهِ العِراضِ الطِّوالِ [٤٦]
ما رَأى فِضَّةَ الضُّحَى فى سَنَاها أوْ تَمَلَّى بعَسْجَدِ الآصال [٤٧]
فدعوه يَشْهَدْ جَمالاً من الإحْـ ـسانِ، إنْ فاتَه شُهودُ الجَمال [٤٨]

---

(٣٦) إمحال القلوب : تجردها من العطف والرحمة ، مأخوذ من إمحال الأرض ، وهو إجدابها . أنكى : أى أكثر إيلاما .
(٣٨) عاصب البطن : أى يشدّه برباط يدفع بذلك ألم الجوع .
(٤٠) ميعة الصبا : أوله وريعانه . الكهال : جمع كهل .
(٤٣) مطل الحق : تسويفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى .
(٤٤) المآزر : الثياب ، الواحد : مئزر . يغالى : يفخر .
(٤٥) صفحة السماء : رقعتها . باهر اللآلى : الكواكب والنجوم التى تبهر بضوئها .
(٤٧) تملى : استمتع . العسجد : الذهب ، الآصال : جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب .

ودعوه يُبْصِرْ ذُبَالاً من الرَّحْمَةِ . إنْ عَقَّه ضِياءُ الذُّبَال[٤٩]
قد خَبَرْتُ الدُّنيا فلم أرَ أزْكَى مِنْ يَمينٍ تفتَّحتْ عَنْ نَوال ![٥٠]

* * *

أيُّها الوَادِعُون يَمْشُون زَهْوًا بَيْنَ جَبْرِيَّةٍ وبَيْنَ اخْتِيالِ[٥١]
يُنْفقُون القِنْطارَ فى تَرَفِ العَيْشِ ، ولا يُحْسنون بالمِثْقال[٥٢]
ويَرَوْنَ الأمْوالَ تُنْثَرُ فى اللهْو ، فلا يَجْزَعون لِلأَمْوَال[٥٣]
إن فى بَلْدَةِ المُعِزِّ جُحُورًا مُتْرَعاتٍ بأدْمُعِ الأطْفالِ[٥٤]
كلُّ جُحْرٍ بالبُؤْسِ والفَقْرِ مملو ءٌ ، ولكنَّه من الزَّادِ خالى[٥٥]
بَسَقَتْ فيه للجَرَاثيم أفْنا نٌ تدلَّتْ بكلِّ داءٍ عُضَالِ[٥٦]
لَوْ رأيتَ الأشباحَ مِنْ ساكنيه لرَأيْتَ الأطْلاَلَ فى الأطْلال ![٥٧]
يَرْهَبُ النُّورُ أنْ يمرَّ به مَرًّا ، وتَخْشَى أذَاهُ ريحُ الشَّمَال[٥٨]
تَحْسِبُ الطفلَ فيه فى كَفَنِ المَوْ تَى وقَدْ ضمَّه الرِّدَاء البالى[٥٩]
أيُّها الأغنياءُ أين نَدَاكُمْ ؟ بَلَغ السَّيْلُ عالياتِ القِلال ![٦٠]
هُمْ عِيالُ الرَّحمنِ ماذا رأيْتُمْ أو صَنَعْتُم لهؤلاء العِيالِ ؟[٦١]

* * *

---

(٤٩) ذبالا من الرحمة : أى بصيصا من نورها . الذبال فى الأصل : الفتيلة . عقَّه : فاته وامتنع عليه . ضياء الذبال : أى نور المصابيح ، ويريد النور عامة .

(٥١) الوادعون : المترفون الذين ضمنوا بحبوحة العيش ورغده فباتوا فى هدوء ودعة . الزهو : التيه والتكبر . الجبرية : نسبة إلى الجبر بمعنى الجبروت والعظمة .

(٥٢) ترف العيش : مازاد على الحاجة وكان للترفيه والتنعم . المثقال : ما يوزن به .

(٥٤) بلدة المعز : القاهرة نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمى ، الذى أنشئت القاهرة له على يد قائده جوهر الصقلى سنة ٣٦١ هـ (٩٦٩ م) . وكان عهده فى مصر من أزهى عصورها ، زادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة . وتوفى المعز سنة ٣٦٣ هـ (٩٧١ م) . ويريد بالجحور تلك الخربات والأكواخ المظلمة التى يسكنها الفقراء ، مترعات : مفعمة مملوءة .

(٥٦) بسقت : ارتفعت وطالت . الأفنان : الفروع والأغصان ، الواحد : فنن (بالتحريك) . الداء العضال : أى شديد أعيا الأطباء .

(٦٠) الندى : الكرم والجود . القلال : جمع قلة وهى من الجبل أعلاه .

(٦١) العيال : من تلزمك نفقتهم والقيام بأمرهم .

رُبَّ أعْمَى لَهُ بصيرةُ كَشْفٍ نفذَتْ من غَيَاهِبِ الأَسْدالِ! (٦٢)
أَخَذَ اللهُ مِنهُ شيئًا وأَعْطَى وأعَاضَ المِكْيالَ بالمِكْيالِ (٦٣)
يَلْمَحُ الخطْرةَ الخفِيَّةَ للنَّفْـ ـسِ لها فى الصُّدورِ دَبُّ النمَالِ (٦٤)
ويَرَى الحقَّ فى جَلاَلةِ معنا هُ فيحيا فى ضَوْءِ هذا الجَلاَلِ (٦٥)
كان شَيْخُ المعَرَّةِ الكَوْكَبَ السَّا طِعَ فى ظُلْمةِ القُرونِ الخَوَالى (٦٦)
فأتَى وهْوَ آخِرٌ (مِثْلَما قا لَ) بما نَدَّ عَنْ عُقُولِ الأَوَالى (٦٧)

* * *

أنقِذُوا العَاجِزَ الفَقِيرَ وصُونُوا وَجْهَهُ عن مَذَلَّةٍ وابْتِذَالِ (٦٨)
علِّموهُ ، يَطْرُقْ مِنَ العَيْشِ بابًا وامْنَحُوه مَفَاتِحَ الأَقْفَالِ (٦٩)
لا تَضُمُّوا إلى أَسَاهُ عَمَى الجَهْـ ـلِ فيَلْقَى النكَالَ بَعْدَ النكَالِ (٧٠)
كُلُّ شىءٍ يُطَاقُ مِنَ نُوَبِ الأيَّامِ إلاَّ عَمَايَةَ الجُهَّالِ (٧١)
علِّموه ، فالعِلْمُ مِصْباحُ دُنْيا هُ ولا تَكْتَفُوا بصُنْعِ السِّلاَلِ (٧٢)
إنَّ جَفَاهُ الزَّمانُ والآلُ والصَّحْـ ـبُ فكونوا لِمِثْله خيرَ آلِ (٧٣)

---

(٦٢) البصيرة : الفطنة . الغياهب : الظلمات . الأسدال : الحجب وما يقوم بينك وبين الشىء بستره عنك .

(٦٣) المكيال : أداة الكيل . أعاض : أبدل .

(٦٤) الخطرة : ما يخطر بالبال من الأفكار .

(٦٦) شيخ المعرة : هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى الشاعر ، الفحل الفيلسوف . ولد بمعرة النعمان (وهى بلد بين حماه وحلب) سنة ٣٦٣ هـ وإليها ينسب . وقد كف بصره فى الثالثة من عمره وتوفى بالمعرة سنة ٤٤٩ هـ .

(٦٧) ند : استعصى وامتنع . ويشير إلى قوله :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل .

(٧٠) الأسى : الحزن . النكال : الشر والمكروه .

(٧١) نوب الأيام : مصائبها وما تنتاب به . العماية : الغواية والضلال .

(٧٢) السلال : جمع سلة وهى معروفة .

(٧٣) الآل : الأهل والعشيرة .

نَـزلَ الـوَحْىُ فى الـتَّرَفُّقِ بالأعـ ـمَى وبسْطِ الـيديْنِ للسُّؤَّال [74]

سوف تتلو الأجيالُ تاريخَ مِصْرٍ فـأعِـدُّوا الـتـاريخَ لِلأَجْـيـال [75]

بالأيادِى الحِسانِ يُمْحَى دُجَى البُؤ سِ وتَسْمُو الشعوبُ نَحوَ الكَمال [76]

يَـذْهبُ الـفـقـرُ والـثَّـراءُ ويَـبْقى مـا بَـنَى الخَيِّرونَ من أَعْمال ! [77]

(٧٤) السؤال : جمع سائل . يشير إلى ما نزل من القرآن الكريم على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الترفق بالأعمى فى (سورة عبس) .

رثاء إسماعيل صَبرى باشا

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى حفل التأبين الذى أقيم فى فناء مدرسة المعلمين العليا بالمنيرة فى مايو سنة ١٩٢٣ م.

صادحَ الشَّرْقِ قَدْ سَكَتَّ طَوِيلاً ... وَعَزِيزٌ عَلَيْهِ أَلا تَقُولاَ (١)
أَيْنَ ذَاكَ الشعْرُ الذى كُنْتَ تزْجِيهِ فَيَسْرِى فى الأَرْضِ عَرْضاً وَطُولا ؟ (٢)
قَدْ سَمِعْنَاهُ فِى الْمَزَاهِرِ لَحْنًا ... وَسَمِعْنَاهُ فِى الْحَمَامِ هَدِيلا (٣)
وَشَمِمْنَاهُ فِى الْكَمَائِمِ زَهْراً ... وَشَرِبْنَاهُ فِى الْكُئُوسِ شَمُولا (٤)
تَنْهَبُ الدُّرَّ مِنْ عُقُودِ الْغَوَانِى ... ثُمَّ تَدْعُوهُ فاعِلاتُنْ فَعُولاً ! (٥)
خَطَرَاتٌ تَسِيرُ سَيْرَ الدَّرَارِى ... آيِبَاتٍ عَلَى الزمانِ أُفُولاَ (٦)
تَخْدَعُ الْجَامِحَ الشَّمُوسَ مِنَ الْقَوْ ... لِ فَيُلْقِى الْعِنانَ سَهْلاً ذَلُولا (٧)
غَزَلٌ كالشَّبَابِ أَسْجَحُ رَيَّا ... نُ يُذِيبُ الْقَاسِى وَيُدْنِى الْمَلُولا (٨)

---

(٢) تزجيه : تدفعه وتسوقه برفق . يسرى : يسير .

(٣) المزاهر : جمع مزهر وهو العود من آلات الغناء والطرب . اللحن : التغريد والتطريب والغناء . الهديل : صوت الحمام .

(٤) الكمائم : جمع كمامة وهى غطاء النور أى الغلاف الذى يحيط بالزهرة ويغطيها قبل أن تتفتح . الكؤوس : جمع كأس ، ولا تسمى كأسا إلا وفيها الشراب . الشمول : الخمر .

(٦) الخطرات : الخواطر . الدرارى : الكواكب .

(٧) الجامح : اسم فاعل من جمح الفرس أى اعتز فارسه وغلبه . الشموس : الصعب الممتنع . العنان : سير اللجام . ذلول : سهل منقاد .

(٨) أسجح : حسن معتدل . ريّان : صفة من الرى .

وَنَسِيبٌ يَكَادُ يَبْعَثُ فِينَا ... مِنْ جَدِيدٍ كُثَيِّرًا وَجَمِيلاَ[(٩)]

وَقَوافٍ سَالَتْ مِنَ اللُّطْفِ حَتَّى ... لَحَسِبْنَا الْمُجْتَثَّ مِنْهاَ طَوِيلاَ[(١٠)]

نَقَدَتْ جَيِّدَ الْكلامِ وَخَلَّت ... سَقَطاً مِنْ وَرَائِها وفُضُولاَ[(١١)]

عَبِثَتْ «بالْوَلِيدِ» ثُمَّ أَرَتْهُ ... مِنْهُ أَنقَى مَعْنًى وَأَقْوَمَ قِيلاَ[(١٢)]

لَوْ وَعَاهَا مَا اهْتَزَّ يُنْشِدُ يَوْماً ... (ذَاكَ وادِي الأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلاَ)[(١٣)]

(قِفْ مَشُوقاً أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِيناً ... أَوْ مُعِينًا أَوْ عَاذِراً أَوْ عَذولاَ)[(١٤)]

بَرَزَتْ نَفْسُهُ بِهَا فَرَأَيْنَا ... هُ نَبِيلاً يَنُثُّ قَوْلاً نَبِيلاَ[(١٥)]

هَبَطَتْ حِكْمَةُ الْبَيَانِ عَلَيْهِ ... فَاذْكُروا فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلاَ[(١٦)]

* * *

---

(٩) كثير بن عبد الرحمن أحد الشعراء الغزليين المشهورين. شبب بعزة بنت حميد الضمرى حتى عُرف بها وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ .

وجميل بن عبد الله بن معمر العذرى أحب ابنة عمه بثينة وعُرف بها وقال فيها شعرا كثيرا يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر ، ولبث يشبب بها أكثر من عشرين سنة ، وكانت وفاته بمصر سنة ٨٢ هـ أيام عبد العزيز بن مروان واليها من قبل أخيه عبد الملك .

(١٠) المجتث : من بحور الشعر ، وأجزاؤه مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين مجزوء وجوبا . الطويل : أول بحور الشعر ، وأجزاؤه فعولن مفاعيلن أربع مرات .

(١١) نقد الدراهم : إخراج الزيف منها ، والمراد اختارت . السقط بفتحتين : ردىء المتاع والخطأ من القول والفعل . فضول الكلام : ما لاخيرفيه .

(١٢) الوليد : هو أبو عبادة بن عبيد الطائى البحترى الشاعر المطبوع ، وبحتر بطن من طئ كانوا ينزلون بناحية «منبج» بين حلب والفرات ، ولد سنة ٢٠٦ هـ وتخرج فى الشعر على أبى تمام ثم خرج إلى العراق وأقام فى خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وزيره إلى أن قتلا فرجع إلى «منبج» وبقى يختلف أحيانًا إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ .

(١٣) وعاها : حفظها وتدبرها أى القوافى والمراد الأبيات . و«ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا» مطلع قصيدة للبحترى .

(١٥) برزت : ظهرت . النبل والنبالة : الذكاء والنجابة والفضل . نث الحديث : أفشاه .

(١٦) «فاذكروا فى الكتاب إسماعيل» اقتباس جميل من قول الله تعالى فى سورة مريم «واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيًا» .

لَوْ شَهِدْتَ الردَى يَحُومُ عَلَيْهِ   وَالْمَنَايَا تَرْمِى لَهُ الْأُحْبُولاَ(١٧)

لَرَأَيْتَ الطَّوْدَ الْأَشَمَّ الَّذِى كَا   نَ مَنِيعَ الذرَا كَثِيباً مَهِيلاَ(١٨)

وَرَأَيْتَ الصمْصَامَ لاَ يَقْطَعُ الضِغْثَ   وَقَدْ كَانَ صَارِمًا مَصْقُولاَ(١٩)

وَرَأَيْتَ الرُّوحَ الْخَفِيفَةَ حَيْرَى   إِنَّ عِبْءَ السقَامِ كَانَ ثَقِيلاَ(٢٠)

شَيَّعَ الدَّمْعُ يَوْمَ شَيَّعَ «صَبْرِى»   دَوْلَةً فَخْمَةً وَعَصْرًا حَفِيلاَ(٢١)

* * *

خُلُقٌ لَوْ يَمَسُّ هَاجِرَةَ الْقَيْظِ   لَأَمْسَتْ عَلَى الْأَنَامِ أَصِيلاَ(٢٢)

وَخِلاَلٌ مِثْلُ النَّسِيمِ وَقَدْ مَرَّ   بِزَهْرِ الربَا عَلِيلاً بَلِيلاَ(٢٣)

وَحَدِيثٌ حُلْوُ الْفُكَاهَةِ عَذْبٌ   لَمْ يَكُنْ آسِناً وَلاَ مَمْلُولاَ(٢٤)

يُذْهِلُ الصَّبَّ عَنْ أَحَادِيثِ لَيْلاَ   هُ وَيُنْسِيهِ حَوْمَلاً وَالدَّخُولاَ(٢٥)

يقصُرُ اللَّيْلُ حِينَ يَسْمُرُ «صَبْرِى»   بَعْدَ أَنْ كَانَ نَابِغِيًّا طَوِيلاَ(٢٦)

* * *

---

(١٧) الأحبول : المصيدة كالحبالة والأحبولة .

(١٨) الطود : الجبل العظيم . الأشمّ : الطويل الرأس المرتفع . المنيع : الحصين الذى لا يقدر عليه من يريده .
الذرا : جمع ذروة وهى من كل شىء أعلاه . الكثيب : المجتمع من الرمل . المهيل : المرسل المصبوب ،
والمراد مهدم منهار .

(١٩) الصمصام : السيف القاطع الذى لا ينثنى . الضغث : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس . الصارم :
القاطع . المصقول : المجلو .

(٢١) المراد بالدولة هنا مملكة الأدب والشعر . حفيل : كثير مجتمع .

(٢٢) الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . القيظ . شدة حر الصيف . الأنام : جميع الخلق . الأصيل :
العشى وهو الوقت بعد العصر إلى الغروب .

(٢٤) آسن : آجن أى متغير الطعم واللون ، والمراد قديم معاد تافه .

(٢٥) ليلاه ، معشوقته . عشق قيس بن الملّوح العامرى ابنة عمه ليلى وشبب بها فى شعره فحيل بينها وبينه فافتقد هواه
حتى صار إلى حالة تشبه الجنون ، ومن أجل ذلك لقب بمجنون ليلى ، كان ذلك فى بادية نجد فى صدر الدولة
الأموية . وحومل والدخول موضعان بنجد على مقربة من طريق البصرة إلى مكة ذكرهما امرؤ القيس فى مطلع
معلقته متغزلا بابنة عمه عنيزة فقال :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢٦) نابغى : شاق طويل منسوب إلى النابغة الذبيانى زياد بن معاوية .

يَوْمَ «صَبْرِى» هَدَمْتَ لِلْمَجْدِ رُكْناً وَتَـرَكْتَ الْعَلْيَاءَ أُمًّا ثَكُولاَ(٢٧)
يَوْمَ «صَبْرِى» أَغْمَدْتَ فِى التُّرْبِ سَيْفاً حِينَ جَرَّدْتَ سَيْفَكَ الْمَسْلُولاَ(٢٨)

* * *

إِنَّمَا نَحْنُ فِى الْحَيَاةِ إِلَى حِيـنٍ شَبَاباً وَفِتْيَةً وَكُهُولاَ(٢٩)
نَـتَـمَـنَّى الْـحَـيَاةَ جِـدَّ تَـمَـنٍّ وَهْىَ لَيْسَتْ إِلاَّ مَتَاعاً قَلِيلاَ(٣٠)
وَقَفَ الطِبُّ حَـائِـراً وَالْـمَـنَـايَا ساخِرَاتٍ يَغْتَلْنَ جِيلا فَجِيلاَ(٣١)
دَوْرَةُ الأَرْضِ كَـمْ أَمَدَّتْ قَبِيلاً بِـحَـيَـاةٍ وَكَمْ أَبَادَتْ قَـبِيلاَ(٣٢)
نَضْرَةٌ فِى أَزَاهِرِ الصُّبْحِ تُمْسِى بَـعْـدَ لأْىٍ تَصَوُّحـًا وذُبُولاَ(٣٣)
رُبَّ قَصْرٍ قَدْ كَانَ مَلْعَبَ أُنْسٍ صَـيَّرَتْهُ الأَيَّامُ رَبْعاً مُحِيلاَ(٣٤)
وَفَـتَـاةٍ طَوَى مَـحَـاسِـنَـهَـا الـدَّهْـرُ بَـنَـانًـا غَضًّـا وَخَـدًّا أَسِـيلاَ(٣٥)
نَـأْكُـلُ الأَرْضَ ثُـمَّ تَـأْكُـلُـنَـا الأَرْضُ دَوَالَـيْكَ أَفْـرُعـاً وَأُصُولاَ(٣٦)

* * *

يـامَـلِـيكَ الْـبَـيَـانِ دَعْوَةَ خِـلٍّ وَجَد الصَّبْرَ بَعْدَكُمْ مُسْتَحِيلاَ(٣٧)
أَنــا أَرْثِــيكَ شَــاعِـراً وأَديـبًـا ثُمَّ أَبْكِيكَ صَاحِباً وخَلِيلاَ(٣٨)

---

(٣٢) القبيل : الجماعة .

(٣٣) النضرة : الحسن والرونق والبهاء . اللأى : البطء ، والمراد هنا الزمن القليل . التصوح : أن ييبس النبات من أعلاه .

(٣٤) الأنس : اطمئنان النفس ، وهو ضد الوحشة . الرّبع : الدار . محيل : اسم فاعل من أحال الشىء بمعنى تحوّل وتغير ، أو من أحالت الدار أى أتى عليها أحوال .

(٣٥) المحاسن : جمع على غير قياس لحسن . البنان : الأصابع أو أطرافها الواحدة بنانة . غض : طرىّ . أسيل : لَيِّن طويل .

(٣٦) دواليك : مداولة على الأمر أو تداول بعد تداول ، من الدولة وهى انقلاب الزمان .

(٣٧) الخل : الخليل والصديق .

قُلْ لِحَسَّانَ إنْ مَرَرْتَ عَلَيْهِ فِي ظِلاَلِ الْفِرْدَوْسِ يُطْرِى الرَّسُولاَ(٣٩)
إنَّ مِصْرًا أَحْيَتْ مَوَاتَ الْقَوَافِي وَأَقَامَتْ عَمُودَهَا أَنْ يَمِيلاَ(٤٠)
وَأَعَادَتْ إِلَى سَلِيلَةِ عَدْنَا نَ شَبَاباً غَضًّا وَمَجْداً أَثِيلاَ(٤١)
قُلْ لَهُ غَيْرَ فاخرٍ إنَّ «صَبْرِى» بَعْدَ «سَامِى» هَدَى إِلَيْهَا السَّبِيلاَ(٤٢)

* * *

وَيْكَ يا قَبْرُ صِرْتَ لِلْفَضْلِ مَثْوًى لا يُسَامَى وَلِلنُّبُوغِ مَقِيلاَ(٤٣)
فِيكَ كَنْزٌ لَمْ تَحْوِ أَرْضُ الْفَرَاعِيـنِ لَهُ بَيْنَ لاَبَتَيْهَا مَثِيلاَ(٤٤)

---

(٣٩) حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو من بنى النجار من أهل المدينة ، نشأ فى الجاهلية ونبه شأنه فيها ، ولما هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة وأسلم الأنصار أسلم معهم حسان ودافع عن النبى بلسانه كما دافع عنه قومه بسيوفهم ، وعاش بعد رسول الله محببًا إلى خلفائه حتى مات فى خلافة معاوية سنة ٥٣ هـ وعمره ١٢٠ سنة .

(٤١) سليلة : بنت . وعدنان أبو العرب المستعربة سكان شمالى الجزيرة وهو من نسل إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام ، وسليلة عدنان كناية عن اللغة العربية . غضا : طريا . المجد : العز والشرف . الأثيل : الأصيل العظيم .

(٤٢) «صبرى» هو المرثى إسماعيل صبرى باشا . و «سامى» هو محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى أحد زعماء الثورة العرابية وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية ، نظم الشعر من صغره محاكاة ومعارضة للشعراء الأقدمين الذين حفظ من كلامهم كثيرًا ونسج على منوالهم . ولد سنة ١٢٥٥ هـ ثم تعلم فنون العسكرية ومازال يترقى فى مراتب الجيش حتى ولاه الخديوى توفيق باشا نظارتى الحربية والأوقاف ثم استقال واعتزل العمل حتى ولى رياسة النظار قبيل الثورة العرابية فلما اضطرمت نيرانها خب فيها ووضع ، ثم حكم عليه بعد انقضائها بالنفى إلى جزيرة سرنديب (سيلان) فبقى بها ١٧ سنة ثم أذن له بالقدوم إلى مصر ، وبقى فى منزله كفيفًا يشتغل بالأدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢ هـ .

(٤٣) ويك : عجبا لك . مثوى : مقام . لا يسامى : لا يفاخر ولا يبارى . النبوغ : مصدر نبغ الشىء أى ظهر وعظم شأنه . مقيل : اسم مكان من قال يقيل قيلا وقيلولة ومقيلا أى نام فى القائلة وهى الظهيرة .

(٤٤) الكنز : المال المدفون . الفراعين : جمع فرعون وهو لقب ملوك مصر الأقدمين وأرض الفراعنة هى الأراضى المصرية . اللابتان : مثنى لابة وهى الحرة أى الأرض ذات الحجارة السود ، وفى الحديث «أنه عليه الصلاة والسلام حرم ما بين لابتى المدينة» أى حرتيها اللتين تكتنفانها ، والشاعر يريد بلابتى أرض الفراعنة حدودها التى تحيط بها .

فِيكَ سِرٌّ الْجَلالِ وَالْخَطْبُ فِيهِ   كَانَ يَا قَبْرُ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلاَ(٤٥)

ضُمَّهُ ضَمَّةَ الْكَمِيِّ حُسَامًا   تَرَكَ النَّصْرُ حَدَّهُ مَفْلُولاَ(٤٦)

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ يَفْتَرِشُ التُّرْ   بَ وَقَدْ كَانَ لِلسِّماكِ رَسِيلاَ(٤٧)

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ لَوْ كَانَ يُجْدِي   لَهْفَ نَفْسِي أَوْكَانَ يُغْنِي فَتِيلاَ(٤٨)

كُنْ عَلَيْهِ يا قَبْرُ رُوحاً وَرَيْحَا   ناً وَمَثْوًى رَحْباً وَظِلاً ظَلِيلاَ(٤٩)

لَمْ يَمُتْ مَنْ يَزُولُ مِنْ عَالَمِ الْحِسِّ   وَتَأْبَى آثارُهُ أَنْ تَزُولاَ(٥٠)

---

(٤٦) الكمى : الشجاع المتكى فى سلاحه أى المتغطى المستتر بالدرع والبيضة . الحسام : السيف القاطع . مفلول : متكسر .

(٤٧) السماك : نجم نير من نجوم السماء وهما سماكان : السماك الأعزل والسماك الرامح . رسيل الرجل : من يباريه فى نضال أو غيره ، وهذا رسيلك الذى يراسلك الغناء أى يباريك فى إرساله .

(٤٨) يجدى : يغنى وينفع . الفتيل : ما يكون فى شق النواة يضرب به المثل فى التفاهة والضآلة .

(٤٩) الروح : الرحمة والراحة . الريحان : كل نبات طيب الريح . مثوى : مقام أى مكان ثواء وهو الإقامة . رحب : واسع . ظل ظليل : دائم .

الفخرُ

من قصيدة (سنة ١٩٠٠ م).

طَرِيقُ الْعُلاَ وَعْرٌ مَطِيَّتُهُ الْجِدُّ ... وهَلْ يَعْتَلِي مِنْ غَيْرِهِ الْبَطَلُ الْفَرْدُ؟[١]

إِذَا وَهَنَتْ فِيهِ الْقِلاصُ وَأَدْبَرَتْ ... فَذاكَ شَدِيدُ الْحَوْلِ مُحْتَمِلٌ جَلْدُ[٢]

يَخُبُّ فَلاَ الأَخْطارُ تَلْوى زِمامَهُ ... وَلَا عَنْ بَعيد الْقَصْدِ يُقْعِدُهُ الْجَهْد[٣]

* * *

سَئِمْتُ حَيَاتِى بَيْنَ قَوْمٍ فَضَائِلِى ... لَدَيْهِمْ يُغَطِّيها التَّدَابُرُ وَالْحِقْد[٤]

إِذَا ما بَدَتْ تَرْنُو إِلَيْهِمْ فَضِيلَةٌ ... تَصَدَّى لَهَا نَذْلٌ وَكَرَّ لَهَا وَغْدُ[٥]

إِذَا كَانَ عَيْبِى بَيْنَهُمْ أَنَّنِى فَتًى ... صَغِيرٌ وَشَعْرِى بِالشَّبِيبَة مُسْوَدُّ[٦]

فَمَهْلاً أَنَا النَجْمُ الَّذِى يُبْصِرُونَه ... صَغِيرًا وَيُخْفِى قَدْرَهُ عَنْهُمُ الْبُعْدُ[٧]

---

(١) الوعر : الصعب . المطية : ما يركب من الدواب ونحوها . الجد : الاجتهاد .

(٢) وهنت : ضعفت . القلاص : جمع لقلوص، وهى الناقة الشابة القوية على السير . ودبرت الدابة وأدبرت : أصابها الدبر وهو تقرّح أرجلها من طول السير ووعورة الطريق . الحول : القوة . جلد : صلب شديد قوى صبور .

(٣) يخب : يسرع فى سيره ، الخبب : ضرب من العدو . الأخطار : جمع خطر وهو الاشراف على الهلاك . تلوى : تثنى وتميل . الزمام : المقود وهو الحبل الذى يقاد به البعير ونحوه ، ولى الزمام : كناية عن ثنى السائر وصرفه عن غايته . القصد : المقصد والمطلب . الجهد : المشقة .

إِذا صالَ عَزْمِي فَهُوَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ ... لَهُ الْحِلْمُ وَالْإِغْضاءُ مِنْ خُلُقِي غِمْدُ[8]

تَمُدُّ الْمَعالِي نَحْوَ مَجْدِي رِقابَها ... وَجُذَّتْ إِذَا كَانَتْ لِغَيْرِيَ تَمْتَدُّ[9]

سَتَنْدُبُنِي الْفُصْحَى إِذَا مِتُّ قَبْلَها ... وَماتَ الَّذِي فِي النَّاسِ لَيْسَ لَهُ نِدُّ[10]

إِذَا قَلَّ مالِي فَالْقَنَاعَةُ ثَرْوَتِي ... وَماكُثْرُ قَوْمٍ ما وَرَى لَهُمُ زَنْدُ؟[11]

وَرُبَّ غَنِيٍّ فِي احْتِيَاجٍ إِلَى يَدٍ ... تَرُوحُ بِما يَحْوِي مِنَ الْمالِ أَوْ تَغْدُو[12]

أَرَى الْمَالَ مِثْلَ الْماءِ يَخْبُثُ رَاكِداً ... وَيُزْكِيهِ الاسْتِعْمالُ وَالْأَخْذُ والردُّ[13].

وَكَيْفَ يُفِيدُ الْمالُ وَهْوَ بِحِرْزِهِ ... يُحِيطُ بِهِ سُورٌ وَيَحْجُزُهُ حَدُّ؟[14]

وَهَلْ قَطَعَ الصَّمْصَامُ فِي جَوْفِ غِمْدِهِ ... وَهَلْ طَابَ نَشْراً قَبْلَ إِحْرَاقِهِ النَّدُّ؟[15]

---

(٨) صال : وثب وسطا . العزم : الارادة القوية القاطعة . السيف المهند : المطبوع من حديد الهند ، أو هو المشحوذ القاطع . الحلم : الاناة والوقار . الاغضاء : إدناء الجفون وسد الطرف والسكوت على الشيء .

(٩) المجد : العز والشرف . جذت : قطعت .

(١١) الكثر : المال الكثير . وورى الزند يرى وريا : خرجت ناره . الزند : العود الذى تقدح به النار . «وما ورى لهم زند» كناية عن بخلهم وقلة نفعهم .

(١٢) الغدو فى الأصل : الذهاب والانطلاق وقت الغدوة فى أول النهار ، والرواح ضد الغدو وهو الرجوع فى آخر النهار ، والمراد بالغدو والرواح هنا السعى فى تثمير المال والنفع والانتفاع به .

(١٤) الحرز : المكان الذى يحفظ فيه الشيء .

(١٥) الصمصام : السيف الصارم الذى لا ينثنى . النشر : الرائحة الطيبة . النّد : نوع من الطيب ، أو هو عود يتبخر به .

اللغة العَربيـة وَدَار العُلوم

أهدى الشاعر هذه القصيدة إلى صحيفة دار العلوم فى سنة ١٩٣٤ م لتنشر فى أول جزء من أجزائها .

يـا ابنـةَ السـابقين من قَـحْطـانٍ ! وتُـراثَ الأمجادِ من عَـدْنـانٍ ! (١)

أنتِ عـلّـمْـتِنِى الـبـيـان فما لى كلّما لُحْتِ حار فيكِ بيانى ؟ (٢)

رُبَّ حُسْنٍ يعوق عن وَصْفِ حُسْنٍ وَجَمالٍ يُـنْسى جَمالَ الـمَـعَـانى (٣)

كنْتُ أشْدو بَيْنَ الطُّيورِ بِذِكْرا كِ فـتـعـلـو ألْـحَـانَـها ألحانى (٤)

وأصوغُ الشِّعرَ الذى يَفْرَعُ النَّجْـــمَ وتُصْغِى لِجَرْسِهِ الشِّعْرَيانِ (٥)

يـا ابنـةَ الضَّادِ أنتِ سرٌّ من الْحُسْـــنِ تجلَّى عَلَى بَنِى الإنسان (٦)

كـنتِ فى الْقَفْرِ جَنَّةً ظلَّلَتْها حـالِـيـاتٌ من الْغُصونِ دَوانى (٧)

لغةُ الفنِّ أنتِ والسحْرِ والشِّعْـرِ ، ونُورُ الْحِجَا ، وَوَحْىُ الْجَنَانِ (٨)

رُبَّ جَيْشٍ من الْحَديدِ تَوَلَّى واجِفَ القلبِ مِن حَديدِ اللِّسانِ (٩)

وبـيَـانٍ بَـنَـى لِصـاحِـبِـه الْـخُـلْـدَ مُطِلاًّ مِنْ قِـمَّـةِ الأزمـان (١٠)

---

(١) ابنة السابقين : يريد اللغة العربية . قحطان : أبو العرب العاربة . تراث : ميراث الأمجاد : جمع ماجد . الكريم الشريف . عدنان : أبو العرب المستعربه .

(٥) فرع القوم : علاهم بالشرف أو الجمال . الجرس : الصوت . الشعرى : كوكب وهما شعريان . تزعم العرب أنهما أختا سهيل .

(٦) ابنة الضاد : اللغة العربية .

(٧) القفر : المفازة لانبات بها . الغصون الحاليات الدوانى : أى المتحلية بالثمر القريبة القطوف .

وقصيدٍ قد خفَّ حتَّى عَجِبْنا   كَيفَ نالَتْهُ كِفَّةُ الأَوْزانِ ! [١١]

* * *

بلغ العُرْبُ بالبلاغَةِ والإسْـلامِ أَوْجًا ، أعْيَا عَلَى كَيْوانِ [١٢]

لَبِسوا شَمْسَ دَوْلةِ الفُرْسِ تاجاً   ومَضَوْا فى مَغافِرِ الرومان [١٣]

وجَرَوْا يَنْشرون فى الأرْضِ هَدْيًا   مِنْ سَنا العِلْمِ أو سَنا القُرآن [١٤]

لا تَضِلُّ الشُعُوبُ مِصْباحُها العِلْمُ ، يُؤاخِيه راسِخُ الإيمانِ [١٥]

فإذا أُطْفِئَ السِّراجُ فَمَيْنٌ   وضَلالٌ ما تُبْصِرُ العَينان ! [١٦]

أينَ آلُ العبَّاسِ رَيحَانَةُ الدهْرِ ، وأينَ الكِرامُ مِنْ مَرْوانِ ؟ [١٧]

خَفَتَ الصَوْتُ ، لا البِلادُ بِلادٌ   يَوْمَ بانوا ، ولا المَغانِى مَغَانى ! [١٨]

أزهرتْ فى جِباهِمُ الضادُ حِينًا   وذَوَتْ بَعْدَهُمْ لِغَيْرِ أَوان [١٩]

إنْ أصاختْ ، فالقَوْلُ غيرُ فَصِيحٍ   أَوْرَنَتْ ، فالوُجوهُ غيرُ حِسان [٢٠]

فمضتْ نحوَ مِصرَ مِثْلَ قَطاةٍ   فَزَّعَتْها كَوَاسِرُ العِقْبان [٢١]

يكْدُرُ العَيْشُ مرةً ثم يَصْفو   كَمْ لِهَذِى الحَياةِ مِنْ أَلْوانِ ! [٢٢]

ثم هَبَّت زَعازِعٌ تَرَكَتْها   بَيْنَ مُرِّ الأسَى ، وذُلِّ الهَوانِ [٢٣]

وإذا نَهْضَةٌ تَدِبُّ بِمِصْرٍ   كَدَبِيبِ الحَياةِ فى الأبْدان [٢٤]

---

(١٣) كانت الشمس رمزًا لتاج الفرس ، المغافر : جمع مغفر كمنبر.

(١٤) الهدى : الرشاد . السنا : النور .

(١٦) المين : الكذب .

(١٧) الريحانة : طاقة الريحان وهو نبت طيب الرائحة .

(١٨) بانوا : فارقوا وارتحلوا . المغانى : جمع مغنى المنزل غنى به أهله .

(٢٠) أصاخ له : استمع . رنا رنوا : أدام النظر بسكون الطرف .

(٢١) القطاة : طائر . فزعه : أخافه . العقاب : طائر والجمع عقبان ، والكاسر من الطير كالمفترس من الحيوان ، كسر الطائر كسرًا وكسورا ضم جناحيه يريد الوقوع .

(٢٣) الزعازع : الشدائد من الدهر . الأسى : الحزن . الهوان : من هان هونا وهوانا ومهانة أى ذل .

(٢٤) تدب : تسير ببطء .

وإذا الـيَوْمُ بـاسـمٌ ، والـلـيـالى مُشْرِقاتٌ ، والدَهْرُ مُلْقِى العِنان(٢٥)
وإذا الضَـادُ تَسْـتَـعِـيـدُ جَمالاً كادَ يَقْضِى عَلَيْه رَيْبُ الزَمانِ(٢٦)
نزلتْ فى حِمَى فُؤادٍ فأضْحَتْ مِنْ أَيـاديـه فى أعـزِّ مَكان(٢٧)
مَـلِكٌ شـادَ لِـلْـكِـنـانـةِ مَـجْدًا فَسَمَتْ باسْمِهِ عَلَى البُلْدان(٢٨)
كُـلَّ يَوْمٍ يَـمُـدُّ لِـلْعِلْـمِ كفًا خُـلِـقَتْ لـلْوَفـاء والإحْسـان(٢٩)

* * *

إنّ دارَ الـعُـلُـومِ بِـنْـيَـةَ إسما عيلَ تُزْهَى بِه عَلَى كلِّ بانِ(٣٠)
مَنْ يُسـامِى أبـا المواهِبِ وَالأشْـبـالِ فى فَيْضِ جُودِهِ أو يُدانى ؟(٣١)
هى فى مِصْرَ كَعْبَةٌ بَعَثَ الشَرْ قُ إلـيْـهـا طوائِفَ الرُّكْبان(٣٢)
قد أعادتْ عَهْدَ الأعاريب فى مِصْـرَ إلى ناعمٍ من العَيْشِ هانى(٣٣)
وأظـلَّتْ بِـنْتَ الـفَـدافِـدِ والـبِـيـدِ بِـأفْـيـاء دَوْحِـهـا الـفَـيْـنـان(٣٤)
دَرَجَتْ بَـيْـنَ فِـتْـيَـةٍ وشُـيُوخٍ كلُّهُمْ يَنْتَمِى إلَى سَحْبانِ(٣٥)
وأَطَـلّتْ من الـخـبـاء عَـلَـيْهِمْ فَسَبَـتْـهُـمْ بِسِحْرِها الفَتّانِ(٣٦)
فُتِنوا بـالـعُذَيْبِ والسَّفْحِ والـجِزْ عِ ووادِى العَقِيقِ والصمَّانِ(٣٧)
يـتـلـقَّوْنَ وَحْـيَـهـا كُـلَّ حِـيـنٍ ويـنـاجُون طَـيْـفَـهـا كُلَّ آنِ(٣٨)

---

(٢٥) الدهر ملق العنان : كناية عن الخضوع والانقياد ـ العنان : سير اللجام .
(٢٦) ريب الزمان : صَرْفه .
(٣١) يساميه : يباريه ويفاخره .
(٣٣) الأعاريب جمع أعراب : سكان البادية .
(٣٤) بنت الفدافد والبيد : اللغة العربية . الفدافد : جمع فدفد ، والبيد : جمع بيداء ، وكلاهما بمعنى الفلاة . أفياء : جمع فىء ماكان شمسًا فينسخه الظل . الدوح مفرده دوحة : الشجرة العظيمة . الفينان : الحسن الشعر الطويله .
(٣٥) درج : مشى ، ويريد نشأت . فتية وشيوخ : رجال دار العلوم من طلاب وأساتذة . سحبان : بليغ يضرب به المثل .
(٣٦) أطلت عليهم : أشرفت . الخباء : من الأبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر . سبتهم : أسرتهم .
(٣٧) فتنوا بالشىء : أعجبوا به . العذيب والسفح والجزع ووادى العقيق والصمان : أمكنة ببلاد العرب .

ويُغَنُّونَ باسمِها مثلَ ما غَنَّى زُهَيْرٌ بسيرةِ ابْنِ سِنانِ[٣٩]
نثرتْ دُرَّها الفَريدَ فكانوا أسْرَعَ الناسِ فى الْتِقاطِ الجُمانِ[٤٠]

* * *

رُبَّ شَيْخٍ أفنَى سَوادَ الليالى ساهِدَ العَيْنِ جاهِدًا غَيْرَ وانى[٤١]
مِنْ بُحُوثٍ، إلَى كتابةِ نَقْدٍ ثُمَّ مِنْ مُعْجَمٍ إلَى دِيوان[٤٢]
يَقْنِصُ الآبِداتِ عَزَّتْ عَلَى الصيَّدِ، فماسَتْ بَيْنَ الرُّبا والرِّعانِ[٤٣]
سارِحاتٍ كأنّها قِطَعُ الوَشْيِ، يُطَرِّزْنَ سُنْدُسَ القِيعان[٤٤]
إنْ تسمَّعْنَ نَبْأَةً غِبْنَ فى الريحِ، كَسِرٍّ يُصانُ بالكِتْمان[٤٥]
فإذا ما أَمِنَّ يَخْرُجْنَ أرْسا لاً، كَخَيْلٍ نَشِطْن من أرْسانِ[٤٦]
كلُّ جُزْءٍ فى جِسْمِهِنَّ له عَيْنٌ على الشرِّ، أو له أُذُنانِ[٤٧]
لم يَزَلْ صاحبى يُعالِجُ مِنْهُنَّ نِفارًا مُسْتَعْصِياً، ويُعانِى[٤٨]
فى فَلاةٍ لاتَحْمِلُ الريحُ فيها غَيْرَ رَنَّاتِ قَوْسِهِ المِرْنانِ[٤٩]
كلّما طارَ خَلْفَهُنَّ تَسَرَّبْنَ هَباءً، فى غَيْهَبِ النسْيانِ[٥٠]
فتراهُ حِيناً كما وَثَبَ اللَّيْثُ، وحِيناً يَنْسابُ كالأُفْعُوانِ[٥١]

---

(٣٩) ابن سنان : هو هرم بن سنان كان جوادًا كريمًا أولع بمدحه زهير بن أبى سلمى ، وزهير شاعر جاهلىّ أجاد الحكمة مع الصدق وعدم المبالغة والسهولة .

(٤٠) الجمان : اللؤلؤ واحده جمانة .

(٤٢) بحوث : جمع بحث .

(٤٣) يقنص : يصيد . الآبدات : الشاردات من الوحش . ماست : تبخترت . الربا : جمع ربوة ما ارتفع من الأرض . الرعان : جمع رعن ـ أنف يتقدم الجبل .

(٤٤) سارحات : مطلقات . الوشى : النقش . التطريز : نقش الثوب ـ القيعان : جمع قاع أرض سهلة مطمئنة .

(٤٥) النبأة : الصوت الخفى .

(٤٦) الارسال : جمع رسل ـ القطيع من كل شى . الأرسان : جمع رسن ـ الحبل .

(٤٨) النفار : النفور والشرود .

(٤٩) المرنان : ذات الرنين عند شدّ وترها .

(٥٠) الغيهب : الظلام .

(٥١) الأفعوان : ذكر الأفاعى .

وهى تلهو به ، فأنّا تُجافيه ، وأنّا تُمْلِى له فتُدانى (٥٢)

مرةً فى مدَى يَدَيْه ، وأُخْرَى ما له باقْتِناصِهنَّ يَدانِ (٥٣)

لم يَقِفْ نادماً يُقَلِّبُ كَفَّيْه ، فعالَ الْمُجَوَّفِ الْحَيْرانِ (٥٤)

ثم كانتْ عَواقِبُ الصَبْرِ أنْ ذَلَّتْ له الشَارِداتُ بَعْدَ الحِران (٥٥)

مَلَّكَتْهُ أعْناقَها فى خُضوعٍ وَحَبَتْه قِيادَها فى لَيان (٥٦)

رُبَّ شِعْرٍ لَه يُرَدِّدُه الدهْرُ ، فتُصْغِى مَسامِعُ الأكوان (٥٧)

يَتَمَنَّى الربيعُ لو تَخِذَتْ مِنْهُ حُلاها ذَوائِبُ الأغْصان (٥٨)

من بَناتِ الخَيالِ لو كان يُسْقَى لَعَدَدْناه من بَناتِ الدِّنان (٥٩)

ردَدَتْه القِيانُ يُكْسِبْنَهُ حُسْناً ، فأرْبَى عَلَى جَمالِ القِيانِ (٦٠)

قد أثارَ الغُبارَ فى وَجْهِ مَيْمُونٍ ، وَعَفَّى عَلَى فَتَى ذُبْيان (٦١)

* * *

شيخةَ الدارِ ، أنْتُمُ خَدَمُ الفُصْحَى وحُرَّاسُ ذلكَ البُنْيانِ (٦٢)

لَبِسَتْ جِدَّةَ الصبَّا فى ذراكُمْ وغَدَتْ من حُلاه فى رَيْعان (٦٣)

---

(٥٢) تجافيه : تبتعد عنه . تملى له : أى تمد له فى أسباب الأمل .

(٥٣) مرة فى مدى يديه : أى فى مقدوره . وأخرى ما له باقتناصهن يدان : أى ليس له قدرة على اقتناصهن .

(٥٤) المجوف : من لا قلب له . فعال : أى فعل .

(٥٥) ذلت : خضعت . الحران : مصدر حرنت الدابة فهى حرونٍ (بابه نصر) وهى الدابة التى اذا اشتد جريها وقفت .

(٥٦) اللبان : اللين والطاعة .

(٥٨) ذوائب الأغصان : ما تدلى منها .

(٥٩) بنات الدنان : الخمر والدّنان : جمع مفرده دن وعاء الخمر .

(٦٠) القيان : جمع قينة الجارية المغنية .

(٦١) أثار الغبار فى وجه ميمون : سبقه ، ويريد بميمون الأعشى . شاعر جاهلى كان العرب يتغنون بشعره ، لم يمدح أحدًا إلا رفعه ، أراد الوفود على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولكنه مات قبل الوصول اليه . وفتى ذبيان : هو النابغة الذبيانى ، كان يضرب له قبة بعكاظ ليحكم بين الشعراء ، مدح النعمان بن المنذر . وكان بارعًا فى الوصف .

(٦٣) جدة الصبا : جديده . الذرا : الظل والكنف . ريعان كل شىء : أوله وأفضله .

غَيْرَ أنَّ الحياةَ تَعْدُو ، ولا يُدْ رِكُ فِيها طِلاَبَهُ الْمُتَوانِي[٦٤]
سابِقوها بالدِينِ والْخُلُقِ السَّمْحِ وصِدْقِ الوَفاءِ للإِخْوان[٦٥]
سابِقوها بالْجِدِّ ، فالْجِدُّ والمَجْدُ - كما شاءتْ العُلا - تَوْءمان[٦٦]
ذَلِّلوا للشَبابِ مُسْتَعْصِيَ الفُصْحَى ، فإنَّ الرَجَاءَ فى الشبّان[٦٧]
وانْثُروها قَلائداً وعُقُودا تَتَحَدى قَلائدَ العِقْيانِ[٦٨]

* * *

بَسَم الدهرُ أنْ رآكم بِناءً عَبْقَرِيًّا مُوَطَّدَ الأركان[٦٩]
كم رَجا الدهْرُ أنْ يُشاهدَ يَوْماً جَمْعكم سالمًا من الشَنَآن[٧٠]
إنَّما الكَفُّ بالبَنانِ ، ولا تُجْدِى فَتِيلاً كَف بغير بَنان[٧١]
جَمعتْكُمْ أواصِرٌ وصِلاتٌ طَهُرتْ من دَخائلِ الأضْغانِ[٧٢]
فاسلُكوا المَهْيعَ القَويمَ وسيروا فى شُعاعِ الْمُنَى وظِلِّ الأمانى[٧٣]
واشكُروا للوزير بِيضَ أياديه ، ومِدْرارَ فَيْضِهِ الهَتّان[٧٤]
يَبذُلُ الْخيْرَ فِطْرَةً ، ليس يَثْنيه عن الْخَيْر والصَنيعَةِ ثانى[٧٥]
هو ذُخْرُ الطُلاّبِ ، كم وجدوا فيه أماناً من طَارِقِ الْحَدَثان[٧٦]
يبْعَثُ الغَيْثَ والرجاءَ لقاصٍ ويَمُدُّ اليَمينَ بِرًّا لِدانى[٧٧]
كم له مِنَّةٌ عَلَى الضَادِ هَزَّتْ كُلَّ لَفْظٍ فيها إلَى الشكْرانِ[٧٨]

---

(٦٤) طلابه : طلبه .

(٦٨) قلائد العقيان : أى قلائد الذهب .

(٧٠) الشنآن : البغض والكراهة .

(٧١) البنان : الأصابع أو أطرافها . الفتيل : السحاة التى فى شق النواة . والمراد الشىء القليل جدا .

(٧٢) الأواصر : جمع آصرة ويراد بها الصلة . الأضغان : جمع ضغن الحقد .

(٧٣) المهيع : الطريق .

(٧٤) الهتان : الكثير الانصباب .

(٧٥) الصنيعة : المعروف والمنة .

(٧٦) طارق الحدثان : ما يصيب من نوب الدهر .

(٧٨) المنة : العطية .

سَعِدَ العِلْمُ واسْتَعَزَّ «بِحِلْمِى» وغَدَا دَوْحُهُ قريبَ المَجانى[٧٩]

سار مُسترشداً بِهَدْىِ مَلِيكٍ ما لَهُ فى أصَالةِ الرَّأْىِ ثانى[٨٠]

مَلِكٌ تَسْعَدُ البِلادُ بِنُعْمَا هُ ، وُيزْهَى بنورِهِ القَمَرانِ[٨١]

عاشَ للدينِ والمَكارِمِ والنُّبْلِ وَبَثٌّ الْحَياةِ والعِرْفانِ[٨٢]

ولْيَعِشْ للبِلادِ فاروقُ مِصْرٍ قُدْوَةَ الناهِضِينَ رَمْزَ الأَمانى[٨٣]

---

(٧٩) المجانى : جمع مجنى ما يجنى . حلمى : هو محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف فى ذلك الوقت .

(٨٠) أصالة الرأى : قوته وثباته .

(٨١) يزهى : يفتخر .

(٨٢) بث الحياة : نشرها .

ضِحكُ القَدَر

قال الشاعر هذه الأبيات سنة ١٩١٠ م حينما كان طالبًا بإنجلترا ، وقد زار « لندن » فى فصل الشتاء ، ومن العجيب بها أن الضباب يتكاثف أحيانًا فيحجب الأضواء ، ويجعل المدينة فى ظلام دامس ، وحينئذ يحار المبصر ويضل الطريق ، وقد يهدى العمى المبصرين فى هذه الحالة لاعتيادهم الضرب فى الأرض على أى حال .

أَبْصَرْتُ أَعْمَى فِي الضَّبَابِ بِلَنْدَنٍ ... يَمْشِي فَلَا يَشْكُو وَلَا يَتَأَوَّهُ[1]

فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ الْهِدَايَةَ مُبْصِرٌ ... حَيْرَانُ يَخْبِطُ فِي الظَّلَامِ وَيَعْمَهُ[2]

فَاقْتَادَهُ الْأَعْمَى فَسَارَ وَرَاءَهُ ... أَنَّى تَوَجَّهَ خَطْوُهُ يَتَوَجَّهُ[3]

وَهُنَا بَدَا الْقَدَرُ الْمُعَرْبِدُ ضَاحِكًا ... وَمَضَى الضَّبَابُ وَلَا يَزَالُ يُقَهْقِهُ ![4]

---

(٢) يخبط الأرض فى الظلام : يسير فيها على غير هدى . يعمه : يتحيّر ويتردّد .

الجامعة المصرية

ألقيت فى احتفال علمى رائع فى سنة ١٩٣٢ م ، احتفالا بافتتاح الجامعة المصرية .

دَعوْتُ بَيانِى أن يفيضَ فأسْعدَا ... وَنادَيْتُ شِعرى أن يُجيبَ فغرَّدا [١]

وأبْدعْتُ نَظْماً كالرَّبيع مفوَّفاً ... يُجَمِّلُ عَصْرًا كالشَّبابِ مُجدَّدا [٢]

وما الشِّعرُ إلاَّ تَرْجُمانٌ مُخلِّدٌ ... يَقُصُّ على الأجْيالِ مَجدًا مُخلَّدا [٣]

فَلَولا السَّجَايا الغُرُّ ما قال قَائِلٌ ... ولولا « فؤادٌ » ما غَدَا النِّيلُ مُنْشِدَا [٤]

فَسَلْسَالهُ أضْحَى بِنُعْمَاهُ كَوْثَرًا ... وقِيعَانُه أمسَتْ بِمَسْعاه عَسْجَدا [٥]

مَليكٌ حَبَتْه مِصرُ مَحْضَ وَلائِها ... صَمِيماً ، وأوْلَى مِصرَ عِزًّا وسُودَدا [٦]

أصالَةُ عَزْمٍ أخْجَلَتْ كلَّ صَارِمٍ ... مِنَ البيضِ ، حتّى خاف أنْ يَتجرَّدا [٧]

وَرأْىٌ كَوَجْهِ الصُّبْحِ ما ذَرَّ نُوره ... على مُدْلَهِمِّ الْخَطْبِ حتّى تَبَدَّدا [٨]

ووَجْهٌ كأنوارِ اليَقِينِ رَأيْتُه ... فأبْصَرتُ فيه المجْدَ والنُّبْلَ والنَّدَى [٩]

أَلَمْ يُعْلِ صَرْحَ العِلْمِ شُمًّا قِبَابُه ... تُطَاوِلُهَا زُهْرُ الكواكِبِ حُسَّدًا ؟ [١٠]

---

(٢) مفوفا : فيه خطوط بيض .

(٤) السجايا : جمع سجية وهى الخلق . الغرّ : جمع غرّاء أى بيضاء .

(٥) السلسال : الماء العذب . النعمى : اليد البيضاء الصالحة . الكوثر : نهر فى الجنة يتفجر منه جميع أنهارها .
القيعان : جمع قاع وهو الأرض المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . العسجد : الذهب .

(٨) ذر : طلع وأشرق . الخطب : الأمر . المدلهم : الشديد الظلمة .

(١٠) الصرح : البناء العالى . شمّا : جمع شمّاء أى مرتفعة . زهر : جمع أزهر وهو المتلألئ .

فَمِنْ مَعْهَدٍ يُبْنَى على إثْرِ مَعْهَدٍ ... إلى أنْ غَدَتْ أرضُ الكِنانةِ مَعْهَدًا ! (١١)

* * *

زُهِينَا على الدُّنيا بجامِعَةٍ غَدَت ... حَدِيثاً بأُذْنِ الشَّرْقِ حُلْوًا مُرَدَّدا (١٢)

تُرِدُّ الشَّبابَ الغَضَّ حَزْماً وَحِكْمَةً ... وتَصْقُلُه صَقْلَ القُيونِ المُهَنَّدا (١٣)

تُزَوِّدُهُ التَّوفيقَ فى كلِّ مَطْلَبٍ ... وَمَنْ طَلَبَ العِلْمَ الجليلَ تَزَوَّدا (١٤)

غَدَتْ دَوْحَةً فَيْنَانَةً حُلْوَةَ الْجَنَى ... بَعيدَةَ مَدِّ الظِّلِّ فَيَّاحَةَ المَدَى (١٥)

غَرَسْتَ وهذا فضلُ ما قد غَرَسْتَه ... وهذا هوَ الغُصْنُ الذى كان أمْلَدا (١٦)

تَعَهَّدْتَه كالزَّارِعِ الطَّبِّ نَوْمُه ... غِرَارٌ إلى أن يُبْصِرَ الزَّرْعَ أحْصَدا (١٧)

بكَفٍّ من الإحْسانِ وَالرِّفْقِ صُوِّرَتْ ... وعَيْنٍ تَرَى فى يَوْمِها ما تَرَى غَدَا (١٨)

كَذلكَ ابنُ اسماعيلَ يَنْتَهِبُ المُنَى ... دِرَاكًا ، ويَمْضِى لِلْمَحامِدِ مُصْعِدَا (١٩)

وَيُدْرِكُ ما يُعْيِى الْجَحَافِلَ وَحْدَهُ ... وَيَبْلُغُ شَأْوًا يُعْجِزُ الْجَمْعَ مُفْرَدا (٢٠)

وَيَسعى إلى أنْ يُذْهِلَ النَّجْمَ سَعْيُه ... ويَبْذُلُ حَتى يُدْهِشَ الْجُودَ وَالْجَدا (٢١)

ويَرْقُبُ رَبَّ العَرْشِ فِيما يُرِيدُه ... ويَنْصُرُ دِينَ الْحَقِّ والنُّورِ والهُدَى (٢٢)

إذا مَا انْتَهَى مِنْ مَقْصِدٍ لانَ صَعْبُه ... دعاهُ هَوَى مِصرٍ فجدَّدَ مَقْصِدا (٢٣)

رُوَيْدَكَ أجهَدْتَ المؤَرِّخَ ! ما وَنَى ... ولا فارَقَتْ يَوْماً يَرَاعَتُه اليَدَا (٢٤)

هَزَزْتَ إلى التَّأليفِ كُلَّ مُبَرِّزٍ ... أديبٍ إذَا مَا أرْسَلَ الفِكْرَ سدَّدا (٢٥)

---

(١٣) ترد : تصير. الغض : الناضر. الحزم : ضبط الأمور والأخذ فيها بالثقة . الحكمة : العلم بحقائق الأشياء . تصقله : تجلوه . القيون : جمع قين وهو الحداد وصانع السيوف . المهنّد : السيف المشحوذ .

(١٦) الأملد : من الغصون الناعم اللين .

(١٧) الطبّ : الماهر الحاذق بعمله . الغرار : القليل . أحصد : أى حان أن يحصد .

(١٩) المنى : جمع منية ، وهى الأمنية . الدراك : اللحاق السريع . المحامد : جمع محمدة وهى الخصلة يحمد عليها . مصعدًا : اسم فاعل من أصعد فى الأرض إذا مضى ، والمراد المضى فى ارتفاع .

(٢١) يذهل : يدهش . الجدا : العطية .

(٢٢) رب العرش : الله سبحانه وتعالى . يرقب أى ينتظر جزاءه وثوابه فيما يعمل .

(٢٣) مقصد : مطلب من مطالب الخير للبلاد .

(٢٥) هززت : حركت ونشطت . المبرز : من يفوق أصحابه فضلا .

فَفَاضَتْ بِجَدْواكَ العقولُ وَبلَّلَتْ ... بمصْرَ ظماءً كان حَرَّقَها الصَّدَى (٢٦)

فَفِى كُلِّ يومٍ لِلْعُلُومِ مُجَلَّدٌ ... حَقيقٌ بما أسْدَيْتَ يَتْلُو مُجلَّدا (٢٧)

سَلوا مكْتَباتِ الْعِلْمِ تَنْطِقُ كُتْبُهَا ... بآثَارِ مَجْدٍ يَنْتَمِينَ لأَحْمَدَا (٢٨)

وَمَنْ يَبْنِ فَوْقَ العِلمِ وَالعدلِ مُلكَه ... رَفيعاً ، فَقَدْ أرسَى الأساسَ وَوطَّدا (٢٩)

بَهرْتَ رِجالَ العلمِ فى الغَرْبِ فَانْثَنَوْا ... إلِيكَ يَسوقونَ الثَناءَ المَنَضَّدا (٣٠)

وأَوْلَوْكَ أَلْقَابًا نَواصِعَ كَالضُّحاَ ... ضِخامًا على آثارِ فَضْلِكَ شُهَّدا (٣١)

وَأصبحتَ رَمْزًا عالَمِيًّا سَعتْ له ... جَهابِذُ أهلِ الأرضِ مَثْنَى وَمَوْحَدا (٣٢)

فِخَارًا أبا الفارُوقِ لم يَبْقَ مَنْهَجٌ ... إلى العلمِ إلاّ صار سَهْلاً مُعَبَّدا (٣٣)

تَطَلَّعتِ الآمالُ شرْقًا وَمَغْرِبًا ... فَلم تَجدِ الآمالُ إلاّكَ مَعقِدا (٣٤)

وحامَتْ قُلوبُ الشَّعبِ حَولكَ مِثْلمَا ... تَحومُ عِطَاشُ الطَّيْرِ أَبْصَرنَ مَوْرِدا (٣٥)

فَعِشْ لِبنِى مِصرٍ غِيَاثًا وَرحمةً ... فَآمالُهمْ فى أن تَعيشَ وَتَسْعَدا (٣٦)

وَعاشَ وَلِىُّ العهدِ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ... وَدامَ مِنَ اللهِ العزيزِ مُؤَيَّدا (٣٧)

---

(٢٦) الصدى : ألعطش . الجود : العطية . الظماء : جمع ظمآن وهو العطشان .

(٣٠) المنضد : ما كان بعضه فوق بعض .

(٣٢) الجهابذ : جمع جهبذ بالكسر وهو النقّاد الخبير .

(٣٥) المورد : مكان الماء . حام الطير على الشىء : دوّم .

(٣٦) غياث : إغاثة ومعونة .

(٣٧) قرّة أعين : من قرت العين تقر بالكسر والفتح قرة بالفتح والضم بردت وانقطع بكاؤها أو رأت ما كانت متشوقة إليه ، والقرة : ما قرت به العين .

العروبة

ألقيت هذه القصيدة بمؤتمر الثقافة العربي الأول والذى أقامته جامعة الدول العربية بلبنان عام ١٩٤٧ م .

لُبنانُ روضُ الهوى والفنِّ لُبنانُ ... الأرضُ مسكٌ ، وهمسُ الدوحِ الحانُ[1]
هل الحِسانُ على العهدِ الذى زعمت ؟ ... وهل رِفاقٌ شبابى مثلَما كانوا ؟[2]
أين الصبا ؟ أين أوتارى وبهجتُها ؟ ... طوت بساط لياليهنَّ أزمانُ[3]
أرنو لها اليومَ والذكرى تُؤرِّقنى ... كما تنبَّه بعد الحُلمِ وسنانُ[4]
هَبْنِى رجعتُ إلى الأوتارِ رنَّتَها ... فهل لَشرْخِ الصبا واللهوِ رُجْعانُ ؟[5]
لا الكأس كأسٌ إذا طاف الحباب بها ... بعد الشبابِ ، ولا الريحانُ ريحانُ[6]
ما للخميلةِ ؟ هل طارت بلابلُها ... وصَوَّحتْ بعد طول الزهْوِ أفنانُ ؟[7]
وهَل رياضُ الهوى ولَّت بشاشتُها ... وغادرتْ ضاحكَ النُّوارِ غُدرانُ ؟[8]
كم مَدَّ غصنٌ بها عينًا مشرَّدةً ... إلى قدودِ العذارى وهُو حيرانُ[9]

---

(١) مسك : طيب له رائحة ذكية . همس الدوح : حفيف الأشجار الخافت .
(٤) أرنو : أنظر . وسنان : نعسان .
(٥) شرخ الصبا : أوله . رجعان : رجوع وعودة .
(٦) الحباب : هو ما يعلو الكأس من فقاعات .
(٧) صوحت : جفت .
(٨) ولت : مضت وذهبت . بشاشتها : فرحتها وابتسامتها . غدران : جمع غدير .
(٩) مشردة : تائهة . قدود : قوام .

لقد رأى البانَ لا تسعَى به قدمٌ ... فيالدَهْشتِه لمّا مشى البَانُ[10]
غِيدٌ لها من شذَى لُبنانَ نفحتُه ... ومن مجانيه تُفّاحٌ ورمّان[11]
من نَبْعِه خُلِقَتْ، مابالُها صرفتْ ... سِرْبَ الشفاه الحيارَى وهو ظمآن؟[12]
عينان أسكرتا شعرى فإن عثَرَتْ ... به السبيلُ، فعذرًا فهو نشوان[13]
وطلعةٌ كخدودِ الزهرِ غازلها ... من الأصائِل أطيافٌ وألوان[14]
من الملائِك إلاّ أنها بشرٌ ... وأنَّ نظرتَها البَهماء شَيْطَانُ[15]

* * *

لله أيامُنا الأولَى التى سلفتْ ... وللصبابةِ مَيْدانٌ ومَيدان[16]
والحبُّ كالطير رَفّافٌ على فَنَنٍ ... له إلى الإِلْفِ تغريدٌ وتَحنان[17]
هيمانُ والماءُ فى لُبنانَ عن كَثَبٍ ... لكنّه بسوَى الأمواهِ هيمان[18]
بدت له جارةُ الوادى الخصيبِ ضُحًا ... كلُّ الأحبةِ فى لُبنانَ جيران[19]
فأرسل العينَ فى صمتٍ بلاغتُه ... بكلِّ ما قال فى دنياه سَحْبان[20]
وللعيُونِ أحاديثٌ بلاكلِمٍ ... وكم لها فى الهَوى شرحٌ وتبيان[21]
والحبُّ سِرٌّ من الفِرْدوسِ نَبْعَتُهُ ... وخيرُ ما يحفَظُ الأسرارَ كِتمان[22]
رنا لها فتمادتْ فى تَدلُّلِها ... العينُ غاضبةٌ، والقلبُ جذْلانُ[23]

---

(10) البان: غصن الشجرة الطرى.
(11) شذا: الرائحة الذكية النفّاذة. نفحته: رائحته. مجانيه: حصاده.
(12) نبعه: أصله. سرب: جماعة.
(13) عثرت: سقطت وكبت. نشوان: فرحان متمايل.
(14) طلعة: رؤية وجهه. أصائل: جمع أصيل وهو الوقت من بعد العصر إلى غروب الشمس. أطياف: أخيلة.
(15) البهماء: المبهمة.
(16) سلفت: مضت. الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
(17) رفاف: متحرك مرفرف. فنن: غصن: الألف: الأليف المحبوب.
(18) هيان: هائم عطشان. كثب: قرب.
(20) سحبان: هو سحبان بن وائل خطيب العرب وضرب به المثل فى الفصاحة.
(22) نبعته: أصله.
(23) رنا: نظر بطرف عينه. جذلان: فرحان.

وغطّتِ الوجهَ بالمِنْديلِ فى خَفَرٍ ... كما تَوارَى وراءَ الشكِّ إيمانُ[٢٤]
وأعرضتْ وإباءُ الغِيدِ لُعْبَتُها ... فكلّما اشتدّ عُنْفًا فهو إذعان[٢٥]
إنَّ العذارَى ـ حماك اللهُ ـ أحْجِيَةٌ ... بها النفورُ رضًا ، والحقُّ نُكْرانُ[٢٦]
هَزَزْتُ أوتارَ شعرى حول شُرْفَتِها ... كما ترنّم بالأسحارِ رُعْيانُ[٢٧]
شعرٌ من الله تلحينًا وتهْيِئةً ... لا النّاىُ ناىٌ ، ولا العيدانُ عِيدانُ[٢٨]
إذا شدا أنصتتْ أُذْنُ الوجودِ له ... وللوجودِ كما للناس آذانُ[٢٩]
شدا لها فرأى ليلُ الهوى عَجَبًا ... ولَهى يجاذبُها الأشواقَ ولهانُ[٣٠]
رَيّا حوت فتنةَ الدنيا غلائلُها ... يضمُّها شاعرٌ للغيد صَدْيانُ[٣١]
لانتْ لشعرى كما لانتْ معاطفُها ... والشعرُ سحرٌ له بحرٌ وأوزانُ[٣٢]
فتنتُها حينما همّتْ لتفتِنَنى ... والشعرُ للخفِراتِ البِيضِ فتّانُ[٣٣]
سلاحُها لحظُها الماضى وأسلحتى ... فَنٌّ يجرِّدُه للغزوِ فَنّانُ[٣٤]
كان الشبابُ شفيعى فى نضارته ... الزهرُ مؤتلِقٌ ، والعودُ فَيْنانُ[٣٥]
ماذا إذا لحتنى اليومَ فى كِبَرى ... وملءُ بُرْدَىَّ أسقامٌ وأشجانُ ؟[٣٦]
طويتُ من صَفَحاتِ الدهرِ أكثرَها ... وَعرَّقتنى تصاريفٌ وحِدْثانُ[٣٧]
إلى كتابٌ إلى الأجيال تقرؤهُ ... له التغنّى بمجدِ العُرْبِ عُنْوانُ[٣٨]

* * *

(٢٤) خفر : شدة الحياء . توارى : استتر واختفى .
(٢٥) إذعان : خضوع .
(٢٦) أحجية : ألغاز . النفور : البعد والجفاء .
(٣١) ريّا : بمعنى ناعمة . غلائلها : الملابس الشفافة الرقيقة . صديان : عطشان .
(٣٢) لانت : رقت وأطاعت . معاطفها : جوانبها .
(٣٣) فتنتها : سحرتها . الخفرات : شديدى الحياء .
(٣٤) لحظها : النظر بمؤخرة العين . يجرّده : يجرّد السيف من غمده أى يخرجه .
(٣٥) فينان : الحسن الطويل .
(٣٦) بردى : البرد كساء أسود تلبسه العرب .
(٣٧) عرقتنى . بمعنى أجهدتنى . تصاريف : نوائب ومكاره . حدثان : أحداث .

مجدٌ على الدهرِ مذ كانت أوائلُه ودولةٌ لبنى الفُصحى وسُلطَانُ [٣٩]

صَوَارِمٌ ريعت الدنيا لوثبتِها وحُطِّمتْ صَوْلَجاناتٌ وتيجان [٤٠]

الناسُ عندهُمُ أبناءُ واحدةٍ فليس فى الأرض ساداتٌ وعُبْدان [٤١]

تراكضوا فوقَ خيلٍ من عزائمهم لهم من الحقِّ أسْيافٌ وخُرْصان [٤٢]

وكلَّما هدموا لِلشركِ باذخةً أُقيم للدينِ والقِسْطاسِ بُنيان [٤٣]

فى السلم إن حكموا كانوا ملائكةً وفى لَظى الحرب تحتَ النقْعِ جِنَّان [٤٤]

أقلامُهم سايرتْ أسيافَ صولتِهم للسيفِ فتحٌ ، وللأقلامِ عِرفان [٤٥]

فأين مِن شرعِهم روما وما تركت ؟ وأين من علمهم فُرْسٌ ويونان ؟ [٤٦]

كانوا أساتذةَ الآفاقِ كم نهلتْ من فيضِهم أممٌ ظَمْأَى وبُلدانُ [٤٧]

كانوا يدًا ضمّت الدنيا أصابعُها ففرّقتْها حَزازاتٌ وأضغان [٤٨]

* * *

تنمرَّ الغربُ واحمرَّت مخالبُه وأرهفت نابَها للفتكِ ذُؤبان [٤٩]

ثاراتُ طارقِ الأولى تُؤَرِّقُهم وما لما تتركُ الثاراتُ نسيان [٥٠]

تيقّظ الليثُ ليثُ الشرقِ محتدمًا فارتجَّ منه الشرى واهتزَّ خَفَّان [٥١]

غضبانَ ردَّ إلى اليافوخِ عُفْرَتَه وَمَنْ يصاولُ ليثًا وهو غضبان ؟ [٥٢]

---

(٤٠) صوارم : قواطع . ريعت : فزعت . صولجانات : جمع صولجان وهو عصاة الملك .

(٤١) عبدان : عبيد .

(٤٢) تراكضوا : أسرعوا فى العدو : خرصان : الرماح .

(٤٣) الشرك : الكفر . باذخة : عالية . القسطاس : العدل .

(٤٤) لظى : نار ملتهبة النقع : الغبار . جنان : من الجن .

(٤٥) صولتهم : الشجاعة والاقدام .

(٤٦) شرعهم : منهجهم وطريقتهم .

(٤٧) الآفاق : النواحى . نهلت : أخذت وشربت . فيضهم : عطائهم .

(٤٩) ذؤبان : ذئاب .

(٥٠) طارق : هوطارق بن زياد الفاتح العربى المشهور .

(٥١) محتدما : هائجا غاضبا . ارتج : اهتز . الشرى : طريق كثير الأسود . خفان : الملك .

(٥٢) اليافوخ : المخ . عُفرته : بمعنى لبدة الأسد . يصاول : يهاجم .

لقد حَميْنا أباةَ الضيمِ حَوْزَتَنا   من أن تُباحَ ، ودِنَّاهُم كما دانُوا (٥٣)

* * *

بنى العروبةِ إنَّ اللهَ يجمعُنا   فلا يفرِّقُنا فى الأرضِ إنسانُ (٥٤)

لنا بها وطنٌ حرٌّ نلوذُ به   إذا تناءتْ مسافاتٌ وأوْطَانُ (٥٥)

غدا الصليبُ هلالاً فى توحُّدِنا   وجمّع القومَ إنجيلٌ وقرْآنُ (٥٦)

ولم نبالِ فُروقًا شَتَّتتْ أُممًا   عدنانُ غسّانُ أو غسّانُ عدنانُ (٥٧)

أواصرُ الدَّمِ والتاريخِ تَجمعُنا   وكلُّنا فى رِحابِ الشرقِ إخوانُ (٥٨)

* * *

قلبى وفيضُ دموعى كلّما خطرتْ   ذكرىَ فِلَسْطين خفّاقٌ وهتّانُ (٥٩)

لقد أعاد بها التاريخُ أنْدلُسًا   أخرى ، وطاف بها للشرِّ طوفانُ (٦٠)

ميراثُنا فى فتى حِطّينَ أين مضى ؟   وهل نهايتُنا يُتْمٌ وحِرمانُ ؟ (٦١)

ردّوا تراثَ أبينا مالكم صِلَةٌ   به ، ولا لكمُ فى أمرِنا شانُ (٦٢)

مصيبةٌ برِم الصبرُ الجميلُ بها   وعزّ فيها على السُّلْوانِ سلوانُ (٦٣)

بنى فلسطين كونوا أُمّةً ويدًا   قد يختفى فى ظِلالِ الوردِ ثُعبانُ (٦٤)

وكيف يأمَنُ رُعيانٌ وإن جَهِدوا   إذا تردّى ثيابَ الشّاءِ سِرْحانُ ! ؟ (٦٥)

* * *

ومصرُ والنيلُ ماذا اليوْمَ خطبُها ؟   فقد سَرى بحديثِ النيلِ رُكبانُ (٦٦)

كنانةُ اللهِ حصنُ الشرقِ تحرُسُه   شيبٌ خِفافٌ إلى الْجُلّى وشُبّانُ (٦٧)

---

(٥٣) أباة الضيم : الذين لا يرضون بالذل والهوان . حوزتنا: بلادنا .

(٥٧) عدنان : من آباء العرب وأطلق اسمه على العدنانيين نسبة إليه . غسّان : أبو العرب الغساسنة ويدينون بالمسيحية .

(٦١) فتى حطين : هو القائد العربى الشهير صلاح الدين الأيوبى المنتصر فى معركة حطين .

(٦٥) رعيان : رعاة . تردّى : لبس . الشاء : الكثير من الغنم . سرحان : الذئب .

(٦٧) كنانة الله : المقصود «مصر» . شيب : بيض الشعر . خفاف إلى الجلىّ : يهرعون فى خفة وسرعة إلى ميدان القتال .

أَبَوْا على القسر أن يرضَوْا معاهدةً بكل حرفٍ بها قيدٌ وسَجّانُ (٦٨)

وكم مَشَوْا للقاء الموتِ فى جَذَلٍ والموتُ منكمشُ الأظفارِ خَزْيان (٦٩)

لكل جسمٍ شرايينٌ يعيشُ بها ومصرُ للشرقِ والإسلامِ شِرْيان (٧٠)

* * *

بنى العروبة مُدّوا للعلوم يدًا فلن تُقامَ بغيرِ العلمِ أركانُ (٧١)

جمعتُمُ لشبابِ الشرقِ مؤتمرًا بمثله تزدهى الفصحى وتزدان (٧٢)

فقرّبوا نهجهم فالروحُ واحدةٌ وكلُّهم فى مجالِ السبقِ أقران (٧٣)

لا تبتغوا غيرَ إتقانٍ وتجربةٍ فقيمةُ الناسِ تجريبٌ وإتقان (٧٤)

وحبّبوا لغةَ العُرْبِ الفصاحِ لهم فإنّ خِذْلانَها للشرقِ خذْلان (٧٥)

قولوا لهم إنّها عُنوانُ وَحْدَتِهِم وإنّهم حولَها جندٌ وأعوان (٧٦)

وكمّلوهم بأخلاقٍ ومَرْحَمةٍ فإنّما المرءُ أخلاقٌ ووِجْدان (٧٧)

---

(٦٨) أبوا : رفضوا . القسر : الإكراه على الأمر . معاهدة : المقصود معاهدة سنه ١٩٣٦ التى كانت مبرمة بين مصر وانجلترا .

(٦٩) جذل : فرح . منكمش الأظفار : أظفاره غير طويلة لا يستطيع أن ينشبها فى ضحاياه . خزيان : مستحى وخجلان .

أفولُ نجمَيْن

فى ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٣٣ م غادر سِرْب الطائرات الحربية المصرية انجلترا قاصدًا إلى مصر. وفيما كان السرب طائرًا فى سماء فرنسا سقطت إحدى طائراته محترقة فى بلدة «مونشو سورنج» واحترق طيّاراها المرحومان «فؤاد حجاج» و «شهدى دوس» وبذلك أفل نسران من نسور مصر، وفقدت وهى فى مستهل نهضتها شابين من خيرة شبابها جرأة وشهامة وإقداما.

وهكذا أبى القدر إلا أن يكون لمصر ذات التاريخ المجيد أثر جليل خالد فى هذا الميدان الفسيح الذى احتسبت فيه الأمم المتمدينة الألوف من أبنائها لتسخير الريح وتذليل الهواء فى سبيل العز والمنعة والحضارة والفخار.

وفى هذه القصيدة يصوّر الشاعر هذا الحادث الجلل، ويصف وقعه وآثاره.

جَمَعَ الشُّجُونَ وَبدَّدَ الأحْلَامَا ... خَطْبٌ أَناخَ بكَلْكَلٍ وأقَامَا (١)

أَخْلَى الكِنَانَةَ مِنْ أَمَرِّ سِهَامِها ... عُودًا، وَرَاعَ النيلَ والأهْرَامَا (٢)

وعدَا عَلَى رَوْضِ الشَّبَابِ وظِلِّه ... فَغَدَا به رَوْضُ الشَّبَابِ حُطَامَا (٣)

غُصْنَان، هَزَّهُمَا الصِّبَا فتمَايَلا ... وسَقَاهُمَا الأَمَلُ الرَّوِيُّ جِمَامَا (٤)

نَجْمَان، غالهُمَا الزَّمانُ فأصبَحَا ... بَعْدَ التَّأَلُّقِ والسُّطُوعِ رُكَامَا (٥)

نَسْران، لو رَضِيَ القَضَاءُ لحلَّقا ... دَهْراً، على أُفُقِ الدِّيارِ وَحَامَا (٦)

* * *

إبْكِ الشَّبابَ الغضَّ فى رَيْعانِه ... وأَفِضْ عليه مِنَ الدُّمُوعِ سِجَامَا (٧)

وانْثُرْ أزَاهِيرًا عَلَى الزَّهْرِ الَّذِى ... كانَتْ لَه كُلُّ القُلوبِ كِمَامَا (٨)

---

(١) أناخ: برك. الكلكل: الصدر. أقام: استمر.

(٢) الكنانة: جعبة تجمع فيها السهام.

(٤) الروى: البالغ غاية الرى. الجمام: جمع جم (بالفتح) وهو معظم الماء والكثير منه.

(٥) غالها: أهلكهما. التألق: اللمعان والاضاءة. السطوع: الانتشار. وأصبحا ركاما، أى قطعا متراكمة، بعضها فوق بعض.

(٧) سجاما: كثيرا.

(٨) الكمام. جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور.

وابْعَثْ أَنينَكَ للسَّحابِ شِكَايةً ... فإلامَ تحْتَبِسُ الأَنِينَ إلامَا ؟ (٩)

لَهْفِى عَلَى أَمَلٍ مَضَى فى لَمْحةٍ ... لَوْ دَامَ فى الدُّنْيا السُّرُورُ لَدَاما ! (١٠)

لَمْ نَشْكُرِ الأَيَّامَ عند بَرِيقِه ... حَتَّى أَخَذْنَا نَشْتَكِى الأَيَّاما (١١)

لم تَلْمَحِ العَيْنُ الطَّمُوحُ شُعَاعَه ... حَتَّى رأَتْ ذَاكَ الشُّعاعَ ظَلَامَا (١٢)

* * *

حَجَّاجُ ! لاقَيْتَ اليَقِينَ مُكَافِحًا ... بَطَلاً ، ويَاشُهْدِى ! قَضَيْتَ هُمَاما (١٣)

رَكِبَا الهَوَاءَ ، وكُلُّ نفسٍ لَو دَرَتْ ... غَرَضٌ تُنَازِعُهُ المنُونُ سِهَاما (١٤)

والمَوْتُ يَلْقَى الأُسْدَ فى عِرِّيسِها ... ويَغُولُ حَوْلَ كِناسِها الآرَاما (١٥)

لا الدِّرْعُ تُصْبِحُ حينَ تَبْطِشُ كَفُّه ... دِرْعًا ، ولاَ السَّيْفُ الحُسَامُ حُسَاما (١٦)

رَكِبَا جَمُوحَ الجَوِّ يَلْوِى رَأْسَه ... كِبْرًا ، ويَأْنَفُ أَنْ يُنِيلَ زِمَاما (١٧)

فى عَاصِفَاتٍ لم تُزَعْزِعْ مِنْهُما ... عزْمًا كَحَدِّ السَّيْفِ أَوْ إِقْدَاما (١٨)

والجَوُّ أَكْلَفُ ، والسَّماءُ مَرِيضَةٌ ... واللَّيْلُ دَاجٍ ، والخُطُوبُ تَرَامَى (١٩)

والمَوْتُ يَخْفِقُ فى جَنَاحَىْ جَارِحٍ ... مَلأَ الفَضَاءَ شَرَاسَةً وعُرَاما (٢٠)

بسَمَا إلى الخَطْبِ العَبُوسِ ، وإنَّما ... يَلْقَى الكَمِىُّ قَضَاءَه بَسَّاما (٢١)

لَهْفِى عَلَى البَطَلَين غالَهُمَا الرَّدَى ... لَمْ يَمْلِكا دَفْعًا ولاَ إِحْجَاما ! (٢٢)

المَوْتُ تَحْتَهُما يَصُولُ مُخَاتِلاً ... والموتُ فَوْقَهما يَحُومُ زُؤَاما (٢٣)

---

(١٥) العرّيس : مأوى الأسد . يغولها : يأخذها من حيث لا تدرى ويهلكها . الكناس : بيت الظبى فى الشجر يستتر فيه . سمى كذلك لأنه يكنس الرمل حتى يصل إليه . الآرام : الظباء الخالصة البياض ، الواحد رئم .

(١٩) أكلف : مغبّر مدلهم . مريضة . أى غير صاحية ولا صافية . الليل داج : أى قد غامت سماؤه وخفيت نجومه . ترامى : تترامى .

(٢٠) الجارح : المفترس من الطير . الشراسة : الشدة والأذى . العرام : الحدة والشدة .

(٢١) العبوس : المقطب . الخطب إذا اشتد وصف بالعبوس . الكمى : الشجاع .

(٢٢) الردى : الهلاك . إحجاما : أى رجوعا وانصرافًا . غالها : ذهب بهما .

(٢٣) يصول : يثب ويعدو . المخاتلة : الخداع عن غفلة . يحوم : يحلق مطيفًا بهما . الزؤام من الموت : الكريه المجهز .

ثَبَتَا لِحُكْمِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ — والخَطْبُ يَلْقَاه الكِرَامُ كِرَاما [٢٤]

والسَّيْفُ أَكْثَرُ ما يُلاقِي حَتْفَه — يومَ الكَرِيهةِ صَارِمًا صَمْصَاما [٢٥]

قد يُنْسِئُ المَوتُ النَّبالَ بِجُحْرِها — ويَغُولُ فى آجَامِه الضِّرْغَاما [٢٦]

يا هَوْلَها من لَحْظَةٍ لا نَارُها — بَرْدٌ، ولاَ كَانَ اللَّهِيبُ سَلاَما [٢٧]

هَلْ أَخْطَرا فِيها عَلَى بَالَيْهِما — النيلَ والآباءَ والأَعْمَاما ؟ [٢٨]

والمَوْطِنَ الصَّدْيَانَ يَرْقُبُ عَوْدةً — وَيْلاَه ! قَدْ عادَا إليه رِمَاما [٢٩]

أَتَقَاسَمَا فيها الوَدَاعَ بِلَفْظَةٍ — أَمْ لَمْ تَدَعْ لَهُمَا المَنُونُ كلاَمَا ؟ [٣٠]

هل فَكَّرا فى الأُمِّ تندُبُ حَظَّها — والزَّوْجِ تُسْكِتُ وَالِهِينَ يَتَامَى [٣١]

إنّ السَّلامَةَ قد تَكُونُ مَذَلَّةً — ويَكُونُ إقْدامُ الجرىءِ حِمَاما [٣٢]

والمرءُ يَلْقَى باختيارِ كِلَيْهِما — حَمْدًا يُحلِّقُ باسْمِه أَوْ ذَاما [٣٣]

والمَجْدُ يَعْتَدُّ الحَيَاةَ قَصِيرةً — ويَرَى فَناءَ الخَالِدِين دَوَاما ! [٣٤]

---

(٢٥) الكريهة : الحرب وشدتها . الصارم الصمصام : السيف القاطع الصلب .

(٢٦) ينسىء : يمهل ويؤجل . يغول : يهلك . الآجام : الشجر الكثير الملتف ، الواحدة : أجمة ، يتخذها الأسد مأوى له . الضرغام : الأسد .

(٢٩) الصديان ، أى المتعطش لهما . الرمام : جمع رِمّة ، وهى ما تفتت من العظام . يريد رفاتهما .

(٣١) تندب حظها : تبكيه . والهين ، أى أطفالا روعهم الحزن ففزعوا إلى أمهم .

(٣٢) الحمام : الموت .

(٣٣) كليهما ، أى السلامة والإقدام . ويحلق باسمه ، أى يرفعه ويذيع شهرته ، مأخوذ من تحليق الطائر وهو ارتفاعه فى طيرانه . الذام : العيب .

(٣٤) يعتد : يعد . الخالدون : أى ذوو الأعمال الخالدة .

مِن شاعرٍ إلى شاعِر

حينما توافد أدباء الأقطار العربية لتكريم المرحوم أحمد شوقي بك في سنة ١٩٢٧ م وتوليته إمارة الشعر حيّا الشاعر صديقه بهذه القصيدة .

وَقَفْتَ تُجدِّد آثارَها ... وتُنْشِرُ للعُرْب أشْعَارَها[١]

وتُرْجِعُ بَغْدادَ بعد الفَنَاء ... تُحدِّثُ للنَّاسِ أخْبارَها[٢]

وتَبْعَثُ حَسَّان من رَمْسِهِ ... وتُحيِي عُكاظَ وسُمَّارها[٣]

بشِعْرٍ له نَبَراتٌ تَهُزُّ ... نِياطَ القُلوبِ وأوْتارها[٤]

أطاعَتْ قوافِيه بَعْد الشِّماسِ ... جَرِيءَ القَرِيحةِ جَبَّارَها[٥]

ونَظْمٍ له نَفَحَاتُ الرِّياضِ ... إذَا نَقَّط الطَّلُّ أزهارَها[٦]

---

(١) آثارها ، أي آثار اللغة العربية ، تنشر : تبعث بعد الموت .

(٢) بغداد : عاصمة العراق وهي تقع على نهر دجله أنشأها أبو جعفر المنصور وجعلها مقر ملكه . وكانت مهد الحضارة العربية وأزهى مدن العالم في العصر العباسي لغة وعلما .

(٣) حسان : هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي الصحابي ، شاعر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أدرك الجاهلية والإسلام ، وتوفى سنة ٤٠ هـ . الرمس : القبر . عكاظ (يؤنث ويذكر ، فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم) : سوق للعرب بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يومًا ، وقيل شهرًا ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون . السمار : المتسامرون .

(٤) نبراته : رنين إنشاده وجرس توقيعه . نياط القلب : عرق غليظ نيط به القلب ، أي علق ، إلى الوتين .

(٥) القوافي : جمع قافية بمعنى القصيدة . الشماس : التأبي والامتناع . قريحة الشاعر : ملكته التي يقتدر بها على نظم الشعر .

(٦) نفحات الرياض : ما ينتشر عنها ويفوح من رائحة عطرة . الطل : المطر الضعيف أو الندى .

فمن حِكمةٍ علّمتْها السّنُونَ ... جِوارَ النفُوسِ وإسْرارَها (٧)
لها صفحةُ الكَوْنِ مَنْشورةً ... يُترجِم بالشّعر أسْطارَها (٨)

* * *

وتَشْبيبِ لاهٍ لَعُوبِ الشّبابِ ... يُناجى السّماءَ وأقمارَها (٩)
تَراه وَظِلُّ الصّبَا وارفٌ ... جَموحَ العَريكةِ مَوَّارَها (١٠)
يُغنّى كما صَدحت أيكةٌ ... وقد نَبَّهَ الصبحُ أطيارها (١١)
ويَبْكِي فَيُبْكى رُسومَ الديارِ ... ، حَنَانًا عَليه ، وآثارها (١٢)
ويَنْسَبُ حتى يَلينَ الهَوَى ... ويَقْضى الصّبَابةُ أوْطارها (١٣)
وتَنْسَى الكواعبُ آىَ الحِجابِ ... وتَبْكى العَجائزُ أعمارَها (١٤)

* * *

وتَصْويرِ طَبٍّ صنَاعِ اليَدَيْنِ ... حَبَتْه الطّبيعةُ أسرارها (١٥)
كأنَّ (رُفائيلَ) فى كَفِّهِ ... يُعيدُ الفُنونَ وأعْصارها (١٦)

---

(٨) منشورة : مبسوطة غير مطوية .

(٩) التشبيب : وصف الشاعر محاسن المرأة وتعديد مناحى الجمال فيها . لعوب الشباب : مرح به مدلّ . المناجاة : المسارة .

(١٠) الوارف : الواسع الممتد . وجعله للصبا ظلا وارفا ، كناية عن اكتمال قوته ، لأن الشجرة إذا تم نموها امتدت فروعها واتسع ظلها . جموح العريكة : أى له نفس قوية وطبيعة غالبة . الجموح : من صفات الخيل ، وهو الذى يركب رأسه لا يثنيه شىء . المَوّار : فعال من المور ، وهو مبالغة فى الثورة والاضطراب .

(١١) الصدح : رفع الصوت بالغناء . الأيكة : الحديقة ذات الأشجار الكثيرة الملتفة .

(١٢) رسوم الديار : آثارها التى تبقى على الأرض دالة عليها .

(١٣) النسيب : التشبيب بالمرأة فى الشعر وذكر محاسنها . الصبابة : حرارة الشوق والهوى . الأوطار : جمع وطر (بالتحريك) وهو الحاجة .

(١٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية نهد ثديها .

(١٥) الطب (بالفتح) : الماهر فى عمله . صناع اليدين : يحلق الصنعة بهما . حبته : منحته وخلعت عليه .

(١٦) رفائيل : مصور إيطالى مبدع ولد فى ٦ إبريل سنة ١٤٨٣ م وتوفى فى ٦ إبريل ١٥٢٠ م . الأعصار : الأزمنة . الواحد ، عصر (بالفتح) .

يُـريك إذا خَـطَّ فى طِـرْسِـه ... حـيـاةَ الـقُـرون وأدْوارهـا[17]

ويَـرْسُـم (أنـدُلُسًـا) بـاليَـرَاعِ ... فـتـلـمِسُ كـفُّك أسْوارهـا[18]

وإن وَصَف الحربَ خِلْتَ الْحِرابَ ... تَسُـدُّ من الأرض أقـطـارهـا[19]

فـتُـمْسِكُ جَـنْبك ذُعـرًا تخافُ ... قَـنـاهـا وتَـرْهَبُ بـتَّـارهـا[20]

أشَوْقى وأنت طَـبيبُ الـنُّفوسِ ... وَضَعْت عن النفس آصارَها[21]

* * *

نَصَرْتَ الفَضيلةَ ، مِن بَعْدِ أنْ ... طَوَاهـا الـزمـانُ ، وأنْصَـارَهـا[22]

وجِـئْتَ لِمِصْرَ كعيسى المسيحِ ... تُـفَـتِّحُ لـلـنُّور أبْصَـارَهـا[23]

بِـآيٍ تُـفَصِّـلُـهـا مُـحْـكَـمَـاتٍ ... كـأنَّ مِنَ الوَحْي أفْـكـارَها[24]

تَـرُدُّ الشـبِـيـبَـةَ لـلـصـالحاتِ ... وتَـرْجِـعُ لـلـدِّين هَـتَّـارهـا[25]

جَـزَيْتُ بِشِـعْـرِك شـعـرًا وهـل ... تُـجـازِى الخمَائـلُ أمـطـارَهـا ؟[26]

فـكـنـتَ شَـريفَ قَوافى الـبَـيـانِ ... وكـنـتُ بِـفَضْـلك مِـهْـيـارَهـا[27]

فَـغَـرِّد كما شِـئْـتَ لا فُضَّ فُوكَ ... وعِش بَـطَـلَ الضَّادِ مِغْوارها[28]

---

(17) الطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(18) اليراع : القلم .

(21) الآصار : جمع إصر ، وهو ماتئن تحته النفس من أثقال وأعباء .

(23) يشير إلى معجزة عيسى عليه السلام فى إبراء الأكمه .

(25) يريد بالهتار : الذى غلبه الشيطان على عقله فرق من الدين واستخف بتعاليمه .

(26) الخمائل : المواضع الكثيرة الشجر ، الواحدة خميلة .

(27) مهيار : هو الأديب الشاعر أبو الحسن مهيار بن مرزويه الفارسى الديلمى ، المعروف بجودة الصياغة وقوة الشعر ، وقد كانت وفاته ليلة الأحد لخمس خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٨ هـ .

تَحِيَّة الإِيَاب

استقبل الشاعر الملك فؤاد عند عودته من أوربا فى نوفمبر سنة ١٩٢٧ م.

ذَاكَ لألاؤُهُ وهـــذا رُواؤُه والضِّيَاءُ الذِى تَرَوْنَ ضِيَاؤُهْ[(١)]
وبَهاءُ الرِّيَاضِ كَلَّلَهَا الغَيْثُ فتاهَتْ بنَوْرِهِنّ بَهَاؤُهْ[(٢)]
والنَّسِيمُ الذِى جَرَى طَيِّبَ النَّشْرِ جَرَى ذِكْرُهُ بِه وثَنَاؤُه[(٣)]
ذاك وَجْهُ المَلِيكِ، وَجْهُ أبى الفا رُوقِ هذَا سَنَاهُ هذَا سَنَاؤُه[(٤)]

* * *

ظَهَرَ الرَّكْبُ والقُلُوبُ حَوَالَيْهِ تُرَجِّيهِ والنُّفوسُ فِدَاؤُه[(٥)]
تَجْتَلِيهِ العُيُونُ مُسْتَبْشِراتٍ وبَرِيقُ السُّرور فيها ومَاؤُه[(٦)]
وهُتَافُ الإخْلاصِ يَخْتَرِقُ الجوَّ فتُمْلِيهِ واضِحًا أصْدَاؤُه[(٧)]

---

(١) اللألاء : السنا والضياء. الرواء : الحسن والبهاء.

(٢) بهاء الرياض : ما تظهر فيه من نضرة وازدهار. كللها الغيث : جعلها تظهر مغطاة بالزهر والثمر. تاهت : ظهرت بمظهر المدل المعجب بحسنه وجماله.

(٣) النشر : ما ينتشر عن الطيب من ريح يعبق به الجو ويطيب الهواء.

(٤) السنا (بالقصر) : الإشراق والتلألؤ. (وبالمد) : الشرف والرفعة.

(٦) تجتليه : تتطلع إليه وتنظر. مستبشرات : فرحات. ماء السرور : ما يفيض به الوجه من لألاء وضياء.

(٧) الأصداء : ما يعود على المصوت بمثل صوته. وضوح الأصداء : دليل على قوة الهتاف وشدته.

وَدَّتِ النَّيِّراتُ لو هَبَطَتْ فِيهِ فزَادَ ازْدِهاءَهُنَّ ازْدِهاؤُه[8]

مَوْكِبٌ لم يَنَلْهُ رَمْسِيسُ ذو التَّا جَيْن فى عَصْرِهِ ولا خُلَفاؤُه[9]

حَكَمُوا شَعْبَهُمْ ولم يَملكُوهُ مِقْوَدُ الشَّعْبِ حُبُّهُ ووَلاؤُه[10]

* * *

عَادَ لِلْقُطْرِ ربُّهُ مِثْلَمَا عا دَ إلى المدْنَفِ العَليلِ شفاؤُه[11]

وَبَدَا كالصَّبَاحِ فانْهَزَمَ اللَّيْلُ وولَّتْ مَذْعُورةً ظَلْمَاؤُه[12]

مَلِكٌ شَادَ لِلْكِنَانةِ مَجْدًا أَحْكَمَتْ وَضْعَ أُسِّهِ آباؤُه[13]

كُلُّهُمْ كانَ لِلْمَحامِدِ بَنَّا ءً أبِيًّا عَلَى الزَّمَانِ بِناؤُه[14]

هِمَّةٌ تَفْرَعُ السمَاءَ وعَزْمٌ لَيْس للسَّيْفِ حَدُّهُ ومَضَاؤُه[15]

ونَفَاذٌ فى المُعْضِلاتِ بِرَأْيٍ ثَاقِبٍ يَكْشِفُ الغُيوبَ ذَكاؤُه[16]

ومُحَيًّا فيه مِنَ اللهِ سِرٌّ كادَ يُغْشِيه نُورُهُ وحَيَاؤُه[17]

صَفْحَةٌ خَطَّها الإلهُ ففيها أَلِفُ النُّبْلِ ـ لو قَرَأْتَ ـ وياؤُه[18]

* * *

بَهَرَ الغَرْبَ طَلْعَةٌ مِنْك كادَتْ تَتَمَشَّى شَوْقًا لها أَرْجَاؤُه[19]

لَمَحُوا عِزَّةً وشَامُوا بِكَفَّيْك غَمَامًا هَتَّانةً أَنْدَاؤُه[20]

وبَدَا لِلْعيُونِ والدُّكُ المِسْمَاحُ تُحْيِيهِ ثانيًا أَبْناؤُه[21]

---

(٨) الازدهاء : ما تتيه به وتزدهى من آيات الحسن.

(٩) رمسيس : من ملوك مصر الأقدمين ، ويريد بالتاجين : تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى.

(١٠) المقود . ما تقود به .

(١١) ربه : مالك أمره . المدنف : الذى أضناه المرض وثقل عليه فكاد يذهب به .

(١٥) تفرع السماء : تزيد عليها علوا وارتفاعًا . مضاؤه : نفاذه فى الأمور وقطعه لها .

(١٨) النبل : الشرف والرفعة . ويريد بالألف والياء : أنه جمع جميع خلال النبل لم يفته منها شىء .

(٢٠) لمحوا : رأوا : شاموا : نظروا . الهتانة : التى تمطر فى كثرة وتتابع . الأنداء : جمع ندى ، وهو ماء السحاب .

فِيكَ منهُ الْجَبِينُ والْخلْقُ الرَحْــبُ وبُعْدُ المَدَى وفِيكَ إباؤه[22]
لُحْتَ فيهم فأدْرَكُوا صَوْلَةَ الشَّرْ قِ ومَرَّتْ بِذِكْرِهِم أنبياؤه[23]
ورَأوْا فى الْجَلالِ «تُوتَنْخَمونًا» صاعِدًا جَدُّه رَفِيعًا لِواؤُه[24]
أيْنا سَارَ فالْعُيونُ نِطَاقٌ وقُلوبُ المُجَاهِدينَ وِقاؤُه[25]
تَتَمَشّى فى رَكْبِه الشَّمْسُ إكْبَا رًا ويَنْشَقُّ عَنْ سَنَاها رِدَاؤُه[26]
أنْتَ أعْلَى كَعْبًا وأبْقَى عَلَى الدَّهْـــرِ وإنْ زَاحَم الْخُلودَ بَقاؤُه[27]
لَو وَزَنّا بما أقَمْتَ من الدُّسْتُورِ آلاءه اخْتَفَتْ آلاؤه[28]
عَجَز الدَّهْرُ أنْ يُحِيطَ بمَعْنا كَ والْقَتْ قِيادَها شُعَراؤُه[29]
إنَّ مَنْ رامَ لِلْكَواكِبِ عَدًّا يَتَساوَى ابتداؤُهُ وانتهاؤه[30]

---

(٢٤) توتنخمون : هو توت عنخ أمون ، أحد ملوك مصر الأقدمين ، وكان عصره من أزهى عصور مصر رخاء ورفاهية . الجد : الحظ . اللواء : العلم .

(٢٦) السنا : اللألاء والضياء .

(٢٧) أعلى كعبا ، أى أشرف منزلة وأعز مكانًا .

(٢٨) آلاؤه : أياديه ونعمه على أمته .

(٢٩) أن يحيط بمعناك : أن يلم بما اتصفت به من خلالك الحميدة .

(٣٠) رام : قصد وأراد .

العِيدُ المِئَوِىّ لِوزارة المعارف

احتفلت وزارة المعارف المصرية فى اليوم الثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٣٧ م بعيدها المئوى ، وقد أنشدت هذه القصيدة فى هذا اليوم بدار الأوبرا فى حشد حافل جمع عظماء مصر وكبار علمائها وأدبائها .

أَخْرَجَ الرَّوضُ أَطْيبَ الثَّمراتِ ... هَاتِ ما شِئتَ من قَرِيضِكَ هَاتِ [(١)]

زَهَرَاتٌ تَتِيهُ بالغُصْنِ زَهْوًا ... وغُصُونٌ تَتِيهُ بالزَّهَرات [(٢)]

صَيَّرتْ صَفْحَةَ الرِّياضِ سماءً ... وَتَجَلَّتْ فيها عَلَى النَّيِّرات [(٣)]

لم تُفَارِقْ كِمَامَهَا ، وشذاها ... يَنْشُرُ الطِّيبَ فى جَمِيعِ الْجِهات [(٤)]

تَرْهَبُ الرِّيحُ أن تَخُدَّ لَهَا خَـ ... ـدًّا فَتَجْرِى فى خَشْيَةٍ وَأَناةِ [(٥)]

مُصْغِيَاتٌ إذا الْحَمائمُ رَنَّتْ ... بين تلكَ الْخَمائلِ النَّضِرات [(٦)]

ضاحِكاتٌ إذا بَكَى عابسُ الغَيْثِ ... وفاضتْ عَيْناه بالعَبَرات [(٧)]

وإذا ما جَرَى الغَدِيرُ تَدانتْ ... لتُحَيِّى الغَدِيرَ بالقُبُلات [(٨)]

إنَّ للرَّوْضِ فى مَعانِيه حُسْنًا ... فَوْقَ حُسْنِ المَلامحِ الفاتِنات [(٩)]

كَمْ مِنَ الزَّهْرِ فيه مِنْ سِحْرِ عَيْنٍ ... ومِن النَّبْتِ فيه مِنْ قَسَمَات ! [(١٠)]

---

(٣) تجلت : طغت وعلت . النيرات : الكواكب المنيرة المضيئة .

(٤) الكمام : جمع كم (بكسر الكاف فيهما) ، وهو وعاء الطلع وغطاء النور . الشذا : قوة ذكاء الرائحة وسطوعها .

(٥) ترهب : تهاب وتخشى . تخدّ : أى تجرح وتخدش .

(١٠) القسمات : جمع قسمة (بكسر السين وفتحها) : وهى الحسن .

فانظُرِ الرَّوضَ لا تَرَى غَيْرَ تِبْرٍ … من تُرَابٍ ودُرَّةٍ مِن حَصَاةِ[11]
حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنابِلَ سَبْعًا … ثُمَّ مِلءٌ الفَضَاء من سُنْبُلاتِ[12]
ونَواةٌ جادتْ بِنَخْلٍ ونَخْلٍ … وَارِفِ الظِّلِّ دائمِ الثَّمَرَاتِ[13]
يُرْسِلُ الطَّيْرُ فى مَداه نَشِيدًا … مَوْصِلِيَّ الأَدَاءِ والنَّبَرَاتِ[14]
يَمْلِكُ النَّفسَ أينَمَا نَظَرَتْه … فَهْوَ قَيْدُ النُّفُوسِ والنَّظَرَاتِ[15]
كم تَهادَى مع النَّسِيمِ اخْتِيالاً … كالعَذَارَى يَمِسْنَ فى الْحِبَرَاتِ[16]
تَتَنَاءَى بِه الظِّلالُ لِجَمْعٍ … ثم تَدْنُو مُدِلَّةً لِشَتَاتِ[17]
مِثْلَ كفٍّ الرسَّامِ جاءتْ وراحتْ … بَيْنَ قِرْطَاسِه وَبَيْنَ الدَّوَاةِ[18]
أو كَوَجْهِ الحَسْناءِ يَبْدُو ويَخْفَى … بين مَيْلِ الهَوَى وخوْفِ الوُشَاةِ[19]
كلّما رُمْتَ منه قَطْفَ جَنَاةٍ … سَبقَتْ راحتَيْك ألْفُ جَنَاةِ[20]
وإذا بارَكَ الإلَهُ بأرْضٍ … جَعَلَ التِّبْرَ فى مَكانِ النَّبَاتِ[21]
وحَبَاها خِصْبًا إذا مَسَّ صَخْرًا … تَركَ الصخرَ جَنَّةَ الجنَّاتِ[22]

* * *

---

(١١) التبر : الذهب قبل صوغه . الدر : اللآلئ ، الواحدة ، درة .

(١٢) يشير إلى الآية الكريمة : «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة» .

(١٤) الموصلى : نسبة إلى إبراهيم الموصلى أو ابنه إسحاق ، وكلاهما مغن عباسى بلغ شهرة واسعة فى الضرب والغناء . ولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة هجرية بالكوفة وتوفى ببغداد سنة ١٨٨ هـ . وولد إسحاق سنة ١٥٠ (وهى السنة التى ولد فيها الإمام الشافعى ومات فيها الإمام أبو حنيفة) وتوفى ببغداد فى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٥ هـ .

(١٦) الحبرات (بالتحريك ، ويكسر الحاء مع فتح الباء) : جمع حبرة . وهى ضرب من برود اليمن ، وملاءة سوداء اختص بها نساء مصر .

(١٧) تتناءى : تبعد . مدلة : من الدلال ، وهو التمنع . الشتات : الفرقة .

(١٨) القرطاس : الصحيفة يكتب عليها .

(١٩) الوشاة : الساعون بالكذب والنميمة .

(٢٠) الجناة : ما يجنى من الشجر .

رُبَّ أَرْضٍ لِلْغَافِلِينَ مَوَاتٌ ... وَهْىَ لِلْعَامِلِينَ غَيْرُ مَوَاتِ[23]

إِنْ تَطَلَّعْتَ لِلرَّغَائِبِ فَابْذُلْ ... تِلْكَ فِى الدَّهْرِ سُنَّةُ الْكَائِنَاتِ[24]

لَكَ كَفَّانِ ، تلك تُعْطِى وهَذِى ... تَتَلَقَّى مَثُوبَةَ الْحَسَنَاتِ[25]

تَرْتَجِى الْحَصْدَ ثمَّ تقعُدُ فى الشَّمْـ ... ـسِ ، لك الله يا أخا التُّرَّهَاتِ ![26]

ضِلَّةً تَطْلُبُ الزُّلَالَ من النَّا ... رِ وتَبْغِى غَضارةً من فَلَاةِ[27]

ليس يجْنِى من السُّبَاتِ سِوى الأَحْلَامِ ... فانهَضْ ، وُقِيتَ شَرَّ السُّبَاتِ[28]

* * *

قَدْ غَرَسْناهُ رَوْضَ عِلْمٍ فأَزْرَى ... حُسْنُهُ بالْحَدَائِقِ الباسِقَاتِ[29]

وَبَذَرْنا به الْقُلوبَ صِغارًا ... وكِرَامَ النُّفُوسِ والْمُهَجَاتِ[30]

وسَقَيْنا ثَرَاهُ مَاءً مِنَ الأَذْ ... هانِ أَحْلَى مِنْ كُلِّ ماءٍ فُرَاتِ[31]

وَغَذَوْنَاه طَيِّبًا بجُهودٍ ... ضاعَفَتْ مِن ثِمَارِهِ الطَّيِّبَاتِ[32]

وَحَمَيْناهُ أن تَعِيثَ به الأَيْـ ... ـدِى وتَجْنِى عَلَيْه كَفُّ الْجُنَاةِ[33]

وجَعَلْنا له مِنَ الْخُلُقِ العَا ... لِى سِيَاجًا مُوَثَّقَ اللَّبِنَاتِ[34]

وحَفِظْنا من الرِّيَاحِ جَنَاهُ ... وَوَقَيْناه شِرَّةَ الْحَشَرَاتِ[35]

---

(٢٦) الترهات (فى الأصل) : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة ، ثم استعير للباطل الذى لا يقوم على رأى صحيح ، الواحدة ترهة . فارسى معرب .

(٢٧) ضلة ، أى ضلالا وبعدا عن الرشد والهدى . الزلال : الماء البارد العذب الصافى . الغضارة : الخصب . الفلاة : الصحراء والمفازة لا ماء فيها .

(٣٠) المهجات : جمع مُهجة وهى الروح .

(٣١) الفرات : المفرط فى العذوبة .

(٣٢) غذوناه : غذيناه (بالتضعيف) .

(٣٣) تعيث به ، أى تعبث به وتفسده . الجناة : الأشرار ودعاة الافساد ، الواحد ، جان .

(٣٤) السياج : ما أحاط بالشىء . يحفظه ويقيه . اللبنات : ما يضرب من الطين مربعا للبناء ، الواحدة : لبنة . توثيق اللبنات : إحكام البناء .

(٣٥) جناه : ثماره التى تجنى منه . يريد الناشئين فى دور العلم . الشرة (بالكسر) : الشر .

إيهِ يا رَوْضَةَ الْمعارفِ لا زِلْتِ مَثابَ الْخَيْراتِ والْبَرَكَاتِ[٣٦]
أنت أنبَتِّ فى ثَرَى النِّيلِ شَعْبًا نافِذَ الرَّأْىِ طاهِرَ النَّزَعاتِ[٣٧]
أعْجَزَ الغَرْبَ هِمَّةً وذَكاءً وكذَا الشَّرْقُ مَوْطِنُ المُعْجِزاتِ[٣٨]
خُطُواتٌ نَحْوَ المَعالى فِسَاحٌ لا عَدَاها السَّدادُ مِن خُطُواتِ[٣٩]
سَلكَتْ أوْسطَ الطَّريقِ وجَازَتْ كُلَّ ما فى الطَّريقِ من عَقَبَاتِ[٤٠]
وجُهُودٌ تَمْضِى وتَأتِى جُهُودٌ مُحْكَمَاتٌ مَوصُولةُ الْحَلَقَاتِ[٤١]
نَسَجتْ من جِهَادِها لِبَنِى مِصْرَ دُرُوعًا حَصِينةً سابِغَاتِ[٤٢]

* * *

إنَّما مَوْلِدُ الْمعَارِفِ فى مِصْرَ دَبِيبُ الْحَياةِ بين الرُّفَاتِ[٤٣]
جَلَّ رَبِّى ! آمنتُ باللهِ ربى ! فالِقِ الْحَبِّ باعِثِ الأمْواتِ[٤٤]
أرْسَلَ اللهُ لِلْكِنانةِ نَدْبًا هِبْرِزِىَّ الأعْراقِ والعَزَمَاتِ[٤٥]
فأتَاها (مُحمَّدٌ) جدُّ (إسْمَا عيلَ) بالْخِصبِ مُورِقًا والْحَيَاةِ[٤٦]
هلْ رأيتَ النَّجْمَ الذى يَبْهَرُ العَيْنَ وَيمْحُو دَيَاجِرَ الظُّلُمَاتِ ؟[٤٧]
هل رأيتَ الغَدِيرَ يَنْسَابُ فى القَفْرِ فَيهتَزُّ مُخْصِبَ الْجَنَبَاتِ ؟[٤٨]
هلْ رأيتَ الْحَيَاةَ تَسْرِى إلى الجِسْمِ فتُحْيِى عِظَامَهُ النَّخِرَاتِ ؟[٤٩]

---

(٣٦) مثاب الخيرات والبركات ، أى حيث توجد وتجتمع .

(٣٩) فساح : واسعات . لا عداها : لم يعدها ولم يتجاوزها ، والجملة دعائية . السداد : التوفيق وإصابة الغرض .

(٤٠) جازت : تخطت وتغلبت .

(٤٢) الدروع : جمع درع ، وهو ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس فى الحرب وقاية من سلاح العدو ، مؤنث وربما ذكر . سابغات : تامة طويلة .

(٤٥) يريد «بالكنانة» : مصر . الندب : السريع إلى الفضائل الذى يخف لقضاء الحاجة عند ما يندب إليها .
هبرزى الأعراق والعزمات : أى طيب الأصول ، قوىّ فيما يهم به ويعزم عليه .

(٤٦) محمد : هو محمد على باشا ابن إبراهيم أغا جد الأسرة المالكة فى ذلك الوقت .

(٤٧) يبهر العين : يغلبها ضوءه وتألقه فلا تقوى على النظر إليه . الدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلام .

(٤٨) الجنبات : النواحى .

(٤٩) النخرات : البالية المتفتتة .

هـل رأيتَ الآمـالَ بَعْد نِفَارٍ؟ ... واقْتبالَ الشَّبَابِ بَعْدَ فَوَاتٍ؟[٥٠]
لَـقِـيتْ مصـرُ قَـبْلَـه مـا يُلاقِي ... غَرَضٌ جَاء فِي اتِّجاهِ الرُّمَاةِ[٥١]
جَـهِـلوا دَاءهـا الـدَّفِـينَ وشَـرٌّ ... مِنْ دَفِينِ الأدْواءِ جَهْلُ الأُسَاةِ[٥٢]
نَـكَـئُوا جُـرْحَـها فسالتْ دِمَاهَا ... قَـطَـرَاتٍ تَجْرِى إلى قَطَرَاتٍ[٥٣]
لا تَـرَى فِى الـظَّلامِ لـلعِلْم إلّا ... مُـقْـفِراتٍ مِن دُورِهِ دارِسَاتٍ[٥٤]
يَكْرَهُ الظُّلْمُ كلَّ شيءٍ من الضَّوْ ... ءِ ولو كانَ فى ابتِسامِ الفَتَاةِ[٥٥]
لَمْ يَكُنْ مِنْهُ غيرُ وَمْضٍ مِنَ (الأزْ ... هَرِ) يَبْدُو مُفَزَّعَ اللَّمَحَاتِ[٥٦]
كَـذُبَالِ الـمِشْكَاةِ قَدْ جَفَّ إلّا ... أثَـرًا من بُلَالَـةِ الـمِشْـكَـاةِ[٥٧]
فَـأتى مُـنْـقِـذُ الـبلادِ فَـأحْـيَـا ... هـا بِـرَأْيٍ وَعَـزْمَـةٍ وثَـبَـاتِ[٥٨]
لو دَعـا أنْـجُـمَ السَّمـاءِ لَلَبَّتْ ... مُـهْـطِـعَـاتٍ لأمْـرِه صاغِرَاتٍ[٥٩]

* * *

شـادَ فى مِصْـرَ لـلـمَعَارِفِ ديوا ... نـا مَـنِيعَ الأعلامِ والشُّرُفَاتِ[٦٠]
وبَـنَـى لـلـعُلُومِ خَـيْـرَ بِـنَـاءٍ ... عَـلَـوِىٌّ فـكانَ خَـيْـرَ الـبُـنـاةِ[٦١]
نَـهضتْ مِصْـرُ بَـعـدَه نَـهَـضَـاتٍ ... تَسْتَحِثُّ الْخُطَا إلى نَهَضَاتِ[٦٢]
أرْسَلَ الـعِلْـمُ نورَه فَتَرَى الرَّكْـ ... ـبُ يَقُودُ المُنَى إلَى الغَايَاتِ[٦٣]
وَرَأَيْـنـا بِـكُـلِّ أرْضٍ رِيـاضًـا ... دانـيـاتٍ قُـطُـوفُـهـا زَاهِـيَـاتِ[٦٤]

* * *

---

(٥٠) النفار : التباعد والفوت . اقتبال الشباب : عنفوانه واكتماله . بعد فوات : أى بعد ذهاب ومضىّ .

(٥١) الغرض : الهدف الذى يرمى إليه . الرماة : جمع رام ، وهو الذى يرمى بسهامه نحو الهدف .

(٥٣) يقال : نكأ القرحة ينكؤها : إذا قشرها قبل أن تبرأ فنديت وسال دمها .

(٥٤) مقفرات : خاليات . دارسات : قد عفا أثرها وامحى .

(٥٦) منه : أى من الضوء . الومض : اللمعان الخفيف لا يظهر حتى يختفى . الأزهر : هو ذلك المسجد التاريخى العظيم ، الذى بناه جوهر الصقلى فى أوائل حكم الدولة الفاطمية فى مصر سنة ٣٥٩ هـ ـ سنة ٣٦١ هـ (سنة ٩٧٠ ـ سنة ٩٧٢ م) وكان ولا يزال دار للتعليم يؤمها المسلمون من جميع الأقطار الإسلامية . المفزع : الخائف . اللمحات : جمع لمحة ، وهى لمعة الضوء وبريقه .

(٥٧) الذبالة : الفتيلة ، المشكاة : الأنبوبة فى وسط القنديل ، يريد القنديل .

(٥٩) لبت : أجابت . مهطعات : مسرعات . صاغرات : ذليلات .

كلَّ يومٍ عند الصَّباحِ تَرى جَيْشًا مِنَ النَّشءِ صادِقَ الوَثَباتِ[٦٥]

جعلو كُتْبَهُم مكانَ المواضِى ويَراعاتِهم مكانَ القَنَاةِ[٦٦]

طَلَعوا أوَّلَ الغَداةِ فزانُوا بِسَنا ضَوْئِهِمْ جَمَالَ الغَدَاةِ[٦٧]

مِثْلَ سِرْبٍ للطَّيْرِ هَمَّت خِفَافًا ثم راحتْ لوَكْرِها مُثْقَلاتِ[٦٨]

نَشَرُوا جَمْعَهم فأبْصَرْتُ فِيهِم أنجُمًا فى الفضاءِ مُنْتَثِرَاتِ[٦٩]

ورأيتُ الفِلْذَاتِ تَمْشى على الأرْ ضِ فَخَلُّوا الطَّرِيقَ للفِلْذَاتِ[٧٠]

هُمْ أمانِىُّ (مِصْرَ)، هم مُرْتَجاها هُمْ حَنايا ضُلوعِها الخافِقَاتِ[٧١]

* * *

مِائَةٌ من سِنِى (المعارف) مَرَّتْ زَاهِياتٍ بما حَوَتْ حافِلاتِ[٧٢]

بَلَغَتْ مِصْرُ فى مَداهُنَّ شَأْوًا فوقَ شأوِ الكَواكِبِ السَّابِحاتِ[٧٣]

وغدَا مَجْدُها الحديثُ ــ وقد شا عَ شذَا عِطْرِه ــ حديثَ الرُّوَاةِ[٧٤]

أصبحتْ كَعْبَةً يَحُجّ إليها الشَّرْ قُ بين الخُشُوعِ والإقْنَاتِ[٧٥]

تَتَهادَى وحَقٌّ أنْ تَتَهادَى بين ماضٍ زاهِى الجَبينِ وآتِى[٧٦]

كلُّ تاريخها كتابٌ منَ المجْدِ كريمٌ مُطَرَّزُ الصَّفَحَاتِ[٧٧]

بَعَثَتْ دارِسَ الفُنُونِ وأحْيَتْ بعد يأسِ الزَّمان أمَّ اللُّغَاتِ[٧٨]

وأعادَتْ إلَى العُلوم مَنَارًا كان صُبْحَ الدُّجَى وهَدْىَ السُّرَاةِ[٧٩]

---

(٦٦) المواضى : السيوف القواطع ، الواحد : ماض . اليراعات : الأقلام ، الواحدة : يراعة . القناة : الرمح

(٦٧) أول الغداة : الصباح المبكر . سنا الضوء : تلألؤه وتألقه .

(٦٨) السرب : الجماعة . همت : أى خرجت لقصدها وبغيتها . راحت : رجعت . الوكر : عش الطائر أين كان .

(٧٠) الفلذات : جمع فلذة (بالكسر) ، وهى القطعة من الكبد .

(٧٣) المدى : الأمد والنهاية . الشأو : الغاية . السابحات : الجاريات فى أفلاكها ومداراتها .

(٧٤) شذا العطر : قوة ذكاء رائحته وسطوعها .

(٧٥) الكعبة : البيت الحرام بمكة ، وإليها يتجه المسلمون فى صلاتهم ويقصدونها فى حجهم . الاقنات : إظهار التواضع والخشية .

(٧٨) دارس الفنون : ما عفا منها وذهب أثره . أم اللغات : اللغة العربية .

(٧٩) المنار : مبعث النور ومصدره . الدجى : الظلام . السراة : جمع سار .

أنجبتْ للبلاد أبطالَ عَزْمٍ   هُمْ دُرُوعُ البلادِ فى الأَزَمَاتِ[٨٠]
دَعَوُا الشَّعْبَ للعُلاَ فرَأيْنا   خَيْرَ شَعْبٍ أجابَ خيْرَ الدُّعَاةِ[٨١]
أنْجبَتْ كلَّ عالمٍ بَهَرَ الكَوْ   نَ بآياتِ علمِهِ البَيِّناتِ[٨٢]
أنْجبَتْ كلَّ شاعرٍ عَبْقَرِيٍّ   صادِقِ الْحِسِّ بارعِ اللَّفَتَاتِ[٨٣]
تَتَمَنَّى الأزْهارُ لوكنَّ يَوْمًا   فى قَوافِيهِ مَوضِعَ الكَلِمَاتِ[٨٤]
أنْجبتْ كُلَّ كاتِبٍ يَمْلِكُ السَّمْـ   ـعَ، بآثارِ فَنِّهِ الْخالِداتِ[٨٥]
أنْجبتْ كُلَّ مِدْرَهٍ وخَطِيبٍ   سَاحِرِ القَوْلِ، صَادِقِ الحَمَلاَتِ[٨٦]
وَحَمَتْ شِرْعَةَ الخَلائِقِ أنْ يَغْـ   ـبَرَّ صَافِى نَمِيرِها بقَذَاةِ[٨٧]
قد وَلَجْنا الْحَيَاةَ من كلِّ بَابٍ   فَرَأَيْنا الأَخْلاقَ بابَ النَّجَاةِ[٨٨]
أصْبحتْ مِصْرُ مَعْهدًا لشَبابِ الشَّـ   ـرْقِ، يَسْعَونَ نَحْوَها بالمِئَاتِ[٨٩]
عَقَدَتْ بَيْننا اللَّيالى صِلاتٍ   مُحْكَماتٍ أُحِبْ بها مِن صِلاَتِ[٩٠]

* * *

إنَّ عِيدَ المعَارِفِ اليَوم عِيدٌ   للنُّهَى والْجُهُودِ والذِّكْرَيَاتِ[٩١]
عِيدُ يُمْنٍ لمِصْرَ، فالدَّهْرُ دانٍ   خاضِعُ الرَّأسِ، والزَّمانُ مُوَاتِى[٩٢]
بَلَغتْ مِصْرُ ما تُرَجِّى وفَازَتْ   بَعْدَ طُولِ الأَسَى، وذُلِّ الشَّكَاةِ[٩٣]
وأطَاحتْ قُيُودَها فاستقلَّتْ   وامَّحَى ما تَرَكْنَ مِنْ نَدَبَاتِ[٩٤]
واسْتَعزَّتْ بطلْعةِ المَلِكِ الفَا   رُوقِ، زَيْنِ الحِمَى وَفخْرِ الحُمَاةِ[٩٥]
يُشْرِقُ المُلْكُ بالمَلِيكِ ويُزْهَى   بمَجَالى آلائِهِ المُشْرِقَاتِ[٩٦]
تَجْتَلِيهِ العُيونُ بَدْرًا، وتَفْدِيـ   ـهِ عُيونُ الزَّمانِ بالحَدَقَاتِ[٩٧]

---

(٨٦) المدره : القوى الحجة .

(٨٧) الشرعة (بالكسر) : مورد الشاربين . الخلائق : الطبائع والسجايا ، الواحدة : خليقة . يغبر : يصير أغبر كدرا . النمير : الماء العذب الصافى . القذاة : ما يقع فى الشراب مما يكدره .

(٩١) النهى : العقول ، الواحدة : نهية (بالضم) وسمى العقل بها لأنه مصدر النهى والضبط والكف .

(٩٧) تجتليه : تستبينه وتراه . الحدقات : جمع حدقة . وهى سواد العين .

عَهْدُه فى العُهُود أنْضَرُ عَهْدٍ   كجمَالِ الرَّبِيع فى الأوْقَات[98]
بَهَرَ الشِّعْرَ أن يُحيط بمَعْنًى   مِن مَعانِى صِفَاتِه الباهِرات[99]
عاشَ للعِلْم والبلادِ هُمَامًا   أرْيَحِيًّا ، وعاشَ للمَكْرُمَات[100]

كلُّ بيتٍ فيهِ سعدٌ مَاثِل

نشرت هذه القصيدة حينما نقل رفات المغفور له سعد زغلول باشا إلى الضريح الذى أعدّ له فى يونية سنة ١٩٣٦ م .

اكْشفوا التُّربَ عن الكَنْز الدفينْ ... وارفعوا السِّتْرَ عن الصبح المبينْ(١)

وابعثوه عَسْجدًا مُؤْتلِقًا ... زاد فى لألائه طولُ السنين(٢)

وانتضوا من غمدِه سيفَ وَغًى ... كان إن صال يَقُدُّ الدارعين(٣)

وقناةً جَلَّ من ثَقَّفها ... للحِفاظِ المُرِّ والعزم المكين(٤)

لوتِ الدهرَ على باطله ... وهى كالحقِّ صَفاةٌ لا تلين(٥)

هزمت جيشَ الأباطيلِ فما ... غادرتْ غير جَريحٍ أو طعين(٦)

كتب الله على عاملها ... إنما الخُلْدُ جزاءُ العاملين(٧)

* * *

---

(١) الستر : الحجاب .

(٢) العسجد : الذهب .

(٣) انتضوا : أخرجوا . وغى : الحرب . صال : وثب وجال . يقد : يشق ويقطع . الدارعين : لابسى الدرع والمراد المحاربين .

(٤) قناة : الرمح . ثقفها : سواها . للحفاظ المر : للمحافظة القوية .

(٥) لوت : أخضعت وألانت . صفاة : صخرة ملساء قوية .

(٦) جيش الأباطيل : جيش الكذب والبهتان .

(٧) عاملها : عامل الرمح : صدره الذى يركب فيه السنان .

جدثٌ ضمَّ سناء وسنا ... ومصاص الطهر فى دنيا ودين[(٨)]

طاعة الأملاك فيه امتزجت ... فى السموات بعز المالكين[(٩)]

فتشوا فى الترب عن عزمته ... وعن الإقدام والرأى الرصين[(١٠)]

واخفضوا أبصاركم فى هيبةٍ ... إن رأت أبصاركم نور اليقين[(١١)]

واخشعوا بالصمت فى محرابه ... أفصح الألسن صمت الخاشعين ![(١٢)]

وانتحوا من قبره ناحيةً ... واحذروا أن تزحموا الروح الأمين[(١٣)]

وحنانا بضريحٍ طالما ... صقلته قبلات الطائفين[(١٤)]

وجثت مصر به خاشعة ... تذرف الدمع على خير البنين[(١٥)]

صَيْحَةٌ قدسيَّةٌ إن سكتتْ ... فلها فى مِصْرَ رَجْعٌ ورَنين[(١٦)]

وعَرينٌ حَلَّ فيه ضَيْغَمٌ ... رحمةُ الله على لَيْثِ العرين ![(١٧)]

ومضاءٌ عَرَفَتْ مِصْرُ به ... أنَّ للحقِّ يمينا لا تمين[(١٨)]

لا أرَى قَبْرًا ولكنى أرَى ... صفحةً من صَفحاتِ الخالدين[(١٩)]

أو أراه قَصَبَ المجدِ الذى ... دونه ينفَقُ جُهْدُ السابقين[(٢٠)]

أو أراه عَلَمًا فى فَدْفَدٍ ... لمعتْ أضواؤه للحائرين[(٢١)]

أو أراه روضةً إنْ نَفَحتْ ... خَجِلَ الوردُ وأغْضَى الياسَمين[(٢٢)]

أو أراه دَوْحَةً وارفةً ... نَشَرَتْ أفياءها للاجئين[(٢٣)]

---

(٨) جدث : قبر. سناء : الرفعة والشرف. سنا : الضوء . مصاص الطهر : خلاصته .

(١٣) الروح الأمين : سيدنا جبريل .

(١٥) جثت : ركعت .

(١٦) رجع : ترديد .

(١٧) عرين : بيت الأسد . ضيغم : الأسد . ليث : أسد .

(١٨) مضاء : نفاذ . يمينا : قوة . لاتمين : لا تكذب .

(٢١) فدفد : الفلاة أو المكان المرتفع من الأرض .

(٢٢) نفحت : انتشرت رائحتها الذكية . أغض : أدنى جفونه وأخفض من نظرته .

(٢٣) أفياءها : ظلالها .

أو أراه قلبَ مصرٍ نابضًا بمُنًى تمحو من القلبِ الأنين[٢٤]

* * *

نَقلوا التابوتَ تَحْتَفُّ به رَحَماتٌ من شمالٍ ويمين[٢٥]
ذاك بَعْثٌ حَيِيَتْ مصرُ به من جديدٍ، تلك عُقْبى الصابرين! [٢٦]
هل علمتم أنَّ مَنْ واريتُمُ في حَنايا كلِّ مصريٍّ دفين؟[٢٧]
ما لِسعدٍ حُفْرةٌ واحدةٌ هو مِلْءُ القلبِ، مِلْءُ الأرَضين[٢٨]
كلُّ بيتٍ فيه سعدٌ ماثلٌ في إطارٍ من حَنانٍ وحنين[٢٩]
نظرةُ الرئبالِ في نظرته وانبلاجُ الحقِّ في ضَوْءِ الجبين[٣٠]
وضعتْ مصرُ به آمالَها فاستقرَّتْ منه في حِصْنٍ حصين[٣١]
هو للأبناءِ عمٌّ وأبٌ وهو للآباء خِلٌّ وخَدين[٣٢]
كان سعدٌ عَلَمًا منفردًا هل يُرى للشمس في الأفقِ تَنين؟[٣٣]
إنَّ أمَّ المجدِ مِقْلاتٌ فكم سَوَّفَتْ بين جَنينٍ وجَنين! [٣٤]
تبخَلُ الدنيا بآسادِ الشرَى أيُّها الدنيا إلى كم تَبْخَلين؟[٣٥]
أنتِ قد أنجبتِ سعدًا بطلاً وقليلٌ مثلَه مَنْ تلدين[٣٦]
وجدتْ مصرُ به واحدَها ربَّ فَرْدٍ بأُلوفٍ ومِئين! [٣٧]
ومن الناسِ نضارٌ خالصٌ ومن الناس غُثاءٌ وغَرين[٣٨]

---

(٢٥) تحتف به: تحيط به.
(٢٦) عقبى: جزاء.
(٢٧) حنايا: أضلع.
(٢٨) الارضين: الأرض.
(٣٠) الرئبال: الأسد. انبلاج: اضاءة.
(٣٢) خل: الصديق الودود. خدين: الصديق.
(٣٣) تنين: شبيه.
(٣٤) مقلات: قليل الولادة. سوفت: باعدت.
(٣٥) آساد الشرى: آساد الجبال.
(٣٨) نضار خالص. ذهب نقي. غثاء: ما يحمله السيل من قذر. غرين: طين يخالطه ماء.

ومن الناس أسودٌ خُدَّرٌ   ومن الناس ذُبابٌ وطنين[٣٩]

قاد للمجد مناجيد الحمى   كلُّهم أروَعُ مُنْبَتُّ القرين[٤٠]

تقرأُ الاقدامَ فى صفحتِه   مثلما تقرأُ خطَّ الكاتبين[٤١]

كلّما مرّتْ به عاصفةٌ   زَعزَعٌ ، مرَّت على طَوْدٍ رَكين[٤٢]

تقرَعُ الأقدارُ منه عَزْمَةً   أنِفَتْ صخرتُها أنْ تستكين[٤٣]

يا بنى الرُّبّانِ لا تستيئسوا   إنْ مضى الموتُ برُبانِ السفين[٤٤]

إنّ سعدًا أخضع الريح لكم   والبقيّاتُ على الله المعين[٤٥]

لاحتِ الفرصةُ فى إبّانِها   إنها لا تُرْتَجَى فى كلِّ حين[٤٦]

فهلمّوا فاقْنِصوا طائرَها   كلّكُمْ بالسبق والنصر قمين[٤٧]

صَدَقَ الله تعالى وعدَه   إنما الفوزُ ثواب المخلصين ![٤٨]

---

(٣٩) خدَّر : جمع خادر يقال أسد خادر : ملازم عرينه .

(٤٠) مناجيد : شجعان . منبت القرين : ليس لهم مثيل .

(٤٢) زعزع : متحركة . طود : جبل .

(٤٦) إبانها : حينها .

(٤٧) طائرها : ثمرتها . قمين : جدير .

وَصِيّة

عرض على الشاعر بعض أصدقائه قطعة نثرية باللغة الفرنسية يوصى فيها كاتبها ابنته بالتحلى بكريم الصفات ، ثم طلب إليه أن يقول شعرًا على مثالها فنظم هذه القصيدة فى سنة ١٩١٨ م .

يَا بُنَيّتِى إنْ أردْتِ آيةَ حُسْنٍ ... وجَمالاً يَزِينُ جِسْماً وعَقْلاً (١)

فانْبِذِى عادةَ التّبرجِ نَبْذاً ... فجمالُ النّفوسِ أسْمَى وأعْلَى (٢)

يَصْنَعُ الصّانِعُون وَرْدًا ولَكِنْ ... وَرْدَةُ الرّوضِ لا تُضارِعُ شَكْلاً (٣)

صِبْغَةُ اللهِ صِبْغَةٌ تَبْهَرُ النّفْـ ... ـسَ ، تعالى الإلَهُ عَزّ وجَلّا (٤)

ثُمّ كُونِى كالشّمسِ تَسْطَعُ لِلنّا ... سِ سَواءً : مَنْ عَزّ مِنْهُم وَذَلّا (٥)

فامْنَحِى المُثْرِيَاتِ لِيناً ولُطْفاً ... وامْنَحِى البائساتِ بِرًّا وفَضْلا (٦)

زِينَةُ الوَجْهِ أنْ تَرَى العَيْنُ فيه ... شَرَفاً يَسْحَرُ العُيُونَ ونُبْلا (٧)

واجعَلِى شِيمَةَ الْحَيَاءِ خِماراً ... فَهْوَ بِالْغَادةِ الكَرِيمَةِ أوْلَى (٨)

ليس لِلْبِنْتِ فى السّعادة حَظٌّ ... إنْ تَنَاءَى الحياءُ عَنْها وولّى (٩)

والْبَسِى مِنْ عَفَافِ نَفْسِكِ ثَوْباً ... كلُّ ثَوْبٍ سِوَاه يَفْنَى ويَبْلَى (١٠)

وإذا ما رأيتِ بُؤْساً فَجُودِى ... بدُموعِ الإحْسَانِ يَهْطِلْنَ هَطْلا (١١)

---

(١) الآية : العلامة .

(٨) الشيمة : السجية والطبع . الخمار : ما تغطى به المرأة رأسها ووجهها .

(١١) يهطل : ينصب انصبابا فى تتابع وكثرة .

فلدُمُوع الإحسان أنْضَر فى الْخدّ   وأبْــهى من اللآلِى وأغْــلَى (12)

وانظُرِى فى الضَّمير- إن شِئْتِ مرآ   ةً- ففيه تبدُو النفوسُ وتُجْلَى (13)

ذاكِ نُصْـحِى إلى فتَاتِى وسُؤْلى   وابْـنَتِى لا تـرُدّ للأب سُؤْلا (14)

ذِكرى قاسِم أمين

• أذيعت بدار الاذاعة فى سنة ١٩٣٨ م لمرور ثلاثين سنة على وفاته.

مَلَّ مِنْ وَجْدِهِ وَمِنْ فَرْطِ مَا بِهْ ... وَأَرَاقَ الشَّرَابَ مِنْ أَكْوَابِهْ ! (١)
وَإِذَا الْقَلْبُ أَظْمَأَتْهُ الأَمَانِيُّ ، فَمَاذَا يُرِيدُهُ مِنْ شَرَابِهْ ؟ (٢)
وَإِذَا النَّفْسُ لَمْ تَكُنْ مَنْبِتَ الأُنْسِ ، تَنَاءَى الْقَرِيبُ مِنْ أَسْبَابِهْ (٣)
وَأَشَدُّ الآلامِ أَنْ تُلْزِمَ الثَّغْرَ ابتساماً ، وَالْقَلْبُ رَهْنُ اكتِئَابِهْ (٤)

* * *

كُلَّمَا اخْتَالَ فِى الزَّمانِ شَبَابٌ ... عَصفَتْ رِيحُهُ بِلَدْنِ شَبَابِهْ ! (٥)
وَالنُّبُوغُ النُّبُوغُ يَمْضِى ، وَتَمْضِى ... كُلُّ آمَالِ قَوْمِهِ فِى رِكَابِهْ (٦)
غَـرِدٌ . مَا يَكَادُ يَصْدَحُ حَتَّى ... يُسْكِتَ الدَّهْرُ صَوْتَهُ بِنُعَابِهْ (٧)
وَحَبَابٌ ، إِذَا عَلَا الْمَاءَ وَلَّى ... فَاسْأَلِ الْمَاءَ هَلْ دَرَى بِحَبَابِهْ ؟ (٨)
وَسَفِينٌ ، مَا شَارَفَ الشَّطَّ حَتَّى ... مَزَّقَ الْيَمُّ دُسْرَهُ بِعُبَابِهْ (٩)

* * *

---

(٧) النعاب : صوت الغراب .
(٨) حباب : حباب الماء بفتح الحاء نفاخاته التى تعلوه .
(٩) الدسر : خيوط تشد بها ألواح السفينة . واحدها دسار ككتاب . عبابه : أمواجه .

بَخِلَ الدَّهْرُ أَنْ يُطَوِّلَ لِلْعَقْلِ، فَيَجْرِى إِلَى مَدَى آرَابِهْ[10]
كُلَّمَا سَارَ خُطْوَةً وَقَفَ الْمَوْ تُ، فَسَدَّ الطَّرِيقَ عَنْ طُلَّابِهْ[11]
وَابْتِدَاءُ الْكَمَالِ فِى عَمَلِ الْعَا مِلِ بَدْءُ الشَّكَاةِ مِنْ أَوْصَابِهْ[12]
ضِلَّةٌ نَكْتُمُ الْمَشِيبَ فَيَبْدُو ضَاحِكًا سَاخِرًا خِلَالَ خِضَابِهْ[13]
أَيْنَ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرْشِدَ الدُّنْيَا، وَسَوْطُ الْمَنُونِ فِى أَعْقَابِهْ؟[14]
أَيُّهَا الْمَوْتُ: أَمْهِلِ الْكَاتِبَ الْمِسْكِينَ يُرْسِلْ أَنْفَاسَهُ فِى كِتَابِهْ[15]
آهِ لَوْ يَشْتَرِى الزَّمَانُ قَرِيضِى بِسِنِينٍ تُعَدُّ لِى فِى حِسَابِهْ[16]
مَا حَيَاتِى؟ وَالْكَوْنُ بَعْدَ جِهَادٍ لَمْ أَزَلْ وَاقِفًا عَلَى أَبْوَابِهْ[17]
تَظْمَأُ النَّفْسُ فِى حَيَاةٍ هِىَ الْقَفْرُ، فَتَرْضَى بِنَهْلَةٍ مِنْ سَرَابِهْ[18]
أَنَا قَلْبِى مِنَ الشَّبَابِ وَجِسْمِى أَثْخَنَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ بِحِرَابِهْ[19]
أَمَلُ هَذِهِ الْحَيَاةُ، فَهَلْ يَعْثُرُ بِى الْمَوْتُ دُونَ وَشْكِ طِلَابِهْ؟[20]
كُلَّمَا رُمْتُ لَمْحَةً مِنْ سَنَاهُ هَالَنِى بُعْدُهُ وَطُولُ شِعَابِهْ[21]
مَا الَّذِى تَبْتَغِى يَدُ الدَّهْرِ مِنِّى؟ وَدَمِى لَا يَزَالُ مِلْءَ لُعَابِهْ[22]
دَعْ يَرَاعِى يَا دَهْرُ يَمْلَأْ سَمْعَ النِّيلِ، مِنْ شَدْوِهِ وَعَزْفِ رَبَابِهْ[23]
كُلُّ شَىْءٍ لَهُ نِصَابٌ سِوَى الْفَنِّ، فَلَا حَدَّ يَنْتَهِى لِنِصَابِهْ[24]

* * *

عَصَفَتْ صَيْحَةُ الرَّدَى بِخَطِيبٍ وَهْوَ لَمْ يَعْدُ صَفْحَةً مِنْ خِطَابِهْ[25]

---

(١٠) طول له : أمهله . مدى : غاية . آراب : جمع إرب وهو الحاجة والمطلب .
(١٢) الشكاة : الشكوى . أوصاب : جمع وصب المرض .
(١٣) الضلة : بكسر الضاد عدم الهدى . الخضاب : صبغ يوضع على الشعر لاخفاء الشيب .
(١٤) أعقاب : جمع عقب وهى مؤخر القدم .
(٢١) رمت : أردت . السنا : الضوء . هالنى : أزعجنى . شعابه : جمع شعب وهو الطريق فى الجبل .
(٢٢) إشارة إلى وفاة نجل الشاعر البكر عام ١٩٣٥ م .
(٢٤) النصاب : المقدار المعين .

سَكْتَةٌ أَسْكَتَتْ نَشِيجَ خِضَمٍّ ... عَقَدَ النَّوْءُ لُجَّهُ بِسَحَابِهْ[26]

سَكْتَةٌ أَطْفَأَتْ مَنَارَ طَرِيقٍ ... كَمْ مَشَتْ مِصْرُ فِى ضِيَاءِ شِهَابِهْ[27]

وَمَضَى (قَاسِمٌ) وَخَلَّفَ مَجْدًا ... تَفْرَعُ النَّجْمَ رَاسِيَاتُ قِبَابِهْ[28]

* * *

قَدْ نَكِرْنَاهُ حِينَ قَامَ يُنَادِى ... وَفَهِمْنَا مَعْنَاهُ يَوْمَ احْتِسَابِهْ[29]

رُبَّ مَنْ كُنْتَ فِى الْحَيَاةِ لَهُ حَرْ ... بًا، شَقَقْتَ الْجُيُوبَ عِنْدَ غِيَابِهْ[30]

وَتَحَدَّيْتَ شَمْسَهُ، فَإِذَا وَلَّى ... تَمَنَّيْتَ لَمْحَةً مِنْ ضَبَابِهْ[31]

لَمْ يَفُزْ مِنْكَ مَرَّةً بِثَنَاءٍ ... فَنَثَرْتَ الأَزْهَارَ فَوْقَ تُرَابِهْ[32]

يُعْرَفُ الْوَرْدُ حِينَمَا يَنْقَضِى الصَّيْفُ، وَيُبْكَى النُّبُوغُ بَعْدَ ذَهَابِهْ[33]

كَمْ نَدَبْنَا الشَّبَابَ حِينَ تَوَلَّى ... وَشُغِفْنَا بِالْبَدْرِ بَعْدَ احْتِجَابِهْ![34]

كَتَبَ اللهُ أَنْ يَعِيشَ غَرِيبًا ... كُلُّ ذِى دَعْوَةٍ إِلَى الْحَقِّ نَابِهْ[35]

لا تَرَى فَوْقَ قِمَّةِ الطَّوْدِ إِلَّا ... بَطَلاً لا يَهَابُ هَوْلَ صِعَابِهْ[36]

كُلُّ ذَاتِ الْجَنَاحِ طَيْرٌ، وَلَكِنْ ... عَرَفَ الْجَوُّ نَسْرَهُ مِن غُرَابِهْ[37]

كَمْ رَأَيْنَا فِى النَّاسِ مَنْ يَبْهَرُ الْعَيْنَ، وَمَا فِيهِ غَيْرُ حُسْنِ ثِيَابِهْ[38]

يَمْلَأُ الأَرْضَ وَالسَّمَاءَ رِيَاءً ... وَعُيُوبُ الزَّمَانِ مِلْءُ عِيَابِهْ[39]

* * *

(٢٦) النشيج : الصوت . الخضم : البحر العظيم . النوء : النجم مال للغروب أو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق وكانت العرب تنسب الرياح والأمطار إلى النوء ، والمراد هنا العواصف التى تنشأ عن النوء .

(٢٨) قاسم : هو الرجل الاجتماعى العظيم الذى دافع عن المرأة المصرية طول حياته وبذل فى سبيل تحريرها جهدًا كبيرًا وقوة فتية حتى تنهض إلى مكانة سامية وألف فى سبيل تحريرها كتابيه : تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، وهو من أصل كردى ولد سنة ١٨٦٥ م وبعد أن فاز بقسط كبير من العلم فى مصر سافر إلى فرنسا وهناك درس الحقوق ثم رجع إلى مصر فى سنة ١٨٨٥ م وعين قاضيًا بالمحاكم الأهلية ثم مستشارًا واشترك فى إنشاء الجامعة المصرية وتوفى سنة ١٩٠٨ م . تفرع : فرع القوم علاهم بالشرف والجمال .

(٣٩) الرياء : أن تظهر للناس غير ما أنت عليه لتخدعهم عن حقيقة أمرك . عيابه : عياب جمع عيبة وهى الحقيبة .

نَقَدَ النَّاسَ (قَاسِماً) فَرَأَوْهُ ... أَصبَرَ النَّاسِ فى تَجَرُّعِ صَابِهْ(٤٠)
حُجَّةُ الْجَاهِلِ الْمِرَاءُ، فَإِنْ شَا ... ءَ سُمُوًّا، أَمَدَّهَا بِسِبَابِهْ(٤١)
قَدْ يُغَشِّى الْوِجْدَانُ بَاصِرَةَ الْعَقْلِ، فَيُعْمِيه عَنْ طَرِيقِ صَوَابِهْ(٤٢)
صَالَ بِالرَّأْيِ (قَاسِمٌ) لاَ يُبَالِى ... وَمَضَى فِى طَرِيقِهِ غَيْرَ آبِهْ(٤٣)
كَمْ جَرِيءٍ لَا يَرْهَبُ السَّيْفَ إِنْ سُلَّ، وَنِكْسٍ يَخَافُ مَسَّ قِرَابِهْ(٤٤)
وَالشُّجَاعُ الَّذِى يُجَاهِرُ بِالْحَقِّ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مُرُّ عَذَابِهْ(٤٥)
كَيْفَ يَهْدِى النَّصِيحُ إِنْ رِيعَ يَوْمًا ... مِنْ قِلَى مَنْ يُحِبُّ أَوْ إِغْضَابِهْ؟(٤٦)
وَطَرِيقُ الإِصْلَاحِ فى كُلِّ شَعْبٍ ... عَسِرُ الْمُرْتَقَى عَلَى مُجْتَابِهْ(٤٧)
يَعْشَقُ الشَّعْبُ مِنْ يُدَلِّلُهُ زُو ... رًا، بِمَذْقٍ مِنْ سُخْفِهِ وَكِذَابِهْ(٤٨)

* * *

قُمْتَ لِلْجَهْلِ تَقْلِمُ الظُّفْرَ مِنْهُ ... وَتَفُضُّ الْحِدَادَ مِنْ أَنْيَابِهْ(٤٩)
فِى زَمَانٍ كَانَ الْقَدِيمُ بِهِ قُدْ ... ساً، يُذَادُ الْجَدِيدُ عَنْ مِحْرَابِهْ(٥٠)
يَا نَصِيرَ النِّسَاءِ، وَالدِّينُ سَمْحٌ ... لَوْ وَعَيْنَا السَّرِىَّ مِنْ آدَابِهْ(٥١)
قَدْ خَشِينَا عَلَى الْحَمَائِمِ فِى الدَّوْ ... حِ، أَظَافِيرَ بَازِهِ أَوْ عُقَابِهْ(٥٢)

---

(٤٠) تجرع : من جرعت الماء كنفع جرعا إذا بلعته ، والجرعة من الماء كاللقمة من الطعام . صابه : الصاب عصارة شجر مر .

(٤١) المراء : من ماريته أماريه مماراة ومراء : جادلته بالحق أو بالباطل .

(٤٦) ريع : خاف وفزع . القلى : البغض .

(٤٨) يدلله : يرضى رغباته . مذق : المذق الخلط . سخفه : سخف الثوب سخفا وسخافة رق لقلة غزله فهو سخيف ومنه قيل رجل سخيف وفى عقله سخف أى نقص والمراد بالسخف هنا الهراء من الكلام . الكذاب : الكذب .

(٤٩) تقلم : قلمت الظفر قطعته وما يسقط منه يسمى القلامة . الحداد : جمع حديد القوى . وناب حديدة أى حادة قوية . فض الله فاه : نثر أسنانه .

(٥٠) القدس : الطهر والمراد به هنا الشيء الذى لا يحل تغييره وتبديله . يذاد : يدفع ويطرد . المحراب : صدر المجلس أو محراب المسجد أو المسجد نفسه .

(٥١) سمح : يسر . وعينا : أدركنا . سرى الآداب : شريفها وعاليها .

(٥٢) الحمائم : جمع حمامة . الدوح : الشجر العظام ومفرده دوحة . الباز : طير جارح وكذا العقاب .

إنْ أَرَدْتَ الظِّبَاءَ تَمْرَحُ فِى السَّهْلِ ، فَطَهِّرْ أَكْنَافَهُ مِنْ ذِئَابِهْ[٥٣]

كَمْ ضِرَاءٍ وَسْطَ الْمَدَائِنِ أَنْكَى مِنْ ضِرَاءِ الضِّرْغَامِ فِى وَسْطِ غَابِهْ ![٥٤]

وَشِبَاكٍ ، مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْخَتْلِ ، حَوَاهَا شَيْطَانُهُمْ فِى جِرَابِهْ[٥٥]

وَإِذَا مَا الْحَيَاءُ لَمْ يَسْتُرِ الْحُسْنَ ، فَمَاذَا يُفِيدُهُ مِنْ نِقَابِهْ ؟[٥٦]

* * *

قُمْتَ تَدْعُو الْبَنَاتِ لِلْعِلْمِ فَانْظُرْ كَيْفَ حَلَّقْنَ فَوْقَ شُمِّ هِضَابِهْ[٥٧]

وَزَهَا النِّيلُ بِابْنَةِ النِّيلِ فَاخْتَا لَ ، يَجُرُّ الذُّيُولَ مِنْ إِعْجَابِهْ[٥٨]

وَغَدَا الْبَيْتُ جَنَّةً بِالَّتِى فِيهِ ، خَصِيباً بِالْأُنْسِ بَعْدَ يَبَابِهْ[٥٩]

يَافَتَى الْكُرْدِ ، كَمْ بَزَزْتَ رِجَالاً مِن صَمِيمِ الْحِمَى ، وَمِنْ أَعْرَابِهْ ![٦٠]

نَسَبُ الْمَرْءِ مَا يَعُدُّ مِنَ الْأَعْمَالِ ، لا مَا يَعُدُّ مِنْ أَنْسَابِهْ[٦١]

كَمْ سُؤَالٍ بَعَثْتَ إِثْرَ سُؤَالٍ أَيْقَظَ النَّائِمِينَ رَجْعُ جَوَابِهْ[٦٢]

كُنْتَ فِى الْحَقِّ لِلْإِمَامِ نَصِيرًا وَالْوَفِىَّ الصَّفِىَّ مِنْ أَصْحَابِهْ[٦٣]

نَمْ هَنِيئًا ، فَمِصْرُ نَالَتْ ذُرَا الْمَجْدِ ، وَفَازَتْ بِمَحْضِهِ وَلُبَابِهْ[٦٤]

مِنْكَ عَزْمُ الدَّاعِى ، وَفَضْلُ الْمُجَلِّى وَمِنَ اللهِ مَا تَرَى مِنْ ثَوَابِهْ[٦٥]

---

(٥٣) الظباء : جمع ظبية . تمرح : ترتع وتلعب . السهل : الأرض المستوية . أكنافه : جمع كنف وهو الجانب .

(٥٤) ضراء : من ضرى الكلب بالصيد ضراء بكسر الضاد وفتحها فهو ضار إذا تعوده ، والمراد هنا بالضراء الجرأة والفتك . أنكى : من قولهم نكيت فى العدو من باب رمى إذا قتلت وأثخنت والاسم منه النكاية ، والمراد بأنكى هنا : أشد وأبلغ . الضرغام : الأسد . الغاب : جمع غابة .

(٥٥) الختل : الخداع والمكر.

(٥٧) حلق الطائر : طار فى دوران . شم : جمع شماء وأشم ، والشمم ارتفاع فى الجبل والأنف ، وشم الهضاب مرتفعها .

(٥٩) يبابه : اليباب : القفر.

(٦٠) فتى الكرد : قاسم لأنه كردى الأصل من بلاد كردستان أقليم من أقاليم العراق يقع جزء منه بين دجلة والفرات . بززت : غلبت . صميم : خالص . الحمى : المراد بالحمى هنا مصر.

(٦٣) الإمام : المرحوم الشيخ محمد عبده . الصفى : المختار.

(٦٤) الذرا : جمع ذروة : وهى أعلى كل شىء . المحض : الخالص . اللباب : لب النخلة قلبها .

(٦٥) المجلى : السابق من أفراس الحلبة .

دارُ العُـلوم

احتفل كبار خريجى دار العلوم فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٧ م بانقضاء خمسين عاما منذ إنشائها . وقد حضر هذا الحفل الجامع عِلية رجال مصر ، وخيرة علمائها وأدبائها . وأنشد الشاعر هذه القصيدة فى هذا المهرجان :

يا خَليلَىَّ خَلِّيانِى وَما بِى ... أَوْ أَعِيدَا إِلَىَّ عَهْدَ الشَّبابِ[1]

حُلمٌ قد مَضَى ، وَأَيَّامُ أُنسٍ ... ذَهبتْ غيرَ مُزْمِعاتِ الإِيابِ[2]

وَأَزَاهِيرُ كُنَّ تاجَ عَرُوسٍ ... عُفِّرَتْ بعدَ لَيْلةٍ فى التُّرابِ[3]

وبِساطٌ للشَّارِبِينَ يُصَلِّى ... فيه إِبْرِيقُهم بلا مِحْرابِ[4]

فى حَديثٍ أَحْلَى من الأَمَلِ الحُلْوِ وَأَصْفَى دِيباجَةً مِنْ شَرابِ[5]

كلُّ فَصْلٍ كأنَّه صَفْحَةُ الرَّوْ ... ضِ وَعِنْدَ العُقَارِ فَصْلُ الْخِطابِ[6]

ومُجُونٍ يَحُوطُه الأَدَبُ الجَمُّ فما رَاعَه اللِّسانُ بِعَابِ[7]

يَتَغَنَّوْنَ بالنُّواسِىِّ حِينًا ... وَبِشِعْرِ الفَتَى أَبِى الْخَطَّابِ[8]

---

(٤) يريد بصلاة الابريق : ميله فى أيدى الشاربين ليصبوا منه الخمر ثم اعتداله ، تشبيهًا بركوع المصلى واستوائه . المحراب : مكان الإمام فى المسجد .

(٥) ديباجة الشيء : رواؤه ومظهره .

(٦) الفصل : القطعة من الحديث . صفحة الروض : ما بدا لك منه موشى بالزهر والنور . العقار : الخمر . فصل الخطاب : الكلام يسمو فلا يدرك له شأو ولا مدى .

(٨) النواسى : هو أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المتفنن الجاد الماجن ولد بقرية من كور خوزستان سنة ١٤٥ هـ . وتوفى ببغداد سنة ١٩٩ هـ . وأبو الخطاب : هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى ، أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل وأوصف الشعراء لأحوال النساء ، ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب ومات محترقًا فى سفينة سنة ٩٣ هـ . وخص النواسى وأبا الخطاب لما عرف عن الأول من مجونه ووصفه للخمر ، وعن الثانى من غزله وتشبيبه .

كُلَّما هَزَّتِ المُدامُ يَدَيْهِمْ قَهْقَهَتْ ثُلَّةٌ مِنَ الأَكْوَاب[9]
صاحَ فيهم دِيكُ الصَّباحِ فَطارُوا كلُّ جَمْعٍ لِفُرْقَةٍ واغْتِرَابِ ![10]

* * *

يا شَبابًا أقامَ أَقْصَرَ مِنْ حَسْوَةِ طَيْرٍ عَلَى وَحًى وَارْتِيابِ[11]
لَكَ عُمْرُ النَّدَى يَطِيرُ مَعَ الشَّمْسِ وَعُمْرُ البُرُوقِ بَيْنَ السَّحابِ[12]
كُنْتَ فِينا كما لَمَحْنا حَبابًا فَنَظَرْنا فَلَمْ نَجِدْ مِنْ حَبَابِ[13]
وَعَرَفْناكَ مُذْ ذَهَبْتَ كما يُعْرَفُ فَضْلُ النُّبُوغِ بعدَ الذَّهابِ[14]
مُذْ خَلَعْنا ثِيابَكَ القُشْبَ لم نَنْعَمْ بِشَيءٍ مِنْ مُنْفِساتِ الثِّيابِ[15]
وَرَأَيْنا فى لَوْنِكَ الفاحِمِ اللمّاحِ هُزْؤًا بلَوْنِ كلِّ خِضَابِ[16]
أَيْنَ لَوْنُ الحَياةِ والقَهْرِ والقُوَّةِ مِنْ لَوْنِ ناصِلِ الأَعْشابِ ؟[17]

* * *

يا سَوَادَ العُيُونِ ! يا حَبَّةَ القَلْبِ ! ويا خَالَ كُلِّ خَوْدٍ كَعَابِ ![18]
سَرَقَ اللَّيْلُ مِنْكَ لَوْنًا فأمْسَى مَسْرَحَ اللَّهْوِ مَوْطِنَ الإِطْرَابِ[19]
وَرَأَى فيكَ أَحْمَدُ لَوْنَ كافُورٍ فَغَنَّى خَوالِدَ الآدابِ[20]

---

(٩) المدام : الخمر. القهقهة : ارتفاع الصوت بالضحك . الثلة : الجماعة.

(١١) حسوة الطير : المرة من شربه ، ولا تكون الا بمقدار ما يضع منقاره فى الماء ثم يرفعه فى عجلة وخوف شأن الذى يشغله ما يريبه ، فهو يخاف أن يؤتى من مأمنه . الوحى : العجلة والسرعة . الارتياب : الشك .

(١٣) الحباب : الفقاقيع تعلو سطح الماء .

(١٥) القشب : الجديدة من الثياب ، الواحد : قشيب . منفسات الثياب : النفيس المرغوب فيه منها .

(١٧) القهر : الغلبة والاستطالة . ناصل الأعشاب : الذابل الذى ذهب لونه .

(١٨) سواد العيون : أعز شىء فيها . حبة القلب : سويداؤه . الخال : الشامة السوداء فى الخدّ . والخود الشابة الحسنة الخلق الناعمة . الكعاب : الناهدة الثديين .

(٢٠) أحمد : هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى ، الشاعر الحكيم ، صاحب الأمثال السائرة ، والمعانى النادرة . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ ومات مقتولا سنة ٣٥٤ هـ . وكافور : هو أبو المسك الاخشيدى كان أسود اللون . تولى كافور ملك مصر سنة ٣٥٥ هـ وبقى عليها إلى أن مات سنة ٣٥٧ هـ . وكان أبو الطيب اتصل بكافور ومدحه . رجاء أن ينال عنده مالم ينل عند غيره .

بَسْمَةٌ لِلزَّمَانِ أَنْتَ ، تَلَتْهَا   كَشْرَةٌ لِلزَّمَانِ عَنْ أَنْيَابِ(٢١)

كُلَّمَا رُمْتُ خَدْعَ نَفْسِي بِنَفْسِي   كَشَفَتْ لِي المِرْآةُ وَجْهَ الصَّوَابِ(٢٢)

رُبَّ صِدْقٍ تَوَدُّ لو كَانَ كِذْبًا   وَكِذَابٍ لو كانَ غَيْرَ كِذَابِ !(٢٣)

لَيْتَ لي لَمْحَةً أُعِيدُ بِهَا مِنْكَ بَقَايَا تِلْكَ الأَمَانِي العِذَابِ(٢٤)

حَيْثُ أَخْتَالُ نَاضِرَ العُودِ بَسًّا   مَا كَثِيرَ الهَوَى قَلِيلَ العِتَابِ(٢٥)

فِي صِحَابٍ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ لا تَبْلَى مَوَدَّاتُهُم بِطُولِ الصِّحَابِ(٢٦)

بِوُجُوهٍ غُرٍّ تَرَاهَا فَتَتْلُو   فِي أَسَارِيرِهَا سُطُورَ كِتَابِ(٢٧)

نَسْبِقُ الخَطْوَ لِلسُّرُورِ وِثَابًا   لا تُنَالُ المُنَى بِغَيْرِ الوِثَابِ(٢٨)

وَنَجُرُّ الذُّيُولَ فِي غَيْرِ نُكْرٍ   طَاهِرِي النَّفْسِ طَاهِرِي الجِلْبَابِ(٢٩)

إِنْ دَعَانَا الهَوَى لِغَيْرِ سَدِيدٍ   سَدَّدَتْنَا كَرَائِمُ الأَحْسَابِ(٣٠)

زَيْنَبٌ ، أَيْنَ مِنْكِ زَيْنَبُ ، والشَّمْلُ جَمِيعٌ والعَيْشُ خِصْبُ الجَنَابِ ؟(٣١)

وَبَنَاتُ الثُّغُورِ يَلْعَبْنَ بالأَلْبَابِ لِعْبَ الشَّمُولِ بالأَلْبَابِ(٣٢)

يَتَظَاهَرْنَ بالحِجَابِ ، وَهَلْ أَذْ   كَى الجَوَى غَيْرُ لُؤْمِ ذَاكَ الحِجَابِ ؟(٣٣)

كَمْ وُجُوهٍ تَنَقَّبَتْ بِسُفُورٍ   وَوُجُوهٍ قد أَسْفَرَتْ بِنِقَابِ !(٣٤)

أَيْنَ تِلْكَ الأَيَّامُ ؟ بَانَتْ وَبِنَّا   وَتَوَلَّتْ بَشَاشَةُ الأَحْبَابِ !(٣٥)

* * *

(٢٧) غر : بيض . يصفها بالسماحة والطلاقة . أسارير الوجه : غضونه وخطوطه .

(٢٩) نجر الذيول : أى نمشى فى تيه واختيال .

(٣١) زينب : كنى بها الشاعر عن المحبوبة . الجناب : الناحية . خصب الجناب : أى معشب النواحى مخضرها . وهو كناية عن رغد العيش وخفضه .

(٣٢) بنات الثغور : يشير إلى موطنه الأول رشيد ، وهى ثغر من الثغور المصرية المعروفة بجمال خودها ، وحسن غيدها . ويذكر أيامه الأولى بها . الألباب : العقول . الشمول : الخمر .

(٣٣) الحجاب : ما تضعه المرأة على وجهها تستره به . الجوى حرقة الوجد وشدته . إذكاء الجوى : إشعاله وإيقاده .

(٣٥) بانت وبنا : انقطعت عنا وانقطعنا عنها . تولت بشاشة الأحباب : أى حرمنا الهرم والكبر أنس الشباب وبشره .

لَيْتَ شِعْرِى ، أَيَرْجِعُ الأَمسُ عَهْدًا   غَصَبَتْه الأَيَّامُ أىَّ اغْتِصَابِ ؟[٣٦]

عَهْدَ دارِ العُلوم ، أَنْتَ يَدَ الدَّهْـرِ ، جَمَالُ الدُّهُورِ والأَحْقَابِ[٣٧]

إنْ ذَكَرْناكَ هَزَّنا الشَّوْقِ للشَّوْ   قِ وَلَهْوِ اللِّدَّاتِ وَالأَتْرَابِ[٣٨]

أَنْتَ خِدْنُ الشَّبابِ ، بَيْنكما فى الـوَهمِ قُرْبَى وَشِيجَةُ الأَنْسابِ[٣٩]

فكأنِّى أَرَى الزَّمَانَ وَقَدْ دَا   رَ وَعادَ الصِّبا نَضِيرَ الإِهَابِ[٤٠]

وَأَرَى « الْجَارِمَ » الفَتِىَّ يَقُودُ الْحَشْدَ فى جَحْفَلٍ مِنَ الطُّلَّابِ[٤١]

وَاثِبًا لاهِياً ، لَعُوباً ضَحوكاً   غَيْرَ مَا وَاجِلٍ وَلا هَيَّابِ[٤٢]

وَاثقًا بالإِله ، لَيْسَ يَرَى الصَّعْبَ سِوَى أَن تُهابَ خَوْضَ الصِّعَابِ[٤٣]

فَهْوَ كالطَّائِرِ الطَّلِيقِ فَحِيناً   فى وِهَادٍ وَمَرَّةً فى هِضَابِ[٤٤]

عابِثٌ بالغُصُونِ فى ظِلِّ رَوْضٍ   حَاكَ أَفْوافَه مُلِثُّ الرَّبَابِ[٤٥]

يَحْمِلُ الكُتْبَ فى الصَّبَاحِ ، وَلَوْلَا   مالِ فى صَدْرِه نَتِيجُ العُبَابِ[٤٦]

رَأْسُه رَأْسُ مالِه ، وامتِلاءُ الرَّأْ   سِ خَيْرٌ من امْتِلاءِ الوِطَابِ[٤٧]

كُلُّ يَوْمٍ فى الامْتِحاناتِ هَيْنٌ   خَطْبُهُ غَيْرَ خَطْبِ يَوْمِ الْحِسَابِ[٤٨]

* * *

إيهٍ دارَ العُلُوم ، كُنْتِ بِمِصْرٍ   فى ظَلامِ الدُّجَى ضِيَاءَ الشِّهَابِ[٤٩]

---

(٣٧) يد الدهر : أى طول الزمان . الأحقاب : السنون .

(٣٨) هزنا الشوق : استخفنا وحركنا . اللدات والأتراب : المماثلون لك فى سنك .

(٣٩) الخدن : الصديق . وشيجة : مشتبكة لا انفصام لها .

(٤٠) وقد دار : أى عاد بنا إلى سيرتنا الأولى من الصبا والشباب . الاهاب : الجلد . نضرة الاهاب : دليل الشباب والفتوة .

(٤٢) الواجل : الخائف . الهياب : غير المقدام الذى يفقد الجرأة رعبا وفزعا .

(٤٥) الأفواف : ضروب من برود اليمن ، تشبه الأزهار بها ، ملث الرباب : السحاب الممطر .

(٤٦) العباب : الموج . نتيجه : صوته .

(٤٧) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) وهو سقاء اللبن . يكنى بامتلاء الوطاب عن الغنى وبامتلاء الرأس عن العلم .

(٤٨) خطبه : خطره وشدته . يوم الحساب : يوم البعث . ويريد به هنا يوم امتحان الحساب .

(٤٩) ظلام الدجى . يريد به ظلمة الجهالة التى كانت تخيم على مصر ، ويخبط فيها المصريون . الشهاب : أحد نجوم سبعة تعرف بالدرارى .

فى زمانٍ مَنْ كانَ يُمْسِكُ فيه ... قَلَمًا عُدَّ أكْتَبَ الكُتَّاب ! (٥٠)

أنْتِ أُمُّ الأشْبالِ ، إنْ غابَ لَيْثٌ ... صالَ لِلْحَقِّ بَعْدَه لَيْثُ غابِ (٥١)

تَلِدينَ البَنِينَ مِنْ كُلِّ ماضٍ ... شَمَّرِيٍّ مُزاحِمٍ وَثَّابِ (٥٢)

شاعِرٍ يُنْصِتُ الوُجُودُ إذا قا ... لَ وَيَهْتَزُّ هِزَّةَ الإعْجابِ (٥٣)

شِعْرُه زَفْرَةُ الغرامِ ، تَعالَتْ ... عن قُيُودِ الأوْتادِ والأسْبابِ (٥٤)

تَتَغَنَّى به العَذارَى فَيَبْعَثْـ ... ـنَ الهَوَى بعد صَحْوَةٍ وَمَتابِ (٥٥)

تَخِذَتْ فيكِ بِنْتُ عَدْنانَ دارًا ... ذَكَّرَتْها بَداوَةَ الأعْرابِ (٥٦)

عادَها الحُسْنُ فى ذَراكِ ورَوَّا ... ها عَلَى غُلَّةٍ نَميرُ الشَّبابِ (٥٧)

وَغَدَتْ فى عُكاظَ بَيْنَ شُيُوخٍ ... فَتَنَتْهم بِسِحْرِها الخَلَّابِ (٥٨)

خَلَعُوا فى طِلابِها جِدَّةَ العُمْـ ... ـرِ ، وقَدْرُ المَطْلوبِ قَدْرُ الطِّلابِ (٥٩)

وَدَنَوْا من خِبائِها فَأرَتْهم ... ثَمَراتِ النُّهَى وَسِرَّ الكِتابِ (٦٠)

* * *

---

(٥٢) الماضى : المقدام الذى لا يثنيه شىء . الشمرى : (بفتح الشين والميم أو بكسرهما) المجرب الجرئ غير الهياب . المزاحم : الذى يغالب غيره ويقوى عليه . الوثاب : السباق إلى الغايات .

(٥٤) زفرة الغرام ، جعل الشعر كزفرة المغرم حرّى صادقة التعبير عما يختلج فى النفس ، ويجيش فى الصدر . الأوتاد : جمع وتد ، وهو عند العروضيين على ضربين : مجموع ومفروق ، فالمجموع هو كل ثلاثة أحرف سكن ثالثها ، والمفروق كل ثلاثة أحرف سكن ثانيها . الأسباب : جمع سبب وهو كل حرفين تحركا أو سكن ثانيهما ، ويسمى الأول منهما ثقيلا والآخر خفيفًا . والأوتاد والأسباب ما تتألف منها التفعيلات فى الشعر .

(٥٥) العذارى : الأبكار ، الواحدة : عذراء . الصحوة : الاقلاع عن الهوى والخلاص من أسباب المجون . المتاب : التوبة .

(٥٦) فيك : يخاطب دار العلوم . بنت عدنان : اللغة العربية ، نسبة إلى عدنان الجد الأعلى للعرب . بداوة الأعراب : إقامتهم فى البادية .

(٥٧) ذراك : نواحيك . الغلة : العطش أو شدته . النمير : الزاكى من الماء الناجع فى الرى .

(٥٨) عكاظ : سوق للعرب بين نخلة والطائف ، وكانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يومًا ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون ، أى يتناشدون ويتفاخرون . الخلاَّب : الذى يأسر الألباب ويستهويها .

(٥٩) طلابها : طلبها وتعلمها . جدة العمر : أوائله . ويريد أيام الشباب ومقتبله . وخلع جدَّة العمر : كناية عن إفناء الشباب وبذله .

(٦٠) الخباء : البيت يصنع من وبر أو شعر أو صوف .

لَكِ دارَ العُلومِ فى كُلِّ نَفسٍ   أَثَرُ القَيْنِ فى صِقَالِ الْحِرَابِ[٦١]
حَسْبُ مُطْرِيكِ أَنَّ كلَّ نَجيبٍ   نَفْحَةٌ مِنْ رِجَالِكِ الأَنْجَابِ[٦٢]
أَنتِ كالنِّيلِ ، كُلَّمَا مَسَّ جَدْبًا   هَزَّهُ بالنَّمَاءِ والإِخْصَابِ[٦٣]
كِيمِياءُ العُقُولِ أنتِ ، تصوغِينَ نضارًا من النُّحاسِ المُذَابِ[٦٤]
إِنَّ خَمسِينَ حِجَّةً قد كَفَتْ مِنْكِ لِمَلْءِ الدُّنْيا بكلِّ عُجابِ[٦٥]
نَهَضَتْ مِصْرُ نَهْضَةَ النَسْرِ فيها   واسْتَوَتْ فوقَ مُسْتَقَرِّ العُقَابِ[٦٦]
كُلُّ عامٍ كأَنَّهُ خُطْوَةُ الْجَبَّارِ أو وَثْبَةُ الأُسُودِ الغِضَابِ[٦٧]
كُلُّ عامٍ كَأَنَّهُ عَلَمُ النَصْرِ بِكَفِّ المُظَفَّرِ الغَلَّابِ[٦٨]
كُلُّ عامٍ كَطَالِعِ السَّعْدِ شِمْنَا   هُ عَلَى طُولِ غَيْبَةٍ وَاحْتِجَابِ[٦٩]
كُلُّ عَامٍ كالفَجْرِ يَهْزِمُ لَيْلا   نَابِغِيَّ الهُمُومِ والأَوْصابِ[٧٠]
كُلُّ عامٍ كأَنَّهُ الأَمَلُ الضَا   حِكُ ، وافاكَ بعدَ طُولِ ارْتِقابِ[٧١]
كُلُّ عامٍ كَوَافِدِ الْغَيْثِ تَلْقَا   هُ وُجُوهُ الرِّيَاضِ بالتَّرْحابِ[٧٢]

* * *

لا تَهابِى دارَ العُلومِ مُلِمًّا   آفَةُ المجدِ والعُلَا أَنْ تَهابِى ![٧٣]
إِنَّ فى مِصْرَ لو عَلِمْتِ قُلُوبًا   وَاجِفَاتٍ لِقَلْبِكِ الوَجَّابِ[٧٤]

---

(٦١) القين : الحداد . صقال الحراب : شحذها وإعدادها .

(٦٤) النضار : الذهب . والكيمياء فيما كانوا يزعمون تصيير المعادن الخسيسة ذهبًا .

(٦٥) الحجة : السنة .

(٦٦) العقاب : طائر لا يتخذ وكره إلا فى أعالى الجبال .

(٦٩) طالع السعد : فأله وما يجئ بشيرًا به ودليلا عليه . شمناه : نظرناه .

(٧٠) نابغيّ الهموم : كثيرها شديدها . وهو نسبة إلى النابغة الذبيانى الشاعر المعروف ويشير إلى قول النابغة فى وصف الليل :

كليني لهمٍ يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطىء الكواكب

الأوصاب : الآلام .

(٧٣) ملما : شيئًا ينزل بك مما تكرهين وتخافين ، يشير إلى الفكرة التى نبتت فى ذلك الوقت بإلغاء دار العلوم .

(٧٤) واجفات : مضطربة شفقة عليك . الوجاب : الخفاق .

سَــتَــنَــالِـينَ بـالـمَـلـيكِ فؤادٍ كلَّ ما تَرْتَجِينَ مِنْ آرَابِ[٧٥]
لا تُـرَاعِي وفى الـكِـنَانة سَعْدٌ بَيْنَ أَشْبَالِهِ الشِّدَادِ الصِلابِ[٧٦]
واطلبى الْخَيْرَ والمُنَى مِنْ فُؤادٍ نـاشِرِ الفَضْلِ ، ناصِرِ الآدابِ[٧٧]
لا خَلَتْ مِصْرُ مِنْ نَدَاهُ فَقَدْ صا رَ عِنَانَ القُلُوبِ طَوْقَ الرِقابِ[٧٨]

---

(٧٥) فؤاد : هو الملك أحمد فؤاد الأول . الآراب : جمع أرب . وهو البغية والمأرب .

(٧٦) لا تراعى : لا تخافى ولا يملأ الرعب نفسك . الكنانة : مصر . سعد : هو سعد زغلول باشا زعيم النهضة .

(٧٨) الندى : الكرم والمعروف . العنان : ما تقاد به الدابة . والطوق : ما يكون حول العنق .

مَـوْلدُ الفَـاروق

نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة احتفال البلاد بذكرى مولد الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٤٣م.

هـاتِ من وحي السمـاء الكلِما ... واجعلِ الأيـامَ والدنيا فمَا[١]

وابْعثِ الشِّعْرَ جنَاحَيْ طـائرٍ ... كلّما شـارفَ أُفـقًـا دَوّمـاً[٢]

أيُّ يَوْمٍ سعِـدَتْ مِصْـرُ بـه ... كـان فى طيِّ الأمـانى حُلُمـاً[٣]

مولِـدُ الفـاروقِ يَوْمٌ بـلـغَتْ ... رايـةُ الإسلام فيـه القِـممـاً[٤]

طـافت الأملاكُ تُـرْقِي مهـدَه ... وتُنـاجى ربَّهـا أن يَسلَـمـاً[٥]

فـرأتْ لما رأتْـه مـلَـكـا ... نورُه من نورِ سُكّـانِ السَّما[٦]

يُـطبِقُ الـغَيمُ لـدَى عَبْسَتِه ... ثـمّ يَنجابُ إذا ما ابتسمـاً[٧]

ورأت فى ابن فؤّادٍ نـاشئـا ... يملأُ الـدنيـا ويُحيى أمَما[٨]

وكـريـمًـا بشّـرَ استهلالُـه ... أنّ فى فيـه الهدى والحِكَما[٩]

وجَبيـنًـا علويًّا مُشْـرِقـاً ... يبهَرُ العينَ ويمحو الظُّلما[١٠]

---

(٢) شارف : أشرف عليه . أفقا . ناحية . دوما : حلّق فى طيرانه .

(٥) الأملاك : الملائكة : ترقى : تعيذه .

(٦) سكان السما : المقصود الملائكة .

(٧) يطبق : يغطى . الغيم : السحاب . عبسته : تجهمه . ينجاب : ينكشف .

(٨) ابن فؤاد : الملك فاروق ابن الملك فؤاد .

(٩) استهلاله : مطلعه . الهدى : الهداية . الحكما : اتقان الأمور .

(١٠) علويا : نسبة الى محمد على باشا رأس الأسرة العلوية . يبهر : يعجب .

كتب الله عليه أسطُرًا ⠀⠀ تقرأ النُبْلَ بها والشَّمَماَ[11]

وَيدًا إنْ سكنت في يومِها ⠀⠀ هزّت السيف غدًا والقلماَ[12]

يتمنى الغيْثُ لو ساجلها ⠀⠀ أو تلقّى عن نداها الكرماَ[13]

زُهِيَ المهدُ فَمَنْ أنبأه ⠀⠀ أنه يحوي العُلا والهمماَ؟[14]

وشدا الكونُ لدى مَوْلده ⠀⠀ أينما سرت سمعْتَ النغماَ[15]

وتنادت بُشْرَياتٌ باسمه ⠀⠀ صُدّحًا في كلِّ أفق حُوّماَ[16]

ومضت أصداؤها هاتفةً ⠀⠀ أنجبت مصرُ فتاها المعلَماَ[17]

ومشّى الدهرُ إلى ساحتهِ ⠀⠀ رأسُه كاد يُداني القدَماَ[18]

والّليالي خاشعاتٌ حولَهُ ⠀⠀ يترقبن رضاه خَدَما[19]

وُلِدَ السعدُ على أبوابه ⠀⠀ ونَما في ظلّه لمّا نماَ[20]

فأتى التاريخُ في أبطاله ⠀⠀ يلمحون العَبْقريَّ المُلهَماَ[21]

وبدا العرشُ وقد حلَّ به ⠀⠀ يَفْرَعُ الشمسَ ويعلو الأنجماَ[22]

ما رأى بعد سليمانَ له ⠀⠀ مُشْبِهًا في عدلِهِ إنْ حَكَماَ[23]

زانه الفاروقُ من خَيْرِ أبٍ ⠀⠀ فدعِ المأمونَ والمعتصِماَ[24]

حينَ عزَّ الدينُ والملكُ به ⠀⠀ هَنَأَ المِنْبرُ فيه العَلَماَ[25]

لا ترى العينُ به إلاَّ عُلاً ⠀⠀ كلّما تسمو له العَيْنُ سَماَ[26]

---

(١١) الشمم : الإرتفاع والعلو والشرف .

(١٣) الغيث : المطر وفيه مجاز مرسل . ساجلها : باراها وفاخرها . نداها : جودها .

(١٦) صدّحًا : مغنيات بصوت حسن . حوّما : دائرا حوله .

(١٧) المعلما : من له علامه تميزه في الشرف أو في الشجاعة أو نحوهما .

(١٨) ساحته : المكان الذي هو به .

(٢٢) يفرع : يعلو ويزيد علوه عليها .

(٢٣) سليمان : سيدنا سليمان الحكيم لقوله تعالى « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » .

(٢٤) المأمون : الخليفه المأمون بن هارون الرشيد وكان عظيما . المعتصم : الخليفة المعتصم صاحب الجولات والصولات والفتوحات العظيمة .

أين شعرى وفُنونى مِنْ مدىً ... لو مضَى حَسّانُ فيه أُفحِمَا[27]

أنــا مــن فَـيْضٍ لــه مُـتّصِـلٍ ... أنعُمٌ تَمضِى فأُلقَى أنعُماً[28]

ليس بِدعًا أنْ زَهاَ شعرى به ... يزدهى الروضُ إذا الغَيْثُ همَا[29]

(٢٧) من مدى : غاية . حسان : هو حسان بن ثابت شاعر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفحما : أسكت وعجز عن أن يقول شعرا .

قبعة بعد عمامة

كان الشاعر عضوا فى بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى انجلترا سنة ١٩٠٨ م فأرسل وهو هناك إلى والده صورته وهو بالقبعة وكتب تحتها هذين البيتين :

لَبِسْتُ الآنَ قُبَّعَةً بَعِيدًا عن الأوطانِ ، مُعتادَ الشُّجونِ (١)
فإنْ هِيَ غَيَّرَتْ شكلى فإنِّى «متى أضع العِمامةَ تعرفونى» (٢)

رثـاء زعيـم

أنشدت هذه القصيدة فى حفلة تأبين المغفور له محمد محمود باشا بدار الأوبرا عام ١٩٤١ م .

جُودِى بما شئتِ من ذَوْبِ الأَسَى جُودِى ... أَوْدَتْ صُروفُ الليالى بابنِ محمودِ (١)

أَوْدَتْ بأشجعِ من حَفَّ الرَّعيلُ به ... يومَ النِّضالِ ، ومَنْ نادَى ومَن نودى (٢)

أَوْدَتْ بمن تعرفُ الساحاتُ كَرَّتَه ... إذا تنكَّبَ عنها كلُّ مَزْءود (٣)

ويشهدُ الحقُّ أنَّ الحقَّ فى يدِه ... سيفٌ يروِّعُ المنايا غيرُ مغمود (٤)

* * *

دعته مصرُ وللأحداثِ مَلْحَمَةٌ ... والخطبُ ما بينَ تَهْدارٍ وتهديد (٥)

وأنفُسُ الناسِ فى ضيقٍ وفى كمدٍ ... كأنَّها زفرةٌ فى صدرِ معمود (٦)

حيرَى تلوذُ بآمالٍ محطَّمةٍ ... كما يلوذُ غريمٌ بالمواعيد (٧)

---

(١) أودت : ذهبت . صروف : نوائب واحداث . ابن محمود : هو محمد محمود باشا وهو أحد رؤساء وزراء مصر السابقين .

(٢) حف : طاف به . الرعيل : الجمع .

(٣) الساحات . الميادين . كرته : هجومه . تنكب : مال . مزءود : مذعور ـ خائف .

(٤) يروع : يفزع . المنايا : الموت . غير مغمود : مسلول خارج الغمد .

(٥) ملحمة : معركة أو وقيعة عظيمة . الخطب : المصاب . تهدار : باطلا .

(٦) كمد : حزن مكتوم . زفرة : تنفس . معمود : شديد الحزن .

(٧) تلوذ : تأوى . غريم : مغرم .

طارت شَعاعًا وهَوْلاً مثلما عصفت ... هُوجُ الرياحِ برملِ البيدِ فى البيدِ[٨]

والجوُّ أكْلَفُ ، والدنيا مُقطِّبةٌ ... أيّامُها البيضُ من ليلاتها السّود ![٩]

ومصرُ ليس لها حِصْنٌ ولا وَزَرٌ ... إلاّ الغَطاريفَ من أبنائها الصِّيد[١٠]

لها سلاحٌ من الايمان تشرَعُه ... ينبو له كلُّ مصقولٍ ومحدود[١١]

فجاءها خالدىٌّ العزمِ فى نفرٍ ... شُمُّ الأنوفِ صناديدٍ مناجيد[١٢]

من كلِّ أرْوعَ عُنوانُ الجهادِ به ... قلبٌ ركينٌ ، ورأىٌ غيرُ مخضود[١٣]

جاءوا يزاحمُهم عزمٌ وتفديةٌ ... كما تصادم جُلْمودٌ بجلمود[١٤]

كأنّهم حينما شدّوا لغايتهم ... سهمُ المقاديرِ فى قصدٍ وتسديدِ[١٥]

صدورُهم بلقاء الهَوْلِ شاهدةٌ ... والطعنُ فى الظهرِ غيرُ الطعنِ فى الجيد ![١٦]

جادوا لمصرَ وفدَّوْها بأنفسهم ... «والجودُ بالنفسِ أقصَى غايةِ الجود»[١٧]

كم هشّم الدهرُ من سنٍّ ليعجُمَهم ... ولم تَزَلْ فى يديْه نَضْرةُ العود[١٨]

إن الذى خلق الأبطالَ صوّرهم ... من ثَوْرة البحرِ أو بأسِ الصياخيد[١٩]

يمشى الشجاعُ لحد السيف مُبتسمًا ... ويرهَبُ الغِمدَ ذُعرًا كلُّ رِعْديد[٢٠]

---

(٨) شعاعا : منتشرة ـ متفرقة . هولا : فزعا . هوج : حمق . البيد : الصحراء .

(٩) أكلف : أسود . مقطبة : متجهمة .

(١٠) حصن : واق ـ حافظ . وزر : ملجأ . الغطاريف : السادة العظماء الشجعان ـ الكرماء . الصيد : الرؤساء المعتزون بأنفسهم .

(١١) تشرعه : تسنه . ينبو : يتجافى ويبعد . مصقول : سيف . محدود : ذو حد .

(١٢) خالدىّ : نسبة الى البطل الاسلامى خالد بن الوليد . شم الأنوف : عالى الهمة . صناديد : شجعان . مناجيد : معينون .

(١٣) أروع : رجل يعجبك . عنوان الجهاد به : يعرف به الجهاد . قلب ركين : قلب له أركان عاليه أى قوى . غير مخضود : غير مقطوع أو مكسور أى سديد .

(١٤) تفدية : فداء . جلمود : صخر .

(١٦) الجيد : العنق .

(١٨) سن : عمر . ليعجمهم : يسكتهم فلا يسمع لهم صوت . نضرة العود : رونقه .

(١٩) بأس : شدة . الصياخيد : الصخور .

(٢٠) رعديد : جبان .

كم همّةٍ تفرَع الأجبالَ سامقةً ... وهمةٍ ركدت بين الأخاديدِ[٢١]

وكم فتًى تسبِقُ الأيامَ وثبتُه ... وللبطولةِ أُفْقٌ غيرُ محدود[٢٢]

وخاملٍ ماالآثارِ الحياة به ... إلاّ ورودُ اسمِه بينَ المواليدِ[٢٣]

وميّتٍ بعث الدنيا وعاش بها ... ماكلُّ من ضمّه قبرٌ بملحود ![٢٤]

سبحانك الله ، إن تحرم فتزكيةٌ ... وإن تُثِبْ فعطاءٌ غيرُ محدود[٢٥]

تعطى النفوسَ على مقدارِ جوهرِها ... ماكان لليثِ منها ليس للسِّيد[٢٦]

والمجدُ عَزْمةُ أبطالٍ مسدَّدةٌ ... بريشةُ النصلِ من شكٍّ وترديد[٢٧]

وللعلا من صفات الغِيدِ أنّ لها ... دَلاً يُروِّعُ تقريبًا بتبعيد[٢٨]

* * *

جاءوا إليك كموجِ البحرِ عُدَّتُهم ... رأىٌ أصيلٌ ، وصدرٌ غيرُ مفئودِ[٢٩]

فَقُدْتَهم غيرَ هيّابٍ ولاَ فَزِعٍ ... إلى لواء بحبلِ الله معقود[٣٠]

تمشى بهم فى فيافى الشوْكِ معتزمًا ... من يطلب المجْد لا يبخلْ بمجهودِ[٣١]

لا يستبيك سوى مصرٍ ونهضتِها ... فكل شىءٍ سواها غيرُ موجود[٣٢]

من يقصد النجمَ فى عُلْيا سماوتِه ... نأى بجانبه عن كلِّ مقصود[٣٣]

وراءك الركبُ فى يأسٍ وفى أملٍ ... لما يروْن ، وتصديقٍ وتفنيد[٣٤]

تحنو على ضعفِ من طال الطريقُ به ... حنانَ والدةٍ ثَكْلَى بمولود[٣٥]

---

(٢١) تفرع : تزداد علوا ـ أعلاً من . ركدت : سكنت وهدأت . الأخاديد : الشقوق المستطيلة من الأرض .

(٢٤) بعث الدنيا : أحياها بعد موتها .

(٢٥) تزكية : إصلاح . تثب : تجزى . محدود : لا حدود له .

(٢٦) جوهرها : لبها وما بداخلها . الليث : الأسد والمقصود عظماء الرجال . السيد : العوام .

(٢٩) مفئود : من أصيب فؤاده أى الخائف الجبان .

(٣٠) لواء : علم . معقود : موصول .

(٣١) فيافى الشوك : الصحراء الممتلئة بالشوك والمراد السبل الصعبة .

(٣٢) لا يستبيك : لا يستهويك

(٣٤) تفنيد : تكذيب .

وتلمَحُ الأفْقَ ، هل بالأفْقِ من نبأٍ؟ وهل من الدهرِ إنجازٌ لموعودِ؟[٣٦]

وهل طيوفُ الأماني وهي حائرةٌ تدنو بطيفٍ من الآمالِ منشودِ؟[٣٧]

وهل ترىَ مصرُ صُبحًا بعدَ ليلتِها؟ وهل تقرُّ عُيونٌ بعدَ تسهيدِ؟[٣٨]

وهل لمعتَقلٍ في البحرِ من أملٍ في أن يَرَى قومَه من بعدِ تشريدِ؟[٣٩]

حتى بدت غُرَّةُ الدُّستورِ عن كَثَبٍ كما تبدّى هلالُ العيدِ في العيدِ[٤٠]

فأرسلتْ مصرُ بنتُ النيلِ من دمِها وَردًا تُزينُ به هامَ الصناديدِ[٤١]

وصفَّقت لحُماةِ الغِيلِ تُنشدُهم من البطولةِ مأثورَ الأناشيدِ[٤٢]

والناسُ بينَ بشاشاتٍ وتهنئةٍ وبينَ شكرٍ وتكبيرٍ وتحميدِ[٤٣]

جاءَ الزمانُ فلا قولٌ بممتنعٍ على اللسانِ ، ولا حرٌّ بمصفودِ[٤٤]

وأشرقَ الصبحُ والدنيا مهلِّلَةٌ كأنّه بَسماتُ الخُرَّدِ الغِيدِ[٤٥]

من ينصرِ اللهُ لا جَوْرٌ يَحيدُ به عن الطريقِ ، ولا جَهْدٌ بمفقودِ ![٤٦]

سيكتُبُ الدهرُ ، فليكتبْ ! فليس يَرَى إلا صحائفَ تشريفٍ وتمجيدِ[٤٧]

* * *

نَمَتْ خلائقُه في بيتِ مَكْرُمةٍ في سُوحِهِ المجدُ فينانُ الأماليدِ[٤٨]

بيتٌ دعائمهُ نُبلٌ وتضحيةٌ إذا بنى الناسُ من صخرٍ ومن شيدِ[٤٩]

وسار في سَنَنِ الآباء متّئدًا أمرٌ مطاعٌ ، ورأيٌ غيرُ مردودِ[٥٠]

---

(٣٩) معتقل في البحر : المقصود زعماء مصر الذين نفاهم الانجليز.

(٤٠) غرة : أول .

(٤١) هام : رأس . الصناديد : الشجعان .

(٤٤) مصفود : مقيّد .

(٤٥) الخُرّد : ذات الحياء . الغيد : المرأة الشابة الحسناء .

(٤٦) جور : ظلم .

(٤٩) شيد : ما طلي به .

(٥٠) سنن الآباء : شريعة الآباء . متئدا : متمهلا .

وهـمّـةٌ تـتـأبّـى أن يُـقـال لها ... إن جازتِ النجمَ في مسعاتِها : عودِي (٥١)

تجرّدت لصعـابِ الـدهـرِ واثـبـةً ... وَيْلٌ المصاعبِ من عزمٍ وتجريد (٥٢)

وفـكـرةٌ لـو تمشّت لحوَ مـعضلةٍ ... صَفَتْ مواردُها من كلِّ تعقيد (٥٣)

وعزّةٌ نظرت للـكـونِ مِن شرَفٍ ... عالٍ ، يعِزُّ على رَقْيٍ وتصعيد (٥٤)

قالوا: هي الِكبْر، قلتُ: الكبرُ مَحْمَدةٌ ... إذا تساميتَ عمّا بالعلا يودي (٥٥)

ترنو إليه فتُغضِي من مهابتِه ... فالطرفُ مابينَ موصولٍ ومصدود (٥٦)

خاض السياسةَ نفّاذَ الذكاء فما ... رأيٌ بنابٍ ، ولا عزمٌ بمكدود (٥٧)

فـكـم لـه وقـفـةٌ فيها مجلجِلةٌ ... وكم مقامٍ عزيزِ النصر مشهود ! (٥٨)

وكان خصمًا شريفَ الصدرِ مرتفعًا ... عن الدنيّاتِ إنْ عادَى وإنْ عودِي (٥٩)

فاسألْ مُناصِرَه ، أو سَلْ مخالفَه ... فليس فضلُ ابنِ محمودٍ بمجحود (٦٠)

لّما رمَى زُخْرُفَ الدنيا وباطلَها ... ألـقتْ إلـيـه المعالى بالمقاليد (٦١)

خـذِ الرثاء نُواحًا ملؤه شَجَنٌ ... لم تبقَ بعدَكَ أدواحٌ لتغريدِى ! (٦٢)

مـا في يـدى غيرُ أوتارٍ محطّمةٍ ... يبكي لها العُودُ ، أو تبكي على العودِ (٦٣)

وكـلُّ جـمـعٍ إلى بَيْنٍ وتفرقةٍ ... وكلُّ شملٍ إلى نأيٍ وتبديد ! (٦٤)

أمست تجاليدُه في جوْفِ مظلمةٍ ... كم صَوْلةٍ وإباءٍ في التجاليد ! (٦٥)

---

(٥١) تتأبي : تأنف وتمتنع .

(٥٢) تجردت : استعدت وتهيأت .

(٥٤) رقى : إرتقاء .

(٥٥) تساميت : علوت . يودى : يقتل .

(٥٧) نفاذ الذكاء : حاد الذكاء . بناب : بعيد . بمكدود : متعب .

(٦٠) بمجحود : بمنكر .

(٦٢) أدواح : الشجر الكبير ذو الأفرع الكثيرة .

(٦٤) بين : فراق . نأى : بعد .

(٦٥) التجاليد : جسم الانسان واعضاؤه .

نَمْ ملءَ جفنيْكَ فى رُحْمَى ومغفرةٍ   ووارفٍ من ظلالِ الله ممدودِ(٦٦)

إنّ البطولةَ والأجسادُ فانيةٌ   تبقَى على الدهر فى بعثٍ وتجديد(٦٧)

لم يَخْلُ منكَ مكانٌ قد تركتَ به   ما يملأُ الأرضَ من ذكرٍ وتخليد(٦٨)

التاجيّةُ الكُبرى

قيلت هذه القصيدة فى تهنئة الملك فاروق بتولى سلطته الدستورية يوم الخميس ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ هـ - ٢٩ يولية سنة ١٩٣٧ م .

خشَعَت لفَيْضِ جلالِكَ الأبصارُ ... وَذَكَتْ بمِسْكِ خِلالِكَ الأشْعَارُ[١]

وتوسَّمتْ مِصرُ العُلاَ فى طَلْعةٍ ... قد حَفّها الإِجْلالُ والإِكْبار[٢]

* * *

مَلِكٌ تَغار النَّيِّراتُ إذا بَدَا ... أَسَمِعْتَ أَنَّ النَّيِّرات تَغار؟[٣]

وَدَّتْ لَو اشْتَملتْ بَفضْلِ رِدَائه ... هَيْهاتَ ثَوبُ المجْدِ لَيْس يُعَار[٤]

شَتّانَ بَيْن النيِّراتِ ومَنْ بهِ ... سُبُلُ البُطُولَةِ والْحَياةِ تُنَار[٥]

تهْدَى العُيُونُ بضَوْئِهنّ وضَوْءُه ... تُهْدَى البَصائِرُ فِيه والأَبْصَارُ[٦]

ولها مَدارٌ من فَضَاءٍ مُبْهَمٍ ... ولَكَ العُلاَ والمكْرُمَاتُ مَدَار[٧]

غُضِّى جُفونَكِ يا نُجومُ فدُونَه ... تَتَضاءلُ الآمَالُ والأَقْدار[٨]

أنتُنّ أقْربُ مُشْبِهٍ لِهِبَاتِه ... فكِلاكُما مِنْ راحَتَيْه نِثَار[٩]

* * *

(٢) توسّمت : تبينت . حفّها : أحاط بها واستدار .

(٣) النيِّرات : الكواكب الوضّاءة المتلألئة .

(٦) البصائر : جمع بصيرة ، وهى العقل والفطنة .

(٩) النثار : المنتثر المتفرّق .

مِن حُسْنِه اختَلَس الأَصيلُ جَمالَه ... وبِبِشْرِهِ تَتَبسَّمُ الأَسْحَار[10]
تبدُو سَجايا النُّبْلِ وَهْى قَلائِلٌ ... فإذا حَلَلْن ذَرَاه فَهْى كِثار[11]
أَبْصَرنَ فِيه نَصِيرَ كُلِّ كَرِيمَةٍ ... إنْ قَلَّت الأَعْوانُ والأَنْصار[12]

* * *

لله يومُكَ والضِّياءُ يَعُمُّه ... فَعَشِيُّهُ سِيَّانِ والإبْكار[13]
نَسِيت به الآمالُ جَفْوةَ دَلِّها ... ومِنَ الدَّلالِ تَحجُّبٌ ونِفارُ[14]
يَوْمٌ تَمنَّاه الزَّمانُ وطَالَمَا ... مَدَّتْ إليه رُءُوسَها الأَعْصَار[15]
سَفَرتْ به البُشْرَى فَطاحَ قِناعُها ... عَمْدًا وطَار مع الهَواء خِمار[16]
والنَّفْسُ أَغْرَى بالجَمالِ مُحجَّبًا ... إنْ زُحْزِحَتْ مِنْ دُونه الأسْتار[17]
ما صُبْحُ يومٍ والسَّماءُ مَريضةٌ ... كصَبَاحِ يَوْمٍ والنَّهارُ نَهار[18]
يوْمٌ غَدَا بين الدُّهورِ مُمَلَّكًا ... يُوما إليه مَهَابةً ويُشَار[19]
الأَمْسُ يَجْزَع أنْ تَقَدَّمَ خُطْوَةً ... وغَدٌ أَطَارَ صَوابَه اسْتِئْخار[20]
يوْمٌ جَثَا التاريخ فيه مُدوِّنًا ... لله ما قَدْ ضَمَّتْ الأَسْفارُ![21]
وتَصفَّح الأَخْبارَ يَبْغِي مِثْلَه ... هَيْهاتَ تَحْوى مِثْلَه الأَخْبار[22]
يوْمٌ كأنَّ ضِياءه مِنْ أَعْيُنٍ ... مِنْ طُولِ ما اتَّجَهتْ له الأَنْظارُ[23]

* * *

---

(١٠) الأسحار : جمع سحر (بالتحريك) ، وهو قبيل الصبح .
(١٤) الجفوة : الاعراض . الدل : التمنع مع رغبة . التحجب : التستر والاختفاء . النفار : الصد والبعد .
(١٥) الأعصار : الدهور ، الواحد ـ عصر .
(١٦) سفرت : بانت وتجردت عما يسترها .
(١٧) أغرى : أكثر ولعًا وأشد تعلقًا .
(١٨) مريضة ، أى متلبدة بالغيوم غير صاحية الجو . النهار نهار ، أى صحو مضىء .
(١٩) مملكا ، أى ملكا عليها . يوما إليه : يشار إليه . المهابة : الخشية .
(٢٠) استئخار ، أى تأخر . أطار صوابه : ذهب بلبه ورشده .
(٢١) جثا : جلس على ركبتيه . الأسفار : الكتب الكبار ، الواحد ـ سفر .

يَكْفِيه أن يُنْمَى لِأَكْرمِ سُدَّةٍ ... سَعِدَتْ بها الأَيَّامُ والأَمْصَارُ[٢٤]

بَيْتٌ له عَنَتِ الوُجُوه خَواشِعًا ... كالبَيْت يُمْسَح رُكْنُه ويُزَار[٢٥]

ضُمَّتْ به فِلَذُ القُلُوبِ فكَوَّنتْ ... بَيْتًا ، فلا صَخْرٌ ولا أَحْجَار[٢٦]

الدينُ والخُلُقُ المَتِينُ أَساسُه ... وحِيَاطَةُ المَوْلَى له أَسْوَار[٢٧]

رَحُبَتْ به السَّاحَاتُ فَهْوَ مَثابةٌ ... وعَلاَ عُلُوَّ الحَقّ فهْوَ مَنَار[٢٨]

غِيلٌ تَهَابُ الأُسْدُ بَطْشَ لُيوثِه ... وتَخُونُها الأَنْيَابُ والأظْفَارُ[٢٩]

مِنْ كُلِّ خَطَّارٍ إِلَى غَايَاتِهِ ... يُزْهَى به الصَّمْصَامُ والخَطَّار[٣٠]

نَدْبٍ إذا حَلَّ الحُبَاءَ لِغَارةٍ ... أَلْقَى السِّلاحَ الفَارِسُ المِغْوَار[٣١]

حامَتْ نُسورُ النَّصْرِ حَوْلَ جُيُوشِهم ... حتَّى كأَنَّ غُبَارَها أَوْكار[٣٢]

شُمْسُ العَدَاوةِ والحُسَامُ مُجَرَّدٌ ... فإِذَا انْطَوَى فَمَلائِكٌ أَطْهار[٣٣]

سَبَقُوا وُثُوبَ الحادِثاتِ وبادَرُوا ... إنَّ الحَيَاةَ تَوثُّبٌ وبِدَار[٣٤]

وعَلَوْا لِنَيْلِ المَجْدِ كُلَّ مَطِيَّةٍ ... لو كَانَ نَجْمًا فى السَّمَاء لَطَارُوا[٣٥]

الخَالِدُون عَلَى الزَّمان وأَهْلِهِ ... تَفْنَى الرجالُ وتَخْلُدُ الآثارُ[٣٦]

---

(٢٤) ينمى أى يرتفع بالانتساب إليها . لأكرم سدة ، أى لأكرم بيت . السدة (فى الأصل) : الباب والظلة فوقه .

(٢٥) عنت : خضعت . ويريد بالبيت (الثانى) : الكعبة .

(٢٦) فلذ القلوب : قطعها ، الواحدة : فلذة (بالكسر) .

(٢٨) رحبت : اتسعت . الساحات : النواحى . مثابة : أى مقصد للقاصدين وملتق للوافدين . المنار : مبعث النور .

(٢٩) الغيل (بالكسر) : الشجر الكثير الملتف ، وهو موضع الآساد . الليوث : الآساد ، الواحد : ليث (بالفتح) . بطشها : عدوانها فى شدة وصولة .

(٣٠) خطار إلى غاياته ، أى ساع إليها فى تيه وإعجاب . يزهى : يعجب . الصمصام : السيف لا ينثنى . الخطار : الرمح .

(٣١) الندب : الخفيف السريع فى الاغاثة . الحباء (بالضم ويكسر) : جمع حبوة (بالضم وبالفتح) ، وهو ثوب يشده العربى وهو جالس القرفصاء . وحلّ الحبوة كناية عن القيام ، كما يكنى بربطها عن القعود ، ويريد «بحل الحباء» : الاستعداد للحرب . المغوار : الشجاع الكثير الغارة .

(٣٢) حامت : حلقت ودارت . وفى حومان النسور دليل على كثرة قتلهم لأعدائهم ، فهى تحوم لتطعم من جثث القتلى . الأوكار : جمع وكر ، وهو العش .

(٣٣) شمس العداوة : أى لا يرجعون ولا يتثنون عن التنكيل بأعدائهم . الحسام المجرد : السيف المسلول من غمده . انطوى : أى أدخل فى غمده ، وهو كناية عن السلم .

(٣٤) بدار : أى سرعة وتعجل .

جاءُوا ومِصْرُ عَفَتْ معالمُ مَجْدِها ... لا مِصْرُ مِصْرُ ولا الدِّيارُ دِيَارُ[٣٧]

العِلْمُ يخْفِقُ للزَّوالِ سِرَاجُه ... والعَدْلُ مُنْدَكُّ الذُّرَا مُنْهارُ[٣٨]

والناسُ فى حَلَكِ الظَّلام يَسُوقُهم ... نَحْوَ الفَنَاء تَخَبُّطٌ وعِثَار[٣٩]

فَبدَا (مُحمَّدكُم) فهَبَّ صَرِيعُهمْ ... حَيًّا ، كَذَاك البَعْثُ والإنْشَار[٤٠]

والتفَّتْ الرَّاياتُ حولَ لوائِه ... ودَعا الغُفَاةَ إلى المَسِير فساروا[٤١]

وأعادَ مَجْدَ الأوَّلين بِعزْمةٍ ... إيرادُها لله والإصْدَار[٤٢]

إنّ النُّفوسَ تَضِيقُ وَهْىَ صَغِيرةٌ ... ويَضِيق عنها الكَوْنُ وَهْى كِبَار[٤٣]

فاروقُ ، عِيدُك هَزَّ أدْوَاحَ المُنَى ... وتَعطَّرتْ بعَبِيرِه الأزهارُ[٤٤]

اليُمْنُ يَسْطَع فى جَبِينِ نهارِه ... والسَّعْدُ كوْكبُ لَيْلِه السَّيَّار[٤٥]

رَقَصَتْ به الرَّاياتُ بادِيةَ الحُلَى ... الحُبُّ رَنَّحها والاسْتِبْشَار[٤٦]

مُتَلفِّتاتٍ حَوْلَ رَكْبِك حُوَّمًا ... لا يَسْتقِر لوَجْدِهِنّ قَرَار[٤٧]

مُتَدلِّلاتٍ ما عَرَفْن صَبَابةً ... نَشْوَى وما لَعِبتْ بهنّ عُقَار[٤٨]

جَعَلَتْ سَمَاء النيل رَوْضًا أخْضَرًا ... هَيْهاتَ مِنْه الرَّوْضَةُ المِعْطار[٤٩]

* * *

والناسُ قَدْ سَدُّوا الفَضَاء كأنَّهم ... بَحْرٌ يَعجُّ عَجِيجُه زَخَّار[٥٠]

---

(٣٧) عفت : اندثرت وامحت .

(٣٨) يخفق : يضطرب فى نوره . الذرا : جمع ذروة ، وهى من كل شىء أعلاه . منهار : متهدم .

(٣٩) العثار : التعثر فى الشىء ، لا تكاد تستوى حتى تقع .

(٤٠) محمدكم ، أى محمد على باشا بن ابراهيم أغا ، جد الأسرة العلوية ، ولد ببلدة قولة سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) ، وكان يحترف تجارة الدخان فى صباه ، ثم تطوع فى الحملة العثمانية الانجليزية التى جاءت لطرد الفرنسيين من مصر ، وبقى فى مصر بعد جلاء الفرنسيين حتى صار والياً عليها ، وإليه تعزى نهضتها فى مناحيها المختلفة . وكانت وفاته بالاسكندرية فى ١٣ من رمضان سنه ١٢٦٥ هـ ، ٢ من أغسطس سنة ١٨٤٩ م . ونقلت جثته إلى القاهرة حيث دفنت بمسجده الذى شيده بالقلعة .

(٤١) اللواء : العلم . الغفاة : النائمون .

(٤٢) الايراد والاصدار : الفعل والترك .

(٤٧) حومًا : حائمة تدور به وتطوف . الوجد : الشوق وشدته .

(٤٨) العقار : الخمر ، لمعاقرتها .

(٥٠) يعج عجيجه : يرتفع صوت أمواجه المتلاطمة . الزخار : الذى فاض وطما .

لو صُبَّتِ الأمْطارُ صَبّاً فَوْقَهم ... مامَسَّ مَوْطِئً نَعْلِهِم أمْطارُ(٥١)

مُتجمِّعين كأنَّهم سِرْبُ القَطا ... مُتَدفِّقين كأنهم أنْهار(٥٢)

قَدْ لَوَّحوا بالرَّاحتَيْن وزاحَمُوا ... وتَلفَّتوا بالناظِرَيْن ومَارُوا(٥٣)

لهمُ دَوِيٌّ بالهُتافِ وضَجَّةٌ ... ولهمْ بصِدْقِ دُعائِهم تَهْدَار(٥٤)

رفَعُوا العَمارَ وَبَعْثَرُوا أزْهَارَهم ... فالجَوُّ زَهْرٌ ناضِرٌ وعَمَار(٥٥)

حُبُّ المَلِيكِ الأرْيَحِيِّ شِعَارهم ... لو كَان يُنْسَجُ للْوَلاَء شِعار(٥٦)

قَرءُوا السعادةَ فى جَبِينك أسْطُرًا ... بيَدِ المُهيْمن هذه الأسْطار(٥٧)

ورَأَوْا شَبَابًا كالجُمَان يَزِينُه ... أنَّى التَفَتَّ جَلاَلةٌ ووَقَار(٥٨)

سُسْتَ القُلوبَ فنلْتَ أكْرَمَ وُدِّها ... وعَرَفْتَ بالإحْسانِ كيف تُثار(٥٩)

ومِنَ القُلُوبِ حَدائِقٌ بَسَّامةٌ ... ومِنَ القُلُوبِ سَباسِبٌ وقِفَارُ(٦٠)

مَنْ يَغْرِسِ الصُّنْعَ الجَميلَ بأُمَّةٍ ... فَلَهُ من الشُّكْرِ الجَميلِ ثِمَار(٦١)

لما رَأَوْكَ رأَوْا بَشاشاتِ المُنَى ... الوَجْهُ نَضْرٌ والشَّبابُ نُضَار(٦٢)

مُتَسْرِبِلاً ثَوْبَ الهُدَى مُتواضِعًا ... لله ، لاصَلَفٌ ولاَ اسْتِكْبار(٦٣)

نُورُ الإلَه يَدُور حَوْلَك هَالَةً ... لم تَزْدَهِر بمَثِيلها الأقْمَار(٦٤)

---

(٥٢) السرب : الجماعة . القطا : جمع قطاة . وهى طائر فى حجم الحمامة .

(٥٣) ماروا : تحركوا بسرعة جيئة وذهابا .

(٥٤) الدوى : الصوت الشديد . التهدار : الصوت المرتفع .

(٥٥) العمار : الريحان ، الواحدة : عمارة (بالفتح) .

(٥٦) الأريحى : الذى يرتاح للندى والمعروف . الشعار : الثوب الذى يلى الجسد . الولاء : الإخلاص والمحبة .

(٥٧) المهيمن : من أسماء الله تعالى .

(٥٨) الجمان : اللؤلؤ .

(٦٠) بسّامة : مشرقة بالنّور والزهر ، السباسب : المفازات لا ماء فيها ، الواحدة سبسب . القفار : الأرض المقفرة المجدبة ، الواحدة : قفر .

(٦٢) البشاشات : جمع بشاشة ، وهى طلاقة الوجه وبشره . نضر : حسن جميل . النضار : الذهب أو الفضة ، وقد غلب على الأول .

(٦٣) متسربلا : لابسا . الصلف : الكبر .

(٦٤) الهالة : دائرة تحيط بالقمر . تزدهر : تضىء وتتلألأ .

فى مَوْكِبٍ للمُلْكِ يَخْتِلِبُ النُّهَى وَتَتِيه فى تَصْوِيرِه الأَفْكارُ[٦٥]
فَتَنَ العُيونَ الشَّاخِصاتِ بِسِحْرِه إِنَّ الجَمالَ لَفاتِنٌ سَحَّار[٦٦]

* * *

فاروقُ ، تاجُكَ رَحْمةٌ وسَعادةٌ لِلوادِيَيْنِ وعِزَّةٌ وفَخار[٦٧]
تَتأَلَّقُ الآمالُ فى جَنَباتِهِ ويَدُورُ نَجْمُ السَّعْدِ حَيْثُ يُدار[٦٨]
ما نالَه (كِسْرَى) ولم يَظْفَر له بمُماثِلٍ يومَ الفَخارِ (نِزارُ)[٦٩]

* * *

نورُ الجبينِ السَّمْحِ مازَجَ ضَوْءَه فتَشابَه الأَضْواءُ والأَنْوار[٧٠]
المُلْكُ فيكَ طَبِيعةٌ ووِراثةٌ والمَجْدُ فيكَ سَليقةٌ ونِجار[٧١]
أَعْلَيْتَ دينَ اللهِ جَلَّ جَلالُه فَرَسَا له أَصْلٌ وطَالَ جِدار[٧٢]
الدِّينُ نُورُ النَّفْسِ فى ظُلُماتِها والعَقْلُ يَعْثُرُ والظُّنُونُ تَحار[٧٣]
بَيْنَ المَنابِرِ والمَآذِنِ بَهْجةٌ وتَحَدُّثٌ بِصَنِيعِكم وَجِوار[٧٤]
آياتُ نُبْلِكَ فى شَبابِكَ سُبَّقٌ للمَجْدِ لم يُشْقَقْ لهنَّ غُبار[٧٥]
يَبْدو شَذَا الرَّيْحانِ أَوَّلَ غَرْسِه ويَبِينُ قَدْرُ الدُّرِّ وَهْى صِغار[٧٦]
فَتَحَتْ لكَ الدُّنيا كنوزَ هِباتِها تَخْتارُ مِنها اليَوْمَ ما تَخْتار[٧٧]
يُمْناكَ يُمْنٌ لِلبلادِ ورَحْمةٌ غَدَقٌ ويُسْرَى راحَتَيْكَ يَسارُ[٧٨]
بَهَرَتْ رِجالَ الغَرْبِ منكَ شَمائِلٌ خُلُقٌ أَغَرُّ وَراحةٌ مِدْرار[٧٩]
عَرَفوا بمَجْدِكَ مَجْدَ مِصْرَ ونُبْلَها وتَحَدَّثَتْ بِخِلالِكَ السُّمَّار[٨٠]

---

(٦٥) يختلب النهى : يسلب العقول ، وواحدة النهى : نهية . تتيه : تضل وتعيا .
(٦٦) فتن العيون : استمالها وجعلها تنصرف إليه إعجابا . الشاخصات : الناظرات إليه المتعلقة به .
(٦٧) الواديان : مصر والسودان .
(٦٩) كسرى (بكسر الكاف وفتحها) : لقب ملوك الفرس . نزار : هو نزار بن معد ، وقبيله أشرف العرب أحسابا .
(٧١) السليقة : الطبيعة . النجار (بالكسر) : الأصل والحسب .
(٧٦) شذا الريحان : رائحته العطرة التى تنبعث عنه .

وغَدَوْتَ فَأَلاً للعُلاَ فتحقَّقَتْ فيك المُنَى وانحطَّتِ الآصَارُ[٨١]
وتَخَطَّرتْ مِصْرٌ إلى فَارُوقِها غَيْداء ماشانَ الْجَمالَ إسَار[٨٢]
شَمَّاء يَخْنِي الدهرُ أصْيَدَ رَأْسِهِ لجَلالها وتُطَأْطِيءُ الأَقْدار[٨٣]
فانْعَمْ بما أُوتِيتَ واهْنَأ شاكِرًا نِعَمَ الإلهِ فإنَّهنّ غِزَار[٨٤]
لا زِلْتَ بالنَّصْر المُبِينِ مُتوَّجًا تَحْيَا بك الأَوْطانُ والأَوْطار[٨٥]

---

(٨١) الآصار ، أى الأعباء والأثقال التى كانت تنوء بها مصر ، الواحد : إصر (بالتثليث) .
(٨٢) تخطرت : مشت فى تيه وعجب . الغيداء من النساء : اللطيفة الحسنة المتثنية لينا .
(٨٣) شماء : ذات أنفة وإباء . أصيد رأسه : أى رأسه الذى يميل كبرا وزهوا .
(٨٥) الأوطار : الحاجات ذات البال والشأن ، الواحد : وطر (بالتحريك) .

السُّــودان

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى جمع حافل بالخرطوم فى زيارته للسودان الشقيق عام ١٩٤١ م.

يا نَسْمَةً رنّحتْ أعطافَ وادينا   قِفِى نُحيِّيك ، أو عوجى فحيِّينا ! (١)

مرَّتْ مع الصبح نَشْوَى فى تكسُّرها   كأنَّما سُقِيتْ من كفِّ ساقينا (٢)

أرختْ غدائرَها أخلاطَ نافِجةٍ   وأرسلتْ ذيلَها وردًا ونِسْرينا (٣)

كأنَّها روضةٌ فى الأفقِ سابحةٌ   تمجُّ أنفاسُ مَسْراها الرياحينا (٤)

هبَّتْ بنا من جنوبِ النيلِ ضاحكةً   فيها من الشوقِ والآمالِ ما فينا (٥)

إنّا على العهدِ لا بُعدٌ يحوِّلنا   عن الودادِ ، ولا الأيامُ تُنسينا (٦)

أثرتِ يانسمَةَ السودانِ لاعجةً   وهجْتِ عُشَّ الهَوى لو كنتِ تدرينا (٧)

وسِرْتِ كالحلم فى أجفان غانية   ونشوة الشوق فى نجوى المحبينا (٨)

ويحى على خافقٍ فى الصدر محتبسٍ   يكاد يطفر شوْقًا حين تسرينا (٩)

مـرّت بـه سنواتٌ مابها أَرَجٌ   من المُنَى . فتمنَّى لو تمرِّينا ! (١٠)

* * *

(١) رنّحت : أمالت . أعطاف : جوانب . وادينا : المقصود وادى النيل . عوجى : ميلى أو ارجعى .

(٢) نشوى : فرحة متمايلة . تكسرها : تمايلها .

(٣) أخلاط : هو امتزاج الأشياء . نافجة : المسك . نسرين : نبات ذو رائحة ذكية .

(٤) تمج : تنشر.

(٧) لاعجة : شدة وألم فى الصدر.

(١٠) أرج : هو رائحة الطيب والمعنى أنها سنوات خالية من الأمانى .

نبّهتِ في مصرَ قُمْرِيًّا بِمُعشبةٍ ... من الرياض كوجهِ البِكْرِ تلوينا[11]
فراح في دَوْحِهِ، والعودُ في يده ... يردّد الصوتَ قُدْسيا فُيشْجينا[12]
صوتٌ من الله تأليفًا وتهيئةً ... ومن حفيفِ غصونِ الروْضِ تلحينا[13]
يَطيرُ من فَنَنٍ ناءٍ إلى فَنَنٍ ... ويبعَثُ الشدْوَ والنجوَى أفانينا[14]
ياشاديَ الدَوْحِ، هل وعدٌ يقربُنا ... من الحبيبِ، فإنَّ البعدَ يُقْصينا ؟[15]
تشابهت نَزَعاتٌ من طبائعنا ... لما التقتْ خَطَراتٌ من أمانينا[16]
فجاء شعرىَ أناتٍ مُنَغَّمةً ... وجاء شعرُك غَمْرَ الدمع محزونا[17]
شعرٌ صَدَحنا به طبعًا وموهبةً ... وجاشَ بالصدرِ إلهامًا وتلقينا[18]
والنّفسُ إنْ لم تكنْ بالشعرِ شاعرةً ... ظَنَنْتَه كلَّ كلامٍ جاء موزونا[19]
تعزّ ياطيرُ، فالأيامُ مقبلةٌ ... ما أضيقَ العيشَ لو عزّ المُعَزّونا ![20]
خُلدِ الحياةَ بإيمانٍ وفلسفةٍ ... فربّ شرٍّ غدا بالخيرِ مقرونا[21]
فَكمْ وزنّا فما أجدتْ موازنةٌ ... في صَفْحةِ الغيبِ مايُغْني الموازينا[22]
الكون كوّنه الرحمنُ من قِدَمٍ ... فهل تريدُ له ياطيرُ تكوينا ؟![23]
إن المنَى لا تُواتي من يهيمُ بها ... كالغيدِ ماهجَرتْ إلاّ الملحّينا[24]
تبكي وبينَ يديْكَ الزهرُ من عَجَبٍ ... والأرضُ تبرًا وروْضاتُ الهَوى غِينا[25]
والماءُ يسبَحُ جَذلانَ الغديرِ إلى ... منابتِ العُشْبِ يُحييها فُيحيينا[26]
والزهرُ ينظرُ مفتونًا إلى قَبَسٍ ... يُطِلُّ بين ثنايا السُحْبِ مفتونا[27]
قد حزتَ مُلْكَ سليمانٍ ودولَته ... لكَ الرياحُ بما تختارُ يجرينا[28]
ما أجملَ الكونَ لو صحّتْ بصائرُنا ... وكيف نُبْصِرُ حُسْنَ الشيءِ باكينا ؟[29]
الله قد خلق الدنيا ليُسعدنا ... ونحن نملؤُها حُزْنًا وتأبينا[30]

* * *

---

(١١) قمريا : نسبة إلى الطائر المعروف بالقمرى والشاعر يقصد نفسه . معشبة : أرض كثيرة العشب .

(١٦) نزعات : صفات . خطرات . خواطر .

(٢٤) الملحين : الملحفين الدائمي السؤال .

(٢٥) غينا : جمع غيناء أي خضراء طويلة الشجر.

(٢٨) حزت : ملكت . سليمان : سيدنا سليمان عليه السلام وفي البيت اقتباس من الآية الكريمة : « فسخرنا له الريح تجري بأمره » .

إن جُزْتَ يومًا إلى السودانِ فارْعَ له ... مودّةً كصفاءِ الدرِّ مكنونا[٣١]
عهدٌ له قد رَعَيْناهُ بأعيُنِنا ... وعُرْوةٌ قد عقدناها بأيدينا[٣٢]
ظِلُّ العروبةِ والقرآنِ يجمعُنا ... وسَلْسَلُ النيل يُرويهم ويُروينا[٣٣]
أشعّ في غَلَسِ الأيامِ حاضرُنا ... وضاء في ظُلْمةِ التاريخِ ماضينا[٣٤]
مجدٌ على الدهر، فاسألْ مَن تشاءُ به ... عَمْرًا إذا شئتَ، أو إنْ شئتَ آمونا[٣٥]

* * *

تركتُ مِصْرَ وفي قلبي وقاطرتي ... مراجلٌ بلهيبِ النار يَغْلينا[٣٦]
سِرْنا معًا فُبخارُ النار يدفَعُها ... إلى اللقاء، ونارُ الشوقِ تُزجينا[٣٧]
تَشُقُّ جامحةً غُلْبَ الرياضِ بنا ... كالبرقِ شقَّ السحاب الحُفَّلَ الجونا[٣٨]
وللخمائِل في ثوب الدجى حَذَرٌ ... كأنّها تتوقّى عينَ رائينا[٣٩]
كأنهنّ العَذارَى خِفْن عاذلةً ... فما تعرّضْنَ إلاّ حيثُ يمضينا[٤٠]
وللقُرَى بين أضْغاثِ الكَرَى شَبَحٌ ... كالسرِّ بين حنايا الليلِ مدفونا[٤١]
نستبعدُ القُرْبَ من شوقٍ ومن كَلَفٍ ... ونستحثّ وإنْ كنّا مُجدّينا[٤٢]
وكم سألْنا وفي الأفواهِ جابَتُنا ... وفي السؤالِ عَزاءٌ للمشوقينا[٤٣]
وكم وكم ملَّ حادينا لحاجتنا ... وما علينا إذا ما ملّ حادينا[٤٤]
حتّى إذا ما بدتْ «أسْوانُ» عن كَثَبٍ ... غنّى بحمدِ السُّرَى والليلِ سارينا[٤٥]

* * *

---

(٣١) جزت : سرت إلى. أرع : احفظ.
(٣٤) أشعّ : أنار. غلس الأيام : ظلام الأيام.
(٣٥) عمرا : يريد عمرو بن العاص. أمونا : توت عنخ أمون من فراعين قدماء المصريين.
(٣٦) مراجل : أوعية النار التى لا دخان لها.
(٣٧) تزجينا : تدفعنا.
(٣٨) جامحة : غالبة. غلب : جمع غلباء : الحديقة الكثيفة الشجر. الجونا : جمع جَوْن : الأسود.
(٤٣) جابتنا : إجابتنا.
(٤٥) سارينا : هادينا.

وما شجانيَ إلاّ صوتُ باخرةٍ ... تستعجلُ الركبَ إيذانا وتأذينا (٤٦)

لها ترانيمُ إنْ سارتْ مُهَيْمِهَمةً ... كالشعرِ يُتْبِعُ بالتحريكِ تسكينا (٤٧)

ياحُسْنَها جنّةً فى الماء سابحةً ... تلقى النّعيمَ بها والحورَ والعينا (٤٨)

مرّتْ تهادَى ، فأمواجٌ تُعانقها ... حينًا ، وتلثِمُ من أذيالها حينا (٤٩)

والنّخلُ قد غُيِّبتْ فى اليمِّ أكثرُها ... وأظهرتْ سَعَفًا أحْوى وعُرْجونا (٥٠)

مالابنةِ القَفْرِ والأمواه تسكنُها ؟ ... وهل يجاورُ ضَبُّ الحَرَّة النونا ؟ (٥١)

سِرْ أيُّها النيلُ فى أمْنٍ وفى دَعَةٍ ... وزادك الله إعزازًا وتمكينا (٥٢)

أنْتَ الكتابُ كتابُ الدهر ، أسطرُهُ ... وَعَتْ حوادثَ هذا الكون تدوينا (٥٣)

فكم مُلوكٍ على الشّطيْنِ قد نزلوا ... كانوا فراعينَ أو كانوا سلاطينا (٥٤)

فُنونُهم كنّ للأيام مُعْجزةً ... وحُكْمهم كان للدنيا قوانينا (٥٥)

مرّوا كأشرطةِ «السّيما» وما تركوا ... إلا حُطامًا من الذكرى يُؤَسِّينا (٥٦)

إنا قرأنا الليالى من عواقِبِها ... فصار ما يُضحكُ الأغرارَ يُبكينا ! (٥٧)

* * *

ثم انتقلنا إلى الصحراء ، تُوسِعُنا ... بُعْدًا ، ونُوسعُها صبرًا وتهوينا (٥٨)

كأنّها أملُ المأفون أطلقهُ ... فراح يخترق الأجواء مأفونا (٥٩)

والرملُ يزخَرُ فى هَوْلٍ وفى سَعَةٍ ... كالبحرِ يزخَرُ بالأمواجِ مشحونا (٦٠)

تُطلُّ من حَوْلها الكُثْبانُ ناعسةً ... يمدُدْنَ طَرْفًا كليلاً ثم يُغْفينا (٦١)

---

(٤٦) ايذانا : إعلاما بسفرها . تأذينا : الدعوة .

(٤٨) الحور : النساء الجميلات . العينا : خيار الشيء .

(٤٩) تهادى : تتمهل .

(٥٠) سعف : غصن النخلة . أحوى : هو الذى خالط خضرته سواد وصفرة . العرجون : هو ما يبقى يابسا على النخلة بعد قطع الفروع .

(٥١) الحرة : الأرض ذات حجارة سود . النون : الحوت .

(٥٧) عواقبها : آخرها . الأغرار : غير المجربين .

(٥٨) توسعنا : تزيدنا .

(٥٩) المأفون : ضعيف العقل . الأجواء : ما بين السماء والأرض .

وكم سَرابٍ بعيدٍ راح يخدَعُنا   فقلت : حتى هُنا نلقى المُرائينا ! (٦٢)

أرضٌ من النوم والأحلام قد خُلِقتْ   فهل لها نبأٌ عند «ابن سيرينا» ؟ (٦٣)

كأنها بسط الرحمنُ رُقعتَها   من قبل أن يَخْلُقَ الأمواهَ والطينا (٦٤)

تسلَّبَتْ من حُليِّ النَّبْتِ آنفةً   وزُيِّنت بجلالِ الله تزيينا (٦٥)

صمتٌ وسحرٌ وإرهابٌ وبعدُ مدًى   ماذا تكونين؟ قولى ، ما تكونينا ؟ (٦٦)

صحراءُ فيكِ خَبيئًا سرُّ عِزَّتنا   فأفصحى عن مكانِ السرِّ واهدينا (٦٧)

إنّا بنو العُربِ يا صحراءُ كم نَحتت   من صخركِ الصلدِ أخلاقًا أوالينا (٦٨)

عزّوا ، وعزتّ بهم أخلاقُ أمّتهم   فى الأرضِ ، لمّا أعزّوا الْخُلقَ والدّينا (٦٩)

مِنَصّةُ الحكْم زانوها ملائكة   وجَذْوَة الحربِ شبّوها شياطينا (٧٠)

كانوا رُعاةَ جِمالٍ قبلَ نهضتِهم   وبعدها مَلأوا الآفاق تمدينا (٧١)

إن كَبّرتْ بأقاصى الصين مِئذَنة   سمعتَ فى الغرب تهليلَ المصلّينا (٧٢)

* * *

قف ياقِطارُ فقد أوهى تصبُّرَنا   طولُ السفارِ ، وقد أَكلَتْ قوافينا (٧٣)

وقد بدتْ صفحةُ الْخُرْطوم مُشْرقةً   كما تجلّى جلالُ النورِ فى «سينا» (٧٤)

جئنا إليها وفى أكبادنا ظمأٌ   يكاد يقتُلُنا لولا تلاقينا (٧٥)

جئنا إليها ، فمن دارٍ إلى وطنٍ   ومن منازل أهلينا لأهلينا (٧٦)

يا ساقىَ الحىِّ جدِّدْ نَشْوَةً سلفتْ   وأنت «بالجبَنَاتِ» الْحُمرِ تسقينا (٧٧)

واصدَحْ بنونيةٍ لما هتفتُ بها   تسرّق السمع «شوقى» و«ابنُ زيدونا» (٧٨)

وأحْكِم اللحنَ يا ساقى وغنِّ لنا   «إنّا محيّوكِ يا سلمى فحيينا» (٧٩)

---

(٦٣) ابن سيرينا : عالم من علماء المسلمين له كتاب فى تفسير الأحلام .

(٦٥) تسلبت : خلت من .

(٧٧) سلفت : مضت . الجبنات : أوعية من الفخار يصنع السودانيون القهوة بها .

(٧٨) نونية : يقصد هذه القصيدة وهى نونية . شوقى : هو الشاعر أحمد شوقى وله قصيدة نونية ايضا أولها :

يانائح الطلح أشباه عوادينا   نأسى لواديك أم نأسى لوادينا

ويعارض بها الشاعر الأندلسى ابن زيدون فى نونيته ومطلعها :

أضحى التنائى بديلا عن تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

(٧٩) انا محيوك ياسلمى فحيينا : مطلع نونية الشاعر عمرو بن سعد بن مالك وهو شاعر جاهلى وكان يلقب بالمرقش الأكبر. وتكملة البيت : وان سقيت كرام الحىِّ فاسقينا .

إلى الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا

أرسل الشاعر هذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ أحمد لطفى السيد بمناسبة انتخابه رئيسًا لمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٥ م.

وقالوا: غدا لطفى رئيسًا فحيِّه وهنِّئه واهتِفْ باسمِه فى المحافلِ (١)

فقلتُ: وهل يرضَى لىَ العقلُ أنّنى إذا صُغتُ مدحًا قيل تحصيلُ حاصلِ (٢)

فقالوا: رفيعٌ زاد قَدْرًا ورِفعةً! فقلتُ: نعم. لو صحَّ تكميلُ كاملِ (٣)

فقالوا: عليك الشعرَ ويحَك إنه فسيحُ المرامى لا يضيقُ بقائلِ (٤)

فقلت: وأينَ الشعرُ؟ أينَ خيالُهُ؟ وأينَ الثريّا من يد المتناولِ ؟ (٥)

فقالوا: فماذا أنت فى الجمع صانعٌ؟ فقلت لهم: صُنْعَ العَيِىِّ المُجاملِ (٦)

ففى سكتةِ المبهورِ أصْدَقُ مِدْحةٍ وكلُّ كلامٍ بينَ حقٍّ وباطلِ (٧)

---

(٥) الثريا: نجوم السماء.
(٦) العيى: الثقيل فى نطقه.
(٧) المبهور: المندهش.

العاشق الغضبان

سنة ١٩٠٤ م.

هَجَرَتنا وهَجَرْنا زَيْنَبا   وصَحا القَلْبُ الذى كان صَبَا [١]

طالما شُقْتُ فُؤادِى نَحْوها   فَنَبَتْ عنه مِطَالاً ، ونَبا [٢]

ودعوتُ الوَجْدَ لِلَّهْوِ بها   فأَبَتْ دَلاًّ عليه ، وأَبَى [٣]

نَعَبَ البَيْنُ بِنَا ، سُقْيًا له !   فاسْتَعَدْتُ البَيْنَ لمَّا نَعبا [٤]

ومضَى الشَّوْقُ فما جادتْ له   مُقْلَتِى بالدَّمْعِ لمَّا ذَهَبا [٥]

عَلِقتْ غَيْرِى وتَرْجُو صِلَتِى ؟   عَجَبًا مِمَّا تُرَجِّى عَجَبا ! [٦]

هل يَحُلُّ الغِمْدَ سَيْفانِ معًا ؟   أو يَضُمُّ الغِيلُ إلاَّ أَغْلَبا ؟ [٧]

* * *

إنَّ هذا الحُسْنَ كالماءِ ، إذَا   كَثُرَ النَّاهِلُ مِنْه نَضَبا [٨]

وهو مِثْلُ الزَّهْرِ ، إنْ أكْثَرتِ مِنْ   شَمِّهِ يا زَيْنُ ، أمْسَى حَطَبا [٩]

---

(١) صحا القلب : ترك الهوى وخلاه جانبا . صبا : أحب وهوى .

(٢) نبت : بعدت . المطال : التسويف بالوعد مرة بعد أخرى .

(٤) البين : الفرقة . نعيبه : ايذانه بالشتات والبعد . سقيا له : يدعو له بالسقيا . استعاد الشيء : طلب إعادته .

(٦) علقت غيرى : أحبته وتعلقت به .

(٧) الغمد : جفن السيف . الغيل : الشجر الكثير الملتف تتخذه الآساد مأوى لها . الأغلب : الأسد .

(٨) الناهل : الشارب . نضب : قل وذهب .

(٩) يازين ، أى يازينب .

وهو مِثْلُ المَال ، إنْ أَسْرفْتِ في بَـذْلـهِ لـلسَّـائِـلـيـه ، سُـلِـبَـا[١٠]

* * *

قَـدُّك المائِسُ قـد بَـعَّضَ لى كُلَّ غُصْنٍ بَيْنَ أنْفاسِ الصَّبا[١١]
وجَـنَى خَـدَّيْكِ قـد زَهَّـدَنى فى حَديثِ الوَرْدِ يُزْهَى فى الرُّبا[١٢]
أبْصَروا البَدرَ فقالُوا : وَجْهُها ! فـتَـغَـشَّـيْتُ بـثَوْبى هَـرَبـا[١٣]
فـاحـتَـجِبْ يا بدرُ عن أعْيُننا وعَزِيزٌ عِنْدنا أنْ تُحْجَبا ![١٤]

* * *

أنَـا يـا زَيْـنَبُ مـاءٌ ، فـإذا هِجْتِنِى صِرْتُ لَظًى مُلْتَهِبا[١٥]
أرْكَبُ الـمَـرْكَبَ صَـعْبًا خَشِنًا إنْ دَعَتْنى هِـمَّتى أنْ أرْكَبا[١٦]
ضـارِبًـا فى سُبُلِ الَمجْدِ ولَوْ رَصَـفُوهـا بـالعَوالى والظُّبا[١٧]

---

(١١) القد : القامة . المائس : اللدن المتثنى . الصبا : ريح تهب من الشرق فى بلاد العرب .

(١٢) جنى خديك : شبّه حمرة خديها بما يجنى من الورد . يزهى : يزدهى حسنا ونضرة . الربا : الأماكن المرتفعة . الواحدة ربوة .

(١٣) تغشيت : تغطيت .

(١٥) هجتنى : أثرتنى . اللظى : النار .

(١٧) العوالى : الرماح . الظبا : السيوف .

عِيدُ الجلوس الملكي

بمناسبة تولى الملك فاروق سلطته الدستورية فى مايو سنة ١٩٣٨ م .

جَمَعْتُ مِنْ فَرْعِ ذَاتِ الدَّلِّ أَوْتَارِى ... وصُغْتُ مِنْ بَسَمَاتِ الغِيدِ أَشْعَارِى (١)

وَعِشْتُ لِلْفَنِّ أَحْيَا فِى بَدَائِعِهِ ... بَيْنَ الظِّلَالِ ، وَبَيْنَ السَّلْسَلِ الْجَارِى (٢)

أَشْدُو ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُصْغِى لِسَاجِعَةٍ ... مِنَ الْخُلُودِ فَأَنْصِتْ تَحْتَ أَوْكَارِى (٣)

كَادَتْ تَزُقُّ يَرَاعِى الطَّيْرُ تَحْسَبُهُ ... وَقَدْ تَغَنَّى بِشِعْرِى سِنَّ مِنْقَارِ (٤)

قَدْ عَلَّمَتْهُ التَّغَنِّى فَوْقَ أَيْكَتِهِ ... فَفَاقَهَا فِى التَّغَنِّى فَوْقَ أَسْطَارِ (٥)

كَأَنَّ دَاوُدَ أَلْقَى عِنْدَ بَرْيَتِهِ ... أَثَارَةً مِنْ تَرَانِيمٍ وَأَسْرَارِ (٦)

أَعْدَدْتُه قَبَسًا يُذْكِى تَوَقُّدُهُ ... عَزْمَ الشَّبَابِ ، وَيَهْدِى لَيْلَةَ السَّارِى (٧)

وَيَكْشِفُ الأَمَلَ الْمَحْجُوبَ سَاطِعُهُ ... وَالْيَأْسُ تَغْشَى بِأَسْدَافٍ وَأَسْتَارِ (٨)

* * *

---

(١) الفرْع : الشعر .

(٤) زق الطائر فرخه : أطعمه . البراع والبراعة : القلم . سن المنقار : طرفه .

(٦) داود عليه السلام : نبى كتابه يسمى الزبور ، وما كان يتغنى بتلاوته منه يسمى المزامير جمع مزمار . أثارة الشىء : بقيته ، الترانيم : جمع ترنيم وهو ترجيع الصوت فى تطريب وتغن . الأسرار : جمع سر وهو هنا الحكمة والمعنى السامى .

(٧) القبس : الشعلة من النار وكذا المقباس . يذكى : يشعل من أذكى النار . السارى : السائر ليلا .

(٨) المحجوب : المستور . يغشى : يغطى . الأسداف : جمع سَدَف ، الستر .

الشِّعْرُ عَاطِفَةٌ تَقْتَادُ عَاطِفَةً ... وَفِكْرَةٌ تَتَجَلَّى بَيْنَ أَفْكَارِ[٩]

الشِّعْرُ إِنْ لاَمَسَ الأَرْوَاحَ أَلْهَبَهَا ... كَمَا تَقَابَلَ تَيَّارٌ بِتَيَّارِ[١٠]

الشِّعْرُ مِصْبَاحُ أَقْوَامٍ إِذَا الْتَمَسُوا ... نُورَ الْحَيَاةِ، وَزَنْدُ الأُمَّةِ الْوَارِي[١١]

الشِّعْرُ أُنْشُودَةُ الْفَنَّانِ يُرْسِلُهَا ... إِلَى الْقُلُوبِ، فَتَحْيَا بَعْدَ إِقْفَارِ[١٢]

الشِّعْرُ هَمْسُ غُصُونِ الدَّوْحِ مَائِسَةً ... وَدَمْعَةُ الطَّلِّ فِي أَجْفَانِ أَزْهَارِ[١٣]

الشِّعْرُ لِلْمُلْكِ جَيْشٌ لاَ يُصَاوِلُهُ ... جِلاَدُ مُرْهَفَةٍ أَوْ فَتْكُ بَتَّارِ[١٤]

يَغْزُو وَيَنْصُرُ، لاَ أَشْلاَءُ مَعْرَكَةٍ ... تُرَى وَلاَ وَثَبَاتٌ حَوْلَ أَسْوَارِ[١٥]

إِذَا تَخَطَّرَ فِي الأَفْوَاهِ تُنْشِدُهُ ... غَضَّ الْجُفُونَ حَيَاءً كُلُّ خَطَّارِ[١٦]

وَإِنْ أَغَارَ تَنَادَى كُلُّ ذِي هَلَعٍ ... إِلَى الْفِرَارِ، وَأَوْدَى كُلُّ مِغْوَارِ[١٧]

قَدْ كَانَ حَسَّانُ جَيْشًا فِي قَصَائِدِهِ ... أَشَدَّ مِنْ كُلِّ زَحَّافٍ وَجَرَّارِ[١٨]

وَكَانَ مُلْكُ بَنِي مَرْوَانَ فِي أُطُمٍ ... عَالٍ مِنَ الشِّعْرِ، يَرْمِي الشُّهْبَ بِالنَّارِ[١٩]

وَهَلْ زَهَتْ بِبَنِي الْعَبَّاسِ دَوْلَتُهُمْ ... إِلاَّ بِأَمْثَالِ حَمَّادٍ وَبَشَّارِ؟[٢٠]

فَقُلْ لِمَنْ رَاحَ لِلأَهْرَامِ يَرْفَعُهَا ... الْخُلْدُ فِي الشِّعْرِ لاَ فِي رَصْفِ أَحْجَارِ[٢١]

كَمْ حِكْمَةٍ فِيهِ لاَ تَفْنَى بَشَاشَتُهَا ... وَمِنْ حَدِيثٍ عَلَى الأَيَّامِ سَيَّارِ[٢٢]

---

(١١) الزند : العود الأعلى الذى يقدح به النار ، والزندة العود الأسفل وهما زندان . الوادى : الذى يخرج النار ، من ورى الزند ورِيا خرجت ناره .

(١٤) يصاوله : يواثبه . الجلاد والمجالدة بالسيوف : المضاربة بها . المرهفة : المشحوذة . البتار : السيف القاطع .

(١٦) تخطر : اهتز وتبختر ، غض طرفه : خفضه . خطار : رمح خطار ذو اهتزاز ، ورجل خطّار بالرمح طعان به .

(١٧) أودى : هلك .

(١٨) حسان : حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه السلام دافع عنه بلسانه فأخاف المعاندين وأذل الجاحدين .

(١٩) أطم : الأطم القصر وكل حصن مبنى بحجارة والجمع آطام وأطوم . الشهب : جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة والشهب أيضاً الدرارى .

(٢٠) زهت : ازدهرت وأشرقت . حماد : هو حماد بن عمر من أهل الكوفة شاعر عباسى كان معلماً وشاعراً محسناً وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون حماد عجرد وهو هذا وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوى وكانوا يتعاشرون ويتنادمون وقد اتهموا بالزندقة كلهم .

وبشار : هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلى ولاء الفارسى أصلا . أخذ العربية عن أعراب البصرة ونبغ فى الشعر لذكائه وكان هجّاءً ماجناً .

الشِّعْرُ لِلْمُلْكِ مِرْآةٌ مُخَلَّدَةٌ ... عَلَى تَعَاقُبِ أَجْيَالٍ وَأَدْهَارِ[٢٣]
صَوَّرْتُ فِيهِ سَنَا الْفَارُوقِ مُؤْتَلِقًا ... يَزْدَانُ بِاثْنَيْنِ : إِجْلَالٍ وَإِكْبَارِ[٢٤]
وَصُغْتُهُ فَاتِنَ الْأَلْوَانِ مُزْدَهِرًا ... كَأَنَّمَا نَقَشَتْهُ كَفُّ آذَارِ[٢٥]

* * *

مُلْكٌ مِنَ النُّورِ قَدْ ضَاءَتْ دَعَائِمُهُ ... كَأَنَّمَا شِيدَ مِنْ هَالَاتِ أَقْمَارِ[٢٦]
وَدَوْلَةٌ رَكَّزَ الْإِسْلَامُ رَايَتَهُ ... فِيهَا عَلَى طَوْدِ تَارِيخٍ وَآثَارِ[٢٧]
وَعَاهِلٌ مِنْ صَمِيمِ النِّيلِ نَبْعَتُهُ ... أَمَا تَرَى لِيَدَيْهِ وَكْفَ أَمْطَارِ ![٢٨]
أَحْيَا النفُوسَ بِآمَالٍ تُضَاحِكُهَا ... فَالْيَأْسُ فِيهَا غَرِيبُ الْأَهْلِ وَالدَّارِ[٢٩]

* * *

كَأَنَّ أَيَّامَهُ وَالْبِرُّ يَغْمُرُهَا ... صَحَائِفُ الطُّهْرِ فِي أَيْمَانِ أَبْرَارِ[٣٠]
كَأَنَّمَا عَهْدُهُ وَالْبِشْرُ يَمْلَؤُهُ ... تَبَسُّمُ الشَّرْقِ عَنْ أَنْفَاسِ أَسْحَارِ[٣١]
كَأَنَّ ذِكْرَاهُ لَمَّا سَارَ سَائِرُهَا ... عَبِيرُ دَانِيَةِ الظِّلَّيْنِ مِعْطَارِ[٣٢]
كَأَنَّ أَمْدَاحَهُ فِي أُذْنِ سَامِعِهَا ... مَسَاقِطُ الشَّهْدِ مِنْ أَعْوَادِ مُشْتَارِ[٣٣]
كَأَنَّ طَلْعَتَهُ وَالشَّوْقُ يَرْقُبُهَا ... وَجْهُ الصَّبَاحِ يُحَيِّي نِضْوَ أَسْفَارِ[٣٤]

* * *

---

(٢٤) السنا : الضياء . مؤتلقاً : من ائتلق البرق لمع . الاجلال والاكبار : التعظيم .

(٢٥) فاتن : مأخوذ من الفتنة وهي الاعجاب بالشيء . مزدهراً : متألقاً مشرقا . آذار : شهر رومي يوافق شهر مارس .

(٢٨) العاهل : الملك الأعظم أو الخليفة . صميم الشيء : خالصه . النبعة : الشجرة تتخذ منها القسي والجمع نبع . وكف المطر : سيله .

(٣٢) دانية الظلين : قريبتها ووارفتها والمراد بالظلين ظل الصباح وظل ما بعد الزوال .

(٣٣) المشتار : من يستخرج العسل من الخلية .

(٣٤) النضو : المهزول .

«فَارُوقُ» يَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا وَأَسْعَدَ النَّاسِ فِي وِرْدٍ وَإِصْدَارِ[٣٥]
وَابْنَ الْمُلُوكِ الأُلَى فَلَّتْ عَزَائِمُهُمْ مِنْ حَدِّ كُلِّ صَلِيبِ الْحَدِّ جَبَّارِ[٣٦]
أَقْمَارُ مَمْلَكَةٍ، آسَادُ مَلْحَمَةٍ أَمْلاَكُ مَرْحَمَةٍ، صُنَّاعُ أَقْطَارِ[٣٧]
مِنْ كُلِّ ندْبٍ بَعِيدِ الرَّأْيِ مُسْتَبِقٍ إِلَى الْجِهَادِ مُغَارِ الْفَتْلِ صَبَّارِ[٣٨]
اَلْمَجْدُ أَبْقَى لَهُمْ ذِكْرَى مُخَلَّدَةً أَعْمَارُهُمْ وُصِلَتْ مِنْهَا بِأَعْمَارِ[٣٩]

* * *

الشَّعْبُ شَعْبُكَ، وَالأَيَّامُ بَاسِمَةٌ وَالدَّهْرُ كَالزَّهْرِ، فِي صَفْوٍ وَإِنْضَارِ[٤٠]
أَحَبَّكَ الشَّعْبُ فَانْعَمْ فِي مَحَبَّتِهِ فَأَنْتَ مِلْءُ قُلُوبٍ، مِلْءُ أَبْصَارِ[٤١]
مُرْ وَانْهَ فِي الْحَقِّ، فَالأَسْمَاعُ مُصْغِيَةٌ فِدَاؤُكَ النَّفْسُ مِنْ نَاهٍ وَأَمَّارِ[٤٢]
وَارْفَعْ لِوَاءَكَ فَوْقَ الشَّرْقِ تَلْثِمُهُ أَفْوَاهُ أَوْدِيَـةٍ فِـيـهِ وَأَمْصَـارِ[٤٣]

* * *

ذِكْرَاكَ فِي الدَّهْرِ آيَاتٌ مُطَهَّرَةٌ تَحْلُو بِغَنٍّ وَتَرْتِيلٍ وَتَكْرَارِ[٤٤]
شَدَوْتُ بِاسْمِكَ حَتَّى كِدْتُ مِنْ طَرَبٍ أَظُنُّنِي ذَا جَنَاحٍ بَيْنَ أَطْيَارِ[٤٥]
فَإِنْ سَمِعْتَ رَنِينًا كُلُّهُ عَجَبٌ فَالْعُودُ عُودِي، وَالأَوْتَارُ أَوْتَارِي[٤٦]
جُلُوسُكَ الْيَوْمَ أَثْمَارُ الْمُنَى يَنَعَتْ يَاحُسْنَهَا مِنْ مُنًى خُضْرٍ وَأَثْمَارِ![٤٧]
عِيدٌ بِهِ الأَرْضُ وَالآفَاقُ مُشْرِقَةٌ تَمَازَجَتْ فِيهِ أَنْوَارٌ بِأَنْوَارِ[٤٨]
عِيدٌ كَأَنَّ اللَّيَالِي قَدْ وَهَبْنَ لَهُ مَا فِي الْخَلِيقَةِ مِنْ يُمْنٍ وَإِيسَارِ[٤٩]

---

(٣٥) البهجة: الحسن. الورد: ضد الصدَر من ورد الماء أتاه ليستقي. الاصدار: الرجوع من صدر عن المكان إذا رجع عنه والمراد بالورد والاصدار، تصريف الأمور.

(٣٦) فلّ الجيش من باب قتل فانفل كسره فانكسر.

(٣٧) الملحمة: القتال. أملاك: جمع ملك من ملائكة السماء. صناع أقطار: المراد به هنا أنهم ساسة فاتحون.

(٣٨) الندب: الخفيف فى الحاجة. بعيد الرأى: ذو دهاء وحنكة. مستبق إلى الجهاد: سباق إليه. مغار الفتل كناية عن: الصلابة وقوة الحسم.

(٤٨) الأنوار، الأولى: جمع نَور وهو الزهر. والأنوار الثانية: جمع نور بمعنى الضوء.

النِّيلُ فِيه جَرَى يُمْلِى بَشَائِرَهُ ... وَيَنْثَنِى بَيْنَ أَدْوَاحٍ وَأَشْجَارِ[50]

إِذَا الرَّبِيعُ رَمَى فِيهِ أَزَاهِرَهُ ... جَزَاهُ بِالتِّبْرِ دِينَارًا بِدِينَارِ[51]

أَوِ الْحَمَائِمُ غَنَّتْ فَوْقَ مَائِجَةٍ ... حَبَا الْحَمَائِمَ تَهْدَارًا بِتَهْدَارِ[52]

* * *

يَاكَالِئَ الدِّينِ وَالدُّسْتُورِ مِنْ جَنَفٍ ... وَحَارِسَ النِّيلِ مِنْ أَوْضَارِ أَكْدَارِ[53]

وَحَافِزَ الشَّعْبِ يَدْعُوهُ فَيَتْبَعُهُ ... إِلَى النُّجُومِ جَرِيئًا غَيْرَ خَوَّارِ[54]

اَلْعِلْمُ لِلشَّعْبِ رُكْنٌ غَيْرُ مُنْصَدِعٍ ... وَالشَّعْبُ بِالْعِلْمِ صَفٌّ غَيْرُ مُنْهَارِ[55]

اِخْتَارَكَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ تَنْصُرُهُ ... فَكُنْتَ مَوْئِلَهُ يَاخَيْرَ مُخْتَارِ[56]

عِشْ فِى الْقُلُوبِ فَقَدْ أَعْطَتْ مَقَالِدَهَا ... وَفِى نَعِيمٍ عَمِيمِ الْغَيْثِ مِدْرَارِ[57]

---

(٥٣) الكالئ: الحافظ. الجنف: الجور والظلم. الأوضار: جمع وضر، القذارة.

(٥٤) حفزه: حثه. الخوار: كثير الجبن.

دَمْعَةٌ عَلى صَدِيق

فى اليوم الأول من شهر مارس سنة ١٩٣٦ م انتقل إلى جوار ربه المرحوم الأستاذ « أبو الفتح الفقى » وكيل دار العلوم ، ورئيس جماعة دار العلوم ، فكان لنعيه وقع على القلوب أليم ، وفقدت مصر بفقده عالمًا من أفاضل علمائها ، ورجلا من خيرة رجالها .

وكان رحمه الله صديقًا حميمًا للشاعر ، فبكاه ورثاه بهذه القصيدة التى ألقيت فى الحفلة التى أقامتها لتأبينه جماعة دار العلوم بدار الأوبرا فى مساء الاثنين ٢٠ من إبريل سنة ١٩٣٦ م .

مَلكَ المُصَابُ عليه كُلَّ جهاتِه ... إنْ كانَ مِن صَبْرٍ لَدَيْكَ فهاتِه ! [1]

أسْوانُ تَعْرِفُهُ إذا اخْتَلَطَ الدُّجَى ... بالنَّبْرَةِ السَّوْدَاءِ فى أنَّاتِه [2]

يَبْكِى ويَنْظُرُ فى السَّماءِ مُصَعِّدًا ... ما يَبْتَغِى الْحَيْرانُ مِنْ نَظَرَاتِه ؟ [3]

خَفَقَانُ نَجْمِ الأُفْقِ مِن خَفَقَانِه ... وَهَجِيرُ قَيْظِ البِيدِ مِنْ زَفَرَاتِه ! [4]

وبُكاءُ كُلِّ غَمَامَةٍ هَتَّانَةٍ ... مِنْ بَعْضِ ما يُبْدِيهِ مِنْ عَبَرَاتِهِ [5]

ونُوَاحُ ذاتِ الطَّوْقِ فى أعْوَادِها ... ما تُرْسِلُ الأَقْلامُ مِن نَفَثَاتِه [6]

يَرْثِى فيحتبِسُ البُكاءُ بصَوْتِه ... أينَ الرَّخِيمُ العَذْبُ مِنْ أصْوَاتِه ؟ [7]

فى صَدْرِهِ قَلِقُ الْجَوَانِحِ مُوجَعٌ ... مَلَّتْ نُجُومُ اللَّيلِ من دَقَّاتِه [8]

كالطَّيْرِ فى قَفَصِ الحَدِيدِ مُوَثَّقًا ... قد أَوْهَنَ الأَسْلاكَ من خَفَقَاتِه [9]

يَبْكِى ويَضْرِبُ بِالْجَناحِ مُجَرَّحًا ... يا وَيْلَ ما فَعلتْ يَمِينُ رُمَاتِه ! [10]

* * *

---

(٢) الأسوان : الحزين . الدجى : الظلام . النبرة : الصوت . ويريد بالنبرة السوداء : صوته الحزين .

(٣) مصعدا . أى متردد النظرات لا يكاد يستقر بصره فى بقعة .

نُوَبٌ كلَيْلاتِ المَحاقِ تَتابعتْ ... مُتَشابِهاتٍ ، هذه مِنْ هاتِه [11]
وبناتُ دَهْرٍ قد زَحَمنَ مَناكِبِي ... وَيْلاَهُ ! لَوْ أَسْطيعُ وَأْدَ بَنَاتِه ! [12]
أَوْدَى (أبو الفتحِ) الْمُرَجَّى واختفَى ... عَلَمٌ طَواه الدهرُ فى طَيَّاتِه [13]
وانحازَ للرَّكْبِ الذى من آدمٍ ... ما زَال يُزْعِجنَا رَنِينُ حُدَاتِه [14]
سارتْ به الأَحْبابُ تَسْتَبِقُ الخُطَا ... والقَلْبُ مَكْظومٌ عَلَى حَسَرَاتِه [15]
فوقفتُ أَنْظُر فى الفلاةِ فلم أجِدْ ... إلَّا جلالاً فى فسيحِ فَلاتِه ! [16]

* * *

يا جَامِعًا شَمْلَ الشُّيوخِ بحَزْمِهِ ... مَنْ ذَا يَلُمُّ اليومَ مِن أشْتاتِه ؟ [17]
يَمْشِى الرَّعِيلُ نواكسًا أبصارُهُ ... من بعدِ ما عَبِثَ الرَّدَى بحُماتِه [18]
أَلْوَى بِعَزْمَتِهِ وَهَدَّ شِمَاسَهُ ... قَدَرٌ أطاحَ القَرْمَ عَن صَهَوَاتِه [19]
حَيْرَانُ يعثُرُ بالأعِنَّةِ مثلَما ... يتَعَثَّرُ التَّمْتَامُ فى تاءاتِه [20]
يَطْفُو نَشِيجُ اليأسِ من لَهَوَاتِه ... وَتَئِزُّ نَارُ الشَّوْقِ فى لَبَّاتِه [21]
سارتْ به الفُرْسانُ تَخْبِطُ فى الدُّجَى ... والرَّكْبُ قد زاغَتْ عُيونُ هُدَاتِه [22]
يَبْكُون للطِّرْفِ الْمخَلَّى سَرْجُه ... والفارِسِ الْمُنْبَتِّ عن غاياتِه [23]

---

(١١) النوب : المصائب تنوب بها الأيام وتصيب . المحاق (بالتثليث) : آخر الشهر . وقيل ثلاث ليال من آخره . أى إنها نوب مدلهمة حالكة كليالى المحاق كلها سود .

(١٢) بنات الدهر : حادثاته وشدائده . زحمن مناكبى : أى أثقلتنى لكثرتهن حتى عييت بحملهن . وأد البنت : دفنها فى القبر وهى حية ، فعلت العرب ذلك مخافة العار والحاجة .

(١٣) أودى : مات .

(١٤) انحاز : مال . الحداة : الذين يرفعون الصوت بالغناء يستحثون بذلك الابل على المسير .

(١٦) الفلاة : القفر . ويريد بها حيث قبور الموتى .

(١٨) الرعيل : القطعة من الجياد شبه به جماعة دار العلوم . نواكسو الأبصار : مطأطئو الرءوس ، أبصارهم إلى الأرض .

(١٩) ألوى بعزمته : أتى عليها وأوهنها . شماسه : أى عزته وتأبيه وامتناعه . القرم : السيد العظيم . الصهوات : جمع صهوة (بالفتح) وهى مقعد الفارس من الفرس .

(٢١) تئز : تصوّت . اللبات : جمع لبة وهى المنحر .

(٢٣) الطرف : الفرس الكريم . والكلام على المجاز . المخلى سرجه : أى الذى أصبح مكانه من سرجه خاليا . المنبتّ : الذى حيل بينه وبين إدراك غايته .

يَبْكُون للدِّرْعِ المطَرَّحِ حَطَّمَتْ ... أيدِى الزَّمانِ العُسْرُ من حَلَقاتِه [٢٤]

يَبكُون أطولَهم يدًا ، وأبَرَّهم ... كفا ، وَأَسْبَقَهم إلى قَصَباتِه [٢٥]

* * *

خُلُقٌ كما يَصْفُو النُّضارُ وطَلْعَةٌ ... أزْهَى من ابنِ الليلِ فى هالاتِه [٢٦]

مَنْ صارَ فى الخَمْسِينَ فَخرَ بلادِه ... قد كان فى العِشْرِينَ فَخْرَ لِدَاتِه [٢٧]

والدَّهْرُ لا يُنْشِى الرِّجالَ صَوارِمًا ... إلاّ إذا نَضِجُوا على جَمَراتِه [٢٨]

صانَ الكَرامةَ أن تُمَسَّ ، وَإنَّما ... إذلالُ نَفْسِ المَرْءِ من زَلاَّتِه [٢٩]

مُنِعَ الرُّقِيَّ ولا تزالُ عِصابةٌ ... تَهْفُو إلى أغْلالِهِ وسِمَاتِه ! [٣٠]

قد كان كالفَلَكِ الدَّءُوبِ نَشاطُه ... لاَ يستريحُ الدَّهرَ من دَوْرَاتِه [٣١]

فإذا تَراءَى ساكِنًا فَلأنَّه ... فى أسرَعِ الأحْوالِ من حَرَكَاتِه ! [٣٢]

الحَقُّ والإيمانُ مِلءُ فُؤَادِه ... وبَلاَغةُ الأعْرابِ مِلءُ لَهاتِه [٣٣]

فإذا تَخطَّرَ للجِدَالِ مُصاوِلاً ... فاحْذَرْ فَتى الفِتْيانِ فى صَوْلاتِه ! [٣٤]

السيلُ فى دَفَعاتِه ، والسيفُ فى ... عَزَمَاتِه ، والمَوْتُ فى وَثَباتِه [٣٥]

ليس القَوِىُّ بنابِه وبِظُفْرِه ... مِثْلَ القَوِىِّ برَأيِه وثَبَاتِه [٣٦]

والحُجَّةُ البَيْضاءُ أفضَلُ مَقطَعًا ... من نَصْلِ كُلِّ مُهنَّدٍ وشَبَاتِه [٣٧]

* * *

ماذَا أصابَ الليثُ عن غَدَواتِه ... صُبْحًا ، وماذَا نَالَ من رَوْحاتِه ؟ [٣٨]

سَمَحتْ له الدُّنيا بماءِ سَرَابِها ... فابتاعَه منها بماءِ حَياتِه [٣٩]

إنَّ الأمانِىَّ الحِسَانَ جَمِيلةٌ ... لو حقق الإنسانُ أمْنِيَّاتِه ! [٤٠]

---

(٢٤) الدرع : ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس فى الحرب وقاية من سلاح العدو (يؤنث ويذكر) . المطرح : الملقى . العسر : الشديدة .

(٢٥) يكنى بطول اليد : عن السبق إلى الفضل . أبرهم كفا : أى أكثرهم جودا وعطاء . وأسبقهم إلى قصباته ، أى إنه كان أولهم فى ذلك . القصبات فى الأصل : ماكان ينصب فى حلبة السباق ، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع .

(٣٧) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند وهو من أجود السيوف . نصل المهند وشباته : حديدته بحدها .

فَلَرُبَّ رَوْضٍ لِلنَّواظِرِ مُعْجِبٍ　　كَمَنَتْ سُمومُ الصِّلِّ فى زَهَراتِه ! (٤١)

قد كان لى أملٌ سَقَيْتُ فُروعَه　　بدَمِى وغَذَّيْتُ المُنَى بَعذَاتِه (٤٢)

أَحْنُو عليه من الهَجيرِ يَمَسُّه　　ومن النَّسيمِ يَهُزُّ من أَسَلاتِه (٤٣)

وأَذُودُ عَنْهُ الطيْرَ إن حامَتْ على　　زَهْرٍ يُضِيءُ الأفقَ فى عَذَباته (٤٤)

اللَّيلُ يَنْفَحُه بذائبِ طَلِّه　　والصُّبحُ يَمْنَحُه شُعَاعَ إيَاتِه (٤٥)

حتى إذا قَوِيتْ لِدَانُ غُصونِه　　واستَحْصَدَ المَرْجُوُّ من ثَمَراتِه (٤٦)

وأَخَذْتُ أَسْتَجْلِى السَّنا من نَوْرِه　　وأَشَمُّ ريحَ الخُلْدِ من نَفَحاتِه (٤٧)

وأُفاخِرُ الزُّرَّاعَ أنَّ غِراسَهم　　لم يَزْكُ مِثْلَ زَكائِه ونَباتِه (٤٨)

عَصَفَتْ به هُوجٌ فخَرَّ مُعَفَّرًا　　وجَنَى عَلَيْه الحَيْنُ قَبْلَ جَناتِه (٤٩)

وَوَقَفْتُ أَنظُرُ لِلحُطامِ مُحَطَّمًا　　مُتَفَتِّتَ الأفلاذِ مثلَ فُتاتِه (٥٠)

أَهْوِنْ بدُنْيا ما لحىٍّ عِنْدها　　وَعْدٌ يُنجَزُ غَيْرَ وَعْدِ وَفاتِه ! (٥١)

---

(٤١) كمنت : توارت واستخفت . الصل : الحية التى لا ينفع مع سمها علاج .

(٤٢) العذاة : الأرض الطيبة البعيدة الوخم . ويريد بها منبته الطيب . وهذا البيت والأبيات الثانية بعده فى غرض خاص بالشاعر .

(٤٣) الهجير : شدة الحر . الأسلات : الفروع الدقيقة .

(٤٤) أذود : أمنع وأطرد . حامت : حلقت ودارت . العذبات : الأغصان .

(٤٥) ينفحه : يهبّ عليه بليلا . الطل : الندى . الاياة : النور . أى إن أسباب الحياة والرغد كانت موفورة .

(٤٦) لدان الغصون : اللينة الطرية . الواحد، لدن. استحصدت الثمرات : قاربت النضج وحان لها أن تحصد.

(٤٧) أستجلى : أنظر وأتبين . النور : الأزهار ، الواحدة ، نورة . سناه : تألقه وإشراقه . نفحاته : ما يفوح وينتشر من رائحته العطرة . أشم ريح الخلد : أى ريح الجنة .

(٤٨) يزكو : ينمو .

(٤٩) الهوج : الرياح العاصفة غير المستوية فى هبوبها . يريد عصف الموت . المعفر : الذى اختلط بالتراب . الحين : الهلاك . الجناة : ما يجنى .

(٥٠) الحطام : ما تحطم وتكسر . يريد رفاته . محطما ، أى مهدود القوى حزنا . الأفلاذ : جمع فلذة (بالكسرة) وهى القطعة من الكبد . يصف فى هذا البيت والأبيات الثمانية قبله فقيده الذى اودى من بعد ما اكتمل وقوى ، مشبها إياه بالنبت فى أدواره المختلفة ، ثم يذكر ماكان يبذله فى سبيله حتى إذا ما استحصد عدا عليه الموت فاختطفه من بين يديه ، أحوج ما يكون إليه ، وتركه محطم الأوصال مفتت الكبد حزنا .

سَلْ كُلَّ مَنْ كَتَبَ الكَتائبَ غازِيًا ... هل رَدَّ عنه الْجَيْشُ سَهْمَ مماتِهِ؟ (٥٢)

إنَّ ابنَ داودٍ عـلَى سُلْطانِـه ... قد خَرَّ مُنْفَرِدًا على مِنْساتِهِ (٥٣)

وهو الذى مَلَكَ الْمـلوكَ ببأسِهِ ... وأخاف جنَّ الأرضِ من سَطَواتِهِ (٥٤)

كلُّ ابنِ أنثى فى الْحَياةِ إلى مدًى ... والمرءُ فى الدُّنيا إلى مِيقاتِهِ (٥٥)

* * *

أأخِى! دعوتُ فلم تُجِبْ، ولرُبَّما ... قد كنتَ أسبقَ ناهضٍ لدُعاتِهِ (٥٦)

قد كان عَهْدُك فى بَشاشةِ أُنْسِهِ ... عَهْدَ الشَّبابِ مَضَى إلى طِيّاتِهِ (٥٧)

كان الزمانُ يُظِلُّنا بربيعِه ... فتركتنى للقُرِّ من مَشْتاتِهِ (٥٨)

أبكِى الشَّبابَ وزَهْوَهُ وصِحابَه ... والمُشْرِقَ الوَضّاحَ من بَسَماتِهِ (٥٩)

كُنّا كفَرْعَىْ بانةٍ فتفرَّقا ... والدَّهرُ لا يَبْقَى على حَالاَتِه! (٦٠)

والعُمْرُ أَضْيَقُ أن يُمَدَّ لسالكٍ ... إن أوْسَعَ الْخُطُواتِ فى ساحاتِه (٦١)

أصْفَيْتَنى مَحْضَ الودادِ وطَالما ... خَلَط المُماذِقُ مِلْحَه بفُرَاتِه (٦٢)

ورَفَعْتَ من شِعْرِى، وكنتَ تُحِبُّهُ ... وتُحِسُّ سِرَّ الفَنِّ فى أبياتِه (٦٣)

فاسمَعْه من باكٍ أطَاع شُجونَه ... فَطَغَتْ زَواخِرُها عَلَى مَرْثاتِه (٦٤)

---

(٥٣) ابن داود : هو سليمان بن داود عليهما السلام ، وقد آتاه الله ملكا وسلطانا واسعا ، وسخر له الريح والجن وعلمه منطق الطير. وقد ورد فى القرآن الكريم تعداد نعم الله عليه . المنسأة (بالكسرة) : العصا . يشير إلى ما يروى من أنه عليه السلام مات متكئا على عصاه ، وبقى كذلك لا يعرف موته ، حتى نخرت عصاه فلم تقو على حمله فخرّ على الأرض ، فعلم أنه ميت .

(٥٧) الطيات : جمع طية ، وهى الجهة والمقصد .

(٥٨) ربيع الزمان : أيامه النضرة الطيبة . يريد به أيام الشباب . القر : البرد . المشتاة : زمن الشتاء . ويريد بقرّ الشتاء أيام الكبر .

(٦٠) البانة : واحدة البان ، وهو شجر سبط القوام لينه ، ورقه كورق الصفصاف .

(٦٢) محض الوداد : خالصه . أصفاه محض الوداد : صدقه الاخاء والمحبة . المماذق : الكاره الذى لا إخلاص عنده . الفرات : العذب .

(٦٤) الشجون : الهموم والأحزان ، الواحد : شجن (بالتحريك) . طغت : فاضت وجاوزت الحد . زواخرها : أى كثيرها وعميمها تشبيها لها بالبحر الزاخر الكثير الماء . مرثاته ، أى ما أعده لك من شعر يرثيك به .

نَظَم الدُّمُوعَ فكُنْ بَحْرًا كامِلاً وأقام بالزَّفَراتِ تَفْعيلاتِه[٦٥]
أَنْشِدْه حَسَّانًا إذا لاقَيْتَهُ في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ بين رُواتِه[٦٦]
وافخَرْ بقَوْمِكَ أَنْ أعادُوا لِلْورَى عهدَ البَيانِ ومُجْتلى آياتِهِ[٦٧]
وانْعَمْ برضْوانِ الإلـه وظِلِّـه واسعَدْ بعَيْشِ الْخُلْدِ في جنَّاتِهِ[٦٨]
إن الذى خَلَقَ البُكاءَ أغاثَه باللُّطفِ والإحْسانِ من رَحَماتِهِ[٦٩]

---

(٦٥) نظم الدموع : ضمّها وألفها . بحرا كاملا : أى ممتلئا . ويريد به أحد بحور الشعر المسمى بالكامل ، وفى هذا اللفظ تورية ظاهرة لأن القصيدة من هذا البحر . الزفرات : الأنفاس الحارة من الحزن . التفعيلات : الأجزاء التى يتألف منها الشعر.

(٦٦) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصارى شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٦٧) بقومك ، أى بأبناء دار العلوم . مجتلى آياته : أى آياته الناطقة البينة المرئية .

(٦٨) رضوان الإله : رضاه .

الدّعوةُ إلى الوئام

أنشدها الشاعر بين يدى سعد زغلول باشا سنة ١٩٢١ م.

لبَّيْكَ يا مِلءَ القُلو ... بِ وَأثْبَتَ الأبطالِ قَلْبا(١)

نادَيْتَ قَوْمَكَ لِلْحَيا ... ةِ فأقْبَلُوا عَدْوًا وَوَثْبا(٢)

وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ وَالْقُلو ... بُ خَوَافِقٌ وَهَلاً وَرُعْبا(٣)

أَلَّفْتَ بَيْنَ الْعُنْصُرَيْـ ... ـنِ وَكُنْتَ لِلرَّحْمَنِ حِزْبا(٤)

نَبذُوا الشِّجارَ وأبْدَلُو ... هُ لِمِصْرَ إخْلاصًا وَحُبّا(٥)

وَتَبادَرُوا صَوْبَ النَّجا ... ةِ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ نَقْبا(٦)

وَسَعَى الْهِلالُ إلى الصَّلِيـ ... ـبِ وَأَقْبَلا جَنْبًا فَجَنْبا(٧)

وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ وَسَيْـ ... ـلُ الْمُرْجِفِينَ يَعُبُّ عَبّا(٨)

وَالأَرْضُ واجِفَةٌ وَمِصْـ ... ـرُ تَرْقُبُ الْقَدَرَ الْمُخَبّا(٩)

---

(٣) يشير إلى ذهابه مع نفر من أصحابه إلى دار العميد البريطانى وإبلاغه صوت الشعب المصرى ، كان ذلك عقب أن وضعت الحرب الكبرى أوزارها فى نوفمبر سنة ١٩١٨ م وخرجت منها بريطانيا منتصرة ، ولهذا كانت مطالبة سعد باستقلال بلاده فى ذلك الوقت شجاعة ومخاطرة تعرض بسببها للاعتقال والنفى .

(٤) يريد بالعنصرين : مسلمى مصر وقبطها . وفى الشطر الثانى اشارة إلى الآية القرآنية الكريمة « أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون » الآية ٢٢ من سورة المجادلة .

(٦) تبادروا : تسارعوا . الصوب : الجهة .

(٨) سل السيف : أخرجه من غمده . المرجفون الذين يخوضون فى أخبار الفتن ونحوها . يعب : يتتابع ويسمع له صخب ، وهذا كناية عن الشدة والطغيان .

فَوَقَفْتَ فَانْحَنَتِ الرُّءُو ... سُ فَكُنْتَ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبَا (١٠)

وَخَطَبْتَ بِالصَّوتِ الْجَهِيـ ... ـرِ فَمَا امْرُؤٌ إِلا وَلَبَّى (١١)

وَبَرَزْتَ كَاللَّيْثِ الْهَصُو ... رِ دَعَتْهُ أَشْبَالٌ فَهَبَّا (١٢)

كَالسَّيفِ سُلَّ مِنَ الْقِرَا ... بِ مُثَقَّفَ الْحَدَّيْنِ عَضْبَا (١٣)

يَا سَعْدُ أَنْتَ لَهَا إِذَا ... لَهَبُ الْجِدَالِ عَلا وَشَبَّا (١٤)

يَا سَعْدُ أَنْتَ لَهَا إِذَا ... مَا صَرْصَرُ الأَحْدَاثِ هَبَّا (١٥)

تَسْعَى إِلى بَارِيسَ كَالْـمُخْتَارِ ضَمَّ إِلَيْهِ صَحْبَا (١٦)

يَا خَادِمَ الْوَطَنِ الأَمِيـ ... ـنِ خَدَمْتَهُ شَرْقًا وَغَرْبَا (١٧)

كُنْ لِلْوِزَارَةِ سَاعِدًا ... وَتَوَحَّدَا رَأْيًا وَلُبَّا (١٨)

سَعْدٌ وَعَدْلِي يَعْمَلا ... نِ فَمَا أَجَلَّ وَمَا أَحَبَّا (١٩)

سَعْدٌ وَعَدْلِي يَعْمَلا ... نِ فَلا نَخَافُ الْيَوْمَ خَطْبَا (٢٠)

صِنْوَانِ فِي حُبِّ الْبِلا ... دِ وَنِيلِهَا الْمَيْمُونِ شَبَّا (٢١)

كُونَا يَدًا فِي الْحَادِثَا ... تِ وَذَلِّلا مَا كَانَ صَعْبَا (٢٢)

---

(١٣) التثقيف : التسوية . العضب : القاطع .

(١٥) الصرصر من الرياح : ماكان شديد الصوت ، أو شديد البرد . الأحداث : نوب الدهر ومصائبه . هبّت الريح : هاجت وثارت .

(١٦) يريد بالمختار النبي محمداً صلى الله عليه وسلم . الصحب : جمع صاحب ، يشبه سعدا وهو يسعى مع أصحابه أعضاء الوفد المصرى إلى باريس سنة ١٩١٩م لإسماع المؤتمرين فيها صوت مصر وإعلاء كلمتها وإظهار حقها بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يجاهد مع أصحابه لإعلاء كلمة الله .

(١٨) يريد بالوزارة وزارة عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١م وكانت تتأهب لمفاوضة الحكومة الإنجليزية فى حل القضية المصرية معتمدة على ثقة سعد وتأييده . الساعد : ما بين المرفق والكف ، اللب : القلب ، يطلب إلى سعد أن يؤيد الوزارة العدلية ويتحد معها رأياً وقلبا حتى تكلل المفاوضة بالنجاح ، وقد كرر هذا المعنى فى الأبيات الآتية وحض الوفد والوزارة على التعاون ، وأشاد بفضلها جميعاً ، وفضل الوفاق ، وذلك لأن سعداً فى ذلك الوقت كان يطلب مفاوضة الإنجليز باعتباره زعيما للشعب المصرى ووكيلا عنه فى طلب الحرية والاستقلال ، وكانت الوزارة تبغى الإنفراد بالمفاوضة لأنها هيئة رسمية تفاوض هيئة رسمية مثلها وهى الحكومة الانجليزية .

دَامَ الْوِفَـــاقُ وَدامَ سَـــعْـــدٌ صَـــائِبَ الآراءِ نَـــدْبَـــا[23]

الشـــعْـبُ أَنْتَ فَـــمَنْ رَآ لكَ فقدْ رَأَى فَرْدًا وَشَعْبَا[24]

---

(٢٣) رجل ندب : خفيف فى الحاجة نجيب .

إلى مجلة الهلال

سنة ١٩٤٧ م.

قد قرأتُ الهلالَ خمسين عامًا فاق فيها بدرَ السماء اكتمالا[1]
وعجيبٌ يزيدُ فى كلِّ شهرٍ ثمّ يُدْعَى برغم ذاك هِلالا[2]

تهنئة الفاروق بعيد الفطر

سنة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م .

تَبَلَّجَ بالْبُشْرَى وَلاحَتْ مَوَاكِبُهْ ... ورَفَّتْ بِأَنْفَاسِ النَّسِيمِ سَبَائِبُهْ (١)

أَطَلَّ صَبَاحُ الْعِيدِ جَذْلَانَ ضاحِكاً ... يُمازِحُ وَسْنَانَ الدُّجَى ويُلاعِبُه (٢)

وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ فى صَحْوَةِ الْمُنَى ... وَقَدْ سَهِرتْ شَوْقاً إِلَيْها كَوَاكِبُه ؟ (٣)

تُنَاجِيه أَلْحَانُ الهَوَى فَيُجِيبُها ... وَتَسْتُر لَوْعَاتِ المحبِّ غَيَاهِبُه (٤)

تَرَدَّى مُسُوحَ النُّسْكِ فى زِىٍّ راهبٍ ... وَطَارَتْ تَسُدُّ الْخَافِقَيْنِ ذَوَائِبه (٥)

وَأَعْجَبَه أَنْ دَارَتِ الأَرْضُ تَحْتَه ... كَدَوْرِ شَرِيطٍ ما تَنَاهَى عَجَائِبُهْ (٦)

إِذَا أَبْصَرَ الإِحْسَانَ فيها تَلَأْلَأَتْ ... أَسَارِيرُه واهْتَزَّ بالعُجْبِ جَانِبُه (٧)

يَمُوجُ فَيَعْلو البَرَّ والبَحْرَ مَوْجُه ... وتَمْلِك أَرْجَاءَ الفَضَاء مَذَاهِبُه (٨)

عَلَيْهِ النُّجُومُ السَّابِحَاتُ سَفَائنٌ ... يُغالِبُها آذِيُّه وتُغالِبُه (٩)

---

(١) تبلج : أضاء وأشرق والضمير يعود إلى الصباح الذى سيأتى ذكره . لاحت : ظهرت وبدت . السبائب : الأعلام . الواحدة : سبيبة . رفت : خفقت واهتزت .

(٢) جذلان : فرحًا . الوسنان : الذى غشيته سنة النوم . الدجى : ظلام الليل .

(٤) تناجيه : تسارّه وتجاذبه الحديث . غياهبه : ظلماته وحنادسه .

(٥) تردى : لبس . مسوح النسك : ما يظهر فيه الزهاد من لباس أسود . الخافقين : المغرب والمشرق . ذوائبه : أطرافه ، ويريد ألسنة الظلام .

(٨) مذاهبه : طرقه .

(٩) الآذى : الموج .

سَفَائِنُ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا الدَّهْرُ ساحِلاً وسَفْرٌ عَلَى الأَيَّامِ مَا مَلَّ دَائِبُهْ (١٠)

رآهُ سَلِيلُ الطِّينِ يجْتَابُ لَيْلَه فَهَلْ هَدَأَتْ دُون المَسِيرِ جَوائِبُه ؟ (١١)

تَلَقَّاه فَجْرُ العِيدِ فى عُنْفُوَانِه تَصُولُ بشُهْبِ الصَّافِنَاتِ كَتَائِبُه (١٢)

تَألَّق كالحَقِّ المُبِين إذَا بَدَا تَوَلَّى ظَلَامُ الشَّكِّ وارْتَاعَ شَاحِبُه (١٣)

وللصُّبحِ عِنْدِى مِنَّةٌ كُلَّمَا نَبَا بِى اللَّيْلُ أَوْطَالَتْ علىَّ هَيَادِبُهْ (١٤)

أَرَاهُ فأَلْقَى البِشْرَ فِى قَسَمَاتِه طَهُورًا كثَغْرِ الطِّفْلِ حين تُدَاعِبُه (١٥)

وأشْعُرُ أَنَّ الكَوْنَ عَادَتْ حَيَاتُه إليه وأنَّ الأُنسَ قَدْ آبَ غَائِبُه (١٦)

يَـهَشُّ إلـيـه كُـلُّ حَىٍّ كَـأَنَّما أَشِعَّتُه حُلْمُ الصِّبَا وَرَغَائِبه (١٧)

وتَصْحُو لَه الأَزْهَارُ مِنْ وسَنَاتِهَا تُضَاحِكه وَالطَّلُّ لَم يَجْرِ ذَائِبُه (١٨)

ويَسْتَقْبِل الأطْيَارُ بَسْمَةَ نُورِه فَيبْهَرُنا مِنْ كُلِّ لَحْنٍ غَرَائِبُه (١٩)

تَرَاهَا على الأَفْنَانِ سَكْرَى من السَّنا يُناغِى أَلِيفٌ إلْفَه فَيُجَاوِبُه (٢٠)

قِيَانٌ أدَقَّ اللهُ أوْتَارَ عُودِهَا فأحْيَتْ أغانِيه وَأَشْجَتْ مَضَارِبه (٢١)

كأنَّ ضِيَاءَ الصُّبْحِ والكَوْنُ مُشْرِقٌ سَنَا طَلْعَةِ الفَارُوقِ لاحَتْ رَكَائِبُه (٢٢)

أطَلَّ هِلاَلُ العِيدِ يَحْظَى بنَظْرَةٍ فأَبْصرَ نوراً يَبْهَرُ النُّورَ ثاقِبُه (٢٣)

وشاهَدَ فى طُهْرِ المَلاَئِكِ سَيِّدًا سَمَتْ فَوْقَ أفْلاَكِ السَّمَاءِ مَناسِبُه (٢٤)

---

(١٠) السفر : المسافرون ، الواحد سافر . الدائب : المستمر فيما أخذ فيه .

(١١) سليل الطين : آدم لأنه خلق من الطين . يجتاب : يقطع .

(١٢) فى عنفوانه : فى اكتماله ورائع نوره . تصول : تسطو وتعدو . الشهب : جمع أشهب ، وهو الذى فيه بياض يصدعه سواد . الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف الرابعة ، ولا يكون ذلك إلا فى الجياد العتاق . الكتائب : جمع كتيبة ، وهو الجيش . ويريد بالكتائب : جيوش الضوء ، وبشهب الصافنات : الأشعة للونها وسرعة جريها .

(١٣) تألق : أضاء وأشرق .

(١٤) نبابى الليل : أى نبا جنبى عن الليل كأنه فراش خشن ، فاستوحشت وضجرت . هيادبه : سحائب ظلماته .

(١٨) تصحو : تتفتح . سناتها : سباتها .

(٢١) القيان : الجوارى المغنيات . شبه الطير بها . أشجت : أثارت الشجو وحركت الشوق . أغانيه : أى أغانى العود .

(٢٣) ثاقبه : نوره الذى يبذ كل نور .

(٢٤) مناسبه : أى أنسابه وأصوله .

تَـراه فَـتَـلْـقَى أُمَّةً فى شَبَابِهـا	وتُصْغى إلى الآمَالِ حينَ تُخَاطِبُه[٢٥]
أصَالةُ رَأْيٍ فى ابتِسَام سَمَاحَةٍ	وصَوْلَةُ عَزْمٍ يُرْهِبُ الدَّهْرَ قاطِبُه[٢٦]
تَأثَّر خَطْوَ الحَزْمِ فى كُلِّ مَطْلَبٍ	وهَلْ يَعْظُم المَطْلُوبُ والْحَزْمُ طَالِبُه؟[٢٧]
مَلِيكٌ من الأفْلَاذِ أعْوَادُ عَرْشِه	فَمنْ ذَا يُدَانِيه ومَنْ ذَا يُقَارِبُه؟[٢٨]
مَحَبَّتُه فى كُلِّ قَلْبٍ شَغَافُه	وإحْسَانُه فى كُلِّ كَفٍّ رَوَاجِبُه[٢٩]
حَوَت رِيشَةُ الرَّسامِ بَعْضَ سِمَاتِه	وعَزَّتْ عَلَى رِيش القَرِيضِ مَنَاقِبُه[٣٠]
لِكُلٍّ خَيالٍ فى فَمِ الشِّعرِ غَايةٌ	ولا تَـنْـتَـهِى غَـايـاتُه ومآرِبُه[٣١]
صِفِ البحْرَ فى أمواجِهِ وكُنُوزِه	وقُـلْ هَـذِه الآلاؤه ومَوَاهِبُه[٣٢]
صِفِ الهِمَمَ الجُرْدَ التى تقنِصُ المُنَى	وقُـلْ هَـذِه أفْرَاسُه ونَجائِبُه[٣٣]
صِفِ الأنْجُمَ الزُّهْرَ اللَّوامِعَ فى الدُّجَى	وقُـلْ هَـذِه أقْـدَارُه ومَـرَاتِبُه[٣٤]
صِفِ السُّحْبَ أيْنَ السُّحْبُ من فَيْضِ جُودِه	إذا وَكَفَتْ للبَائِسِين سَحَائِبُه؟[٣٥]
تَمنَّتْ زُهُورُ الرَّوْضِ لو أنَّ طِيبَها	له نَفْحَةُ الذِّكْرِ الذى هُو كَاسِبُه[٣٦]
فَمَا كَرَمٌ إلَّا ومِنْـه انْبِعَاثُهُ	ولا شَرَفٌ إلَّا وفاروقٌ صَاحِبُهُ[٣٧]
إذَا اصطَنَع اللهُ امْرأً جَلَّ سَعْيُهُ	وعَمَّتْ أيَادِيه وطَابَتْ نَقَائِبُه[٣٨]

(٢٦) القاطب : العابس عن غضب وشدة . القاطب : الأسد (أيضا) . والكلام على كلا المعنيين مستقيم ، فعلى الأول جعل عزمه العابس يخيف الدهر . وعلى الثانى جعل من عزمه أسداً يخشى الدهر بطشه .

(٢٧) تأثر : احتذى وترسم .

(٢٨) الأفلاذ : قطع الأكباد .

(٢٩) شغاف القلب (هنا) : سويداؤه . الرواجب : بواطن مفاصل الأصابع . وقيل غير ذلك ، الواحدة راجبة .

(٣٢) كنوز البحر : ما ينطوى عليه من جوهر كريم ومنافع للناس . الآلاء : النعم .

(٣٣) الجرد : من صفات الخيل ، وهى القصيرة الشعر ، وهو مما تمدح به . تقنص المنى : تظفر بها وتلحقها . النجائب : كرام النوق ، الواحدة : نجيبه . والافراس والنجائب ، عدة الانسان فى بلوغ الغايات .

(٣٤) الزهر : الناصعة البياض . الدجى : الظلام . الأقدار والمراتب : المنازل والدرجات .

(٣٥) فيض جوده : عميم كرمه . وكفت : أمطرت .

(٣٦) نفحة الذكر : سيرته الطيبة التى تملأ الأرجاء . كاسبه : المتصف به .

(٣٨) اصطنعه : تولاه برعايته وحاطه بعنايته . وجل : عظم . عمت : انتشرت ، الأيادى : النعم . النقائب : الخلال الطيبة ، الواحدة : نقيبة . طيبها : حسنها وبلوغها غاية الكمال .

بــه ازْدَادَ دِينُ اللهِ عِــزًّا ورَدَّدَتْ مَــنَــابِــرُه آلاءه ومَـحَــارِبُــهْ(٣٩)
وَقُورٌ بدَرْسِ الدِّينِ يُطْرِق خاشِعًا من النُّسْكِ يَرْجُو ربَّه ويُرَاقِبُه(٤٠)
بجانِـبِه الشَّعبُ الوَفِيُّ يَحُوطُه وتَـزْحَـمُه أَعْضادُه ومَناكِبُه(٤١)
وجِبْرِيلُ يَهْفُو فَوْقَه بجَنَاحِه حَنَانًا ، وفَيْضُ اللهِ يَنْهَلُّ سَاكِبُه(٤٢)
تَـجَلَّى به عَصْرُ الرَّشِيـدِ وعِزُّه وسالِفُ عَهْدِ الرَّاشِدِين وذَاهِبُه(٤٣)
إذا الشَّـعْبُ وَالاه فَـذلِك فَرْضُـهُ وإنْ هُوَ فَدَّاه فَذلك واجِبُهْ(٤٤)

* * *

شَهِدْتُك يَوْمَ العِيد والشَّعْبُ حاشِدٌ تَـهِـيـمُ بِهِ أَشْوَاقُه وتُجاذِبُه(٤٥)
له صَوْتُ صِدْقٍ بالدُّعَاء مُجَلْجِلٍ يُفَتِّحُ أبوابَ السَّمَواتِ صاحِبُه(٤٦)
فَعيْن اشْتِياقٍ تَرْتَجِي لُقْيَةَ المُنَى وصَدْرُ وَلَاءٍ خافِقِ القَلْبِ واجِبُه(٤٧)
رأيتُ كَـأَنَّ الـبَحْـر مُـدَّ بِمِثْلِهِ وقَـدْ زَأَرَتْ أَمْوَاجُهُ وغَوارِبُه(٤٨)
هُنَاك بَدَا العِيدَانِ : وَجْهُكَ والضُّحَى مَشَـارِقُـه وضَّـاءَةٌ ومَـغَـارِبُـه(٤٩)
طَـلَـعْـتَ فَأَبْصَرْنَا الْجَلَالَ مُصَوَّرًا نَرَاه فيُغْضِي طَرْفُنَا وَهُو هَائِبُه(٥٠)
لَكَ البَسْمَةُ الزَّهْرَاءُ تَخْتَلِبُ النُّهَى ويُمْحَى بهَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ شَوَائِبُه(٥١)
طَلَعْتَ فقُلْنَا : خَيْرُ مَنْ سَاسَ أُمَّةً وأَشْرَفُ مَنْ شُدَّتْ عَلَيه عَصَائِبُه(٥٢)
لَـدَى مَـوْكِـبٍ لِـلْـمُـلْكِ عَزَّ مِثَالُه تُـحِـيطُ به فُرْسَانُه وكَـواكِبُهْ(٥٣)
يُشاهِدُه التَّارِيخُ والعُجْبُ مِلْؤُه فَيَذْهَلُ عَنْ حَصْرِ الذِى هُو كاتِبُه(٥٤)
فَمنْ شَاء مَجْدَ الْمُلْكِ فى بُعْدِ شَأْوِه فَـهـذِى عَـوالِـيـهِ وتِـلْكَ قَوَاضِبه(٥٥)

---

(٤٠) يرجو : يخاف . يراقب : يخشى .

(٤٣) تجلى : وضح وبان ، الرشيد : هو هارون الرشيد أحد الخلفاء العباسيين . وكان عهده من أزهى عهود الدولة حضارة ومدنية . الراشدون : الخلفاء الأربعة وقد بلغ الدين فى عهدهم غايته .

(٤٤) والاه : أخلص له الولاء ودان له . فرضه : واجبه . فداه : جعل نفسه فداء له .

(٥٠) يغضى : يكسر الطرف حياء . هائبه : فى خشية منه .

(٥١) الزهراء : المشرقة إشراق النجوم . تختلب النهى : تستلب العقول . شوائب الهم : ما يشوب النفس ويعكر صفوها .

(٥٢) العصائب : جمع عصابة ، وهى ما يشد على الرأس .

(٥٥) الشأو : الغاية والمدى . العوالى : الرماح . القواضب : السيوف .

وَهَذا الذَّكاءُ العَبْقَرِىُّ مَليكُه ... وهَذِى الْجُنُودُ الزَّاخِرَاتُ مَواكِبُهْ(٥٦)

مَلِيكٌ له عَزْمُ الصِّبَا ووُثُوبُه ... وآرَاءُ ما بَعْدَ الصِّبَا وتَجارِبُه(٥٧)

* * *

تَخطَّر شَهْرُ الصَّوْمِ يَسْحَب ثَوْبَه ... فتَنْشُرُ مِسْكًا فى الفَضَاءِ مَسَاحِبُه(٥٨)

تَحمَّل للفَارُوقِ أَجْرَ مُجَاهِدٍ ... يَتِيه به إِنْ حَاوَلَ العَدَّ حاسِبُه(٥٩)

وعَادَ إلى مَوْلَاه جَمًّا ثَوابُه ... مَلِيئًا مِنَ الإِحْسَانِ بُجْرًا حَقَائِبُه(٦٠)

تَحَدَّثت فى المِذْيَاعِ عن فَضْلِ صَوْمِه ... وكَمْ مَثَلٍ عالى الذُّرَا أَنْتَ ضارِبُهْ(٦١)

* * *

هَنِيئًا لكَ العِيدُ الذى بِكَ أَشْرَقَتْ ... منازِلُه بِشْرًا ، وضَاءَتْ رِحابُه(٦٢)

رَأَتْ فِيه مِصْرُ هِمَّةً عَلَوِيَّةً ... يَرى كُلُّ بَأْسٍ عَزْمَها فيُجَانِبُه(٦٣)

وأَبْصَر فِيه النِّيلُ خَيْرَ مُمَلَّكٍ ... تَجِلُّ مَسَاعِيه ، وتَصْفُو مَشَارِبُه(٦٤)

بَصِيرٌ إذا سَاسَ الأُمُور تكَشَّفَتْ ... وبانَ لَهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُه(٦٥)

يُـزَاوِلها مِـنْـه حَصِيفٌ مُدَرَّبٌ ... بَعِيدُ المَرامِى صَادِقُ الرَّأْىِ صَائِبُه(٦٦)

إذا مَدَّ زَنْدَ العَزْمِ فى إِثْرِ مَطْلَبٍ ... تَدَانَتْ أَقَاصِيه ، ولَانَتْ مَصَاعِبُه(٦٧)

نَعِمْنا بالاسْتِقْلَالِ فى يُمْنِ عَهْدِه ... وَأَسْفَرَ لَيْلٌ لم يَنَمْ فيه ناصِبُهْ(٦٨)

---

(٥٨) مساحب الثوب : ما ينجر منه على الأرض .

(٦٠) بجراً حقائبه : منتفخة من كثرة ما فيها من الثواب .

(٦١) الذرا : جمع ذروة ، وهى من كل شىء أعلاه .

(٦٣) علوية : نسبة إلى جده رأس الأسرة الملكية فى مصر «محمد على باشا» . البأس : القوة والشدة . يجانبه : يباعده .

(٦٦) الحصيف : الذى استحكم عقله . المدرب : ذو الخبرة بالأمور . بعيد المرامى : بعيد النظر ، صائبه : أى لا يخطىء مواقع الأمور .

(٦٧) يريد بزند العزم : ذراعه القوى الفتى ، والمقصود همته التى لا تنثنى أمام المطالب . تدانت : قربت . أقاصيه : ما بعد وعزّ . لانت : هانت وسهلت .

(٦٨) الناصب : المضنى المتعب .

وَعزَّ حِمَى مِصْرٍ بجُهْدِ رجَالِها　　وعادَ لهَا من لامِعِ المجْد عَازِبُهْ(٦٩)

فعِشْ للهُدَى والمَكْرُمَاتِ فإنَّما　　سَجَايَاكَ آياتُ الهُدَى وجَوالِبُه(٧٠)

---

(٦٩) الحمى : ما يجب عليك حمايته . عازبه : ما بعد عليها قديما وامتنع .

(٧٠) سجاياك : طباعك وخلالك . جوالبه : تجلبه وتأتي به .

أعلَامُ المجْمَع

في رثاء الأساتذة أحمد الإسكندرى وحسين والى ونلينو أعضاء مجمع اللغة العربية . أنشدت بدار الأوبرا فى فبراير سنة ١٩٣٩ م .

غدًا فى سَماءِ الْعبْقَرِيَّةِ نلتقى ... وتجتمعُ الأنْدادُ بَعْدَ التَّفَرُّقِ [١]

وَنذكر عيْشًا كالأزَاهِر لم يَطُلْ ... وَوُدًّا كَمشْمُولِ الرَّحيقِ الْمُصَفقِ [٢]

وَنَضْحك من آمالِنا كيف أنها ... أصَاخَتْ إلى وَعْدِ الزَّمان المُلَفَّقِ [٣]

ونَسْبَحُ فى أنْهَارِ عَدْنٍ كأنَّما ... سَرَائِرُنَا مِن مائِها الْمتَدَفِّق [٤]

ونَخْتَرِق الاجْواءَ بَيْنَ مُدَوِّمٍ ... يَمُدُّ جَنَاحَيْهِ ، وبين مُصَفِّق [٥]

* * *

ذَكَرْتُ أحِبَّائى ، وقَدْ سَارَ رَكْبُهُمْ ... إلى غير آفاقٍ ، على غير أيْنُقِ [٦]

أُودِّعهم ما بَيْنَ لَوْعَةِ وَاجِدٍ ... تَطِيرُ به الذِّكْرَى ، وَزفْرَةِ مُشْفِق [٧]

وَأبْعَثُ فى الصَّحْراء أنَّاتِ شَيِّقٍ ... وهَلْ تَسْمعَ الصَّحراء أنَّاتِ شَيِّقٍ ! ؟ [٨]

تعلقتُ بالحَدْبَاء حَيْرانَ وَالِهًا ... وكيْف ! ومَاذَا نافِعِى من تعلُّقِى ! ؟ [٩]

---

(٢) الرحيق : صفوة الخمر . المشمول : البارد يقال (غدير مشمول). هبت عليه ريح الشمال فأبردته . المصفق : المصفى بتحويله من إناء إلى إناء .

(٥) مدوم : دوم الطائر . حلق فى الهواء دون أن يحرك جناحيه . مصفق : من صفق الطائر بجناحيه حركها فسمع لحركتها صوت .

(٦) أينق : جمع ناقة وجمع الجمع : أيانق .

(٩) الحدباء : النعش .

لَمَسْتُ فلم أَلْمِسْ سوى أَرْيَحِيَّةٍ — من النورِ ، لُفَّتْ فى رِدَاءٍ مُخَلَّقِ [10]

* * *

أَتُدْفَنُ فى الأرض الكنوزُ وفوقها — خَلاَءٌ ، إلى لألائِهَا جِدُّ مُمْلِقِ ؟ [11]

ويَمْضِى الْحِجَا مَا بَيْنَ يومٍ وليلةٍ — كَلَمْحَةِ طَرْفٍ أو كَوَمْضَةِ مُبْرِق ؟ [12]

يضيق فضاءُ الأرض عن هِمَّةِ الفَتى — ويُجمَعُ فى لَحْدٍ من الأرض ضيِّقِ [13]

تَبَابٌ لهذا الدَّهْرِ ، مَاذَا يُرِيدُه ؟ — وأَىّ جديدٍ عنده لم يُمَزِّقِ ؟ [14]

يُصَدِّعُ من أَعْلاَمِنَا كلَّ راسخٍ — ويُطفِئُ من أَنْوَارِنَا كلَّ مُشْرِقِ [15]

هُوَ المَوتُ مَا أَغْنَى اسمه عَنْ صِفَاتِه — وعن كلِّ أَلْوَانِ الكلامِ المُنَمَّقِ ! [16]

رَمَتْنِى عوَادِيه فإن قلتُ إنّهَا — مَضَتْ بِأَمَانِىَّ الحياة فَصَدِّقِ ! [17]

* * *

أَأَحمدُ أين الأمْسُ ، والأمسُ لم يَعُدْ — سِوىَ ذِكرياتٍ للخيال المُؤرِّقِ [18]

كَأَنِّى أراكَ اليومَ تَخطُبُ صَائِلاً — وتَهْدِرُ تَهْدَارَ الْفَنِيقِ المُشَقْشِقِ [19]

تُنَافِحُ عن بِنْتِ الصَّحارى مُشَمِّرًا — وتَفْتَحُ مِن أَسْرَارِهَا كُلَّ مُغْلَقِ [20]

مَضَى حَارِسُ الْفُصْحى فَخَلَّده اسْمُه — كما خلَّد الأعشى حَدِيثَ الْمُحَلَّقِ [21]

---

(١٠) مخلق : الخلوق والخلوقة ضرب من الطيب . المخلق . ما وضع عليه الخلوق .

(١١) جد مملق : مفتقر جدا .

(١٢) الحجا : العقل والفطنة .

(١٤) التباب : القطع والإهلاك . وتبَّاله . دعاء عليه بالهلاك .

(١٩) هدر الفنيق : ردد صوته فى حنجرته . التهدار : مصدر منه . المشقشق : البعير يخرج من فيه ما يشبه الرئة إذا هاج ويسميها العامة (القلة) .

(٢٠) تنافح : تدافع . بنت الصحارى : كناية عن اللغة العربية . مشمرًا : مجتهدا . أسرارها : خفاياها ومعضلاتها . مغلق : مقفل .

(٢١) الأعشى : هو أعشى قيس أبو بصير من فحول شعراء الجاهلية . المحلق : لقب عبد العزى بن حنتم وكان فقيراً خامل الذكر مدحه الأعشى بقصيدته التى مطلعها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق — وما بى من سقم وما بى تعشق

فنبه ذكر المحلق وعلا شأنه ، وخلد التاريخ اسمه .

فَقَدْنَا به زَيْنَ الْفَوَارِسِ ، إن رَمَى ... أَصَابَ وإِنْ يُرْخِ الْعِنَانَيْنِ يَسْبِق (٢٢)

فَقُلْ لِلَّذِى يَسْمُو لِذَيْلِ غُبَارِهِ ... ظَلَمْتَ العِتَاقَ الشَّيْظَمِيَّاتِ فَارفُق (٢٣)

إِذا مارَمَى عِنْدَ الجِدَالِ عَبَاءَهُ ... رَمَاكَ بِسَيْلٍ يَقْلَعُ الصَّخْرَ مُغْرِق (٢٤)

فجانِبْ إذا كُنتَ الحكِيمَ سُؤالَهُ ... وَأَطْرِقْ إلى آرائِه ثُمَّ أَطْرِقِ . (٢٥)

* * *

أأحْمَدُ ، إِنْ تَمْرُرْ بِوَالِى فَحَيِّه ... وَبَلِّغْه أَشْوَاقَ الفُؤَادِ المُحَرَّق (٢٦)

طَوَيْنَاه صَيَّادَ الأَوابدِ لَمْ يَدَعْ ... عَزِيزًا عَلَى الأَفْهامِ غَيْرَ مُوَثَّق (٢٧)

لَهُ نَظْرَةٌ لم يحتَمِلْ وَقعَ سِحْرِهَا ... غريبُ ابن حُجْرٍ أو عَوِيصُ الفَرَزْدَق (٢٨)

أَحَاطَ بآثَار الْخَلِيلِ بْنَ أَحْمَدٍ ... إحاطَةَ فَيَّاضِ البَيَانِ مُدَقِّقِ (٢٩)

إذا مَسَّ بالكَفِّ الجبِينَ تدافَعَتْ ... جُيُوشُ المعانِى فَيْلقاً إثْرَ فَيْلَق (٣٠)

* * *

ويومًا مع الإسكندرىّ رأيته ... يُجاذِبُه فَضْلَ الْحَدِيثِ المشَقَّقِ (٣١)

---

(٢٣) العتاق : من الخيل . النجائب ، ومفرده عتيق كَكريم . الشيظميات : واحدها شيظمى وهو الفرس الرائع بطول جسمه وقوته . ارفق : ترفق وتلطف .

(٢٦) والى : هو المرحوم الأستاذ حسين والى عضو المجمع اللغوى وأحد فحول العربية فى عصر النهضة . تخرج فى الأزهر وزاول مهنة التدريس فيه وفى مدرسة القضاء الشرعى ، وتدرج فى مناصب الأزهر السامية . ولما أنشىء المجمع اختير عضواً فيه وكانت مواقفه فيه خالدة ، وآراؤه حكيمة . وله عدة مؤلفات فى الأدب واللغة ورسم الحروف معظمها لم يطبع بعد . أشواق : جمع شوق وهو نزاع النفس وحركة الهوى . المحَرّق : من حرقه بالنار يحرقه بالغ فى الإحراق .

(٢٧) الأوابد : الوحوش ، والمراد عويصات المسائل وغرائبها مما يعز فهمه . الموثق : المحكم المتقن .

(٢٨) ابن حجر : امرؤ القيس إمام شعراء الجاهلية . عويص : من عَوِص الكلام صعب . والعويص من الشعر ما صعب فهم معناه . الفرزدق : أحد فحول الشعراء الأمويين مشهور بصلابة الشعر وغرابته .

(٣٠) تدافعت : تدافعوا فى الحرب : دفع بعضهم بعضا . الفيلق : الجيش .

(٣١) الاسكندرى : هو المرحوم الأستاذ أحمد على السكندرى . حجة الأدب العربى واللغة العربية ، تلقى دروسه فى الأزهر ، ثم فى دار العلوم ، ثم كان مدرسا فى المدارس الأميرية ، فناظراً لمدارس المعلمين فأستاذاً بدار العلوم ، فعضواً فى المجمع توفى سنة ١٩٣٨ م . يجاذبه : يجذبه حوّله عن موضعه كجاذبه . والمراد هنا النقاش والمجادلة ، لأن كلاً يجذب الآخر لرأيه بكلامه . جذب الشىء فضل : الفضل هنا بمعنى الطرف . المشقق : شقق الكلام أخرجه أحسن مخرج .

فَهَذَا يَرَى فِي لَفْظَةٍ غَيرَ مَا يَرَى ... أَخوه ، ويختارُ الدليلَ وَيَنْتَقِي (٣٢)

فقلت أرى ليثًا وليثًا تَجَمَّعَا ... وأَشْدَقَ مِلْءَ العَيْنِ يَمْشِي لأَشْدَقِ (٣٣)

وأَعْجَبَنِي رأىٌ سَلِيمٌ وَمَنْطِقٌ ... يَصُولُ على رأيٍ سليمٍ ومَنْطِقِ (٣٤)

وقد لوَّحتْ أَيْدِيهِمَا فكأَنَّها ... إشاراتُ راياتٍ تروحُ وتَلْتَقِي (٣٥)

ولم أَرَ فى لفْظَيْهِمَا نَبْرَ عَائِبٍ ... ولم أَرَ فى عَيْنَيْهِمَا لَمْحَ مُحْنَقِ (٣٦)

فقلتُ هِيَ الفُصْحَى بِخَيرٍ وَإِنَّهَا ... بأَمثالِ هَذَيْن الحَفِيَّيْنِ تَرْتَقِي (٣٧)

* * *

وَلَمْ أَنْسَ نَلِّينُو وقَدْ جَاء فَيْصَلاً ... بِحُجَّةِ بَحَّاثٍ وَرَأْىِ مُحَقِّقِ (٣٨)

وَفِكْرٍ لهُ مِنْ فطْرَةِ الرُّومِ دِقَّةٌ ... ومِنْ نَفَحاتِ العُرْبِ حُسْنُ تَأَلُّقِ (٣٩)

يُنَسِّقُ علم الأَوَّلين مُجاهِدًا ... ولاخَيْرَ فى عِلْمٍ إذَا لَمْ يُنَسَّقِ (٤٠)

تَقَاسَمَهُ غَرْبٌ وشَرْقٌ فَأَلَّفَتْ ... مَنَاقِبُهُ ما بَيْنَ غَرْبٍ ومَشْرِقِ (٤١)

فَدَعْ ما يُغَطِّى الرّأس واسْمَعْه لا تجدْ ... سِوَى عَرَبِيٍّ فى العُرُوبَة مُعْرِقِ (٤٢)

إذا صَالَ أَلْقَى الرُّمحَ كُلُّ مُنَازِلٍ ... وإن هو دَوّى سَفّ كلُّ مُحَلِّقِ (٤٣)

عَشِقْناه وَضَّاحَ الخَلاَئِقِ مُخْلِصًا ... وَمَنْ يَكُ وضّاحَ الخلائق يُعْشَقِ (٤٤)

فَيَا مَجْمَعَ الفُصْحى عَزَاءً فَكُلُّنَا ... إلَى الشاطِئِ المَوْعُود ركّابُ زَوْرَقِ (٤٥)

وما عَقِمَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ ولا خَلَتْ ... خَمَائِلُهَا منْ سَجْعِ كلِّ مُطَوَّقِ (٤٦)

---

(٣٣) أشدق : الشدَق . سعة الشدق وخطيب أشدق بليغ .

(٣٦) نَبر : نبر فلانا بلسانه . نال منه . لمَح : لمح إليه اختلس النظر ولمح البرق لمع . محنق : الحنق . الغيظ أو شدته .

(٣٨) نلينو : هو المستشرق الايطالى الكبير الأستاذ نلينو ولد فى تورينو من بلاد إيطاليا سنة ١٨٧٢ م. وأتقن دراسة الرياضيات والفلك والفلسفة والفقه وتاريخ الأديان . وفد إلى القاهرة فى بعثة إيطالية سنة ١٨٩٣ م ليتزود من علوم الشرق ، ولا سيا العلوم الاسلامية ثم عاد إلى وطنه فاشتغل مدرسا للعلوم العربية فى المعهد الشرق بنابولى وفى جامعة روما ثم بلرم . فأستاذاً للتاريخ الاسلامى بجامعة روما . وألقى محاضرات هامة فى الجامعة المصرية بين عامى سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٣ ثم دعاه الملك فؤاد سنة ١٩٢٦ ليكون أستاذاً بكلية الآداب واختير عضواً فى المجمع كما اختير عضواً فى مجمع إيطاليا وفى الجمعيتين الشرقيتين الانجليزية والألمانية . وفى مجمع دمشق العلمى . توفى سنة ١٩٣٨م .

(٤٣) دوّى : دوى الطائر : طار فى الهواء ولم يحرك جناحيه . سف الطائر : هبط إلى الأرض .

بَغْدَادُ

ألقيت فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى العربى ببغداد فى ٩ من فبراير سنة ١٩٣٨ م.

بَغْدَادُ ، يَا بَلَدَ الرَّشِيدِ !   وَمَنَارَةَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ ![(١)]

يَا بَسْمَةً لَمَّا تَزَلْ   زَهْرَاءَ فِى ثَغْرِ الْخُلُودِ[(٢)]

يَا مَوْطِنَ الْحُبِّ الْمُقِيمِ   وَمَضْرِبَ الْمَثَلِ الشَّرُودِ[(٣)]

يَا سَطْرَ مَجْدٍ لِلْعُرُو   بَةِ خُطَّ فِى لَوْحِ الْوُجُودِ[(٤)]

يَا رَايَةَ الْإِسْلَامِ ، وَالْـ   إِسْلَامُ خَفَّاقُ الْبُنُودِ[(٥)]

يَا مَغْرِبَ الْأَمَلِ الْقَدِيمِ ،   وَمَشْرِقَ الْأَمَلِ الْجَدِيدِ[(٦)]

يَا بِنْتَ دِجْلَةَ ، قَدْ ظَمِئْتُ   لِرَشْفِ مَبْسِمِكِ الْبَرُودِ[(٧)]

يَا زَهْرَةَ الصَّحْرَاءِ ، رُدِّ   ى بَهْجَةَ الدُّنْيَا وَزِيدِى[(٨)]

يَا جَنَّةَ الْأَحْلَامِ ، طَا   لَ بِقَوْمِنَا عَهْدُ الرُّقُودِ[(٩)]

يَا بُهْرَةَ الْمُلْكِ الْفَسِيحِ ،   وَصَخْرَةَ الْمُلْكِ الْوَطِيدِ[(١٠)]

---

(١) بغداد : مدينة عظيمة على شاطئ نهر دجلة من بلاد العراق ، وكانت مقر الخلافة العباسية ، بناها أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين سنة ١٤٥هـ . والرشيد هو هارون الرشيد خامس خلفاء بنى العباس تولى الخلافة (١٧٠ - ١٩٣ هـ) وكان عصره عصر نعيم ورخاء ، وفى زمنه ازدهرت بغداد وعظم شأنها .

(٣) الشرود : السائر الذائع المنتشر.

(٧) المبسم : الثغر ، وهو ماتقدّم من الأسنان حيث يكون الابتسام ، والمراد الريق . البرود : البارد .

(١٠) بهرة الملك : قصبته ومقره . الوطيد : الثابت المتين .

يَــا زَوْرَةً تُـحْـيِـى الْـمُـنَى   إِنْ كُنْتِ صَادِقَةً فَعُودِى ! (١١)

* * *

بـغْـدَادُ ، يـا دَارَ الـنـهَى   وَالْفَنِّ ، يا بَيْتَ الْقَصِيدِ (١٢)

نبتَ الْـقَـرِيضُ عَـلَى ضِفَا   فِكِ بَـيْـنَ أَفْـنَـانِ الْوُرُودِ (١٣)

سَرَقَ الـتَّـدَلُّـلَ مِنْ «عِـنَـا   نٍ» وَالتَّفَنُّنَ مِنْ «وَحِيدِ» (١٤)

يَشْـدُو كَـأَنَّ لَـهَـاتَـهُ   شُدَّتْ عَلَى أَوْتَارِ عُودِ (١٥)

بَـغْـدَادُ ، أَيْنَ الْـبُـحْـتُـرِىُّ ؟   وَأَيْنَ أَيْنَ ابْنُ الْوَلِيدِ ؟ (١٦)

ومَـجَـالِسُ الشُّـعَـرَاءِ فِى   بَيْتِ ابْنِ يَحْيَى وَالرَّشِيدِ ؟ (١٧)

أَيْنَ الْـقِـيَـانُ الضَّـاحِـكَـا   تُ يَمِسْنَ فِى وَشْىِ الْبُرُودِ ؟ (١٨)

السَّـاحِـرَاتُ الْـفَـاتِـنَـا   تُ النُّجْلُ مِنْ هِيفٍ وَغِيدِ (١٩)

السَّـاهِـرَاتُ مَـعَ الـنُّـجُو   مِ الْآنِفَاتُ مِنَ الْهُجُودِ (٢٠)

---

(١٤) عنان : جارية الناطفى كانت مغنية رائعة الحسن فاتنة الدلال . وحيد : اسم مغنية اشتهرت فى العصر العباسى بافتنانها فى الغناء . ولابن الرومى قصيدة فى وصفها .

(١٦) البحترى : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية المقربين إلى الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ، وكانت ولادته بمنبج (وهى بلدة قديمة بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦هـ . وتوفى بها سنة ٢٨٤هـ .

ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغوانى كان أيضاً من الشعراء المفلقين فى عهد هارون الرشيد ، وهو أول من تكلف البديع فى شعره . وكانت وفاته بجرجان سنة ٢٠٨ هـ .

(١٧) ابن يحيى هو الفضل بن خالدبن برمك ، وكان هو وأخوه جعفر وأبوهما يحيى من وزراء الرشيد وأنبه الناس وأبعدهم صيتا وأرفعهم قدرا وأعظمهم كرما ، وبلغ من أمرهم أنهم زاحموا الخليفة فى نفوذه وسلطانه . وأصبح الملك فى قبضتهم ، ولهذا غضب عليهم الرشيد وفتك بهم . وكانوا إلى كياستهم وحسن سياستهم رجال فضل وعلم وأدب ، وكانت مجالسهم ونواديهم مقصد الشعراء وكعبة البلغاء والأدباء .

(١٨) القيان : جمع قينة وهى الأمة المغنية . الوشى : مصدر وشيت الثوب من باب وعد أى رقمته ونقشته . البرود : جمع برد وهو الثوب المخطط .

(١٩) النجل : جمع نجلاء صفة من النجل بفتحتين وهو سعة العين وحسنها . هيف : جمع هيفاء صفة من الهيف بفتحتين وهو ضمر البطن ورقة الخاصرة . غيد : جمع غيداء صفة من الغيد بفتحتين وهو لين الأعطاف والتثنى .

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الطُّلَى　　مَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ رُودِ[٢١]
يَخْطِرْنَ حَتَّى تَعْجَبَ الْـ　　أَغْصَانُ مِنْ لِينِ الْقُدُودِ[٢٢]
وَإِذَا سَفَرْنَ فَأَيْنَ ضَوْ　　ءُ الشَّمْسِ مِنْ شَفَقِ الْخُدُودِ؟[٢٣]
يَعْبَثْنَ بِالأَيَّامِ ، وَالْـ　　أَيَّامُ أَعْبَثُ مِنْ وَلِيدِ![٢٤]
خَبَأَ الْجَمَالُ لَهُنَّ كَنْزًا بَيْنَ سَالِفَةٍ وَجِيدِ[٢٥]

* * *

كَمْ جَاشَ جَيْشُكَ بِالْفَوَا　　رِسِ مِنْ أَسَاوِرَةٍ وَصِيدِ![٢٦]
لِلنَّصْرِ فِي أَعْلاَمِهِمْ　　صِلَةٌ بِأَبْنَاءِ الْغُمُودِ[٢٧]
مُلْكٌ إِذَا صَوَّرْتَهُ　　عَجَزَ الْخَيَالُ عَنِ الصُّعُودِ[٢٨]
وَجُهُودُ جَبَّارِينَ تَصْغُرُ دُونَهَا شُمُّ الْجُهُودِ[٢٩]
الرُّسْلُ تَتْلُو الرُّسْلَ مِنْ　　بِيضٍ صَقَالِبَةٍ وَسُودِ[٣٠]
سَارُوا «لِقَصْرِ الْخُلْدِ» يُعْشِي طَرْفَهُمْ وَهَجُ الْحَدِيدِ[٣١]
يَتَعَثَّرُونَ ، كَأَنَّهُمْ　　يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْقُيُودِ[٣٢]

---

(٢١) الطلى : الأعناق أو أصولها ، واحدتها طلية ، مهضومة : ضامرة لطيفة . الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، مهضومة الكشحين : هيفاء ضامرة البطن رقيقة الوسط . رود : رقيقة لينة ناعمة .

(٢٢) القدود : جمع قد وهو القامة وحسن التقطيع والاعتدال .

(٢٥) السالفة : جانب العنق . الجيد : العنق أو مقدمه أو موضع القلادة منه .

(٢٦) جاش جيشك : ماج واضطرب لكثرته كالبحر الزاخر المائج . الفوارس : جمع فارس وهو راكب الفرس . الأساورة : جمع أسوار بضم الهمزة وكسرها وهو القائد والجيد الرمى بالسهام . الصيد : جمع أصيد وهو الملك ورافع رأسه كبراً والأسد .

(٢٧) أبناء الغمود : كناية عن السيوف .

(٢٩) شم : جمع أشم وهو المرتفع العالى .

(٣٠) الصقالبة : جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية ، والمراد الأمم والممالك الأوربية المجاورة لبحر الخزر والبحر الأسود فى الشمال والغرب .

(٣١) يريد بقصر الخلد قصر الخليفة ببغداد ، الطرف : العين . يعشى طرفهم : يصيب عيونهم بالعشا ، وهو سوء البصر بالليل والنهار ، وهج الحديد : توقده ولمعانه .

(٣٢) عثر فى مشيه وتعثر : كبا وزل وسقط . الحلق : جمع على غير قياس لحلقة .

الْـجَوُّ يَسْـطَـعُ بِـالـظُّـبَـا   وَالْأَرْضُ تَـزْخَـرُ بِـالْجُنُودِ[٣٣]
حَـتَّى إِذَا رَجَـعُوا بَـدَا   بِـجِـبَـاهِـهِمْ أَثَرُ السجُودِ[٣٤]

* * *

الْـفَـلْسَـفَـاتُ عَـرَفْـتِـهَـا   وَالْعِلْمُ طِفْلٌ فِى الْمُهُودِ[٣٥]
وَالْـغَـرْبُ يَـنْظُرُ فِى خُمُودِ   نَـحْوَ قَـاتِـلَـةِ الْـخُمُودِ[٣٦]
كَـمْ مَوْئِـلٍ لِـلْـمُسْتَجِـيـرِ ، وَمَنْـهَـلٍ لِـلْـمُسْتَـفِـيـدِ[٣٧]
وَ «الْجَاحِظُ» الْمَرِحُ اللَّعُو   بُ يَغُوصُ لِلدُّرِّ الْفَرِيدِ[٣٨]
بَـغْـدَادُ ، يَـا وَطَنَ الْأَدِيبِ ، وَأَيْـكَـةَ الشِّـعْـرِ الْـغَـرِيـدِ[٣٩]
جَـدَّدْتِ أَحْلَامِى ، وَكُـنْـتُ صَـحَوْتُ مِنْ عَـهْـدٍ عَـهِـيدِ[٤٠]
جَـمَـحَ الْـخَـيَـالُ فَمَا اطْـمَـأَنَّ ، وَلَا اسْـتَـقَرَّ إِلَى خُلُودِ[٤١]
جَـازَ الْـقُـرُونَ الـنَّـائِـيَـا   تِ ، وَفَكَّ أَسْرَارَ الْعُقُودِ[٤٢]
ذَكَـرَ الْـعُـهُـودَ فَـأَنَّ لِـلـذِّ   كْرَى ، وَحَنَّ إِلَى الْعُهُودِ[٤٣]
وَاهْـتَـاجَـهُ الـطَّـيْـفُ الْـبَـعِـيـدُ ، فَجُنَّ لِلطَّيْفِ الْبعِيدِ[٤٤]
وَصَـبَـا إِلَى ظِـلِّ الْـعُـرُو   بَةِ فِى حِمَى الْمُلْكِ الْعَتِيدِ[٤٥]

* * *

(٣٣) يسطع : يرتفع ، والمراد يزدحم ويتلألأ من قولهم سطعت النار إذا ارتفعت وعظم لهبها واشتد توقدها ، الظبا : جمع ظبة وهى حد السيف والرمح ونحوهما . تزخر : تمتلىء .

(٣٨) الجاحظ : هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر الكنانى البصرىّ ، ولد بالبصرة حوالى سنة ١٦٠هـ . وكان راوية فيلسوفا كاتباً مصنفاً أديباً عالماً بالحيوان والنبات وصّافا لأحوال الناس فكه المجلس خفيف الروح غاية فى الظرف وطيب الفكاهة ، ومن مؤلفاته المشهورة كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين وكتاب البخلاء ، وطريقته فى الكتابة لا تزال قدوة ومثالا عاليًا لنوابغ الكتاب ، وكانت وفاته ببغداد سنة ٢٥٥ هـ وقد نيف على التسعين .

(٤٠) عهد عهيد : زمن قديم .

(٤٢) القرون : جمع قرن وهو مائة سنة . النائيات : البعيدات . العقود : جمع عقد وهو العشرة من العدد ، فالعقود عشرات السنين .

(٤٥) صبا : مال وتاق . والعروبة مصدر عرب لسانه إذا كان عربيا فصيحا . والمراد القومية العربية . الحمى : المكان المحمى الذى لا يُقرب ولا يجترأ عليه . العتيد : العظيم .

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ ارْكُضِي مِلءَ الْعِنَانِ ، وَلاَ تَهِيدِي[٤٦]
سُودِي ، فَآمَالُ الْمُنَى وَالْعَبْقَرِيَّةِ أَنْ تَسُودِي[٤٧]
هَذَا أَوَانُ الْعَدْوِ لاَ الْ إِبْطَاءِ وَالْمَشْيِ الْوَئِيدِ[٤٨]
اَلْمَجْدُ أَنْ تَتَوَثَّبِي وَإِذَا وَثَبْتِ فَلاَ تَحِيدِي[٤٩]
وَتُحَلِّقِي فَوْقَ النُّجُو مِ بِلاَ شَبِيهٍ أَوْ نَدِيدِ[٥٠]
وَإِذَا شَدَا الْكَوْنُ الْمَفَا خِرَ كُنْتِ عُنْوَانَ النَّشِيدِ[٥١]
لاَ تَخْطِي حَدَّ الْعُلاَ مَا لِلْمَعَالِي مِنْ حُدُودِ ![٥٢]
مَنْ يَصْطَدِ النَّمِرَ الْوَثُو بَ يَعِفُّ عَنْ صَيْدِ الْفُهُودِ[٥٣]

* * *

هَذِي طَلاَئِعُ نَهْضَةٍ ذَهَبَتْ بِآثَارِ الرُّكُودِ[٥٤]
بَغْدَادُ أَشْرَقَ نَجْمُهَا وَبَدَا بِهَا سَعْدُ السُّعُودِ[٥٥]
سَلَكَتْ إِلَى الْمَجْدِ الْقَدِيمِ مَحَجَّةَ النَّهْجِ السَّدِيدِ[٥٦]
وَزَهَتْ بِأَقْمَارِ الْهُدَى وسَطَتْ بِأَظْفَارِ الأُسُودِ[٥٧]
بَغْدَادُ ، إِنَّا - وَفْدَ مِصْرَ - نَفِيضُ بِالشَّوْقِ الأَكِيدِ[٥٨]
جِئْنَا نُحَيِّي الْعِلْمَ وَالْ آدَابَ فِي الْعَدَدِ الْعَدِيدِ[٥٩]
مَرْآكِ عِيدٌ لِلْمُنَى فُزْنَا بِهِ فِي يَوْمِ عِيدِ[٦٠]
أَهْلُوكِ أَهْلُونَا ، وَأَبْنَاءُ الْعَشِيرَةِ وَالْجُدُودِ[٦١]

---

(٤٦) اركضى : أمر من الركوض وهو العدو والاسراع . العنان ككتاب : سَير اللجام الذى تمسك به الدابة . ملء العنان : كناية عن شدة الركوض ونهاية الاسراع . لا تهيدى : لا تبالى أو تخافى .

(٥٦) المحجة : جادّة الطريق أى معظمه . النهج : الطريق الواضح.

(٥٧) زهت : افتخرت وتاهت ، ويريد بأقمار الهدى علماءها الأعلام وقادتها وزعماءها الذين يهدونها سبيل الرشاد . سطت : صالت وقهرت وبطشت .

(٥٨) كان الوفد الذى يشير إليه الشاعر مؤلفا منه والمرحوم الأستاذ أحمد عمر الإسكندرى ممثلين للمجمع اللغوى ، ثم من أطباء على رأسهم على ابراهيم باشا .

(٦٠) المنى جمع منية وهى ما يتمناه الانسان ويريده ويهواه . به : بالمرأى . وأشار بالشطر الثانى إلى موافقة حفلة افتتاح المؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٣٨م) ليوم عرفة (وقفة عيد الأضحى من ذى الحجة سنة ١٣٥٦هـ) .

بَـيْنَ الْـقُـلوبِ تَشَوُّفٌ كَتَشَوُّفِ الصبِّ الْعَمِيدِ[٦٢]
حَتَّى يَكَادَ يُحِبُّ نَخْـلَكِ نَخْلُ أَهْلِي فِي «رَشِيدِ»[٦٣]
شَطَّتْ مَنَـازِلُنَا ، وَمَا احْـتَاجَ الْفُؤَادُ إِلَى بَرِيدِ[٦٤]
الـرَّافِـدَانِ تَـمَـازَجَـا فِي الْحُبِّ بِالنِّيلِ السعيدِ[٦٥]
وَتَعَـانَقَ الـظِّلاَّنِ : ظِـلُّ الـطاقِ وَالْـهَرَمِ الْمَشِيدِ[٦٦]
جِئْنَاكِ نَسْتَبِقُ الْخُطَا أَنْضَاءَ أَوْدِيَـةٍ وَبِيدِ[٦٧]
طَالَتْ بِنَا الصَّحْرَاءُ حَـتَّى خِلْتُهَا أَبَدَ الأَبِيدِ[٦٨]
يَتَخَلَّصُ الْمَرْمَى الْمَدِيدُ بِهَا إِلَى مَرْمًى مَدِيدِ[٦٩]
كَتَخَلُّصِ الْحَسْنَاءِ مِنْ وَعْدٍ طَوَتْهُ إِلَى وُعُودِ[٧٠]
بَحْرٌ بِلاَ شَطَّيْنِ يَزْ خَرُ بِالتَّنَائِفِ وَالنُّجُودِ[٧١]
وَسَفِينَتِي «نَرْنٌ» بِهَا مَا فِي فُؤَادِي مِنْ وُقُودِ[٧٢]

---

(٦٢) التشوف : التطلع إلى الشيء والنظر والاشراف ، والمراد الحب والاشتياق . الصب : العاشق المستهام ، العميد : الذى هدّه العشق وأضناه الغرام .

(٦٣) رشيد : بلد الشاعر من بلدان مديرية البحيرة على فرع النيل الغربى (فرع رشيد) .

(٦٤) شطت : بعدت .

(٦٥) الرافدان : دجلة والفرات .

(٦٦) الطاق : إيوان كسرى وهو على مسافة غير بعيدة من بغداد ، ويريد بالهرم هرم الجيزة الأكبر على مقربة من مدينة الجيزة فى جنوبها الغربى ، وهو إحدى عجائب الدنيا السبع ، وبه عرفت مصر وامتازت عن سائر الممالك والبلاد ، بناه الملك خوفو مؤسس الأسرة الرابعة من الأسر الملكية المصرية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة . . المشيد : المطلى بالشيد وهو ما تطلى به الجدران من جص ونحوه ، المشيد أيضاً : الرفيع العالى .

(٦٧) نستبق الخطا : نبتدرها ونعاجلها ونسرع فيها . الخطا : جمع خطوة . أنضاء : جمع نضو وهو المهزول الذى أضعفه السفر وأضناه أى هزله . البيد : جمع بيداء وهى الصحراء .

(٦٨) خلتها : ظننتها . الأبد : الدهر والزمان والدائم ، وهو يريد بالصحراء هنا بادية الشام فى شمال الجزيرة العربية ، ويجتازها المسافر من دمشق إلى بغداد بسيارة (نرن) فى نحو ٢٠ ساعة فى ذلك الوقت .

(٧١) يزخر : يعظم ويمتد ويزدحم . التنائف : جمع تنوفة وهى المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس . والنجود : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض .

(٧٢) اراد بالسفينة السيارة الكبيرة الصحراوية التى كان يركبها . و « نرن » اسم شركة أجنبية تملك السيارات الكبيرة التى تغدو وتروح فى تلك الصحراء بين دمشق وبغداد . الوقود : بضم الواو وفتحها النار او اتقادها .

جِئْنـا إِلَى الْـغَـازِى سَلِيــلِ الْعُرْبِ وَالْحسَبِ الْمَجِيدِ[٧٣]
نَـخْـتَـالُ بَـيْنَ هِـبَـاتِـهِ فِى ظِلٍّ إِحْسَانٍ وَجُودِ[٧٤]
أَحْـيَـا الْـمُنَى بِـالْـعَزْمِ وَالـتَّـدْبِـيرِ والسَّعْىِ الْحَمِيدِ[٧٥]
وغَـدَتْ بِـهِ سُوحُ الْـعُرو بَةِ مَنْهَلاً عَذْبَ الْوُرُودِ[٧٦]
فِى نَـهْضَـةِ «الْـفـارُوقِ» والْـغَـازِى غِـنًى لِلْمُسْتَزِيدِ[٧٧]
«فـارُوقُ» مُـنْـبَثَقُ الـرَّجَـا ءِ ومُلْتَقَى الرُّكْنِ الشَّدِيدِ[٧٨]
عَـاشَـا وَعَـاشَ الشَّرْقُ فِى عِـزٍّ وَفى عَيْشٍ رَغِيدِ[٧٩]

---

(٧٣) الملك غازى ملك العراق ابن الملك فيصل ابن الملك حسين.

(٧٦) السوح : جمع ساحة وهى الناحية والفضاء بين دور الحى ، والمراد بالعروبة القومية العربية . المنهل : المورد أى مكان النهل وهو الشرب ، والورود مصدر ورد الماء إذا بلغه ووافاه ، والمراد المورد والماء .

(٧٨) منبثق : اسم مكان من انبثق السيل ونحوه إذا تفجر. الركن : العز والمنعة .

صَومَان

نزل الشاعر ضيفًا فى أحد الرمضانات ببعض أثرياء قومه وكانوا بخلاء ، فقال هذين البيتين ·

١٩٠٥ م ·

أتى رَمضانُ غيرَ أنَّ سراتَنا ... يَزيدونه صَوْمًا تَضيقُ به النفسُ[(١)]

يصومون صَوْمَ المسلمينَ نهارَهُ ... وصوْمَ النصارَى حينما تغرُبُ الشمسُ[(٢)]

الزّفافُ المَلكيّ

أنشدت بدار الأوبرا فى الحفل الذى أقامه الأدباء والشعراء لتهنئة الملك فاروق بزفافه فى يناير سنة ١٩٣٨ م .

صَفَا وِرْدُهُ عذْبًا وَطابَتْ مَنَاهِلُهْ ... وَجلَّتْ يَدُ الدَّهْرِ الَّذِى عَزَّ نَائِلهْ[١]

وأقبلَ مُنْقادَ العِنَانِ مُذَلَّلاً ... تَطَامَنَ مَتْنَاهُ ، وَدَانَتْ صَوَائِلُهْ[٢]

يُطَأْطِئُ للفاروقِ رَأْسًا ، وتَنحنى ... أمامَ سَنَا المُلْكِ المَهيبِ كَواهِلُه[٣]

تَلفَّتَ فى الآفاقِ شَرْقًا وَمغْرِبًا ... فَلمْ يرَ فى أنحائِهَا مَن يُماثِله[٤]

رَأى مَا رَأى ! لَمْ يَلْقَ عَزْمًا كعزْمِهِ ... تَقُدُّ مَوَاضِيه ، وتَفْرِى مَنَاصِلُهْ[٥]

يذوبُ مضَاءُ السيفِ عِنْدَ مَضَائهِ ... فَمَا هو إلا غِمْدُهُ وحَمَائِلهْ[٦]

إذا ما انْتضَاهُ ، فالسعودُ أعِنَّةٌ ... إلى ما يُرَجِّى ، واللَّيالى رَوَاحِلُهْ[٧]

رَأى طَلْعةً ، لوْ أنَّ لِلْبَدْرِ مِثْلَهَا ... لَمَا انحدرتْ دونَ النجومِ مَنَازِلهْ[٨]

---

(١) ورده : المراد ماؤه ، والضمير للدهر . المناهل : موارد الماء ، جمع مَنهل . يد الدهر : نعمته : عز نائله : قل عطاؤه .

(٢) مذللا : طيِّعًا ؛ تطامن : ذل وسكن . المتنان : جانبا الظهر . دانت : خضعت . الصوائل : جمع صائل . الحيوان يهجم على الناس ويؤذيهم .

(٣) سنا الملك : ضياؤه . الكواهل : جمع كاهل . الظهر مما يلى العنق .

(٥) تقد : تقطع . المواضى : جمع ماض . السيف الحاد . تفرى : تقطع . المناصل : السيوف ، جمع مُنصُل .

(٦) يذوب : يَفنى . غمد السيف : قرابه . الحمائل : جمع حمالة ، علاقة السيف .

(٧) انتضى السيف : سله من غمده . السعود : نجوم عشرة مختلفة المطالع يتيمن العرب بها . جمع سَعْد . الرواحل : جمع راحلة الناقة الكريمة يسافر عليها .

عَلَيْهَا شُعَاعٌ ، لَوْ رَمَى حَائِلَ الدُّجَى ... لَفَاخَرَ وَجْهَ الصبحِ فى الحُسْنِ حائِلُهْ(٩)

تَرَاهَا ، فَتُغْضِى للجلالِ ، ورُبَّمَا ... تشَوَّفَ لَحْظُ العَيْنِ لَوْ جَالَ جَائِلُهْ ! (١٠)

هُوَ الشمْسُ يدنُو فى الظَّهِيرة ضَوْءُهَا ... ويَصْعُبُ مَرْآهَا على مَنْ يُحَاوِلُهْ(١١)

هُوَ الروضُ أو أَزْهَى من الروض نَضْرَةً ... إذا داعبَتْ وَجْهَ الربيعِ خَمَائِلُهْ(١٢)

هُوَ الأَمَلُ البَسَّامُ ، رَفَّ جناحُهُ ... فطارتْ به من كلِّ قلبٍ بَلابِلُهْ(١٣)

هُوَ الكوكبُ اللَّمَّاحُ ، يَسْطَعُ بالمُنَى ... وتَنْطِقُ بالغيثِ العَمِيمِ مَخَايِلُهْ(١٤)

تَـرَى بَسْمَةَ الآمالِ فى بَسَمَاتِه ... وتَلْمَحُ سِرَّ النُّبْلِ حِينَ تُقَابِلُهْ(١٥)

شَبَابٌ كَمَا يَصْفُو اللُّجَيْنُ كَأَنَّمَا ... تَمَلَّأَ مِنْ مَاءِ الفَرَادِيسِ نَاهِلُهْ(١٦)

يُفَدِّيهِ غُصْنُ الدَّوْحِ رَيَّانَ نَاضِرًا ... إذَا اهتَزَّ فى كَفِّ النَّسَائِمِ مَائِلُهْ(١٧)

تَطَلَّعَ رُمْحُ الخطِّ يَبْغِى اعْتِدَالَهُ ... فَعَادَ حَسِيرًا يَنْكُتُ الأَرْضَ ذَابِلُهْ(١٨)

وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمْحِ المُثَقَّفِ عَزْمُهُ ... وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمْحِ الطَّوِيلِ طَوَائِلُهْ ؟(١٩)

إذَا حَفَزَتْهُ الحادثاتُ رَأَيْتَهُ ... وَقَدْ شَكَّ أَحْشَاءَ الحوادثِ عَامِلُهْ(٢٠)

---

(٩) عليها شعاع : لها ضياء . حائل الدجى : حالك الظلام . وجه الصبح : أوله .

(١٠) تغضى : تغمض العين حياء . تشوف : تشوق . جال جائله : تردد نظره .

(١٢) نضرة : حسنًا . داعبت : لامست . وجه الربيع : نبته وزهره الذى يغطى الأرض . الخمائل : جمع خميلة ، الشجر الملتف المتدلى الأغصان .

(١٣) الأمل البسام : المقبل المرجى . رف جناحه : تحرك وانبسط . طارت : ذهبت . البلابل : جمع بَلْبَلة ، الهم واضطراب القلب .

(١٤) اللماح : اللماع . المخايل : دلائل الخير ، جمع مَخِيلة .

(١٦) اللجين : الفضة . تملأ : ارتوى . الفراديس : الجنان ، جمع فردوس . الناهل : الراوى .

(١٧) يفديه : يقول له : «جعلت فداك» . الدوح : جمع دوحة ، الشجرة العظيمة . ريان : راويًا . ناضرًا : حسنا . النسائم : جمع نسيم ، الريح اللينة .

(١٨) تطلع : رفع بصره . الخط : مرفأ السفن بالبحرين ، وتنسب إليه الرماح ، لأنها تباع فيه . حسيرًا : كليلا ضعيفًا . ينكث الأرض : يبحث فيها بعود أو نحوه . ذابل الرمح : قناته .

(١٩) المثقف : المقوّم المهذب . الطوائل : الأعمال العظيمة ، جمع طائل أو طائلة .

(٢٠) حفزته الحادثات : أثارته لدفعها . شكّ : أصاب . الاحشاء : الأمعاء ، جمع حَشاً . عامل الرمح : صدره .

علاءٌ تَحدَّى الدهرَ فى بُعْدِ شأْوِهِ ... فَمَنْ ذَا يُدانيهِ ، ومَن ذا يُفاضِلُهْ ؟(٢١)

ورأْىٌ كأنْفَاسِ الصَّباحِ وقَدْ بَدَا ... تَشِفُّ مَجَالِيه ، وتَهْفُو غَلاَئِلُهْ(٢٢)

وَخُلْقٌ كَمُخْضَلِّ النَّسيمِ بِرَوْضَةٍ ... ذَوَائِبُهُ نَفَّاحَةٌ وَجَدَائِلُهْ(٢٣)

يَمَسُّ جَبينَ النيلِ فى رِفْقِ عاشقٍ ... وتفْتَحُ أكمامَ الزهورِ مَسَاحِلُهْ(٢٤)

* * *

دَعَوْتُ إليكَ الشِّعْرَ فانقادَ صَعْبُهُ ... وقد كانَ قبلَ اليومِ شُمْسًا جَوَافِلُهْ(٢٥)

وَمَاكِدْتُ أدعُو الوحْىَ حتى سَمِعْتُه ... تُبَادِهُنِى آيَاتُهُ ورَسَائِلُه(٢٦)

خَيَالٌ ، إذَا أرْسَلْتُهُ إثْرَ نَافِرٍ ... أَتَتْ بأعَزِّ الآبداتِ حَبَائِلُهْ(٢٧)

ولَفْظٌ كَوَجهِ الرَّوْضِ فى مَيْعَةِ الضُّحَى ... وقَدْ صَدَحَتْ فوقَ الغُصونِ عَنَادِلُهْ(٢٨)

إذا قُلْتُه أَلقَى عُطارِدُ سَمْعَهُ ... وسَاءَلَ شمسَ الأفْقِ مَنْ هو قائِلُهْ !(٢٩)

وإن سارتِ الريحُ الهَبُوبُ بجَرْسِهِ ... فآخِرُ أكنَافِ الوُجُودِ مَراحِلُهْ(٣٠)

إذا ذُكِرَ الفاروقُ فاضَ مَعِينُهُ ... وثَجَّتْ قوافيهِ ، وعَبَّتْ حَوَافِلُهْ(٣١)

---

(٢١) تحدى الدهر : طلب أن يأتى بمثل فَعاله . الشأو : الغاية .

(٢٢) أنفاس الصباح . أضواؤه . مجاليه : أشعته ، جمع مَجْلى . تهفو : تهتز وتنتشر . غلائله : أول ما يبدو من أنوار النهار ، جمع غلالة ، وأصلها الرقيق يلامس الجسم .

(٢٣) المخضل : الرطب الندىّ . ذوائب النسيم : أوائله ، جدائله : أواخره ، وأصل الذوائب جمع ذؤابه . شعر الناصية ، وأصل الجدائل جمع جديلة : الشعر المضفور خلف الرأس فى كلتيهما استعارة . نفاحة : فواحة .

(٢٤) جبين النيل : صفحة مائه ، الأكمام : جمع كم ، غلاف الزهرة . المساحل : جمع مِسْحل ، الثوب النقى من القطن استعارها لخطرات النسيم .

(٢٥) الشمس : أصله ضم الميم ، وسكنت ، جمع شموس ، الحصان يستعصى على راكبه . الجوافل : جمع جافل ، الشارد الجموح .

(٢٦) الوحى : هنا الإلهام . تبادهنى : تفاجئنى وتأتينى على البديهة .

(٢٧) النافر والآبد : الشارد . الحبائل : شباك الصيد ، جمع حِبالة .

(٢٨) ميعة الضحى : أوله . العنادل : جمع عندليب ، طائر صغير غرد .

(٢٩) عطارد : كوكب الفن والشعر .

(٣٠) الهبوب : السريعة . الجرس : الصوت والنغمة . الأكناف : النواحى ، جمع كَنَفٍ .

(٣١) فاض . كثر . معينه : مادته ، وأصل المعين الماء الجارى . ثجت : تدفقت . عبَّت حوافله : غزرت معانيه ، الحوافل : جمع حافل الكثير المتجمع من كل شىء .

يقولُ ، وَمَالِى حِينَ أكتُبُ قَوْلَهُ ... مِنَ الفَضْلِ شَىْءٌ ، غيْرَ أنّىَ نَاقِلُهْ(٣٢)

رَأى مَلِكًا يَحْيَا القَرِيضُ بِوَصْفِهِ ... فضائلُهُ جَلَّتْ ، وعَمَّتْ فَوَاضِلُهْ(٣٣)

رَأى مَلِكًا يُزْهَى بِهِ الدِّينُ والتُّقَى ... شمائلُ أملاكِ السماءِ شمائلُهْ(٣٤)

رَأى مَلِكًا كَالنِّيلِ : أما عَطَاؤُهُ ... فغمْرٌ ، وأما المكرماتُ فساحِلُهْ(٣٥)

فَغَرَّدَ فى الأجواءِ باسْمِكَ طيرُهُ ... ورَدَّدَ فى الآفاقِ ذكرَكَ هادِلُهْ(٣٦)

وصَاغَتْ لَكَ التِّبْرَ المُصَفَّى فُنُونُهُ ... وحَاكَتْ لَكَ البُرْدَ المُوَشَّى أنامِلُهْ(٣٧)

ولم يَبْقَ من نَسْجِ السَّحائبِ زَهرةٌ ... تَرِفُّ نَدًى إلا حَوَتْهَا فَوَاصِلُهْ(٣٨)

وَصَبٌّ شُعَاعَ الشَّمسِ تاجَ مَهابةٍ ... لِمَنْ تَوَّجَتْهُ بالفَخَارِ فَضَائِلُهْ(٣٩)

وَفَكَّ رُموزَ السحرِ من أرضِ بابلٍ ... لأجلِكَ ، حتى استنْجَدَتْ بِكَ بَابِلُهْ(٤٠)

أعَدْتَ له عهْدَ الرَّشيدِ فأسْرَعَتْ ... إلى سُدَّةِ الفاروقِ تَشْدُو بَلابِلُهْ(٤١)

وما أنتَ فى الأملاكِ إلا قصيدةٌ ... تفاعيلُها البِرُّ الّذِى أنتَ فاعِلُهْ(٤٢)

يَهُبُّ طريحُ الشِّعْرِ فِى دَوْلَةِ النُّهَى ... وتُلْهِمُ أسْرَارَ البيانِ مَقاوِلُهْ(٤٣)

حَمَلْتُ لَهُ الرَّيْحَانَ يومَ زِفافِهِ ... نَضِيرَ الحَواشِى يَنْشُرُ المِسْكَ خاضِلُهْ(٤٤)

أُزاحِمُ للفاروقِ حَشْدًا كأنَّهُ ... خِضَمٌّ مِنَ الأمواجِ ضاقتْ سَبَائِلُهْ(٤٥)

---

(٣٦) الأجواء : جمع جو . الهادل : المغرد من الحمام .

(٣٧) البرد الموشى : الثوب المنقوش بألوان شتى .

(٣٨) نسج السحائب : ما ينبته ماؤها . ترف : تهتز . فواصل الشعر : جمله .

(٤٠) فك رموز السحر : عرف أسراره . بابل : مدينة بالعراق عرفت بالسحر قديما ، كما ورد فى القرآن .

(٤١) سدة الفاروق : بابه . تشدو بلابله : يريد إنشاد الشعراء المدائح . الرشيد : أعظم الخلفاء جاها ، وأبعدهم صيتا ، وأكثرهم للعلماء والشعراء تقريبا ، وهو نفسه كان شاعرًا راوية .

(٤٢) الأملاك : الملوك ، جمع ملك . تفاعيل القصيدة : الأجزاء التى توزن بها ، جمع تفعيلة ، وهى تختلف باختلاف بحور الشعر ، فهى مثلا فى بحر الطويل الذى منه هذه القصيدة ، فعولن مفاعلين مكررين أربع مرات .

(٤٣) يهب : ينهض . طريح الشعر : عليله وضعيفه . النهى : العقول ، جمع نهية ، ويريد بدولة النهى دولة العلم والثقافة . مقاوله : قائلوه ، جمع مقول ، ويسمى اللسان أيضا مقولا .

(٤٤) نضير : حسن . الحواشى : الأطراف ، جمع حاشية . خاضله : نديه ورطبه .

(٤٥) الحشد : الجمع . الخضم : البحر ، أو الجمع الكثير . السبائل : الطرق ، جمع سبيلة .

يُغطِّي أَدِيمَ الأرضِ عزَّ اخترَاقُهُ ... وسُدَّتْ عَلَى أَقْوَى الرجالِ مَدَاخِلُهْ(٤٦)

إذا أنتَ لَمْ تَعرِفْ مَدَى أُخْرَيَاتِهِ ... فَسَلْ طَرْفَكَ المَمْدُودَ أَيْنَ أَوَائِلُهْ ؟(٤٧)

حَمَلْتُ لَهُ الرَّيْحَانَ أَرْفَعُ مِعْصَمِي ... إِلَى المَلِكِ الفَرْدِ الذى فاز آمِلُهْ(٤٨)

وقد مَلأَ الأُنسُ الوجوهَ فأشْرَقتْ ... من البِشْرِ حتى كادَ يَقْطُرُ سَائِلُهْ(٤٩)

طَلَعْتَ على الجمعِ الحَفِيلِ بِمَوْكِبٍ ... يُبَادِلُكَ الشَّعْبُ المُنَى وتُبَادِلُهْ(٥٠)

مَوَاكِبُ لَمْ يُعرَفْ لرمسيس مِثْلُهَا ... وَلاَ خَطَرَتْ فى مِثْلِهِنَّ قَنَابِلُهْ(٥١)

يُحِيطُ بِهَا عِزُّ المليكِ ومَجْدُهُ ... وتَزْحَمُهَا فُرْسَانُهُ وصَوَاهِلُهْ(٥٢)

إِذَا امْتَلَكَ الحبُّ النفوسَ هَفَتْ لَهُ ... سِراعًا وأعْطتْ فَوقَ ما هُوَ سَائِلُهْ(٥٣)

رَأَوْكَ فعَالَوْا بالهُتَافِ كَأَنَّمَا ... يُنَافِسُ نِدٌّ نِدَّهُ ويُسَاجِلُهْ(٥٤)

كأَنهمُ جَيْشُ الغَمَائِمِ أَرَّقَتْ ... رَوَاعِدُهُ جَفْنَ الدُّجَى وزَواجِلُهْ(٥٥)

فلا عَيْنَ إِلاَّ وَهْيَ تَرْتَقِبُ المُنَى ... وَلاَ صَدْرَ إلا فارِحُ القلبِ جَاذِلُهْ(٥٦)

وقَدْ رُفِعَتْ أعلامُ مِصْرَ خَوَافِقًا ... يُغَازِلُهَا مَسُّ الصَّبَا وتُغَازِلُهْ(٥٧)

فَإِنْ كانَ مِنْ عَيْنٍ فإِنَّكَ نُورُهَا ... وإِنْ كانَ مِنْ قَلْبٍ فإِنَّكَ آهِلُهْ(٥٨)

وإِنْ كانَ مِنْ دَهْرٍ فأنتَ نَعِيمُهُ ... وإِنْ كانَ مِنْ فَضْلٍ فإِنَّكَ بَاذِلُهْ(٥٩)

رَأَى فِيكَ هَذَا الشَّعْبُ آمَالَهُ الَّتى ... تَمَنَّى عَلَى الأيامِ وَهْيَ تُمَاطِلُهْ(٦٠)

---

(٤٦) أديم الأرض : وجهها . عز اختراقه : شق السير فيه ، والجملة حال من المفعول . مداخله : منافذه وطرقه جمع مدخل .

(٤٨) معصمي : يدى ، وأصل المعصم موضع السوار من الساعد .

(٥٠) الحفيل : الكثير .

(٥١) رمسيس : يريد رمسيس الثانى ، أحد ملوك الفراعنة . القنابل : طوائف الناس أو الخيل جمع قنبل أو قنبلة .

(٥٣) هفت : دانت .

(٥٤) عالوا : رفعوا أصواتهم . الند : المثل والنظير كالنديد . يساجل : يبارى وينافس .

(٥٥) الغمائم : جمع غمامة . أرقت : أسهرت . الرواعد : جمع راعد وهو السحاب ذو الرعد . الزواجل : جمع زاجل من الزجل وهو الصوت ، ويقال : سحاب زجل أى ذو رعد .

(٥٦) الجاذل : الفرحان .

(٥٧) خوافق : متحركات . يغازلها : يلاعبها . الصبا : ريح طيبة تهب من الشمال الشرقى .

(٥٨) آهله : ساكنه .

أَحَبَّكَ حَتَّى صَارَ حُبُّكَ رُوحَهُ   ونُورَ أَمَانِيهِ الَّذِى لاَ يُزَايِلُهْ(٦١)

فَمَنْ شَاءَ بُرهانًا عَلَى صَادِقِ الهَوَى   فهذِى الْجُمُوعُ الزاخراتُ دَلاَئِلُهْ(٦٢)

نَثَرْتَ بُذُورَ الْحُبِّ فِى كُلِّ مُهْجَةٍ   وَتِلْكَ التى تَهْفُو إِلَيكَ سَنَابِلُهْ(٦٣)

حَيَاتُكَ يَا فَارُوقُ لِلدِّينِ عِصْمَةٌ   وأَعْمَالُكَ الغُرُّ الجِسَامُ مَعَاقِلُهْ(٦٤)

مَنَابِرُهُ تَهْتَزُّ بِاسْمِكَ فَوقَهَا   وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ عَلَيْكَ مَحَافِلُهْ(٦٥)

تُعَفِّرُ بِالتُّرْبِ الْجَبِينَ الَّذِى عنَا   لَهُ الشَّرْقُ وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ جَحَافِلُهْ(٦٦)

لَهُ لَمَعَاتُ المشرَفِى ازْدَهَتْ بِهِ   عَلَى كُلِّ أَبْنَاءِ الغُمُودِ صَيَاقِلُهْ(٦٧)

لَيَالِيكَ أَقْمَارُ الزَّمَانِ وَسَعْدُهُ   وأَيَّامُكَ البِيضُ الْحِسَانُ أَصَائِلُهْ(٦٨)

قَدِ اخْتَارَكَ الرَّحْمَنُ مَوْضِعَ فَضْلِهِ   إِذَا عَزَّ مَوْصُولٌ فَقَدْ جَلَّ وَاصِلُهْ(٦٩)

هَنِيئًا لكَ اليومُ السَّعِيدُ الَّذِى زَهَا   عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يُشَاكِلُهْ(٧٠)

يُذَكِّرُنَا المأمونَ يومَ زِفَافِهِ   وَقَدْ مَشَتْ الدُّنْيَا إِلَيْهِ تُجَامِلُهْ(٧١)

وَسَالَ بِهِ سَيْلُ النُّضَارِ كَأَنَّمَا   تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ السَّحَائِبِ وَابِلُهْ(٧٢)

وَأَيْنَ مِنَ المأمونِ أَوْ مِنْ زِفَافِهِ   جَلاَلَةُ مَلْكٍ أَعْجَزَتْ مَنْ يُطَاوِلُهْ(٧٣)

أَبَى الدهرُ أَنْ يَلْقَى لِيومِكَ ثَانِيًا   يُقَارِبُهُ فى نُبْلِهِ أَوْ يُعَادِلُهْ(٧٤)

تَخَيَّرْتَ مِنْ وَادِى الكنانة زهرةً   تَتِيهُ بِهَا جَنَّاتُهُ وَظَلاَئِلُهْ(٧٥)

---

(٦١) يزايل : يفارق .

(٦٤) العصمة : الوقاية . الغر : المعروفة المشهورة ، جمع أغر ، وأصله الحيوان فى جبهته بقعة بيضاء تسمى الغرة ، يشتهر بها . المعاقل : الحصون ، جمع معقل .

(٦٧) المشرفى : السيف نسبة إلى مشارف الشام لصنعه بها . أبناء الغمود : السيوف . الصياقل : جمع صيقل ، وهو من يجلو السيوف ويشحذها .

(٦٨) الحسان : جمع حسن أو حسناء . الأصائل : جمع أصيل ، الوقت من بعد العصر إلى المغرب وهو خير أوقات النهار لينا وأكثرها جمالا .

(٦٩) عز : عظم . ويريد بالموصول الفاروق ، وبالواصل الله سبحانه وتعالى .

(٧٥) وادى الكنانة : وادى النيل ، وأصل الكنانة جعبة السهام . زهرة : يريد الملكة فريدة . تتيه : تدل . الظلائل : جمع ظليلة ، وهى الروضة الكثيرة الحرجات ، والحرجات : جمع حرج وهو المكان الضيق الكثير الشجر .

فَرِيدَةُ مَجْدٍ يَعْرِفُ المجْدُ قَدْرَهَا ... وتُزْهَى بِهَا يَوْمَ الفَخَارِ عَقَائلُهْ (٧٦)

ودُرَّةُ خِـدْرٍ أَقْسَـمَ الْـخِـدْرُ إِنَّـهُ ... عَلَى مِثْلِهَا لَمْ تُلْقَ يَوْمًا سَدَائلُهْ (٧٧)

يَتِيهُ بِهَا ضَافِى الشبابِ ونَضْرُهُ ... وَتَسْمُو حَوَالِيهِ بِهَا وعَوَاطِلُهْ (٧٨)

تَخَيَّرْتَهَا فَوْقَ السَّحابِ مَكانةً ... وَأَصْفَى مِنَ الماءِ الَّذِى هُوَ حَامِلُه (٧٩)

حَبَاها إِلهُ العَرْشِ أَكْبَرَ نِعمةٍ ... فجَلَّتْ أَيَادِيه وعَمَّتْ جَلائِلُهْ (٨٠)

فَعِشْ فى رِفَاءٍ بالبنينَ مُمَتَّعًا ... يُضِيءُ بِكَ الوادِى وَيَخْضَرُّ مَاحِلُهْ (٨١)

وَدُمْ لِبَنِى مِصْرٍ أَمانًا ورحمةً ... فأَنْتَ حِمَى النِّيلِ الوَفِى وَعَاهِلُهْ (٨٢)

---

(٧٦) العقائل : كرائم النساء المخدرات ، جمع عقيلة .

(٧٧) الدرة : اللؤلؤة العظيمة . الخدر : كل ما واراك وسترك من بيت ونحوه . لم تلق : لم ترخ . السدائل . الستور ، جمع سديل .

(٧٨) ضافى الشباب : سابغه وتامه . الحوالى : النساء عليهن الحلى جمع حال أو حالية . العواطل : من لا حلى عليهن ، جمع عاطل .

(٨١) الرفاء : الالتئام والاتفاق . من رفا الثوب : أصلحه ، ورفيت صديق قلت له «بالرفاء والبنين» . الماحل والممحل : المجدب الخالى من النبات .

جُـرْحٌ لَـمْ يَنـدَمِـل

أنشدت هذه القصيدة فى حفلة تأبين المغفور له الشيخ عبد الوهاب النجار فى دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٩٤٢ م .

أقـاموا بـعضَ يومٍ فـاستـقـلّوا ... فطار القلبُ يخفِقُ حيثُ حلّوا[١]

مضت بهمُ النجائبُ مُصْعِداتٍ ... تَـمَلُّ بها الطريقُ ولا تَملُّ[٢]

زوامـلُ لم يُـعَوِّقـهُنَّ لـيـلٌ ... ولم يُـثْـقِـلْ كواهلَهُنّ حِمْل[٣]

رآهـا آدمٌ ، وَعَـدَتْ بـنُوحٍ ... وولّى بـعـدَهـا نَسْلٌ ونسـل[٤]

يسـايـرهُنَّ أنّى سِـرْنَ بَـيْنٌ ... ويتبعهُنّ حيثُ ذهبنَ ثُكْل[٥]

هَوَتْ أمُّ الركائب ! كيف سارت ؟ ... وهل تدرى الركائبُ من تُقِلّ ؟[٦]

أسـائـلهاـ وقد شطّتْـ وقوفًا ... وأيْنَ من الوقوفِ المُشْمَعِلُّ ؟[٧]

طـفِـقْتُ أمـدُّ نحوَ الركبِ طَرْفى ... فَـغَصَّ الـطرفَ كُثْبانٌ ورمل[٨]

وقمْتُ أُطِـلُّ من شَرَفٍ عـليهم ... فـخـانـتنى الـدمُوعُ فما أُطـلّ[٩]

---

(١) أقاموا : نزلوا وحلوا . استقلوا : مضوا وارتحلوا . حلّوا : حيث نزلوا .

(٢) النجائب : الابل السريعة والمقصود بها مواكب الموتى .

(٣) زوامل : الابل الحاملة للطعام والمتاع . كواهلهن : عواتقهن وهو مابين الكتفين . حمل : ثقل .

(٤) عدت : جاوزت .

(٥) بين : فراق . ثكل : فقدان .

(٦) هوت : سقطت . أم الركائب : التى تتقدم الركب . تقل : تحمل .

(٧) شطت : جاوزت الحد . المشمعل : النشيط ـ المسرع .

(٨) طفقت : جعلت . أمد : أنظر . طرفى : عينى . غصّ : امتلأ .

(٩) شرف : علوـ مكان عال . أطل : أنظر .

ونــاديتُ الحبــيبَ فــعــاد صوتى وفى نَـبَـراتِـه هَـلَـعٌ وخَـبْـلُ [١٠]
أصــاخ لــه من الصحْراء نَجْدٌ فــردّده من الصــحــراء سـهـل [١١]
إذا بــدت الـغـزالـةُ ثم غــارت علِمنا أن هذا العيشَ ظِلّ ! [١٢]

* * *

هى الـدنـيـا ، فـليس لها ذِمامٌ ولــيس لها على الأيـام خِـلّ [١٣]
إذا أعـطت فـقـد أعطت قـلـيلاً ولا يبقَى القليلُ ولا الأقلّ ! [١٤]
تـدورُ : فـبَيـنَ شيخٍ أسكـتـتـه مَـنـيَّـتـهُ ، وطـفـلٍ يَسْـتـهِـلُّ [١٥]
لها نَـهَـلٌ من الأممِ المواضى ومما تَـنْـشُـلُ الأيـامُ عَـلّ [١٦]
نَــعــودُ إلى الترابِ كما بـدأنـا فـكُلٌّ حياتِنا نَقْضٌ وغزْل ! [١٧]
رأيتُ لـكـلِّ مشـكـلـةٍ حُلولاً ومشـكـلـةُ المنـيَّـةِ لا تُحلّ ! [١٨]
إذا كــان الـفَـنـاءُ إلى بـقـاءٍ فأنجَعُ ما يُصِحُّك ما يُعِلّ ! [١٩]

* * *

بـنـفسى فى الثرى غُصـنًـا رطـيـبًا يرِفُّ من الشبـابِ ويَخضَئل ! [٢٠]
تُضـاحـكُه لدى الإصباحِ شمسٌ ويـلـثِـمـه لـدى الإمسـاءِ طَلّ [٢١]

---

(١٠) خبل : فساد .
(١١) أصاخ : استمع . نجد : ما ارتفع من الأرض . سهل : الأرض المنبسطة .
(١٢) الغزالة : الشمس . غارت : ولت و غربت . ظل : المقصود غير حقيقى .
(١٣) زمام : عهد ـ حرمه . خل : صديق .
(١٦) نهل : مورد . عل : توقع . وأصله لعل .
(١٧) غزل : غزل الخيط هو إبرامه . ونقض : ضد الغزل .
(١٩) أنجع : أصح . يصحك : يشفيك . ما يعل : ما يصيبك بالعلة .
(٢٠) يرف : يرفرف . يخضئل : تكثر أغصانه وأوراقه . وفى هذا البيت وما بعده يصور الشاعر ذكريات له أليمة بعد وفاة نجله البكر فى أول مراحل الشباب (عام ١٩٣٥) .
(٢١) يلثمه : يقبله . طلّ : ندى .

كَـأنّ حَـفـيـفَـه نَضْـرًا ورِيـقًـا بسـمعى حَلْىُ غـانـيـةٍ يصِلُ[٢٢]
يميـلُ بـه الـنسـيـمُ كـأنّ أُمّـا يميـلُ بصدرِها الخفّاقِ طفـلُ[٢٣]
إذا اشتبهت غُصُونُ الروضِ شكْلاً فليس لقدِّه فى الحسنِ شكلُ[٢٤]
ضَـنْـنـتُ به وجُـدتُ لـه بنفسى وإنّ الحبَّ تـبـذيـرٌ وبُـخـلُ[٢٥]
وكـنتُ أشَـمُّ ريحَ الـخُلْـدِ منه وأهـنـأ فى ذَراه وأستـظِـلّ[٢٦]
وقـلتُ لَـعـلّـه يـبـقَى ورائى بدَوْحَتِه، فما نفعت «لَعلّ»[٢٧]
فَسَلْ عنه العواصفَ: أىُّ نَوْءٍ أطاح به؟ وأىَّ ثَرَى يحُلّ؟[٢٨]
نـأى عـنّى وخـلّف لى فؤاداً يذوبُ أسًى عليه ويضمحلُ[٢٩]
يُـبـلُّ على الـتداوى كـلُّ جُرْحٍ وجُرْحُ القلبِ دامٍ لا يُبِلّ![٣٠]

* * *

أشرتم بـالـرثـاء فـهـجـتـمونى وتـعـذيبُ الـذبيحةِ لا يحِلُّ[٣١]
فضلّ الشعرُ فى وادى الـثّـكالَى وكـان إذا تحفّـز لا يضِـلّ[٣٢]
خـذوا منى الـرثـاء دموعَ عـيـنٍ تَـكِـلُّ الـمُعْصِراتُ ولا تـكِلّ[٣٣]
وآلامَ الجريح، أطـلّ نَـبْـلٌ يـزاحـم جـانبيْه وغـار نَبل[٣٤]
وشـعـرًا يُـلـهبُ الأشـجـانَ جَزْلاً كما أذكَى لهيبَ الـنـارِ جَزْل[٣٥]

---

(٢٢) حفيفه : صوته. نضرا : حسنا يافعا مخضرا. وريقا : كثير الأوراق الخضراء الحسنة. حَلْىٌ : ماتتحلى به المرأة. يصل : يصدر صوتا عندما يحتك ببعضه.
(٢٤) قده : قوامه.
(٢٦) ذراه : كنفه.
(٢٨) نوء : ريح شديدة. أطاح : قذف به بعيدا.
(٢٩) نأى : بعد. يضمحل : يذهب ويضعف ويندثر.
(٣٠) يبل : يبرأ. دام : ينزف دما.
(٣٢) الثكالى : الحزانى على فقدهن أبنائهن. تحفز : تهيأ.
(٣٣) تكل : تتعب. المعصرات : السحائب تعتصر بالمطر.
(٣٤) غار : اختفى ودخل. نبل : سهل.
(٣٥) جزلاً : رصينا. أذكى : أشعل. جزل : الحطب اليابس.

فـلـيس بـه مـع الأنّـاتِ خَبْنٌ ... وليس به مع الزفَرات خَبْلُ[٣٦]

لـه نَـغْـمٌ يـعِزُّ عليه مِثْـلٌ ... على ماضٍ يَعِزُّ عليه مثلُ[٣٧]

لـعـلّ بـه لمن فُـجـعوا عزاءً ... فإنّ جميعَنا فى الحزنِ أهلُ[٣٨]

فقد يشفى بكاءٌ من بكاءٍ ... كما يشفى أليمَ الْجُرْحِ نَصْلُ[٣٩]

بـكى خـيـرُ البريةِ خيرَ طفلٍ ... ودمعُ العينِ فى الأحداثِ نُبلُ[٤٠]

* * *

مضى «النجارُ» والعلياء حِصْنٌ ... عـلـيـه بـعـده بـابٌ وقُفْلُ[٤١]

به جمع الحجا للعلمِ شَمْلاً ... فـبُـدِّد بـعـده لـلعلم شـمـلُ[٤٢]

لـــه حــجـجٌ يُـسـمِّيها كلامًـا ... ومـا هـى غيرُ أسيافٍ تُسَلّ[٤٣]

إذا فـاضـت يـنـابـعُـه خـطـيبًا ... علمتَ بأن ماءَ البحرِ ضَحْلُ[٤٤]

يـذِلُّ له شَمـوسُ القوْلِ طوْعًا ... ويستخذِى له المعنى المُدِلّ[٤٥]

بـيـانٌ مشرقُ الـلـمـحـاتِ زاهٍ ... وقـولٌ صادقُ النّبرّاتِ فَصْلُ[٤٦]

وآيـــاتٌ تـــرى فيهـا «ابنَ بحرٍ» ... يصـولُ كما يشـاءُ ويسـتـدلُّ[٤٧]

يفُلُّ شَبا الخصومة كيف كانت ... بـرأىٍ كـالمهـنّـدِ لا يُـفَـلّ[٤٨]

فذاك الفضلُ ، جلّ اللهُ ربّى ! ... فـليس يُحَدُّ للرحمنِ فضلُ[٤٩]

---

(٣٦) خبن : سقوط أحد الأحرف ــ حذف الثانى الساكن فى الشعر . خبل : حذف السين والفاء من مستفعلن فى البسيط والرجز من بحور الشعر .

(٣٩) نصل : حد السيف أو السكين والمقصود مشرط الجراح .

(٤٠) خير طفل : يريد به « إبراهيم » بن سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما توفى قال : « إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونين » .

(٤٢) الحجا : العقل . شمل : ما اجتمع من أمره .

(٤٥) يذل : يخضع . شموس القول : الألفاظ الفصيحة المنيرة كالشمس . طوعا : منقادة له . المدل : الذى يدل على المعنى .

(٤٦) فصل : قاطع .

(٤٧) ابن بحر : الجاحظ الكاتب العربى الشهير .

(٤٨) يفل : يكسر . شبا : حد الشىء . المهند : السيف . لايُفل : لا يكسر .

رأيتكَ والردَى يدنو رويْدًا … إليكَ كما دنا لِلفتكِ صِلٌّ (٥٠)

فوجهُك ذابلٌ ، والصمتُ هَمْسٌ … ومشيُك واهنُ الْخَطَواتِ دَأْلُ (٥١)

تجرُّ وراءكَ السبعين عامًا … وللسبعينَ أرْزاءٌ وثِقْلُ (٥٢)

مشيتَ كأنَّ رِجْلاً في بساطي … تسيرُ بها ، وفوق القبرِ رِجْلُ (٥٣)

أتيتَ تزورني فهُرِعْتُ أسعَى … إليكَ ، ودمعُ عيني يستَهِل (٥٤)

وكان عِناقُنا لمّا افترقنا … وَثاقًا للمودّةِ لا يُحَلُّ (٥٥)

ذممتَ لِيَ المشيبَ وفيه حَزْمٌ … وأطريتَ الشبابَ وفيه جهل (٥٦)

وأين الْحَزْمُ ويْحكَ يا ابنَ أُمِّي … إذا ما خانني جسمٌ وعقل ؟ (٥٧)

أتذكرُ إذ تمازَحْنا لِتنسَى … وقد أدركتَ أنَّ المزحَ خَتْل ؟ (٥٨)

إذا أَمَلَ الفتَى فالهزلُ جِدٌّ … وإن يَئِسَ الفتَى فالْجِدُّ هزل (٥٩)

فديتك ! هل إلى الأخرَى بَريدٌ ؟ … وهل لتزاورِ الأرواحِ سُبْل ؟ (٦٠)

وهل يبقَى الفتَى بعد المنايا … له بالأهلِ والإخوانِ شُغْل ؟ (٦١)

وهل تصِلُ الدُّموعُ إلى حبيبٍ … ويعلَمُ حُرْقَةَ الأشجانِ نَجْل ؟ (٦٢)

وهل لي بينَ من أهوَى مكانٌ … إذا قَوَّضْتُ رحلي أو مَحَلٌّ ؟ (٦٣)

وهل في ساحةِ الجنّاتِ نهرٌ … يزول بمائهِ حِقْدٌ وغِلّ ؟ (٦٤)

وهل إن ساءل الأحياءُ قبرًا … يُجابُ لصيحةِ الأحياء سُؤْل ؟ (٦٥)

لقد جلَّ المصابُ ، وجلَّ صبري … عليكَ ، وأَنت من صبري أَجَلّ ! (٦٦)

---

(٥٠) الردى : الموت . يدنو : يقترب . رويدا : تمهلا .

(٥١) واهن الخطوات : ضعيف المشي . دأل : مشي الضعيف من مرض أو كبر .

(٥٢) أرزاء : مصائب . ثقل : ضد الخفّة .

(٥٤) هُرعت : أسرعت . يستهل : يبدأ في الهطول .

(٥٨) ختل : خداع .

(٦٠) سبل : طرق .

(٦٢) الأشجان : الأحزان .

(٦٣) قوّضت : كسرت وهدمت .

(٦٤) غِلّ : غش وحقد .

فقم واخطب بحفلِك ، كم تَغَنّى ... وهام بصوتِكَ الرنّانِ حَفْلُ ! [67]
وذكّرْنا اليقينَ فكم عقولٍ ... تكادُ عليك من شَجَنٍ تَزِلّ [68]
وقل إنّ الفناءَ إلى خلودٍ ... وإنّ زخارفَ الأيامِ بُطْل [69]
وإنّ الموتَ إطلاقٌ لروحٍ ... معذَّبةٍ ، وإنّ العيشَ غُلّ [70]
شبابُ المسلمين بكلِّ أرضٍ ... عليكَ ثناؤهم فرضٌ ونَفْلُ [71]
أخذتَ عليهمُ للحقِّ عهدًا ... فوَفَّوْا بالعهودِ وما أخلّوا [72]
شبابٌ إن دعا القرآنُ شُمْسٌ ... وإن تستصرخِ النّجَداتُ بُسْل [73]
بنو العرب الذين عَلَوْا وسادوا ... سما فرعٌ لهم واعتزَّ أصل [74]
فنم ملءَ الجفونِ «أبا صلاحٍ» ... ففى الجناتِ للأبرارِ نُزْل [75]
يطوفُ بقبرِك الزاكى سلامٌ ... وينضَحُه من الرّحماتِ وَبْل [76]
وهاك رثاءَ محزونٍ مُقِلٍّ ... وما أوْفَى إذًا بذلَ المُقِلّ ! [77]

---

(٦٩) بطل : كذب وباطل .
(٧٠) غُلّ : ضيّق - مقيّد .
(٧١) فرض : فريضة واجبة . نَفْلُ : تطوع .
(٧٣) تستصرخ : تستغيث . بُسل : شجعان .
(٧٤) سما : علا وارتفع . أصل : حسب ونسب .
(٧٥) نزل : مكان للإقامة الدائمة .
(٧٦) الزاكى : ذو الرائحة الطيبة . ينضحه : يرشه . وبل : مطر شديد .
(٧٧) مقل : يعد شعره قليلا بالنسبة لما يستحق .

تحيّة دَار الإذاعة

احتفلت دار الاذاعة فى شهر ابريل سنة ١٩٣٧م بانتهاء العام الثالث من إنشائها، ودعت لذلك نخبة من رجال العلم والأدب فى مصر، ليذيع كل منهم كلمة فى هذا الصدد، فاختصها الشاعر بهذه القصيدة وأذاعها فى هذه المناسبة.

سارِىَ الْهَواءِ مَلَكْتَ أَىَّ جَناحِ ! ... وحَلَلْتَ أَىَّ مَشارِفٍ وَبِطاحِ ! (١)

وبِأَىِّ ناحِيَـةٍ أَقَمْتَ؟ فإِنَّنى ... أَلْقاكَ بَيْنَ تَوَثُّبٍ وجِماحِ (٢)

فى كُلِّ مَغْدًى مِنْ ذُيُولِكَ مَسحَبٌ ... وخُطاكَ مائِلَةٌ بِكُلِّ مَراحِ (٣)

تَجْرِى فَتَنْتَظِمُ الْمَدائِنَ والْقُرَى ... وتَفُوتُهُنَّ إلى مَدًى فَيَّاحِ (٤)

لا الْبَرْقُ يَسْرِى حَيْثُ سِرْتَ ولا رَمَى ... نَسْرٌ إلى ما رُمْتَهُ بِجَناحِ (٥)

يَكْبُو الظَّلِيمُ، وأَيْنَ مِنْكَ عِداؤُهُ؟ ... ويَكِلُّ جُهْدُ الأَجْرَدِ السَّبَّاحِ (٦)

تَمْضِى فلا تَقِفُ الْعَوائِقُ حائِلاً ... وتَمُرُّ بَيْنَ الصَّلْدِ والصُّفَّاحِ (٧)

---

(١) السارى : السائر فى الليل ، ولما كان الهواء من الأجسام اللطيفة حسنَ وصفه بالسرى ، والمراد أن لطفه يخفيه كما يخفى الليلُ السائرَ فيه . المشارف : أعالى الأرض ، واحدها مَشرف . البطاح : جمع أبطح وهو مَسيل واسع فيه دُقاق الحصى .

(٣) المغدَى : اسم مكان من الغدو وهو السير فى أول النهار . المسحب : مصدر ميمى من سحبه كمنعه ، جره على وجه الأرض . المراح : اسم مكان من الرواح وهو السير فى العشى . الرواح : الذهاب والرجوع .

(٤) المدى : الغاية . فياح : عظيم الاتساع .

(٥) يسرى : يسير ليلا . رمته : طلبته .

(٦) يكبو : ينكب على وجهه . الظليم : الذكر من النعام يُضرب بسرعة عدوه المثل . العداء : العدو والجرى . يكل : يُعيى ويعجز . الأجرد : الفرس السباق . السباح : الفرس السريع كأنما يسبح بيديه .

(٧) العوائق : الموانع . الحائل : الحاجز . الصلد : الصلب الأملس من الحجارة . الصفاح : كرمان ، ما كان منها عريضًا رقيقًا .

دانٍ وما عَلقَتْ بِشَخْصِكَ أَعْيُنٌ ... يَوْمًا ، ولا مُسَّتْ يَداكَ بِراحِ [8]
تَتَمايَلُ الأَشْباحُ إنْ تَخْطِرْ بِها ... ومِنَ السُّرورِ تَمايُلُ الأَشْباحِ [9]
وتَهُزُّ أَدْواحَ الرياضِ فَتَنْثَنِي ... شَوْقًا إِلَيْكَ بَواسِقُ الأَدْواحِ [10]
لَوْلاكَ ما صَبَّ الغَمامُ عُيُونَهُ ... تَسْقِي البِطاحَ بِوابِلٍ سَحّاحِ [11]
لَوْلاكَ ما زَهَتِ الرُّبا بِمُرَقَّشٍ ... مِنْ نَسْجِ مَنْثُورٍ وَوَشْيِ أَقاحِي [12]
قَدَحُ الْحَياةِ ، وَأَنْتَ أَغْلَى مَشْرَبًا ... مِنْ صَفْوَةِ الْمَاذِيِّ فِي الأَقْداحِ [13]

* * *

سِرْ يا هَواءُ فَأَنْتَ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ ... وَاهْتِفْ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الصَّدّاحِ [14]
واحْرِصْ عَلَى سِحْرِ الْبَيانِ وَوَحْيِهِ ... وَارْفُقْ بِآيٍ فِي الْقَرِيضِ فِصاحِ [15]
جَمَعَتْ مِنَ الزَهْرِ النَدِيِّ قَوافِيًا ... تَسْبِي النُهَى بِعَبِيرِها الْفَوّاحِ [16]
دُرَرٌ صِحاحٌ لَوْ تُقاسُ بِشِبْهِهَا ... لَبَدَتْ دَرارِي اللَّيْلِ غَيْرَ صِحاحِ [17]
ما السَّيْفُ فِي كَفِّ الْمُفَزَّعِ قَلْبُهُ ... كالسَّيْفِ فِي كَفِّ الفَتَى الْجَحْجاحِ [18]
الشِعْرُ مِنْ سِرِّ السَّماءِ فَهِمْتُهُ ... وَحْيُ النُّفُوسِ وَراحَةُ الأَرْوَاحِ [19]
كَمُلَتْ صِفَاتُ الراحِ فِي نَشَوَاتِهِ ... وَنَجا فَلَمْ يُوصَمْ بِإِثْمِ الراحِ [20]

* * *

(٨) دان : قريب . علقت : نشبت واستمسكت . الراح : جمع راحة وهى بطن الكف .

(٩) الأشباح : جمع شبح وهو الشخص .

(١١) فى هذا البيت اشارة إلى معنى الآية الكريمة : (وَهُوَ الَّذى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّماءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ) .

(١٢) المرقش : المزخرف المزوق . الأقاحى : جمع أقحوان وهو البابونج من نبات الربيع له نور حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر .

(١٣) صفوة الشيء : خالصه . الماذِيّ : العسل الأبيض .

(١٤) مركب وطئ : لين سهل ذلول . الصداح : الذى يرفع صوته بالغناء ، ويريد الشاعر بالطائر الصداح نفسه .

(١٧) الدرر : جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة . درارى الليل : كواكبه المضيئة واحدها دُرّى .

(١٨) المفزع : اسم مفعول من فزعته ففزع أى خاف . الجحجاح : السيد الماجد الشريف الشجاع .

(٢٠) الراح : الخمر . النشوات : جمع نشوة وهى السكر . يوصم : يعاب . الاثم : الذنب .

سِرْ ياقَرِيضُ إلَى العُرُوبَةِ مُسْرِعًا ... وَانْزِلْ بآفاقٍ بِها وَنَواحِي (٢١)
وَامْزُجْ بِمِسْكِيِّ الأَثِيرِ تَحِيَّةً ... لِعَشائِرٍ شُمِّ الأُنوفِ سِماحِ (٢٢)
شَحُّوا بِأَنْ تَلِدَ المَكارِمُ غَيْرَهُمْ ... وَهُمُ عَلَى النَّجَداتِ غَيْرُ شِحاحِ (٢٣)
جَعَلُوا مِنَ الفُصْحَى وَمِنْ آياتِها ... نَسَبًا مُضِيئًا كالنهارِ الضاحِي (٢٤)
الضادُ تَجْمَعُهُمْ وَتَرْأَبُ صَدْعَهُمْ ... سِيَّانِ فى الأفراحِ وَالأَتْراحِ (٢٥)
دارَ الإذاعَةِ ، لا تَمَلِّيَّ إنَّنِى ... أطْلَقْتُ لِلأَمَلِ البَعِيدِ سَراحِى (٢٦)
حُبُّ العُرُوبَةِ قَدْ جَرَى بِمَفاصِلِى ... بالرَّغْمِ مِنْ هَذِرِ الحَدِيثِ مُلاَحِى (٢٧)

* * *

دارَ الإذاعَةِ ، أنْتِ بِنْتُ ثَلاثَةٍ ... مَرَّتْ كَوَمْضِ البارِقِ اللَّمَّاحِ (٢٨)
كَمْ فِيكِ لِلْقُرْآنِ رَنَّةُ قارِئٍ ... تَحْلُو لَدَى الإمْساءِ والإصْباحِ (٢٩)
كَشَفَتْ عَنِ النفْسِ المَلُولِ حِجابَها ... فَتَوَجَّهَتْ لِلْخالِقِ الفَتَّاحِ (٣٠)
الدِينُ سَلْوَى النفْسِ فى آلامِها ... وطَبِيبُها مِنْ أدْمُعٍ وَجِراحِ (٣١)
أوْدَعْتُه حُزْنِى فَلَمْ تَعْبَثْ بِهِ ... شَكْوَى ، ولاصَدَعَ الدجَى بِنُواحِ (٣٢)
دارَ الإذاعَةِ ، كَمْ نَشَرْتِ ثَقافَةً ... جَلَّتْ مَآثِرُها عَنِ الإفْصاحِ ! (٣٣)
كَمْ جازَ صَوْتُكِ مِنْ بِحارٍ سُجِّرَتْ ... وَفَدافِدٍ شُعْثِ الفِجاجِ فِساحِ ! (٣٤)

---

(٢٢) المسكى : نسبة إلى المسك وهو أفضل أنواع الطيب عند العرب . الأثير : مادة لطيفة جدًا منتشرة فى أنحاء الفضاء تنقل النور والحرارة والكهربية والصوت . العشائر : جمع عشيرة وهى القبيلة . شمّ الأنوف : جمع أشم الأنف ، صفة من الشمم وهو ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها ، وذلك كناية عن الأنفة والترفع عن الدنايا ، على أن الشمم من صفات العرب الخلقية . سماح : جمع سَمح وهو الجواد المعطاء .

(٢٥) يريد بالضاد لغة العرب . ترأب : تصلح وتجبر . الصدع : الشق . الأتراح : جمع ترح وهو ضد الفرح .

(٢٦) السراح : الحرية .

(٢٧) هذر كلامه من باب فرح أى كثر فى الخطإ والباطل . الملاحى : المنازع .

(٣٢) صدع : شق . الدجى : جمع دجية وهى الظلمة .

(٣٤) جاز المكان : سلكه وسار فيه . سجرت : فجرت وامتلأت . الفدافد : جمع فدفد وهو الفلاة . شعث : جمع أشعث من الشعث وهو الانتشار والتفرق . الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين الجبلين . الفساح : جمع فسيح أى متسع .

أصبحتِ أستاذَ الشعوبِ وكافحتْ   نجواكِ جيْشَ الجهلِ أيَّ كِفاحِ (٣٥)
وملأتِ بالعلمِ البلادَ فنورُهُ   في كلِّ منعطفٍ وبُهرةِ ساحِ (٣٦)
تتلقَّفُ الدنيا حديثَكِ مثلما   يتلقَّفُ الأبرارُ وحْيَ الواحي (٣٧)

* * *

دارَ الإذاعةِ، أنتِ أمرحُ أيكةٍ   صدحتْ فكانتْ أيكةَ الأفراحِ (٣٨)
صاحتْ بلابلُكِ الحِسانُ فأخملتْ   في الجوِّ صوتَ البلبلِ الصيَّاحِ (٣٩)
مِنْ كلِّ شاديةٍ كأنَّ حنينَها   همْسُ المُنى لليائسِ الكدَّاحِ (٤٠)
اللّيلُ إنْ نادتْهُ ماسَ بعِطفِهِ   فتراهُ بيْنَ المُنتشي والصاحي (٤١)
كمْ فيكِ مِنْ لَهْوٍ بهِ رِيُّ النُّهى   وفكاهةٍ محبوبةٍ ومُزاحِ! (٤٢)
النفسُ تسأمُ إنْ تطاولَ جِدُّها   فاكشِفْ سآمةَ جِدِّها بمُباحِ (٤٣)

* * *

زُمَرَ الشبابِ، ولِي ملامةُ ناصحٍ   لوْ تسمعونَ نصيحةَ النُّصَّاحِ! (٤٤)
بالعلمِ «مَرْكُونِي» تسلَّقَ للعُلا   وبعزمةِ الوثَّابةِ الطمَّاحِ (٤٥)
رَجُلٌ عِصاميُّ الأرومةِ لمْ ينَلْ   مجْدًا «بآمونٍ» ولا «بفِتاحِ» (٤٦)
تتطلَّعُ الدنيا إليْهِ وتمْتطي   ذِكرى مآثِرِهِ متونَ رياحِ (٤٧)
إنَّ التفاخُرَ بالقديمِ تعِلَّةٌ   والجهْلُ للمجْدِ المؤثَّلِ ماحي (٤٨)

---

(٣٥) كافحت : واجهت وجاريت . النجوى : السر .

(٣٦) منعطف الوادى : حيث ينعطف أى ينثنى ويميل . البهرة : ما اتسع من الأرض . الساح : جمع ساحة وهى الناحية وفضاء بين دور الحى .

(٤٢) روى من الماء روّى وريا أى ارتوى . النهى : جمع نهية وهى العقل .

(٤٥) المركيز «ماركونى» عالم إيطالىّ اخترع بعبقريته أجهزه الاذاعة اللاسلكية ، وطوّق العالم كله بمأثرة خالدة ومنة من أجل المنن . توفى فى يولية سنة ١٩٣٧ م ودفن حيث ولد فى «بولونيا» من بلاد إيطاليا فى شمالها الشرق .

(٤٦) العصامى : الشريف النفس المعتمد على همته فى كسب المجد وبلوغ الأمل . الأرومة : الأصل . المجد : العز والشرف . و«أمون» و«فتاح» إلهان من آلهة قدماء المصريين .

(٤٨) التعلة : ما يتعلل به . المؤثل : الأصيل العظيم .

والعِلْمُ مِصْباحُ الحَياةِ فَنَقِّبُوا   مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْبُوا عَنِ المِصْباحِ (٤٩)

بَلِيَ السِلاحُ مَعَ القَدِيمِ وَعَهْدِهِ   والآنَ صارَ العِلْمُ خَيْرَ سِلاحِ (٥٠)

اَليَوْمَ فِكْرَةُ عالِمٍ فِي مَصْنَعٍ   تُغْنِي عَنِ الأَسْيافِ وَالأَرْماحِ (٥١)

وَتَصُدُّ كُلَّ كَتِيبَةٍ مَوَّارَةٍ   خَضْراءَ تَقْلِفُ بِالكُماةِ رَداحِ (٥٢)

أَمْضُوا الجُهُودَ وَأَخْلِصُوا لِبِلادِكُمْ   فِي الجَهْدِ وَالإِخْلاصِ كلُّ نَجاح (٥٣)

لاَ يُرْتَجَى مِنْ أُمَّةٍ مَفْتُونَةٍ   بِاللَّهْوِ والتَسْوِيفِ أَيُّ فَلاحِ (٥٤)

خُوضُوا الصِعابَ ولا تَملُّوا إِنَّما   نَيْلُ المُنَى بالصبرِ وَالإِلْحاحِ (٥٥)

قَدْ يُنْجِدُ اللُّجُّ الغَرِيقَ بِقَذْفِهِ   حَيًّا فَيَلْقَى المَوْتَ فِي الضَحْضاحِ (٥٦)

اَلعَهْدُ مِثْلُكُمُ جَدِيدٌ مُشْرِقٌ   فَهَلُمَّ لِلإِنْتاجِ وَالإِصْلاحِ (٥٧)

وَمَلِيكُكُمْ مَثَلُ الشبابِ مُجَمَّلٌ   بِخَلائِقٍ غُرِّ الوُجُوهِ صِباحِ (٥٨)

يَتَفاءَلُ النيلُ الوَفِيُّ بِعَهْدِهِ   وَبِيُمْنِ طَلْعَةِ وَجْهِهِ الوَضّاحِ (٥٩)

سارَتْ مَحامِدُهُ وسارَتْ خَلْفَها   تَشْدُو بِسابِغِ فَضْلِهِ أَمْداحِي (٦٠)

---

(٥٠) بلى الثوب : خلق وتمزق . العهد : الزمان .

(٥٢) موّارة : سريعة مضطربة لكثرة عددها . خضراء : عظيمة كثيرة السلاح . الكماة : جمع كمى وهو الشجاع المدجج أى شاكى السلاح . الرداح : الكتيبة الثقيلة الجرارة .

(٥٦) ينجد : يعين . اللج : معظم الماء . الضحضاح : الماء اليسير القليل .

(٥٨) الخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة والخلق . غر : جمع أغر وهو الأبيض . صباح : جمع صبيح وهو الجميل .

نقيـــب

نظم الشاعر هذه الأبيات بمناسبة انتخاب الدكتور على ابراهيم نقيبًا للأطباء عام ١٩٤٣ م .

قـالوا : «عـلِىٌّ» غـدا نَقيبًا قلتُ : متَى لم يكنْ نقيبًا !؟(١)
المسكُ مسكٌ ، فإن تُبـالـغْ فى وَصْـفـهِ لم تَزِدْه طِيبا(٢)
لو اشـتكَى الدهْر من سَقامٍ لم يـتَّـخِـذْ غـيـرَه طَـبـيـبا(٣)

وفـــاء صـــديـــق

بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى صديقه الدكتور على توفيق شوشة وكيل وزارة الصحة اعترافًا بفضله فى استئصال الأوبئة بمصر سنة ١٩٤٧ م .

نَـظَـمْتُ لآلِىءَ الـفِـردَوْسِ عِـقـدا ... ومن ذهب الأصيلِ وشَيْتُ بُرْدا [١]

وسـار مـع النسيم نسيمُ شعرى ... فـكـان أرقَّ أذيـالاً وأنـدَى [٢]

غلائـلُـه تـرِفُّ بـكـلِّ أرضٍ ... فـتـنـشـرُ حـولـه مسـكًـا ونَـدًا [٣]

تـلـقَّـاه الخمائـلُ ضـاحـكـاتٍ ... تَهزُّ مـعـاطـفًـا وتـمُـدّ خَـدًّا [٤]

ويـرقُـمُ فى الـغـديرِ سطورَ وَحْىٍ ... وعاها الطيرُ حين شدا فأشْدَى [٥]

وكـم همست بـمسـمـعـه غصونٌ ... فـردَّد همسَـهـا وَلَـهًـا ووجـدا [٦]

إذا مـا الشعرُ كـان شعاعَ نورٍ ... أعـار الشمسَ إشراقًا وخُـلْـدا [٧]

يشـيـبُ فـيـستردَ صِـبـاهُ غضًّـا ... ومـا أحلى الشـبـابَ المستَردًّا [٨]

طوَى الـدنـيـا فـلـيس الـوعرُ وعرًا ... لـوثـبـتـه ، ولـيس الـنـجـدُ نجدا [٩]

---

(١) لآلئ الفردوس : درر من الجنة . ذهب الأصيل : المقصود لون الذهب فى حمرته مثل لون الشمس فى السماء فيا بين العصر والمغرب . وشيت : نسجت . بردا : كساء تلبسه العرب .

(٢) أرق أذيالا : أحسن أطرافا . أندى : أسخى .

(٣) غلائله : الأثواب الشفافة . ترف : تتحرك . ندا : الطيب .

(٤) معاطفا : جوانبا .

(٥) يرقم : يكتب . وعاها : حفظها . أشدى : أجاد الشدو .

(٦) ولها : شدة الوجد . وجدا : الحب والهيام .

(٨) غضا : طرّيا .

(٩) الوعر : جبل ويقال للشىء الصعب . النجد : ما ارتفع من الأرض .

إذا كفَّ الـزمـانِ رمت رمـاهـا ... وإن جدّت به الأحداثُ جدّا[10]

وإن بسمت له الدنيا سمِعنا ... نشـيـدًا يملأ الأطيـارَ حِقـدا[11]

تمنّت أن يــكونَ لها صـبـداه ... فصـعـرّ خـدَّه ونـأى وصـدًّا[12]

وأين لمثـلـهـا وتـرٌ مُـرنٌّ ... من الإلهام إحكامًا وشدًّا؟[13]

يـغـرّدُ لـلـخـلودِ بـكـل أفقٍ ... ومـا عرفتْ له الآفاقُ حدًّا[14]

لمستُ جَـنـاحَـه رفـقًـا فوافَى ... وأغـريتُ الوِدادَ بـه فودًّا[15]

له حَبُّ القلوبِ فليس يطوَى ... ومـاءُ المقلتين فليس يصدى[16]

أداعـبُـه فـيصـدحُ عـبـقـريًّـا ... فـتمـتدّ الرقابُ إليه مدا[17]

ضننتُ به فلم يهتف بعمرٍو ... ولم تستهوِه بَسَماتُ سُـعـدَى[18]

وصُـنتُ لهاتَـه عن كـل لـغـوٍ ... لـه خـدّ الـفتى العربيّ ينـدَى[19]

تـلـثّـم بـالإبـاء فـعـاش حـرًّا ... ولو عرف الرياء لمات عبدا[20]

يهزّ حـمـيّـةَ الـفـتـيـان نصلاً ... ويحشُـدُ رابضَ العزمات جُندا[21]

ويُشعِلُ فى القلوبِ وميضَ نارٍ ... كنيرانِ «الكليم» هُدًى ورشدا[22]

ويشـدو بـالمروءة إن تـراءت ... وبالصنع الجميل إذا تبدّى[23]

تـلـفّت حوله فرأى (عـليّـا) ... ولم يـبصر لـه فى الـطبِّ نِـدًّا[24]

حوى هِـمَـمَ الرجال فكان جَمْعًا ... وأُفـرِد بـالـنبوغ فكـان فَرْدا[25]

عـزيمتـه تـرد الـغـمـدَ سيـفًـا ... وحكـمـتـهُ تردُّ السيفَ غمدا[26]

---

(١٠) جدت به الأحداث : عظمت به الأمور. جدا : عظم واجتهد.

(١٢) صعر خده : استكبر واستعظم. نأى : بعد. صدًّا : أعرض.

(١٣) وتر : هو وتر العود. مرن : له صوت رنان.

(١٥) وافى : أعطى. ودا : أحب.

(١٦) حب القلوب : سويداؤه وثمرته. يطوى : يجوع. المقلتين : العينين لأن المقلة هى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد. يصدى : يعطش.

(١٨) عمرو وسعدى : أسماء عربية. يقصد أنه ضن بشعره أن يترلق إلى قصص الغرام وحديث الغزل.

(١٩) لهاته : اللهاة هى الزائدة اللحمية فى سقف الحلق والمقصود حديثه وقوله وشعره. يندى : يبتل. المقصود من العرق خجلا.

(٢٢) الكليم : سيدنا موسى عليه السلام لأنه هو الرسول الذى تكلم الله معه.

يُحَبُّ دَماثةً ويُهاب خوفًا ... كغَمْرِ السيلِ خيف وطاب وِرْدا (٢٧)

وفاءٌ لو تَقَسَّم فى الليالى ... لما نقضت لراجيهن عهدا (٢٨)

وعلمٌ يملأ الآفاقَ نورًا ... وذِكْرٌ يملأ الأيامَ حمدا (٢٩)

وصولةُ حازمٍ ما حاد يومًا ... عن القصد السوىّ ولا استبدا (٣٠)

وفكرٌ يلمَحُ الأقدارَ حتى ... يكادَ يردُّها للغيْبِ رَدّا (٣١)

ووجهٌ مشرقُ القَسَماتِ سَمْحٌ ... يَفيضُ بشاشةً ويلوحُ سعدا (٣٢)

رآه الصبحُ منه فزاد حُسْنًا ... وغار البدرُ منه فزاد سُهدا (٣٣)

دنا كالشمس حين دنت شعاعًا ... وحلّق مثلَها فى الأفق بعُدا (٣٤)

فلم نعرف له فى الفضلِ قبْلاً ... ولم نعرف له فى النُّبْل بَعْدا (٣٥)

فتى مصرٍ، وهل تلقى بمصرٍ ... فتى أمضى وأورى منه زَنْدا ؟ (٣٦)

تدارك مصرَ (والميكروبُ) يطغَى ... وينفثُ سُمَّه ويؤُدُّ أدّا (٣٧)

طوىَ آجالَ أهليها هَباءً ... وبدّد نسلَها فتكًا ووَأْدا (٣٨)

فشدّ عليه مقدامًا جريئًا ... كما هيّجتَ يوم الرّوْع أسدا (٣٩)

تحدّاه وصال ولو سواه ... أراد لما استطاع ولا تحدّى (٤٠)

فطهّر أرضها وحمى حِماها ... وصان شبابَها وهدى وأهدَى (٤١)

تطيرُ بها البعوضةُ وهى تدرى ... بأنّ وراءها للموْتِ حَشْدا (٤٢)

ويمشى القَمْل (والدى دى) رَصيدٌ ... يُصوِّبُ خلفه السهمَ الأسدّا (٤٣)

وما طَنَّ الذبابِ سوى نُواحٍ ... وقد حصدته أيدى العلم حصدا (٤٤)

إذا الحشراتُ فى مصرٍ تصدّت ... مُناجزةً، فأنت لها تصدّى (٤٥)

---

(٢٧) كغمر السيل : كماء السيل الكثير. خيف : خيف منه . وردًا : منهلا للماء .

(٣٦) أورى : يقال أورى زنده أى زاد وقوى . زندا : طرف الذراع حتى الكف .

(٣٧) يؤد : يقطع ويميت .

(٣٨) طوى آجال : قضى على أعمار الناس . وأدا : دفن الحى .

(٤٣) الدى دى : هى مادة الـ(د . د . ت) التى تقتل الحشرات برشها فى الأماكن الموبوءة .

أنسى (الجامبيا) والموتُ فيها يزمجرُ، والقلوبُ تذوب كَمْدا ؟[٤٦]

وكاد اليأسُ يوْهِنُ كلَّ عزمٍ ومصرُ تصارعُ الخصمَ الألدّا[٤٧]

فخضتَ غمارَها صَمدًا همامًا ورُعت بها جيوش الموت جَلْدا[٤٨]

وأنقذتَ الكِنانة من فناءٍ وكنتَ لقومك الركنَ الأشدّا[٤٩]

نُحيِّى المرء إن نجّى حياةً فكيف إذا نجا الوطنُ المفدَّى ؟[٥٠]

فعش للطبِّ والفُصحى إمامًا وكن لكليهما عَضُدًا وزَندا[٥١]

مدحتُك كى أُشيدَ بمجد مصرٍ وأرسُمَ للشبابِ النهجَ قَصْدا[٥٢]

وليس ينالُ شأْوَك وصفُ شعرى ولو أفنيتُ عمر الشعر كدّا[٥٣]

ومن أحصَى مآثرك الغوالى فقد أحصى نجومَ الليل عدّا[٥٤]

---

(٤٦) الجامبيا : يقصد بعوض الجامبيا وقد اجتاحت جنوب مصر حينئذ فى وباء شديد إذ تنقل مرض الملاريا الخبيثة ، كمدا : حزنا مكتوما .

(٤٧) الألدا : شديد الخصومة .

(٤٨) صمدا : سيدا هماما صامدا . رعت : أخفت . جلدا : صلبا قويا .

(٥١) عضدا : الساعد . زندا : هو موصل طرف الذراع من الكتف والمقصود عونا قويا للطب وللغة العربية .

(٥٢) النهج : الطريق .

(٥٣) شأوك : مكانتك . كدّا : تعبا .

رَشيدُ تحيّي الفَـارُوق

نظم الشاعر هذه القصيدة فى شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦ م يحيي فيها الملك فاروق حينا زار مدينة رشيد بلد الشاعر بالمرور عليها بسفينته .

أغْـدِقْ عَـلَـيْـهَـا سَـحَـابَـا	وَامْلأْ مَـدَاهـا شَـبَـابَـا[1]
وَافْـتَـحْ عَلَى النّاسِ فِيهَا	لِـلْـخَـيْـرِ بَـابًا فَـبَـابَـا[2]
جُـزْتَ الـطَّـرِيقَ فَصَـارَتْ	تِـبْـرًا وَكَـانَتْ تُـرَابَـا[3]
ألْـيُـمْـنُ يَـخْـدو ذَهَـابـاً	وَالسَّـعْـدُ يَشْـدُو إيَـابَـا[4]
وَالـنَّـخْـلُ مـاسَتْ وَمَـالَتْ	تَشَـوُّقًـا وَاجْـتِـذَابَـا[5]
قَـدْ هَـزَّهَـا الشَّوْقُ حَتَّى	كَـادَتْ تُـجَـارِى الـرِّكَـابَا[6]

* * *

وَالـزَّهْـرُ يَـنْـضَحُ عِـطْـرًا	بَـيْـنَ الـرُّبَـا وَمَلاَبَـا[7]
لَـهُ ابْـتِـسَـامُ حَـبِـيبٍ	أَنْسَى الْـمُـحِـبَّ الْـعِـتَـابَـا[8]
يَـرْنُـو فَـيُـرْخِى حَـيَـاءً	مِنَ الْـكِمَامِ نِـقَـابَـا[9]
رَأَى شَـبَـابًـا وَضِـيـئًـا	عَـمَّ الْـقُـرَى وَالـرِّحَـابَـا[10]
رَأَى خَلاَئِقَ زُهْـــــــرًا	كَـالْـمِسْكِ طَـابَتْ وَطَـابَـا[11]

* * *

---

(٧) الربا : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض . الملاب : نوع من الطيب ، أو هو الزعفران .

(١١) الخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة والخلق . زهر : جمع زهراء أى صافية خالصة غراء . المسك : أفضل أنواع الطيب عند العرب . طاب : جمل وحسن .

تَطَامَنَتْ هَضَبَاتٌ ... مَاذَا أَصَابَ الْهِضَابَا؟[12]
كَانَتْ تُسَامِي الثُّرَيَّا ... وَالْيَوْمَ تَحْنِي الرِّقَابَا[13]
رَأَتْ جَلالاً مَهِيبًا ... فَمَا وَنَتْ أَنْ تَهَابَا[14]
وَهَالَهَا مِنْكَ عَزْمٌ ... لَوْ لامَسَ الصَّخْرَ ذَابَا[15]

* * *

وَالْبَحْرُ يَدْنُو وَيَعْلُو ... تَطَلُّعًا وَارْتِقَابَا[16]
لَمَّا تَلَقَّاكَ قُلْنَا ... لاقَى الْعُبَابُ الْعُبَابَا[17]
«فَارُوقُ» أَعْظَمُ نَفْسًا ... مِنْهُ وَأَسْخَى جَنَابَا[18]
يُزْجِي السَّحَابَ ثِقَالاً ... وَأَنْتَ تُزْجِي الرِّغَابَا[19]

* * *

وَالنِّيلُ يَنْسَابُ تِيهًا ... بَيْنَ الْمُرُوجِ انْسِيَابَا[20]
كَالْخَوْدِ ضَمَّتْ ثِيَابًا ... عُجْبًا وَأَرْخَتْ ثِيَابَا[21]
صَفَا لُجَيْنًا نَقِيًّا ... وَمَاجَ تِبْرًا مُذَابَا[22]
أَلْقَى الدَّرَاهِمَ بُشْرَى ... بِكُمْ فَكَانَتْ حَبَابَا[23]
تَوَثَّبَ الْمَوْجُ فِيهِ ... لِنَظْرَةٍ ثُمَّ ثَابَا[24]
جَرَى ذَلُولاً بِمَسْلَكٍ ... مَاضٍ أَذَلَّ الصِّعَابَا[25]
إِذَا رَأَى كَانَ حَقًّا ... أَوْ قَالَ كَانَ صَوَابَا[26]

* * *

---

(١٢) تطامنت : انخفضت .

(١٣) تسامى : تفاخر وتبارى فى السمو . الثريا : اسم لنجوم كثيرة متقاربة يضرب المثل بها فى الرفعة والعلو .

(١٨) الجناب : الناحية .

(١٩) يزجى : يسوق سوقًا رقيقًا . ثقال : جمع ثقيلة . الرغاب : جمع رغبة .

(٢١) الخود : المرأة الحسنة الخلق الشابة الناعمة . العجب : الكبر والفخر .

(٢٢) اللجين : الفضة . ماج : اضطربت أمواجه . التبر : ماكان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ .

(٢٣) الحباب : فقاقيع الماء التى تطفو كأنها الدراهم .

(٢٤) ثاب : رجع .

وَالنَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ … تَهْوِى إِلَيْكَ انْصِبَابا[27]

جَاءُوا شُعُوبًا شُعُوبًا … حَتَّى أَسَالُوا الشِّعَابا[28]

يَرْجُونَ مِنْكَ دُنُوًّا … فَيَرْجِعُونَ اهْتِيَابا[29]

وَالشَّمْسُ أَعْلَى مَكَانًا … مِنْ أَنْ تُنَالَ اقْتِرَابا[30]

لَهُمْ دُعَاءٌ أَمَاطَتْ … لَهُ السَّمَاءُ الْحِجَابا[31]

إِنْ تَلْقَهُمْ تَلْقَ مَوْجاً … إِنْ قَارَبَ الشَّطَّ آبا[32]

تَلْقَى عَجِيجاً وَشَوْقاً … وَزَفْرَةً وَاصْطِخَابا[33]

قُلُوبُهُمْ فِى يَدَيْهِمْ … تُهْدَى إِلَيْكَ احْتِسَابا[34]

وَحُبُّهُمْ فِى وُجُوهٍ … فَاقْرَأْهُ فِيهَا كِتَابا[35]

لَاحَ السَّفِينُ فَهَامَتْ … «رَشِيدُ» تَعْلُو وِثَابا[36]

وَأَقْبَلَتْ وَهْىَ تَرْنُو … مَآذِنًا وَقِبَابا[37]

تَوَدُّ خَوْضًا إِلَيْهِ … لَوِ اسْتَطَاعَتْ ذَهَابا[38]

وَالشَّوْقُ إِنْ غَالَ نَفْسًا … لَا تَسْتَطِيعُ غِلَابا[39]

أَعْلَامُهَا خَافِقَاتٌ … كَمَا هَزَزْتَ الْقِضَابا[40]

قَدْ زَارَهَا مِنْكَ غَيْثٌ … فَانْهَلَّ فِيهَا انْسِكَابا[41]

وَلُحْتَ فِيهَا فَصَارَتْ … خِصْبًا وَكَانَتْ يَبَابا[42]

اللهُ أَكْبَرُ عَادَتْ … بَعْدَ الْمَشِيبِ كَعَابا![43]

إِنْ سُوئِلَتْ عَنْ سِنِيهَا … قَالَتْ نَسِيتُ الْحِسَابا[44]

فِيهَا نُهًى ثَاقِبَاتٌ … كَمَا أَضَأْتَ الشِّهَابا[45]

---

(٢٨) الشعوب : جمع شعب وهو القبيلة العظيمة . الشعاب : جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق .

(٢٩) الدنو : القرب . الاهتياب ، مصدر اهتابه بمعنى هابه أى أجله وعظمه .

(٣١) أماطت : كشفت .

(٣٢) الشط : جانب النهر . آب : رجع .

(٣٣) العجيج : رفع الصوت مصدر عج يعج من باب ضرب . الزفرة : التنفس الطويل الممدود ، الاصطخاب : الجلبة والأصوات المختلطة ، والعجيج والزفرة والاصطخاب كلها من مظاهر الزحام .

(٣٤) الاحتساب : مصدر احتسب الأجر على الله أى ادّخره عنده لا يرجو ثواب الدنيا .

(٣٩) غاله : أخذه من حيث لم يدر والمراد استولى وسيطر . الغلاب : المغالبة مصدر غالبه .

(٤٠) الأعلام : جمع علم وهو الراية . خافقات : مهتزة . القضاب : السيف القطاع .

(٤٢) اليباب : الخراب .

(٤٣) الكعاب : الجارية نهد ثدياها .

كَالتِّبْرِ غَطَّاهُ تُرْبٌ وَالدُّرِّ فِي الْبَحْرِ غَابا[٤٦]
كَمْ عَامِرَاتِ عُقُولٍ تَأْوِي الدِّيَارُ الْخَرابا ![٤٧]
صَحِبْتُ فِيهَا شَبابِي فَما ذَمَمْتَ الصحَابا[٤٨]
سَقْياً لِمَلْعَبِ أُنْسٍ شَابَ الزَّمانُ وَشابا ![٤٩]
إنْ يَجْرِ فِي الْوَهْمِ يَوْماً جَرَتْ دُمُوعِي اكْتِئابا[٥٠]
مَنْ غَاضَ مَاءُ صِباهُ رَأَى الْحَيَاةَ سَرَابا[٥١]
أَبُوكَ راشَ جَناحِي حَتَّى لَمَسْتُ السحابا[٥٢]
وَكَانَ يُصْغِي لِشِعْرِي وَكَانَ شِعْرِي عُجَابا[٥٣]

* * *

« رَشِيدٌ » لاَقَتْ رَشِيداً شَهْماً مُجِيبًا مُجابا[٥٤]
سَوَّاهُ مَوْلاهُ نُورًا صِرْفاً ، وَمَجْدًا لُبابا[٥٥]
نَالَتْ بِيُمْنِ سَناهُ مِصرُ الْمُنَى وَالطِّلاَبا[٥٦]

---

(٥٢) راشه : جعل فيه الريش .

إلى رُوح داوُد بركات

جزع الشاعر أشد الجزع لموت صديقه الأستاذ داود بركات ، رئيس تحرير جريدة الأهرام فرثاه بهذه القصيدة سنة ١٩٣٣ م :

ظَنَنْتَ الدمْعَ يُسْعِدُ بالْعَزَاءِ ... فَهَلْ أَجْدَى بُكَاؤُكَ أَوْ بُكَائِي ؟ (١)

وَقُلْتَ بِأَنَّةِ الْمَحْزُونِ أُشْفَى ... فَأَحْوَجَكَ الشِّفاءُ إِلَى شِفَاءِ (٢)

وَمَنْ يَغْسِلْ بِأَدْمُعِهِ جَوَاهُ ... أَرَادَ الْبُرْءَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءِ (٣)

بِنَفْسِي الراحِلِينَ مَضَوْا سِرَاعًا ... لِوِرْدِ الْمَوْتِ كَالْهِيمِ الظمَاءِ (٤)

تَوَلَّى عَهْدُهُمْ وَبَقِيتُ وَحْدِي ... أُقَلِّبُ طَرْفَ عَيْنِي فِي السَّماءِ (٥)

رَثَيْتُهُمُ فَأَدْمَى الْحُزْنُ قَلْبِي ... فَهَلْ نَدْبٌ يَخِفُّ إِلَى رِثائِي ؟ (٦)

وَكَم حيٍّ يَعِيشُ بِنَفْسِ مَيْتٍ ... طَوَتْ آمالَهَا طَيَّ الرِدَاءِ (٧)

مضَتْ بِهِمُ النَّجَائِبُ مُصْعِدَاتٍ ... وَلِلْبَاكِينَ رَنَّاتُ الْحُدَاءِ (٨)

تَجلَّوْا فِي النِّجَادِ ضُحَى صَبَاحٍ ... وَغَابُوا فِي الوِهَادِ دُجَى مَسَاءِ (٩)

---

(٣) الجوى : الحزن .

(٤) المراد بالورد هنا المورد وهو مأتى الماء وموضع وروده ، الهيم : الإبل العطاش ، الظماء : العطاش أو الشديدة العطش .

(٦) الندب : الخفيف فى الحاجة .

(٨) النجائب : عتاق الإبل وكرامها التى يسابق عليها ، ومفردها نجيب أو نجيبة ، مصعدات : ماضيات من أصعد فى الأرض بمعنى مضى ، وفى الوادى بمعنى انحدر . الرنات : جمع رنة وهى الصوت . الحداء : سوق الإبل والغناء لها .

(٩) تجلوا : تكشفوا وظهروا . النجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض . الضحى : حين تشرق الشمس ويمتد النهار . الوهاد : جمع وهدة وهى الأرض المنخفضة . الدجى : جمع دجية وهى الظلمة .

وَقَفْتُ أُزَوِّدُ النظَرَاتِ مِنْهُمْ ... وَأُصْغِي لِلنَّوَادِبِ مِنْ وَرَائِي [10]

فَلَمْ أَرَ إِذْ نَظَرْتُ سِوَى جَلالٍ ... يَهُولُ وَمَا لَمَسْتُ سِوَى هَبَاءِ [11]

وَنَادَيْتُ الصِّحَابَ فَبَحَّ صَوْتِي ... وَعَادَ إِلَيَّ مَكْدُودًا نِدَائِي [12]

تُفَرِّقُنَا الْحَيَاةُ فَإِنْ أَرَدْنَا ... لِقَاءً لَمْ نَجِدْ غَيْرَ الْفَنَاءِ [13]

طَرِيقٌ عُبِّدَتْ مِنْ قَبْلِ نُوحٍ ... ولم تُلْقَ التَّمَائِمُ عَنْ ذُكَاءِ [14]

بِهَا الأَضْدَادُ تُجْمَعُ فِي صَعِيدٍ ... وَفِيهَا يَلْتَقِي دَانٍ بِنَاءِ [15]

إِذَا لَبِسَ الرَّبِيعَ شَبَابُ قَوْمٍ ... فَأَسْرَعُ مَا يُفَاجَأُ بِالشِّتَاءِ [16]

وَكُلُّ نَضِيرَةٍ فَإِلَى ذُبُولٍ ... وَكُلُّ مُضِيئَةٍ فَإِلَى انْطِفَاءِ [17]

وَهَلْ تَهْوِي ثِمَارُ الرَّوْضِ إِلاَّ ... إِذَا أَدْرَكْنَ غَايَاتِ النَّمَاءِ [18]

* * *

أَيَا «دَاوُدُ» وَالذِّكْرَى بَقَاءٌ ... ظَفِرْتَ بِكُلِّ أَسْبَابِ الْبَقَاءِ [19]

نَعَاكَ لِيَ النُّعَاةُ فَقُلْتُ مَيْنٌ ... وَكَمْ يَأْسٍ تَشَبَّثَ بِالرَّجَاءِ [20]

نُمَارِي كُلَّمَا فَدَحَتْ خُطُوبٌ ... فَتَرْتَاحُ النُّفُوسُ إِلَى الْمِرَاءِ [21]

مَلَكْتَ يَرَاعَةً وَمَلَكْتَ قَلْبًا ... فَكَانَا سُلَّمَيْنِ إِلَى الْعَلاءِ [22]

شَبَاةٌ شَقَّهَا الْبَارِي فَشَقَّتْ ... طَرِيقًا لِلْمَجَادَةِ والسراءِ [23]

إِذَا ما أُشْرِعَتْ فِي الْخَطِّ مَالَتْ ... رِماحُ الْخَطِّ مِيلَةَ الازْدِهَاءِ [24]

---

(١٤) عبدت : ذللت ومهدت . التمائم : جمع تميمة وهي عوذة أو خرزة تعلق على المولود ، ذكاء : الشمس .

(١٥) الأضداد : المختلفون . الصعيد : وجه الأرض ، الداني : القريب . النائي : البعيد .

(٢١) ماراه يماريه مراء : جادله وطعن في قوله تزييفا للقول . فدحت . بهظت وثقلت واشتدت .

(٢٢) اليراعة : القصبة ، والمراد بها القلم وهذا كناية عن أنه كاتب أديب بارع .

(٢٣) الشباة : حد كل شيء والمراد بها هنا طرف القلم وسنه أي موضع البرى منه ، وسن القلم مشقوقة عادة . والبارئ ، الخالق عز وجل اسم فاعل من براه الله من باب عدا أو من برأه من باب قطع ، وقد تكون من البرىء مصدر برى القلم من باب رمى ففي هذه الكلمة تورية . المجادة : الشرف والكرم مصدر مجد ككرم . السراء : المروءة والشرف .

(٢٤) أشرعت : أميلت للكتابة من أشرعت الرماح أي سددت عند إرادة الطعن . والخط الأولى معناها الكتابة . والخط الثانية مرفأ للسفن بالبحرين على خليج فارس شرقي جزيرة العرب تنسب إليه الرماح لأنها تباع فيه . الأزدهاء : التيه والفخر .

وَإنْ هِيَ جُـرِّدَتْ لـمِضَاءِ عَزْمٍ ... تَوَارَى السَّيْفُ مِنَ هَوْلِ الْمَضَاءِ(٢٥)
وَإنْ هِيَ لاَمَسَتْ يَـدَهُ أَضَـاءَتْ ... فَهَلْ أَبْصَرْتَ فِعْلَ الْكَهْرَبَاءِ(٢٦)
كَـأَنَّ لُـعَـابَـهَا قِطَعُ اللَّيَالِي ... تَنَفَّسُ عن تَبَاشِيرِ الضِّيَاءِ(٢٧)
كَأَنَّ النِّقْسَ فَوْقَ الطِّرْسَ غَيْثٌ ... أَعَارَ الأَرْضَ ثَوْبًا مِنْ رُوَاءِ(٢٨)
بَيَانُكَ وَاضِحُ الْقَسَمَاتِ صَافٍ ... يَكَادُ يُشِعُّ مِنْ فَرْطِ الصفَاءِ(٢٩)
يَكَادُ يَسِيلُ فِي الْقِرْطَاسِ لُطْفاً ... فَتَحْبِسُهُ عَلاَمَةُ الانْتِهَاءِ(٣٠)
بَيَانٌ لَوْ صَدَعْتَ بِهِ اللَّيَالِي ... رَأَيْتَ الصبْحَ مِنْهَا فِي الْعِشَاءِ(٣١)
لَـهُ نُورٌ يَـكَـادُ يَسِيـرُ فِيـهِ ... «رَهِينُ المَحْبِسَيْنِ» بِلاَ عَنَاءِ(٣٢)
لَـهُ الـنَّـبَرَاتُ نَـدْعُوهَا غِنَاءً ... فَتَأْبَى أَنْ تُعَدَّ مِنَ الْغِنَاءِ(٣٣)
سُلاَفٌ تَنْـتَـهِـلُ الأَرْوَاحُ مِـنْـهُ ... وَتَحْمِلُهُ السُّقَاةُ بِلاَ إِنَاءِ(٣٤)
وَرَوْضَاتٌ حَلَتْ فِي كُلِّ عَيْنٍ ... وَأَغْرَتْ بِالأَزَاهِرِ كُلَّ رَائِي(٣٥)
طَلَبْنَ إِلَى الْغَمَامِ كِسَاءَ حُسْنٍ ... فَكَلَّفَ قَطْرَهُ وَشْيَ الْكِسَاءِ(٣٦)
تُرِيكَ عَجَائِبَ الأَلْوَانِ شَتَّى ... كَمَا عَكَسَتْ أَشِعَّتَهَا الْمَرَائِي(٣٧)
أَوِ الْعَذْرَاءَ حِينَ رَأَتْ غَرِيباً ... فَلَثَّمَتِ الْمَلاَحَةَ بِالْحَيَاءِ(٣٨)

* * *

(٢٧) كنى بلعاب الشباة أو البراعة عن المداد وهو الحبر الذى يكتب به . القطع : ظلمة آخر الليل . وتنفس أصلها تتنفس أى تتبلج وتشرق ، تباشير الصباح : أوائله .

(٢٨) النقس : المداد الذى يكتب به . الطرس : الصحيفة . الغيث : المطر . أعار : أعطى على سبيل العارية وهى الثوب ونحوه يستعيره الإنسان من غيره على أن يرده . الرواء : حسن المنظر .

(٣٠) القرطاس مثلثة القاف : ورق الكتابة .

(٣١) صدعه كمنعه : شقّه .

(٣٢) رهين المحبسين : هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى التنوخى الشاعر الفيلسوف الزاهد ، كف بصره وهو فى الثالثة من عمره فقضى أكثر حياته مقيما فى منزله ، وسمى نفسه رهين المحبسين : محبس العمى ومحبس المنزل .

(٣٤) السلاف : الخمر .

(٣٧) المرائى : جمع مرآة .

بَنِى لُبْنَانَ خَطْبُكُمْ جَلِيلٌ ... دَعُونا نَقْتَسِمْهُ عَلَى السوَاءِ(٣٩)

مَضَى شَيْخُ الصحَافَةِ أَرْيَحِيًّا ... مُبِيدُ الْوَفْرِ جَمَّاعَ الثنَاءِ(٤٠)

خلاَلٌ كُلُّهَا أَنْفَاسُ رَوْضٍ ... وَنَفْسٌ كُلُّهَا قَطَرَاتُ مَاءِ(٤١)

نُعَزِّى فِيهِ لُبْنَانًا وَنَبْكِى ... فَمَنْ أَوْلَى وَأَجْدَرُ بِالْعَزَاءِ؟(٤٢)

مُصَابُكُمُ ـ وَقَدْ أَدْمَى ـ مُصَابِى ... وَرُزْءُ الْعَبْقَرِيَّةِ وَالذكَاءِ(٤٣)

لَهُ اهْتَزَّتْ بَوَاسِقُ نَخْلِ مِصْرٍ ... وَهَالَ الأَرْزَ إِرْجَافُ الْفَضَاءِ(٤٤)

بَنِى الْقُطْرِ الشَقِيقِ لَنَا صِلاَتٌ ... كَرِيمَاتٌ عُقِدْنَ عَلَى الْوَفَاءِ(٤٥)

بَنُو أَعْمَامِنَا أَنْتُمْ وَفِيكُمْ ... حِفَاظٌ لِلْمَوَدَّةِ وَالإِخَاءِ(٤٦)

وَفِى الْفُصْحَى لَنَا نَسَبٌ كَرِيمٌ ... كَقُرْصِ الشمْسِ شَمَّاخُ السنَاءِ(٤٧)

أَعَدْنَاهَا نِزَارِيةً عَرُوباً ... لَهَا حُسْنُ الْتفاتِ وانْثِناءِ(٤٨)

إِذَا خَطَرَتْ بِنَادِى الْقَوْمِ حَلُّوا ... مِنَ الإِكْبَارِ مَعْقُودَ الْحُبَاءِ(٤٩)

تَجَاوَزْنَا بِهَا أَطْلاَلَ سُعْدَى ... وَبَدَّلْنَا الْمَقَاصِرَ بِالْخِبَاءِ(٥٠)

وَجِئْنَا بِالْعُجَابِ يُخَالُ سِحْرًا ... وَكُلُّ السحْرِ مِنْ أَلِفٍ وَبَاءِ(٥١)

وَكَانَتْ قَبْلَ نَهْضَتِنَا نُحَاسًا ... وَكُنَّا سَادَةً فِى الْكِيمِيَاءِ(٥٢)

---

(٤٠) أريحىّ : واسع الخلق يرتاح للندى . مبيد : مهلك مضيع . الوفر : المال الكثير .

(٤٤) بواسق : جمع باسقة أى طويلة مرتفعة . هال : أخاف وأفزع . والأرز شجر الصنوبر الذى يمتاز لبنان به كما تمتاز مصر بكثرة نخيلها . والارجاف مصدر أرجفت الأرض أى زلزلت .

(٤٧) شماخ : عظيم الارتفاع وهى صيغة مبالغة من شمخ الجبل ونحوه أى علا وارتفع . السناء : الرفعة .

(٤٨) نزارية : بتخفيف ياء النسب لضرورة الشعر نسبة إلى نزار بن معد بن عدنان جد العرب المستعربة وجد القبائل العدنانية وفيها كان الشعر والفصاحة . العروب : المرأة الضحاكة المتحببة إلى زوجها .

(٤٩) حل معقود الحباء كناية عن القيام .

(٥٠) سعدى : علم على بعض النساء اللاتى تغزل بهن بعض شعراء الجاهلية ووقفوا بآثارهن وبكوا أطلالهن .
المقاصر : جمع مقصورة وهى الدار الواسعة المحصنة ، الخباء : بيت صغير يكون من وبر أو صوف ويرفع على عمودين أو ثلاثة .

(٥٢) يقول : إن اللغة العربية كانت قبل نهضتنا الحاضرة فى قيمة النحاس لكثرة ما اعتورها من عوامل الضعف والتأخر ، وكنا نحن سادة فائقين فى علم الكيمياء فجعلنا منها معدنًا غاليًا ثمينًا . يشير بذلك إلى ما كان يعتقده المتقدمون من إمكانهم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب بالكيمياء .

قَضَى «دَاوُدُ» فَـالْأَقْلَامُ حسْـرَى ... نَوَاكِسُ خَـاشِعَـاتٌ لِـلْقَضَـاءِ[٥٣]

هِيَ الْأَيَّـامُ تَـهْـدِمُ مـا بَـنَـتْـهُ ... فَمَاذَا يَـبْـتَـغِـينَ مِنَ الْبِنَاءِ؟[٥٤]

حَـيَـاةُ الْـمَرْءِ فِي الدنْيَا هَبَاءٌ ... وَآمَـالُ الْـمُـؤَمِّـلِ مِنْ هَوَاءِ[٥٥]

وَمَـا لِلْجَازِعِينَ سِوَى اصْطِبَارٍ ... وَمَا لِلسَّاخِطِينَ سِوى الرِّضَاءِ[٥٦]

لبنان الثائر

نظم الشاعر هذه القصيدة عندما ثار لبنان ثورته الوطنية فى أواخر عام ١٩٤٣ م ، ففاز بانتخاب نوابه ، وكان الشاعر ينوى زيارة بيروت فى ذلك الحين :

هَـاجَ شوْقَ الوالِـهِ الـمُضـطرِبِ ... حُـلُـمٌ شَقَّ ظَلامَ الـحُـجُبِ [١]

جـرَّدَ الـلـيـلُ عليـه غَيْهباً ... فـتخطّى عقبـاتِ الغَيْهبِ [٢]

زارنى والـلـيـلُ فى غَـفْوتِـه ... يَـتَـمـطّى عن دِثـارِ السُّحُبِ [٣]

طـائفٌ إنْ رُمـتَـه لم تـلْـقَـه ... وهو من جفنيكَ بين الهُدُبِ ! [٤]

بـارعُ الـريشـةِ حتّى لَـتَـرَى ... غـائبَ الشـخصِ كأنْ لم يَغِبِ [٥]

بسَماتُ الـــروضِ من ألوانِــه ... وسَـنـا الـكـأسِ ودُرُّ الـحَبَبِ [٦]

فى يـديـه مِـجْـهَرٌ من عَـجَبٍ ... تُـفْـتَـحُ العينُ بـه عـن عَجَبِ [٧]

قلتُ : هذِى جنَّةٌ ؟ أم ما أرَى ؟ ... أم تهاويـلُ خـيـالٍ كَـذِبِ ؟ [٨]

أم أنا غيْـرِى ؟ وإلّا مَنْ أنا ؟ ... أم هو السحْرُ غدا يلعَبُ بى ؟ [٩]

---

(١) هاج : أثار . الحجب : الأستار .

(٢) غيهبا : ظلمة .

(٣) غفوته : نومه . يتمطى : يتثاءب . دثار : غطاء .

(٤) طائف : ما يجول بالخاطر أثناء النوم . رمته : أردته . الهدب : رموش العين .

(٥) بارع الريشة : ماهر فى الرسم والتصوير .

(٦) سنا الكأس : ضوء الكأس . در الحبب : ما يطفو فوق الماء من فقاقيع التى تشبه الدر .

(٧) مجهر : منظار مكبّر .

ما الذى يبدو لعينى سامقاً ... يتحلّى سَبَحاتِ الكوكب؟[10]

أرضُه مِسْكٌ، وفى تُربتِه ... ينبُتُ الفنُّ مكانَ العُشُب[11]

وإذا شادٍ يُغنّى مَرِحٌ ... لؤلؤىُّ الصوتِ، حُلْوُ المذهب[12]

صاح: ذا لُبْنانُ فانزِلْ سفْحَه ... قلت: مالى غيرَه من أرَبِ[13]

هو عِرّيسٌ لآسادِ الحِمَى ... وكِناسٌ لظِباءِ الربْرَب[14]

قد تمنّاه الهَوى من بُعُدٍ ... كيف لو أبصرَه عن كَثَبِ؟![15]

الأزاهيرُ به من قُبَلٍ ... والينابيعُ رَحيقُ العِنب[16]

وقدودُ الهيفِ فى رَوْضاتِه ... قُضُبٌ تمْرَحُ بين القُضُب[17]

جُمِعتْ لَيْلاتُه من دَعَجٍ ... وسَنا إصباحِه من لُبَب[18]

وسجايا أهلِه أنسامُه ... كم نَعِمْنا بِشذاها الطيّب![19]

كتَبَ المجدُ لهم تاريخَهم ... فى جبينِ الدهرِ لا فى الكُتُب[20]

كلُّ شهمٍ أرْيَحِىّ أغْلَبٍ ... من كريمٍ أريحِىّ أغْلَب[21]

بين عدنانَ وغسّانَ لهم ... نسَبٌ يرفَعُ شأوَ النسب[22]

نصبوا فى كلِّ أرضٍ رايَهم ... ما دَرَوْا فى المجد معنى النصَبِ[23].

وأذلّوا الصعبَ فى رِحلاتِهم ... أىُّ صعبٍ عندهم لم يُرْكَب؟[24]

وطَوَوْا شرقاً بشرقٍ، وجرَى ... سيلُهم يزحَمُ شطَّ المغرب[25]

---

(10) سبحات الكوكب: حيث تسبح الكواكب.

(11) مسك: طيب.

(12) حلو المذهب: جميل اللحن والطريقة.

(13) أرب: مقصد.

(14) عريس: غيل الأسد. كناس: بيت الظبى. ظباء الربرب: ظبى القطيع.

(17) قضب: أغصان.

(18) دعج: سواد العين وسعتها. سنا اصباحه: نور صباحه واشراقه. لبب: خالص الشىء.

(22) عدنان وغسان: أصل قبائل العرب. شأو: السبق والغاية.

(23) النصب: التعب.

(25) شط المغرب: دول الغرب (المهجر) التى هاجروا إليها.

ينزَحُ النازحُ ما في رَحْلِه   غيرُ إقدامٍ وعزمٍ ذَرِبِ[٢٦]
ورَجاءٍ برجاءٍ يلتقي   وكِفاحٍ للقاءِ النُّوَبِ[٢٧]
رأسُ مالِ المرءِ ما في رأسِه   من ذكاءٍ، لا حُطامُ النَّشبِ[٢٨]
ملكوا الدنيا فلما جَمَحتْ   ملكوها برفيعِ الأدبِ[٢٩]
ليس للسيفِ على حدَّته   صَوْلَةُ الشعرِ، ووَخزُ الخُطَبِ[٣٠]
هذَّبوا الفُصْحَى ولمُّوا شَمْلَها   بعد أن كانت صَدًى في سَبْسَبِ[٣١]
جمَّعوها حُلْوةَ الجَرْسِ كما   تجمَعُ النحلةُ حُلوَ الضَّرَبِ[٣٢]
أنتَ يا لُبنانُ عَزْمٌ ونُهىً   لستَ من صخرٍ ولا من حَصَبِ![٣٣]
كلَّما أطلعتَ ليلاً شَفَقًا   مُوِّهتْ صفحتُه بالذهبِ[٣٤]
ظنَّتِ الغيدُ وما أجرأها!   أنَّه من خدِّها المختضِبِ[٣٥]
سِحْرُ شِعْرٍ، ومَجالي فِتنةٍ   وعيونٌ أُغْرِمتْ باللعبِ[٣٦]
وابتسامٌ فيه أشراكُ الهوَى   وحديثٌ فيه عُذْرُ المذنبِ[٣٧]
أين قلبي؟ غصبوه، فاسألوا   «جارةَ الوادي» عن المغتصبِ[٣٨]
واشفعوا لي، واحذروا غضْبتَها   آهِ من صَوْلةِ هذا الغضبِ![٣٩]
ثم قولوا: مُسْتَهامٌ وَصِبٌ   وَيْلَتا للمستهامِ الوَصِبِ[٤٠]

---

(٢٦) رحله: متاعه. ذرب: حاد ماض.
(٢٧) النوب: الشدائد والكوارث.
(٢٨) النشب: المال والعقار.
(٢٩) جمحت: شردت وبعدت كالحصان الجامح.
(٣٠) حدته: مضاءه. وخز: طعن.
(٣١) سبسب: الفلاة ـ الصحراء.
(٣٢) الضَّرب: العسل.
(٣٣) حصب: الحصو الصغير.
(٣٤) شفقا: حمرة الشمس في أول الليل. موهت: طليت. صفحته: جوانبه.
(٣٥) المختضب: الملون بلون الخضاب.
(٣٧) أشراك: مصايد.
(٣٨) جارة الوادي: هو وادي البقاع بلبنان ولشوقي قصيدة رائعة يناجي فيها جارة هذا الوادي.
(٤٠) مستهام: هائم. وصب: دائم.

طـائـرٌ غـرّدَ فى دَوْحـتـكـم | علّم الأطيـارَ معنى الطرب[٤١]
طار من مصـرَ يُـحيِّى أمّـةً | تُوّجَتْ بـالمجدِ هـامَ الْحِقَب[٤٢]
قـاهـرىٌّ أخـجـلتْ ألحانُـه | رنّـة العُودِ ، وشَدْوَ القَصَب[٤٣]
خُـلِـقَتْ أوتـارُه قُـدْسِيّـةً | من حَنَانِ الحبِّ ، لا من عَصَب[٤٤]
فـارحمى مُغتـرِباً ليس اسمُه | فى رُبـا لُبنـانَ بالمغتـرب[٤٥]
جاء يبغى الْحُبَّ لا الْحَبَّ فهل | جاوز المسكينُ حدَّ الطلب ؟[٤٦]
فـنصبتِ الفخَّ خدّاعَ المُنّى | خَشِنَ الكفِّ ، حديدَ المِخْلب[٤٧]
وأتى هَـيْمانَ يشـدو واثبـاً | ليتـه فى يومـه لم يثب ![٤٨]
فـارتَمى بين جَـنـاحٍ هـائضٍ | وَجنـاحٍ خـافقٍ مضطرب[٤٩]
واجبَ القـلبِ ، ولولا نظرةٌ | عـرضتْ لا هـيـبةً لم يَجِب[٥٠]
اطـلـقـيـه وابـعثى آمـالَـه | وثوابَ اللهِ فـيـه احـتسبى[٥١]
هـل على الهاتفِ بـالحسن إذا | ما شدا من حَرَجٍ أو عَتَب ؟[٥٢]
قـد بـراه السُّقْمُ إلاّ فَضْلَةً | من فؤادٍ حـائـرٍ مـلتهب[٥٣]

* * *

كـم هفا القلبُ للبُنان وكم | عاقه صَرْفُ الزمانِ القُلّب ![٥٤]
أصبح الحكمُ بـه فى نُخْبةٍ | من بنيـه الكرماء النُّجُب[٥٥]

---

(٤٢) هام : قمة . الحقب : السنون .
(٤٣) قاهرى : نسبة إلى القاهرة والشاعر يقصد نفسه . القصب : المقصود المزمار .
(٤٤) قدسية : طاهرة . عصب : الأعصاب بالجسم .
(٤٥) ربا : أعالى .
(٤٦) لا الحب : الحبوب .
(٤٧) المخلب : الظفر .
(٤٩) هائض : مكسور .
(٥٠) واجب القلب : خافق القلب .
(٥١) احتسبى : اكتفى .
(٥٣) براه : أضناه . السقم : المرض . فضلة : بقية . فؤاد . قلب .
(٥٥) نخبة : جماعة منتخبة . النجب : نجباء أشراف .

كـلُّـهـم حـرٌّ أبيٌّ يـنـتـمى   فى ذُرا المجدِ إلى حـرٍّ أبى[٥٦]

وهـبـوا الـروحَ لـلُبـنـان فِـدىً   وضَـنـينٌ كـلُّ مَنْ لم يَـهَب[٥٧]

خُـلُقٌ مـثـلُ أزاهـيـرِ الـرُّبـا   ضـحِـكت للعارضِ المنسكب[٥٨]

وسـيـاسـاتٌ ورأىٌ سـاطـعٌ   يضَـعُ الحقَّ مـكـانَ الـرِيَب[٥٩]

قـادهـم خـيـرُ رئـيسٍ لـلـعُلا   شـمرىٌّ العزم عالى الحَسَب[٦٠]

عـاشَ لُـبـنـان وعـاشتْ رايـةٌ   لـلـكرامِ العُربِ فوقَ الشُّهُبِ[٦١]

---

(٥٦) أبى : لا يقبل الضيم . ذرا : علا .

(٥٧) ضنين : بخيل .

(٥٨) العارض المنسكب : السحاب الممطر .

(٥٩) الريب : الشك .

ذِكـرى الغَـرْب

بعض ذكريات الشاعر بعد عودته من أوربا سنة ١٩١٢ م .

يا دارَ فاتِنَتى حُيِّيتِ مِنْ دَارِ ! ... سَيَّرْتُ فيكِ وفى مَنْ فِيكِ أَشْعَارى [١]

رَحلتُ عَنْها وللأَشْجانِ ما ترَكَتْ ... فى العَيْنِ والقلبِ من ماءٍ ومِنْ نار [٢]

كانتْ مَجَالَ صَباباتٍ لَهَوْتُ بها ... ومُسْتَراضَ لُبُاناتٍ وأَوْطارِ [٣]

أسائِلُ الطَيْرَ عَنها لو تُنَبِّئنى ... أو تَنْقُلُ الطَيْرُ عنها بَعْضَ أَخْبار ! [٤]

يَنْسَى بهَا كلُّ نائى الدَارِ مَوْطِنَهُ ... وما تَجشَّمَ مِنْ بَيْنٍ وأَسْفَار [٥]

يَلْقَى بها أينما أَلْقَى عَصَاه بِها ... أَهلاً بأَهْلٍ ، وأَصْهارًا بأَصْهار [٦]

وفِتْيةً كرِماحِ الخطِّ إنْ خَطَرُوا ... فَدَيْتَ بالنَّفسِ منهم كلَّ خَطَّار [٧]

بِيضَ الوُجُوهِ مَسامِيحَ الأَكُفِّ مَنا ... جِيدَ الصَّرِيخِ سَرَاةً غيرَ أَغْرار [٨]

لا يَنزِلِ الضَّيفُ صُبْحًا عُقْرَ دارِهمُ ... إلّا ويُمْسِى عِشاءً صاحِبَ الدار [٩]

قد آمنُوا بإِلَهِ الحُبِّ وارْتَقَبُوا ... آياتِهِ بَيْنَ إجْلالٍ وإكْبار [١٠]

---

(٣) المستراض : المكان الفسيح الطيب . اللبانة : الحاجة مع علو الهمة . الوطر : المطلب والمأرب .

(٥) البين : البعد والفرقة .

(٧) رماح الخط نسبة إلى مرفأ السفن بالبحرين لأنه مبيعها لا منبتها ، وشبههم بالرماح فى فرعهم واعتدال أجسامهم وللدونتها .

(٨) مناجيد الصريخ : أى يسرعون إلى المستغيث بالنجدة والاغاثة . السراة : السادة الأشراف . الاغرار : من لا تجربة لهم بالأمور ، الواحد غر (بالكسر) .

(١٠) تخيل قدماء اليونان آلهة كثيرة منها إله للحب سموه «كيوبد» وصوروه طفلا أعمى عريان فى يديه قوس ونبال يرمى بها عن غير قصد وهذا مصداق لقول العرب : الحب يرمى ويصم .

وصوَّرُوهُ فَتًى أعْمَى إذا رَشَقَتْ ... يَدَاهُ بالنَّبْلِ أصْمَى كُلَّ جبَّار[11]

عُرْيانَ إنْ مَسَّهُ بَرْدُ الشتاء فما ... له سِوَى زَفَراتِ الوَجْدِ منْ نار[12]

يَغْشَى الفَتاةَ ولَمْ تَرْقُبْ زيارَتَهُ ... وخِدْرُها بَيْنَ أغْلاقٍ وأسْتار[13]

فَطَرْفُها خاشِعٌ من بَعْدِ زَوْرَتِهِ ... وقَلْبُها نَهْبُ أوْهامٍ وأفْكارِ[14]

تَشْكُو إلَى أمِّها ضَيْقًا ألمَّ بِها ... والأمُّ إنْ تَسْتَطِعْ باحَتْ بأسْرارِ[15]

ويصْرَعُ الفارِسَ المِغْوارَ إن لَعِبَتْ ... كَفَّاهُ بالسَّيْفِ أرْدَى كلَّ مِغْوارِ[16]

فلا تَراهُ سِوَى شاكٍ لِسَاجِعَةٍ ... أو نادِبٍ إثْرَ أطْلالٍ وآثارِ[17]

ويَطْرُقُ الشَّيْخَ فى المِحْرابِ قَدْ فَنِيَتْ ... عِظامُهُ ، وَبَرَتْهُ خَشْيَةُ البَارى[18]

فلم تكُنْ لَمْحَةٌ إلاَّ لِيَفْتِلَهُ ... من الصَّلاةِ ومن تَرْتيلِ أذْكارِ[19]

* * *

يبرُزْنَ فى اللَّيْلِ مِثْلَ الشُّهْبِ ساطِعَةً ... ما بَيْنَ سَيَّارَةٍ تَجْرِى لِسَيَّار[20]

مِنْ كلِّ خَمْصَانَةِ الكَشْحَيْنِ ناصِعَةٍ ... كأنَّها دُرَّةٌ فى جَوْفِ زخَّار[21]

تَسْعَى إلى أغْيَدٍ ماطِرٍّ شَارِبُهُ ... كأنَّما صَفْحَتَاهُ وجْهُ دِينار[22]

* * *

أرضٌ كأنَّ إلَهَ الأرْضِ أوْدَعَها ... بَدائِعَ الحُسْنِ مِنْ عُونٍ وأبْكار[23]

---

(١١) رشقه بالنبل : رماه به . أصماه : رماه فقتله مكانه . الجبار : العاتى .

(١٤) الطرف : البصر . خاشع : متكسر مطرق .

(١٧) الساجعة : المغردة من الطير .

(١٩) يفتله : يصرفه . ترتيل الأذكار : إجادة تلاوتها .

(٢٠) الشهب : الكواكب . الساطعة : اللامعة المتألقة . السيارة والسيار : من أوصاف الكواكب وهى التى تجرى فى مداراتها . ولما جعلهم شهبًا جعل مسيرهم ليلا كجرى النجوم فى أفلاكها .

(٢١) خمصانة الكشحين : أى ضامرة الخصر دقيقته . الكشح : هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفية . الزخار : البحر إذا طما وامتلأ .

(٢٢) الأغيد : الغلام مالت عنقه ولانت أعطافه . وماطر شاربه ، أى ما ظهر . ويريد بصفحتيه : خديه .

(٢٣) العون : جمع عوان ، وهى من النساء : النصف ، لا بكر ولا مسنّة ، الأبكار : جمع بكر . وهى العذراء .

أَلْقَوْا خُدُودَ العَذَارَى فى حَدَائِقِها   ولَـقَّـبُوهـا بـأَثْـمَـارٍ وأَزْهـار[٢٤]

وجـرَّدُوا كُـلَّ حُسْنٍ مـن قَلائِـدِه   فَصِرْنَ حَصْباءَ فى سَلْسَالِها الجَارى[٢٥]

لَوْ كانَ فى عُنْصُرِى صَلْصالُ طِينَتِها   ما راعَنِى الدّهْرُ فى يومٍ بأَكْدَار[٢٦]

أَوْ كُنْتُ أظْفَرُ فِى الأخْرَى بِجَنَّتِها   غَسَلْتُ بالدمْعِ آثامى وأَوْزارى[٢٧]

---

(٢٥) القلائد : الحلى تجعل فى العنق ، الواحدة : قلادة . سلسالها الجارى : مياه أنهارها المنسابة .

(٢٦) راعه : أفزعه ونغص عليه .

شروق كوكب

ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بميلاد الملك فاروق آخر ملوك مصر فى سنة ١٩٣٤ م حينما كان ولياً للعهد .

لله يومٌ جَرَى باليُمْن طائرُه ... ورُدِّدت فى فَمِ الدُّنيا بَشَائرُه (١)

يومٌ تحلّى بِحُسْن الوَعْدِ أوّلُه ... كما تَلألأ بالإنْجازِ آخِرُه (٢)

ترقَّبَتْ مصرُ فيه الصُّبْحَ مبتسمًا ... يلُوحُ بالخَيْر والإسعادِ سَافِرُه (٣)

يومٌ أعادَ إلى الأيّام نَضْرَتَها ... كما أعادَ جَمالَ الرّوْض ماطِرُه (٤)

يوم تجلَّى به الفاروقُ مُؤْتَلِقًا ... كالبَدْر يجتذب الأبصارَ باهِرُه (٥)

بدَا فكبَّرتِ الدنيا لِمَوْلِدِه ... واستبشَر الدِّينُ واهتزّتْ مَنَابرُه (٦)

سُلَالةُ الشَّرَفِ العالى وصفْوتُه ... ونُخْبَةُ الجَوْهَر الصّافِى ونَادِرُه (٧)

زينُ الشّبابِ لهُم من هَدْيه قَبسٌ ... ماضلَّ فيه طريقَ المَجْد عابِرُه (٨)

أقامَ فى كلِّ قلْبٍ فَهْوَ حَبَّتُهُ ... وحَلَّ فى كُلِّ طَرْفٍ فَهْوَ نَاظِرُه (٩)

رقَّتْ شَمَائلُهُ ، عزَّتْ أَوَائلُه ... لاحَتْ مَخَايلُه ، طابَتْ عَناصرُه (١٠)

---

(١) اليمن : البركة والخير . طائره : فأله . بشائره : خبره وبركته .

(٢) تلألأ : أنار وزهى . بالانجاز : قضاء الحاجة .

(٣) سافره : بدون حجاب .

(٨) قبس : استفادة والقبس نار أو علم .

(٩) حبته : سويداؤه وقيل ثمرته .

(١٠) شمائله : صفاته الحسنة . أوائله : المقصود آباؤه . مخايله : عظمته .

فَارُوقُ يا ابْنَ الأُلَى شادُوا بِهِمَّتِهِم ... مُلْكًا عَلَى الدَّهْرِ لا تَبْلَى مَفَاخِرُه [١١]

آثـارُهـم تـبـهَرُ الأيامَ جِدَّتُـها ... والنيلُ يَشْهَدُ ماضِيه وحاضِرُه [١٢]

راضوا الْجَمُوحَ فأعطاهُمْ مَقَادَتَه ... وذلَّلوا الصَّعْبَ حتى لآنَ نافِرُه [١٣]

يا ابْنَ ألمَلِيكِ الَّذِى عَمَّتْ فَوَاضِلُه ... وكـلَّلَتْ هَامَةَ الدُّنيـا مآثِرُه [١٤]

أحْيا لَنَا المجْدَ حتَّى عادَ دَارِسُه ... وأشْرَقَتْ فى رُبا الْوادِى أزاهِرُه [١٥]

جَرَتْ على ألْسُنِ الأيَّام مِدْحَتُه ... حتى تَوهَّمْتُ أنَّ الدَّهْرَ شاعِرُه [١٦]

الْـمـلْكُ فى ظِلِّه طابَتْ مَشارِعُه ... والدِّينُ فِىَ عَهْدِه قامَتْ شَعَائِرُه ! [١٧]

فانظر تجِدْ أملاً فى كلِّ ناحيةٍ ... العزمُ يمليه والْحُسْنَى تُؤازِرُه [١٨]

فاروقُ ، أنت لآمالِ الشباب حمًى ... وباعثُ المثلِ الأعلى وناشِرُه [١٩]

لما دُعيتَ أميرًا للصعيد زهت ... به القبائلُ ، وازدانت حواضرُه [٢٠]

وعـاده مجدُه الخالى يشـافِـهُـه ... وجاء تاريخُه الماضى يُسامِرُه [٢١]

لا زلتَ قـرَّةَ عينِ الملك تحرسُه ... عينُ المهيمنِ ، والدنيا تُظاهِرُه ! [٢٢]

ودام ملكُ فؤادٍ فى علاً وسنًا ... وعاش للنيل مولاه وناصِرُه ! [٢٣]

---

(١١) الألى : الملوك الأوائل .

(١٣) راضوا : روضوا واستأنسوا . الجموح : الشارد . مقادته : قيادته . لان : رق . نافره : بعيده .

(١٤) هامة : أعلا الشىء .

(١٥) دارسه : الذى يبحث عنه فيهتدى إليه .

(١٧) مشارعه : أموره .

(١٨) تؤازره : تسانده .

(٢٠) أميرا للصعيد : لقب لُقّب به الملك فاروق عندما كان وليًا للعهد .

(٢١) يشافهه : المشافهة هى المخاطبة . يسامره : يحادثة ليلا .

(٢٢) المهيمن : الله سبحانه وتعالى .

(٢٣) سنا : ضوء والمقصود هنا الشرف والرفعة .

مصـر تعـزى العـراق

أنشد الشاعر هذه القصيدة مندوبًا عن مصر فى حفل تأبين الملك غازى ملك العراق ، وكان الحفل يجمع قادة العرب وشعراء البلاد العربية سنة ١٩٣٩ م .

بكَيْنا النُّضارَ الْحُرَّ والحسَبَ الْعِدَّا — بكَيْنا ، فما أغنَى البكاءُ ولا أجدَى[١]

بكـيْـنَـا لـعـلَّ الـدمعَ يُطفِئُ حُرْقةً — من الشوقِ ، فازدادت بِتَذْرافِهِ وقْدا[٢]

حُشاشةُ نفسٍ صُوِّرتْ فى مدامعٍ — وجَذْوةُ نارٍ فى الْحَشا ، سُمِّيتْ وجدا[٣]

ولـوعـةُ مـكـلـوم الـفـؤادِ ، وسـادُه — يحِنُّ لـه قُـربًـا ، فـيـوُسِعُه صدّا[٤]

يُقلِّبُ طَرْفًا فى الظلامِ من الأسى — ويُرسلُ فى الآفاق أنفاسَه صهْدا[٥]

بكَيْنا ، وما تبكى الرجالُ ، وإنما — يعودُ الفتى للطبعِ إن لم يجد بُدّا[٦]

هو القَدَرُ الماضى ، إذا انساب سهمُه — فلن يستطيعَ العالَمون له ردّا[٧]

هـو الـدهرُ ، ما بضَّتْ بخيرٍ يمينُه — يُـجـمِّـعـنـا سـهـوًا ، وينثُرنا عمدا[٨]

يُجرِّدُ سيفًا فى الظلامِ من الردَى — ويخبِطُ لا يُبقى مليكًا ولا عبدا ![٩]

* * *

---

(١) النضار الحر : الذهب الخالص . العدا : القديم .

(٢) وقدا : اشتعالا .

(٣) حشاشة : بقية الروح . جذوة : شعلة . الحشا : البطن . وجدا : شوقا .

(٤) لوعة : حرقة . مكلوم الفؤاد : مجروح القلب .

(٥) صهدا : بها حرارة النار .

(٦) الطبع : السجية التى جبل عليها .

(٨) ما بضت : ما أتت . ينثرنا : يفرقنا .

مصابٌ أصاب الهاشميةَ سهمُه ... وهدٌّ من العلياء أركانَها هدًّا(١٠)
وغال شبابَ المُلكِ فى عُنْفُوانِه ... وأطفأ نُورَ الشمسِ واخترم المجدا(١١)
وطار بأحلامٍ ، وفرّق أنفسًا ... شَعاعًا ، ترَى نُورَ السبيل وما تُهْدَى(١٢)
حُشُودٌ على الآلامِ والحزن تلتقى ... يقاسمُ حَشْدٌ فى رَزِيئتِهِ حشدا(١٣)
ففى كلِّ قلبٍ مأتمٌ ومَناحةٌ ... وفى كلِّ دارٍ أنَّةٌ تصدَعُ الصلْدا(١٤)
وفى كلِّ أرض للعُروبةِ صيحةٌ ... إذا ردَّدتها أبكتِ التركَ والهندا(١٥)

* * *

فقدناه ريَّانَ الشبابِ تضوَّعت ... شمائلُه مِسكًا وآثارُه نَدًّا(١٦)
فقدناه والأحْداثُ تَغْشَى غُيُومُها ... وتنتظمُ الآفاق عابسةً رُبْدا(١٧)
فقدناه والآمالُ تومى بإصْبَعٍ ... إليه ، وتمتدُّ العُيونُ له مَدّا(١٨)
فقدناه أزهَى ما نكونُ بمثله ... وأعلَى به كعبًا . وأقوى به زَنْدا(١٩)
فقدناه سيفًا هاشمياًّ ، إذا سطت ... سيوفُ الليالى كان أرهفَها حدّا(٢٠)
حُسامٌ بكفِّ اللهِ كان صِيالُه ... فأصبحتِ الأرضُ الطهورُ له غِمدا(٢١)
ورُوحٌ سرَى السارون فى نورِ هَدْيه ... فلم يُخْطِئوا للمجدِ نَهْجًا ولا قصدا(٢٢)
أطلَّ عليهم من بعيدٍ فشمَّروا ... إلى قِمَّةِ الدنيا غَطارِفةً جُردا(٢٣)

---

(١٠) الهاشمية : الأسرة الهاشمية التى ينتمى إليها الملك غازى .
(١١) غال : اغتال وأمات . أخترم : استأصل .
(١٢) شعاعا : متفرقا كشعاع الضوء . نور السبيل : نور الطريق . وما تهدى : وما ترشد .
(١٣) رزيئته : مصيبته .
(١٤) مناحة : حزن وبكاء . أنة : أنين . تصدع : تشق . الصلدا : الصخر القوى .
(١٦) ريان الشباب : الريان ضد العطشان والمقصود هنا الشباب الكامل . تضوعت : انتشرت : ندّا : طيبا .
(١٧) تغشى : تغطى . غيومها : سحبها المظلمة . ربدا : مغبرّة .
(١٨) تومى : تشير إلى .
(١٩) أزهى : مفتخرين به . أعلى به كعبا : أعلى به شرفا ومجدا . زندا : قوة وبطشا .
(٢١) صياله : تحركه ووثوبه . غمدا : غمد السيف جرابه والمقصود مقرّا .
(٢٢) نهجا : طريقا . قصدا : مقصدا .
(٢٣) شمروا : استعدوا . غطارفة : جمع غطريف وهو السيد الكريم . والجرد : الخفاف السراع فى الأمور .

إذا بـعُـدت آمـالُـهـم فتردَّدوا ... دعاهم إلى الإقدام ، فاستقربوا البعدا [24]

يقودُهمُ « الغازى » إلى خير غايةٍ ... فأكرِمْ به مَلكًا ، وأكرِمْ بهم جُندا [25]

نسورٌ إذا طاروا لـيومٍ كـريهةٍ ... وإن بطشوا يوم الوغى بطشوا أُسْدا [26]

سَلِ السيفَ عنهم كيف صال بكفِّهم ... شُيوخًا لهم قلبُ الجلاميد أو مُرْدا [27]

كـأنَّ غـبارَ النصر فى لَهَواتِهم ... سُلافٌ من الفِرْدوسِ مازجتِ الشّهدا [28]

أولـئك أبـناءُ الفُتوح التى زها ... بها الدين ، واجتاح الممالكَ وامتدّا [29]

لهم فى سِجلِّ المجد أوّلُ صفحةٍ ... كفاتحةِ القرآنِ قد مُلِئت حمدا [30]

وَمن كتب النصرَ المبينَ بسيفِهِ ... على جَبْهةِ الدنيا ، فقد كتب الخُلْدا [31]

* * *

حمامــةَ وادى الـرافـدَيْنِ تـرفَّقى ... بعشتِ الجوىَ ، ما كان منه وَماجَدّا [32]

حنانَكِ ، إنّ الصبرَ من زينةِ الفتى ... إذا غاص فى ظلمائِه الأمرُ واشتدّا [33]

طرحنا رِداءَ اليأسِ عنَّا بَوَاسلاً ... وإنْ هزّنا يومُ العِراقِ وَإنْ أدّا [34]

حمامةَ وادى الرافدينِ ابعثى الهَوى ... حنينًا ، فما أحلى الحنينَ وَما أشْدَى [35]

ففى الـنـيل أرواحٌ ترفُّ خوافقٌ ... تقاسمُكِ التاريخَ والدينَ والوُدّا [36]

ظِـمـاءٌ إلى ماءٍ بدِجْلةَ سَلْسَلٍ ... تودُّ بنور العين لو رأتِ الوِردا [37]

إذا مسّتِ البأساءُ أذْيالَ دِجلةٍ ... قرأتَ الأسَى فى صفحةِ النيلِ وَالكَمْدا [38]

---

(27) الجلاميد : الصخر الأصم . مردا : صغار السن لم ينبت الشعر بعد فى وجوههم .

(28) سلاف : الخمر . الشهدا : العسل .

(30) فاتحة القرآن : فاتحة الكتاب سورة الفاتحة .

(32) الرافدين هما نهرا دجلة والفرات والمقصود العراق . الجوى : الحرقة وشدة الوجد .

(34) طرحنا : تركنا بعيدا ـ رمينا . بواسلا : شجعان . يوم العراق : يوم وفاة ملك العراق . أدا : أدّه الأمر ، دهاه وعظم عليه .

(36) النيل : كناية عن مصر .

(37) سلسل : عذب . الوردا : المنبع .

(38) أذيال : أطراف . الكمدا : الحزن المكتوم .

وَإن طُرِفَتْ عينٌ ببغدادَ من قذًى ... رأيتَ بمصرٍ أعينًا مُلِئتْ سُهدا[٣٩]

إخاءٌ على الفصحَى توثَّق عَقْدُه ... وشُدَّت على الايمانِ أطرافُه شدَّا[٤٠]

لنا فى صميمِ المجد خيرُ أبوّةٍ ... زُهينا بها أصلاً ، وتاهت بنا وُلْدَا[٤١]

* * *

مضَى الهاشمىُّ السَّمْحُ زَيْنُ شبابِه ... وأعرقُهم خالاً ، وَأَكرمُهم جدًّا[٤٢]

أطلّت شُموسُ الدينِ من حُجُراتِهم ... على الكون ، لا وهْدًا تركن وَلا نجدا[٤٣]

خططنا له لحداً فضاق بنفسِه ... وَإنّ له فى كل جانحةٍ لحدا[٤٤]

فتى تنبُتُ الآمالُ من غيثِ كفِّه ... فللّه ما أوْلَى ، وَللّه ما أسْدَى[٤٥]

* * *

أتينا إلى بغدادَ والقلبُ واجفٌ ... يهُزُّ جَناحًا لا يقَرُّ ولا يَهْدَا[٤٦]

تُطوِّحنا الصحراءُ ، ليس بعيدُها ... بدانٍ . وَلم نعرِف لآخِرها حدّا[٤٧]

كأنّ الرمالَ الْجاثماتِ بأرضِها ... جِمالٌ أناختْ لا تُساقُ ولا تُحدَى[٤٨]

عددنا بها الساعاتِ حتى تركتنا ... وقد سئِمتْ منها أصابعُنا عَدّا[٤٩]

أتينا نؤدِّى للعرُوبةِ حقَّها ... يسابقُ وَفْدٌ فى تلهُّفِه وَفدا[٥٠]

يُحمِّلنا النيلُ الوفىُّ تحيةً ... وَيُهدى من الآمالِ أكرمَ ما يُهدَى[٥١]

عزاءٌ . مضى «الغازى» كريمًا لربِّه ... فما أعظمَ الْجُلَّى ، وَما أقدحَ الفقدا[٥٢]

---

(٣٩) قذى : مرض بالعين . سهدا : سهرا .

(٤١) تاهت بنا : افتخرت بنا .

(٤٣) وهدا : المكان المنخفض . نجدا : ما ارتفع من الأرض .

(٤٤) لحدا : قبرا . جانحة : الأضلاع .

(٤٥) ما أولى : ما أنعم . ما اسدى : ما أعطى .

(٤٧) تطوحنا : تبعدنا . بدان : قريب .

(٤٨) أناخت : بركت . لا تحدى : لا يغنى لها لتساق أى لا تسير .

(٥٢) الجُلّىَ : الخطب والأمر الشديد .

عزاءً . ففينا فيصلٌ شِبْلُ فيصلٍ ... نرَى فى ثنايا وَجهِه الأسدَ الورْدا[٥٣]

لـه فى اسمه أوفَى اتصـالٍ بجدِّه ... فياحسنَه فألاً ، ويا صدقَه وعدا[٥٤]

بدا نجمُه فى الشرقِ يُمْنًا ورحمةً ... وأشرق فى الأيامِ طالعُه سعدا[٥٥]

عـهـدتم إلى «عبـد الإلـه» وإنـه ... لأكرمُ من يرعَى القرابةَ والعهدا[٥٦]

إذا رنتِ الآمـالُ كـان ثِمالَـهـا ... وإنْ حارتِ الآراءُ كان لها رُشْدا[٥٧]

سلامٌ على «الغازى» سلامٌ على الندى ... إذا ما بكَى من بعدِهِ التِّربَ والندَّا[٥٨]

---

(٥٣) فيصل : الملك فيصل ابن الملك غازى . الوردا : الجرئ الشجاع .

(٥٤) بجده : الأمير فيصل الكبير أبو الملك غازى . فألا : بشرى بالخير .

(٥٦) عبد الإله : الوصى على العرش وولى العهد وهو ابن عم فيصل الصغير ملك العراق .

(٥٧) ثمالها : غياثها وملجؤها .

(٥٨) الترب : الصديق ومن ولد معه . والندَّا : المثل والنظير .

صدى أنات حائرة

بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى الأستاذ عزيز أباظة عام ١٩٤٤ م حينما كان مديرًا للبحيرة عندما أهدى إليه « أنّات حائرة » وهى طائفة من الشعر الحزين فى رثاء زوجه :

رَحْمَتَا للجريحِ من أنّاتِهْ ... ولسَمْعِ الوسادِ من آهاتِهْ ! [١]

غَرَبَتْ شمسُه فقام يناجى ... ساهداتِ النجومِ فى لَيْلاتِه [٢]

إنّها بينهُنّ تسمَعُ نجْوَا ... هُ ، وتبكى لِبثّه وشكاتِه [٣]

أرسَلتْ من شعاعِها ذِكْرياتٍ ... هاجتِ الكامناتِ من ذِكْرَياته [٤]

ولها فى سمائِها خَفَقاتٌ ... أسرعتْ فى فؤادِه خَفَقاتِه [٥]

سَبَحَتْ فى عوالمِ النورِ « زَيْنٌ » ... أين منها الغريقُ فى ظُلُمَاته ؟ [٦]

كم يمُدُّ اليدَيْنِ أَسْوانَ مُضْنًى ... فيفِرُّ الشُّعاعُ من قَبَضاتِهْ ! [٧]

ويسوقُ الأشعارَ فى نَبَراتٍ ... ظنّها ابنُ الهَديلِ من نَبَراته [٨]

سَمِع الدَّوْحُ نوحَها عبْقَريًّا ... فتمنّى لو نُحْنَ فى عَذَباته [٩]

مُشْجِياتٌ يوَدُّ كلُّ ابنِ غصن ... أنّ أنغامَها جرتْ من لهاته [١٠]

---

(٢) ساهدات النجوم : النجوم الساهرة .

(٣) بثه : حزنه .

(٦) زين : اسم الفقيدة حرم الشاعر عزيز أباظة .

(٧) أسوان : حزين . الشعاع : ضوء الشمس .

(٨) ابن الهديل : الحمام الصغير المغنى بصوت حسن .

(٩) نحن : بكين بصوت حزين . عذباته : ما تتفوه به النائحات .

(١٠) مشجيات : مغنيات بصوت رخيم جميل . ابن غصن : نسبة إلى الطير . لهاته : اللهاة هى زائدة لحمية فى مؤخر سقف الحلق .

قلتَ شعرًا فلم يكنْ غيرَ بحرٍ ... من دُموعٍ طغا بتفعيلاتِه [١١]

وبعثتَ الشُّجونَ في كل صدرٍ ... وأثرتَ المَكْبُوتَ من زَفَراته [١٢]

فاقتسمنا لوعاتِ قلبكَ فانظرْ ... هل أفاق المسكينُ من لوْعاته ؟ [١٣]

إنّ ماءَ الدموعِ أطفأُ للوجْـ ... ـدِ ، وأشفى للصَّبِّ في خَلَواته [١٤]

فاسكُبِ الدمعَ وابعثِ الشعرَ واملأْ ... أُذُنَ الخافقَيْنِ من آياتِه [١٥]

كنتَ قيساً بكَى على قبرِ ليلا ... هُ ، وروَّى الضريحَ من عَبَراته [١٦]

بيَ جُرْحٌ مضى عليه زمانٌ ... حِرْتُ في أمره وأمرِ أُساته [١٧]

كلّما صاحَ نادبٌ هاجَ شكْوا ... هُ ، ومَسَّ الأليمَ من نَدَباته [١٨]

أنا أبكي لكلِّ باكٍ ونفسي ... حَسَراتٌ تذوبُ في حَسَراته [١٩]

بائعَ الصبرِ ، إن يكن عُشْرُ مثقا ... لٍ بأغلَى ما في الحياةِ فهاته ! [٢٠]

كلنا مسَّه من الدهر ظُفْرٌ ... آهِ من ظُفْره ومن فتكاته ! [٢١]

وَأَدَتْنا بناتُه برزايا ... ها ، ومَنْ ذا يستطيع وَأْدَ بَناته ؟ [٢٢]

فكرِهْنا حتى النعيمَ لأنا ... قد رأينا اجتماعَه لشتاته [٢٣]

لذّةُ المرْءِ من جَنَى أَلمِ المرْ ... ءِ ، وتأتي الآلامُ من لَذّاته ! [٢٤]

ما حَيَاةُ المُحبِّ بعدَ حبيبٍ ... قَبَسَ النورُ والهوى من حياته ؟ [٢٥]

حَسْبُه أنه إذا رامَ قُرْباً ... لم يجدْ للوصولِ غيرَ مَمَاته [٢٦]

عِشْ أبا واثقٍ لواثقِ البا ... كي ، وللثاكلاتِ من أَخَواته [٢٧]

---

(١٣) لوعات : حرقة .

(١٤) للصب : للمحب المشتاق . خلواته : انفراده .

(١٥) الخافقين : الليل والنهار . آياته : المقصود شعره .

(١٦) قيسا : المراد قيس بن الملوح صاحب ليلى العامرية .

(١٧) بي جرح : يشير إلى مصيبته بفقد ابنه البكر . أساته : أطباؤه .

(١٨) نادب : باك يندب الموتى . هاج : أثار . ندباته : آثار الجروح جمع ندبة .

(٢٢) وأدتنا : دفنتنا أحياء . بنات الدهر : مصائبه . برزاياها : بمصائبها .

(٢٣) لشتاته : لتفرقة . (٢٤) جنى : حصاد .

(٢٥) قبس : شعلة . (٢٦) رام : أراد .

(٢٧) واثق : هو محمد واثق أباظة نجل الشاعر عزيز أباظة . الثاكلات : اللاتي فقدن أمهن .

غزل شاعرين

قام الشاعر فى هذه القصيدة بتشطير قصيدة للشاعر إسماعيل صبرى فى عام ١٩٠١ م.

(يا لواء الحسنِ أحزابُ الهوى) أجّجوا فى الحبِّ نيرانَ الجفاء[1]

مذ رأوْا طَرفَكِ يبدو ناعسًا (أيقظوا الفتنةَ فى ظلِّ اللواء)[2]

(فرّقت أهواءهم ثاراتُهم) كلُّ حُبٍّ بين أشواك عِداء[3]

جمعوا بغضاءهم فافترقوا (فاجمعى الأمرَ وصونى الأبرياء)[4]

(إن هذا الحسنَ كالماء الذى) راق حتى كاد يخفيه الصفاء[5]

والرضابُ الحلوُ لو جدتِ به (فيه للأنفس ريٌّ وشفاء)[6]

(لا تذودى بعضنا عن وِردِهِ) كلُّنا يشكو الجوى والبُرَحاء[7]

فانظرى ، ليس الصدَى فى بعضنا (دون بعضٍ واعدلى بين الظماء)[8]

(وتجلّىْ واجعلى قومَ الهوى) للهوى فيك وللحسن فداء[9]

هم فداءٌ لك، لا، بل كلُّ مَن (تحت عرش الشمسِ فى الحكم سواء)[10]

---

(١) لواء : علم . أحزاب : أصحاب . أججوا : زادوا إشعالا .

(٢) طرفك : جفنك .

(٦) الرضاب : الريق . ريّ : ارتواء .

(٧) ورده : منهله . البرحاء : الحمى .

(٨) الصدى : العطش .

(٩) تجلى : اظهرى وانكشفى .

(أقبلي نستقبل الدنيا وما) يملأ الأعين حسنًا ورُوَاء[11]
أنت كالجنّة ضُمّنت الذي (ضُمّنته من معدّات الهناء)[12]
(واسفِرى تلك حُلّى ما خُلقت) لسوى لثم وضَمّ واجتلاء[13]
ما رأينا آيةَ الله أنت (لتُوارَى بلثام وخباء)[14]
(واخطِرى بينَ الندامَى يحلفوا) أنك الغصن ازدهارًا واستواء[15]
أخبرتهم نفحةٌ منكِ سَرَتْ (أن روضا راح فى النادى وجاء)[16]
(وانطقِى ينشُرْ إذا حدّثتنا) لفظُك العذبُ عن القلبِ العناء[17]
إنه الدرُّ، فهل يمنحنا (ناثرُ الدرِّ علينا ما نشاء؟)[18]
(وابسمِى من كان هذا ثغره) فتن الزهرَ أريجاً وبهاء[19]
فدعيه ينشر الطِّيبَ كما (يملأُ الدنيا ابتسامًا وازدهاء)[20]
(لا تخافى شططًا من أنفس) داولت بين خضوعٍ وإباء[21]
إنْ أجابت دعوة الحبِّ مشت (تعثُرُ الصبوةُ فيها بالحياء)[22]
(راضت النخوةُ من أخلاقنا) فخضعنا وجمحنا كرمَاء[23]
وسمت فوق الهوى أحسابُنا (وارتضَى آدابَنا صدقُ الوَلاء)[24]
(فلو امتدت أمانينا إلى) أسدٍ مالاث كفًّا بدماء[25]
أو سرت أنفاسُنا فى جانبىْ (مَلَكٍ ماكدّرت ذاك الصفاء)[26]
(أنتِ يَمٌّ الحسن فيه ازدحمتْ) زُمَرُ العشّاقِ كُلٌّ بسِقاء[27]

---

(١١) رواء: المنظر الجميل.
(١٣) اسفرى: اكشفى عن حسنك. حُليّ: زينة وجمال.
(١٤) لتوارى: لتخفى. لثام: نقاب. خباء: ساتر.
(١٥) اخطرى: امشى متبخترة. الندامى: الشاربين. استواء: اعتدال.
(١٩) أريجا: رائحة الطيب الفواحة.
(٢١) شططا: خروجا عن المألوف. داولت: دارت وتداولت مرة ومرة.
(٢٢) تعثر: تسقط وتزل. الصبوة: رقة الشوق.
(٢٣) راضت: طوعت. النخوة: الكبر والعظمة. جمحنا: شردنا.
(٢٥) مالاث: ما لطّخ وكدّر.
(٢٧) يم: ماء. زمر: جماعات. بسقاء: ما يسقى به.

أنقذتهم بعد يأسٍ مُغرِقٍ	(سفُن الآمال يُزجيها الرجاءُ)[٢٨]
(يقذف الشوق بها فى مائجٍ)	ماله من ساحلٍ إلاَّ اللّقاء[٢٩]
فهى تجرى والجوى يبعثُها	(بين لَجّيْنِ عناء وشقاء)[٣٠]
(شدةٌ تمضى وتأتى شدَّة)	واعتداءٌ للهوى بعد اعتداء[٣١]
لو علت للنجم نفسى لأتتْ	(تقتفيها شدّةٌ، هل من رَخاء؟)[٣٢]
(ساعفى آمالَ أنضاء الهوى)	يقتل الداء إذا عزّ الدواء[٣٣]
واكشفى حُجُبَ النوى ينتعشوا	(بقَبولٍ من سجاياك رُخاء)[٣٤]
(أنتِ رُوحانيَّةٌ لا تدّعى)	غيرَها، فالأمرُ كالصبح جلاء[٣٥]
فاسألى المِرآةَ هل يومًا رأت	(أنَّ هذا الشكلَ من طينٍ وماء؟)[٣٦]
(وانزِعى عن جسمِك الثوب يَبِن)	رُبَّ حقٍ ضاع فى ثوب رياء[٣٧]
وارفعى شَعْرَك عنه ينجلى	(للملا تكوينُ سكانِ السَّماء)[٣٨]
(وأَرِى الدنيا جَنَاحَىْ مَلَكٍ)	منها تستمنح النورَ ذُكَاء[٣٩]
نُشِرا فى مُجتَلَى ضوء الضحا	(خلفَ تمثالٍ مصوغٍ من ضِياء)[٤٠]

(٢٨) يزجيها : يدفعها ويسيرها .

(٢٩) مائج . مضطرب الموج .

(٣٠) لَجّين : موجتين عاتيتين .

(٣٢) تقتفيها : تتبعها .

(٣٣) ساعفى : ساعدى . أنضاء : رقة .

(٣٥) روحانية : كالملائكة .

(٣٧) وانزعى : اخلعى أو خفّفى . رياء : ادعاء كذب وتعالٍ .

(٣٩) ذكاء : الشمس .

(٤٠) مجتلى : ظهور . مصوغ : مصنوع .

صبحٌ باسم

نشرت هذه القصيدة بمناسبة احتفال مصر بعيد جلوس الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٤٥ ميلادية .

بَسَمَتْ تتيهُ مُدلَّةً بصباحها ... زَهراءُ يَعْبثُ عِقدُها بوِشاحِها[١]
نَهَبتْ من المسك الفتيقِ سَوادَه ... فأغار موتوراً على أنفاحِها[٢]
وتزينت بحُلىَ الكواكبِ مثلما ... تتَزيَّنُ الحسناءُ فى أفراحِها[٣]
أرخى غدائرَها الحياءُ كأنها ... عَذراءُ تخلِطُ لينَها بجِماحِها[٤]
هى ليلةٌ مزجَ السرورُ صباحَها ... بمسائِها ومساءَها بصباحِها[٥]
نور الملائكِ من سَنِىٍّ ضيائِها ... وشذى جنانِ الخُلدِ من أرواحِها[٦]
نَشَرتْ جَناحَ السلم يخفِقُ بالمُنى ... فارتاحت الدنيا لخفْقِ جَناحِها[٧]
ومضى بها شَبَحُ الخُطوب مُفزَّعًا ... ولكَمْ لقِينا الويلَ من أشباحِها ![٨]
فُتِنَتْ بصفحتِها القلوبُ فهلَ رأتْ ... فى لونِ صفحتِها عيونَ مِلاحِها ؟[٩]
لو أنها عادتْ فكانتْ رَوْضَةً ... لتَغنَّتِ الدنيا على أدْواحِها[١٠]
هى ليلةُ الفاروقِ تتلو مجدَهُ ... والدهرُ والأيامُ من ألواحِها[١١]
قد أسفرتْ عن صُبْحِ يومٍ باسمٍ ... برّاق سافرةِ المُنَى لِمّاحِها[١٢]

---

(٢) نهبت : أخذت ما شاءت . الفتيق : المستخرج بشىء تدخله عليه . أنفاحها : رائحتها الفواحة الطيبة .
(٦) سنى : نور . شذى : رائحتها الذكية . أرواحها : رائحتها الذكية .
(٩) ملاحها : جمالها وحسنها .
(١١) ألواحها : صحفها .
(١٢) أسفرت : كشفت . برّاق : متلألئ . سافرة المنى : ظهور الأمانى . لماحها : مبصرها .

يومٌ على مصــرٍ أغــرُّ مُـحـجَّـلٌ ... لمستْ به الأملَ البعيدَ براحِهَا[١٣]

مدّت لـه الأيامُ فَضْـلَ عِـنانِها ... من بعد طول نِفارها وشياحها[١٤]

وسما بها الـفـاروقُ نحو مـطـامحٍ ... جاز الشبابُ بها مدى أطاحها[١٥]

غُصنٌ من المجدِ النضيرِ بدوحةٍ ... كم أصْغتِ الدنيا إلى أصْداحها[١٦]

إن أشكلت دُهْمُ الأمورِ وأغلقتْ ... أبوابَها ، فسلوه عن مِفتاحها[١٧]

تُبْنَى الممالكُ ، والبطولَةُ أُسُّها ... وعزائمُ الأحرار من صُفَّاحها[١٨]

والمجدُ أنْ تَـرِدَ الصعابَ بهمةٍ ... شُمُّ الرواسى عِندَها كبِطاحها[١٩]

تُلقى على الأحْداثِ من بَسَماتِها ... ما يُذهِلُ الأحداثَ عن إلحاحها[٢٠]

وَلرُبَّ نفسٍ ضَمَّها صدرُ الفتى ... ويضيقُ صدرُ الأرضِ عن فَيَّاحها[٢١]

شَـرُتِ المكـارمَ حُـلوةً بجهـادهـا ... مُراً ، فكان الحمدُ من أرباحها[٢٢]

والـنـاس أشـبـاهٌ ، ولكـنَّ العُلاَ ... عَرَفَتْ فتى العزماتِ من مزَّاحها[٢٣]

* * *

فاروقُ أنت فتى العُروبةِ وابنُها ... وبشيرُ وحْدَتِها وزَنْدُ كِفاحها[٢٤]

جَـمَّـعتَ فُرقتَها فأضحتْ أمّةً ... أقوى وأصْلَبَ من حديد رماحها[٢٥]

بَسمَتْ لها الدنيا وأشرقَ وجهُها ... من بعدِ ما عَبَستْ لطولِ نُواحها[٢٦]

وشفى الزمانُ جِراحَها ، ولطالما ... ضاق الزمانُ وطِبُّهُ بجراحها[٢٧]

---

(١٣) أغر : منير . محجل : بيض قوائمه . براحها : بكفها .

(١٤) فضل عنانها : ما زاد وطال من عنانها والعنان لجام الفرس . نفارها : تجافيها وبعدها . شياحها : اعراضها - حذرها .

(١٥) سما : ارتفع وعلا . مطامح : المآرب السامية . جاز : سار وتعدى .

(١٦) النضير : الحسن الرونق . أصغت : استمعت . أصداحها : غنائها الحسن .

(١٧) أشكلت : التبست . دهم الأمور : الأمور المبهمة الداهمة .

(١٨) أسها : أساسها . صفاحها : الصفاح ، حجارة عراض رقاق .

(١٩) ترد : تخوض . شم الرواسى : عالية الجبال . بطاحها : مسيل واسع فيه حصى .

(٢١) فياحها : رائحتها الطيبة الذكية .

(٢٣) العزمات : الارادة القوية . مزاحها : أهل اللهو واللعب .

وتوحّدت راياتُها فى رايةٍ ... تُزْهَى الرياحُ بعُجبها ومِراحِها (٢٨)

أممٌ لها خُلُقُ السماحِ سَجيّةٌ ... ودماؤها فى الحرب رَمْزُ سَماحِها (٢٩)

فى جَبهة التاريخ منها أسْطُرٌ ... كَتَبَ الإباءُ حروفَها بسلاحِها (٣٠)

آياتُ مجدٍ مُشرِقاتٌ فاسألوا ... عَمْرًا وسيفَ الله عن أوْضاحِها (٣١)

نهضتْ بفاروقٍ فكانت آيةً ... للبَعثِ بعد شَتاتها وطراحِها (٣٢)

ورأتْ بشائرَ يُمنِها فى طَلْعَةٍ ... تُغْنى بها البسَماتُ عن إفصاحِها (٣٣)

وجهٌ كأنّ البدرَ ألقى فوقَه ... لألاءَهُ والشمسَ نورَ لِياحِها (٣٤)

ومضاءُ نهّاض العشيرة باسلٍ ... حمّال ألوِيَة العُلاَ كَدّاحِها (٣٥)

هَبّتْ به مضَرٌ إلى قَصَباتِها ... ريحًا تُسابق عاصفاتِ رياحِها (٣٦)

رَسَمَ النجاح لها فسارتْ حُرّةً ... من بَعْدِ ما التبستْ طريقَ نجاحِها (٣٧)

والناسُ من هِممِ الملوكِ ، وثوبُهم ... من وحْيِها ، وصلاحُهم بصلاحِها (٣٨)

وإذا السفينةُ لم تُبالِ زَعازِعًا ... فاسأل كبيرَ الشطِّ عن ملّاحِها (٣٩)

* * *

عيدَ الجلوسِ وفى جَبينك آيةٌ ... للسلْم تُنجى الأرضَ من أتْراحِها (٤٠)

حَرْبٌ طَوى الحلفاءُ فيها صَيْحةً ... للظلم أزعجتِ الورى بنُباحِها (٤١)

والحربُ تبدأ كالحَصاة بزاخرٍ ... لم يُدْرَ إنْ قُذفتْ مدَى مُنداحِها (٤٢)

---

(٢٩) السماح : الجود والكرم . سجيه : طبيعة .

(٣١) عمرو : عمرو بن العاص . سيف الله : خالد بن الوليد . من أشهر قواد العرب فى الإسلام . أوضاحها : جمع وضح وهو العزة والتحجيل فى قوائم الفرس والمراد أعمال المجد الواضحة المشهورة .

(٣٢) شتاتها : تفرقها . طراحها : اتكالها .

(٣٣) يمنها : بركتها .

(٣٤) لياحها : اللياح ، الصبح .

(٣٥) نهاض العشيرة : منجد الناس وقت الشدة . حمال الوية العلا : حامل أعلام العلا . كداحها : المجد فى طلبها .

(٣٦) قصباتها : المقصود مجالات التسابق .

(٤١) حرب : المقصود الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء إنجلترا وفرنسا وأمريكا ضد دولتى المحور وهما ألمانيا وايطاليا .

(٤٢) منداحها : اتسع . والبيت اقتباس من المثل القائل ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

كم هزّتْ الدنيا صواعقُ نارها | وأصاب وجهَ الأرضِ من لَوّاحِهَا[٤٣]
نفسى فداءُ البُسلِ فى حَوْماتها | وفدَى الشبابِ يسيلُ فوقَ صِفاحِهَا[٤٤]
تَشرى شُعوبُ الحقِّ فيها مبدأً | بالنقْدِ من دمِها ومن أرواحِهَا[٤٥]
النصرُ قد خَفَقَتْ لهم أعلامُه | والحربُ قد صاح البشيرُ بساحِهَا[٤٦]
وغدَتْ على الظمآن للدّم غُصّةً | وجَهنمًا أخرَى على سَفّاحِهَا[٤٧]

* * *

عيدَ الجلوسِ وللقوافى رَنّةٌ | ألْهَتْ غصونَ الدوْح عن صَدّاحِهَا[٤٨]
أرسلتُها ملءَ الأثير كأنما | وحْىُ السماء اختار غُرَّ فصاحِهَا[٤٩]
ونَثرتُها دُررًا فودّتْ أنجمٌ | لو عَدّهُنّ الحسنُ بين صِحاحِهَا[٥٠]
عيدَ الجلوسِ وفيكَ ضاحكةُ المُنى | دَبَّ السرورُ بروحِها وبراحِهَا[٥١]
ثملَتْ وأغصانُ الربيع تمايلتْ | فكأنهنّ شرِبْنَ من أقداحِهَا[٥٢]
فاروقُ ذكْرُكَ فى الوَرى متجدِّدٌ | كالشمس بين غُدوِّها ورَواحِهَا[٥٣]
أجْهدتَساريةَ الخيال فأجْبَلَتْ | ماذا تقولُ اليومَ فى أمداحِهَا؟[٥٤]

---

(٤٣) لواحها : لسعتها ونارها ..

(٤٤) البسل : الشجعان . حوماتها : ميادين القتال . صفاحها : جمع صفح وهو من السيف عرضه والمقصود أرضها .

(٤٥) تشرى : تشترى .

(٤٧) الظمآن للدم : المتعطش لاراقة الدماء والمقصود «هتلر» قائد المانيا وهو الذى أشعل هذه الحرب . غصة : ما اعترض فى الحلق فأشرقه .

(٤٩) غر : أحسن . فصاحها : بليغها .

(٥٠) صحاحها : السليمة الجيدة .

(٥١) براحها : مستراحها أوكفها والمراد البدن وقيل الأرض المستوية .

(٥٣) الورى : الخلق .

(٥٤) سارية الخيال : السارى هو السائر ليلا والمقصود هو طائف الشعر لدى الشاعر . أجبلت : أجبل الشاعر . امتنع عليه القول .

يَومٌ عَبُوس

نظم الشاعر هذه الأبيات فى يوم اشتد فيه البرد بانجلترا عام ١٩٠٩ م وقد كان موفدًا إليها فى بعثة تعليمية .

وَيْلاَهُ من يَوْمِ الخَمِيـ سِ فإنَّهُ يومٌ عَبُوس[1]

فيه تحارَبَتِ الريا حُ فلا تَقُلْ حَرْبَ البَسُوس[2]

خَافَتْ غوائِلَهُ الغَزَا لَةُ ، فالغمامُ لها تُرُوس[3]

يومٌ أحَطْنَا بالَّلظَى فيهِ ، ونكَّسْنا الرءُوس[4]

فكأنَّنا قُمْنَا نُوَيِّ دُ فيه مُعْتقَدَ المَجُوس[5]

---

(٢) البسوس : اسم امرأة من العرب قامت بسببها الحرب بين قبيلتى بكر وتغلب ابنى وائل من قبائل ربيعة وظلت أربعين سنة .

(٣) غوائله : دواهية . الغزالة : الشمس . الغمام : السحاب المظلم . تروس : جمع ترس وهو المجن الذى يتستر به المحارب ويتوقى به ضربات عدوه .

(٤) اللظى : النار الملتهبة . نكسنا : جعلنا الرءوس إلى أسفل .

(٥) معتقد المجوس : لأنهم يقدسون النار ويعبدونها وينحنون لها فى صلاتهم .

ضيفٌ كريم

نشرت هذه القصيدة فى يونية عام ١٩٤٧ م حينما تخلص الأمير محمد عبد الكريم الخطابى من الأسر ونزل ضيفاً على مصرَ وملكها السابق فاروق .

حَلَّقَ النسْرُ كما شاء وَصاحْ ... ورمَى بالقيدِ فى وجهِ الرِّيَاحْ[1]

وجلا عن ريشِه العارَ كَمَا ... تنجلى الأصداءُ عن بيضِ الصفاح[2]

وأطاحَ القفصَ المشئومَ ، لا ... تعرفُ الجنُّ متى أو أيْنَ طَاح[3]

كم قضى الليلَ به مستيئِسًا ... جَزِعًا ، بين أنينٍ ونُواح[4]

ولكم حنّ إلى أوطانِه ... قَلِقَ الأضلاعِ ، خَفّاقَ الْجَنَاح[5]

يُرسِلُ العينَ فلا يلقَى سوى ... لُججٍ خُضْرٍ دمياتٍ شِحاح[6]

يشتكى لليلِ فى وحشتِه ... فإذا غاب تشكَّى للصبَاحْ[7]

ذهب الماضى مَجِيدًا حافِلاً ... رحمةُ اللهِ عليه ! أين رَاح ؟[8]

* * *

أإسارُ الحرِّ حقٌّ سائغٌ ... وإباءُ الحرِّ شىءٌ لا يُبَاح ! ؟[9]

---

(٢) جلا : كشف . الأصداء : الصدى الذى يصيب الحديد . بيض الصفاح : السيوف .

(٣) أطاح : رمى بعيدا عنه . القفص المشئوم : المقصود الأسر .

(٥) خفاق : مضطرب متحرك . الجناح : للطائر كاليد للإنسان .

(٦) لجج : البحر المرتفع الأمواج . دميات : قبيحات . شحاح : بخلاء .

(٩) أإسار : الهمزة للاستفهام والإسار بمعنى القيد والأسر . سائغ : جائز .

وإذا مُــدّتْ لإحسـانٍ يَــدٌ هزّت الفِتنَةُ أطرافَ الرِمَاحْ ! ؟[١٠]
وإذا جــفّتْ لَــهـاةٌ ظــمــأً ضنّتِ الأنفسُ بالماء القَرَاح ! ؟[١١]
وإذا مـــــــال أخٌ نحو أخٍ ملأ الأفـواهَ شَغْبٌ وصِيَاح ! ؟[١٢]
وإذا أنّ جَــــــريحٌ دَنِفٌ لطبيبٍ، قيل: لا تشكُ الْجِرَاح ! ؟[١٣]
هـل على المفـجوعِ فى أوطـانـه حَرَجٌ إنْ ردّد الشكوَى وبَاح ! ؟[١٤]
أو على من رام أن يحيـا كما يتمنَّى الحـُرُّ ذنبٌ أو جُناحْ ! ؟[١٥]
أو على الـعـانى مَلامٌ إنْ رنَـا بعدَ عشرينَ، لإطلاقِ السَّراح ! ؟[١٦]

* * *

ثم قـالوا : لم يصُنْ مـيـثـاقَـهُ ونبا عن خُلُقِ العُرْبِ السمَاح[١٧]
أىُّ عـهـدٍ يـرتضـيـه بـاسـلٌ عربىُّ النَبعِ، ريفىُّ الْجِماح ؟![١٨]
أىُّ عهـدٍ هـو أن أُذْبحَ من غيرِ سكّينٍ، ولا أشكو الذباح ! ؟[١٩]
هـو عـهـدُ الـذئبِ يُـمليـه على شاتِهِ المِخْلَبُ والنابُ الوَقَاح ![٢٠]
وهـو الـقـوّةُ، مـا أجـرأهـا ! إنْ مشَتْ يومًا إلى الحقِّ الصرَاح[٢١]
كـم سلاحٍ صالَ من غيرِ يَدٍ ويدٍ تدفَعُ من غيـرِ سِلَاح ![٢٢]
قصـد الـفـاروقَ يـبـغِى موئـلاً فى رِحابٍ لِبَنى العُرْبِ فِسَاحْ[٢٣]

---

(١٠) الفتنة : الدسيسة والوقيعة . يشير إلى منع الحاكم الفرنسى بتونس الطوافة المصرية «فوزية» من الوصول إلى ميناء تونس وكانت تحمل غذاء ومعونة لمنكوبى المجاعة هناك ومنع رجال الحكم الفرنسى بتونس وصول الماء العذب إلى الطوافة .

(١٣) دنف : مريض ثقل عليه المرض .

(١٤) المفجوع : المتألم المتوجع الذى فقد شيئاً عزيزاً .

(١٥) رام : رغب وود . جناح : إثم .

(١٦) عشرين : عشرون عاما فى الأسر .

(١٧) ميثاقه : عهده . نبا : تباعد عن . إشارة إلى قول الفرنسيين إن الأمير عاهدهم على ألا يفر .

(١٨) النبع : الأصل . ريفى : نسبة إلى ريف تونس . الجماح : الطباع .

(٢٠) شاته : من الغنم . المخلب : الظفر . الناب : السن . الوقاح : الصلب .

(٢٣) موئلاً : كنفا وملاذا .

هـمّـةٌ جـاءت تـنـاجى هـمّةً   ويـدٌ مُدّتْ إلى أكرمِ رَاحْ[٢٤]
مَـلِكٌ يـرنـو لـعُـلْيَـا مَلِكٍ   وطِماحٌ يـتـسـامى لِـطـمَـاح[٢٥]
فـثوىَ فى خـبـرِ غـمـدٍ آمناً   صَارِمٌ أرهفَـهُ طولُ الكِفَـاح[٢٦]
لم يجدْ غـيـرَ بشـاشـاتِ الـمُنَى   وارتياحٍ للندَى أىَّ ارتيَاح ![٢٧]

---

(٢٥) طماح : علو وارتفاع .

(٢٦) ثوى : أقام . صارم : سيف . أرهفه : رققه ـ جعله حاداً قاطعاً .

(٢٧) بشاشات : طلاقة الوجه والفرحة . الندى : الكرم .

نصـــل المــوت

يرثى الشاعر صديقه الدكتور على ابراهيم باشا بهذه الأبيات سنة ١٩٤٧ م.

إن جرَّد الموتُ نصلاً ما صَمدت له … فطالما ردَّ نصلٌ منك أرواحا(١)

قد كنت تهزِمُه فى كل مُعْتَرَكٍ … يزاحم الشمسَ أسيافًا وأرماحا(٢)

وكان جَرْحُكَ يأسو كلَّ ما جرحَتْ … يدُ الزمان ، ويحيى كلَّ ما اجتاحا(٣)

اليومَ يَثْأَرُ ، والأيامُ عُدَّتُه … لاالطبُّ يُجدى، ولاالجرَّاح جراحا(٤)

لو حزتَ كلَّ حياةٍ صُنت مُهجتَها … خَلَدت كالشمسِ إشراقًا وإصباحا(٥)

ما أقصر العمر فى الدنيا لنابغةٍ … إذا تطلّعت الدنيا له راحا !(٦)

سبعون !؟ أولها لهوٌ ، وآخرُها … لو يعرفُ المرءُ لاقى الموتَ مرتاحا(٧)

لقد شربنا بكأس الراح أوّلها … حلوًا، فماذا أصاب الكأسَ والراحا؟(٨)

ليت الشبابَ الذى أقداحُه عَجَبٌ … أبقَى لفوتِ الصبا والشيبِ أقداحا !(٩)

قد كنتَ تُصغى لشعرى إن صدحتُ به … فاليومَ تسمع إن أصغيْت أنواحا(١٠)

أقَضَّ موتُك من مصرٍ مضاجعَها … وأسكت الخطبُ أطيارًا وأدواحا(١١)

---

(١) نصلا : حد السيف.

(٣) يأسو : يداوى ويعالج . اجتاحا : أخذ كل ما فى طريقه .

(٨) الراح : الخمر.

أفــراح مصـــر

أنشدت هذه القصيدة بدار الأوبرا فى حشد اجتمع للاحتفال بزواج الأميرة السابقة فوزية من شاه إيران السابق فى سنة ١٩٣٩ م .

خَلُّوا السجُوفَ تُذِعْ مَجْلَى مُحَيَّاها ... وتَنْشُرُ المسكَ من أنفاسِ رَيّاها (١)

عقيـلةٌ فى جلال المُلْكِ ناعمةٌ ... النيـلُ يحرُسُها واللهُ يَرْعـاهـا (٢)

ودُرَّةٌ لم تَـرَ الأصـدافُ مُشْبِهَـا ... بيْنَ الكُنوزِ الغَوالى من خباياها (٣)

وزهـرةٌ مـا رأى النيـلُ الوفى لها ... بين الأزاهـر فى واديه أشباهـا (٤)

تـرنـو إليهـا نجومُ الأفْقِ مُعْجَبَةً ... تَوَدُّ لو قَبَسَتْ من نورِ مرْآها (٥)

كـأنَّها قَـطَـراتُ المُزْنِ صـافـيـةً ... فوقَ الخمائِلِ طُهْرٌ فى سجاياها (٦)

* * *

أميرةَ الـنـيـلِ ، والأيـامُ مُسْعِدة ... بلغتِ من ذِرْوَةِ العلياء أقصاهَا (٧)

إنْ يسطَعِ الصبح قلنا الصبح أشبهَهَا ... أو يسطع المسكُ قُلنا المسكُ حاكاها (٨)

---

(١) خلوا : دعوا . السجوف : جمع سجف وهو الشيء بينه وبين ستر آخر فرجة . تذع : تنشر . مجلى : حسن . محياها : وجهها وطلعتها . رياها : ما ترتوى به .

(٢) عقيلة : كريمة الملك .

(٥) قبست : أخذت . مرآها : رؤيتها .

(٦) قطرات المزن : السحاب الأبيض والمقصود المطر . سجاياها : خلقها وطبيعتها الطيبة .

(٧) ذروة : أعلا الشيء . أقصاها : أبعدها .

(٨) المسك : الطيب .

مجدٌ تمنّتْ سماءُ الأفقِ لو ظفِرتْ ... بلمحةٍ من ثُريّاه ثُريّاهَا[9]

ونفسُ طاهرةِ الجدَّينِ يَسَّرَها ... ربُّ البَريَّةِ للحُسنَى وزَكّاها[10]

اليُسْرُ يختالُ تيهًا حَوْلَ يُسْراها ... واليُمْنُ يجرى يمينًا حَوْلَ يُمناها[11]

نَمَتْ بظلٍّ فؤادٍ خيرِ مَنْ وَجَدَتْ ... بظِلِّه زُمَرُ الآمالِ مَثْواها[12]

أحيتْ له مصرُ ذِكْرًا خُطَّ من ذَهَبٍ ... على جَبينِ الليالى حينَ أحْياها[13]

وكان عُنْوانُها الغالى الذى اتجهَتْ ... إليه باسطةَ الأيدى فأعلاها[14]

* * *

أميرةَ النيلِ ، غنَّى الشعرُ من طَرَبٍ ... فى ليلةٍ غَنَّتِ الدنيا بِبُشْراها[15]

طافْت كُئوسُ التهانى وهى مُتْرَعَةٌ ... من المُنَى فانتشينا من حُمَيّاها[16]

تجمَّعَ الأنسُ حتى لم يَدَعْ أملاً ... للنفسِ تَبْعَثُ شوقًا خَلْفَه : واها[17]

فى ليلةٍ من سوادِ العينِ قد خُلِقَتْ ... جَلَّ الذى من سوادِ العينِ جَلّاها ![18]

يخالها الفجر فجرًا حين يَطْرُقُها ... فيختفى من حَياءٍ فى ثناياها[19]

كأنّها بَسَماتُ الغِيدِ قد ملأتْ ... بالحبِّ والبِشْرِ أحداقًا وأفواها[20]

كانت يدًا من أيادى الدهر أرسلها ... بيضاءَ مُشْرِقةَ النُّعْمَى وأسْداها[21]

هنا زِفافٌ ، وفى الأفْلاكِ هاتفةٌ ... من الملائك تدعو ربَّها الله[22]

---

(٩) لمحة : نظرة عاجلة . ثرياه : النجم والمقصود هنا من نورها .

(١٠) يسرها : وفقها . زكاها : مدحها .

(١٢) فؤاد : والدها الملك فؤاد . زمر : جماعة . مثواها : مكانها .

(١٣) جبين : الجبهة .

(١٦) مترعة : مملوءة . حمياها : أولها .

(١٧) واها : للتعجب بمعنى ما أطيبه .

(١٨) جلاها : أظهرها .

(١٩) يطرقها : يأتيها .

(٢٠) أحداقا : سواد العين . أفواها : الفم .

(٢١) مشرقة النعمى : مضيئه النعم ظاهره . أسداها : أنعم بها .

(٢٢) الأفلاك : مدار النجوم .

لها أنـاشـيـدُ فى الأسماعِ ساحرةٌ   لو كنَّ من لُغَةِ الدنيا رَوَيْناها[٢٣]
لـكنها نَفحاتُ اللهِ خَصَّ بها   من البريَّة أنقاها وأصْفاها[٢٤]
«فوزيةٌ» دُرَّةُ التاجِ التى لمعتْ   فوقَ الجبينِ فحيَّتْه وحيّاها[٢٥]
شعوبُ مصرَ تُفدِّيها ولو نطقتْ   للنيلِ ألسنةٌ فُصْحٌ لفدّاها[٢٦]

* * *

أميرةَ النيلِ ، غنَّى الشعرُ من طَرَبٍ   لولا قِرانُكِ ماغنَّى ولا فاها[٢٧]
إنّى وألحانَ شعرى صُنْعُ بيتِكُمُ   فكم من الفضلِ أولانى وأولاها !![٢٨]
لولا مداائحُكم ماكان لى قَلَمٌ   يومًا على الأَيْكِ وابنِ الأيك تَيَّاها[٢٩]
تـألّقى بَسْـمـةً زَهْـراءَ مُشْـرِقَـةً   بأرضِ إيرانَ ، أنتِ اليومَ دُنياها[٣٠]
كونى بها قُـرَّةً لـلـعـينِ غـالـيـةً   فأنتِ أكرمُ من لاقتْه عَيناها[٣١]
ومثِّلى مصرَ والشأوَ الذى بلغتْ   فأنتِ أصْدَقُ بُرهانٍ لدعْواها[٣٢]

* * *

لقد قطفنا لكِ الأزهارَ باسمةً   وفى عقودٍ من الفصْحَى نظمناها[٣٣]
وقد جمعنا من الألحانِ أُغْنيةً   لو يفهمُ الطيرُ معناها لغنَّاها[٣٤]
ولم نَدعْ من رموزِ السحْرِ سانحةً   طافت بمعنى العُلا إلاّ لحناها[٣٥]
قد ذكَّرتْنا لياليكِ التى سَطَعَتْ   أفراحَ «قَطْرِ النَّدىَ» والعزَّ والجاها[٣٦]

---

(٢٣) رويناها : حكيناها .

(٢٧) ولا فاها : ولا تفوه بها .

(٢٩) الأيك : الحديقة ذات الشجر الكثيف . الملتف الأغصان . ابن الأيك : الطائر الغرد . تيّاها : مفتخرا مزهوّاً .

(٣٢) الشأو : السبق والغاية . لدعواها : لما تدعيه .

(٣٥) سانحة : عارضة .

(٣٦) قطر الندى : الأميرة قطر الندى بنت خماروية حاكم مصر تزوجت الخليفة العباسى ويضرب المثل بفرحها فى عظمته وبذخه .

عُرْسُ الأمانّى أحيا كلَّ ذى أملٍ ... وطافَ بالغُلَّةِ الظمأى فروّاها (٣٧)
وليلةٌ ظَفِرَ الشَّعْبُ الوَفِى بها ... وكم على الدهرِ مَشْغُوفًا تمنّاها (٣٨)
فى كلِّ بيتٍ أغاريدُ مُرَدَّدَةٌ ... سَرَتْ فجاوز نجمُ الليل مَسْرَاها (٣٩)
وكلُّ روضٍ يُرَجِّى لو سعتْ قَدَمٌ ... به ليُهْدِى من الأزهارِ أزكاها (٤٠)
وكم تمنّى الربيعُ النَضْرُ لو سَعِدَتْ ... بحُلَّةِ العُرْسِ كَفّاهُ فَوَشّاها (٤١)
البِشْرُ يضحكُ ، والدنيا مُصَفِّقَةٌ ... يهتزُّ من نَشْوةِ الأفراحِ عِطْفاها (٤٢)

* * *

يا ابن الأماجدِ من ايرانَ نلتَ يَدًا ... أصفى من الكوكبِ الدُرِّىِّ أنْواها (٤٣)
بَنيْتُمُ الملكَ فوقَ الشمسِ من هِمَمٍ ... شمّاءَ مَنْ خَلَقَ الأطوادَ أرْساها (٤٤)
لم يَتَّخذْ من مَنارٍ يستضىءُ به ... لدَى الشدائدِ ، إلاَّ العَزْمَ والشاها (٤٥)
جلالةٌ كم تَغَنّى البُحتُرِىُّ بها ... وكم تَرَنَّمَ مِهْيارٌ بذِكْراها ! (٤٦)
ودولةٌ للعُلا والسبقِ حاضِرُها ... وللخلودِ وللإبداعِ أولاها (٤٧)
لنا صِلاتٌ قديماتٌ مُحَبَّبةٌ ... لخدمَةِ الدينِ والفُصْحَى عقدناها (٤٨)
ثقافةُ الفُرْسِ قد كانت ثقافَتنا ... فى كلِّ ناحيةٍ عنهم أخذناها (٤٩)
تألَّقَتْ فى بنى العباسِ آونةً ... ماكانَ فى أعْصُرِ التاريخِ أزْهاها (٥٠)

* * *

---

(٣٧) الغلة : حرارة العطش . رواها : أسكن ظمأها بالماء .

(٣٩) مسراها : سيرها ليلا .

(٤٠) يرجى : يأمل .

(٤١) وشاها : لونها .

(٤٢) عطفاها : جانباها .

(٤٣) الكوكب الدرىّ : النجم الثاقب المضئ .

(٤٤) شماء : عالية . الأطواد : الجبال العالية . أرساها : ثبتها .

(٤٥) الشاها : لقب ملوك الفرس .

(٤٦) البحترى : الشاعر العباسى الشهير وقد مدحهم بقصائد خلدتهم مثل قصيدته السينية المشهورة . ترنم : تغنّى .
مهيار : مهيار الديلمى الشاعر الفارسى الذى كثيرًا ما أشاد بمدنية الفرس .

(٥٠) آونة : حينا من الزمن .

فاروقُ كم لكَ عندَ النيلِ من مِنَنٍ ... كصفحةِ الشمسِ بيضٍ ليس ينساها(٥١)

وصلْتَ مِصْرَ بإيرانٍ كما اتصلتْ ... فرائدُ العِقْدِ أغلاها بأغلاها(٥٢)

مصرُ المجيدةُ تُزْهَى فى حِمَى ملكٍ ... لولاه لم تُشْرِقِ الدنيا ولولاها(٥٣)

سعَى إلى المجدِ نهَّاضًا فأنهضَها ... للهِ والحقِّ مَسْعاه ومسعاها !(٥٤)

فى كلِّ نفسٍ له ذِكْرَى مُخَلَّدةٌ ... وصورةٌ من جلالٍ فى حناياها(٥٥)

شمائلُ السلَفِ الأطهارِ شيمتُهُ ... لمّا تجلَّت بفاروقٍ عَرَفْناها(٥٦)

سَجِيَّةٌ من فؤادٍ فيه قد رَسَخَتْ ... إذا دعتْ للعُلا والمجدِ لبَّاها(٥٧)

فى ساحةِ الجيشِ حَيَّتْه فوارسُه ... وفى المساجدِ حَيَّاه مُصلَّاها(٥٨)

لـه أيـادٍ على الأيـامِ سـابـغـةٌ ... فى كلِّ جيدٍ من الأيامِ نُعْماها(٥٩)

* * *

ياأُسْرَةَ المُلْكِ صاغ الشعرُ تهنئةً ... من حبَّةِ القلبِ معناها ومبناها(٦٠)

أهدَى الوفاءُ جميلاً حين أرسلها ... وأرسلَ الوُدّ مَحْضًا حين أهداها(٦١)

لا زال مُلْكُكُمُ جَمًّا بشائرُه ... ونال من بَسَماتِ الدّهرِ أسْناها !(٦٢)

وعاش للنيلِ ربُّ النيلِ سيِّدُه ... وللرعيَّةِ والآمالِ مولاها(٦٣)

---

(٥١) منن : عطايا وهبات .

(٥٢) فرائد العقد : الدرر الكبار لا مثيل لها والتى نظمت فى العقد .

(٥٣) حمى : كنف .

(٥٥) حناياها : عطفها .

(٥٦) السلف : المتقدمون السابقون . شيمته : صفاته الطيبة .

(٥٧) سجية : خلق وطبع . لباها : أجابها .

(٥٨) مصلاها : المُصلُّون .

(٥٩) سابغة : كاملة وافية .

(٦٢) أسناها : أرفعها وأشرقها .

الحَــربُ

حينما شبت نار الحرب العالمية الأولى ، وشاعت الأخبار بوصف ويلاتها وأرزائها ، واقترب الألمان من باريس فى أول الأمر ثارت شاعرية الشاعر ، واشتدت آلامه لما يصيب الانسانية فى سبيل أطماعها ، فأنشأ هذه القصيدة فى سنة ١٩١٤ م.

مَنْ سَلَبَ الأعْيُنَ أنْ تَهْجَعَا ؟ وبَزَّ ذَاتَ الطَّوْقِ أنْ تَسْجَعَا ؟ (١)

ومَنْ رَمَى بالشَوْكِ فى مَضْجَعِى فَبِتُّ مَكْلُومَ الْحَشَا مُوجَعَا ؟ (٢)

رَوَّعَنِى واللَّيْلُ فى زِيِّهِ مِنْ مُرْجِفاتِ الْخَطْبِ ماروَّعا ! (٣)

طاحَتْ بِأَهْلِ الْغَرْبِ نارُ الْوَغَى وهَبَّت الريحُ بِهِمْ زَعْزَعا (٤)

طافَ عَلَيْهِمْ بالردَى طائِفٌ فاخْتَرَمَ الأَنْفُسَ لَمَّا سَعَى (٥)

وصاحَ فِيهِمْ لِلتَّوَى صائِحٌ فَصَمَّتِ الأَسْمَاعُ مُذْ أَسْمَعا (٦)

فى الْبَرِّ ، فى الْبَحْرِ ، ومِنْ فَوْقِهِمْ لم يَتْرُكِ الْمَوْتُ لَهُمْ مَوْضِعا (٧)

يَجْمَعُهُمْ جَبَّارُهُمْ عَنْوَةً وإنَّما لِلْمَوْتِ مَنْ جَمَّعا ! (٨)

---

(١) الهجوع : النوم ليلا . البز : النزع وأخذ الشيء بجفاء وقهر . ذات الطوق : الحمامة المطوقة أى التى فى عنقها من الريش ما يشبه الطوق ، سجع الحمام : صوته وغناؤه .

(٢) المضجع : وضع الضجوع وهو النوم على الجنب . مكلوم : مجروح . الحشا : ما اشتمل عليه الجوف .

(٣) روعنى : أفزعنى . الزى : الهيئة . الخطب : النازلة والمصيبة . مرجفاته : شدائده .

(٤) طاح يطوح ويطيح : هلك أو أشرف على الهلاك . الوغى : الحرب . ريح زعزع : شديدة تزعزع الأشياء .

(٥) طاف : دار . الردى : الهلاك . اخترم : أهلك . وفى هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة : (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) ١٩ سورة القلم .

(٦) صاح : صرخ وصوت . التوى : الهلاك والموت . صمّت الأسماع : بطلت .

(٨) الجبار : العاتى المستكبر ، والمراد القائد . عنوة : قهرًا .

يَحْسُو دَمَ الْقَتْلَى ، فَأَظْمِىءْ بِهِ   ويَنْهَشُ اللَّحْمَ ، فما أَجْشَعَا ! [٩]

لم يَكْفِهِ رُمْحٌ ولا مُرْهَفٌ   فاتَّخَذَ الْمنطادَ والْمِدْفَعا [١٠]

وَخَبَّ فِيها راكِبًا رَأْسَهُ   لِلشرِّ ماخَبَّ وما أَوْضَعا [١١]

قَدْ غَصَّتِ الأَرْضُ بأَشْلاَئِهِمْ   وأَصْبَحَ الْبَحْرُ بِهَا مُتْرَعَا [١٢]

وآن لِلْعِقْبَانِ أَنْ تَكْتَفِي   وآنَ لِلْحِيتَانِ أَنْ تَشْبَعَا [١٣]

صَوَاعِقُ الْمُنْطَادِ لا تُتَّقَى   وصَوْلَةُ الأَلْغامِ لَنْ تُدْفَعَا [١٤]

أُطْلِقَ عَزْرائِيلُ مِنْ قِدِّهِ   يَرْتَعُ أَنَّى شاءَ أَنْ يَرْتَعَا [١٥]

تُطْرِبُهُ الْحَرْبُ بأَزْجالِها   ويَسْتَبِيهِ السَّيْفُ إِنْ قَعْقَعَا [١٦]

كَأَنَّما فى صَدْرِهِمْ غُلَّةٌ   أَبَتْ بِغَيْرِ الْمَوْتِ أَنْ تُنْقَعَا [١٧]

كَأَنَّهُمْ سِرْبُ قَطًا عُطَّشٍ   صَادَفْنَ مِنْ وِرْدِ الرَّدَى مَشْرَعَا [١٨]

كَأَنَّهُمْ والنَّارُ مِنْ حَوْلِهِمْ   جِنٌّ تَأَلَّوْا أَنْ يَبِيدُوا مَعَا [١٩]

---

(٩) يحسو : يشرب شيئا فشيئا .

(١١) خب : أسرع ، والخبب ضرب من العدو. ركب رأسه : مضى على وجهه بغير روية لا يطيع مرشدًا . الايضاع : الاسراع فى السير.

(١٢) غصت : امتلأت . الأشلاء : جمع شلو وهو العضو ، وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق . مترع : مملوء .

(١٣) آن : حان . العقبان : جمع عقاب وهى من جوارح الطير.

(١٥) عزرائيل : ملك الموت . القد : سير من جلد غير مدبوغ قد يقيد به الأسير. يرتع : يقبض أرواح الناس بكثرة ، ورتع فى الأصل معناها أكل وشرب ما شاء فى خصب وسعة ، أو أكل وشرب بشره .

(١٦) الطرب : خفة تصيب من يشتد به السرور. الأزجال : جمع زجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت . يستبيه : يأسره ويستميله . القعقعة : حكاية صوت السلاح .

(١٧) الغلة : حرارة العطش . أبت : امتنعت . تنقع : تسكن ، من نقع الماء العطش من باب قطع وخضع أى سكنه .

(١٨) السرب : القطيع والجماعة . القطا : ضرب من الحمام . الواحدة قطاة . عطش : جمع عاطش اسم فاعل من عطش . صادفن : وجدن . الورد : الاشراف على الماء وغيره . الردى : الهلاك . المشرع : مورد الشاربة أى الموضع الذى يستقون منه كالمشرعة .

(١٩) تألوا : حلفوا . يبيد : يهلك .

صارُوا مِنَ الْعِثْيَرِ فى ظُلْمَةٍ لا تُبْصِرُ الْعَيْنُ بِهَا الإِصْبَعَا[٢٠]

* * *

كَمْ فارسٍ يَمْرَحُ فى سَرْجِهِ يَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ وقَدْ أَيْنَعَا[٢١]

كَأَنَّهُ الصَّمْصَامُ إِذْ يُنْتَضَى وعامِلُ الرُّمْحِ إِذا أُشْرِعَا[٢٢]

ما ضَنَّ بالرِّفْدِ على وَافِدٍ ولا لَوَى حَقًّا ولا ضَيَّعَا[٢٣]

تَمْشِى بَنَاتُ الْحَىِّ فى إِثْرِهِ يَرْشُقْنَهُ بِالزهْرِ إِذْ وُدِّعا[٢٤]

مِنْ كُلِّ بَيْضاء الطُّلَى طَفْلَةٍ أَسْطَعَ مِنْ بَدْرِ الدجَى مَطْلَعا[٢٥]

تَكُفُّ غَرْبَ الدَّمْعِ أَنْ يُرْتَأَى وتَحْبِسُ الزفْراتِ أَنْ تُسْمَعا[٢٦]

لَجَّ بِهِ الْمَوْتُ فَأَوْدَى بِهِ وحَزَّ مِنْهُ الليتَ والأَخْدَعا[٢٧]

ماتَ فلا قَبْرٌ لَهُ ماثِلٌ ولا بَكَى الْباكِى وَلا شَيَّعَا![٢٨]

* * *

سَلْ «لِيجَ» ماحَلَّ بأَرْجائِها فَقَدْ غَدَتْ أَرْجاؤُها بَلْقَعَا[٢٩]

---

(٢٠) العثير : الغبار .

(٢٢) الصمصام : السيف لا ينثنى . ينتضى : يسل أى يجرد من غمده . عامل الرمح : صدره . أشرع : أميل أو رفع عند القتال .

(٢٣) ضن : بخل . الرفد : العطاء والصلة . وافد : آت ووارد . لوى الحق : جحده .

(٢٤) الحى : القبيلة أو البطن من بطون العرب ، ويراد به هنا قوم الفارس وعشيرته . يرشقنه : يرمينه . ودع : شيع عند سفره .

(٢٥) الطلى : الأعناق أو أصولها . طفلة : رخصة ناعمة . أسطع : أعلى وأرفع ، والمراد أبهى وأجمل . الدجى : جمع دجية وهى الظلمة . المطلع : الطلوع .

(٢٦) تكف : تمنع . غرب الدمع : مسيله أو انهلاله من العين . يرتأى : يرى . الزفرات : جمع زفرة وهى إخراج النفس طويلا ممدودًا .

(٢٧) لج به الموت : لازمه . أودى به : أهلكه . حز : قطع . الليت : صفحة العنق . الأخدع : شعبة من عرق الوريد .

(٢٩) «ليج» إحدى المدن البلجيكية التى استولى عليها الألمان بعد تخريبها بمدافعهم . الأرجاء : جمع رجا وهو الناحية . غدت : صارت . البلقع : الأرض القفر الخالية من أسباب العمران والحياة .

واسأَلْ «نَمُورًا» ما دَهَى أَهْلَها   فقدْ نَعاهَا البَرْقُ فما نَعَى [٣٠]

وسائِلِ الروْضَ ذَوَى نَبْتُهُ   وسائِلِ الأَطْلالَ والأَرْبُعَا [٣١]

* * *

باريسُ ! والعُسْرَى إلَى يَسْرَةٍ   وغايَةُ العارِضِ أَنْ يُقْشِعَا [٣٢]

أَعَزَّكِ الخَطْبُ بأَوْجالِهِ ؟   وَكُنْتِ عُشَّ النسْرِ أَوْ أَمْنَعا [٣٣]

كُنْتِ لِطُلَّابِ الْهُدَى مَعهَدًا   وَكُنْت رَوْضا لِلْهَوَى مُمْرِعا [٣٤]

ما أَحْسَنَ «السِينَ» وجِيرانَهُ   وأَحْسَنَ الْمُصْطَافَ والْمَرْبَعا ! [٣٥]

أَرِيعَتِ الحَسْناءُ فى خِدْرِها ؟   نَعَمْ ، دَعاها الذعْرُ أَنْ تَهْلَعَا ؟ [٣٦]

عَهْدى بِها كانَتْ نَؤُومَ الضُحَى   مَلُولَةً ناعِمَةً رَعْرَعا [٣٧]

ما خَطْبُها والنارُ مِنْ حَوْلِها   والْمَوْتُ لم يَتْرُكْ لها مَفْزَعا ؟ [٣٨]

* * *

ضَراغِمَ الماءِ ، ثِبُوا وَثْبَةً   آنَ لِهَذَا الغِيلِ أَنْ يُمْنَعا ! [٣٩]

---

(٣٠) « نامور » : مدينة بلجيكية استولى عليها الألمان عقب استيلائهم على « لييج » فى أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤ م .

(٣١) الأربع : جمع ربع وهو محلة القوم ومنزلهم .

(٣٢) باريس : كبرى المدن الفرنسية ومقر الحكومة ، وقد كادت تسقط فى أيدى الألمان فى أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤ م . العسرى : الضيق والشدة والصعوبة . اليسرة : اسم مرة من يسر الأمر من بابى قرب وتعب أى سهل واتسع . العارض : السحاب يعترض فى الأفق ويراد به هنا الغمة والضيقة . يقشع : ينكشف .

(٣٣) عزك : غلبك ، والهمزة للاستفهام ، ويراد بالاستفهام هنا التعجب . الخطب : النازلة الشديدة . الأوجال : جمع وجل وهو الخوف .

(٣٤) أمرع الوادى : أخصب وكثر كلؤه .

(٣٥) السين : نهر مشهور بفرنسا يمر بمدينة باريس . المربع : منزل القوم فى الربيع .

(٣٧) نؤوم الضحى : كناية عن الترف والرفاهة ولين العيش . ملولة : من الملل وهو السآمة والضجر . ناعمة : متنعمة . الرعرع : اليافعة الحسنة الاعتدال مع حسن شباب .

(٣٨) الخطب : الشأن والأمر . المفزع : الملجأ .

(٣٩) الضراغم : جمع ضرغام وهو الأسد . الوثوب : الطفر والقفز . آن : حان . الغيل : الأجمة أى الشجر الكثير الملتف . والغيل مسكن الأسد عادة . يمنع : يحمى . يريد بضراغم الماء رجال الأسطول الانجليزى وجنود البحر .

دَعَاكُمُ الْجَارُ فَكُنْتُمْ إِلَى ... دُعَائِهِ مِنْ صَوْتِهِ أَسْرَعا[40]
وَسِرْتُمْ لِلْمَوْتِ فِي جَحْفَلٍ ... ما ضَمَّ رِعْدِيدًا وَلاَ إِمَّعا[41]
مِنْ كلِّ شَعْشَاعٍ خَفِيفِ الْخُطَا ... ذِي مِرَّةٍ مُنْجَرِدٍ أَرْوَعا[42]
لَوْ مَادَتِ الْأَجْبَالُ مِنْ تَحْتِهِ ... أَوْ خَرَّتِ الأَفْلاَكُ ما زُعْزِعا[43]
سَلُوا بِحَارَ الأَرْضِ عَنْ مَجْدِكُمْ ... إِنَّ بِهَا سِرًّا لَكُمْ مُودَعا[44]
كَانَتْ وَلاَ زَالَتْ لَكُمْ سَاحَةً ... تَبْنُونَ فِيها الشَّرَفَ الأَفْرَعا[45]
تَهْوَى طُيُورُ الماءِ أَعْلاَمَكُمْ ... فَتَقْتَفِيهَا حُوَّمًا وُقَّعا[46]
قَدْ طافَ «نِلْسُنْ» حَوْلَ أَسْطُولِكُمْ ... مُسْتَصْرِخًا غَضْبَانَ مُسْتَفْزِعا[47]
يُغْضِبُهُ يا خَيْرَ أَشْبالِهِ ... أَنْ يَبْلُغَ القِرْنُ بِكُمْ مَطْمَعا[48]

* * *

يا خَالِقَ النَّاسِ، طَغَى شَرُّهُمْ ... فَاهْدِ الْحَيَارَى واكْشِفِ الْمَهْيَعا![49]
لم يُشْبِهُوا الإنسانَ فى خَلَّةٍ ... وأَشْبَهُوا الْحَيَّاتِ والأَسْبُعا[50]
قَدْ رُفِعَ الإِحْسَانُ مِنْ بَيْنِهِمْ ... وأوشَكَ الإيمانُ أَنْ يُرْفَعا[51]
لَوْلاَ سَنَا هَدْيِكَ فى بَعْضِهِمْ ... لَدُكَّتِ الأرْضُ بِهِمْ أَجْمَعا[52]

---

(٤٠) يريد بالجار مملكة « بلجيكا » من ممالك أوربا الشمالية ، وهى إلى الجنوب الشرقى من الجزائر البريطانية .

(٤١) الجحفل : الجيش الكثير. الرعديد : الجبان . الامع والامعة : الرجل يتابع كل أحد على رأيه لا يثبت على شىء .

(٤٢) الشعشاع : الطويل المسرع . الخطا : جمع خطوة . المرة : القوة وشدة العقل . المنجرد : النشيط ذو الهمة . الأروع : من يعجبك بشجاعته .

(٤٣) مادت : زلزلت وتحركت ، الأجبال : جمع جبل . خرت : سقطت . الأفلاك : مدارات النجوم ، والمراد النجوم نفسها . زعزع : اضطرب وتحرك .

(٤٥) الساحة : الناحية وفضاء بين دور الحى . الأفرع : الأعلى .

(٤٦) حوم : دائرات حولها . وقع : حاطات نازلات بها .

(٤٧) «نلسن» من أبطال الانجليز وقائد أسطولهم إبان الحرب الفرنسية .

(٤٨) القرن : كفؤك فى الشجاعة .

(٤٩) المهيع : الطريق البيّن .

(٥٠) الخلة : الخصلة . الأسبع : جمع سبع وهو المفترس من الحيوان .

يـا أبـا الأمـة

تهنئة سعد زغلول باشا من خطر العدوان عليه وقد ألقيت هذه القصيدة فى حفل حاشد فى ٢١ من يولية سنة ١٩٢٤ م .

يَـا أبَـا الأُمَّــةِ يـا مَنْ ذِكْـرُهُ ... مَلأَ الـدُّنْيَـا حَـدِيـثًـا عَـطِرَا[1]

هَـزَّ مِصْـرًا نَـبَـأٌ فـاضَتْ لَـهُ ... عَـبَرَاتُ الْقَـوْمِ تَجْرِى مَـطَرَا[2]

هُـرِعُوا نَـحْوَكَ كَـالْـبَحْـرِ إِذَا ... سُـجِّـرَتْ أَمْواجُـهُ أوْ زَخَـرَا[3]

بَـيْنَ شَكٍّ وَيَـقِـيـنٍ قـاتِـلٍ ... يَنْشُرُ الْخَوْفَ وَيَطْوِى الْحَذَرَا[4]

بِوُجُوهٍ مَـــرَّة آمِـلَـــةٍ ... وَهْىَ حِـيـنًـا بـاسِـرَاتٌ كَدَرَا[5]

تَرتَجِى الرَّحْمَنَ فِى مِحْنَتِهَا ... ثُمَّ تَخْشَى فِى الْمُصابِ الْقَدَرَا[6]

كُـلُّـهُـمْ يَسْأَلُ عَنْ سَعْدٍ وَمنْ ... عَـيْـنـهِ مـاءُ الشُّـئُونِ انْـهَمَرَا[7]

إن سَـعْـدًا غَـرَسَ الـنبْتَ وَقَدْ ... شـاءَ رَبِّـى أنْ يَـذُوقَ الـثمرَا[8]

كُـلما رامُوا بِـسَـعْـدٍ ضَـرَرًا ... صَـانَـهُ اللهُ وَكَفَّ الضَـرَرَا[9]

إنَّ سَـيْـفًا فِى يَمِينِ اللهِ قَدْ ... هَـزَّهُ بـارِئُـهُ لَنْ يُـكْـسَـرَا[10]

عِشْ لِـمِصْـرٍ وَزَرًا يَـكْـلَؤُهَـا ... لَـمْ نَـجِـدْ غَـيْرَكَ فِيها وَزَرَا[11]

---

(٣) هرعوا : أعجلوا وحملهم النبأ العظيم الهائل على الاسراع . تسجير الماء : تفجيره . زخر : طما وارتفع وامتلأ .

(٤) الطى : ضد النشر. الحذَر : الاحتراز والتوقى .

(٥) باسرات : جمع باسرة أى عابسة . الكدر : ضد الصفو.

(٧) الشئون : مجارى الدموع إلى العين واحدها شأن . انهمر : انصب وسال .

(١٠) بارئه : خالقه .

(١١) الوزر : المعقل والملجأ والمعتصم . يكلؤها : يحفظها .

أَنْتَ مِصْرٌ، عِشْ لِمِصْرٍ إِنَّها ... بِكَ تَحْيَا وَتَنَالُ الْوَطَرَا[١٢]

بَطَلٌ أَيْقَظَ مِصْرًا بَعْدَ مَا ... كادَ يُرْدِي أَهْلَها طُولُ الْكَرَى[١٣]

بَعَثَ اللهُ بِهِ فَانْبَعَثَتْ ... رُسُلُ الْآمالِ تَتْرَى زُمَرَا[١٤]

وَطَوَى اللهُ بِهِ عَهْدًا مَضَى ... تَهْلَعُ النفْسُ لَهُ إِنْ ذُكِرَا[١٥]

قادَ جَيْشًا مِنْ قُلُوبٍ حَوْلَهُ ... خاضعاتٍ إِنْ نَهَى أَوْ أَمَرَا[١٦]

تَرْكَبُ الصعْبَ إِلَى مَرْضاتِهِ ... وَتُلاقِي فِي هَوَاهُ الْخَطَرَا[١٧]

شَلَّ زَنْدٌ قَدْ رَمَى زَنْدَ الْعُلاَ ... وحَمَى اللهُ الرئيسَ الْأَكْبَرَا[١٨]

مَحَقَ اللهُ أَبَا لُؤْلُؤَةٍ ... وَوَقَى مِصْرًا فَأَبْقَى عُمَرَا[١٩]

إِنَّ مَنْ يَحْرُسُهُ بارِئُهُ ... لا يُبالِي بِالردَى إِنْ خَطَرَا[٢٠]

فَهَنَاءٌ بِنَجاةٍ كَشَفَتْ ... غُمَّةَ الْقُطْرِ وَطابَتْ أَثَرَا[٢١]

عاشَ سَعْدٌ والْمَلِيكُ الْمُرْتَجَى ... مَوْئِلُ الْأُمَّةِ فِي أَسْمَى الذرَا[٢٢]

---

(١٢) الوَطر : البغية والحاجة .

(١٣) البطل : الشجاع . يُرْدِي . يهلك . الكرَى : النعاس .

(١٤) تترى : متواترة متتابعة . الزمر : الجماعات ، واحدتها زمرة .

(١٧) المرضاة : الرضا . الهوى : الحب . الخطر : الإشراف على الهلاك وخوف التلف والمراد الهلاك والتلف .

(١٩) محق : محا وأهلك . وأبو لؤلؤة فيروز المجوسى عبد المغيرة بن شعبة وكان قد قتل غدرًا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، طعنه بخنجر وهو قائم يصلى سنة ٢٣ هـ . شبه الشاعر سعدًا بعمر بن الخطاب والمعتدى عليه بأبى لؤلؤة .

(٢٠) البارئ : الخالق وهو الله جلّ وعلا .

(٢١) الغمة : الكربة والغم الشديد .

(٢٢) موئل : ملجأ : أسمى : اسم تفضيل من السمو وهو الارتفاع والعلو . الذرا : جمع ذروة وهى من كل شىء أعلاه .

ميلادُ الأميرة فريال

أنشدت بدار الأوبرا فى الحفلة التى أقامتها دار الإذاعة المصرية ابتهاجًا بمولد الأميرة فريال أولى بنات الملك السابق فاروق فى أول أيام عيد الفطر سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٧ ميلادية).

بَيْنَ صَحْوِ الْمُنَى وحُلْمِ الخَيالِ سَبَحَ الشعرُ فى سماء الجمالِ(١)

ومضَى سانحًا يهُزُّ جناحَيْهِ عَلَى شاطئِ السنينَ الخوالى(٢)

لمح الدهرَ وهو يحبو من المَهْدِ، عليه غدائرٌ من ليالى(٣)

وأزاح التاريخُ عن عَيْنِهِ الحُجْبَ، فَمَرَّتْ تخوض فى الأجيال(٤)

ورأى الشمسَ طِفْلةً تُرْسِلُ الأضواءَ فوقَ الكُهوفِ والأدْغال(٥)

صَفَحاتٌ من الزمانِ توالَى وهو يتلو سُطورَها بالتوالى(٦)

وتصاويرُ للحوادثِ تبدو فى شَتيتٍ الألوانِ والأشكال(٧)

وإذا رَنَّةٌ، كما تضحكُ الآمالُ، بعد النوى وطولِ المِطالِ(٨)

وقف الشعرُ شاخصًا حين مَسَّتْهُ بسحرٍ من الفُنونِ حَلال(٩)

نَغَماتٌ لم يعهدِ الروضُ مِثْلاً لِصَداها بين الربا والظلال(١٠)

ولُحونٌ لها مِثالٌ عجيبٌ أو إذا شئْتَ قُلْ بغيرِ مِثالِ(١١)

---

(٢) السانح من الطير: ما ولاك ميامنة والعرب تتفاءل به. السنين الخوالى: الأعوام الماضية.

(٣) الغدائر: جمع غديرة وهى الضفيرة.

(٧) شتيت الأشكال والألوان: أى مفرّقها ومختلفها.

(٨) النوى: البعد. المطال: التسويف.

(٩) شخص بصرَه: رفعه.

(١١) اللحون: جمع لحن.

بَيْنَ عُودٍ كم هَزَّ أعطافَ رَمْسِيسَ ، وحَيَّا مَواكِبَ الأَقْيالِ[١٢]
ودُفوفٍ عَزَفْنَ لابْنَةِ فِرْعَوْنَ ، فاسَتْ بينَ الهوَى والدلالِ[١٣]
ومَزاميرَ أُطْلِقَتْ من فَمِ السحْرِ ، فمادَتْ لها رَواسِى الجبالِ[١٤]
ورَنَتْ كُلُّ سَرْحَةٍ تَسْرِقُ السَمْعَ ، وتَعْطُو بغُصْنِها الميَّالِ[١٥]
وأهازيجَ رَدَّدَتْها الأزاهيرُ ، وغَنَّى بها نسيمُ الشَمَالِ[١٦]
ذُهِلَ الشعْرُ ، فاستفاق ، فألفَى موكِبًا حُفَّ بالسنا والجلالِ[١٧]
ساطعاتُ الشمُوس فيه مَشاعِيلُ ، وأَضْواؤُهُ بناتُ الهِلالِ[١٨]
زَحَمَ الأرضَ بالجيادِ ، وغَشَّى صَفْحَةَ الجَوِّ بالظُبا والعَوالِى[١٩]
وهَفَتْ رايةٌ على قِمَّةِ النجْمِ ، وَرَفَّتْ فوقَ السحابِ الثِقالِ[٢٠]
مَوْكِبٌ يجمعُ الشُعوبَ ، وتمشى تحت أعلامِهِ العُصورُ الأُوالى[٢١]
سار فيه المُلوكُ من كُلِّ جيلٍ فى احتفاء ضافى السّنا واحتفالِ[٢٢]
ذاكَ مِينا ، وذاكَ عَمْرُو فَتَى العُرْبِ ، وهذا المُعِزُّ جَمُّ النوالِ[٢٣]
وَبَدا بينَهُمْ محمدُ الأكْبَرِ ، مُحْيِى البلادِ مُنْشِى الرجالِ[٢٤]
صادعُ الجهل ، هادمُ الظلمِ فى مِصْرَ ، مُبيدُ القُيودِ والأغلالِ[٢٥]

---

(١٢) الأقيال : جمع قيل وهو دون الملك الأعلى .
(١٤) مادت : اهتزت وتحركت .
(١٥) السرحة : الشجرة العظيمة ، العطو : رفع الرأس .
(١٦) الأهازيج : جمع أهزوجة وهى الأغنية .
(١٧) السنا : الضوء .
(١٨) بنات الهلال : النجوم .
(١٩) العوالى : جمع عالية وهى أعلى القناة . الظبا : جمع ظبة وهى حد السيف .
(٢٠) هفت الراية : تحركت والراى جمع راية .
(٢١) الأوالى : الأوائل .
(٢٣) يقول : كان مينا رسول الفراعنة فى هذا الجمع الحاشد وكان مبعوث العرب عمروا ،وكان رسول الفاطميين الجواد الكريم المعز لدين الله .
(٢٤) يقول : وظهر بين هؤلاء الملوك الصيد محمد على رأس الأسرة العلوية .
(٢٥) الصدع : الشق . الأغلال : جمع غل وهو القيد .

خَــلْـفَـهُ زِيــنـةُ الخلائفِ إسْمَا عيلُ، ذُخْرُ المُنَى أبو الأشبال[٢٦]
وفؤادٌ مُـجـدِّدُ الـجـيـلِ والآ مالِ، سِرُّ العُلا والاستقلال[٢٧]
سأل الشعْرُ أينَ يقصدُ هذا الركْبُ، بعد الطوافِ والتجْوال؟[٢٨]
فـأجـابَتْ مِنْ فوقِـهِ هـاتـفـاتٌ تملأُ الجوَّ. واضِحَاتُ المَقال[٢٩]
أَسْرِعُوا نحوَ عـابـدينَ مَـقـامِ الْـمُـلْكِ والنُبْلِ والنجارِ العالى[٣٠]
وَقَفَ الـرَّكْبُ عِـنْـدَ سُدَّةِ فارو قِ. فـكـانَتْ نهايةَ الترْحالِ[٣١]
ورأى الشـعْـرُ مَـحْـفِلاً لمُلوكِ الــدَّهْرِ ما مَرَّ مِـثْـلُهُ بِخيَال[٣٢]
جـلسوا جـاذلِيـنَ، بَيْنَ ابتهاجٍ ضاحكٍ كالمُنَى وبَيْنَ ابتهال[٣٣]
ثمَّ نادَى ذو أمْرِهِمْ: «نحن فى يو مِ سـعـيدِ الغُدُوِّ والآصال»[٣٤]
«يَوْمُ يُمْنٍ لمِصْرَ، ليس له مِـثْـــلٌ، ولا جَالَ للدهُورِ ببال»[٣٥]
«وُلِـدَ المجدُ، فيه والشرَفُ السا مِى، ونُور الحِجا ونُبْلُ الخِلالِ»[٣٦]
«نَـجَـلَ السـيِّـدُ الـمُـمَلَّكُ فيهِ فَـهَـنـاءٌ بـأكْـرم الأنجال»[٣٧]
«قـد سَـعَـيْـنـا لِسُوحِهِ فقضَيْنا حاجةً فى نفوسِنا للمعَالى»[٣٨]
بُـهِـرَ الشعْرُ فانْثَنَى يَلثِمُ الأرْ ضَ، ويَدْعُو بالعِزِّ والإقبال[٣٩]
وشـدا مِـثْـلَمَا شَـدَتْ بِنْتُ أيْكٍ بَـيْـنَ ظِـلٍّ وكَوْثَـرٍ سَـلْسَـالِ[٤٠]
نَـعِـمَتْ بـالأَلـيـفِ، لا هـو نـاءٍ إن دَعَتْهُ يوْمًا. ولا هُوَ سَالِى[٤١]

---

(٢٦) الخلائف: جمع خليفة وهو السلطان الأعظم.

(٢٧) وسار فى هذا الجمع أيضا فؤاد والد فاروق.

(٣٠) النجار: الأصل.

(٣١) السدة: باب الدار أو فناؤها، ويريد بسدة فاروق قصر عابدين.

(٣٣) جاذلين: فرحين. ابتهال: إخلاص فى الدعاء.

(٣٤) الغدو: جمع غدوة وهى أول النهار. الآصال: جمع أصيل وهو ما بعد العصر.

(٣٦) الحجا: العقل.

(٣٧) نجل: أنجب.

(٣٨) السوح: جمع ساحة وهى الفضاء بين دور الحى.

(٤٠) شدا: غنى وترنم. الأيك: الشجر الملتف. السلسال: الماء العذب.

(٤١) السالى: المتخلص من لواعج الحب.

لم تَـرَ الـنسْرَ فى مَـخالِبِـهِ الـزرْ ق ، ولا رُوِّعَتْ بصَيْدِ حِبال[٤٢]

تحتَـهـا الـزهْـرُ فاتِـنُ اللـونِ رَفّا فٌ جَميمُ النَدَى دَميثُ الرمال[٤٣]

صَـدَحَتْ لـلدُجَى ، ولـلَّيْلِ حُسْنٌ حينَ يَطْوِى الوُجودَ فى سِرْبال[٤٤]

صَدَحَتْ للصباحِ يلمَعُ فى الشرْ ق ، طَهُورًا كَبَسْمَةِ الأطفالِ[٤٥]

إنَّ لـلـطبْـعِ والبَـديهَـةِ سِحْرًا فوقَ طَوْقِ الجُهُودِ والإيغال[٤٦]

* * *

غرِّدِى كيفَ شِئْتِ يا سَرْحَةَ الوا دِى ، وهُزِّى فَضْلَ الغُصونِ الطوال[٤٧]

واجْمَعِى اليَوْم كُلَّ ذاتِ جَناحٍ إنَّ يومَ الفاروقِ فى الدهرِ غالى[٤٨]

أرسِـلى البُلْبُلَ الفَـريدَ يُنادِى تَسْتَجِبْهُ الطُيـورُ فى أرْسـال[٤٩]

إنَّ يومَ الـمِيلادِ يَوْمٌ على الـدهْــرِ قـليـلُ الأنـدادِ والأمْـثـال[٥٠]

صَفَّقَ الـنيـلُ فيه زَهْوًا وعُجْبًا وجـرَى فى تَـخَطُّرٍ واختيـال[٥١]

سـاحبًـا ذَيْـلَـه يَـمُرُّ على الزهْــرِ ، فَتَمْضِى الزهورُ فى الأذيال[٥٢]

لا يُـبـالى ، فـقـد تَـمَلَّـكَـهُ الْـحُـبُّ ، وأوحَى إليـهِ ألاَّ يُبالى[٥٣]

وهـو لـولا عُـذوبةُ الْحُبِّ ما فا ضَ بعَذْبٍ من النَّميرِ زُلال[٥٤]

أنتَ مَوْلاهُ ، أنتَ عَلَّمْتَهُ البَذْ لَ ، وبَذْلُ العبيدِ فَضْلُ الموالى[٥٥]

غـمَـرَتْـنـا نُـعْماكَ فى كـلِّ حـالٍ فحـمـدْنـا نُعْماكَ فى كلِّ حالِ[٥٦]

---

(٤٢) المخالب الزرق : الأظفار الحادة الجارحة . روعت : أخيفت .

(٤٣) جميم الندى : كثيره . دميث الرمال : سهلها لينها . رفاف : متحرك .

(٤٤) الدجى : شدة الظلمة . سربال : قميص — رداء .

(٤٦) الإيغال : المبالغة والمغالاة .

(٤٧) سرحة : الشجر العظيم . فضل : بقية الشيىء .

(٤٩) الأرسال : جمع رَسَل وهو الجماعة من كل شيء .

(٥٠) الأنداد : جمع ند وهو المثل كالنديد .

(٥١) التخطر : التبختر . الاختيال : الزهو والعجب .

(٥٢) الذيل من الثوب : ما جر على الأرض .

(٥٤) ماء زلال : عذب بارد صاف .

(٥٦) غمره الماء : غطاه .

أيُّها الراكبونَ فى طَلَبِ الْغَيْــثِ سِراعًا والغيثُ مِلْءُ الرحالِ ! (٥٧)
لا تَـرِيموا ، مـكـانَـكُـمْ ، لا تَرِيموا ساحةُ المُلْكِ مَوْرِدُ السُّؤَّال (٥٨)

* * *

يا لَـها فَرْقَدًا أطلَّ عَلَى الدُّنْــيا ، فأمستْ نجومُها كالذُّبالِ (٥٩)
سطعتْ بالسُّعودِ ، تستقبلُ الكَوْ نَ فتحظَى بأشرفِ استقبال (٦٠)
إسْتَهلَّتْ بالسِلْمِ واليُمْنِ والعِيـدِ ، فكانتْ بَرَاعَةَ استهلال (٦١)
أُغْمِدَ السيْفُ بعدَ طُولِ جدالٍ وجدالُ السُّيوفِ شَرُّ جدال (٦٢)
أنا فى السِلْمِ عَبْقَرِىُّ القَوافى ليس لى فى الظُّبَا ولا فى النِصال (٦٣)
أنا شعرى كالطَّيْرِ يُفزِعُهُ الفَــخُّ ، ويرتاعُ من حَفيف النِبال (٦٤)
لا تعيشُ الفُنونُ بينَ كِفاحٍ راكبٍ رأسَهُ ، وبَيْنَ نِضال (٦٥)
خِفْتُ إنْ أُشْعِلَتْ لَظَى الحَرْبِ أنْ أُنْــشِدَ بَيْتًا جرَى معَ الأمثال (٦٦)
«لم أكُنْ مِنْ جُناتِها (عَلِمَ اللـــهُ) ، وإنِّى بِحَرِّها اليومَ صالى» (٦٧)
فمَتَى تَهْدَأُ القُلوبُ إلى الْحُــبِّ ، وتُهْدَى النفوسُ بعد ضَلال ؟ (٦٨)

* * *

أشْرِقى عَـابِـدِينُ ، فالمُلْكُ زاهٍ صاعِدُ الْجَدِّ ، والزمانُ مُوالى (٦٩)
أنتِ أطْـلَـعتِ فى سمائِكِ بَـدْرًا عَلَّمَ ابنَ السماءِ معنَى الكَمال (٧٠)

---

(٥٨) لا تريموا : الزموا أماكنكم .

(٥٩) الذبال : جمع ذبالة وهى الفتيل . الفرقد : نجم يهتدى به .

(٦١) يشير إلى أن مولد الأميرة كان فى وقت استبشر الناس فيه بزوال نذر الحرب (التى كاد يندلع لهيبها فى سبتمبر سنة ١٩٣٨ م بسبب أزمة السوديت التى قامت بين ألمانيا وتشكوسلوفاكيا وانتهت باتفاق ميونيخ) واستقبلوا فيه ليلة القدر وعيد الفطر فكان مولدها بشير خير وفاتحة عهد سعيد .

(٦٦) لظى الحرب : لهبها .

(٦٧) يخاف الشاعر إن دارت رحى الحروب واستعرت نيران القتال أن يصطلى بنارها ويجنى مر ثمرها وهو لم يقدح زنادها ولم يضرم شرورها ولم يكن من دعاتها ومثيريها فيتمثل ببيت الحارث ابن عباد (لم أكن من جناتها) وقد أنشده فى حرب البسوس لما أكره على خوض غمارها .

(٦٩) الموالى : المصافى .

دَوْحَةُ المجْدِ أَنْتِ، كَمْ من أصولٍ   راسياتٍ، ومن فُروعٍ هِدالِ (٧١)

دَوْحَةٌ أَرضُها من الطِيبِ والمِسْكِ،   وأثمارُها سُمُوطُ اللآلي (٧٢)

كم أظلَّتْ مِصْرًا وحاطَتْ بَنِيها   من هَجيرِ الخُطُوبِ والأهوالِ (٧٣)

أنتِ يا عابدينُ خَيْرُ بناءٍ   مَدَّ أفْياءَهُ على خَيْرِ آلِ (٧٤)

صَفَّقَتْ مِصْرُ حينما جاءتِ البُشْرَى،   فأهلاً بمولدِ الآمالِ (٧٥)

كم بسطنا الأكُفَّ نَضْرَعُ لِلرَّحْمنِ،   والليلُ مُسْبِلُ الأسْدالِ (٧٦)

وسَبَقْنا دَقَّ البشائرِ شَوْقًا   وبعثْنا السُؤالَ إثْرَ السُؤالِ (٧٧)

وَوَدِدْنا لو استقرَّ التَّمَنِّي   واستراح الرَّجاءُ بعدَ كَلالِ (٧٨)

وإذا أنْعُمُ الإلَهِ تَوَالَى   بعميمِ الإحسانِ والإفضالِ (٧٩)

وإذا الفجرُ صادقٌ يَمْلأُ الشَرْقَ،   فَيَمْحُو غياهِبَ الأوْجالِ (٨٠)

وإذا المَهْدُ فيه دُرَّةُ مَجْدٍ   لِكَريمِ الجُدودِ والأخْوالِ (٨١)

وإذا مِصْرُ أعْيُنًا وقُلوبًا   تَقْبِسُ النورَ من سَنا «فِرْيال» (٨٢)

فهنَاءً مَليكةَ النيلِ، كم حَقَّقْتِ   للنيلِ من أمانٍ غَوالي (٨٣)

وهَناءً مَليكَ مِصْرَ المُفَدَّى   نِلْتَ ـ فاشْكُرْ اللهِ ـ خَيْرَ مَنالِ (٨٤)

عِشْ، وعاشَتْ أميرَةُ المُلْكِ واسْلَمْ   لِلمعالي وصالِحِ الأعمالِ (٨٥)

---

(٧١) الهدال : ما تهدل وتثنى من الأغصان . الدوحة : الشجرة العظيمة .

(٧٢) السموط : جمع سمط وهو الخيط ينظم فيه .

(٧٤) الأفياء : الظلال .

(٧٦) الأسدال : جمع سدل وهو الستر .

(٧٨) الكلال : الإعياء والتعب .

(٧٩) توالى : تتابع .

(٨٠) غياهب : الظلمات . الأوجال : الخوف .

(٨١) المهد : الموضع يهيأ ويمهد للصبي .

(٨٢) تقبس النور : تأخذه وتستمده .

ضنّ الشعر بالمديح

عام ١٩٤٥ م.

قد قرأنا الحياةَ سَطْرًا فسطراً … وشهدْنا صروفَها ألوانَا[١]
ورأينا المِقْدامَ يسمو إلى العـ … ـزِّ ولا يرتضى النجوَم مكانا[٢]
ولمحنا بجانبيه أناساً … قُتِلوا ذِلّةً وماتوا هوانا[٣]
إنّما المَنْصِبُ الكريمُ بمن فيـ … ـه، وليس القَنَاةُ إلاّ سِنانا[٤]
قد حبَسْنا المديحَ عن كلِّ مُستا … مٍ، وأجْدِرْ بشعرنا أنْ يُصانا[٥]
لاتزينُ العقودُ جيدًا إذا لم … يكُ، بالحسن قبلَها مُزدانا[٦]
رُبَّ دُرٍّ لاقى من الصدرِ دُرّاً … وجُمانٍ فى النّحْرِ لاقى جُمَانَا![٧]
لو مدحنا من لايحِقُّ له المد … حُ لوَى الشعرُ رأسه فهجانا[٨]
الرسولُ الكريمُ أنطق حَسّا … نًا، ولولاه لم يكُن حَسّانا[٩]
وابنُ حَمْدانَ لقّنَ المتنبّى … غُرَرَ المدحِ فى بنى حَمْدانا[١٠]

---

(١) صروفها : أحداثها.

(٢) يسمو : يعلو ويرتفع.

(٤) القناة : الرماح. سنانا : سنان الرمح.

(٥) حبسنا المديح : منعنا الثناء. مستام : الذليل المهان.

(٧) در : لؤلوى ثمين. جمان : حَبة من الفضة.

(٩) حسان : حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام.

(١٠) ابن حمدان : سيف الدولة الحمدانى. المتنبى : أبو الطيب أحمد المتنبى الشاعر العربى العظيم. غرر : جمع غرة، أوائل.

يصدُق الشعرُ حينما يصدُق النا سُ فيشدو بمدحِهم نَشْوانا[11]

وإذا عـــزّتِ المكـــارمُ ولّى مُطرِقَ الرأسِ واجمًا خَزْيانا[12]

ومضَى يشتكي الزمانَ ويبكي دارساتِ الطُّلولِ والأظعانا[13]

فإذا شئتَ أن أكونَ زُهَيْرًا فأَعِنِّي وهاتِ لي ابنَ سِنانا[14]

---

(١١) نشوانا : فرحا .

(١٣) دارسات الطلول : بقايا الأطلال . الأظعانا : المسافرات .

(١٤) زهيرا : هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي العظيم مدح هرم بن سنان لكرمه وفضله ومروءته .

نشيد التاج

أنشدته فرقة معهد الموسيقى العربية بقصر عابدين بمناسبة تولية الملك فاروق آخر ملوك مصر سلطته الدستورية سنة ١٩٣٧ م .

بَسَمَتْ لِمَقْدمكَ الأمانى   وشَدَتْ لطَلْعَتِكَ الأغانى (١)
ونَزَلْتَ أحْناءَ القُلُو   بِ ، فكنْتَ فى أَوْفَى مَكَانِ (٢)
كَمْ نِعْمَةٍ أَسْدَيْتَها   ما لِلزَّمَانِ بها يَدَان ! (٣)
اليومَ تَلْبَسُ تاجَ مِصْـ   ـرَ مُمَلَّكًا مِلْءَ الزمانِ (٤)
تاجُ أضاءَ كأنَّهُ   مِنْ صُنْعِ أيديكَ الحِسانِ (٥)
مَجْدٌ أنافَ عَلَى السَّمَا   ءِ فَمَنْ يُقارِبُ أَوْيُدانى ؟ (٦)

فاروقُ يا نَجْمَ الهُدَى دُمْ لِلْعُلا (٧)
أدْرَكْتَ غاياتِ المُنَى مُتَمَهِّلا (٨)
الشَّعْبُ يلْمَحُ نُورَكُمْ مُتَفائِلا (٩)
مجدٌ أثيلٌ. دَهْرٌ مُنِيلٌ. مَلِكٌ نَبِيلٌ (١٠)
زَيْنُ المُحَيَّا سَبْطُ البَنانِ (١١)

---

(٢) أحناء : داخل . أوفى : أشمل ـ آلمن .
(٣) أسديتها : أديتها .
(٦) أناف : ارتفع وعلا حتى قرب من السماء .
(١١) سبط البنان : حسن الهيئة سخيّ كريم .

لِلّهِ تَاجُكَ إنَّمَا ... لَمَحَاتُهُ بِشْرُ الأَمانى ! [١٢]
قَدْ صِيغَ مِنْ حَبِّ القُلُو ... بِ ، فَجَلَّ عَنْ حَبِّ الْجُمانِ [١٣]
بَهَرَ العُيُونَ الخَاشِعا ... تِ جَلاَلَةً وعُلُوُّ شانِ [١٤]
وَزَهَا وَعَزَّ بِجَبْهَةٍ ... هِىَ أَوَّلٌ والبَدْرُ ثَانى [١٥]
شَذَرَاتُهُ صَفْوُ الولا ... ءِ ، وَدُرُّهُ صِدْقُ التَّهانى [١٦]
كَمْ رَحْمَةٍ ضَمَّتْ لآ ... لِئُهُ لمِصْرَ وَكَمْ حَنانِ ! [١٧]

اليوم عِيدٌ بَاسِمٌ عِيدُ الأَمَلْ [١٨]
تُزْهَى بِهِ مِصْرٌ عَلَى كُلِّ الدُّوَلْ [١٩]
مَنْ كَالْمليكِ بِنُبْلِهِ ضُرِبَ الْمَثَلْ ؟ [٢٠]
نَفَحَاتُهُ . وَصِفَاتُهُ . وَهِبَاتُهُ [٢١]
قد أعْجَزَتْ وَحْىَ الْبَيَانِ [٢٢]

حَصَّنْتُهُ بِفَوَاتِحِ الْقُرْآنِ والسَّبْعِ المَثَانى [٢٣]
نَالَتْ بِهِ مِصْرُ المُنَى ... وتَفَيَّأَتْ ظِلَّ الأمانِ [٢٤]
مَلِكٌ مَشَى الدَهْرُ الْجمو ... حُ إِلَيْهِ مُرْخِىَّ العِنان [٢٥]
أعْلَى أَبُوكَ بِنَاءَ مِصْ ... رَ وكانَ جَدُّكَ خَيْرَ بانى [٢٦]
الخَيْرُ أَسْبَقُ لِلْبقَا ... ءِ مِنَ السَوابِقِ فى الرِّهانِ [٢٧]
والبِرُّ فى آنٍ يُفَا ... دُ ، وَذِكْرُهُ فِى كُلِّ آنِ [٢٨]

فَاهْنَأْ بِمُلْكِكَ إِنَّهُ بِكَ يَحْتَمِى [٢٩]
واسْعَدْ فَكُلُّ مَجادَةٍ لكَ تَنْتَمِى [٣٠]
واسْلَمْ لِمِصْرَ عِمَادَها فى المُعْظِمِ [٣١]
عاشَ المليكْ . عاشَ المَلِكْ . عاشَ المَلِكْ [٣٢]
بالقَلْبِ يُحْمَدُ والِّلسانِ [٣٣]

---

(١٣) حب القلب : سويداؤه . الجمان : حبة من الفضة كالدرة .

(١٦) شذراته : صغار اللؤلؤ .

(٢٣) فواتح القرآن : هى بسم الله الرحمن الرحيم . السبع المثانى . فاتحة الكتاب وهى الحمد لله رب العالمين إلى أخر السورة .

تقريظ

بعث الشاعر بهذه القصيدة لأحد أصدقائه الأدباء بمناسبة كتابته لقصة مصرية عام ١٩٠٥ م.

كفَاكَ ، حَسْبُكَ هذا ، أغْمِدِ القَلَما — أصبحتَ فى الكاتبين المُفردَ العَلَمَا (١)

ملأتَ للشرْبِ كاساتٍ مُشَعْشَعَةً — ماذا عليكَ إذا سَمّيتها كَلِما ؟ (٢)

أهديتها من عصيرِ الفكرِ صافيةً — فما أثِمْتَ ، ولا شرّابُها أثِما (٣)

تفُلُّ من موطِن الأسرارِ سَوْرته — وتوقظُ الدينَ والآدابَ والكَرما (٤)

نراك فينا غلامًا فى غضارته — وفى كتابك شيخاً ينثُرُ الحِكَما (٥)

بدا الخيالُ به فى زِيِّ ذى شَبَحٍ — فكاد يلمِسُهُ قُرّاؤه وهَما (٦)

مالت له أُذُنى من بعد جَفْوتها — وكم حديثٍ تمنَّتْ عنده الصَمَمَا !

أبدعتَ فيه ، فآلَى كلُّ ذى قلمٍ — من المجيدينَ ألّا يحمِلَ القَلَما (٨)

وسُقتَ فيه حكيمَ الرأيِ منتخَلاً — وصُغْتَ فيه كريمَ اللفظِ ملتئِما (٩)

---

(١) حسبك : يكفيك . اغمد : أدخل .

(٢) للشرب : الجماعة الشاربين . مشعشعة : ممزوجة .

(٣) أثمت : أذنبت . شرابها : شاربيها والمقصود القراء .

(٤) تفل : تقطع . موطن الأسرار : كناية عن القلب . سورته : حدته .

(٥) غضارته : الغضارة ، النعمة والسعة والنضرة .

(٦) زى : لباس . ذى شبح : شخص . وهما : غلطا .

(٨) آلى : أقسم .

(٩) منتخلا : مختارًا .

وَرُعْتَ كُلَّ فتاةٍ فى قِلادتِها ... بِدُرِّ لفظِكَ منثوراً وَمنتظِما[10]

كأنّما لفظه ألحانُ ساجعةٍ ... بدائعُ الكونِ فيها صُوِّرتْ نَغَما[11]

أو روضُ حَزْنٍ أعار المِسْكَ نفحتَه ... إذا بكَى الغَيثُ فى أنحائِه ابتسما[12]

أقسمتُ أنكَ فى الكُتّاب سيّدهُم ... لا يرهَبُ الحِنْثَ من لَمْ يُخْطِىء القسَما![13]

(١٠) رعت : أخفت . قلادتها : حليها . دُر : لؤلؤ . لفظك : كلماتك . منثوره : نثرا . منتظما : منظوما شعرا .

(١١) ساجعة : الحمامة المرددة صوتها كالغناء .

(١٢) روضُ حَزْنٍ : الحزن ما غلظ من الأرض ورياض أبهى الرياض وأجملها .

(١٣) الحنث : الخلف فى القسم .

تحيةُ الشِعر للأميرَة

أرادت مدرسة الأميرة فوزية الثانوية للبنات سنة ١٩٣٣ م أن تتوج أول جزء من أجزاء مجلتها فصدّرته بهذه القصيدة .

حَيِّ الخلالَ الطاهِراتِ واصدَح بخيرِ الآنساتِ[١]
حَيِّ الأميرةَ فى جلا لِ الملكِ ، باهرةَ الصفات[٢]
(فوزيةً) بنتَ الملو كِ الصِّيدِ والغُرِّ السُّراة[٣]
الواهبين لمصرَ فيها أجزلوا نورَ الحياة[٤]
والناشرين لواءها يَختالُ بينَ الخافقات[٥]
والنازعين تراثَها من بين أطْواء الرُّفات[٦]
قامتْ بهم مصرٌ تَتيهُ على البلادِ الأخرَيات[٧]
فى حاضرٍ كالروضِ زا هٍ بالقُطوفِ الدانياتِ[٨]
وجَلائلٍ قد زيَّنتْ جِيدَ العُصورِ الخاليات[٩]

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو المزهو فى عزّ وعظمة . الغر : السادة الشرفاء ، الواحد : أغر . السراة : الأجواد الكرماء ، الواحد : سرى . وسراة ، من الجموع النادرة .

(٤) أجزلوا : أوسعوا فى العطاء وأكثروا .

(٥) اللواء : العلم . ويريد بنشر لواء مصر : تمكين سلطانها وإعزاز شأنها . يختال : يعجب . الخافقات : الأعلام ، يريد أعلام الدول الأخرى ، أو الخافقات الرياح الأربع .

(٦) النازعون : المستخلصون . التراث : ما خلفه الأوائل . الأطواء : الثنايا . الرفات : ما تحطم وبلى .

(٨) القطوف : ما يقطف من الثمار . الواحد : قطف (بالكسر) . دانية : قريبة .

(٩) جلائل ، أى أعمال عظيمة . الجيد : العنق . الخاليات : الماضية .

يا دُرّةَ التّاجِ الرفيعِ وقِبْلةَ المُتعلّماتِ[١٠]
هذِي مجلّتُنا إليكِ، وكُلُّ فَضْلٍ منكِ آتِ[١١]
جُهْدُ الفتاةِ، فشجِّعِي بقَبُولِها جُهْدَ الفتاةِ[١٢]
(فاروقُ) زينُ الناشئينَ وأنتِ زَيْنُ الناشئاتِ[١٣]
والشمْسُ إحدَى النيِّرا تِ وأنتِ أسمَى النيِّراتِ[١٤]
الله جَمَّعَ فيكِ شَمْلَ النُّبْلِ من بَعْدِ الشَّتاتِ[١٥]
خُلُقٌ كما خَطَرَ النَّسيمُ فَهزّ أعطافَ النَّباتِ[١٦]
أنقَى من الدُّرِّ الفَر يدِ يزَيِّنُ صدرَ الحالياتِ[١٧]
وشمائلٌ عَلَوِيّةٌ أصْفَى من المَاءِ الفُراتِ[١٨]
الطالباتُ ـ كما ترَ يْنَ ـ وأنتِ ذُخْرُ الطالباتِ[١٩]
يَبْعَثْنَ آياتِ الولا ءِ إلى الأميرةِ مُخْلِصاتِ[٢٠]
ويطُفْنَ بالبيتِ الكر يمِ مُكبِّراتٍ داعياتِ[٢١]
بيتٌ بناهُ مُحمّدٌ فوقَ النجومِ السابحاتِ[٢٢]
لَبِناتُهُ المجدُ العر يقُ وصخْرُه خُلُقُ الثَّباتِ[٢٣]
فيه فؤادٌ باعثُ الْـ آمالِ فياضُ الصِّلاتِ[٢٤]
الدهرُ يَرْوِي فضلَهُ والدهرُ راويةُ الرُّواةِ[٢٥]
والملكُ مُؤْتَلِقُ السَّنا فيه العشيَّةُ كالغَداةِ[٢٦]
عاشَ المليكُ وعِشْتُمُ رَمْزَ العُلَا والمَكْرُماتِ[٢٧]

---

(١٣) فاروق : ولى العهد إذ ذاك .
(١٤) النيرات : الكواكب المضيئة .
(١٦) خطر : مرّ. الأعطاف : الجوانب ، الواحد عطف .
(١٨) الشمائل : الطباع ، الواحدة : شمال (بالكسر) . الفرات : المفرط فى العذوبة .
(٢٠) آيات الولاء : مظاهر الاخلاص ودلائل الوفاء .
(٢٢) النجوم السابحات : التى تدور فى أفلاكها . محمد : أى محمد على باشا رأس الأسرة العلوية .
(٢٣) اللبنات : ما يضرب من الطين للبناء ، الواحدة : لبنة .
(٢٤) فياض الصلات : كثير العطاء واسع الجود .
(٢٦) مؤتلق : متألق متلألئ . السنا : الضوء .

إلى جريدة

عام ١٩٠٦ م.

محوتِ الليلَ ناصعةَ الْجَبينِ ... فكنتِ بشائرَ الصبحِ المبينِ[1]
وأرسلتِ الصحائفُ منك نورًا ... ففرّ الشكُّ من وَضَحِ اليقينِ[2]
وكان الحقُّ مذءومًا سجينًا ... فحطّمتِ القيودَ عن السجينِ[3]
وكنتِ صحيفةَ الأبرارِ حقًّا ... تلقّتكِ الكنانةُ باليمينِ[4]
سوادُ مِدادكِ اللَّمّاحِ سِحرٌ ... تمنّت مثلَه سودُ العيونِ[5]
أثيرى التربَ عن حقٍّ مُضاعٍ ... فقد طال المُقامُ على الدفينِ ![6]
ومُدّى الصوتَ صخّاباً جريئاً ... فمعنى الموتِ من معنى السكُونِ ![7]
وذودى عن حمَى الوطنِ المفدّى ... وردّى حرمةَ الحقِّ المصونِ[8]
وصولى صولةَ الرئبالِ يعدو ... على من حام من حوْلِ العرينِ[9]
فنحن الآنَ نحيا فى زمانٍ ... تنكّر للضعيفِ المستكينِ ![10]

---

(١) محوت : أزلت . ناصعة : بيضاء . بشائر : أوائل . المبين : الواضح .
(٣) مذءومًا : معيبا .
(٤) الأبرار : المطيعون . الكنانة : مصر .
(٥) مدادك : حبرك الذى يكتب به .
(٧) صخّابا : كثير الضوضاء .
(٩) الرئبال : الأسد . العرين : بيت الأسد .

نشيد المعلمين

نشأ الجارم معلّماً واستاذا ، فلا أقل وهو الشاعر المبدع أن يشيد ـ من خلال شعره ومن موقع الوفاء ـ بهذه المهنة الشريفة وبأربابها الشرفاء من معلمى مصر. فكان هذا النشيد « نشيد المعلمين » عام ١٩٣٨ م .

ملكتْ مصرُ زِمامَ العالمين ـ بالعلومْ ـ فى حديثٍ للمعالى وقديمْ(١)
ذكرُها حلّقَ بين الأولين ـ للنجوم ـ ووعاهُ الدهرُ والدهرُ فطيمْ(٢)
كوكَبٌ فى الظلماتِ ـ روضةٌ وسطَ فلاةِ ـ رمزُ عزمٍ وحياةِ(٣)
مصرُ أنتِ ـ مُذْ نشأتِ ـ صفحة المجدِ سجلُ الخالدينْ(٤)

* * *

نحنُ حُرَّاسٌ على الكنزِ المصونْ ـ العقُولْ ـ كَنْزُ مصر ومُنَى المستقبلِ(٥)
نحنُ للأخلاق فى مصرَ حصُونْ ـ لا تزُولْ ـ عِزَّةُ الشعبِ بعزِ المَعْقِلِ(٦)
كم غَرسْنا من نبات ـ عبقرىُ النفحاتِ ـ مُورقٌ دانِى الجناة(٧)
كم جهِدْنا ـ كم سهِدْنا ـ نهدمُ الجهلَ ونبنى الناشئينْ(٨)

* * *

---

(١) زمام : قيادة .
(٢) فطيم : فى مرحلة الفطام أى صغير.
(٣) فلاة : مفازة ، صحراء .
(٦) المعقل : الأصل أو الملجأ . أو الشرف والسيادة .
(٧) الجناة : الحصاد والجنى .

تلك فى الأرضِ حياة الأنبياء ـ والهُداةْ ـ شَرَفٌ أعظِمْ به من شَرَفِ(٩)

نحنُ للأرواحِ إن عزَّ الدّوَاء ـ الأساة ـ كم وقينا مهجةً من تلفِ(١٠)

وَألَـنَّـا مِنْ قَنـاةٍ ـ فى اعتزامٍ وأناةٍ ـ بـالحلال الطـيِّبـاتِ(١١)

كَمْ بلغْنا ـ ما أردْنَا ـ من صلاحِ النفسِ فى رفقٍ ولين*(١٢)

* * *

نرقبُ الله ونرجُوهُ الثوابْ ـ فى العَمَلْ ـ وعُلا مصر المنالُ الأوحدُ(١٣)

ما لنا إلاّ نهُوضٌ بالشبابْ ـ مِنْ أَمَلْ ـ قوّةُ الأوطانِ عقلٌ ويدُ(١٤)

حسبنا من حسناتٍ ـ أننا فى النّهَضَاتِ ـ أهلُ جدٍ وثباتِ(١٥)

الكفاحْ ـ والفَلاحْ ـ شيمةُ الحُرِّ ودأبُ العاملين*(١٦)

* * *

كم صنَعْنا مِنْ عقُولٍ ورجَالْ ـ للَوطنْ ـ عُرِفُوا بالنبلِ فيمن عُرِفَا(١٧)

ليس فيهم من دعَا الحقُ فَمَالْ ـ أوْ وَهَنْ ـ هو مصريٌّ صميمٌ وكفَى(١٨)

هُوَ من نسلِ الكُماةِ ـ الأماجيدِ السُراةِ ـ من أتَوْا بالمعْجزاتِ(١٩)

من يُباهِى؟ ـ من يُضاهِى؟ ـ ما لمصرٍ فى مدَى المجدِ قرينْ*(٢٠)

* * *

منشىءُ الأجيالِ أستاذُ الشعوبْ ـ والأُمَمْ ـ قلّما يبلغ فى الدنْيا مُنَاهْ(٢١)

شعلةٌ تعلو وتخْبو وتذُوبْ ـ فى الضِرَمْ ـ لتقودَ النشىء فى ليلِ الحياةْ(٢٢)

يالـهَا من صفحاتْ ـ طاهراتٍ ناصعاتْ ـ مُلِئت بالصالحات*(٢٣)

---

(١٠) الاساة : الأطباء . تلف : افساد .

(١١) قناة : رمح . أناة : تمهل وصبر .

(١٦) دأب : استمرار العمل دون تعب أو كلل وملل .

(١٨) وهن : ضعف .

(١٩) الكماة : رماة القوس والمقصود المحاربون الشجعان . الأماجيد : السادة الأشراف .

(٢٠) قرين : شبيه .

(٢٢) تخبو : تسكن وتهدأ . الضرم : الحطب الذى يسرع اشتعال النار فيه .

كـلٌّ خَـطْبٍ - كُـلّ صَـعْبٍ - هَـيّنٍ إنْ صَحَّ عَزْمُ الصابرين[٢٤]

* * *

عاشَ فاروقٌ أمانًا وَرَجاءْ - عَاشَ عَاشْ - رافعُ العَلَمِ ومُحيي الأملِ[٢٥]
بلغَتْ مصرُ به أوْجَ السَماءْ - عَاشَ عاشْ - وغَدَتْ سيّدة فى الدُوَلِ[٢٦]
عاشَ ربُ المكرماتْ - والأيادى السابغاتْ - يُفتدى بالمهجاتْ[٢٧]
المليك - المليك - حُبُّه ملءُ قلوب المخلصين[٢٨]

الاسكندريّة

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى العربى الذى عقد بحديقة النزهة بالأسكندرية عام ١٩٤٣ م أثناء الحرب العالمية الثانية .

بَدَتْ أعلامُها فهفا وهامَا سلامًا دُرَّةَ الوادى سلامَا [١]
بعثْنَا بالتحيّةِ خَفْقَ قلبٍ يطيرُ إليكِ شوْقًا واضطراما [٢]
تحياتٌ إذا رفَّتْ أثارتْ أريجَ المسكِ ، أو ريحَ الْخُزامى [٣]
نظمْنَا لؤلؤَ الفِرْدَوسِ فيها وسمّيناه تضليلاً كلاما [٤]

* * *

عروسَ الشرقِ دونكِ كُلُّ مَهْرٍ وأين لمِثلِ مهرِكِ أنْ يُساما ؟ [٥]
فجوهرُ ثغرِكِ الفتّانِ فَرْدٌ تأبّى أنْ يرىَ فيه انقساما [٦]
بَهرْتِ بنى الزمانِ حُلًى وحُسْنًا ودلَّهتِ الأواخرَ والقدامَى [٧]

---

(١) هفا : اشتاق وحنّ .
(٢) اضطراما : التهابا .
(٣) رفت : تحركت . أريج المسك : رائحة المسك النفّاذة الذكية . الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار ويستعمل كدواء .
(٥) يساما : سام المشترى الشىء قدرّ له ثمنا .
(٦) تأبى . تمنع .
(٧) حُلى : زينة وجمالا . دلهت : جعلتهم يتدلهون فى حبك .

«فكسُلك» مُشْرِقُ البسماتِ ضاحٍ — «ورمـلُكِ» جنّةٌ طابت مُقامًا[8]
تـرامَى المَوْجُ فوق ثَـراه صَبًّا — وكم صَبٍّ تمنى لو ترامى ![9]
«ونزهـتِك» الـبـديـعـةُ مـا أحـيلى — ومـا أبهَى اتّساقًا وانسجاما[10]
إذا انـتثرتْ أزاهــرُهـا نِـثـارا — جمعن الحسنَ فانتظم انتظاما[11]

* * *

جرى التاريخُ بين يَدَيْكِ طفلاً — وشمس الأفقِ لم تَعْدُ الفِطاما[12]
وصال البحرُ حولكِ منذُ «مينا» — عظيمًا يدفعُ الكُرَبَ العِظاما[13]
يحوطُ حماكِ أبـيضَ أَحْوَذيّـا — كما جُردتِ من غمدٍ حُساما[14]
فـكـم غـازٍ بـه أمسى رمـيـمًا — وكم فُلْكٍ به أمست حُطَاماً ![15]
يمدُّ يَـدَيْـه نحوكِ فى حـنـانٍ — ويـغـمـرُكِ اعـتـناقًا واستلاما[16]
ويشـدو فى مسـامـعكِ الأغـانى — بلحنٍ علّم السجعَ الحَماما[17]
بـعـثتِ الـنورَ من زمنٍ تولّى — وكنتِ لنهضةِ العِلْمِ الدِّعاما[18]
وفى فـجـرِ الـزمـانِ طلعتِ فجرًا — على الدنيا، فأيقظتِ النِّياما[19]

* * *

---

(٨) مكسك : حى المكس الشهير بالاسكندرية . ضاح : واضح . رملك : حيّ الرمل بالإسكندرية . طابت : حسنت .

(٩) صبًا : مغرما .

(١٠) نزهتك : حيّ النزهة بالأسكندرية .

(١١) نثارا : تفريقا وانتشارا وهو تأكيد .

(١٢) تعد : تتعدى . الفطام : مرحلة الفطام أى فى الصغر .

(١٣) مينا : أول ملك من ملوك مصر الفرعونيه من الأسرة الأولى وموحد الوجهين (البحرى والقبلى) .

(١٤) حماك : كنفك . أبيض : لونه أبيض واسمه الأبيض . أحوذيا : النشيط السريع فيا يعمل . جرّدت : أخرجت .

(١٥) غاز : عدو أتى غازيا . رميا : باليا . فلك : سفينة .

(١٦) اعتناقا : ضمّا . استلاما : تقبيلاً .

(١٧) السجع : الكلام المسجوع ــ هديل الحمام .

دهتك نوازلٌ لو زُرْنَ «رَضْوَى» ... لما أبقَيْنَ «رَضْوَى» أو «شماما»[٢٠]

فكم بعثوا عَلَى ظَمإٍ غَمامًا ... لئيمَ البرقِ قد حَجب الغماما![٢١]

أبابيلاً نشأنَ مُلَعّناتٍ ... تسوقُ أمامها الموتَ الزُّؤاما[٢٢]

وأسراب الجحيمِ مُحلّقاتٍ ... إذا ما حوّمتْ قذفتْ ضِرَامَا[٢٣]

فلا أمًّا تركن ولا رضيعًا ... ولا شيخًا رحِمْن ولا غلاما[٢٤]

وخلفَكِ رابضًا جيشٌ لُهامٌ ... يصولُ مُناجزًا جيشًا لُهَاما[٢٥]

إلى «العلمين» أبدَى ناجذَيْه ... وزمجَرَ غاضبًا وسطا وحاما[٢٦]

وهوَّل ما يَهوِّلُ واستطارت ... بُروقٌ تنشُرُ النبأَ الجُسَاما[٢٧]

فما أطلقتِ صيحةَ مُستجيرٍ ... ولا شرّدْتِ عن عينٍ مناما[٢٨]

تحدّيتِ الخطوبَ تزيدُ هَوْلاً ... فتزدادين صبرًا واعتِزاما[٢٩]

إذا عصفتْ بجَوِّكِ عابساتٍ ... ملأتِ الجوَّ هُزْءًا وابتساما[٣٠]

---

(٢٠) دهتك : أصابتك ودهمتك . نوازل : كوارث . رضوى : جبل رضوى الشهير بالمدينة . شماما : جبل . يذكر الشاعر غزو الألمان لمصر من الصحراء الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية وما أصاب الإسكندرية من غاراتهم .

(٢١) غماما : سحابا . لئيم البرق : ذو برق خبيث وكريه . والمقصود الطائرات التى كان يرسلها الألمان لضرب الإسكندرية بالقنابل فى اعداد كبيرة غطت على السحاب فى سمائها .

(٢٢) أبابيلا : فرقا متجمعة متتابعة وفيها إشارة الى الطير الأبابيل التى ترمى بحجارة من سجيل كما جاء ذكر ذلك فى سورة الفيل . الزؤاما : المحتوم .

(٢٣) اسراب : جماعات . حومت : دارت حول الشىء . ضراما : نارًا مشتعلة .

(٢٥) رابضا : معسكرا منتظرًا . لهام : عظيم كثير العدد . مناجزا : محاربا .

(٢٦) العلمين : موقعة شهيرة وحاسمة فى الحرب العالمية الثانية وسميت بهذا الاسم نسبة إلى البلد التى وقعت فيها حيث انتصر الحلفاء على الألمان وكان الجيش المصرى يحارب مع الحلفاء . أبدى ناجذيه : كشّر عن أنيابه .

زمجر : صاح غاضبا . سطا . بطش وقهر . حاما : دار وحارب فى ميدان القتال .

(٢٧) هوّل : ألزع . استطارت : انتشرت . الجساما : العظيم .

(٢٨) مستجير : مستغيث . شرّدت : بعّدت .

(٢٥) اعتزاما : قوة وصرامة ونفاذ امر .

(٣٠) هزءا : سخرية .

«عـمودُكِ» فى سمائِكِ مُشْمخِرٌّ عليه السحْبُ ترتطمُ ارتطَامَا (٣١)
«وحصنُكِ» لا يلـينُ لـه حـديـدٌ ولو شُهُبُ الدُّجَى كانت سهاما (٣٢)
وصـخـرُكِ لا يـزال اليومَ صخرًا يـفُـلُّ عـزائـمًا ويشقُّ هَاما (٣٣)
أتوْكِ مُـنـاجـزين أسودَ غـابٍ وشـالوا بعد نكبتهم نَعاما (٣٤)
ومن يـكـن الالـهُ لـه نصيـرًا فحاشا أن يُضَيَّعَ أو يُضاما ! (٣٥)

* * *

أحـقًّـا أنّ لـيـلكِ صار ليلاً وَمغْنَى اللهوِ قد أمسى ظلاما ؟ (٣٦)
وأنّ حِـدَادَ لـيـليكِ طـرّزتْـه دُموعٌ لـلـثواكِل واليتامى ؟ (٣٧)
وأنّ ملاعـبًـا ضـحِـكَتْ زمانًا غدت بيد البِلَى طلَلاً رُكَاما ؟ (٣٨)
وأنّ الـغـيـدَ فيكِ وكنّ زَهْرًا تخَيّرن الْخُدورَ لها كِمَامَا ؟ (٣٩)
وأنّ الـبـحـرَ لم ينعَمْ بوجهٍ صَباحىٍّ ، ولم يَهصِرْ قَواما ؟ (٤٠)
ولم تَـمشِ السواحرُ فيه صُبْحًا ولم تملأ شواطئَـه غـراما؟ (٤١)
حَـنـانًـا إنها شِيَـمُ الـلـيّـالى إذا كشّفْن عن غَدْرٍ لِثاما (٤٢)
ولـولا صَوْلَـةُ الأحـداثِ فـيـنـا لما عرَف الورَى حمدًا وذاما (٤٣)

---

(٣١) عمودك : عمود السوارى وهو أحد معالم الاسكندرية . مشمخر : مرتفع شاهق .
(٣٢) حصنك : المقصود قلعة «قايتباى» الشهيرة على البحر . شهب الدجى : نار تسقط من السماء فتضيئ فى ظلمة الليل .
(٣٣) يفلّ : يكسر . هاما : رأس الشىء وأعلاه .
(٣٤) مناجزين : محاربين . وشالوا : هزموا وقهروا وانقلبوا عائدين وهم كالنعام أى جبناء .
(٣٥) يضاما : يظلم .
(٣٦) مغنى اللهو : مكان اللهو والغناء .
(٣٧) حداد : ثياب المأتم السود . طرزته : شغلته وصنعته .
(٣٨) غدت : أصبحت . البلى : القدم . طللا : بقايا البناء . ركاما : تراكمت أحجاره بعضها على بعض .
(٣٩) الخدور : جمع خدر وهو مكان الإقامة . كماما : ورق الزهرة الذى يحيط بالثمرة .
(٤٠) صباحىّ : جميل . يهصر : يضم بقوة .
(٤١) السواحر : الماشيات فى الوقت قبيل الصبح .
(٤٢) شيم : عادات ـ صفات . لثاما : نقابا ، وهو الستر الذى يخفى الوجه .
(٤٣) صولة : جولة . الورى : الخلق . ذاما : عيبا وذما .

وقد يُخفى الهلالَ مِحاقُ ليْلٍ   ليظهرَ بعده بدرًا تمامًا (٤٤)

* * *

أبنتَ البحرِ ، والذكرىَ شُجونٌ   إذا لمستْ فؤادًا مُستهاما (٤٥)

ذكرتُ صِباىَ فيكِ ، وأين منّى   صباى ؟ إلامَ أنشُدُه إلاما ؟ (٤٦)

فعذرًا إن وصلتُكِ بعد هجرٍ   وما هَجَرَ الذى حفِظ الذِمَامَا (٤٧)

فهل تدْرِى النوىَ أنّا التقيْنا   كما ضمّ الهوى قُبلاً تُؤّاما ؟ (٤٨)

وأنّا بين عَتْبٍ واشتياقٍ   نناغى الحبّ رشفًا والتزاما ؟ (٤٩)

* * *

سقَى لكِ من حُماةِ الطبِّ حَشْدٌ   فكنتِ كريمةً لاقتْ كِراما (٥٠)

إذا اختلفوا لوجهِ الحقِّ يومًا   مشَوْا للحقِ فالتأموا التئاما (٥١)

ملائكةٌ إذا لَمَسوا عليلاً   أزاحوا الداءَ واستلُّوا السَقَاما (٥٢)

وجندٌ فى شجاعتِهم حياةٌ   إذا جلَب الجنودُ بها الحِماما (٥٣)

فكم أودَى بهم داءٌ عُقامٌ   إذا ما حاربوا داءً عُقاما ! (٥٤)

أمَامًا يارجالَ الطبِّ سيروا   فإنّ لكلِّ مَرْحَلةٍ أمامًا (٥٥)

أقمتم مِهْرجانَ الطبِّ يُحْيِي   مَعالمَ دَرْسِه عامًا فعاما (٥٦)

وطفتم حوْلَ شيخٍ عبقرىٍّ   فألقيتم بكفَّيْهِ الزِماما (٥٧)

---

(٤٤) محاق : ثلاث ليال من آخر الشهر العربى والمراد الظلام .

(٤٥) مستهام : هائم محب .

(٤٧) حفظ الذماما : رعى حرمتك ـ ثبت على عهدك .

(٤٨) النوى : البعد وكثرة الأسفار . تؤاما : جمع توأم وهو المولود مع غيره .

(٤٩) عتب : عتاب . التزاما : عناقا .

(٥٠) حماة الطب : المدافعون عنه وهم الأطباء الذين نزلوا بالاسكندرية وشاركوا فى المؤتمر .

(٥٢) استلوا : نزعوا ـ استخرجوا . السقاما : الأمراض .

(٥٣) الحماما : الموت .

(٥٤) أودى : أهلك . داء عقام : داء عضال .

(٥٧) شيخ عبقرى : المقصود الدكتور على ابراهيم باشا رئيس المؤتمر . الزماما : القيادة .

دعونـاه أبـا حسنٍ «علـيًّـا» فقلتم : نحن ندعوه الإماما[٥٨]

* * *

وفودَ العُـربِ غنّـاكـم قريضى وحنّ إلى معـاهـدكم وهاما[٥٩]

رمَى الشرقُ الغمامةَ بعد لأيٍ وألقى تحت رجْلَيْه الخطاما[٦٠]

عقـدنـا لـلعرُوبةِ فيه عهدًا فلا وَهَنًا نخافُ ولا انفصاما[٦١]

تَـلُـمُّ شـتـاتَـنـا أنَّى نزلـنـا حِجـازًا أو عِراقا أو شَآما[٦٢]

ونمشى إن دعتْ صَـفًّـا فصفًّـا نصافحُ تحتَ رايتِها الوِئاما[٦٣]

---

(٥٨) أبا حسن عليا : لقب الامام على كرم الله وجهه وللدكتور على ابراهيم باشا نجل هو الاستاذ الدكتور حسن على ابراهيم الجراح المشهور .

(٦٠) الغمامة : ما يوضع على عينى الدابة كى لا ترى . لأى : تعب ومشقه ـ جهد . الخطاما : حبل يوضع فى فم البعير ليقاد به .

(٦١) وهنا : ضعفا . انفصاما : تفرّق .

(٦٢) شتاتنا : تفرقنا . شآما : بلاد الشام .

(٦٣) رايتها : علمها . الوئام : الوفاق .



الجزء الثانى

تقـديـم

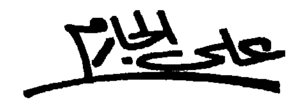
هذا هو الجزء الثانى من شعرى ، أضعه بين يدى كل أديب ، وأنشر صفحاته أمام كل شاعر ، وأرسل صيحاته فى سماء مصر وأرجاء العروبة .

شعر كانت أوزانه من نبضات قلبى ، وبحوره من قطرات دمعى ، هتفت به فكان صدًى لروحى وخفقة لنفسى ، ثم أهديته إلى مصر وأبناء مصر ، وأشدت فيه بالشرق وأبناء الشرق ، وشدوت بالبطولة والأبطال ، وحفزت به شباب العرب إلى الاعتزاز بقومهم والتغنى بالشرف التالد والمجد القديم .

شعر نصر الفصحى فنصرته ، وصان لها ديباجتها فصانته ، وخطّ للناشئين مثالا فيه نبل القديم وجِدّة الحديث ، وأبان أن العربية تستطيع أن تقول فى كل شىء دون أن يمسّها من آفات العجمة شىء .

والشعر لا يقاس بالكثرة ، ولا يوزن بالقنطار ، وإنما هو فن من أدق الفنون حسًّا ، وأبعدها عن طالبيه منالا ، فليس كل ما صحّت تفاعيله شعرًا ، وليس كل ما حواه إطار فنًّا .

إنّما الشعر على كثرته ... لا ترى فيه سوى إحدى اثنتين
نفحةٌ قدسيةٌ أو هذرٌ ... ليس فى الشعر كلام بين بين !



محمد رسول الله

ألقى الشاعر هذه القصيدة احتفاء بالمولد النبوى الشريف سنة ١٣٦٢ هجرية (١٩٤٣ م).

تحيَّةُ ناءٍ من شَذَى المسكِ أطيبُ ... ومن قَطَراتِ المزْنِ أصفى وأعذبُ[١]

وتبريحُ أشواقٍ إذا ما تنفَّستْ ... يكادُ لها فحمُ الدجَى يتلهَّبُ[٢]

وقلبٌ يضيقُ الصدرُ عن نَبَضاتِه ... فيخفِقُ غيظاً بالْجَناحِ ويَضْرِبُ[٣]

تلفَّتَ فى الأضلاعِ حَيْرانَ يائساً ... وأنَّ كما أنَّ السجينُ المُعذَّبُ[٤]

تعاوِدُه الذكْرَى فتَنْكأُ جُرحَه ... ويا ربَّ جُرْحٍ حارَ فيه المُطَبِّبُ ![٥]

ويخدَعُه طَيْفُ الخيالِ إذا سرَى ... فيبعَثُ آمالَ الشجىِّ ويذهَبُ[٦]

ومَنْ أبصرَ الأيامَ خَلْفَ قِناعِها ... رأى الدَّهْرَ يلهو، والأمانىَّ تكذِبُ[٧]

عجائبُ أحداثٍ تليها عجائبُ ... وصَبْرى على تلكَ العجائب أعْجَبُ[٨]

ولولا حياةُ الوَهْمِ أودَى بأهله ... زمانٌ بأشواكِ الحقائِقِ مُخْصِبُ[٩]

تَبَسَّمْ إذا ما الدَّهرُ قطَّبَ وجهه ... وصَفِّقْ له فى دورِه حينَ يلْعَبُ[١٠]

يموتُ الفتَى من قَبْلِ أنْ يعرفَ الفتَى ... من الأمرِ ما يأتى وما يتجنَّبُ[١١]

---

(١) ناء : بعيد . شذى المسك : رائحة المسك الذكية الفوّاحة . المزن : السحاب الممتلئ بالماء .

(٢) تبريح أشواق : توهج أشواق . فحم الدجى : المقصود سواد ظلمة الليل . يتلهب : يتقد ويشتعل .

(٥) تنكأ جرحه : تهيج وتثير جرحه قبل أن يبرأ . المطبب : الطبيب المداوى .

(٩) مخصب : كثير الخير .

(١٠) قطّب وجهه : عبس وتجهّم .

وسِيّان ما يدريه والشَّعْرُ فاحمٌ أثيثٌ ، وما يَدرِيه والشَّعْرُ أشْيَبُ[١٢]
وقالوا : حياةُ المرءِ درسٌ فقهقهتْ صُروفُ الليالي والقَضاءُ المُغَيَّبُ[١٣]
إذا ما جهِلتَ النفسَ وهي قريبةٌ فأيُّ المعاني بعد نفسِكَ أقْرَبُ[١٤]

* * *

حنَاناً لقلبي كيف طاحتْ به المُنَى وعَزَّ على الأيامِ ما يتطَلَّبُ ؟[١٥]
يغازِلُه في مطرَحِ النسْرِ مأرَبٌ ويختِلُه في مسبَحِ الحوت مأرَبُ[١٦]
يكادُ إذا مرَّ الحِجازُ بذِكْرِه وجيرتُهُ من صدرِه يتوثَّبُ[١٧]
بلادٌ بها الرحمنُ ألقى ضِياءه على لابتَيْها والعوالِمُ غَيهَبُ[١٨]
تكادُ إذا مرَّتْ بها الشمسُ غُدْوةً حياءً بأهدابِ السحابِ تَنقَّبُ[١٩]
يجلِّلُها قُدْسٌ من الله سابغٌ وينفَحُهَا نَشْرٌ من الْخُلد طيِّبُ[٢٠]
إذا نَسَبَ الناسُ البلادَ رأيتَها إلى جَنّة الفردوس تُعزَى وتُنْسَبُ[٢١]
وإن تَضَبَتْ أنهارُها فَبِحَسْبِها من الدِّين نهرٌ للهُدَى ليس ينضُبُ[٢٢]
إذا ماجرَى في الأرض فالجدبُ مُخْصِبٌ وإنْ هو جافَى الأرضَ فالخِصْبُ مجدِبُ[٢٣]
يفيضُ على الأقطارِ يُمناً ورحمةً ويزأرُ في أُذْنِ العُتاةِ ويصْخَبُ[٢٤]
تفجَّرَ من نَبْعِ النُّبُوَّة ماؤُه له الحقُّ وِرْدٌ والسماحةُ مَشْرَبُ[٢٥]
ووحَّدَ بين الناس ، لا البُعد مُبْعِدٌ عن الساحةِ الكبرى ، ولا القُرْب مُقْرِبُ[٢٦]

---

(١٢) أثيث : قوى النمو كثير .
(١٣) المغيَّب : ما غاب عنك وهو المستقبل .
(١٥) حنانا : رحمة . طاحت : ذهبت . عز : قلّ ونَدُر .
(١٦) يغازله : يلاطفه . مطرح النسر : أعالى الجبال . يختله : يخدعه . مسبح الحوت : البحار الكبيرة . الذكر : التذكر .
(١٨) لابتيها : اللابة الأرض ذات الحجارة السود وبالمدينة المنورة لابتان تكتنفها . غيهب : فى علم الغيب .
(١٩) أهداب السحاب : أطراف السحاب . تنقب : تهرب .
(٢٠) نشر : رائحة طيبة .
(٢١) تعزى : تنتمى وتنتسب .
(٢٢) ينضب : يجف .

فليس لدَى الإسلامِ شرقٌ ومَشْرِقٌ ... وليس لدى الإسلامِ غَرْبٌ ومَغْرِبُ(٢٧)
همُ الناسُ إخوانٌ سواءٌ على الهدى ... بطئُ المساعى والشريفُ المهيَّب(٢٨)
فما حَطَّ من قَدْرِ الفَزَارىّ فاقَةٌ ... ولا زاد فى قدْرِ ابن أيهم مَنْصِب(٢٩)
يجمِّعُهم قلبٌ على الحقِّ واحدٌ ... وإن فُرِّقتْ أوطانُهم وتَشَعَّبُوا(٣٠)
إذا صاح فى «جَيْحُونَ» يومًا مُؤَذِّنٌ ... أجاب على «التاميز» داعٍ مُثَوِّبُ(٣١)
وإن ذَرَفَتْ من جَفْنِ دِجْلَةَ دمْعَةٌ ... رأيتَ دموعَ النيلِ حَيْرَى تَصَبَّبُ(٣٢)
وإن مسَّ جُرْحٌ من فِلَسْطِينَ إصْبعاً ... شكا حاجِرٌ منه وأنَّ المحَصَّبُ(٣٣)

* * *

بنفسى وليداً فى أباطح مكةٍ ... تتيه به الدنيا ويشرُفُ يَعْرُبُ(٣٤)
أطلَّ عليها مثلما تبسِمُ المنَى ... ويسطَعُ فى الليل الخُدَارىِّ كوكَبُ(٣٥)
وكان لها رمزَ الحياة فأشرقتْ ... كما هز أفنانَ الخمائل صَيِّبُ(٣٦)
وكم مدَّتِ الأعناقَ ترقُبُ لمحةً ... فطال عليها صبرُها والترقُّبُ(٣٧)
توالت بها الأيامُ ، تذهَب أحْقُبٌ ... وتأتى على اليأس المبرح أحْقُبُ(٣٨)

---

(٢٨) بطىء المساعى : الرجل ذو الطموح المحدود . المهيب : الذى يهابه الناس .

(٢٩) الفزارىّ : اعرابى من بنى فزارة داس على فضل إزار جبلة بن الأيهم وهو من عظماء الروم وكان قد دخل فى الإسلام ـ فلطم ابن الأيهم الفزارى فشكاه إلى سيدنا عمر بن الخطاب فحكم له بأن يقتص من جبلة .

(٣٠) تشعبوا : تفرقوا .

(٣١) جيحون : نهر جيحون ببلاد التركستان فى الشرق . التاميز : نهر بإنجلترا فى الغرب . داع : يدعو الناس. مثوب : والتثويب يكون فى آذان الفجر خاصة وهو قول المؤذن الصلاة خير من النوم والمقصود الاستجابة للصلاة فى جميع انحاء العالم .

(٣٢) دجلة : نهر دجلة فى العراق . تصبب : تنسكب .

(٣٣) حاجر : نزل للحاج بالبادية . المحصب : موضع رمى الحجارة بمنى .

(٣٤) بنفسى : أفديه بروحى . وليدا : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أباطح : مسيل واسع فيه حصى . يعرب : أبو العرب .

(٣٥) الخدارىّ : المظلم .

(٣٦) صيّب : السحاب ذو الصوت أى : الممتلئ بالماء

(٣٨) أحقب : سنون .

إلى أنْ بدا نورُ الإله فأقبلتْ   عوالمها تشدو بطه وتَطْرَبُ[٣٩]

وليدٌ له عُلْيَا معدّ ذُؤابةٌ   جلالةُ أنسابٍ ، ومجدٌ مؤشَّبُ[٤٠]

حوته كما اعتاد الأعاريبُ جَفْنَةٌ   وقد ضاق عن آماله الفيح سَبْسَبُ[٤١]

يحيِّيه من طَيْفِ الملائِك مَوْكِبٌ   ويرعاه من طَيْفِ النبيينَ مَوْكب[٤٢]

فهل علم الرومانُ أنَّ مهادَه   قِرابٌ به ماضى الغِرارِ مُشَطَّب[٤٣]

وأنّ به نفسًا يُحطِّمُ دونها   منيعُ الصياصى ، والحديد المَذرَّب ؟[٤٤]

وأن به من صَوْلةِ الله ـ جَحْفَلاً   يَثُلُّ عروشَ القاسطينَ ويَسْلُب ؟[٤٥]

له الكونُ مَيْدانٌ إذا سلَّ سيفَه   وقال لِفُرْسانِ الملائِكةِ : اركبُوا[٤٦]

يطيرُ عِداهُ منه ذُعْراً وخَشْيةً   وإنْ مَلأُوا الأرضَ الفضاء وأجْلبُوا[٤٧]

ومَنْ لم يُؤَدِّبْهُ البيانُ وهَدْيُه   فإنَّ الحسامَ العَضْبَ نِعمَ المؤدِّبُ[٤٨]

فقد أنزلَ اللهُ الحديدَ وبأسَه   لمن سَدّ أُذنَيْهِ الهوى والتعصّبُ[٤٩]

وفى صَدْعَةِ الإيوانِ إنذارُ أمةٍ   بأنَّ من الأشياء ما ليس يُشعَبُ[٥٠]

* * *

محمد أنقذتَ الخلائقَ بعد ما   تنكَّبَتِ الدّنيا بهم وتنكّبوا[٥١]

وأطلقْتَ عقْلاً كان بالأمس مُصْفَدًا   فدان له سرُّ الوجودِ المحجَّبُ[٥٢]

---

(٤٠) عليا : الرفعة ، معد : قبيلة عربية ذات سيادة . ذؤابة : ذؤابة الشىء أعلاه . المؤشب : الشجر المتلاصق والمراد بالمجد المؤشب المجمع من كثير من أعمال الفضل والنبل .

(٤١) الأعاريب : سكان البادية . جفنة : وعاء او قصعة يوضع بها الطفل الرضيع . سبسب : المفازة أو الأرض المستوية البعيدة الواسعة .

(٤٣) قراب : جراب السيف . الغرار : حد السيف . المشطب : السيف فى حده خطوط مجوفة .

(٤٤) الصياصى : جمع صيصية : الحصن . الحديد المذرب : الحديد الحاد .

(٤٥) صولة : قوة . يثل : يذهب ملكه أو عزه . القاسطين : الظالمين . يسلب : يختلس .

(٤٦) سل : أخرجه من غمده .

(٤٨) الحسام العضب : السيف الطاعن .

(٥٠) صدعة الايوان : شق إيوان كسرى وهدمه وكسره . يشعب : يُصلح .

(٥٢) مصفدا : مقيدا . دان : خضع . المحجب : المستور فى علم الغيب .

وأرسلتها من صَيْحةٍ نبويَّةٍ يَمُور لها قَلْبُ الجبالِ ويُرْعَبُ[٥٣]
إذا كان صوتُ اللهِ فى صيحةِ الفتى فأىٌّ عبادِ اللهِ يَخشَى وَيرهَبُ؟[٥٤]
وبلَّغتَ آياتٍ، روائعُ لفظِها من الصبحِ أهدَى أو من النجم أثْقَبُ[٥٥]
كأنّ، وما تُغْنِى كأنّ؟ فَخلُّها فإنّ من التشبيه ما يتصعَّبُ[٥٦]
وماذا يقولُ الشِّعْرُ فى آيِ رحمةٍ لها الله يُمْلِى والملائكُ تكتُبُ؟[٥٧]
خطبتَ لنا يومَ الوَداعِ مُشَرِّعاً وهل لكَ نِدٌّ فى الورى حين تخطب؟[٥٨]
فكشَّفْتَ أسرارَ السياسةِ مُوجِزاً وجئتَ بما يَعْيَا به اليومَ مُسهِبُ[٥٩]
وأمليتَ دُسْتُوراً شَقِينا بتَرْكِه فَثُرنا على الأيامِ نشكو ونعتبُ[٦٠]

* * *

إليكَ رسولَ اللهِ طار بنا الهوَى وحُلْوُ الأمانى والرجاءُ المحبَّبُ[٦١]
أفِضْها علينا نَفحةً هاشميةً تَلُمُّ شتاتَ المسلمينَ وترأبُ[٦٢]
وترجِعُ فيهم مثلَ سعدٍ وخالدٍ وترفَعُ من راياتهم حينَ تُنصَبُ[٦٣]
سنصحو فقد ملَّ الطريحُ وِسَادَه وفى نُورِك القدسىِّ نسعَى وندأبُ[٦٤]
عليكَ سلامُ اللهِ ماحَنَّ واجدٌ وفاخرتِ الدّنيا بقبرِكَ يَثْرِبُ[٦٥]

---

(٥٣) يمور : يتحرك ويذهب .

(٥٥) أثقب : مضئ .

(٥٩) مسهب : كثير الكلام .

(٦٢) شتات : تفرق . ترأب : تصلح .

(٦٣) سعد وخالد : هما بطلا الإسلام سعد بن أبى وقاص وخالد بن الوليد .

(٦٤) ندأب : نجد ونتعب .

(٦٥) واجد : حبيب . يثرب : المدينة المنورة .

فلسطين

نظم الشاعر هذه القصيدة عندما توالت انتصارات الجيش المصرى فى فلسطين عام ١٩٤٨ م إلى أن وصل إلى مشارف «تل أبيب» فتدخلت أمريكا وفرضت الهدنة على الجانبين من أجل صالح إسرائيل لتجنبها عار هزيمة محققه :

تَـألَّـقَ الـنصْـرُ فـاهـتـزّتْ عَـوَالـيـنـا ... واستقْبَلتْ مَوْكِبَ البُشْرَى قَوَافينا [١]

غَنّى لَنَا السَّيْفُ فى الأعناقِ أغْنيةً ... عزَّتْ على الأيكِ إيقاعاً وتلْحينا [٢]

هَزَّتْـهُ كَـفٌّ من الـفُـولاذِ قَبْضتُهَا ... فى الهَوْلِ ما عَرَفَتْ رِفْقًا ولا لِينًا [٣]

من صَخْرِ «خُوفُو» لها دُونَ الْوَرى عَضَلٌ ... جرى به دَمُ عَـدْنانٍ شَرايينا [٤]

نفسى فِدَى الفارسِ المصرىِّ إن خَطَرَتْ ... بـه المواكِبُ أوخَـاضَ الميادينَا [٥]

تلقّاهُ فى السِّلْمِ ماءً رقَّ سلسَلُهُ ... وفى الحُروبِ إذا ما ثَارَ أتُّونَا [٦]

يرى الـدِّماءَ عـقـيـقاً سَالَ جَامِدُهُ ... ويَحسَبُ النقْعَ فيها مِسْكَ دارِينا [٧]

ما بَيْنِ «عمرو» و«مِينا» زانَهُ نَسَبٌ ... فَمَن كـآبـائِـهِ عُرْبًا فَراعِينَا ؟ [٨]

---

(١) تألق : ازدهر . عوالينا : أعالينا .

(٢) الأيك : الشجر الملتف والمقصود الحدائق .

(٤) «خوفو» ملك من ملوك مصر القديمة وبانى الهرم الأكبر . لهادون الورى : انفردت عن الخلق . عدنان : جد العرب .

(٦) سلسله : عذوبته وصفاؤه . أتون : الأخدود من النار .

(٧) عقيقا : نوع من الأحجار الكريمة حمراء اللون . النقع : الغبار . مسك دارينا : طيب من منطقة بالبحرين ينسب اليها المسك .

(٨) عمرو: هو عمرو بن العاص داهية العرب وفاتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما . مينا : ملك من ملوك مصر الفرعونية وهو أول من وحّد الوجهين البحرى والقبلى لمصر .

سَلْ مِصْرَ عنهم سَلِ التاريخَ إنَّ بِهِ ... سِرًّا من المجدِ لا يَنْفَكُّ مكْنُونَا(٩)
سُيُوفُهم كُنَّ للطغيَانِ ماحِقَةً ... وعدْلُهُمْ كانَ للدنيا مَوازِينَا(١٠)
وجيْشُهُمْ هزَّتِ الدُّنيا كتائِبُهُ ... وحكمُهُمْ مَلأَ الآفاقَ تمدِينَا(١١)
إنَّا بَنِي الأُسْدِ أمضَى مِخْلباً ويداً ... لَدَى الصِّراعِ وأحْمَى الناسِ عِرْنِينَا(١٢)
إذا دَعَا الحقُّ لبَّتْهُ جحافِلُنا ... وإن سَطَا الجَوْرُ ردَّتْهُ مَواضِينا(١٣)
عِشْنَا أعِزَّاءَ مِلْءَ الأرضِ ما لمسَتْ ... جِبَاهُنَا تُرْبَهَا إلاّ مُصلِّينَا(١٤)
لا ينْزِلُ النصرُ إلاّ فوْقَ رايتنا ... ولا تمسُّ الظُّبَا إلاّ نَواصِينَا(١٥)

* * *

أليْسَ من أُحْجِياتِ الدَّهْرِ قُبَّرةٌ ... رَعْنَاءُ تَزْحَمُ فى الوَكْرِ الشَّواهينَا(١٦)
وتائِهٌ مالَهُ دَارٌ ولا وطنٌ ... يسْطُو على دارِنا قَسْراً ويُقْصِينَا(١٧)
فيا جبالُ اقذفِى الأحجارَ من حُمَمٍ ... ويا سَمَاءُ امْطِرِى مُهْلاً وغِسْلينَا(١٨)
ويا كواكبُ آنَ الرَّجْمُ فانطلقِى ... ماأنتِ، إنْ أنتِ لم ترْمِ الشياطينَا؟(١٩)
ويا بحارُ اجْعَلِى الماءَ الأُجَاجَ دَماً ... إذا عَلَتْ رَايةٌ يَوْماً لصهيونَا(٢٠)
العَهْدُ عِنْدهُمُ خُلْفٌ ومجحَدَةٌ ... فما رأيناهُمُ إلاّ مُرائينَا(٢١)

---

(٩) لا ينفك : لا يُحل ولا يتفكك . مكنونا : مخزونا .
(١٠) ماحقة : قضت عليها .
(١٢) عرنينا : أنفا وكبرياء .
(١٥) الظبا : الظباء . نواصينا : جهاتنا وأرضنا .
(١٦) قبّرة : نوع من الطيور صغير . رعناء : حمقاء . الوكر : العش . الشواهينا . نوع من الطيور الجارحة وهى الصقور المدربة على الصيد .
(١٧) تائه : ضال وليس له وطن إشارة إلى اليهودى التائه .
(١٨) حمم : نار ملتهبة . مهلا : نحاسًا مذابًا . غسلينا : ما اغتسل من لحوم أهل النار ودمائهم .
(١٩) الرجم : القتل وأصله الرمى بالحجارة .
(٢٠) الأجاج : المالح . صهيون : أتباع صهيون من اليهود الذين أقاموا إسرائيل .
(٢١) خلف : كذب . مجحدة : نكران . مرائينا : منافقين .

ما ذَلِكَ السمُّ فى الآبارِ؟ ويْلَكُمُ! وَمَنْ نُحارِبُ؟ جُنْداً أم ثَعابينَا[٢٢]
مَرْحَى بدولتهِمْ! ماتت لمولدِها فكانَ ميلادُها حُزْناً وتأبينَا[٢٣]
جاءوا مُهَنِّئينَ أرْسالاً على عَجَلٍ فحيينًا نطَّقوا كانُوا مُعزِّينا[٢٤]
وآضَ تَصفِيقُهُمْ نَوْحاً ومندَبَةً وأصبحَ البِشْرُ تقطيباً وتغْضِينَا[٢٥]
رِوايةٌ ما أقامُوا سَبْكَ حَبْكَتِها ولا أجَادُوا لها لَفْظاً وتلقينَا[٢٦]
قد حيَّرتْنَا، أمأساةٌ؟ أمهزلَةٌ؟ فالسُّخْفُ يُضحِكُنا والجهلُ يُبكينَا[٢٧]
أهْلاً بِها دوْلةٌ ضاقَ الفضاءُ بها فَتْحاً وغَزْواً وإعْزازاً وتمكينَا[٢٨]
لها قوانينُ من عَدْلٍ ومَرْحَمَةٍ قد نَفَّذُوا بعضَها فى «دَيْرِياسينَا»[٢٩]
أسْطُولُها يملأُ البحرَ المحيطَ دَمًا وجيشُهَا يملأُ الآطَامَ تحصينَا[٣٠]

* * *

نفسى فِدَاءُ فلسطينٍ ومالَقِيتْ وهل يناجى الهوى إلاّ فِلَسْطِينا؟[٣١]
نفسى فِدَاءٌ لأولَى القبلتين غدتْ نَهْباً يزُاحِمُ فيه الذئبُ تِنِّينَا[٣٢]
قلبُ العروبَةِ إن تَطعنْهُ زعِنِفَةٌ كُنَّا لها ولأشقاهَا طوَاعينَا[٣٣]
وقلعَةُ الشرقِ إن مُسَّتْ جوانِبُها خُضْنَا لها جُثَثَ القتْلَى مَجَانينَا[٣٤]
وأسْطُرٌ من تَواريخٍ مُخَلَّدةٍ كانت لمجدِ بَنِى الفُصْحَى عَناوينَا[٣٥]
فقبِّلُوا تُرْبَ «حطِّينٍ» فإنَّ بِهِ دَمَ البُطُولةِ مِنْ أيام «حطينَا»[٣٦]
أرْضٌ بذَلْنَا بها الأرواحَ غاليةً داعِينَ للهِ فيها أو مُلَبِّينَا[٣٧]

---

(٢٢) كان اليهود يضعون السم فى آبار العرب فى أوائل حربهم فى الأربعينات.

(٢٥) آض: رجع وأصبح. (٢٦) سبك حبكتها: اعدادها.

(٢٩) دير ياسين: قرية فى فلسطين قام اليهود بذبح نسائها وشيوخها وأطفالها عندما احتلوها فى حربهم الأولى ضد العرب.

(٣٠) الآطام: البيوت المغلقة.

(٣٢) أولى القبلتين: بيت المقدس وبها المسجد الأقصى.

(٣٣) زعنفة: جماعة ليس اصلهم واحد. لأشقاها: الشديد العسر. طواعينا: محاربين ومصيبين لهم.

(٣٦) حطين: اسم بلد فى الشام اشتهرت بالمعركة التى انتصر فيها القائد صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين.

ومسجدُ نزلَ المختارُ ساحتَهُ — نموتُ فيه ونحيا مُسْتميتينا[٣٨]
أنرتضِى أنْ نَرى ميراثَنا بَدَدًا — ونكتفى بدموعٍ فى مآقينا ؟ ![٣٩]
ما قيمةُ النَّفسِ إن هانَتْ لطائفةٍ — اللهُ صَوَّرَ فيها الذُّلَّ والهُونَا ؟[٤٠]
وما نقولُ لأبطالٍ لنا سَلَفوا — إذا تَهدَّم ماكانُوا يَشيدونَا ؟[٤١]
وما نقولُ لعمرو حينَ يسألُنا — إن لم نُجِبْ قبلَهُ بالسيفِ غازِينَا ؟[٤٢]
أتلكَ أندلُسٌ أُخرى ؟ فقد نبشَتْ — من حقدِ ساداتِهِمْ ماكان مدفُونَا[٤٣]
سُحْقًا لسكِّينِ « فرديناند » كم ذَبحتْ — واليومَ تشحَذُ أمريكا السكاكينا ! ![٤٤]
قد شرَّدُوا العُرْبَ واستاقُوا حرائِرَهُمْ — فأينَ فِتيانُنا ؟ أيْنَ المحامُونا ؟[٤٥]
من كُلِّ عَادٍ له فى الشرِّ فلسفةٌ — أسرارُهَا عند مُوشَى وابن غُرْيونا[٤٦]
لا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فى أهلٍ ولا ولدٍ — ولا يرى غيرَ جمعِ المالِ قانونَا[٤٧]
الألفُ تصبحُ فى كفَّيهِ بين رِبًا — وبينَ مالستْ أدرِيهِ ملايينَا[٤٨]
إن كان يحميهُم المالُ الذى جمعُوا — فإنَّ خالقَ هذا المال يَحمينَا[٤٩]
قالوا : أسُودٌ . فقُلنَا : فى الجحورِ نَعَمْ — فإن خرجتُمْ يَعُدْ كُوهِينُ كُوهِينَا[٥٠]

* * *

بنى العُرُوبةِ هذا اليومُ يومُكُمُ — سيرُوا إلى الموتِ إنَّ الموتَ يُحيينَا[٥١]
وخلِّفُوا للعُلا والمجدِ خالدةً — تبقى حديثَ اللَّيالى فى ذَرَارِينا[٥٢]

---

(٣٨) مسجد : المسجد الأقصى . المختار : سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .
(٤٠) الهونا : الهوان .
(٤٢) عمرو : عمرو بن العاص القائد العربى الشهير .
(٤٣) يشير إلى مأساه انهيار حكم العرب فى الأندلس .
(٤٤) فرديناند : قائد من قواد الفرنجه استطاع بالخديعة والدهاء أن يطرد العرب من الاندلس خاصة بعد ضعفهم وانقسامهم .
(٤٥) استاقوا : أسروا واستعبدوا . حرائرهم : نساؤهم الأحرار .
(٤٦) عاد : متجن ظالم . موشى وابن غريونا : هو موسى شرتوك وبن غريون من أوائل وزراء دولة اسرائيل .
(٤٧) الرزء : المصيبة .
(٥٢) ذرارينا : ذريتنا أى أبناؤنا .

لقد صَدِئْنا ودُون الغِمدِ منفسَحٌ … فجرِّدُوا حَدَّ مَاضينا لآتينا (٥٣)

وقَرِّبُوهُمْ قرابيناً مُحَوَّرةً … للسيفِ إن يَرْضَ هاتيكَ القرابينا (٥٤)

ماذا إذا مَا فَقدنا إرْثَ أُمَّتِنَا … وما الذى بعدَهُ يبقى بأيْدِينا (٥٥)

ذُودُوا كما يدفَعُ الضِّرغَامُ فى غضبٍ … عن العرينِ أُبَاةً شَمَّرِيِّينَا (٥٦)

لا ترهَبُوا القومَ فى مالٍ وفى عددٍ … إن الفقاقيعَ تطْفُو ثم يَمْضينَا (٥٧)

* * *

إن لم تصُونوا فَلِسْطِيناً وجبهتها … ضاعت عُرُوبتُنا وانفضَّ نَادينَا (٥٨)

فإنَّ للشرقِ أعْدَاءً ذوى إحَنٍ … اللهُ يكفيهِ نجواهُمْ ويكفينَا ! (٥٩)

لهُمْ سِهامٌ خفياتٌ مسممةٌ … من السياسة تَرْميهِ وتَرْمينَا (٦٠)

كم نمقوا صُوَراً شتَّى وكَمْ خلقُوا … للغدْرِ والفتكِ أشكالاً أفانينا (٦١)

* * *

يا جَيْشَ مِصْرَ ولا آلوكَ تهنئةً … حقَّقْتَ ظَنَّ الليالى والمُنَى فينَا (٦٢)

وصَلْتَ آخرَ عُلْيانا بأوّلِها … فما أواخرُنَا إلاَّ أوالينَا (٦٣)

أعَدْتَها وثبةً بدريَّةً صرعَتْ … دُهَاةَ جيشِ يهوذا والدَّهاقينَا (٦٤)

شجاعَةٌ مزَّقتْ أحلامَ ساستِهِمْ … وعلَّمتْ مُترفِيهم كيفَ يصْحُونَا (٦٥)

تسيرُ من ظَفَرٍ حُلْوٍ إلى ظفرٍ … مُبَارَكَ الفتحِ والرَّاياتِ ميمُونَا (٦٦)

فيكَ الملائكُ أجْنَادٌ مُسوَّمَةٌ … أعلامُها تتهادَى حَوْلَ جِبْرِينَا (٦٧)

---

(٥٤) قربوهم : قدموهم . قرابينا : ما يتقرب به إلى الرفعة والمجد . محورة : ملونة بلون الدم .

(٥٦) الضرغام : الأسد . شمريينا : مختالينا .

(٥٩) احن : حقد .

(٦٢) آلوك : أرسل إليك رسالة .

(٦٤) بدرية : نسبة إلى غزوة بدر التى انتصر فيها المسلمون على الكفار . جيش يهوذا : جيش اليهود الصهاينة .
الدهاقينا : الزعماء فى الدين .

(٦٧) جبرينا : سيدنا جبريل .

وفيكَ مِن مُهجَاتِ النيلِ ناشِئةٌ فيها مَطامِحُنا ، فيها أمَانينَا[٦٨]

يمشون للموتِ فى شوقٍ وفى جَذَلٍ لأنَّهُمْ فى ظِلالِ اللهِ يمشُونَا[٦٩]

إن شَكَّ فى عَزمةِ المصرىِّ مُختَبِلٌ فبيْن فِتْيانِنا يلْقَى البرَاهِينَا[٧٠]

لا يستطيعُ خَيَالٌ وصْفَ جُرْأتِهِمْ ويعجزُ الشعرُ تصويراً وتَلْوينَا[٧١]

هُمُ رياحينُ مصرٍ نَضْرَةً وشذاً لا أذْبَلَ اللهُ هاتيكَ الرياحينَا[٧٢]

صانَ الإلَهُ لجيشِ الشرقِ عِزَّتَهُ وصَانَ أبطالَهُ الغُرَّ الميامينَا[٧٣]

---

(٧٣) الميامينا : المباركين .

رثاء شوقى

احتفلت الحكومة المصرية بتأبين المرحوم أحمد شوقى بك ، فاجتمع لذلك بدار الأوبرا حفل حاشد فى سنة ١٩٣٢ م حضره شعراء بعض الدول العربية ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى هذا الحفل .

هَلْ نَعَيْتُم لِلْبُحْتُرِىِّ بَيَانَهْ ! ... أَوْ بَكَيْتُم لِمَعْبَدٍ أَلْحَانَهْ ! [1]

أَوْ رَأَيْتُم رَوْضَ الْقَرِيضِ هَشِيمًا ... بعْدَ مَا قَصَّف الرَّدَى ريحانَه ! [2]

فُزِّعَتْ طَيْرُه ، فَحَوَّمْنَ يَبكِيـنَ ... ذُبُولَ الْخَمِيلَةِ الْفَيْنَانَهْ [3]

كُنَّ فى ظِلِّهَا يُغَنِّينَ لِلشَّرْ ... قِ وَيُنْهِضْنَ لِلْعُلاَ شُبَّانَه [4]

كُنَّ فى ظِلِّها يُحَيِّينَ مَجْدًا ... صَاعِدًا ، ضَلَّتِ النُّجُومُ مَكَانَه [5]

كُنَّ فى ظِلِّها يُنَاغِينَ آما ... لاً ويَبْعَثْنَ هِمَّةً وَهْنَانَهْ [6]

أَيُّهاَ الطَّيْرُ ضَنَّ مَاءُ الْقَوافِى ... فَبذَلْنَا دُمُوعَنَا الهَتَّانَهْ [7]

مَاتَ يَا طَيْرُ صَادِحٌ تَسْجُدُ الطَّيْرُ ... إِذَا رَجَّعَ الصَّدَى تَحْنَانَهْ [8]

نَبَرَاتٌ تَخَالُهَا صَوْتَ دَاوُ ... دَ بِلَفْظٍ تَخَالُهُ تِبْيَانَهْ [9]

عَلَّمَتْ الاِبْتِسَامَ زَنْبَقَةَ الْوَا ... دِى وَأَوْحَتْ لِغُصْنِهِ مَيَلاَنَهْ [10]

---

(١) نعيتم : النعى الاخبار بالموت . البحترى : شاعر عباسى اشتهر بالرقة والانسجام وجمال تصوير المعانى ، ونقاء الاسلوب . بكيتم لمعبد الخ : اخبرتم معبدًا بموت الحانه . ومعبد : مغن مشهور بجمال الصوت وحسن التوقيع ، عاش فى أوائل الدولة الأموية .

(٧) ضن : بخل . القوافى : جمع قافية ، والمراد الشعر ، ويراد بماء القوافى جمالها ونضرتها . والهتانة : الهاطلة .

(٩) داود : من رسل الله عليهم السلام ، اشتهر بجمال صوته وحسن توقيع مزاميره .

(١٠) الزنبق : الياسمين . والوادى : هو وادى النيل .

مَاتَ شَوْقِي ، وَكانَ أنفذَ سَهْمٍ صَائِبِ الرَّمْيِ مِنْ سِهَامِ الكِنَانَهْ[11]
اِبْكِ لِلشَّمْسِ فِي السَّماءِ أَخَاهَا وَابْكِ لِلدَّهْرِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهْ[12]
وَابْكِهِ لِلنُّجُوم ، كَم سَامَرتْهُ مَالِئاتٍ بِوَحْيِهَا آذَانَهْ[13]
وَابْكِ لِلرَّوْضِ وَاصِفًا يَخْجَلُ الرَّوْ ضُ إِذَا هَزَّ بِالْيَرَاعِ بَنَانَهْ[14]
وَابْكِهِ لِلْخَيالِ صَفْوًا نَقِيًّا إِنَّهُ كانَ فِي الْوَرَى تَرْجُمَانَه[15]

* * *

مَلأَ الشَّرْقَ مَوْتُ مَنْ مَلأَ الشَّرْ قَ حَيَاةً وَقُوَّةً وَزَكَانَهْ[16]
كَمْ يَتِيمٍ مِنَ الْمَعَانِي غَرِيبٍ مَسَحَتْ كَفُّهُ عَلَيْهِ فَصَانَه[17]
وَشَمُوسٍ رَنَا إِلَيْهِ ، فَأَلْقَى رَأْسَهُ خَاضِعًا وَأَعْطَى عِنَانَهْ[18]
ونَفُورٍ أَزْرَى بِصَيَّادِهِ الطَّبِّ وأَعْيَا قِسِيَّهُ وَسِنَانَهْ[19]
نَظْرَةٌ تَلْتَقِى بِهِ يَنْهَبُ الْوَا دِى ، وأُخْرَى تَرَاهُ يطْوِى رِعَانَهْ[20]
تَسْبِقُ السَّهْمَ عينُهُ ، فَتَرَاهُ يَتَلَوَّى تَلَوِّىَ الخَيْزُرانَه[21]
ثُمَّ يَخْفَى ، فَلَا تَرَاهُ عُيُونٌ ثُمَّ يَبْدُو ، فَلَا تَشُكُّ عِيَانَه[22]
أَجْهَدَ الْفَارِسَ الْمُلِحَّ ، وَأَفْنَى نَبْلَهُ حَوْلَهُ ، وَأَضْنَى حِصَانَه[23]

---

(١١) أنفذ : أمضى . والكنانة : جعبة السهام ، وهى أيضًا مصر ، وفى الأثر : مصر كنانة الله فى أرضه .

(١٣) سامرته : حادثته ليلا .

(١٤) اليراع هنا القلم . والبنان : أطراف الأصابع .

(١٦) الزكانة : الفهم والفطنة .

(١٧) اليتيم : الصغير الذى مات أبوه . ويتيم المعانى فريدها الذى لا يصل إليه إلا الفكر النفاذ ، والمسح على رأس اليتيم كناية عن الرفق والرحمة .

(١٨) الشموس : الفرس الجامح ، ويراد بها المعنى المستعصى على القائل . رنا : أدام النظر ، العنان : سير اللجام .

(١٩) أزرى : احتقر ، الطب : الخبير الحاذق ، أعيا : أعجز . القسى : جمع قوس وهى آلة للحرب والصيد . والسنان : جمع سن : وهى طرف السهم .

(٢٠) الرعان : جمع رعن وهو الجبل .

(٢١) العيان : المشاهدة .

وَهْوَ يَعْدُو : لَا الرَّأْسُ مَالَ مِنَ الأَيْــنِ ، وَلا قَلْبُهُ شَكَا خَفَقَانَهْ[(٢٤)]
مَــدَّ شَوْقى إِلَــيْـهِ نَظْرَةَ سِحْرٍ   عَوَّقَتْ دُونَ شَوْطِـهِ جَـرَيَانَـه[(٢٥)]
فَـأَتَى مِشْـيَـةَ الـمُـقَـيَّـدِ يَسْعَى   بَـيْـنَ هَـوْلٍ وَذِلَّـةٍ وَاسْتِكَـانَـه[(٢٦)]

* * *

غَـزَلٌ كـالشَّـبَـابِ يـنْضَحُ آمـا   لاً ويهْتزُّ في حلّى فَتَّانَهْ[(٢٧)]
تَسْمعُ الْحُبَّ في نَواحِيهِ هَمْسًا   يتَناجَى ، ويَشْتَكى أشْجَانَه[(٢٨)]
وتُـحِسُّ الْـهَـوَى يـرِفُّ حـنـانًـا   شَرَكُ الحُبِّ أنْ تُحِسَّ حَنَانَه ![(٢٩)]
وإِذَا جَـالَ وَاصِـفًـا رَاعَكَ الْـحُـسْـنُ ، وَأكْبَرْتَ فنَّهُ ، وافْتِنَانَه[(٣٠)]
صُوَرٌ زَيْـنَـتُـهـا بَـيَـانٌ سَـرِىٌّ   مَـزَجَ اللهُ وَحْـدَهُ أَلْوَانَـه[(٣١)]
لَوْ (رُفَـائِـيـلُ) راءهـا ، غَـالَهُ الْبَـهْـرُ ، وَأَلْقَى أَلْوَاحَهُ وَدِهَانَه[(٣٢)]
عـالِمٌ بِالنُّفُوسِ ما غَاصَ مِيلٌ   فى خَفَايَا النُّفُوسِ حتَّى أبَانَه[(٣٣)]
أَوْدَعَ الدَّهْرُ مِسْمَعَيْهِ عَنِ الكَوْ   نِ حَدِيثًا فلَمْ يُطِقْ كِتْمَانَهْ[(٣٤)]
ذَاكَ سِرُّ الإِلَـه يختَصُّ مَنْ شَا   ءَ بـآثارِ فَضْلِهِ ــ سُبْحَانَه ![(٣٥)]
وَرِثَـاءٌ لَوْ كَـان يَسْـمَـعُـهُ الـمَـيْـتُ لَأَحْيَـا بِسِحْرِهِ جُثْمَانَه[(٣٦)]
عَـرَفَ المَوْتَ والْحَياةَ جَمِيعًا   ورأَى بَـعْـدَ حَـيْـرَةٍ بُـرْهَـانَه[(٣٧)]
والـرِّوَايَـاتُ ، أدْهَشَتْ كـلَّ لُبٍّ   ثُمَّ أَرْبَتْ ، فَأَدْهَشَتْ شَيْطَانَه[(٣٨)]
يُغْمِضُ الْعَيْنَ فى اضْطِرَابٍ إِذَا حَـسَّ طُرُوقَ الإِلْهَام أَوْ غِشْيَانَه[(٣٩)]

---

(٢٤) الأين : التعب .

(٢٦) فأتى مشية المقيد : أتى يمشى كمشى المقيد ، وهى مشية فيها تعثر وبطء .

(٢٩) يرف : رف الطائر حرك جناحيه ، وقد يرف الطائر على فرخه رف حنان ورحمة .

(٣١) سرىّ : شريف .

(٣٢) رفائيل : مصور إيطالى قديم بعيد الشهرة . راءها : رآها . غاله : اغتاله على غرة ، البهر : العجب .

(٣٤) المسمع : آلة السمع وهى الأذن .

(٣٨) يشير إلى ما ابتدعه شوقى من روايات شعرية تمثيلية .

(٣٩) طروق الالهام : نزوله ، والمراد ورود المعنى الشعرى إلى نفسه .

ثُمَّ يُمْلِى كَأَنَّهُ مِنْ كِتابٍ   قَارِئٌ فى سُهولَةٍ ومَرَانَة(٤٠)

جَوْهَرِىٌّ وَدَّ الكَواعِبُ لَوْ يَشْـتَرِينَ يومًا بِحُسْنِهِنَّ جُمَانَه(٤١)

زَانَ مِصْرًا بلؤلؤٍ يَبْهَرُ العَيْنَ ، وَأَوْلَى تَارِيخَهَا عِقْبَانَه(٤٢)

* * *

كَانَ صَبًّا بِمِصْرَ كَمْ هَامَ شَوْقًا   بِرُبَاهَا وَبَثَّهَا أَحْزَانَه(٤٣)

دَفَنَ اللَّهْوَ وَالصِّبا فى ثَرَاهَا   وَطَوَى مِنْ شَبَابِه عُنْفُوَانَه(٤٤)

هِىَ بُسْتَانُهُ ، فَغَرَّدَ فِيهِ   وحَبَا كُلَّ قَلْبِهِ بُسْتَانَه(٤٥)

يحْرُسُ الفَنَّ فى ظِلالِ نَوَاحِيهِ   وَيَرْمِى عَنْ دَوْحِهِ غِرْبَانَه(٤٦)

يَعْشَقُ النِّيلَ ، والخَمَائِلُ تَهْتَزُّ بِشَطَّيْه خُضْرَةً وَلَدَانَة(٤٧)

يَعْشَقُ النِّيلَ ، وَالجزيرةُ تُغْرِيهِ ، وَقَدْ لَفَّ حَوْلَهَا أَرْدَانَه(٤٨)

يَعْشَقُ الجسْرَ ، والسَّفَائِنُ تَهْفُو   حَوْلَهُ كَالحَمَائِمِ الظَّمْآنَة(٤٩)

وَيُحِبُّ السَّوَادَ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ   مَالِئًا مِنْ رُوَائِهِ أَجْفَانَه(٥٠)

كُلُّ شَىْءٍ بِمِصْرَ يَبْهَرُ عَيْنَيْهِ جَمَالاً ، وَيَسْتَثِيرُ جَنَانَه(٥١)

كُلَّمَا هَزَّهُ إِلَى الشِّعْرِ شَوْقٌ   جَذَبَ الحُبُّ نَحْوَهَا وِجْدَانَه(٥٢)

فَشَدَا بِاسْمِهَا كَمَا تَصْدحُ الطَّيْرُ ، وَقَدْ شَمَّرَ الدُّجَى طَيْلَسَانَه(٥٣)

---

(٤٠) المرانة : اللين .

(٤١) كان جوهريا ، جواهره : المعانى الغالية ، الكواعب : الفتيات الحسان ، جمانه : اللآلئ .

(٤٢) العقبان : الذهب .

(٤٧) الخمائل : الأشجار الملتفة . واللدانة : اللين .

(٤٨) الجزيرة التى يكونها النيل أمام القاهرة حينما يتفرع فرعين ، وهى كثيرة الحدائق رائعة المناظر ، وتعد من أحسن متنزهات القاهرة . والردن : الكم والمراد هنا الذراع .

(٤٩) الجسر : المراد به جسر قصر النيل . تهفو : هفا الطائر حرّك جناحيه .

(٥٠) السواد : سواد البلدة قراها التى حولها . وعين شمس : ضاحية من ضواحى القاهرة كان يسكن بها شوقى قبل أن ينتقل إلى الجيزة .

(٥١) يستثير جنانه : يثير عواطفه .

(٥٣) شدا : غنى . والطيلسان : ثوب فضفاض أسود من لباس العجم .

وَجَلَا مَجْدَهَا الْقَدِيمَ جَدِيدًا ... بَعْدَ مَا هَدَّمَ الْبِلَى أَرْكَانَهْ(٥٤)

فِى خُشُوعٍ يُشِيدُ باسْمِ (فُؤَادٍ) ... مِثْلَمَا رَدَّدَ المُصَلِّى أَذَانَهْ(٥٥)

مَلِكٌ مَدَّ لِلْفُنُونِ يَمِينًا ... عَلَّمَتْ كُلَّ مُحْسِنٍ إِحْسَانَهْ(٥٦)

نَظْرَةٌ مِنْهُ زَادَت الشِّعْرَ زَهْوًا ... وَأَعَادَتْ لِعَهْدِهِ رَيْعَانَه(٥٧)

نَحْنُ فِى ظِلِّ تَاجِهِ فِى زَمَانٍ ... وَدَّ (هَارُونُ) أَنْ يَكُونَ زَمَانَه(٥٨)

* * *

أَوَّلُ السَّابِقِينَ شَوْقِى ، إِذَا جَا ... لَ ذَوُو السَّبْقِ يَبْتغونَ رِهَانَه(٥٩)

شِعْرهُ حِكْمَةٌ ، وَصِدْقُ خَيَالٍ ... وَجَمَالٌ ، وَرَوْعَةٌ ، وَرَصَانَه(٦٠)

وَمَعَانٍ شَوْقِيَّةٌ ، فِى سِيَاقٍ ... بُحْتُرِيٍّ ، وَرِقَّةٌ فِى مَتَانَهْ(٦١)

يَا مُجِيرَ الْفُصْحَى وَقَدْ عَقَّهَا الدَّهْـرُ وأَغْرَى بِقَوْمِها حِدْثَانَه !(٦٢)

نَزَلَتْ فِى ذَرَاكَ رَوْضًا مَرِيعًا ... هَدَلَ النُّوْرُ والْجَنَى أَغْصَانَه(٦٣)

واستَعادَتْ حُسْن الشَّبَابِ وَكَانَتْ ... رَمَقًا بَيْنَ كَبْرَةٍ وَزَمَانَهْ(٦٤)

وَحَمَتْهَا يَدَاكَ مِنْ شَرِّ باغٍ ... فِى زَمَانٍ طَغَتْ عَلَيْهِ الرَّطَانَه(٦٥)

ذَكَّرَتْهَا رَنَّاتُ صَوْتِكَ قَوْمًا ... سَلَفُوا مِنْ هَوَازِنٍ وَكِنَانَهْ(٦٦)

* * *

---

(٥٤) جلا : أظهر .

(٥٥) فؤاد : هو فؤاد الأول ملك مصر وقت شوقى .

(٥٧) الريعان : القوة .

(٥٨) هارون : هو هارون الرشيد ، وقد كان عصره أزهى عصور الدولة العباسية فى العلم والشعر والأدب .

(٦٢) الفصحى : اللغة العربية . عقها الدهر : ظلمها ولم ينصفها . الحدثان : النوب والمصائب .

(٦٣) الذرا : الكنف والجانب . مريعًا : مخصبًا ناضرًا . هدل : هدله أرخاه إلى أسفل . النور : الزهر . الجنى : ما يجنى ويجمع من ثمر أو نحوه .

(٦٤) الرمق : بقية الحياة قبل الموت . الكبرة : الشيخوخة والهرم . الزمانة : العاهة ، وفعله زمن (كفرح) .

(٦٥) الرطانة : التكلم بالأعجمية .

(٦٦) هوازن : قبيلة من قيس . كنانة : قبيلة من مضر .

رَفَعَتْ مِصْرُ رَايَةَ الشِّعْرِ فِي الشَّرْ ... قِ ، وَأَوْلَتْ أَمِيرَهُ صَوْلَجَانَهْ (٦٧)

وَمَشَى الدَّهْرُ فِي الْوُفُودِ إِلَى الْبَيْـعَةِ يَحْتَثُّ نَحْوَهُ رُكْبَانَه (٦٨)

وَرَأَيْنَا مَجْدًا يُشَادُ لِمِصْرٍ ... يَعْجِزُ الْوَهْمُ أَنْ يَنَالَ قِنَانَه (٦٩)

وَسَمِعْنَا بِكُلِّ أُفْقٍ رَنِينًا ... رَدَّدَتْهُ الْقَصَائِدُ الرَّنَّانَه (٧٠)

هَكَذَا كُلُّ مَنْ يُرِيدُ خُلُودًا ... يَجْعَلُ الْكَوْنَ كُلَّهُ مَيْدَانَهْ (٧١)

هَكَذَا فَلْيَسِرْ إِلَى الْمَجْدِ مَنْ شَا ... ءَ ، وَيَرْفَعْ بِذِكْرِهِ أَوْطَانَه (٧٢)

* * *

خُلُقٌ كَالنَّدَى وَقَدْ نَقَّطَ الزَّهْـ ... ـرَ ، فَحَلَّى وَشْيَ الرِّيَاضِ وَزَانَه (٧٣)

وَصِبًا ، يَمْلَأُ الزَّمَانَ ابْتِسَامًا ... وَحِجًا ، يَمْلَأُ الزَّمَانَ رَزَانَه (٧٤)

وَسَمَاحٌ يَلْقَى الصَّرِيخَ بِوَجْهٍ ... تَحْسُدُ الشَّمْسُ فِي الضُّحَا لَمَعَانَه (٧٥)

شَمَمٌ فِي تَوَاضُعٍ ، وَحَيَاءٌ ... فِي وَقَارٍ ، وَفِطْنَةٌ فِي لَقَانَه (٧٦)

وَحَدِيثٌ حُلْوٌ ، لَهُ رَوْعَةُ الشِّعْـ ... ـرِ ، فَلَوْ كَانَ ذَا قَوَافٍ لَكَانَهْ (٧٧)

وَيَقِينٌ بِاللهِ ، مَا مَسَّهُ الضَّعْـ ... ـفُ ، وَلَا طَائِفٌ مِنَ الشَّكِّ شَانَه (٧٨)

هُوَ فِي الشَّمْسِ وَالْكَوَاكِبِ نُورٌ ... وَهُوَ فِي الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ رَكَانَه (٧٩)

مَلَكَ الدِّينُ قَلْبَهُ وَهَوَاهُ ... وَجَلَا الشِّعْرُ سَاطِعًا إِيمَانَه (٨٠)

يَمْدَحُ الْمُصْطَفَى ، فَتَلْمَحُ حُبًّا ... عَاصِفًا آخِذًا عَلَيْهِ كِيَانَه (٨١)

---

(٦٧) الصولجان : عصًا تجعل شعارًا للملك .

(٦٨) يشير إلى حادث اجتماع شعراء الأقطار العربية فى سنة ١٩٢٧م لمبايعة شوقى على إمارة الشعر .

(٦٩) القنان : جمع قنة بالضم وهى القمة .

(٧٣) الوشى : نقش الثوب .

(٧٤) الحجا : العقل . الرزانة : الوقار .

(٧٥) السماح : الكرم . الصريخ : المستغيث والملتجئ .

(٧٦) اللقانة : سرعة الفهم .

(٧٩) الركانة : الثبات والرسوخ .

(٨١) المصطفى : نبينا عليه الصلاة والسلام . تلمح : تنظر . عاصفًا : شديد الهبوب . كيانه : وجوده .

وَتَـرَاهُ يَـذُودُ عَنْ آلِـهِ الْـعُـرَّ، وَفَـاءً لِـحُـبِّـهِـمْ وَصِـيَـانَـهْ(٨٢)
حَسْبُـهُ أَنْ يَـجِيءَ في مَوْقِفِ الْحَشْـرِ فَيَلْقَاهُ مَالِئًا مِيزَانـه(٨٣)

* * *

طَوَّفَتْ حَوْلَـهُ الْـمَلاَئِـكَـةُ الـطُّـهْـرُ، وَمَسَّتْ بِـطِـيبِـهـا أَكْفَانَهْ(٨٤)
إنَّ مَعْنَى الْـحَيَاةِ فِيهِ مِنَ الْمَوْ تِ مَعَانٍ، لَوْ يَفْهَمُ الْمَرْءُ شانَهْ(٨٥)
يُـهْدَمُ الْـمَرْءُ كُلَّ يومٍ وَيُبْنَى ثم يَـهْوِى فَلاَ تَـرَى بُنْيَانَـه(٨٦)
نَحْنُ حَبٌّ فى قَبْضَةِ الدَّهْرِ يُلقيـهِ، وَيَجْنِيه مُدْرِكًا إبَّانَه(٨٧)
نَـحْنُ فى دَوْحَـةِ الأَمَـانى زَهْـرٌ يَـهْصِرُ الْـموتُ لِلْبلَى أَفْنَانَه(٨٨)
إن هَذِى الْـحَيَاةَ بَحْرٌ، وَكُلٌّ بـالِـغٌ بَعْدَ سَبْحِهِ شُطْآنَـه(٨٩)
قَدْ قَضَى اللهُ أَنْ نَكُونَ فَكُنَّا وَقَضَينَا ، وَمَا قَضَيْنَا لُبَانَه(٩٠)

* * *

أَيُّـهَـا الـرَّاحِـلُ الْـكَرِيـمُ لَـقَدْ كُنْـتَ سَوَادَ الْعُيُونِ أَوْ إِنْسَانَه(٩١)
نَمْ قَرِيرًا فى جَنَّةِ الْخُلْدِ، وَانْعَمْ بِرِضَا الله ، وَاغْتَنِمْ غُفْرَانَهْ(٩٢)
وَالْتَمِسْ نَفْحَةَ الرَّسُول ، وَطَارِحْ فى أَفَانِيـنِ مَدْحِهِ حَسَّانَه(٩٣)
كَيْفَ يُوفِى الشِّعْرُ الَّذِى مَلَكَ الشِّعْـرَ، وأَلْقَى لِغَيْرِهِ أَوْزَانَه ؟(٩٤)
وَرِثَـاءُ الْـبَـيَـانِ جُـهْـدُ مُـقِلٍّ لِـلَّـذِى خَلَّـدَ الزَّمَانُ بَيَانَه(٩٥)

---

(٨٣) حسبه : كافيه .

(٩٠) قضى : حكم . وقضينا : متنا . وما قضينا : ما أدركنا . لبانة : غرضًا ومقصدًا .

(٩١) سواد العيون : الدائرة التى يحيط بها بياض العين . إنسانه : أى إنسان السواد ، وهو الحدقة التى بها الابصار .

(٩٢) قريرًا : مطمئنًا .

(٩٣) نفحة الرسول : عطاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكرمه . أفانين : أنواع . حسانه : حسان بن ثابت .

إسماعيل العظيم

نشرت هذه القصيدة عندما احتفلت مصر فى عام ١٩٤٥ م بمرور خمسين سنة على وفاة الخديو إسماعيل .

حُسامٌ له مجدُ الخُلودِ قِرابُ ... يحوِّم شعرى حوله فيهابُ (١)

وطَودٌ من العِزِّ الأشمِّ عَنَتْ له ... وُجوهٌ ، ودانتْ بالوَلاءِ رِقاب (٢)

وسِرٌّ سماوىٌّ ثَوى فى ضريحه ... له من جَناحَىْ جَبْرَئيلَ قِباب (٣)

وقبرٌ كمحرابِ الصلاةِ مُطهَّرٌ ... عليه نعيمٌ وارفٌ وثواب (٤)

وكَنْزٌ به من جَنَّةِ الخُلْدِ دُرَّةٌ ... تردُّ ثمينَ الدُّرِّ وهى سِخاب (٥)

وزَهْرٌ من الآمالِ رفٌّ بروضةٍ ... بها الأرضُ مسكٌ ، والنسيمُ مَلاب (٦)

إذا جاوزتْها للرَّبابِ غمامةٌ ... سقاها من الحبِّ النَّدِىِّ رَبابُ (٧)

قلوبُ بنى مصرٍ خوافقُ حولَها ... لها كلَّ حينٍ جَيْئةٌ وذَهاب (٨)

إذا غاب شخصُ العَبقَرىِّ برَمْسِه ... فليس لفضلِ العبقرىِّ غياب ! (٩)

---

(٢) طود : جبل .

(٣) ثوى : أقام . قباب : أبنية ذات قباب .

(٥) سخاب : عقد من خرز صنع من الطين .

(٦) رف : برق وتلألأ . مسك : رائحته ذكية . ملاب : عطر أو نبات الزعفران .

(٧) جاوزتها : تركتها . للرباب : السحاب الأبيض والأسود . غمامة : سحابة . الندىّ : المبلل . رباب : السحاب الممتلئ بالماء .

(٩) رمسه : قبره .

وإن حَجَبَتْ بِيضَ الأيادى مَنِيَّةٌ فليس على آثارهنّ حِجابُ ! [١٠]

وكم من فتًى جاز الحياةَ وذكرُه له كلَّ يومٍ زوْرَةٌ وإيـاب [١١]

ومـا مات مَنْ رَدّ الحياةَ لأمّةٍ وأحيا بها الآمالَ وهى يَباب [١٢]

إذا المرءُ لم يُخْلِدْه فضلُ جهادِه «فكلُّ الذى فوق التُّرابِ تُراب» [١٣]

وهل مثل اسماعيلَ فى الناسِ عاهلٌ له فوق أحْداثِ الزمانِ وِثاب ؟ [١٤]

طَموحٌ له فى ذِرْوةِ الدهرِ مأربٌ وفوق مَناطِ الفرقَدَيْنِ طِلابُ [١٥]

إذا صحَّ عزمُ المرءِ فالبحرُ ضَحْضَحٌ وإنْ خار فالنَّضْحُ اليسيرُ عُباب [١٦]

وليست شِباكُ العزِّ إلاَّ عزيمةٌ وما المجدُ إلاَّ صَوْلَةٌ وغِلاب ! [١٧]

تَمُدُّ الليالى للجرئِ زمامَها وتعنو له الأيامُ وهى صِعاب [١٨]

وما كلُّ مَنْ أرخَى العِنانينِ فارسٌ ولا كلُّ داعٍ للنهوضِ مُجاب ! [١٩]

إذا ما عَددْنا مأثُراتِ يمينِه على مصرَ لم ينفَدْ لهنّ حساب [٢٠]

دعاها فسارتْ خلفَهُ تُسْرِعُ الْخطَا وهِمّتُها للمُعضِلات رِكاب [٢١]

فما الشوكُ فى أقدامِها حين صممتْ بشوكٍ ، ولا صُمُّ الهضاب هِضاب [٢٢]

إذا وَهَنَتْ أذكى لَظَى رَغَباتِها همامٌ له عند النجومِ رِغابُ [٢٣]

وإن أظلمت طُرْقُ المعالى أنارها من الرأيِ منه والذكاءِ شِهاب [٢٤]

---

(١٠) بيض الأيادى . العطايا والمنن والاحسان .

(١١) جاز الحياة : ترك ومات . زورة : زيارة . إياب : عودة .

(١٢) يباب : قفر — خراب .

(١٤) عاهل : ملك . وثاب : ثبات فى المكان .

(١٥) ذروة : أعالى الشيء . مأرب : غاية . مناط : مجمع الشيء . الفرقدين : نجمان قريبان من القطب .
طلاب : أعطاه ما طلبه .

(١٨) زمامها : قيادتها . تعنو له : تخضع له .

(١٩) أرخى العنانين : أرسل مقود الفرس .

(٢٠) مأثرات : مآثره .

(٢٢) صم : الصخرة الصماء الصلبة . هضاب : المرتفع من الأرض .

(٢٣) وهنت : ضعفت . أزكى : أوقد . لظى : النار . رغاب : أمر مرغوب .

(٢٤) شهاب : شعلة من نار ساطعة .

رأتْ مصر فيه عاهلاً عزّ نِدُّه ... ومن أين للبدرِ المنيرِ صحابُ ؟[٢٥]

حباها أبو الأشبال جُرْأةَ ضَيْغَمٍ ... له ظُفُرٌ يفرِى الخطوبَ وناب[٢٦]

وأزْلفها ملءَ النواظِرِ جَنّةً ... تميد بها الأغصانُ وهى رِطاب[٢٧]

وألبسها من نهضةِ الغربِ حُلَّةً ... وكم زانتِ الغيدَ الملاحَ ثياب ![٢٨]

ففى كل حَيٍّ للعلوم منابرٌ ... وفى كلِّ ركنٍ للفنونِ رِحاب ![٢٩]

وأين رميتَ الطَّرْفَ تَلقَى معالِمًا ... سوامقُها فوقَ السحابِ سحاب[٣٠]

عجائبُ صُنْعٍ يصغُرُ الدهرُ دونَها ... وكلٌّ فعالِ الخالدين عُجابُ ![٣١]

وجُهْدٌ من الفولاذِ ماكلَّ زَنْدُه ... وصادقُ عزمٍ ليس فيه كِذاب[٣٢]

وللجُهدِ فى الدنيا نصابٌ وطاقةٌ ... وليس لجُهدِ العبقرىِّ نِصاب ![٣٣]

* * *

أبا مصرَ، هل تُصغى وللشعرِ دَمعَةٌ ... بها الحبُّ صَفْوٌ، والوفاءُ مُذاب ؟[٣٤]

أتذكُرُ يومًا بالقناةِ وقد سعتْ ... شُعوبٌ، وسالتْ بالملوكِ شِعاب ؟[٣٥]

وأنت تؤُمُّ الحشْدَ جذلانَ هانئًا ... ونجمُك لم يحجبْ سَناه ضباب[٣٦]

ومصر بمحييها تتيهُ وتنثنى ... كما لعبتْ بالعاشقين كَعَاب[٣٧]

موائدُ لو مرّتْ بأوهامِ حاتِمٍ ... رأى أنّ مدحَ المادحين سِبَاب[٣٨]

---

(٢٦) ضيغم : أسد . ظفر : مخلب . يفرى : يقطع .

(٢٧) أزلفها : قدمها وأظهرها . تميد : تتحرك . رطاب : طرية خضراء .

(٣٠) سوامقها : معالمها العالية المرتفعة .

(٣١) فعال : الفعل الحسن .

(٣٢) كلّ : تعب . زنده : موصل طرف الذراع إلى الكف .

(٣٣) نصاب : قدر محدود .

(٣٥) سالت : تدفقت . شعاب : طرق .

(٣٦) تؤم : تقود . جذلان : فرحا .

(٣٧) كعاب : الفتاة التى برز نهداها فى أول شبابها .

(٣٨) حاتم : حاتم الطائى ويضرب به المثل فى الكرم . سباب : شتيمة .

ومَوْكِبُ عِزٍّ ماراًى النيلُ مثلَه ولا خطَّه فى السابقين كِتابُ[٣٩]
تمنَّت نجومُ الأفْقِ رَوْعَــةَ زَهوِه وسال لشمسٍ أبصرتْهُ لُعَابُ[٤٠]

* * *

تفيأتَ ظلَّ الله خمسين حجةً وجنّـاتُـه لـلـعـامـلـين مَـثـاب[٤١]
وأدرك مصرًا من بنيك صَوارِمٌ مواضٍ إذا اشتد الزمانُ صِلاَب[٤٢]
كرامٌ إذا نُودُوا أجابوا ، وإن هُمُ رَمَوْا جبهةَ الرأىِ البعيدِ أصابوا[٤٣]
وهــل كـفـؤادٍ فى البريَّةِ مالكٌ ؟ وهل كلُبَابِ المجد فيه لُبَاب ؟[٤٤]
لـهُ عـزمـةٌ وثَّـابـةٌ عَـلَـويَّـةٌ تردُّ صُرُوفَ الدهرِ وهى حِرَاب[٤٥]
إذا ما امترى فى المعجزاتِ مكابرٌ فسيرتُـه لـلـمـمـترين جواب[٤٦]
ومَن مثلُ فاروقٍ وللعرشِ عِزَّةٌ وللمُلْكِ والمجدِ الأثيلِ مَهَابُ ؟[٤٧]
مضـــاءٌ وإقــدامٌ وجـودٌ وصولَـةٌ وآمــالُ حُـرٍّ طـامحٍ وشبـاب[٤٨]
سـعَى لـرسولِ الله يحدوه شوقُه وللشوقِ والحبُّ الصميمِ جِذاب[٤٩]
يـنـاجيـه فَيّـاض المدامِعِ خاشعًا صَموتًا ، وصَمْتُ الخاشعين خطاب[٥٠]
رأى فـيـه رَضْوَى مثلَه فى ثباتِه وحيَّاه من رَحبِ البقيعِ جَنَاب[٥١]

---

(٤٠) لعاب : لعاب الشمس : خيوط شعاعية تنحدر من السماء وقت الظهيرة .

(٤١) مثاب : موضع .

(٤٢) صوارم : السيوف القواطع . مواض : حادة . صلاب : صلبة قوية .

(٤٤) لباب : خالص .

(٤٥) علوية : نسبة إلى محمد على باشا رأس الأسرة العلوية . صروف الدهر : أحداثه .

(٤٦) امترى : شك فيه .

(٤٧) الأثيل : العظيم . مهاب : جلال ومخافة .

(٤٨) صولة : وثوب وشجاعة . طامح : مرتفع نظره الى العلا .

(٤٩) يحدوه : يدفعه . جذاب : الجذاب .

(٥١) رضوى : جبل رضوى الشهير بالحجاز . رحب : متسع . البقيع : مكان فى مكة المكرمة يدفن فيه المسلمون منذ أوائل الاسلام . جَناب : فناء .

حصيفٌ له فى موقف الحقِّ صَوْلَةٌ ورأىٌ إذا غُمَّ الصوابُ صوابُ[٥٢]

يجمِّع شملَ العُرْبِ فى ظلِّ وَحدَةٍ كما جَمَع الأُسْدَ الضراغمَ غاب[٥٣]

إذا ابتسموا فالباتراتُ بواسمٌ وإن غضبوا فالباتراتُ غِضاب[٥٤]

وفى كلِّ يومٍ مِنَّةٌ بعد مِنَّةٍ إذا ما انقضى بابٌ تفتَّح بابُ[٥٥]

وكلُّ أيادى غيرِه حُلْمُ حالمٍ وكل نوالٍ من سواه سَراب[٥٦]

عتبنا على الدنيا لمذ أشرقتْ به تقضَّى خصامٌ بيننا وعِتاب[٥٧]

وصُغنا له من كل ما تُبدعُ النُّهى روائعَ ، لم يُبذَلْ لهنَّ نِقَاب[٥٨]

فلا زال موفورَ الجلالِ مُسدَّدًا يُجيبُ إذا تدعو العُلا وَيُجاب ![٥٩]

---

(٥٢) حصيف : ذو رأى سديد. صولة : جولة. غمّ : التبس وخفى.

(٥٣) الضراغم : العظام. غاب : الأجمة كثيرة الأشجار.

(٥٤) الباترات : القاطعات.

(٥٥) مّنة : إحسان. انقضى : انتهى ـ اغلق.

(٥٦) سراب : ما يرى كأنه ماء.

(٥٧) تقضى : انتهى.

(٥٨) النهى : العقول.

(٥٩) مسددا : سديد الخطى.

الحُب

نظمت هذه القصيدة فى صيف سنة ١٩١٦ م.

عَاجَ الْخَيالُ فلم يَبُلَّ أُوَامَا ... ومَضَى وخَلَّفَ فى الضلُوعِ ضِرامًا[١]
مالى ولِلْكَحْلاءِ ! هِجْتُ عُيُونَها ... فَمَلأْنَ قَلْبِى أَنْصُلاً وسِهاما[٢]
يا قَلْبُ وَيْحَكَ ! ما سَمِعْتَ لناصِحٍ ... لَمَّا ارْتَمَيْتَ ، ولا اتقَّيْتَ مَلاما[٣]
لَعِبَتْ بِكَ الْحَسْناءُ ، تَدْنُو ساعةً ... فَتُثِيرُ ما بِكَ ، ثُمَّ تَهْجُرُ عَاما[٤]
والْحُبُّ ما لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمائِلٌ ... غُرٌّ يَعُودُ مَعَرَّةً وَأَثَاما ![٥]
والْحُبُّ أَحْلَامُ الشَّبابِ هَنِيئَةً ... ما أَطْيَبَ الْأَيَّامَ والْأَحْلَاما ![٦]
والْحُبُّ نازِعَةُ الْكَرِيمِ تَهُزُّهُ ... فَيَصُولُ سَيْفاً أَو يَسِيلُ غَماما ![٧]

---

(١) عاج عوْجاً وَمَعاجاً : أقام أو وقف . البلل : الندى ، بله : ندّاه . الأوام : حرّ العطش ، والمراد حرارة الشوق . الضرام : اشتعال النار .

(٢) الكحلاء : المرأة يعلو جفون عينيها سواد الكحل من غير اكتحال ، هجت : أثرت ونبهت . الأنصل : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها .

(٣) ويح : كلمة رحمة .

(٥) تكتنفه : تحيط به . شمائل : جمع شمال وهى الطبع والخلق . غر : جمع غراء وهى الشريفة البيضاء . المعرة : الاثم والذنب . الأثام : جزاء الاثم .

(٧) النازعة : الميل .

والـحُبُّ مَـلْهَـاةُ الْـحَيـاةِ وَطِبُّهَا ... وَلَقَدْ تكُونُ بِهِ الْحَياةُ سَقامَا ! (٨)
والْحُبُّ نِيرَانُ الْمَجُوسِ ، لَهِيبُهَا ... يُحْيِي النفُوسَ ، ويَقْتُلُ الْأَجْسَاما ! (٩)
والْحُبُّ شِعْرُ النَّفْسِ إنْ هَتَفَتْ بِهِ ... سَكَتَ الْوُجُودُ وَأَطْرَقَ استعْظَامَا ! (١٠)
وَالْحُبُّ مِنْ سِرِّ السَّمَاءِ فَسمِّهِ ... وَحْياً إِذَا ما شِئْتَ أو إِلْهَامَا (١١)
لَوْلَاهُ ما أَضْحَى وَلِيـدُ زَبِيبَةٍ ... يَوْمَ التَّفَاخُرِ سَيِّداً مِقْداما (١٢)
وَلَمَا رَمَى فِي الْجَحْفَلَيْنِ بِصَدْرِهِ ... لَا يَتَّقِي رُمْحاً ولا صَمْصَامَا (١٣)
اَلْـحُبُّ أَلْبَسَهُ الْـمُروءَةَ يـافِعًا ... وَأَعَدَّهُ لِلْمَكْرُماتِ غُلاما (١٤)

* * *

يـاشَدَّ مافَعَلَ الْغَرَامُ بِمُهْجَةٍ ... ذابَتْ أَسًى وَصَبَابَةً وَهُيَاما ! (١٥)
كَانَتْ صَؤُولاً لا تُنِيلَ خِطامَها ... فَغَدتْ أَذَلَّ السَّائِمَاتِ خِطَامَا ! (١٦)
سَكَنَتْ إِلَى حُلْوِ الْغَرَامِ وَمُرِّهِ ... ورَعَتْ عُهُوداً لِلْهَوَى وذِمَاما (١٧)

---

(٨) الملهاة : اللهو . والطب : علاج الجسم والنفس . السقام : المرض .

(٩) المجوس : أمة من الناس يعبد أكثرهم النار ، ويلقون بأنفسهم فيها معتقدين أنها إذا أحرقت الأجسام فانها تطهِّر النفوس وتحييها .

(١٢) الوليد : المولود والصبي والعبد ، والمراد به هنا عنترة بن شداد العبسى ، أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وزبيبة أمه ، وكانت أمة حبشية سوداء ، سباها أبوه فى إحدى غزواته فأولدها عنترة . وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله فى عداد العبيد ، ولذلك كان عنترة عند أبيه منبوذًا بين عبدانه . وما زال كذلك حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم ، ولحقتهم بنو عبس وفيهم عنترة ، فقاتل قتالا شديدًا حتى هزم القوم واستنقذ الابل . فحرره أبوه واعترف ببنوته . ومن ذلك الوقت ظهر اسم عنترة بين فرسان العرب وساداتها .

وقد عشق عنترة فى شبابه بنت عمه «عبلة» وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه ويدعيه . فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد ، فحفزه ذلك للمعالى يتطلبها والمجد ينشده . وهاج ذلك من شاعريته فاجتمع له الشعر السلس القوى ، والشجاعة النادرة ، والهمة العالية من حسب ونسب وشجاعة ومروءة وغير ذلك .

(١٦) الصؤول : الوثاب النافر من الابل . شبه نفسه بالجمل الشرود . الخطام : الزمام أى المقود .

(١٧) سكنت : اطمأنت واستأنست . رعت : حفظت وصانت . الذمام : الحق والحرمة .

وَطَوَتْ أحَادِيثَ الْجَوَى فَطَوَتْ بها ... دَاءً يَــدُكُّ الــرَّاسِــيَاتِ عُــقَـامَا[18]

نَالَ الضَّنَى مِنْها الَّذِى قَدْ نَالَهُ ... فَعَلامَ رَوَّعَها الصُّدُودُ عَلاما ؟[19]

* * *

يـا زَهْـرَةً نَـمَّ الـنَّسِيــمُ بِعَرْفِهَا ... وَجَرَى بِها ماءُ النَّعِيمِ جِمَامَا[20]

يا جَنَّةً لَوْ كانَ يَنْفَعُ عِنْدَهَا ... نُسْكٌ لَـبِـتْـنَا سُـجَّداً وقِيَاما[21]

يا طَلْعَةَ الروْضِ النضِيرِ تَحِيَّةً ! ... ومُجَاجَةَ الْمِسْكِ الذكِيِّ سَلَاما ![22]

(١٨) طوت : كتمت وأخفت . الجوى : هوى باطن ، والحزن والحرقة وشدة الوجد . يدك : يهدم . الراسيات : الجبال . داء عقام : لا يبرأ منه .

(١٩) الضنى : المرض المخامر كلما ظن برؤه نكس .

(٢٠) نمّ : أفشى وأظهر . العَرف : الريح الطيبة . الجمام : جمع جميم وهو الكثير من كل شيء .

(٢٢) الطلعة : الوجه . والمجاجة فى الأصل الريق ، ويراد به هنا الفتات أو الخلاصة . المسك : طيب معروف ، وهو عند العرب أفضل الطيب . مسك ذكى وذاك : ساطع ريحه .

مصيف رشيد

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى احتفال كبير أقيم ببلد الشاعر «رشيد» بمناسبة افتتاح مصيفها سنة ١٩٣٩ م.

أرشيدُ لا جُرْحٌ ولا إيلامُ ... عاد الزمانُ وصحّتِ الأحلامُ ! [١]

وتمثّلتْ فيكِ الحياةُ فَتِيّةً ... من بعدِ ما عبثَتْ بكِ الأيام [٢]

يازينةً بيْنَ الثغورِ وفتنةً ... سحرَ المالكَ ثغرُكِ البسّام [٣]

يا وردةً بين الرمالِ نضيرةً ... تُزْهَى بها الأغصانُ والأكمام [٤]

يا درّةَ البحرِ التى بوميضها ... ضحِكَ الصباحُ ، وأشرق الإظلام [٥]

يا دَوْحةً نَبت القريضُ بأرضِها ... فأصولُها وفروعُها إلهام [٦]

يا روضةً فتن العيونَ جمالُها ... وتحدّثت بأريجها الأنسامُ [٧]

يا همسةَ الأملِ الوسيمِ رُواؤه ... لو كان للأملِ الوسيم كلام ! [٨]

يا صحوةَ المجدِ القديمِ تحدَّثى ... طال الزمانُ بنا ونحن نيام ! [٩]

(١) إيلام : ألم . صحت : تحققت .

(٢) تمثلت : تشبهت . فتية : شابة . عبثت : لعبت .

(٣) الثغور : الموانى على البحر .

(٤) تزهى : تفتخر .

(٥) درة : جوهرة ثمينة . وميضها : نورها ولمعانها .

(٦) دوحة : الحديقة ذات الشجر العظيم . القريض : الشعر . الهام : وحى من الله .

(٧) أريجها : رائحتها الطيبة . الأنسام : الهواء الطيب .

(٨) الوسيم : الجميل . رواؤه : بهاؤه .

يا طلعةً للحسنِ شاع ضياؤها وانجاب عنها البحرُ وهو لِثامُ[١٠]

* * *

أرشيدُ يا بلدى ويا ملهَى الصبا بينى وبين مَدَى الصبا أعوام ![١١]
أيامَ لى فى كلِّ سَرْحٍ نَغْمَةٌ وبكلِّ ركنٍ وقفةٌ ولمام[١٢]
أيام لا أمسِى يجُرُّ وراءه أسفاً ، ولا يومى علىَّ جَهام[١٣]
ألهو كما تلهو الطيورُ ، حديثها شدْوٌ ، وَرَفُّ جَناحِها أنغام[١٤]
متنقِّلاتٍ بين أزهارِ الرُّبا الجوُّ مَتْنٌ ، والنسيمُ زِمامُ[١٥]
ومطالبى لم تَعْدُ مَدَّةَ ساعدى بُعْداً ، فما استعصَى علىَّ مرام[١٦]
هُوَ الطفولة خيرُ أيامِ الفتىَ إنّ الحياةَ وكَدحَها أوهام ![١٧]

* * *

أرشيدُ ، فيكِ لُبانتى وصَبابتى والصَّهْرُ والأخوالُ والأعمام[١٨]
لستُ حُنوَّ الحبِّ فيكِ تمائِمى ورأيتُ فيكِ الدهرَ وهو غلام[١٩].
ونشأتُ فى ظلِّ النخيل يَهزُّنى شوقٌ إلى أفيائِها وغرام[٢٠]
أرختْ شعورًا للنسيمِ كأنّها أظلالُها تحت الغَمامِ غَمام[٢١]
تهفو ويمنعها الحياءُ فتنثنى كالغيدِ رَوّعَ سِرْبَها اللُّوام[٢٢]

---

(١٠) انجاب : انكشف . لثام : ستر ونقاب .
(١١) مدى : غاية .
(١٢) سرح : فناء الدار . نغمة : لحن وكلام منغم . لمام : اجتماع .
(١٣) جهام : السحاب لا مطر فيه والمراد باليوم الجهام : اليوم لا خير فيه ولا سرور .
(١٤) رف جناحها : تحريك جناحها يشبه الألحان الجميلة .
(١٥) متن : مطية . زمام : مقود .
(١٨) لبانتى : حاجتى . صبابتى : رقة شوق وحرارته .
(١٩) تمائمى : تعاويذى .
(٢٠) أفياؤها : ظلها .
(٢١) شعورا : يقصد سعفها الذى يشبه الشعر مسدل من رأس النخلة . أظلالها : ظلها . الغمام : سحاب .
(٢٢) روّع : أخيف . سربها : جماعتها . اللّوام : اللائمون .

إنا كبرْنا يا نخيلُ وحبُّنا بين الجوانحِ شُعْلةٌ وضِرامُ[٢٣]
كم طوَّقتْ منكِ القُدودَ سواعدي ولكم شفاني من جَناكِ طعام[٢٤]
ولكم هززتِ فتاكِ حين حملتِه كالأمِّ تُلْهي الطفلَ حين ينام[٢٥]
إن يُقْصِني عنكِ الزمانُ وأهْلُهُ فالْحُبُّ عهدٌ بيننا وذِمام[٢٦]
مِيسي كأيامِ الطفولةِ وارْفُلي فالجوُّ صَفْوٌ، والنعيمُ جِمام[٢٧]
غنَّى لك القلمُ الذي أرهفتِه أرأيتِ كيف تغرِّدُ الأقلام؟[٢٨]
هذا وليدُكِ جاء يُنشد شِعرَه ما كلُّ ما تحوي الخيوطُ نِظام[٢٩]
أصغَى له الوادي، وغنَّتْ باسمه بغدادُ، واهتزَّت إليهِ الشام[٣٠]
إن قال مال له الوجودُ برأسِه ورنَت له الأسماعُ والأفهامُ[٣١]
ملك العَصِيَّ من القريضِ بسحره طَوْعاً، فما استعصَى عليه خِطام[٣٢]

* * *

أرشيدُ، هل في أن يبوحَ أخو الهوى حَرَجٌ، وهل في أن يَحِنَّ ملام؟[٣٣]
يا مَرْتعَ الآرامِ رنَّحها الصَّبا كيف المراتعُ فيكِ والآرام؟[٣٤]
من كلِّ لفَّاء المعاطِف طَفْلةٍ جِيدٌ كما يهوَى الهوَى وقَوام[٣٥]

---

(٢٣) الجوانح: الأضلاع. ضرام: نار.
(٢٤) طوّقت. أحاطت. جناك: حصادك.
(٢٦) يقصني: يبعدني. ذمام: حرمة - توثيق.
(٢٧) ميسي: تبختري. ارفلي: إنعمي. جمام: كثير.
(٢٩) نظام: نظم الشعر.
(٣٠) الوادي: وادي النيل أي مصر والسودان.
(٣١) رنت: نظرت.
(٣٢) العصي: الشارد من الألفاظ. القريض: الشعر. خطام: زمام.
(٣٣) أخو الهوى: المحب لك يقصد نفسه.
(٣٤) مرتع: موضع اللهو واللعب. الآرام: الظباء. رنحها: ميّلها.
(٣٥) لفّاء: لابسة. المعاطف: جمع معطف وهو ما يلبس فوق الملابس. طَفْلة: رخصة ناعمة.

سترت ملاحتَها المُلاءةُ مثلما ستر الغمامُ البدرَ وهو تمامُ(٣٦)
يدنو الجمالُ بها فيحجبها التُّقى «كَظباء مكةَ صيدُهنّ حرَام»(٣٧)
فإذا نظرتَ فخُذْ لنفسِك حِذْرها إنّ العيونَ - كما علمتَ - سهام(٣٨)

* * *

أرشيدُ، مجدُكِ فى القديمِ صحيفةٌ بيضاءُ، لا لَبْسٌ ولا إبهامُ(٣٩)
ملأتْ مآذِنكِ السماءَ شوامخاً بين السحابِ كأنّها أعلام(٤٠)
كم شاهدتْ قومًا زهتْ أيامُهم حينًا، وجاءت بعدَهم أقوام(٤١)
سبحانَ من لا مجدَ إلاّ مجدُه تَفْنَى وَيبقَى الواحدُ العلّام(٤٢)
خذْ من زمانِكَ ما استطعْتَ فمالما أخذتْ يداكَ من الزمان دوام(٤٣)
وارضَ الحياةَ نعيمَها أو بؤسَها نُعْمى الحياةِ وبؤسُها أقسام(٤٤)

* * *

أرشيدُ، لم نسمَعْ لصدرِك أنّةً للنّازلاتِ الدُّهْمِ وهى جِسام(٤٥)
أجملتِ صبراً للحوادثِ فانثنت إنّ الكرامَ على الخطوبِ كِرام(٤٦)
اليومَ جدّدْتِ الشبابَ فأقْدِمى معنى الشبابِ العزمُ والإقدامُ(٤٧)
سعت الوفود إلى مصيفِك سُبّقًا يتلو الزحامَ إلى سناه زحام(٤٨)
النيلُ والبحرُ الْخِضَمُّ يحوطُه والباسقاتُ على الطريق قيام(٤٩)

---

(٣٦) سترت : أخفت .
(٣٩) لبس : شك . ابهام : غموض .
(٤٢) العلاّم : كثير العلم منذ الأزل وعلم الله سبحانه وتعالى صفة أزلية .
(٤٣) دوام : بقاء .
(٤٤) ارض : اقنع . أقسام : حظوظ مقدرة .
(٤٥) أنة : أنين والم . النازلات : الكوارث . الدهم : السود المظلمة . جسام : كبيرة وشديدة .
(٤٦) أجملت : أحسنت - تصبرت . انثنت : ذهبت وطويت .
(٤٨) سناه : نوره .
(٤٩) الخضم : ذو الأمواج المرتفعة الكبيرة . الباسقات : العاليات يقصد النخل العالى .

والتوتُ والصَّفْصافُ يهتفُ طيرُه ... فترددُ الكُثبانُ والآكامُ[٥٠]

والزهرُ فى جيدِ الرياضِ قلائدٌ ... والنهرُ فى خَصْرِ الرياضِ حِزام[٥١]

والموجُ كالخيلِ الجوامحِ أُطْلِقت ... والحلّ عنها مِقْوَدٌ ولجام[٥٢]

تجرى السفائنُ فوقَه وكأنّها ... والريحُ تدفع بالشراعِ ، حمام[٥٣]

ومناظرٌ يَعيْا القريضُ بوصفِها ... ويضِلُّ فى ألوانها الرّسام[٥٤]

والناسُ بين ممازحٍ ومداعبٍ ... والأنسُ حتمٌ والسرورُ لِزَامٌ[٥٥]

من شاء فى ظلِّ السعادةِ ضَجْعَةً ... فهنا تُشادُ صُرُوحُها وتُقام[٥٦]

أو رام نِسْيانَ الهموم فها هنا ... تُنْسَى الهمومُ ، وتذهَبُ الآلام[٥٧]

---

(٥٠) التوت والصفصاف : أنواع من الشجر الكبير العالى . الآكام : التلال المرتفعة .

(٥١) خصر : الوسط .

(٥٢) الجوامح : الشاردة . مقود : الذى تقاد به الدابة . لجام : ما يوضع فى فم الفرس لقيادته .

(٥٣) السفائن : السفن .

(٥٤) يعيا : يعجز . يضل : يتوه .

(٥٦) تشاد : تبنى . صروحها : مبانيها العالية .

(٥٧) رام : ابتغى وأراد .

زيارة ملك

زار السلطان «حسين كامل» دار العلوم فى أول ولايته سنة ١٩١٥ م فألقيت أمامه هذه الأبيات :

يا مالِكًا مَلَكَ القلو ... بَ وَلَمَّ أَشْتَاتَ الرعيَّة[١]

لَكَ فى العُلا كَعْبٌ وَكَـ ... ـفٌّ فى المَكارِمِ حاتِميَّة[٢]

لَكَ سِيرَةٌ كَصَحِيفَةِ الأ ... بْرَارِ طَاهِرَةٌ نَقِيَّة[٣]

لَكَ فِكْرَةٌ يَجْرِى الهُدَى ... فِيهَا وَتَكْلَؤُهَا الروِيَّة[٤]

كالسهمِ لا تَنْبُو إذَا ... نَظَرَتْ ولا تُخطِى الرَمِيَّة[٥]

ألْعِلْمُ طابَ ثَواؤُهُ ... فى ظِلِّ تِلْكَ الأَرْيَحِيَّة[٦]

أعْلَى أبُوكَ بِنَاءَهُ ... وَعَلَيْكَ إتْمَامُ البَقِيَّة[٧]

«دارُ العُلومِ» تَشَرَّفَتْ ... بِشُرُوقِ طَلْعَتِكَ السنِيَّة[٨]

---

(١) لم أشتات الرعية : أصلحها وجمع ما تفرق من أمورها .

(٢) المكارم : جمع مكرمة وهى اسم من الكرم . وحاتمية : نسبة إلى حاتم الطائى أشهر أجواد العرب .

(٣) الأبرار . جمع بر ، وهو الخير الكثير .

(٤) تكلؤها : تحفظها . والروية ، التدبر والتفكر فى الأمر .

(٥) تنبو : تتباعد والرمية : فعيلة بمعنى مفعولة وهى ما يرمى من الحيوان وغيره .

(٦) ثواؤه : إقامته .

(٧) أبوك : هو الخديو إسماعيل .

(٨) الطلعة : الوجه . والسنية : ذات السناء وهو الرفعة والشرف .

فَلَوَ انَّهَا نَطَقَتْ لَكَا   نَتْ تَمْلأُ الدنْيَا تَحِيَّهْ[9]
فَاهْنَأْ بما أَوْلَى الإلَـــهُ وَعِشْ تَعِشْ كُلُّ الْبَرِيَّهْ[10]

---

(١٠) أولاه الأمر : ولاه إياه . والبرية : الخلق .

الشَّرِيدُ

نشرت فى صيف سنة ١٩٣٨ م.

أطَلَّتِ الآلامُ من جُحْرِهِ ... وَلُفَّتِ الأسقامُ فى طِمْرِهِ[١]

بُرْدَتُهُ الليلُ ، على بَرْدِهِ ... وكِنُّهُ القَيْظُ ، على حَرِّه[٢]

مُشَرَّدٌ يأوى إلى هَمِّهِ ... إذا أوَى الطيرُ إلى وَكْرِه ![٣]

ما ذاق حُلْوَ اللثم فى خَدِّهِ ... ولا حنانَ المَسِّ فى شَعْرِهِ[٤]

وَلاَ حَوَتْهُ الأمُّ فى صَدْرِها ... ولا أبٌ ناغاهُ فى حِجْرِه[٥]

قد صَبَّرَ النفسَ على ما بها ... وانتظَر الموعودَ من صَبْرِه[٦]

* * *

البَطْنُ مهضومٌ ، طواه الطَّوَى ... ونامَ أهلُ الأرضِ عن نَشْرِهِ[٧]

والوجهُ لليأسِ به نَظْرَةٌ ... يَقْلِبُها الحِقْدُ على دَهْرِه[٨]

جَرَّحَه الدهرُ ، فمِنْ نابِه ... تلك الأخاديدُ ، ومن ظُفْرِه[٩]

---

(١) أطلت : أشرفت . الطمر : الثوب البالى .

(٢) البردة : كساء صغير مربع . الكن : السترة .

(٣) مشرد : مطرود منفر . أوى : أقام وسكن .

(٧) مهضوم : ضامر . الطوى : الجوع . نشره : إحيائه .

(٩) الأخاديد جمع أخدود : وهو الحفرة فى الأرض ، والمراد بها الغضون والتجاعيد التى يطبعها البؤس على وجهه .

قــد كــتب اللهُ على خَــدِّه	خطًّا يَبِينُ البُؤسُ فى سَطْرِه[١٠]
وغـار ضوءُ الـحِسِّ من عَـيْنـهِ	وفـرَّ لَـمْحُ الأنسِ من ثَغْرِه[١١]
والبِشرُ ، أين البِشرُ؟ وَيْحى له !	يــا رحــمــةَ الله على بِشْــرِهِ[١٢]
يجرُّ رِجْـلَـيْـه بَـطىء الْـخُـطَـا	كـالْجُعَلِ المكْدُودِ من جَرِّه[١٣]
إن نـام أبصرتَ بـه كُـتْـلَـةً	تجمـعُ سـاقَـيْـهِ إلى نَـحْـرِه[١٤]
احــتَـبَسَتْ «أوَّاهُ» فى قَــلْـبِـهِ	واختنقت «ويْلاهُ» فى صَدْرِه[١٥]
وجفَّ مـاءُ الـعَـيْـنِ فى مُوقِـهـا	ماذا أفَادَ العينَ من هَمْرِه؟[١٦]
سـالتْ بـه نَـهـرًا على لُـقْـمةٍ	فـعـادَ كـالسـائـلِ فى نَهْرِه![١٧]
لا يَــجِــدُ المأوَى ، ولو رَامَــهُ	أحــالَــهُ الــدهــرُ على قَـبْـرِه[١٨]
هـنـاك يَـثْوِى هـادئـًا آمِـنًـا	من شَظَفِ العَيْشِ ومن وَعْرِه[١٩]
فـكـم بصـدرِ الـقَـبْـرِ من ضَجْعةٍ	أحنَى من الدهرِ ومن نُكْرِه![٢٠]

* * *

مَــتْــعَــبَــةُ الإنســانِ فى حِسِّـهِ	وشِـقْوةُ الإنسـان من فِـكْـرِه[٢١]
كيف يُرجَّى الصفْوُ من كـائـنٍ	الْـحَـمَـأُ المسنونُ فى ذَرِّه؟[٢٢]
لم يَـسْــمُ للأملاكِ فى أوْجِــهَــا	ولا هَـوَى للـوَحْشِ فى قَفْرِه[٢٣]
رام اللـبـابَ الـمَـحْضَ من سَعْيِهِ	فـلم يَـنَـلْ منه سِوَى قِشْرِه[٢٤]

---

(١٣) الجعل : دويبة معروفة . المكدود : المتعب .

(١٤) النحر : أعلى الصدر .

(١٥) أواه : يقصد بها الشكوى . ويلاه : يقصد بها الألم .

(١٦) الموق : جانب العين مما يلي الأنف . همر الدمع : انصبابه .

(١٩) يثوى : يقيم . وعره : صعبه .

(٢٠) أحنى : أعطف . النكر : القبح والشناعة .

(٢٢) الحمأ : الطين الأسود . المسنون : المتغير المنتن . ذره : الذر أصغر النمل ، ويراد به أصل الانسان وجرثومته .

(٢٣) الأوج : ضد الهبوط ، هوى : سقط .

(٢٤) اللباب : قلب الشيء . المحض : الخالص .

يسعَى ، وما يَدْرِى إلى نفعِهِ سَعَى حَثِيثًا ، أم إلى ضَرِّهِ[٢٥]
آمنتُ باللهِ ! فكم عالِمٍ أعجزه المحجوبُ من سِرِّهِ[٢٦]

* * *

اللهُ فى طِفْلٍ غزاهُ الضَّنَى بأدْهَمِ الخطْبِ ومُغْبَرِّهِ[٢٧]
فى ظُلُماتٍ ، مَوْجُها زاخرٌ كأنَّهُ ذو النُّونِ فى بَحْرِهِ[٢٨]
والناسُ بالشاطىء ، من غافلٍ أو ساخرٍ ، أمْعَنَ فى سُخْرِهِ[٢٩]
والمَوْجُ كالذُّؤبانِ حَوْلَ الفتى يسدُّ أُذْنَ الأفْقِ منْ زَأْرِهِ[٣٠]
نادَى ، وما نادَى سوَى مَرَّةٍ حتىّ طواهُ اليَمُّ فى غَمْرِهِ[٣١]
تظنُّه طِفْلاً ، فإن حقَّقَتْ عيناكَ ، لم تَعْثُرْ على عُشْرِهِ[٣٢]
كأنَّه الشَّكُّ إذا ما مَشَى أو ما يرَى النائمُ فى ذُعْرِهِ[٣٣]
طَغَى به الجوعُ ، ففى دَمْعِهِ ما فعلَ الجوعُ ، وفى نَبْرِهِ[٣٤]

* * *

واهًا لكفٍّ لَصِقَتْ بالثرَى والتَدَمَتْ بالبُؤْسِ من عَفْرِهِ[٣٥]
ماذا على الإحسانِ لو ردَّها نَدِيَّةَ الأطْرافِ من بِرِّهِ ؟[٣٦]
ماذا على الإحسان لو ردَّها رَطيبةَ الألْسُنِ من شُكْرِهِ ؟[٣٧]
كم بَسْمَةٍ أرسلَها مُحْسِنٌ أزْهَى من الروْضِ ومن زَهْرِهِ ![٣٨]
ولُقْمةٍ سدَّتْ فما جائعًا رجَّحَتِ الميزانَ فى حَشْرِهِ ![٣٩]

---

(٢٥) حثيثًا : مسرعا .
(٢٧) أدهم : أسود . أدهم الخطب : أشد المصائب وأفدحها .
(٢٨) موج زاخر : ممتد مرتفع . ذو النون : سيدنا يونس وقد ابتلعه الحوت فى البحر ، فنجاه الله من الغم وأخرجه .
(٣٠) الذؤبان : جمع ذئب . الزأر : صوت الأسد ، ويقصد به هدير الأمواج .
(٣٥) واها : اسم لعل للتعجب ، ويراد به هنا التفجع . الثرى : التراب الندى . التدم : أساغ الخبز بالادام . العفر : التراب .
(٣٦) ندية الأطراف : غضة بضة بالاحسان .
(٣٧) رطيبة الألسن : تلهج بالثناء .

ومِنَّةٍ كانت جَناحًا له ... طارَ بهِ الذائعُ من ذِكْرِه (٤٠)

ودَمْعةٍ يُذْرِفها مُشْفِقًا ... أصْفَى من المَذْخُورِ من دُرِّه (٤١)

لا تُزْهِرُ الجنةُ إلاّ بما ... يَسْفَحُه الباكِي على وِزْرِه (٤٢)

لو عَرَفَ الإنسانُ ما أجرُه ... ما ضَنَّ بالنفْسِ على أجْرِه (٤٣)

يبقَى قليلُ المالِ مِنْ بَعْدِهِ ... ويَذْهَبُ المالُ على كُثْرِه (٤٤)

بيضُ أيادِي المرْءِ فى قَومِهِ ... أغْلَى من البِيضِ ومن صُفْرِه (٤٥)

والحُرُّ، لا يَنْعَمُ فى وَفْرِه ... حتى يَنالَ الناسُ من وَفْرِه (٤٦)

والمرءُ، لا يُعْرَفُ مِقْدارُه ... أو تُنبِئُ الأحْداثُ عن قَدْرِه (٤٧)

والناسُ كالماءِ، فمن ضَحْضَحٍ ... ومن عَميقٍ، جِزْتُ فى سَبْرِه (٤٨)

ليس الذى يُنْفِقُ من يُسْرِه ... مِثْلَ الذى يُنْفِقُ من عُسْرِه (٤٩)

كم دِرْهَمٍ أُلْقِيَ فى سِجْنِهِ ... ولم يَنَلْ عَفْوًا مَدَى عُمْرِه! (٥٠)

لم يَرَ حُسْنَ الصُّبحِ فى شَمْسِه ... ولا جَمالَ الليلِ فى بَدْرِه (٥١)

يطْمَعُ وَخْزُ الجوعِ فى وَصْلِهِ ... ويُرْسِلُ الزَّفَراتِ من هَجْرِهِ (٥٢)

والمالُ كالخَمْرِ، إذا ما طَغَى ... ضاقت فِجَاجُ الأرضِ عن شَرِّه (٥٣)

متى يَهُبُّ العقلُ من نَوْمِه؟ ... أو يستفيقُ المالُ من سُكْرِه؟ (٥٤)

متى أرَى النفسَ، وقد أُطْلِقَتْ ... من رِبْقَةِ المالِ ومن أسْرِه؟ (٥٥)

متى أرَى الحُبَّ كضَوْءِ الضُّحَى ... كُلُّ امرِئٍ يَسْبَحُ فى طُهْرِه؟ (٥٦)

متى أرَى الناسَ، وقد نُزِّهُوا ... عن شَرَهِ الذئبِ وعن غَدْرِه؟ (٥٧)

---

(٤١) المذخور: المدخر المعد لوقت الحاجة.

(٤٥) بيض الأيادى: النعم المشهورة. البيض: الدراهم. الصفر: الدنانير.

(٤٦) وفره « فى الشطر الأول »: المال الكثير. وفره « فى الشطر الثانى »: مازاد عن حاجته.

(٤٨) الضحضح: الماء القليل. السبر: الاختبار.

(٥٠) السجن هنا المكان الذى يدخر فيه البخيل ماله.

(٥٢) الوخز: الطعن بالرمح ونحوه.

(٥٣) فجاج الأرض: طرقاتها الواسعة.

(٥٥) الربقة: العروة فى الربق وهو الحبل يشد به.

أُخُوَّةُ الغُصْنِ إلى صِنْوِهِ — وبَسْمَةُ الزهْرِ إلى قَطْرِهِ (٥٨)

ورَحْمَةٌ ، رَفّافَةٌ لم تَدَعْ — قلْبًا يُوارِى النارَ فى صَخْرِهِ (٥٩)

لا يُحْسَدُ الجاهُ على مالِهِ — أو يُنْهَرُ الْبُؤْسُ على فَقْرِهِ (٦٠)

* * *

كم شارِدٍ فى مِصْرَ ، يا كُثْرَه — من عَدَدٍ ، يَسْخَرُ مِنْ حَصْرِه ! (٦١)

ذَخِيرةُ الأمةِ أبناؤها — ماذا أفادَ النيلُ من ذُخْرِه ؟ (٦٢)

ماذا أفادَ النيلُ من ساعدٍ — أسْرَعَ مِنْ ضِغْثٍ إلى كَسْرِه ؟ (٦٣)

وأرْجُلٍ أوْهَنَ من هَمْسَةٍ — ومن نسيمِ الصبحِ فى مَرِّه ؟ (٦٤)

ومن فتاةٍ ، فَجْرُها لَيْلُها — ومن غُلامٍ ، ضَلَّ فى فَجْرِه ؟ (٦٥)

ألْقَتْهُ مِصْرُ هَمَلاً ضائعًا — فصال يَبْغى الثارَ مِن مِصْرِهِ (٦٦)

غاصَ من الآثامِ فى آسِنٍ — يَكْرَعُ مِلْءَ الفَمِ من مُرِّه (٦٧)

أسرَى من الليلِ ، وأمْضَى يَدًا — من عَبَثِ الليل ، ومن مَكْرِه (٦٨)

كم ضاق من شِقْوَتِه عَصْرُهُ — وضاق بالسُّخْطِ على عَصْرِه ! (٦٩)

شَجًا بِحَلْقِ الوَطَنِ المُفْتَدَى — وشَوْكَةٌ كالنَّصْلِ فى ظَهْرِه (٧٠)

مدْرَسَةُ النشْلِ وَسَلُّ المُدَى — أسَّسَها الشيْطانُ فى جُحْرِه (٧١)

إذا هَوَى الْخُلْق ، وضاع الحِجَا — فكلُّ شَىْءٍ ضاع فى إثْرِه ! (٧٢)

---

(٥٨) الصنو : الواحدة من النخلتين فى أصل واحد .

(٥٩) رفافة : هفّافة شاملة ، ويقال : رف الطائر بسط جناحيه .

(٦٣) الضغث : الحشيش الرطب واليابس .

(٦٦) هملا : متروكا سدى بغير راع .

(٦٧) آسن : ماء آجن فاسد . يكرع : يشرب الماء بفيه من موضعه من غير أن يتناوله بكفيه أو بإناء .

(٦٨) أسرى من الليل : أمضى . والسرى : السير بالليل .

(٦٩) شقوته : شقاؤه .

(٧٠) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . النصل : حديدة السهم والرمح والسيف .

(٧٢) هوى : سقط . الحجا : العقل . إثره : بعده .

مَن يُصْلِح الأُسْرةَ يصْلِحْ بها ... ما دَمَّرَ الإفسادُ فى قُطْرِه[73]

* * *

جِنايةُ الوالدِ نَبْذُ ابنهِ ... فى عُسْرِه ، إنْ كان ، أو يُسْرِه[74]

لا تَتْرُكُ الذِئْبَةُ أجْراءَها ... ولا يغيبُ الكلبُ عن وَجْرِه ![75]

البَيْتُ صَحْراءُ إذا لم تَجِدْ ... طفُولةٌ تَمْرَحُ فى كِسْرِه[76]

فعاقِبوا الآباءَ إنْ قصَّروا ... لا بُدَّ للسادِرِ من زَجْرِه[77]

وأنقِذوا الطفْلَ ، فما ذَنْبُه ... إنْ جَمَحَ الوالدُ فى خُسْرِه ؟[78]

رَبُّوهُ ، يَنْمو ثَمَرًا طيِّبًا ... لا ييأسُ الزارعُ من بَذْرِه[79]

وعلِّموهُ عَملاً صالحًا ... يَشُدُّ - إن كافَحَ - من أزْرِه[80]

ربُّوه فى الريفِ ، لعلَّ القرَى ... تُصْلِحُ ما أعْضَلَ من أمْرِه[81]

النفسُ مِرْآةٌ ، وغُصْنُ النَّقا ... يَطيبُ أو يَخْبُثُ من جِذْرِه[82]

لعلَّ هَمْسَ الغُصنِ فى أذْنِه ... يُنْسِيهِ ما أضْمَرَ من ثأرِه ![83]

لعلَّ أنفاسَ نسيمِ الرُّبا ... فى صَدْرِه ، تُبْرِدُ من جَمْرِه ![84]

النيلُ يستنجِدُ مُسْتَنْصِرًا ... فأسْرِعوا الْخَطْوَ إلى نَصْرِه[85]

لا يذهبُ المعروفُ فى لُجَّةٍ ... ولا يَكُفُّ الْمِسْكُ عن نَشْرِه[86]

---

(٧٥) الأجراء : جمع جرو ، وهو صغير كل شىء ، وولد الكلب والأسد والذئبة . الوجر : الكهف فى الجبل وجحر الضبع .

(٧٦) كسره : جانبه .

(٧٧) السادر : الذى لا يبالى ما يصنع . الزجر : المنع .

(٧٨) جمح : ركب هواه .

(٨٠) الأزر : القوة .

(٨٦) نشره : رائحته الطيبة .

قبر حفني

ألقى الشاعر هذه القصيدة بدار الإذاعة في رثاء العالم الأديب الشاعر حفني ناصف عام ١٩٣٨ م.

يـا قـبـرَ حـفـني أجـبْني ... مـاذا صـنـعـتَ بحفني ؟[١]
مـاذا صـنـعـتَ بـعـلـمٍ ؟ ... ومـا صـنـعـتَ بـفَـنّ ؟[٢]
ومـا صـنـعـتَ بـفـكـرٍ ... مـاضي الشَّـبـاةِ وذِهْـن ؟[٣]
طويتَ خـيـرَ مَـشـابٍ ... لـلـطـائـفين ورُكْـن ![٤]

* * *

في كـلِّ يومٍ رِثـاءٌ ... لصـاحبٍ أو لـخِـدْن[٥]
حـتَّى لـقـد كـاد شـعري ... يـبـكي لضـعفي ووهْني[٦]
فـإنَّـمـا أنـا مـنـه ... وإنَّـمـا هـو مـنـي[٧]
الـوزنُ من نَـبْضِ قـلبي ... والـبحرُ من ماء جَـفْني[٨]
رحـا المنـايـا رُويـدًا ... خـلـطت طِـحْـنًا بِطِحن ![٩]

---

(٣) ماضي : نافذ ـ حاد . الشباة : ما حد طرفه .

(٤) مثاب : موضع .

(٥) خدن : صديق .

(٦) وهني : ضعفي .

(٨) الوزن : وزن الشعر . البحر : أبحر الشعر ستة عشر بحرا .

(٩) رحا المنايا : رحا الموت . رويدًا : مهلا . طحنًا : طحين .

وإنَّما الناس ظَعْنٌ يسيرُ فى إِثْرِ ظعْنِ[10]
فما حديدٌ بباقٍ ولا حِذارٌ بِمُغْنى[11]
وكلُّ عقلٍ مُضِيءٍ إلى خُمودٍ وأَفْنِ[12]
يكادُ إن مال غصنٌ يشكو الزمانَ لغصنِ[13]
تعسًا له، كم نُعزِّى حينًا، وحينًا نُهَنِّى![14]
من اجتماعٍ لعُرْسٍ إلى اجتماعٍ لدفنِ[15]
والمرءُ يُحيي الأمانى والدهرُ يُبلى ويُفنى[16]
فكم تمنّيتُ لكن ماذا أفاد التمنّى؟[17]
دعنى أقلِّبُ طَرْفى فى ظُلمَةِ الليلِ دعنى[18]
حيرانَ أضرِبُ كفى أسىً وأقرَعُ سِنّى[19]
قد خاننى الدهرُ يومًا ياليته لم يَخُنّى![20]
أكلَّما مرّ نعشٌ أو طاف نَعْيٌ بأُذْنى[21]
طار الفؤادُ، فلولا بقيةٌ، ندَّ عنى[22]
لولا التُّقَى لم أجِدْهُ بجانِبى أو بجَنْبى[23]

* * *

قالوا، أجدتَ المراثى فقلتُ: إنَّ، وإنّى[24]

---

(١٠) ظعن: سائرون ـ مسافرون.

(١١) حذار: تحذير وتخويف. مغنى: منجى.

(١٢) خمود: سكون. أفن: ضعف فى الرأى والعقل.

(١٤) تعسا له: هلاكا.

(١٨) طرفى: عينى.

(١٩) أقرع: أضرب. سنى: أسنانى.

(٢٠) يشير الشاعر إلى وفاة نجله البكر فى سن الشباب فى نوفمبر عام ١٩٣٥ م.

(٢٢) الفؤاد: القلب. ند: بعد.

(٢٣) التقى: الصلاح.

(٢٤) إن: نعم. وإنى: أى وأنى أجيدها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دُموعُ عيني قَريضي ... وزَفْرةُ الوجدِ لحني [٢٥]

عَلِّى أداوى حَزينًا ... فالحزنُ يُمْحَى بحزن [٢٦]

أو يشتفى ببكاء ... مَن شأنه مثلُ شأنى [٢٧]

* * *

أين النُبوغُ توارَى ؟ ... ياقبرَ حفنى أجبنى [٢٨]

أكُلّما لاح بدرٌ ... رمته ريحٌ بدَجْن ؟ [٢٩]

وخلّف الأرضَ حَيْرى ... سهلٌ يموج بحَزْن [٣٠]

وربّ زهرٍ شَذاه ... يُزْرى بأرواحِ عَدْنِ [٣١]

كأنّما منحته ... ألوانُها ذاتُ حُسْن [٣٢]

جالُه الغضُّ أغرَى ... أغصانَه بالتَّثنى [٣٣]

غَذَّتْه أطْبَاءُ طَلٍّ ... حينًا ، وأثداءُ مُزْن [٣٤]

تسرى به الريحُ رفقًا ... في خشيةٍ وتأنّى [٣٥]

كأنّها فَمُ أُمٍّ ... يَمُرُّ فى وجنةِ ابْن [٣٦]

النحلُ ترشُفُ منه ... رحيقه وتُغنّى [٣٧]

تجنى ولم تدرِ يومًا ... أنّ الردَى سوف يجنى [٣٨]

---

(٢٥) قريضى : شعرى . زفرة الوجد : نَفَس الشوق والوله .

(٢٧) يشتفى : يشفى ويبرأ .

(٢٩) لاح : ظهر وبدا . دجن : الغيم المطبق المظلم .

(٣٠) خلّف : ترك . يموج : يضطرب . حزن : بأس أو ما غلظ من الأرض .

(٣١) شذاه : رائحته النفاذة . يزرى : يحتقر . أرواح عدن : الأنفاس فى جنات عدن .

(٣٢) ذات حسن : صاحبة رونق وبهاء وجمال .

(٣٣) الغض : الطرى . التثنى : التمايل .

(٣٤) اطّباء : طبقات . طل : المطر الضعيف . أثداء : جمع ثدى . مزن : السحاب به مطر كثير .

(٣٥) تسرى : تسير ليلا .

(٣٦) وجنة : جبهة .

(٣٨) تجنى : تقطف ـ تحصد . الردى : الموت .

طــغت عــلــيــه سَـمومٌ   جــرّى كـأنـفـاسِ جِنّ[٣٩]

فــغــادرتْــهُ رُكــامــاً   أجفّ من عودِ تِبْنِ[٤٠]

والــدهــر أحــرَى رفـيقٍ   بــأن يخونَ ويُــخنِى[٤١]

* * *

يــاقــبــرَ حــفنى أجبنى   وارحــم بـقـيّـةَ سنّى[٤٢]

قــد راعنى مــنك صَــمْتٌ   بحقّــه لا تُــرْعِنى[٤٣]

فــفــيكَ أمضَى جَــنــانــاً   من كــلِّ فُصْحٍ ولُسْنِ[٤٤]

وفــيكَ شِــعْــرٌ نــقىٌّ   من كــلِّ وَقْصٍ وخَبْنِ[٤٥]

كــأنّــه بَسَــمــاتٌ   لــلوصلِ بعد الـتجنّى[٤٦]

أو نـفـحـةٌ من «جـمـيلٍ»   طـافتْ بـأحلام «بُـثْنٍ»[٤٧]

أو رَغْـوةٌ من سُلافٍ   تــفــيضُ من رأس دَنِّ[٤٨]

كــم نــكــتــة فـيه كـادت   تخفَى على كُــلِّ ظن![٤٩]

مصريــةٍ جــالَ فيهــا   ذوقُ الأديبِ المفنّ[٥٠]

* * *

---

(٣٩) سموم : ريح ساخنة . حرّى : ساخنة .

(٤٠) ركاما : متراكما بعضه فوق بعض .

(٤١) أحرى : أجدر . يخنى : يهلك .

(٤٣) لا ترعنى : لا تخيفنى .

(٤٤) أمضى جنانا : أنفذ قلب . فصح : بليغ . لسن : فصيح اللسان واللغة .

(٤٥) وقص : فى نظم الشعر حذف الحرف الثانى المتحرك . خبن : اسقاط الحرف الثانى الساكن فى العروض .

(٤٦) التجنى : الادعاء كذبا .

(٤٧) جميل : هو جميل بن معمر تدله بحب بثينة ولذلك سمى جميل بثينة . بثن : بثينة صاحبة جميل .

(٤٨) رغوة : فوران . سلاف : خمر . دن : وعاء لشرب الخمر .

(٥٠) المفن : ذو فنون .

لو كنتَ تعرفُ حقى | لقلتَ : زدنى وزدنى ! (٥١)
نحوٌ يصُكُّ الكسائى | ويزدرى بابن جِنّى (٥٢)
وإنْ أُثيرَ جدالٌ | رأيته خيرَ قِرْنِ (٥٣)
العلمُ أمضَى سلاحٍ | له وأوْقَى مِجَنّ (٥٤)
قد كان ضخمًا جَسيمًا | يبدو كشامخِ حِصْنِ (٥٥)
اللحمُ رِخْوٌ بدينٌ | له نُعومةُ قُطنِ (٥٦)
والصدرُ رَحْبٌ فسيحٌ | ما جاش يومًا بضغْن (٥٧)
فى وجهه الجهمِ حُسنٌ | من روحهِ المستكنّ (٥٨)

* * *

قد زارنى ذاتَ يومٍ | فى وقتِ قَيْظٍ وكِنّ (٥٩)
فكان أُنْسًا تدانتْ | به المُنَى بعد ضَنّ (٦٠)
فاض الحديثُ زُلالاً | عذْبًا وما قال قَطْنِى (٦١)
فُكاهةٌ من لَدُنْه | ونكتةٌ من لَدُنّى (٦٢)
فى الأذن قهوةَ كَرْمٍ | والكف قهوةُ بُنٍ (٦٣)
أروِى ويَرْوِى القوافى | كالدرِّ وزنًا بوزن (٦٤)

---

(٥٢) نحو : علم النحو وهو اعراب الكلام العربى . يصك : يضرب . الكسائى : عالم عربى من علماء النحو الأفذاذ . يزدرى : يستهين . ابن جنى : عالم عربى آخر من علماء النحو واللغة .

(٥٣) القرن : كفؤك فى الشجاعة والرأى .

(٥٤) أوقى : حفظ . مجنّ : درع .

(٥٦) رخو : طرى

(٥٧) ما جاش : ما حمل وفكر . ضغن : حقد وكراهية .

(٥٨) الجهم : المتجهم . المستكن : المستكين .

(٥٩) قيظ : شديد الحرارة . كِنّ : استكانة .

(٦٠) تدانت : قربت . ضن : شح .

(٦٢) لدنه : عنده .

(٦٣) قهوة كرم : خمرة عنب . والقهوة سمّيت كذلك لأنها تقهى أى تذهب بشهوة الطعام .

يا مجلسًا عاد وجْدًا يُذْكي الفؤادَ ويُضْني[٦٥]
ضاع الصبا ورجَعْنا منه بصَفْقةِ غَبْن[٦٦]
حنى ، سلامٌ ونورٌ لقلبكَ المطمئن[٦٧]
فارقتَ أهلاً وسَكْنًا لخيرِ أهْلٍ وسَكن[٦٨]
تُثْنى إليكَ القوافى أعناقَها حين تُثنى[٦٩]

(٦٥) وجدا : شوقا . يذكى : يشعل . يضنى : يثقل ويمرض .

(٦٦) غبن : ظلم .

(٦٩) تثنى : تحنى - تنقاد .

قبلة

١٩١٢ م

الصغيرة الحسناء.

رأيتُها في سِربها كالبدرِ بين أنجُمِ[1]
جاءت فقبّلتْ يدي بثغرها المنظّمِ[2]
فليتَ كفّي خدُّها وليتَ ثغرَها فمي![3]

---

(١) سربها : جماعتها.
(٢) المنظم : المنسق الجميل.

اللغة العربية

أنشدها الشاعر فى افتتاح دور الانعقاد الثالث لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤ م.

مَاذَا طَحَا بِكَ يَا صَنَّاجَةَ الأَدَبِ هَلَّا شَدَوْتَ بِأَمْدَاحِ ابْنَةِ العَرَبِ ؟[١]

أَطَارَ نَوْمَكَ أَحْدَاثٌ وَجَمْتَ لَهَا فَبِتَّ تَنْفُخُ بَيْنَ الهَمِّ والوَصَبِ[٢]

وَالْيَعْرُبِيَّةُ أَنْدَى مَا بَعَثْتَ بِهِ شَجْواً مِنَ الْحُزْنِ أَوْ شَدْوًا مِنَ الطَّرَبِ[٣]

رُوحٌ مِنَ اللهِ أَحْيَتْ كُلَّ نَازِعَةٍ مِنَ البَيَانِ وَآتَتْ كُلَّ مُطَّلَبِ[٤]

أَزْهَى مِنَ الأَمَلِ البَسَّامِ مَوْقِعُهَا وَجَرْسُ أَلْفَاظِهَا أَحْلَى مِنَ الضَّرَبِ[٥]

* * *

وَسْنَى بِأَخْبِيَةِ الصَّحْرَاءِ يُوقِظُهَا وَحْيٌ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ هَمْسٌ مِنَ الشُّهُبِ[٦]

---

(١) طحا بك : صرفك ، وذهب بك فى كل مذهب . الصناجة : اللاعب بالصنج وهو آلة تتخذ من الصفر. وكان أعشى قيس يلقب بصناجة العرب لحسن رنين شعره . ابنة العرب : اللغة العربية .

(٢) وجمت : سكت حزنًا . تنفخ : ترسل نفسا طويلا . الهم : الحزن . الوصب : المرض .

(٣) اليعربية : اللغة العربية نسبة إلى يعرب بن قحطان الذى ينتسب إليه عرب اليمن ، وهم العرب العاربة . أندى : أبعد صوتا . الشجو : الحزن .

(٤) نازعة من البيان : من قولهم عنده نزعة إلى كذا أى ميل إليه والمراد عاطفة بيانية . آتت : أعطت . مطلب : مطلوب ، وأصله متطلب : أدغمت التاء فى الطاء .

(٥) جرس : صوت . الضرب : العسل .

(٦) وسنى : نائمة : من السنة وهى النوم . أخبية : خيام : جمع خباء . الشهب : النجوم . جمع شهاب .

تُحْدَى بِهَا اليَعْمَلَاتُ الكُومُ إنْ لَغِبَتْ ... فَلَا تُحِسُّ بِإِنْضَاءٍ وَلَا لَغَبِ[٧]

تَـهْـتَـزُّ فَوْقَ بِحَارِ الآلِ رَاقِصَةً ... وَالنَّصْبُ للنيبِ يَجْلُو كُرْبَةَ النَّصَبِ[٨]

لَمْ تَعْرِف السَّوْطَ إِلَّا صَوْتَ مُرْتَجِزٍ ... كَأَنَّ فِي فِيهِ مِزْمارًا مِنَ القَصَبِ[٩]

تُصْغِي إِلَى صَوْتِهِ الأَطْيَارُ صَامِتَةً ... إِذَا تَرَدَّدَ بَيْنَ القُورِ وَالهِضَبِ[١٠]

كَـأَنَّـهُ وَظَلَامِ الـلَّـيْـلِ يَـكْـنُـفُـهُ ... غُثَاءَةٌ قُذِفَتْ فِي مَائِجٍ لَجِبِ[١١]

قَدْ خَالَطَ الوَحْشَ حَتَّى مَا يُرَوِّعُهَا ... إِذَا تَعَرَّضَ لَمْ تَنْفِرْ وَلَمْ تَثِبِ[١٢]

يَرْنُو بِعَيْنٍ عَلَى الظَّلْمَاءِ صَادِقَةٍ ... كَأَعْيُنِ النَّسْرِ أَنَّى صُوِّبَتْ تُصِبِ[١٣]

هُوَ الْحَيَاةُ بِقَفْرٍ لا حَيَاةَ بِهِ ... كالمَاءِ فِي الصَّخْرِ أَوْ كالمَاءِ فِي الْحَطَبِ[١٤]

يَبِيتُ مِنْ نَفْسِهِ فِي مَنْزِلٍ خَضِلٍ ... وَمِنْ شَبَا بِيضِهِ فِي مَعْقِلٍ أَشِبِ[١٥]

يَـهْـتَـزُّ لـلـجُـودِ والـمَشْـتَـاةُ بَـاخِـلَـةٌ ... وَالقُرُّ يَعْقِدُ رَأْسَ الكَلْبِ بِالذَّنَبِ[١٦]

* * *

تَـهْـفُـو إِلَـيْـهِ بَـنَـاتُ الْحَيِّ مُعْجَبَةً ... وَالْحُبُّ يَنْبُتُ بَيْنَ العُجْبِ وَالعَجَبِ[١٧]

إِذَا تَـنَـقَّـبْـنَ إِذْ يَلْقَيْنَهُ خَفَرًا ... فَشَوْقُـهُـنَّ إِلَيْهِ غَيْرُ مُنْتَقِبِ[١٨]

---

(٧) تحدى : الحداء هو ضرب من الغناء يكون وراء الإبل . اليعملات : النياق السريعة . الكوم : جمع كوماء : وهى العظيمة السنام . لغبت : تعبت وأعياها السير. إنضاء : هُزال .

(٨) الآل : السراب . النصْب : ضرب من الحداء . النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . يجلو : يكشف .

(٩) السوط : ما يضرب به من الجلد . مرتجز: مغن بالأراجيز . والرجز من أوزان الشعر يوافق وقع سير الإبل .

(١٠) القور : جمع قارة وهو الجبل الصغير.

(١١) يكنفه : يحيط به . الغثاءة : الزبد والوسخ ونحوهما مما يجئ فوق السيل . مائج : بَحْرٌ مضطرب الموج . لجب : لأمواجه جلبة وضوضاء .

(١٢) يروعها : يخيفها . تنفر : تفر مستوحشة . تثب : تندّ فرقا ورعبا .

(١٥) خضل : نَدٍ . شبا : جمع شباة وهى حد السيف . والبيض : السيوف . معقل : حصن . أشِبٍ : ملتف الشجر كثيرهُ ، أى حصين .

(١٦) يهتز: ينشط . المشتاة : زمن الشتاء أو مكانه حيث يقل الخير. القر: البرد . يعقد: يشد .

(١٧) تهفو: تميل . العجب : الصلف والزهو. العجب : بالتحريك الدهشة والاستغراب .

(١٨) تنقبن: احتجبن. خفرا : حياء .

تَـرَاهُ كُـلُّ فَتَـاةٍ حِيـنَ تَـفْـقِـدُهُ ... فِي البَدْرِ وَالسَّيْفِ وَالضِّرغَامِ وَالسُّحُبِ (١٩)
زَيْـنُ الفِـنَـاءِ إِذَا مَـا حَـلَّ حَـبْـوَتَهُ ... لِلْقَوْلِ لَبَّاهُ مِنْهُ كُلُّ مُنْتَخَبِ (٢٠)
أَوْ هَـزَّ شَـيْـطَانُهُ أَوْتَارَ مَنْطِقِهِ ... فَاخْشَ الأَتِيَّ وَحَاذِرْ صَوْلَةَ العُبَبِ (٢١)
مَـا مَسَّ بِـالكَـفِّ أَوْرَاقاً وَلاَ قَلَماً ... وَرَأْيُهُ زِينَةُ الأَوْرَاقِ وَالكُتُبِ (٢٢)
يَـطِيـرُ لِلـحَـرْبِ خِـفًّا غَيْرَ مُدَّرِعٍ ... فِي شِدَّةِ البَأْسِ مَا يُغْنِي عَنِ اليَلَبِ (٢٣)
إِذَا دَعَـاهُ صَـرِيـخٌ كَـانَ دَعْـوَتَهُ ... وَإِنْ دَعَتْهُ دَوَاعِي الذُّعْرِ لَمْ يُجِبِ (٢٤)
لاَ تَرْهَبُ الْجَارَةُ الْحَسْنَاءُ نَظْرَتَهُ ... كَأَنَّ أَجْفَانَهُ شُدَّتْ إِلَى طُنُبِ (٢٥)

* * *

جَزِيرَةٌ أَجْدَبَتْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ... وَأَخْصَبَتْ فِي نَوَاحِي الخُلْقِ وَالأَدَبِ (٢٦)
جَدْبٌ بِهِ تَنْبُتُ الأَحْلاَمُ زَاكِيَةً ... إِنَّ الحِجَارَةَ قَدْ تَنْشَقُّ عَنْ ذَهَبِ (٢٧)
تَوَدُّ كُلُّ رِيَاضِ الأَرْضِ لَوْ مُنِحَتْ ... أَزْهَارُهَا قُبْلَةً مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ (٢٨)
وَتَرْتَجِي الغِيدُ لَوْ كَانَتْ لآلِئُهَا ... نَظْماً مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْراً مِنَ الخُطَبِ (٢٩)

* * *

يَاجِيرَةَ الْحَرَمِ المَزْهُوِّ سَاكِنُهُ ... سَقَى العُهُودَ الخَوَالِي كُلُّ مُنْسَكِبِ (٣٠)

---

(١٩) الضرغام : الأسد .

(٢٠) الحبوة : أن يجمع الجالس بين ظهره وساقيه بعمامة أو حبل أو نحوهما ، وكان ذلك ضروريا للعربي لانعدام ما يسند إليه ظهره . لباه : أطاعه .

(٢١) هز: حرك . الأتي : السيل . العُبَب : المياه المتدفقة ــ وهي مفرد .

(٢٣) خفا : خفيفا غير مثقل . مدرع : لابس الدرع . البأس: الشدة والقوة . اليلب : الدروع .

(٢٤) صريخ : ملهوف مستغيث . الذعر: الخوف .

(٢٥) الطنب : الحبل (المعنى) أنه عفيف النظر .

(٢٧) الأحلام: العقول : جمع حلم . زاكية : نامية متزايدة .

(٢٨) الترب : الكثير التراب .

(٢٩) الغيد: الحسان جمع غادة .

(٣٠) المزهو: المتكبر المفتخر . العهود الخوالي : العصور الماضية .

لِى بيْنَكُمْ صِلَةٌ عَزَّتْ أَوَاصِرُهَا ... لِأَنَّهَا صِلَةُ القُرْآنِ وَالنَّسَبِ(٣١)

أرى بعَيْنِ خَيالى جاهِليَّتكُمْ ... ولِلتَّخيُّلِ عَيْنُ القَائِفِ الدَّربِ(٣٢)

وَأشْهَدُ الحَشْدَ لِلشُّورَى قَدِ اجْتَمعُوا ... وَلَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ لَغْوٍ وَلَاصَخَبِ(٣٣)

مِنْ كُلِّ مُكْتَهِلٍ بِالبُرْدِ مُشْتَمِلٍ ... لِلقَوْلِ مُرْتَجِلٍ لِلهُجْرِ مُجْتَنِبِ(٣٤)

وَأَلْمَحُ النَّارَ فِى الظَّلْمَاءِ قَدْ نُصِبَتْ ... لِطَارِقِ اللَّيْلِ وَالْحَيْرَانِ والسَّغبِ(٣٥)

نَارٌ وَلَكِنَّهَا قَدْ صُوِّرَتْ أَمَلاً ... بَرْدًا إِذَا خَابَتِ الآمَالُ لَمْ يَخِبِ(٣٦)

رَمْزُ الحَيَاةِ وَرَمْزُ الجُودِ مَا فَتِئَتْ ... فَوْقَ الثَّنِيَّاتِ تَرْمِى الجَوَّ بِاللَّهَبِ(٣٧)

يَشُبُّهَا أَرْيَحِى كُلَّمَا هَدَأَتْ ... أَلْقَى عَلَى جَمْرِهَا جَزْلاً مِنَ الحَطَبِ(٣٨)

وَأُبْصِرُ القَوْمَ يَوْمَ الرَّوْعِ قَدْ حُشِدُوا ... لِلْمَوتِ يَجتَاحُ، أَوْ لِلنَّصْرِ وَالغَلَبِ(٣٩)

يَرْمُونَ بِالشَّرِّ شَرا حِينَ يَفْجَؤُهُمْ ... وَرَايُهُمْ فَوْقَهُمْ خَفَّاقَةُ العَذَبِ(٤٠)

وَأَحْضُرُ الشُّعَرَاءَ اللُّسْنَ قَدْ وَقَفُوا ... وَلِلْبَيَانِ فِعَالُ الصَّارِمِ الذَّرِبِ(٤١)

أَبُو بَصِيرٍ لَهُ نَبْرٌ لَوْ اتُّخِذَتْ ... مِنْهُ السِّهَامُ لَكَانَتْ أَسْهُمَ النُّوَبِ(٤٢)

إِذَا رَمَاهَا كَمَا يَخْتَارُ قَافِيَةً ... دَارتْ مَعَ الفَلَكِ الدَّوَّارِ فِى قُطُبِ(٤٣)

* * *

---

(٣١) عزت : قويت . أواصرها : روابطها .

(٣٢) القائف : من يعرف الآثار . الدرب : المتدرب .

(٣٤) المكتهل : من علاه الشيب . مشتمل : ملتحف بالكساء حتى لا تظهر يده . مرتجل : متكلم على البديهة من غير تهيئة للكلام . الهُجْر : فاحش القول وذميمه .

(٣٥) الطارق : من يأتى ليلا . السغب : الجائع .

(٣٧) رمز : عنوان ودليل . الثنيات : طرق الجبل .

(٣٨) يشبها : يوقدها . أريحى : كريم . جزلا : حطبا يابسا غليظًا .

(٣٩) الروع : الفزع ، وهو يوم الحرب . يجتاح : يهلك .

(٤٠) يفجؤهم : يباغتهم . رايهم : أعلامهم . العذب : الأطراف : جمع عَذَبة .

(٤١) اللسن : الفصحاء : مفرده لسِن . الصارم : السيف . الذرب : الحادّ .

(٤٢) أبو بصير : هو الأعشى القيسى صاحب المحلق . النّوب : المصائب : جمع نائبة .

(٤٣) القافية : آخر كلمة فى البيت ، والمراد هنا القصيدة . قطب : مدار .

وَأُغْمِضُ العَيْنَ حِيناً ثُمَّ أَفْتَحُهَا عَلَى جَلَالٍ بِنُورِ الْحَقِّ مُؤْتَشِبِ[٤٤]
نُورٌ مِنَ اللهِ هَالَ القَوْمَ سَاطِعُهُ وَلَيْسَ يُحْجَبُ نُورُ اللهِ بِالْحُجُبِ[٤٥]
تَكَلَّمَتْ سُوَرُ القُرْآنِ مُفْصِحَةً فَأَسْكَتَتْ صَخَبَ الأَرْمَاحِ وَالقُضُبِ[٤٦]
وَقَامَ خَيْرُ قُرَيْشٍ وَابْنُ سَادَتِهَا يَدْعُو إِلَى اللهِ فِي عَزْمٍ وفِي دَأَبِ[٤٧]
بِمَنْطِقٍ هَاشِمِيِّ الوَشْيِ لَوْ نُسِجَتْ مِنْهُ الأَصَائِلُ لَمْ تَنْصُلْ وَلَمْ تَغِبِ[٤٨]
طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُ الأَيَّامِ وَابْتَهَجَتْ وَمَرَّ دَهْرٌ وَدَهْرٌ وَهِيَ لَمْ تَطِبِ[٤٩]
وَهُزَّتِ الرَّاسِيَاتُ الشُّمُّ، وَارْتَعَدَتْ لِهَوْلِهِ البَاتِرَاتُ البِيضُ فِي القُرُبِ[٥٠]
وَأَصْبَحَتْ بِنْتُ عَدْنَانٍ بِنَفْحَتِهِ تِيهاً تُجَرِّرُ مِنْ أَذْيَالِهَا القُشُبِ[٥١]
فَازَتْ بِرُكْنٍ شَدِيدٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ مِنَ البَيَانِ وَحَبْلٍ غَيْرِ مُضْطَرِبِ[٥٢]

* * *

وَلَمْ تَزَلْ مِنْ حِمى الإِسْلَامِ فِي كَنَفٍ سَهْلٍ وَمِنْ عِزِّهِ فِي مَنْزِلٍ خَصِبِ[٥٣]
حَتَّى رَمَتْهَا اللَّيَالِي فِي فَرَائِدِهَا وَخَرَّ سُلْطَانُهَا يَنْهَارُ مِنْ صَبَبِ[٥٤]
وَعَاثَتِ العُجْمَةُ الحَمْقَاءُ ثَائِرَةً عَلَى ابْنَةِ البِيدِ فِي جَيْشٍ مِنَ الرَّهَبِ[٥٥]
يَقُودُهُ كُلُّ وَلَّاغٍ أَخِي إِحَنٍ مُضَمَّخٍ بِدِمَاءِ العُرْبِ مُخْتَضِبِ[٥٦]

---

(٤٤) مؤتشب : ملتف .

(٤٥) هال : أدهش .

(٤٦) صخب : جلبة . القضب : السيوف الدقيقة .

(٤٧) خير قريش : كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم . دأب : جد .

(٤٨) الوشي : النقش . الاصائل : جمع أصيل وهو مابين العصر والمغرب . تنصل : يتغير لونها .

(٥٠) الراسيات : الجبال . الشم : المرتفعات . الباترات : القاطعات . القرب : الأغماد جمع قراب .

(٥١) بنت عدنان : كناية عن موصوف هو اللغة العربية . تيها : زهو وكبرا . القشب : الجديدة ، جمع قشيب .

(٥٢) منصدع : منشق .

(٥٣) كنف : جانب . الخصب : الخصيب .

(٥٤) خرّ : سقط . صبب : منحدر .

(٥٥) عاثت : أفسدت . ابنة البيد : اللغة العربية . الرهب : الخوف .

(٥٦) ولاغ : شارب شرب الكلب . إحن : أحقاد جمع احنة . مضمخ : ملطخ .

لَمْ يُبْقِ فِيهَا بِنَاءً غَيْرَ مُنْتَقِضٍ ... مِنَ الفَصِيحِ وَشَمْلاً غَيْرَ مُنْقَضِبِ[٥٧]

كَأَنَّ عَدْنَانَ لَمْ تَمْلأْ بَدَائِعُهُ ... مَسَامِعَ الكَوْنِ مِنْ نَاءٍ وَمُقْتَرِبِ[٥٨]

مَضَتْ بِخَيْرِ كُنُوزِ الأَرْضِ جَائِحَةٌ ... وَغَابَتِ اللُّغَةُ الفُصْحَى مَعَ الغُيَبِ[٥٩]

لَوْلَا (فُؤَادٌ) أَبُو الفَارُوقِ مَا وجَدَتْ ... إِلَى الْحَيَاةِ ابْنَةُ الأَعْرَابِ مِنْ سَبَبِ[٦٠]

أَعَزَّ مِنْهَا حِمًى رِيعَتْ كَرَائِمُهُ ... وَكَانَ مَمْنُوعُهُ نَهْبًا لِمُنْتَهِبِ[٦١]

وَرَدَّ بِالمَجْمَعِ المَعْمُورِ غُرْبَتَهَا ... وَحَاطَهَا بِكَرِيمِ العَطْفِ وَالْحَدَبِ[٦٢]

* * *

يَا عُصْبَةَ الْخَيْرِ لِلْفُصْحَى وَشِيعَتِهَا ... حَيَّاكِ صَوْبُ الْحَيَا يَاخِيرَةَ العُصَبِ ! [٦٣]

هَلُمَّ فَالْوَقْتُ أَنْفَاسٌ لَهَا أَمَدٌ ... وَلاَ أَقُولُ بِأَنَّ الوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ[٦٤]

فَإِنَّمَا المَرْءُ فِي الدُّنْيَا إِقَامَتُهُ ... إِقَامَةُ الطَّيْفِ وَالأَزْهَارِ وَالْحَبَبِ[٦٥]

الدَّهْرُ يُسرِعُ وَالأَيَّامُ مُعْجِلَةٌ ... وَنَحْنُ لَمْ نَدْرِ غَيْرَ الوَخْدِ والْخَبَبِ[٦٦]

وَالمُحْدَثَاتُ تَسُدُّ الشَّمْسَ كَثْرَتُهَا ... وَلَمْ تَفُزْ بِخَيَالٍ اسْمٍ وَلاَ لَقَبِ[٦٧]

وَالتُّرْجَمَاتُ تَشُنُّ الْحَرْبَ لاَقِحَةً ... عَلَى الفَصِيحِ فَيَا لِلْوَيْلِ وَالْحَرَبِ[٦٨]

نَطِيرُ لِلَّفْظِ نَسْتَجْدِيهِ مِنْ بَلَدٍ ... نَاءٍ وَأَمْثَالُهُ مِنَّا عَلَى كَثَبِ[٦٩]

كَمُهْرِقِ المَاءِ فِي الصَّحْرَاءِ حِينَ بَدَا ... لِعَيْنِهِ بَارِقٌ مِنْ عَارِضٍ كَذِبِ[٧٠]

---

(٥٧) منتقض : متهدّم . منقضب : منقطع .

(٥٩) جائحة : مصيبة مبيدة . الغيب : ما غاب : جمع غائب .

(٦٠) ابنة الاعراب : اللغة العربية .

(٦١) حمى : ما يجب أن يحمى . ريعت : أفزعت .

(٦٢) المجمع : مجمع اللغة العربية الذى أنشئ فى عصره ، وكان الشاعر من أعضائه . الحدب : العطف .

(٦٣) عصبة : جماعة بين العشرة والأربعين . صوب الحيا : نزول المطر .

(٦٤) هلم : تعالوا : اسم فعل أمر . أمد : نهاية .

(٦٥) الطيف : الخيال الطائف فى المنام . الحبب : فقاقيع الماء والخمر .

(٦٦) الوخد : سعة الخطو : الخبب : السرعة .

(٦٨) تشن : تثير : لاقحة : شديدة . الويل : العذاب . الحرب : الهلاك .

(٧٠) كمهرق : كمن يصب الماء . عارض : سحاب معترض فى الأفق .

أَزْرَى بِبِنْتِ قُرَيْشٍ ثُمَّ حَارَبَها ... مَنْ لاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّبْعِ وَالْغَرَبِ[٧١]
وَرَاحَ فِى حَمْلَةٍ رَعْنَاءَ طَائِشَةٍ ... يَصُولُ بِالْخَائِبَيْنِ : الْجَهْلِ وَالشَّغَبِ[٧٢]
أَنَتْرُكُ الْعَرَبِىَّ السَّمْحَ مَنْطِقُهُ ... إِلَى دَخِيلٍ مِنَ الأَلْفَاظِ مُغْتَرِبِ ؟؟[٧٣]
وَفِى الْمَعَاجِمِ كَنْزٌ لاَ نَفَادَ لَهُ ... لِمَنْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الدُّرِّ وَالسُّخُبِ[٧٤]
كَمْ لَفْظَةٍ جُهِدَتْ مِمَّا نُكَرِّرُهَا ... حَتَّى لَقَدْ لَهِثَتْ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ[٧٥]
وَلَفْظَةٍ سُجِنَتْ فِى جَوْفِ مُظْلِمَةٍ ... لَمْ تَنْظُرِ الشَّمْسُ مِنْهَا عَيْنَ مُرْتَقِبِ[٧٦]
كَأَنَّمَا قَدْ تَوَلَّى الْقَارِظَانِ بِهَا ... فَلَمْ يَئُوبَا إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ تَئُبِ[٧٧]
يَا شِيخَةَ الضَّادِ وَالذِّكْرَى مُخَلَّدَةٌ ... هُنَا يُؤَسِّسُ مَا تَبْنُونَ لِلْعَقِبِ[٧٨]
هُنَا تَخُطُّونَ مَجْداً مَا جَرَى قَلَمٌ ... بِمِثْلِهِ فى مَدَى الأَدْهَارِ وَالْحِقَبِ[٧٩]

* * *

لَبَّيْكَ يَا مَلِكَ الْوَادِى وَمُنْشِئَهُ ... يَا حَارِسَ الدِّينِ وَالآدَابِ وَالْحَسَبِ[٨٠]
هَذَا غِرَاسُكَ قَدْ مَاسَتْ بَوَاسِقُهُ ... تُدَاعِبُ الرِّيحَ فِى زَهْوٍ وَفِى لَعِبِ[٨١]
الْمُلْكُ فِى بَيْتِكُمْ كَسْباً وَمَوْهِبَةً ... يُزْهَى عَلَى كُلِّ مَوْهُوبٍ وَمُكْتَسَبِ[٨٢]
سَفِينَةٌ أَنْتَ مُجْرِيهَا وَكَالِئُهَا ... مِنَ الزَّعَازِعِ لاَ تَخْشَى أَذَى الْعَطَبِ[٨٣]

---

(٧١) أزرى : أهان وعاب . النبع : شجر صلب ينبت على رءوس الجبال . الغرب : نبات رخو ينمو على الأنهار .
(٧٢) رعناء : حمقاء . طائشة : مخطئة . يصول : يحارب . الشغب : التهويش .
(٧٣) السمح : السهل . مغترب : غريب .
(٧٤) المعاجم : كتب اللغة . السخب : جمع سخاب وهو العقد من الودع ونحوه .
(٧٥) لهث : أخرج لسانه تعبا .
(٧٦) مظلمة : حفرة عميقة مظلمة .
(٧٧) القارظان : رجلان من بنى عنزة خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا . يئوب : يعود .
(٧٨) الضاد : اللغة العربية . عقب : من يأتون بعدكم .
(٧٩) الحقب : العصور .
(٨٠) لبيك : إطاعة لك وإجابة . الحسب : مفاخر الآباء .
(٨١) ماست : تمايلت زهوا . بواسقه : طواله .
(٨٢) كسبا : إصابة واجتهادا . موهبة : منحة من الله .
(٨٣) كالئها : حافظها . الزعازع : العواصف . العطب : الهلاك .

وَأُمَّـةٌ أَنْتَ مُـجْـرِيـهَـا وَحَـافِزُهَا ... فِي حَلْبَةِ السَّبْقِ لَاتُبْقِي عَلَى القَصَبِ (٨٤)

وَدِيعَةُ اللهِ صِينَتْ فِي يَدَيْ مَلِكٍ ... للهِ مُـرْتَـقِـبٍ للهِ مُـحْـتَـسِـبِ (٨٥)

بَصِيرَةٌ كَضِيَاءِ الصُّبْحِ لَوْ لَطَمَتْ ... غَيَاهِبَ اللَّيْلِ لَمْ يُظْلِمْ وَلَمْ يُهَبِ (٨٦)

وَعَزْمَةٌ كَحَدِيدِ النَّصْلِ لَوْ طَلَبَتْ ... زُهْرَ الكَوَاكِبِ نَالَتْ غَايَةَ الطَّلَبِ (٨٧)

قَدْ صَمَّمَتْ فَمَضَتْ عَجْلَى لِمَقْصِدِهَا ... تَحْثُو التُّرَابَ بِوَجْهِ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ (٨٨)

فَانْظُرْ تَرَى مِصْرَ هَلْ تَلْقَى لَهَا مَثَلاً ... فِي صَوْلَةِ المُلْكِ أَوْفِي قُوَّةِ الأُهَبِ؟؟ (٨٩)

فَثَرْوَةٌ مِنْ سَرِيٍّ العِلْمِ وَاسِعَةٌ ... وَثَرْوَةٌ مِنْ سرِيٍّ الْجَاهِ وَالنَّشَبِ (٩٠)

بَنَى (فُؤَادٌ) بِنَاءَ الْخَالِدِينَ كَمَا ... بَنَى الغَطَارِيفُ مِنْ آبَائِهِ النُّجُبِ (٩١)

إِذَا الغَمَائِمُ جَافَتْ مِصْرَ وَاحْتَجَبَتْ ... فَإِنَّ بِرَّ يَدَيْهِ غَيْرُ مُحْتَجِبِ (٩٢)

مَنْ مُبْلِغُ العُرْبِ أَنَّ الضَّادَ قَدْ بَلَغَتْ ... بِقُرْبِ صَاحِبِ مِصْرٍ أَرْفَعَ الرُّتَبِ ؟ (٩٣)

أَعَادَ مَجْداً لَهَا مَالَتْ دَعَائِمُهُ ... فَيَا لَهَا قُرْبَةٌ مِنْ أَعْظَمِ القُرَبِ (٩٤)

وَحَفَّهَا بِسِيَاجٍ مِنْ عِنَايَتِهِ ... كَمَا تُحَفُّ جُفُونُ العَيْنِ بِالهُدُبِ (٩٥)

إِنْ عَقَّهَا أَهْلُ وَادِيهَا وَجِيرَتُهَا ... فَأَنْتَ أَحْنَى عَلَيْهَا مِنْ أَخٍ وَأَبِ (٩٦)

رَأَتْ بِرَبْعِكَ عِزَّ الْمُلْكِ فَانْصَرَفَتْ ... عَنْ ذِكْرِ لُبْنَى وَذِكْرَى رَبْعِهَا الْخَرِبِ (٩٧)

لَاذَتْ بِأَكْبَرِ مَعْوَانٍ لِذِي أَمَلٍ ... نَاءٍ وَأَشْرَفِ عُنْوَانٍ لِمُنْتَسِبِ (٩٨)

---

(٨٤) حافزها : دافعها . حلبة السبق : جماعة الخيل فى ميدان السباق . القصب : ما يركز عند الغاية فى السباق ، والمراد الفوز .

(٨٦) بصيرة : فطنة . غياهب : ظلمات . يهب : يخاف منه .

(٨٧) كحديد النصل : كالسيف الحادّ المشحوذ .

(٨٨) صممت : أصرت . تحثو : تثير .

(٨٩) الأهب : جمع أهبة وهى عدة الحرب .

(٩٠) النشب : المال .

(٩١) الغطاريف : جمع غطريف : السيد الشريف . النجب : الكريم .

(٩٢) جافت : بعدت .

(٩٤) دعائمه : عمده جمع دعامة . قربة : بر يتقرب به إلى الله تعالى .

(٩٧) ربعك : دارك . لبنى : من فتيات الجاهلية .

عِشْ لِلْكِنَانةِ تبْلُغْ أَوْجَ عِزَّتِهَا ... وَلْلعُلاَ وَالنَّدَى وَالعِلمِ والأَدَبِ[٩٩]

وَعَاشَ (فَارُوق) نَجْمًا فى تَأَلُّقِهِ ... سَعْدُ السُّعودِ وَفِيهِ مُنْتَهَى الأَرَبِ[١٠٠]

---

(٩٩) الكنانة : مصر. أوج : علو.

حَنِينُ طائِر

نظمت هذه القصيدة فى سنة ١٩١٥ م.

طـائِـرٌ يَشْـدُو عَـلَى فَـنَنِ ... جَدَّدَ الذِّكْرَى لِذِى شَجَنِ (١)

قــامَ والأكْوانُ صــامِـتَـةٌ ... ونَسِيمُ الصُّبْحِ فى وَهَنِ (٢)

هاجَ فى نَفْسِى وقد هَدَأَتْ ... لَوْعَـةٌ لَوْلاهُ لم تَـكُنِ (٣)

هَـزَّهُ شَوْقٌ إلى سَـكَنِ ... فَـبَكَى للأَهْـلِ والسَّكَنِ (٤)

وَيْكَ لا تَجْزَعْ لِنـازِلَـةٍ ... مـا لِطَيْرِ الْجَوِّ مِنْ وَطَنِ (٥)

قَـد يَـراكَ الصُّبْحُ فى حَلَبٍ ... ويَـراكَ اللَّيْلُ فى عَـدَنِ (٦)

أَنْت فى خَضْـرَاءَ ضـاحِكَـةٍ ... مِنْ بُكَاءِ العارِضِ الْهَتِنِ (٧)

أَنْتَ فى شَـجْـرَاءَ وَارِفَـةٍ ... تـارِكٌ غُصْنًا إلى غُصُنِ (٨)

عـابِثٌ بـالـزَّهْـرِ مُغْتَبِطٌ ... ناعِمٌ فى الْحِلِّ والظَّعَنِ (٩)

فى ظِلَالٍ حَوْلَـهَـا نَـهَـرٌ ... غَـيْـرُ مَسْنُونٍ ولا أَسِنِ (١٠)

---

(٥) ويك : عجبا لك . والجزع : نقيض الصبر . والنازلة : الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس .

(٦) حلب : بلد فى سورية بالقرب من حدودها الشمالية . وعدن : بلد على ساحل الخليج المسمى باسمها جنوبى جزيرة العرب .

(٧) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . والهتن : المنصب الهطل .

(٨) أرض شجراء : كثيرة الشجر .

(٩) الحل : مصدر حل المكانَ وحل به أى نزل به . والظعن بسكون العين وفتحها مصدر ظعن أى سار وارتحل .

(١٠) مسنون : منتن . والأسنُ من الماء : الآجن وهو المتغير الطعم واللون .

فى يَدَيْكَ الرِّيحُ تُرْسِلُها   كَيْفَمَا تَهْوَى بلا رَسَنِ [11]

* * *

يا سُلَيْمانَ الزَّمانِ أَفِقْ   لَيْسَ لِلَّذَّاتِ مِنْ ثَمَنِ [12]
وابْعَثِ الأَلْحانَ مُطْرِبَةً   يا حَياةَ الْعَيْنِ والأُذُنِ [13]
غَنِّ بالدُّنْيا وزِينَتِها   ونِظامِ الْكَوْنِ والسُّنَنِ [14]
وبِقِيعَانٍ هَبَطْتَ بِها   وبِما شَاهَدْتَ مِنْ مُدُنِ [15]
وبِأَزْهارِ الصَّباحِ وقَدْ   نَهَضَتْ مِنْ غَفْوَةِ الوَسَنِ [16]
وبِقَلْبٍ شَفَّهُ وَلَهٌ   حافِظٍ لِلْعَهْدِ لم يَخُنِ [17]
كُلُّ شَىْءٍ فى الدُّنَا حَسَنٌ   أَىُّ شَىْءٍ لَيْسَ بالْحَسَنِ [18]
خالِقُ الأَكْوانِ كالِئُها   وَاسِعُ الإِحْسانِ وَالْمِنَنِ [19]

* * *

كانَ لِى إِلْفٌ فَأَبْعَدَهُ   قَدَرٌ عَنِّى وأَبْعَدَنِى [20]
أنا مَدَّ الدَّهْرِ أَذْكُرُهُ   وَهْوَ مَدَّ الدَّهْرِ يَذْكُرُنِى [21]
قد بَنَيْنا الْعُشَّ مِنْ مُهَجٍ   غُسِلَتْ مِنْ حَوْبَةِ الدَّرَنِ [22]

---

(١١) تهوَى : تحب . الرّسن : الحبل تربط به الدابّة .
(١٢) سيدنا سليمان بن سيدنا داود عليهما السلام ، والمعنى أن الله قد سخر لك الريح كما سخرها من قبل لسليمان .
(١٤) السُنن : جمع سُنّة وهى الطبيعة .
(١٥) القيعان : جمع قاع وهو المستوى من الارض .
(١٦) الغفوَة : النوْمة الخفيفة . الوَسَن : النعاس .
(١٧) شفّه الهم : هزله . الوَله : الهمّ والحزن والحيرة .
(١٨) الدُنا : جمع دنيا .
(١٩) كالؤها : حافظها . المنن : جمع منّة وهى النعمة .
(٢٠) الإلف : الأليف والحبيب . القدَر : ما يقدّره الله عزّ وجل ويقضى به .
(٢١) مدّ الدهر : مداه وطوله .
(٢٢) المهج : جمع مهجة وهى النفس والروح . الحوبة : الإثم والذنب . الدرن : الوسخ .

مِنْ لَـدُنْـهُ الْوُدُّ أَخْـلَصُـهُ   والْوَفا والطُّهْرُ مِنْ لَدُنِي (٢٣)
كـانَتِ الأَطْـيَـارُ تَـحْسُـدُهُ   جَـنَّـةَ الْـمَأْوَى وتَحْسُدُنِي (٢٤)
وظَـنَـنَّـا أنْ نَـعِـيشَ بِـهِ   عِيشَةَ الْمُسْتَعْصِمِ الأَمِنِ (٢٥)
فَـرَمَتْ كَفُّ الـزَّمَـانِ بِـهِ   فَـكَـأَنَّ الْـعُشَّ لَم يَـكُنِ (٢٦)
طـارَ مِنْ حَوْلِي وَخَـلَّـفَـنِي   لِـلْـجَوَى والْـبَثِّ والْحزَنِ (٢٧)
ونَـأَى عَـنِّي ومـا بَـرِحَتْ   نـازِعـاتُ الشَّوْقِ تَـطْـرُقُنِي (٢٨)
وَمَضَى والْوَجْـدُ يَسْـبِـقُـهُ   وَدمُوعُ الْـعَـيْنِ تَسْبِـقُنِي (٢٩)

* * *

إنْ تَـزُرْ يـا طَـيْـرُ دَوْحَـتَـهُ   بَـيْنَ زَهْـرٍ نـاضِرٍ وجَنِي (٣٠)
وَشَهِدْتَ «التِّمْسَ» مُضْطَرِباً   واثِـبـاً كـالصافِنِ الأَرِنِ (٣١)
عَـبِـثَتْ رِيحُ الشَّمالِ بِـهِ   فَطَـغَى غَيْظا على السفُنِ (٣٢)
فَـانْشُـدِ الأَطْـيَـارَ واحِـدَهـا   فى الْحُلَى والْحُسْنِ والْجَدَنِ (٣٣)
وَتَـرَيَّثْ فى الْـمَـقَـالِ لَـهُ   قد يَكُونُ الْمَوْتُ فى اللَّسَنِ ! (٣٤)
صِفْ لَـهُ يـا طَـيْرُ ما لَقِيَتْ   مُهْجَتِي فى الْحُبِّ مِنْ غَبَنِ (٣٥)
صِفْ لَـهُ رُوحـا مُـعَـذَّبَـةً   ضـاقَ عن آلامِها بَدَنِي (٣٦)

---

(٢٧) الجوى : الحرقة وشدة الوجد . البث : أشد الحزن .

(٢٨) نأى : بعد . النازعات : جمع نازعة وهى ميل النفس الشديد . تطرقنى : تجيئنى . والطروق فى الأصل المجئ ليلاً .

(٢٩) الوجد : الحزن والحب .

(٣٠) الجنى : ما يجنى من الشجر ما دام غضا .

(٣١) التمس : نهر مشهور فى انجلترا . الصافن : من الخيل ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . الأرن : النشيط مصلت الأذنين .

(٣٣) الحلى : جمع حلية وهى الصفة ، والحلية أيضًا الحلى وهو ما تتزين به المرأة من المصوغات والجواهر ونحوها . الجدن : حسن الصوت .

(٣٤) تريث : اتئد وتمهل . المقال : القول . اللسن : الفصاحة .

(٣٥) المهجة : النفس . الغبن : مصدر غبنه فى البيع ونحوه يغبنه أى خدعه .

صِفْ لَـهُ عَـيْـنًـا مُـقَـرَّحَـةً   لأَبِـيٍّ الـدَّمْـعِ لَـمْ تَصُن[37]

* * *

يـا خَـلِـيـلِـى والْـهَـوَى إِحَنٌ   لا رَمَـاكَ اللهُ بِـالإِحَن[38]
إنْ رَأَيتَ الْـعَـيْـنَ نـاعِسَـةً   فَـتَـرَقَّبْ يَـقْـظَـةَ الْـفِـتَنِ[39]
أوْ رَأَيتَ الْـقَـدَّ فى هَـيَـفٍ   فاتَّـخِذْ ماشِئْتَ مِنْ جُنَن[40]
قَـد نَـعِـمْـنـا بِالْـهَـوَى زَمَنًا   وشَـقِـيـنـا آخِـرَ الـزَّمَنِ ![41]

---

(۳۸) الخليل : الصاحب . والهوى : الحب . الإحن : جمع إحنة وهى الحقد والغضب .

(۳۹) عين ناعسة : فاترة ، والفتور من صفات الحسن فى عيون النساء .

(٤٠) القد : اعتدال القامة وحسن التقطيع . الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . والجنن : جمع جنة وهى السترة وكل ما وقى .

عِيدُ جُلُوس المِلك فؤاد

في سنة ١٩٣٤ م.

الـعَيْشُ مُخْضَلُّ الْجَوانِبِ أَخْضَرُ ... واليومُ من نَسْجِ السّحائبِ أَنْضَرُ[١]

والـرَّوضُ يَصْدَحُ بالبَشائِرِ أَيْكُهُ ... فـالـعُودُ عُودٌ ، والأَزاهِرُ مِزْهَرُ[٢]

يَجْرِى النَّسِيمُ به فَيَجْتازُ الرُّبا ... صُعُدًا ، وتَجْذِبهُ الغُصونُ فَيَنْفِرُ[٣]

كم زَهْرةٍ عَلِقَتْ بفَضْلِ رِدائه ... فـالوردُ مِـلْءُ ردائـه والعَبْهر[٤]

إن ضجَّ من آبٍ وحَرٍّ وَثاقِهِ ... فـاليومَ يَدْرُجُ ما يشاءُ ويَخْطِرُ[٥]

يَطْفُو على وَجْهِ الْجَداوِلِ طائرًا ... غَرِدًا يُصَفِّقُ بالْجَناحِ ويَطْفِرُ[٦]

في كفِّهِ البُشْرَى ، وفي هَمساتِهِ ... نُعْمَى الحياةِ وعزُّ مِصْرَ الأَوْفر[٧]

والشمسُ ضاحكةٌ ، كأنّ شُعاعَها ... أملُ الوُجوه المُشْرِقُ المُسْتَبْشِر[٨]

---

(١) المخضل : الندىّ الرطب ، نسج السحائب : النبات والأزهار .

(٢) العود : «الأول» الغصن من أغصان الشجر والعود (الثانى) تلك الآلة المعهودة . الأزاهر : جمع أزهار ، وأزهار : جمع زهر ، وهو نور كل نبات . والمزهر (بالكسر) : الدف يضرب عليه .

(٤) فضل الرداء : زيادته وما ينسحب على الأرض منه ، العبهر : الياسمين .

(٥) آب : شهر من شهور السنة الشمسية ، وهو يقابل شهر أغسطس . حيث يشتد الحر . الوثاق : ما يشد به من قيد أوحبل أو غيره . يدرج : يسير . يخطر : أى يختال ويتبختر .

(٦) يطفر : يثب مرتفعا .

(٧) الأوفر : الكامل .

تَـخْـتـالُ فى يومِ تَرَقَّبتِ العُلا   مِـيلادَه ، ورَنَتْ إلَـيـه الأعْصُرُ[٩]

نَهَضت به آمالُ مِصْرَ وأقْسمتْ   مِنْ بعد هذا اليومِ لا تَتَعَثَّرُ[١٠]

فَلَكَم تَمنَّى الدينُ طالِعَ صُبْحِه   واهْتزَّ من شَوْقٍ إليه المِنْبَرُ[١١]

تَمْشِى المُنَى فيه تجرُّ خِمارَها   خَفَرًا ، ويَزْهُوها الْجَمالُ فتَسْفِرُ[١٢]

فـازتْ بـه مِصْـرٌ بخَيْرِ مُتَوَّجٍ   يَنْهَى كما يرضَى الإلهُ ويأمرُ[١٣]

يومٌ إذا زُهِيَ الـزمـانُ بِـمِـثْلِه   فبمِثْلِه يُزْهَى الزمانُ ويفخرُ[١٤]

السَّـعْـدُ فى سـاعـاتِـهِ مُسْتَوطِنٌ   والـعِـزُّ فى جَنَبَاتِه مُتَبـخْـتِـرُ[١٥]

هو فى فَمِ الدُّنيا حَديثٌ خالِدٌ   يَحْلُو على الأيَّامِ حين يُكَرَّرُ[١٦]

هو طَلْعةُ الرَّوْضِ النَّضِيرِ وظِلُّه   ونَـمِـيـرُه ونسـيـمه المُـتَـعـطِّرُ[١٧]

أمـلُ الـبلادِ تمَسَّكَتْ بِحِبـالِـه   فى الحادثاتِ وعيدُ مصرَ الأكبرُ[١٨]

* * *

عـيـدٌ بـأنْوارِ الْـجَلالِ مُـتَوَّجٌ   وبِـمُـنَّةِ النَّصرِ العَزيزِ مُؤَزَّرُ[١٩]

هو صُورةٌ للبِشْرِ أُحْكِمِ رَسْمُها   لو أنَّ أيَّـامَ السُّـرورِ تُصَوَّرُ[٢٠]

لانَتْ به الدُّنيـا وأَخْصب عَيْشُها   وبِيُمْنِهِ اخضرَّ الزمانُ الْمقْفِرُ[٢١]

وشَدَتْ لِمَطْلِعِه القُلوبُ كأنَّها   طَيْرٌ تُغرِّدُ للرِّياضِ وتَصْفِرُ[٢٢]

---

(٩) ترقبت : انتظرت . ورنا إليه يرنو : أدام النظر . الأعصر : الدهور .

(١١) طالع صبحه : أى ظهور صبحه .

(١٢) الخمار : هو ما تغطى به المرأة رأسها . الخفر : شدة الحياء . ويزهوها : يستخفها . تسفر : تكشف قناعها فتبين .

(١٤) زهى به : تاه وتكبر .

(١٥) مستوطن : أى ملازم لا يبرح . الجنبات : النواحى .

(١٧) النضير : الحسن الزاهى . النمير : الماء الناجع فى الرى .

(١٩) المنة (بالضم) : القوة . ومؤزر : أى إن النصر له عدة ومنعة .

(٢١) اليمن : البركة . المقفر : المجدب الممحل .

(٢٢) شدت : غنت . صفر الطائر : غرّد .

هو فى كِتَاب الدَّهْر سَطْرُ مَجَادَةٍ ... خَشَعَتْ لِهَيْبَتِهِ ما حَوَاه الأسْطُرُ[٢٣]

وثَبَتْ به مِصْرٌ وقد طال الكَرَى ... ومَضَتْ إلى قَصَب الفَخَارِ تُغَبِّرُ[٢٤]

وَعَلَتْ بفَضْل مَلِيك مِصرَ مَكَانَةً ... لم تَقْتَعِدْها فى السَّماء الأَنْسُرُ[٢٥]

تَتقطَّعُ الآمالُ دون بُلوغها ... وتَوَدّ رُؤيتَها العُيونُ فَتحْسُرُ[٢٦]

تَرْنُو لها الْجَوْزاءُ نَظْرةَ حَاسِدٍ ... وبِذكْرِها تَلْهو النُّجومُ وتَسْمُرُ[٢٧]

وإذا سَمَا المَلِكُ الهُمَامُ لغايةٍ ... فالصَّعبُ هَيْنٌ والعَسِيرُ مُيَسَّرُ[٢٨]

* * *

عِيدَ الجلوسِ وأنت عِزةُ أمةٍ ... تَعْلو بمَوْلاها العَظِيمِ وتَكْبُرُ[٢٩]

غنَّاكَ شِعْرى فاستَمعْ لِغنَائِه ... إنَّ البَلابِلَ فى الْخَمِيلةِ نُدَّرُ[٣٠]

ما كلُّ من عَرَكَ المَزَاهِرَ مَعْبَدٌ ... يَوْماً ولا كلُّ المَوَاضِع عَبْقَرُ[٣١]

إن الرماحَ حَدَائدٌ مَنْبُوذَةٌ ... حتى يُثقِّفَ جانِبَيْها سَمْهَرُ[٣٢]

حيَّتْ طلائِعَكَ القَوافِى هُتَّفاً ... وشَدَتْ لمَقْدَمِكَ الكريمِ الأَشْطُرُ[٣٣]

---

(٢٣) المجادة : الرفعة والشرف .

(٢٤) الكرى : النوم والنعاس . قصب الفخار : أمده وغايته . وذلك أنهم كانوا ينصبوا فى حلبة السباق قصبة . فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق الذى أدرك الغاية . تغبر : أى تسبق ، وذلك لأن المجدّ المسرع يثير الغبار خلفه .

(٢٥) يقال اقتعده : إذا اتخذه مقعدا . وخص النسور لأنها تختار الأماكن المرتفعة أوكارًا لها .

(٢٦) حسرت العين تحسر : كلّت لطول مدى وغاية .

(٢٧) رنا له يرنو : أدام النظر إليه . الجوزاء : برج فى السماء يضرب به المثل فى العلو والارتفاع .

(٢٨) الهين (بالتخفيف) : الهين (بالتشديد) .

(٣١) المزاهر : جمع مزهر وهو العود . عركها : لوى مفاتيحها . معبد : مغن معروف ، وكان إمام أهل المدينة فى الغناء . عاش فى أوائل دولة بنى أمية ، ومات بدمشق فى أيام الوليد بن يزيد . عبقر : أىّ موضع يملك عليك إعجابك بحسنه وجماله . العبقر (فى الأصل) : مكان كانت العرب تزعم أنه كثير الجن ، ثم نسبوا إليه كل شىء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته أو قوته .

(٣٢) تثقيف الرمح : تقويمه وتسويته . سمهر : رجل اشتهر هو وزوجته ردينه بتثقيف الرماح فنسبت إليهما .

(٣٣) يريد (بالطلائع) : كواكب الفرسان التى تتقدم ركب الملك . هتفا : هاتفة . الأشطر : جمع شطر ، وهو نصف البيت من الشعر . يريد القصائد .

والشعرُ مرآةُ النُّفوسِ وصُورةٌ ... مَحْسوسةٌ ممَّا تُكِنُّ وتشعُرُ (٣٤)

يا عِيدُ كَمْ بك من جَمالٍ زاهرٍ ... يَبْهَى بإشْراقِ المَليك وَيبْهَرُ ! (٣٥)

كم مِنْ مَواكبَ وارداتٍ تَرْتَجى ... شَرَفَ المُثُولِ ومِنْ مَواكبَ تَصْدُرُ (٣٦)

والشعبُ يَزْحَمُ بالمَناكبِ طامِعاً ... فى نَظْرةٍ تُحْيِى القلوبَ وتَجْبُرُ (٣٧)

ضاقتْ به السَّاحاتُ حتى أصبحتْ ... كالبَحْرِ يَقْذِفُ بالعُبَابِ وَيزْخَرُ (٣٨)

حتى إذا ظَهرَ المَلِيكُ كأنَّه ... بَدْرٌ به انجابَ الظَّلامُ الأَخْدرُ (٣٩)

فى بُرْدِهِ أملُ الكِنانةِ باسِمٌ ... وبِوَجْهِه نورُ الْجَلالَةِ مُسْفِرُ (٤٠)

شَخصتْ له الآمالُ تُسرِع خَطْوَها ... ودنَا لرُؤيته العديدُ الأكْثَرُ (٤١)

تَرْنُو العُيونُ فتَجْتلى من نوره ... فَيْضاً ويَغْلِبُها السَّنا فَتَحَيَّرُ (٤٢)

والناسُ بين مُسَبِّحٍ ومُكَبِّرٍ ... لَبّى نِدَاه مُسبِّحٌ ومُكَبِّرُ (٤٣)

والبِشْرُ قد ملأ الوُجوهَ نَضارةً ... فتكادُ من فَرْطِ النَّضارةِ تَقْطُرُ (٤٤)

والقُطرُ يهتفُ أن يعيشَ فؤادُهُ ... والشَّعْبُ يجهَرُ بالدعاءِ وَيَجأرُ (٤٥)

فى مَوْكِبٍ لم يَلْقَ (كِسْرَى) مثلَه ... فى السَّابقين ولم يَنَلْه قَيْصَرُ (٤٦)

قَدَرُوا مآثرَكَ النَّبيلةَ قَدْرَها ... وكذاك مَحْمودُ المآثرِ يُقْدَرُ (٤٧)

أَحْسنتَ للشَّعبِ الكريمِ رِعايةً ... فَشَدا بنعمتِكَ التى لا تُكْفَرُ (٤٨)

---

(٣٤) تكن : تخفى وتستر.

(٣٥) يبهى : يحسن ويظرف . يبهر : يشرق ويضئ .

(٣٦) تصدر : ترجع .

(٣٧) يزحم بالمناكب : يدفع بعضه بعضا بمناكبه . تجبر : تصلح .

(٣٨) عباب البحر : معظمه وموجه . زخر : طما وارتفع .

(٣٩) انجاب الظلام : انكشف وانقشع . الأخدر : الساتر الموارى .

(٤٠) مسفر : مضىء مشرق .

(٤١) شخصت : اتجهت .

(٤٢) ترنو : تديم النظر . تجتلى : تستبين وتكشف . السنا : النور . فتحير : أى فتتحير .

(٤٣) لبى : أجاب وردد . الندى (بالمد وقصر للشعر) : الدعاء .

(٤٥) يجأر : يرفع صوته بالدعاء .

(٤٦) كسرى : لقب لملك الفرس . قيصر : لقب لملك الروم .

اللهُ قد خَلَقَ المكارِمَ والنَّدَى شَجَرًا يُظَلِّلُ فى الهَجِيرِ ويُثْمِر(٤٩)
إنّ الذى ملك القُلوبَ بعَطْفه أَوْلَى بتَمْجيدِ القُلوبِ وأجدَر(٥٠)

* * *

شِعْرى استبقْ فى الحاشِدين مُبادِرًا لا يُدرِكُ الآمالَ مَنْ يتأخّرُ(٥١)
وانزِلْ (برأس التين) واخْشَعْ مُطْرِقًا ممّا تُحِسُّ مِنَ الْجَلال وتُبْصِرُ(٥٢)
فهنالك المَجْدُ المُؤَثَّلُ سامِقاً والمُلْكُ حولَكَ واسعٌ مُسْتَبْحِر(٥٣)
هذا (ابنُ إسماعيل) فانثُر حولَهُ دُرَرًا تَدُومُ على الزّمانِ وتُدْخَرَ(٥٤)
ساسَ البلادَ بِحكْمةٍ عَلَوِيّة بسَدادِها تعتزُّ مِصْرُ وتُنْصَر(٥٥)
عَزْمٌ كما صَال الْحُسام وهِمّةٌ أسْمَى من النَّجم البَعيدِ وأَبْهر(٥٦)
ومَضاءُ رأْى لو رَمَى حَلَكَ الدُّجى لَمضى الدُّجَى مُتَعثّرًا يَتَقَهْقَر(٥٧)
بلغتْ به مِصْرُ مَنازِلَها العُلاَ يُومِى إليها طَرْفُه فَتُشَمِّر(٥٨)
تَمْضِى، كما يَمْضِى الشّهابُ، مُجِدّةً لا يبلغُ الشأوَ البعيدَ مُقَصِّر(٥٩)
مَلأ البِلادَ عوارِفاً ومَعارِفا تُزْجَى إلى أقْصى البلاد وتنْشَر(٦٠)
وأعاد مجدَ الخالِدين بنَهْضةٍ تَجْتاح شُمَّ الرّاسياتِ وتُقْهَر(٦١)
فتلفَّتَ التاريخُ مشْدوهَ النُّهَى وتطلّعتْ من حُجْبِهنّ الأدْهُر(٦٢)

---

(٤٩) الندى: الجود. الهجير: الهاجرة حيث يشتد الحر.
(٥٢) يريد «برأس التين»: سراى رأس التين بالاسكندرية. وهى مقر الملك فى هذا البلد.
(٥٣) المؤثل: الذى له أصل قديم. السامق: العالى المرتفع. مستبحر: متسع ممتد.
(٥٤) يريد بابن اسماعيل: الممدوح أحمد فؤاد الأول. تدخر: تجمع وتدخر.
(٥٥) علوية: نسبة إلى رأس الأسرة محمد على. السداد: الرشاد والاصابة فى الأمور.
(٥٨) يومئ: يشير. الطرف: العين. تشمر: تجد وتسرع.
(٥٩) الشأو: الغاية والمدى.
(٦٠) تزجى: تبعث وتحمل.
(٦١) تجتاح: تستأصل وتدك. وشم الراسيات: الجبال المرتفعة الثابتة الراسخة.
(٦٢) مشدوه النهى: أى حائر العقل مذهولا. الأدهر: جمع دهر.

لا تَدْهَشِ الدُّنيا ، فصَوْلَةُ عَزْمِهِ أقْوَى على كَبْحِ الصِّعابِ وأقدَرُ[٦٣]
الخالدون على الزمان جدودُهُ والسابقون قبيلُه والمعشَر[٦٤]
النهضةُ الكبرَى إليهم تنتمِى وجلائلُ الآثارِ عنهم تُذْكر[٦٥]
درجوا وأمّا مجدُهم فمُخلَّدٌ باقٍ ، وأما ذِكْرهم فمُعَمَّر[٦٦]

* * *

أفؤادُ عش للنيلِ ذُخراً إنما بِنَدَاكما تحيا البلادُ وتنضر[٦٧]
قد فاض فى طول البلاد وعرضها لكنّه فى جنبِ فَيْضِك يَصْغُر[٦٨]
يتبرّكُ الوادى بَلثْم بنانِهِ فيعودُ وهو المعْشِب المُخْضَوضِرُ[٦٩]
الْخِصْبُ والإغداقُ فيضُ يمينه والمسْكُ كُدْرَةُ مائِهِ والعنبر[٧٠]
تِبْرٌ إذا غَمَرَ البلادَ رأيتَها والدرُّ مِلْءُ نُحورِها والْجَوْهَر[٧١]
والأرض وَشْيٌ طُرِّزَتْ أفوافُه والزهرُ منه مُدَرْهَمٌ ومُدَنَّر[٧٢]
أنَّى جرَى هَمس الخمائلُ باسمه وتبسَّم النّسرينُ والنّيلُوفَر[٧٣]
وسرت بمقْدمِه البشائرُ حُوَّما السُّحْبُ تُنْبِىءُ والنسائمُ تُخبر[٧٤]
إن أصبحتْ مصرُ الخصيبةُ جنّةً فى عهدك العُمَرىِّ فهو الكَوْثَر[٧٥]

---

(٦٣) الصولة : السطوة والمضاء . كبح الصعاب : تذليلها والتغلب عليها .
(٦٤) قبيله والمعشر : أقاربه وأهله .
(٦٦) درجو : مضوا وذهبوا .
(٦٧) الذخر : ما يذخر للحاجة . الندى : الجود . تنضر : تصير ذات نضرة أى حسن وبهاء ونعمة .
(٦٩) المخضوضر : المخضر .
(٧٠) الاغداق : كثرة الخير والنعمة . الفيض : الاعطاء . ويريد بكدرة مائه : الغرين الذى يجلبه النيل معه فيفيد مصر خصبا . وشبهه بالمسك والعنبر فى لونهما ونفاستهما .
(٧٢) الوشى : الثوب المنقوش . الأفواف : نوع من البرود اليمنية مخطط ، الواحد ، فوف . مدرهم ومدنر : أى كالدراهم والدنانير فى استدارتها وألوانها .
(٧٣) النسرين : ورد أبيض عطرى قوى الرائحة . النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس .
(٧٥) العمرى : نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب . الكوثر : نهر فى الجنة .

عِشْ فى حِمَى الرَّحمنِ جلّ جلالُه   تـرعـاك عـيـنٌ لا تـنـامُ وتخفُرُ[٧٦]
واهـنـأ بـعـيـدك إنـه فـألُ الـمُـنَى   فَبيُمْـنـه تعلـو الـبلادُ وتظْفَرُ[٧٧]
لا زلتَ ترفُلُ فى مطارفِ صحّةٍ   هى كل ما يرجو الزمان ويُؤْثِرُ[٧٨]
واسلَمْ لمصرَ فأنتَ أنتَ فؤادُها   وحـيـاتُـهـا ولُـبـابُـهـا المتخَيَّرُ[٧٩]

* * *

فـاروقُ زَيْنُ الـنـاشـئين المرتجَى   كَرُمت أوائلُهُ وطَاب الـعُنصُرُ[٨٠]
مجدُ الشـبـابِ مَنَاطُ آمالِ الـعُلا   وسَنَا الحياةِ ونَجْمُ مصرَ النيّرُ[٨١]
أنـبـتَّـه خـيـرَ الـنَّـبـاتِ يـزَيـنُـه   خُلُقٌ كـأمـواهِ الـسـحـابِ مُطَهَّرُ[٨٢]
الـفـضـلُ يـلـمَعُ فى وضىء جبينه   زهوًا كما ابتسم الربيع المُبْكِرُ[٨٣]
إنّ الـصـعـيـدَ لَـمُـزْدَهٍ بـأمـيـرِهِ   جَذْلانُ يصدَحُ بالـثـنـاء ويجهرُ[٨٤]
لـوتَسْـتـطـيـعُ الـبـاسـقـاتُ بأرضه   سَعْياً لجاءت نحو بابِكَ تشكُرُ[٨٥]
عاش المليكُ وعاش فاروقُ الْحِمَى   يـزهـو بـطـلـعـته الـوجودُ ويُزْهِرُ[٨٦]

---

(٧٦) ترعاك وتخفرك : تحفظك وتحرسك .

(٧٨) ترفل : تجر الذيل . المطارف : جمع مطرف وهو رداء من خز مربع ذو أعلام . يؤثر : يختار ويفضّل .

(٧٩) الفؤاد : القلب أو العقل . وفى هذا اللفظ تورية ظاهرة . اللباب : المختار الخالص من كل شىء .

(٨٠) فاروق : ولى العهد إذ ذاك . العنصر : الأصل .

(٨١) مناط الآمال : موضع الرجاء ومحط المنى . المناط (فى الأصل) : اسم موضع التعليق . السنا : الضوء . النير : المنير .

(٨٤) الصعيد : الوجه القبلى من مصر .

(٨٥) الباسقات : الأشجار العالية المرتفعة .

(٨٦) الحمى : ماتجب عليك حمايته ومنعه . ويريد به هنا مصر . يزهر : يشرق ويضيىء .

الجامعة العربية

أنشدت هذه القصيدة فى حفل حاشد أقيم بالقاهرة تكريمًا لزعماء الأقطار العربية سنة ١٩٤٤ م بمناسبة إنشاء جامعة الدول العربية بالقاهرة .

سَنا الشرقِ ، من أىِّ الفراديس تَنْبعُ ؟ ... ومن أىِّ آفاقِ النُّبوَّةِ تلمَعُ ؟[1]

وفى أىِّ أطواء القُرونِ تنقَّلتْ ... بمصباحِكَ الدنيا يَشُبُّ ويسطَع[2]

طلعتَ على الأهرام والكونُ هامدٌ ... وأشرقتَ بالالهام والناسُ هُجَّع[3]

طلعتَ شُعاعًا عبقريًّا كأنَّما ... من الحقِّ أو نورِ البصائرِ تطلُع[4]

وجمَّعتَ أسرارَ العقولِ فهل دَرَتْ ... مخابئُ فِرعونٍ بما كنتَ تجمَع ؟[5]

وجمَّلتَ أفْقَ الشرقِ والأرضُ كلُّها ... سُهوبٌ تضلُّ العينُ فيهنّ بَلْقَع[6]

أذاكَ ابتسامُ الغيدِ ما أشرقتْ به ... ثناياكَ ، أم زَهْرُ الرُّبا المتضوِّعُ ؟[7]

رأيتَ ابنَ عِمْرانٍ على الطُّورِ شاخصاً ... يُهيبُ به الوحىُ الكريمُ فيسمَع[8]

---

(١) سنا : ضوء . الفراديس : جمع فردوس ، الجنة . آفاق النبوة : نواحى النبوة وفى البيت إشارة إلى أن الشرق مهبط الرسالات السماوية .

(٢) أطواء القرون : مرور السنين . يشب : يوقد . يسطع : يلمع ويضيء .

(٣) هامد : ساكن . الالهام : الوحى . هجّع : نائمون ليلا .

(٤) شعاعا : من الضوء . عبقريا : عجيبا وهو نسبة إلى أرض الجن وتسمى عبقر كما يقال .

(٥) فرعون : اسم حكام مصر القديمة .

(٦) سهوب : جمع سهب (بالفتح) وهو الفلاة . بلقع : الأرض القفر التى لا شيء بها .

(٧) المتضوع : المنتشر الرائحة .

(٨) ابن عمران : سيدنا موسى عليه السلام . الطور : جبل الطور المشهور بسيناء . شاخصاً : فاتحا عينيه .

وأبصرتَ عيسىَ ينشُرُ الرِفْقَ والرضا ويستَلُّ أحقادَ القلوبِ وينزعُ[9]
وشاهدتَ وَسْطَ الَجحفَلَيْنِ مُحمدًا وبين هُدى الإيمان والشركِ مَصْرَعُ[10]
إذا صال فالدنيا مَجَرُّ رِماحِهِ وإنْ قال فالأيامُ عَيْنٌ ومسْمَعُ[11]
ألم تَرَهُ فى بُرْدَةِ الليلِ ساجداً ومنه دُروعُ الرومِ حَيْرَى تَفَزَّعُ ! ؟[12]

* * *

سنا الشرق ، أشرق وابعث النور ساطعاً يشُقُّ دياجير الظلام ويصدَعُ[13]
أعد شمسَك الأولَى إلى الأفقِ مثلما أعاد ضياءَ الشمسِ للأفْقِ يُوشَعُ[14]
نـزَفنـا دموعَ المقلـتين تـفـجُّعاً فهل مرةً أجدَى علينا التفجُّعُ ؟[15]
وعشنـا بـآمـالٍ كـأطيافِ نائمٍ يُـروِّعهـا من دهرِنا ما يُروِّعُ[16]
شعـاعُك تاريخٌ ، ونورُك حِكمةٌ ولمحُك آمالٌ ، ونهجك مَهْيَعُ[17]
إذا ضـيَّـع التاريخَ أبناءُ أمّةٍ فأنفُسَهُم فى شِرْعَةِ الحقِّ ضيَّعوا ![18]
أبَى الدهرُ أنْ ينقادَ إلاّ لَعَزمةٍ يخِرُّ لها الدهرُ العَتِيُّ ويخنَعُ[19]
وسِرُّ العلا نفسٌ كما شاءتِ العلا طَموحٌ ، ورأىٌ من شَبا السيفِ أقطعُ[20]

---

(٩) يستل : يخرج .

(١٠) الجحفلين : يقصد المجموعتين . الشرك : الإشراك بالله . مصرع : مقتل .

(١١) صال : وثب وهاجم . مجرّ : مسار .

(١٢) بردة : كساء أسود تلبسه العرب . تفزع : خائفة .

(١٣) دياجير : شدة الظلام . يصدع : يفرّق ويشتت .

(١٤) يوشع : هو سيدنا يوشع فتى سيدنا موسى عليهما السلام وجاءته النبوة بعد موسى ووعده الله بالانتصار على القوم الجبارين قبل غروب الشمس وقاربت الشمس على الغروب ولم يحدث فدعا ربه فأخر الله غروب الشمس وأنزل الملائكة تحارب معه حتى انتصر عليهم .

(١٦) أطياف : الخيال فى النوم . يروعها : يخيفها .

(١٧) نهجك : طريقك . مهيع : طريق واسع بيّن .

(١٨) شرعة الحق : شريعة الحق .

(١٩) ينقاد : يتبع . عزمة : عزيمة وإرادة . يخر : يسقط ويقع ويستسلم . العتى : القاسى المعتدى . يخنع : يخضع .

(٢٠) شبا : حد طرفه .

وَمَنْ يتجنَّبْ فى الحياة زحامَها	فليس له فى ساحةِ المجدِ مَشْرَعُ ! [٢١]

* * *

خُذى مصر أسبابَ السماء لموطنٍ	من العزِّ لا يسمو إليه التطلع [٢٢]
سحرتِ عيونَ الخافقَيْنَ كأنّنا	بأرضِك سحرٌ للفراعين مُودَع [٢٣]
قِبابٌ ترومُ السُّحْبُ إدراكَ شأوِها	ومن دونه أعناقُهن تَقَطَّع ! [٢٤]
وآثارُ عِرفانٍ تُضىءُ كأنّنا	تناثر حول النيل عِقْدٌ مُرَصّع [٢٥]
دعُونا نباهى بالحياةِ فطالما	طَوَى أمَمَ الشرقِ الحياءُ المُقَنَّع ! [٢٦]
خلعنا رِداءً رَثّ من طُولِ لُبْسِه	وكُلُّ رداءٍ رثّ باللّبْس يُخْلَع [٢٧]
صحا الشرقُ وانجاب الكَرَى عن عيونه	وليس لمن رام الكواكبَ مَضْجَع ! [٢٨]
إذا كان فى أحلامِ ماضيه رائعاً	فنهضتُه الكُبْرى أجلُّ وأروع ! [٢٩]
توحّد حتى صار قلباً تحوطه	قلوبٌ من العُرْبِ الكرام وأضلُع [٣٠]
وأرسلها فى الخافقَينِ وثيقةً	لها الحبُّ يُمْلى والوفاءُ يوقِّعُ [٣١]
لقد كان حُلْماً أن نَرَى الشرقَ وَحْدَةً	ولكن من الأحلامِ ما يُتَوقَّع [٣٢]
إذا عُدِّدتْ راياتُه فهى رايةٌ	وإنْ كثُرتْ أوطانُه فهى موضع [٣٣]
فليست حدودُ الأرضِ تفصِلُ بيننا	لنا الشرقُ حدٌّ ، والعُروبةُ مَوْقِع [٣٤]
تذوبُ حُشاشاتُ العواصمِ حسرةً	إذا دَمِيَتْ من كفٍّ بغداد إصْبع ! [٣٥]

---

(٢١) مشرع : مورد الماء .

(٢٢) أسباب السماء : نواحى وطرق السماء . المتطلع : الناظر إلى الأمام ـ الطموح .

(٢٣) الخافقين : أفقا المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما . الفراعين : لقب ملوك مصر القدماء. مودع : محفوظ .

(٢٤) تروم : تريد . شأوها : غايتها وأمدها .

(٢٦) المقنع : واضعا قناع يقصد الحياء الزائف .

(٢٧) رث : بالى .

(٢٨) الكرى : النوم . رام : أراد . مضجع : موضع النوم .

(٣٥) حشاشات : موضع القلب من الجسم . دميت : اصيبت بالجراح .

ولو صُدِعَتْ فى سَفح لُبنانَ صخرةٌ … لدكَّ ذُرا الأهرامِ هذا التصدُّعُ ! (٣٦)
ولو بَرَدَى أنّتْ لخطبٍ مياهُه … لسالتْ بوادى النيلِ للنيل أدمُع ! (٣٧)
ولو مَسَّ رَضْوَى عاصفُ الريح مَرَّةً … لباتت له أكبادُنا تتقطّع ! (٣٨)
أولئك أبناءُ العُروبة مالهم … عن الفضلِ منأى، أوعن المجدمَنْزِعُ (٣٩)
هُمُ فى ظِلالِ الحقِّ جمعٌ موحدٌ … وعند التقاء الرأى فردٌ مُجمّع (٤٠)
وقد يُدرِكُ الغاياتِ رأىٌ مُدرَّع … إذا ناءَ بالأمرِ الكَمِىُّ المدرَّع (٤١)
لهم أملٌ لا ينتهى عند مطلبٍ … لقد ذَلّ من يُعطَى القليلَ فيقنَع (٤٢)
غُبارُ رحَى الهيجاء فى لَهَواتِهم … من الشهْدِ أحْلَى، أومن المسكِ أضْوَع (٤٣)
إذا لم يكن حِلْمُ الحليمِ بنافعٍ … فإنَّ صِدامَ الجهلِ بالجهلِ أنفع ! (٤٤)
سلوا عنهُمُ عَمْراً وسَعْداً وخالداً … ومُلْكاً له يرنو الزمانُ فيخشَع (٤٥)
تحدّثتِ الدنيا بهم فى شبابِها … وجاءت إلى أبنائِهم تتطلّع (٤٦)

* * *

فيا زعماءَ الشرق، والشرقُ أمّةٌ … على الدهرِ لا تفنَى ولا تتضعضَعُ (٤٧)
نزلتم كأطيافِ الربيعِ بشاشةً … يُضاحِكُكُم روضٌ من النيلِ مُمْرِع (٤٨)
وخلّفتُمُ أهلاً كراماً وأرْبُعاً … فحيّاكم أهلٌ كرامٌ وأرْبُع (٤٩)

---

(٣٦) صدعت : تشققت . دك : كسر وهدم . ذرا : قمم - أعالى .

(٣٧) بردى : نهر بسوريا .

(٣٨) رضوى : جبل رضوى الشهير بالحجاز .

(٣٩) منأى : مكانٌ بعيد . منزع : مقتلع الشىء من مكانه .

(٤١) مدرع : محمى - مستعد . ناء : كل وتعب . الكمى : الشجاع المحارب . المدرع : لابس درع الحرب .

(٤٣) رحى : حومة . الهيجاء : الحرب . لهواتهم : جمع لهاة وهى الزائدة اللحمية فى مؤخر سقف الحلق يقصد فى حلوقهم . أضوع : منتشر الرائحة .

(٤٥) عمروا : عمرو بن العاص . سعد : سعد بن أبى وقاص . خالد : خالد بن الوليد والثلاثة من أشهر قواد العرب فى الحروب فى فجر الإسلام . يرنو : ينظر . يخشع : يخضع .

(٤٨) أطياف الربيع : أحلام الربيع . بشاشة : بشرا وسرورا . ممرع : كثير المرعى أى به خضرة .

(٤٩) أربعا : جمع ربع وهو الحى - المكان - محل .

هنا عَلَمُ الشرقِ الذى فى يمينكم ستعنو له الأيامُ والدهرُ أجْمَع ![٥٠]

فسيروا بحمدِ الله للحقِّ عُصْبةً وإنْ أسرعتْ دُهْمُ الليالى فأسرعوا[٥١]

ففى همَّةِ الفاروقِ أفياءُ عِزَّةٍ وركنٌ على اللأْواء لا يتزعزع[٥٢]

دعانا إلى الجُلّى فأكْرِمْ بمنْ دعا إلى الوَحْدَةِ الوُثْقى وأعْزِز بمَنْ دُعوا ![٥٣]

مليكٌ له عزمٌ هو السيفُ ماضياً ورأىٌ إذا ما أظلم الشكُّ ألْمَع[٥٤]

أعاد إلى الشرقِ الشبابَ وقد مضى وأيأسَ ما يُرجَى الشبابُ المودَّعُ[٥٥]

فلا زال دَوْحاً للعروبة وارفاً يُغَنِّى بذكْراه الزمانُ ويسجَع[٥٦]

---

(٥١) عصبة : جماعة . دهم : ظلمة .

(٥٢) الفاروق : فاروق ملك مصر حينئذ . أفياء : ظل . اللأواء : الشدة .

(٥٣) الجلّى : عظيم الأمور . أعزز : أكرم .

(٥٤) ماضيا : حادا.

(٥٥) المودع : الذاهب .

(٥٦) دوحا : شجرة عظيمة . وارفا : مظلا . يسجع : يتكلم كلاما مقفى وسجع الحمام : صوت الحمام .

خلود

نظم الشاعر هذه القصيدة فى ذكرى الشاعرين أحمد شوقى وحافظ إبراهيم عام ١٩٤٧ م .

ضلّ شعرى وندّ عنى بيانى ... ما على الشاعرين لو أرشدانى ؟[١]

ضاع فى ظُلمةِ المشيبِ أنيناً ... وبكى فى الصبا بياضَ الأمانى[٢]

مِزْهَرٌ أنَّ فى قِفارِ فلاةٍ ... وابنُ غُصنٍ شدا بلا أغصان ![٣]

بين قومٍ مارَنَّ فى سمعِهم أحـ ... ـلَى نشيداً من أصفرٍ رنّان[٤]

صَدَفَتْهم عن خالدِ الفنِّ أضغا ... ثٌ وزَهْوٌ من كاذبِ العيش فانى[٥]

هاتِ سمعاً أُسْمِعْكَ رائعَ أنغا ... مى ، وإلاَّ فاذهبْ ودعنى وشانى[٦]

أنا فى أمةٍ بها جدولُ الضر ... بِ طغَى سيلُه على الأذهانِ[٧]

إن رأَوْا صفحةً بها بيتُ شعرٍ ... تركوه يبكى على كلِّ بانى[٨]

صِحْتُ فيهم فعاد صوتى مع الريـ ... ـحِ ، وعادت حزينةً ألحانى[٩]

فى كسادِ القريضِ أخفيتُ دُرِّى ... وخَزنتُ الغريبَ من مَرْجانى[١٠]

---

(١) ضل : تاه وضاع .

(٣) مزهر : العود الذى يضرب به . أن : أخرج صوتا هو أنين الحزين . قفار : أرض لا نبات فيها . فلاة : صحراء . ابن غصن : المقصود الطير المغرّد . شدا : غنى .

(٤) أصفر رنان : الذهب ورنينه والمقصود النقود عامة .

(٥) صدفتهم : الهتهم ــ أبعدتهم ــ أمالتهم . أضغاث : أحلام . زهو : تكبر . فانى : زائل .

(١٠) كساد : بوار . القريض : الشعر . درى : نسبة إلى الدر أى الجواهر . خزنت : حفظت فى الخزائن . مرجانى : حجر كريم نادر وثمين .

وتمنَّيتُ كلُّ شيءٍ على البلـ ـدِ سوى أن أعيشَ من أوزانى[11]
كلُّ شبْرٍ بمصر خِصْبٌ على الهرَّا ج ، جدبُ الثرى على الفنّان ![12]

* * *

سكَتَ العندليبُ فى وحشةِ الدّو ح ، وغنَّتْ نواعقُ الغِرْبان[13]
فسمعنا من النشوز أفانيـ ـنَ يُروِّعْنَ صادحَ الأفنان[14]
أسْمَعونا برغمنا فصبرنا ثم ثُرْنا غيْظاً على الآذان[15]
جلبوا للقريض ثوباً من الغر ب ، ولم يجلبوا سوى الأكفان ![16]
ثم قالوا مُجدّدون فأهلاً بصناديدِ أُخرياتِ الزمان ![17]
لا تثوروا على تُراثِ امرئ القيْـ ـسِ ، وصونوا ديباجةَ الذُبيانى[18]
واتركوا هذه المعاولَ بالـلّـ ـهِ ، فإنى أخشى على البنيان[19]
واحفظوا اللفظَ والأساليبَ والذو قَ ، وهاتوا ما شئتُمُ من معانى[20]
ما لسانُ القريضِ من عربىٍ كلسانِ القريضِ من طُمْطُانى ![21]
إنَّما الشِّعْر قطعةٌ منكَ ليست من دماء اللاتين واليونان[22]

---

(١١) أوزانى : نسبة إلى أوزان الشعر.

(١٢) الهراج : المهرج . جدب الثرى : أرض قحط لا نبات فيها ولا ثمر.

(١٣) العندليب : طائر مفرد والشاعر يقصد نفسه . وحشة : الخلوة المخيفة. نواعق : صوت الغراب . الغربان : جمع غراب وهو الطائر المعروف.

(١٤) النشوز : الخروج عن المألوف . يروعن : يخفن . صادح الأفنان : المغنىّ بين الأغصان والمقصود الطيور ذات الصوت الجميل.

(١٧) صناديد : السادة الشجعان الشرفاء والمقصود هنا التهكم.

(١٨) تراث : ما ورثناه من مجد سالف . امرؤ القيس : شاعر جاهلى كبير أحد أصحاب المعلقات السبع . ديباجة : مقدمة والمقصود الشعر. الذبيانى : هو النابغة الذبيانى الشاعر الجاهلى العظيم وهو أيضا أحد أصحاب المعلقات.

(١٩) المعاول : جمع معول وهو الذى يستعمل فى الهدم.

(٢١) لسان القريض : قول الشعر. طمطانى : صاحب الكلام غير المفهوم.

(٢٢) اللاتين واليونان : يقصد كل ما هو غير عربى.

كـلُّ فنٍّ لـه مـكـانٌ وأهـلٌ   إن غَدا العلمُ ماله من مَكانِ (٢٣)

إن رأيتم أُخُـوّةَ الـعودِ لـلـجـز   بَـنْـدِ ، فـابكـوا سُلالةَ العيدان (٢٤)

لا يـهزُّ الـنخيـلَ إلاّ حَـنانُ الـنـ   ـايِ ، فى صمتِ ليلةٍ من حنان ! (٢٥)

وِجْهَةُ الشرقِ غيرُها وجهةُ الغـ   ـربِ ، فأنّى وكيف يلتقيان ! ؟ (٢٦)

* * *

أين عـهـدُ الشباب واللّهوِ يا شعـ   ـرُ؟ وأين الهَوى؟ وأين المغانى ؟ (٢٧)

ذبُل الوردُ وانقضى مَوْسِمُ الريـحـ   ـانِ ، واحسرتا على الريحان ! (٢٨)

وانطوَى مجلسُ الصحابِ بمن فيـ   ـه ومـا فيه من أمانٍ لِدان (٢٩)

كان أشهى للنفسِ من حَسْوَة الكأ   سِ ، وأحلَى من صادحاتِ الأغانى (٣٠)

لم تـدُرْ كـأسُه على واغـلٍ فَـدْ   مٍ ، ولا واكلٍ عن الجدِ وانى (٣١)

يُـنْـثَـرُ الشعرُ فيه كالزهرِ ريّا   نَ ، بلحنٍ من الصبا ريّان (٣٢)

كان فيه «شوقى» وكان «أبو الحفـ   ـظِ» و«حفنى» وجملةُ الإخوان (٣٣)

و «إمامُ العبْدِ» الذى كان رمزًا   لـتـآخى المصرىِّ والسودانى (٣٤)

كان شوقى يُصْغى وماكان يُصْغى   هو فى عالَمٍ من الفنِّ ثانى ! (٣٥)

كـلّما مـدّ رأسَـه يـرقُبُ الـوحـ   ـىَ ، رأيتَ الـعينينِ تختلجان (٣٦)

ثم يُـغْفى مُـهـمـهِـماً مثلما جرّ   بتَ بـالْجَسِّ شادياتِ المثانى (٣٧)

---

(٢٤) العود : هو آلة موسيقية من آلات الموسيقى الشرقية . الجازبند : آلة موسيقية غربية . سلالة : نسل .

(٢٩) لدان : قريبة .

(٣٠) حسوة : امتلاء الكأس بالشراب . صادحات : المغنيات بصوت مرتفع .

(٣١) واغل : مسرف فى الشراب . فدم : عيى وغبى . واكل : معتمد على الغير . وانى : مقصر .

(٣٢) ريّان : مرتوى .

(٣٣) شوقى : احمد شوقى الشاعر الكبير . أبو الحفظ : كناية عن الشاعر حافظ ابراهيم . حفنى هوالشاعر الأديب حفنى ناصف .

(٣٤) امام العبد : أحد ظرفاء مصر وأدبائها وشعرائها وكان معاصراً للشاعر .

(٣٧) المثانى : العظام .

ينظِمُ الشعرَ وهو يلقى الأحاديـ ... ـثَ ، فيأتى بآبداتِ البيان(٣٨)

رُوحُه فى السماء ، وهو على الأر ... ضِ ، كِلا العالَمَيْنِ مختلفان(٣٩)

هو شوقى جِسماً يُرَى ويُناجى ... وهو فى الشعرِ طائِفٌ نورانى(٤٠)

شركسىٌّ أعيا على العُرْبِ مَأْتا ... هُ ، فَحسّانُ ليس بالحسّان(٤١)

ولـه فى المديح مـا لم يُـدانيـ ... ـه ابنُ عَبْدانَ فى بنى حَمْدان(٤٢)

حكمةٌ مَشْرقيّةٌ ، فى خيالٍ ... فارسىّ ، فى منطقٍ عدنانى(٤٣)

ينثُرُ الدرَّ عبقريًّا عجيباً ... ليس من «مَسْقَطٍ» ولا من «عُمان»(٤٤)

أنا بالدرِّ أخبرُ الناسِ لكن ... ذلك النوعُ ندّ عن إمكانى !(٤٥)

فاسألا كلَّ جوهرىّ فإن قا ... ل لديهِ مِثْلٌ له فاسألانى(٤٦)

يا خليلىّ لا تَهيجا لى الذكـ ... ـرَى ، فقد نالنى الذى قد كفانى(٤٧)

ناولانى باللهِ ديوانَ شوقى ... لأراه كعهده ويرانى(٤٨)

ثم سيرا على الأصابع فى صمْـ ... ـتٍ ، وفى حضرةِ «الأمير» دعانى(٤٩)

مَرّةً ألتقى به أملدَ العـ ... ـودِ نضيرَ الصِبا طليق العِنان(٥٠)

بين راحٍ وروضةٍ وغديرٍ ... وحِسانٍ ، مضى زمانُ الحِسان !(٥١)

ووجوهُ الآمالِ أزهَى من الزهـ ... ـرِ ، وغُصنُ الشبابِ فى رَيْعان(٥٢)

غَزَلٌ أذهل الغوانى عن الحسـ ... ـنِ ، ومن أين مثله للغوانى ؟(٥٣)

---

(٣٨) آبدات : العويص ــ البعيد .

(٤١) شركسى : إشارة الى أصله من بلاد الشركس . مأتاه : ما أتى به من البيان العربى الأصيل . حسان : هو حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٤٢) ابن عبدان : شاعر مدح بنى حمدان .

(٤٤) مسقط وعمان : إشارة إلى شهرة البلدين فى صيد اللؤلؤ .

(٤٥) ندّ : شرد .

(٤٦) جوهرى : تاجر الجواهر والأحجار الكريمة .

(٤٩) الأمير : إشارة الى لقب الشاعر احمد شوقى «أمير الشعراء» .

(٥٠) أملد : ناعم . العود : القد . طليق العنان : غير مقيد .

(٥١) راح : الخمر .

حينَ يشدو يُصغى له الطيرُ حيرا ... نَ مَغيظاً مُسائلاً مَن حكانى ؟[٥٤]

ذاكَ صوتٌ به خُصِصْتُ من اللـ ... ـهِ ، فمن أين جاء للإنسانِ ؟[٥٥]

يعصِفُ الجسْـرَ والجزيـرةُ تهتـ ... ـزُّ حَوالَيْـهِ هِـزَّةَ النشوان[٥٦]

فى ثيابٍ من الطبيعة وشّا ... هـا كما شاء مُبدِعُ الألوان[٥٧]

ويَرى حُبَّه لدولةِ عثمـا ... نَ شِعاراً لصادقِ الإيمان[٥٨]

ذاكَ شعرُ الشبابِ والدارُ دارٌ ... وأيادى «العباسِ» بيضٌ دوانى[٥٩]

* * *

ثم ألقاهُ وهو فى الأسرِ يشكو ... فيُثير الكمينَ من أشجانى[٦٠]

ويُناجِى شِعرُه «نائحَ الطلْـ ... ـحِ» فيُبكيه مِثلَما أبكانى[٦١]

زُحِمتْ مصرُ بالبُغاثِ من الطيـ ... ـرِ ، وعِيقَ الشادى عن الطيران ![٦٢]

أسروه ليحبسوا صوتَه العا ... لى ، فنادَى بصوته الخافقَانِ[٦٣]

احبسوا السيلَ إن قدَرْتم وسُدّوا ... إن أردتم منافذَ البُركان[٦٤]

ودعوا الشعرَ فهو طيرٌ من الفرْ ... دوسِ يأبَى مَسيسَه بالبنان[٦٥]

ثم طار الهَزّارُ للعُش غِرِّيـ ... ـداً وعاد الغريبُ للأوطان ![٦٦]

عاد «زِريابُ» بعد أن زاد أوتا ... راً لأوتارِ عوده المِرْنان[٦٧]

---

(٥٦) الجسر : المقصود جسر قصر النيل . الجزيرة : حىّ الجزيرة عنده .

(٥٧) وشاها : لونها ونقشها .

(٥٨) دولة عثمان : الدولة العثمانية لأنها دولة إسلامية .

(٥٩) العباس : خديوى مصر وقت شوقى . دوانى : قريبة العطاء .

(٦١) نائح الطلح : باكى أرض الوطن . إشارة الى قصيدة شوقى : يا نائح الطلح أشباه عوادينا : نأسى لواديك أم تأسى لوادينا كتبها فى المنفى معارضا الشاعر ابن زيدون القائل : أضحى التنائى بديلا عن تدانينا : وناب عن طيب لقيانا تجافينا .

(٦٢) زحمت : ازدحمت . البغاث : الضعيف المتهافت . عيق : منع وحبس .

(٦٣) الخافقان : أفقا المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما .

(٦٦) الهزار : طائر من الطيور المغرّدة .

(٦٧) زرياب : مُغنٍ عظيم فى العصر العباسى . المرنان : الرنّان .

فتغنّى بمصرَ فى موكبِ الشر ـ ق ، وعزِّ التاجيْنِ والصوْلجان (٦٨)

وشدا بالشُّموسِ من عبدِ شمسٍ … والغطاريفِ من بنى مَرْوان (٦٩)

ألهب العزم فى بنى مصرَ ناراً … أىُّ خيرٍ فى هذه النيران ! (٧٠)

ودعا بالشبابِ فابتدروا السبْـ … ـقَ ، وآمالُ مصرَ فى الشبّانِ (٧١)

والرواياتُ أعجزتْ كلَّ شيطا … نٍ ، وأعيت فى وصفِها شيطانى (٧٢)

حكمةُ الشّيْبِ فى مِراس التجاريـ … ـبِ ، وفكرٌ أمضى شَباً من سِنان (٧٣)

جَنتِ السِّنُّ ما جنت غير عقلٍ … زاد بالسِّنِّ صَوْلةً ولسان (٧٤)

كلما هدّتِ الليالى قُواه … بلغ الشعرُ قِمّةَ العُنفوان (٧٥)

شعرُ شوقى وديعةُ الزمنِ البا … قى ، وشوقى وديعةُ الرحمن ! (٧٦)

* * *

قد شُغِلْنا عن حافظٍ بأمير الشعـ … ـرِ ، ويلى ! لو كان يدرى لحانى (٧٧)

كان يجرى على أعنّة شوقى … ويُعانى من رَكْضه ما يُعانى (٧٨)

لا الجوادانِ فى النِّجار سواءٌ … حين تبلوهما ولا الفارسانِ (٧٩)

يُلْهبُ الشعرَ حافظٌ أرعنَ السو … ـطِ ، وشوقى فى آخرِ الميدان ! (٨٠)

ليت شعرَ القريضِ أىُّ سِباقٍ … بين شِعريْهما ؟ وأىُّ رِهان ! ؟ (٨١)

---

(٦٩) الشموس : الملوك . عبد شمس : قدماء المصريين . الغطاريف : السادة النجباء . بنى مروان : ملوك الدولة الأموية فى الأندلس .

(٧١) ابتدروا : بادروا . السبق : السباق والتطلع نحو المجد .

(٧٢) الروايات : اشارة الى روايات شوقى الشعرية . شيطان : المقصود شيطان الشعر . أعيت : أتعبت .

(٧٣) مراس : الممارسة والمعالجة . التجاريب : حنكة الأمور وتجربتها . أمضى : أحدّ . شبا : كل شىء حدّ طرفه . سنان : سنان الرمح .

(٧٤) جنت : حصلت ـ حصلت . السن : العمر والسنون . صولة : وثبة .

(٧٧) لحانى : لامنى .

(٧٨) أعنة : يد اللجام للفرس . ركضه : جريه .

(٧٩) النجار : الأصل . تبلوهما : تختبرهما .

حافظٌ زيَّن القريضَ بفنٍّ ... بُحْتُرِيٍّ عذبٍ رشيق المباني [٨٢]

لفظُه في يديه يختار منه ... صَحْفَةُ الدرِّ في يَدَىْ دِهْقان [٨٣]

ولكم قد أعاد بيتاً مراراً ... باحثاً عن فريدةٍ من جُمان [٨٤]

يتقَرَّى في الشعر مَيل الجمـ ... ـاهير، ليحظَى بصيحةِ استحسان [٨٥]

جال في حَوْمةِ السياسة وثًّا ... باً، فأذكى حماسةَ الفِتيان [٨٦]

ورمَى الاحتلالَ حُرًّا جريئًا ... وتحدَّى «العميدَ» ثَبْتَ الْجَنانِ [٨٧]

في زمانٍ قد ذلَّ كلُّ إباءٍ ... فيه، وانقاد كلُّ صعبِ الْحِران [٨٨]

وظَلَفوه فأسكتوه فألقَى ... شِعْرَهُ في مَهامِهِ النِّسيان [٨٩]

ويحَ هذا الكَرْوانِ! هل راقه الحبـ ... ـسُ وأغراه عسجدُ القضبان؟ [٩٠]

هَشَّموا نابَيَّ «ابن بُرْدٍ» وحالوا ... بين كاس الطلا وبين ابنِ هاني! [٩١]

كان شوقي وحافظٌ إن دجَى الخطـ ... ـبُ، شعاعيْنِ في الدُّجَى يلمعان [٩٢]

«فهما في أواخرِ الليلِ فجرا ... نِ، وفي أُولَياتِه شَفَقان» [٩٣]

* * *

---

(٨٢) بحترى: نسبة إلى البحترى الشاعر العباسى العظيم.

(٨٣) صحفة الدّر: وعاء الدر. دهقان: تاجر الجواهر.

(٨٤) جمان: حبّات تصنع من الفضة كالدرر.

(٨٥) يتقرى: يختار - يسعى.

(٨٦) جال: طاف: حومة السياسة: معظم الميدان.

(٨٧) الاحتلال: الاستعمار الانجليزى لمصر. العميد: المعتمد البريطانى الذى كان يعتبر الحاكم الفعلى لمصر حينئذ. ثبت الجنان: ثابت القلب.

(٨٨) إباء: عزة وأنفة. انقاد: تبع. صعب الحران: لا ينقاد بسهولة.

(٨٩) مهامه: المفازات البعيدة.

(٩٠) عسجد: الذهب.

(٩١) نابىّ: أسنان. ابن برد: الشاعر العباسى بشار بن برد ويقصد الشاعر حافظ ابراهيم. كأس الطلا: كأس الخمر. ابن هانى: الشاعر الأندلسى الكبير وكان مشهورا بوصف الخمر.

(٩٢) دجى: أظلم. الدجى: الظلمة.

(٩٣) شفقان: مثنى شفق وهو ضوء الشمس وحمرتها قبل الغروب.

أيها الشاعرانِ قد صَوّحَ الدوْ حُ ، وولّت بشاشةُ البُستانِ ! [٩٤]
وخلا الربْعُ لاقراعُ كئوسٍ ضاحكاتٍ ، ولا رنين قِيانِ ! [٩٥]
وتولّى القُطّانُ لم يبق إلاّ حسراتٌ لفُرقةِ القُطّان ! [٩٦]
ومضى الرَّكْب بالرفاقِ وخلاّ نى وحيداً أبكى على خُلاّنى [٩٧]
أيها الشاعران فى جَنّةِ الخُلْدِ ، هَناءٌ بالخُلْدِ والرِّضوان [٩٨]
مهِّدا لى إلى جواركما مَثْوًى ، إذا آن للرحيلِ أوانى [٩٩]

(٩٤) صوّح : جف ـ يبس . الدوح : الشجر العظيم . ولت : ذهبت .
(٩٥) الربع : الحيّ ـ المكانْ . قراع : صوت كؤس الشراب عندما تتخبط . قيان : الإماء المغنيات .
(٩٦) القطان : المقيمون بالمكانْ .
(٩٩) مثوى : مكان ينام فيه .

الشباب

نشرت هذه القصيدة بمجلة الهلال فى سنة ١٩٤٧ م

أهبْتُ بالشعر أن يعودا ... إلى الصبا ناعماً رغيدًا (١)

يذكرُ ما مرّ من عهودٍ ... لله ما أنضرَ العهودا ! (٢)

فى كل يومٍ أرى فَنَاءً ... وهو يرى حولَه خلودا (٣)

طار حثيثاً بكل أُفْقٍ ... لّما مشت خُطوتى وئيدا (٤)

وصَوّحتْ دوحتى ومالت ... ولم يزل صادحاً غريدا (٥)

يأخذُ ما أبقت الليالى ... ويبتغى فوقه مزيدا (٦)

تجاربى الباكياتُ عادت ... تجرى بأوتاره نشيدًا (٧)

فى حكمةِ الشيبِ لى عَزاءٌ ... وكم وعيدٍ حَوى وعودا ! (٨)

كادت أياديه وهى بيضٌ ... تُنسى حُلِيَّ الشبابِ سودا (٩)

* * *

علوتُ طودَ الزمان حتّى ... رأيتُ من فوقه الوجودا (١٠)

---

(١) أهبت : دعوت .

(٥) صوحت : جفت . دوحتى : الدوحة الشجرة الكبيرة . مالت : انثنت .

(٨) وعيد : تهديد . حوى : اشتمل . وعودا : بالخير .

(٩) حلى : زينة .

(١٠) طود : الجبل العظيم .

وبـــان مـــا لم يَـبِـنْ لـغيرى وكـان عن عينه بعيدا[11]
كـان شبـابى رفـيقَ عـمـرى فعشتُ من بعده وحيدا[12]
غـاب فـلـمّـا مضى وولّى جعلتُ شعرى له بريدا[13]
أبـعـثُ بـالشوق كـلَّ يوم ويبعثُ الهجر والصدودا[14]
وكـم محوت السطورَ لَـثْـمـاً أحْسَبُـهـا للصبا خدودا[15]
يُصـوِّر الحـبُّ فـى إطـــار فأبصِرُ الغِيدَ فيه غيدا[16]
ويـــرسُـــمُ الماضىَ المولِّى كـعـهـده بـاسماً سـعـيدا[17]
ألمحُ شـــخصى بـــه كـأنّى ألمحُ شـخصـاً به جديدا[18]
أين ورودى وأين كــأسى؟ ماذا دَهى الكأس والورودا؟[19]
لم يَـبْـقَ مِـنّى سِوى لسانٍ يُـجـيـد ما شاء أن يجيدا[20]
وفـــكـــرةٍ صُوِّرت نُضـاراً وحكمةٍ نُـظِّمت عـقـودا[21]

* * *

فـيـا شـبـابَ البلاد صونوا شَرْخَ الصبا قبل أن يَبيدا[22]
يـعود فى الكون كلُّ شىء وذاهبُ العـمـر لن يعودا[23]
إن اشتكى النيلُ مسَّ ضيمٍ فـحـرِّموا حولـه الورودا[24]
تجارةُ الـــرِّق قـــد تولّت فما لنا نلمَحُ القيودا؟[25]
قـد ذهب العـمـرُ فى جِـدالٍ كُـنّـــا لـنيرانـه وقودا[26]
لا يـــدركُ السؤْلَ غير عـــزمٍ مـشـابـرٍ يـقـرَع الحديدا[27]

---

(١٤) الصدود : الإعراض .

(٢١) نضارا : الذهب وقيل هو الخالص من كل شيء . نظمت عقودا : انتظمت فى هيئة عقد وهو الذى تتحلى به النساء .

(٢٢) شرخ الصبا : أول الشباب . يبدا : يذهب ويندثر ويباد .

(٢٤) ضيم : ظلم . الورودا : اتيان الماء من منهله .

(٢٥) الرق : العبودية .

فأيقظوا مصرَ من جديدٍ فإنها ملَّتِ الرقودا[28]
لا ترسُموا للطموح حدًّا فالمجدُ لا يعرف الحدودا[29]
العلمُ أمضَى من المواضي فجرِّدوا نحوه الجهودا[30]
مصرُ تريدُ السماء وثباً وأولُ النُّجْحِ أن تريدا[31]

فى الزيارة الملكية

أنشدت أمام الملك فؤاد بمدينة أسيوط فى ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٠ م
حينما زار المدينة لزيارة معاهدها العلمية .

طَلَعْتَ فأَبْصَارُ الرَّعِيَّةِ خُشَّعُ ... وأَشْرَقْتَ مِثْلَ النَّجْمِ فى الأُفْقِ يَلْمَعُ [1]
وأَقْبَلْتَ تَبْنِى الْمَجْدَ فى كلِّ مَوْضِعٍ ... فَلم يَخْلُ من آثارِ مَجْدِكَ مَوْضِع [2]
خَوالِدُ آثارٍ تَمَنَّى مِثالَهَا ... عَلَى الدَّهْرِ رَمْسِيسُ العَظِيم وخَفْرَع [3]
بَنَوْهَا لِمَا بَعْدَ الْحَيَاةِ وأَبْدَعُوا ... وإنك تَبْنِى للحَيَاةِ وتُبْدِع [4]
مَعاهِدُ عِلْمٍ تَنْشُرُ النُّورَ والهُدَى ... وتَطْوِى ظَلاَمَ الْجَهْلِ مِنْ حَيْثُ تَسْطَع [5]
وآثارُ فَضْلٍ فى البِلاَدِ رَفَعْتَها ... كما كَان (إسْمَاعِيلُ) للْبَيْت يَرْفَع [6]
إذا تُمِّمَتْ من فَيْضِ جَدْواك نِعْمَةٌ ... فأنْتَ بأُخرَى ساهِرُ الطَّرْفِ مُولَع [7]
جَرَيْتَ عَلَى آثارِ آبائِكَ الأُلَى ... مَضَوْا ثُمَّ أَبْقَوْا ذِكْرَهَم يَتَضَوَّع [8]
هُمُ غَرَسُوا دَوْحَ الحَضَارةِ وارفاً ... تُظَلِّلُنا مِنْه غُصُونٌ وأَفْرُع [9]
أفى كُلِّ يَوْمٍ مِنْ نَدَاكَ صَنِيعةٌ ... تُعيدُ إلَى مِصْرَ الشَّبَابَ وتُرْجِع ؟ [10]

---

(١) خشع : مطرقة هيبة وخشية .
(٣) رمسيس وخفرع : من فراعنة مصر الأقدمين .
(٥) تطوى الظلام : تذهب به وتزيحه .
(٦) رفعتها : أعليت بنيانها . إسماعيل : هو نبىّ الله إسماعيل بن إبراهيم –عليهما السلام–. البيت : الكعبة.
(٧) فيض جدواك : عميم كرمك وواسع جودك . ساهر الطرف : لا يغمض لك جفن حتى تنجزها .
(٨) يتضوع : تنتشر رائحته الطيبة .

أَفِى كُلِّ يَوْمٍ لِلمَلِيكِ عَزِيمَةٌ   تَخِرُّ لَهَا شُمُّ الجِبَالِ وتَخْشَع ؟[11]

مَلَكْتَ زِمَامَ النِّيلِ يا شِيبَةَ فَيْضِهِ   فَلَمْ يَبْقَ فى مِصْرٍ بِيُمْنِكَ بَلْقَع[12]

وعَلَّمْتَه مِنْ جُودِ كَفَّيْكَ خَلَّةً   فَما سَالَ إلاَّ وَهْوَ بالتِّبْرِ مُتْرَع[13]

عَلَوْتَ مَطَاهُ وَهْوَ للأَرْضِ مَشْرَعٌ   وأَنْتَ لآمالِ الرَّعِيَّةِ مَشْرَع[14]

فسَالَ يَجُرُّ الذَّيْلَ تِيهاً بِعَالِكٍ   لَهُ المَجْدُ تَاجٌ بالْجَلالِ مُرَصَّع[15]

وأَشْرقَ إِقْلِيمُ الصَّعِيدِ بِطَلْعَةٍ   تَخِرُّ لها الأَعْنَاقُ طَوْعاً وتَخْضَع[16]

بَدَتْ مِثْلَ مِصْبَاحِ السَّماءِ تَعَاوَنَتْ   عَلَى تِمِّهِ فى الأُفْقِ عَشْرٌ وأَرْبَع[17]

لدَى مَوْكِبٍ ما سَارَ فيه ابنُ مُنْذِرٍ   ولا نَالَه فى سالِفِ الدَّهْرِ تُبَّع[18]

يُحِيطُ به نُورُ الإِلهِ ونَصْرُهُ   وتَحْرُسُه عَيْنُ الإِلهِ وتَمْنَع[19]

سَمِعْتُ به حتى إذا ما رأَيْتُهُ   (رأَيْتُ بِعَيْنِى فَوْقَ ما كُنْتُ أَسْمَع)[20]

وللشَّعْبِ قَلْبٌ حَوْلَ رَكْبِكَ خافِقٌ   ورَأْىٌ عَلَى الإِخْلاَصِ والود مُجْمِع[21]

يزَاحِمُ كَىْ يَحْظَى بِنَظْرَةِ عاجِلٍ   فَيَبْهَرُهُ من نورِ شَمْسِكَ مَطْلَع[22]

هُتَافٌ مِنَ الْحُبِّ الصَّمِيمِ انْبِعاثُهُ   تُرَدِّدُهُ أَصْداؤُهُ وتُرَجِّع[23]

مَلَكْتَهُمُ مُلْكَ الْكَرِيمِ فَأَخْلَصُوا   وقُدْتَهُمُ نَحْوَ المَعَالِى فَأَسْرَعُوا[24]

فَخاراً (سُيُوطُ) فِيكِ خَيْرُ مُمَلَّكٍ   تَحُجُّ لَهُ آمالُ مِصرِ وتُهْرَع[25]

---

(١١) تخر وتخشع : تقع وتنهد . وشم الجبال : ما علا منها وارتفع .

(١٢) الزمام : ما تقاد به الدابة ، ملك زمام النيل : القدرة على توجيهه وتصريفه . فيض النيل : ما يفيض به على البلاد من حياة وخصب . البلقع : الأرض الجرداء لا نبات فيها .

(١٣) الخلة : الخصلة والشيمة . مترع : مملوء فياض .

(١٤) مطاه : متنه وظهره . مشرع : مورد .

(١٧) مصباح السماء : القمر . يريد البدر فى تمامه وذلك فى الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

(١٨) ابن منذر ، هو النعمان بن المنذر ـ من المناذرة ملوك الشام ، وكان ذا حول وطول . وهو الذى شاع ذكره فى شعر النابغة . تبع : التابعة ملوك اليمن ، وكان لهم فيها السلطان الواسع .

(١٩) تمنع : تدفع .

(٢٠) الشطر الثانى من شعر ابن هانى فى مدح جوهر الصقلى .

(٢١) خافق : يهتز بحبك .

بَدَا مِثْلَ ما يَبْدُو الرَّبيعُ بَشَاشَةً ... وَوافَى كَمَا وَافَى الرَّجاءُ المُمَتَّع [٢٦]

فَأُوْكِ سَلْسَالٌ ، وطَيْرُكَ صادِحٌ ... وغُصْنُكَ رَيَّانٌ ، ووَادِيكِ مُمْرِع [٢٧]

(فُؤاد) ابْنَ لِلْقُطْرِ الْخَصِيب تَحُوطُهُ ... وتَدْفَعُهُ نَحْوَ الْحَيَاةِ فَيُنْفَع [٢٨]

وعاشَ بِك (الفَارُوقُ) فى ظِلِّ نِعْمَةٍ ... يَلُمَّ شَتَاتَ المَكْرُمَاتِ ويَجْمَع [٢٩]

---

(٢٥) تَهِيج : تقصد . تهرع : تسرع .

(٢٧) سلسال : صاف خالص مما يشوبه . ريان : ناضر . ممرع : مخصب .

(٢٩) فاروق ـ كان ولى العهد إذ ذاك . شتات المكرمات : ما تفرق منها .

المجمعُ اللّغويّ

ألقيت فى الاحتفال بالدورة الثانية لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤ م.

ذِكْرَياتٌ رَدَّدَ الدَّهْرُ صداها ... وعُهُودٌ يَحْسُدُ المِسْكُ شَذَاها (١)

وَصَلَ العُرْبُ الغَطارِيفُ إلَى ... غايةٍ ، لا تَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاها (٢)

وَجرَوْا صَوْبَ العُلاَ فى طَلَقٍ ... زَاحَمَ الأَنْجُمَ واجْتَازَ مَدَاها (٣)

تَقِفُ الأَوْهَامُ حَسْرَى دُونَه ... لاهِثاتٍ قَصَّرَ الأَيْنُ خُطَاها (٤)

مَرَّ بالشَّمْسِ فَلَمْ تَشْعُر بِهِ ... إذْ جَرَى إلاَّ ظُنُوناً واشْتِباها (٥)

أُمَّةُ الصَّحْرَاءِ أَقْوَى جَلَداً ... مِنْ مَهَارِيها وأَهْدَى مِن قَطَاها (٦)

صَخْرُها أَوْحَى إليها عَزْمَةً ... من بَنِى رَضْوَى وثَهْلاَنَ بَنَاها (٧)

وسُكُونُ البِيدِ فى رَهْبَتِها ... جَرَّدَ الرُّوحَ وبالنُّورِ كَسَاها (٨)

---

(٢) الغطاريف : السادة الشرفاء ، الواحد : غطريف . الذرا : جمع ذروة ، وهى من كل شىء أعلاه .

(٤) الأوهام : خطرات القلوب . حسرى : كليلة منقطعة من طول المدى . الأين : الاعياء .

(٦) يريد بأمة الصحراء : العرب بنزولهم البوادى والصحارى . الجلد : الأيد والقوة . المهارى : الابل المهرية ، نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حىّ من العرب امتازت إبله عما سواها . ويضرب بالابل المثل فى الجلد وقوة الاحتمال . القطا : ضرب من الطير عرف بقوة اهتدائه الى مكانه .

(٧) يريد بصخرها : آكامها وجبالها . رضوى وثهلان : جبلان ببلاد العرب .

(٨) البيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء ، الرهبة : الخشية والسكون ، جرد : خلصها مما يشغلها وجعلها صافية ، وبالنور كساها : أى جعلها من الحق على صلة ومن الهداية والتوفيق على بينة .

رُبَّ صَدْرٍ نَافَسَ الْحِلْمُ به ... كُلَّ صَحْراءَ بَعِيدٍ مُنْتَهاها(٩)

وخِلالٍ أَنْبَتَ الْجَدْبُ بِهَا ... عِزَّةَ اليَأْسِ فما لانَتْ قَناها(١٠)

أَبَتِ الضَّيْمَ فَمَا مَدَّتْ يَداً ... لذوى النُّعْمَى وَلَمْ تَعْفِر جِبَاها(١١)

تَحْفَظُ العِرْضَ مَصُونًا ناصِعًا ... وإلى الطُّرَّاق مَبْذولٌ قِراها(١٢)

أَمَمٌ إنْ يَهْلِكَ المَالُ ، فإن ... لُمِستْ أَعْراضُها حَلَّت حُبَاها(١٣)

رَدَّدَتْ أَشْعَارَها شَمْسُ الضُّحَا ... وسِرَاجُ اللَّيْلِ لَمَّا أَنْ تَلاَها(١٤)

آيَةٌ مِنْ نَفْحَةِ اللهِ ، فَلَوْ ... كانَ لِلنِّسْيَانِ كفٌّ ما مَحَاها(١٥)

رَوْضَةٌ قد لَقَّبُوها كَلِماً ... تُخْجِلُ الْحُسْنَ إذا الْحسْنُ رآها(١٦)

كَمْ حَكِيمٍ أوتِىَ الْحُكْمَ فَتًى ... وفَتَاةٍ مَلأَ التِّبْيَانُ فَاها(١٧)

تُرْسِلُ الأَمْثَالَ تَسْرِى شُرَّداً ... لا تُبَالى أَيْنَمَا كانَ سُرَاها(١٨)

قِفْ عَلَى الأَطْلالِ واذْكُرْ أُمَّةً ... خَلَّدَ الأَطْلالَ مأثورُ بُكَاها(١٩)

بَعَثَ اللهُ بِهَا نُورَ الْهُدَى ... من قُرَيشٍ فاصْطَفَاه واصْطَفَاها(٢٠)

أَشْرَقَ الصُّبْحُ عَلَى الدُّنْيَا به ... بَعْدَ أن طَالَ عَلَى الدُّنْيَا دُجَاها(٢١)

وجَرَى فى الأَرْض يَنْبُوع هُدًى ... بعد أَنْ حَرَّقَها حَرُّ صَدَاها(٢٢)

قَلَّدَ الفُصْحَى حُلَى قُدْسِيَّةً ... فَزَهَاها من حُلاَها ما زَهَاها(٢٣)

---

(١٠) القناة : الرمح . لينها : كناية عن الضعف والاستكانة .

(١١) الضيم : الذل والصغار . ذوو النعمى : ذوو اليسار . وعفر الجباه : كناية عن الضعة والمهانة .

(١٢) الطراق : الطارقون الذين ينزلون طلباً للضيافة . القرى : ما يقدم للضيف .

(١٣) الأمم : الهين السهل . حل الحبا : كناية عن التحول للحرب والغارة والاحتباء (فى الأصل) أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه برباط ، فاذا تهيأ للقيام أزاله .

(١٤) سراج الليل : القمر .

(١٧) التبيان : البيان والافصاح .

(١٩) الأطلال : جمع طلل ، وهو ما بقى من آثار الديار . والمأثور : ما يحفظ ويؤثر من كل مليح .

(٢٠) يريد « بنور الهدى » : رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . قريش : قبيلته . اصطفاه : اختاره من بين خلقه وخصه برسالته .

(٢٢) حرقها : أجف أوراقها وأيبس عودها . حر الصدى : حرقة العطش .

(٢٣) يريد بالفصحى : اللغة العربية . قدسية : ربانية مقدسة . فزهاها : ملأها عجبا وزهوا .

وبَيَاناً هاشِمِيًّا لو رَمَى ... قُلَلَ الأجيالِ لانْهَدَّتْ قُوَاها (٢٤)

أسْهُمٌ مِنْ كَلِمٍ مَسْنونةٌ ... جاهَدَتْ في اللهِ واللهُ بَرَاها (٢٥)

كُلَّما صاحَ بها في طَيْبَةٍ ... مُسْتَثِيراً رَدَّدتها لابَتَاها (٢٦)

يَزْعُمُ الشِّعْرُ سَفاهاً أنَّه ... لو عَفَتْ عَنهُ القَوافي لَحكَاها (٢٧)

نَزَل القُرآنُ بالضَّادِ فلَوْ ... لَمْ يَكُنْ فيها سِوَاهُ لكَفَاها (٢٨)

حَسْبُها أنْ صَوَّرَتْ من آيِهِ ... مُعْجزاتٍ عَظُمَتْ أنْ تَتَناهى (٢٩)

وبَنُو مَرْوانَ للهِ هُمُ ... عُدَّةُ الفُصْحَى وحُرَّاسُ حِماها (٣٠)

رُبَّ مَأثورٍ لَهُمْ وَدَّ لَهُ ... صَدَفُ اللُّؤْلُؤِ لَوْ كانَ شِفَاها (٣١)

خُطَبٌ هُزَّ لها مِنْبَرُهم ... يَقْذِفُ الهَوْلَ دِرَاكاً مَنْ رَمَاها (٣٢)

وقَوافٍ سَلْ أبا حَزْرَتِها ... وسَلِ الأخْطَلَ كَيْفَ ابتَدَعَاها (٣٣)

طُفْ بِبَغْدادَ وسَلْ آثارَها ... أيُّ سِرٍّ كَتَمَتْهُ شَفَتاها ! (٣٤)

كُلُّ رَسْمٍ قد وَعَى نادِرَةً ... لو جَرَى النُّطْقُ عليه لحَكَاها (٣٥)

مَشَت الدُّنْيا إليها تَتَّقِي ... سُخْطَ بغدادَ وتَسْتَجْدِي رِضاها (٣٦)

---

(٢٤) هاشميا : نسبة إلى بني هاشم ، آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وقلل الأجبال : قممها ، الواحدة : قلة .

(٢٥) براها : هيأها للرمي .

(٢٦) طيبة : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . مستثيراً . مثيراً وموقظاً . لا بتاها : حرتاها , الحرة : الأرض ذات حجارة سود ، وبالمدينة لا بتان . ورددتها لابتاها : أي كررت صوتها ليسمعه العالم .

(٢٧) سفاها : ضلالا وغرورا . عفت عنه القوافي : سامحته في التقيد بها . حكاها : ماثلها .

(٢٨) بالضاد ، أي باللغة العربية . وسميت بلغة الضاد ، لخلو اللغات الأخرى منها .

(٢٩) آية : آيات القرآن . وعظمت أن تتناهى : أي جلت عن أن تنتهي إلى غاية من الاعجاز والقوة .

(٣٠) بنو مروان : ملوك الدولة الأموية . والحمى : ما يجب عليك حياطته والذود عنه .

(٣١) تود الأصداف لو قامت له مقام الشفاه .

(٣٢) دراكا : متتابعاً ، يدرك بعضه بعضا .

(٣٣) أبو حزرتها : جرير . وهو والأخطل شاعران أمويان معروفان . وابتدعاها : خلقاها .

(٣٤) بغداد : عاصمة العراق ، وقديماً كانت مقر الدولة العباسية فشهدت عهدا من أزهى العهود .

(٣٥) الرسم : ما بقي من آثار الدار . نادرة : قصة طريفة مفردة .

وأبو المأمون فى مَمْلكةٍ يتحدَّى المُزْنَ أنْ تَعْدو قُراها[37]
بَلَغَتْ بنتُ قُرَيْشٍ ذِرْوَةً ببَنى العَبَّاسِ صَعْباً مُرْتقَاها[38]
بَيْنَ شِعْرٍ كأزاهيرِ الرُّبا عَكَفَ الغَيْثُ عليها فَسَقاها[39]
هُوَ دَلٌّ رَدَّدَتْهُ قَيْنَةٌ وَهُوَ وَجْدٌ فاضَ مِنْ نَفْسِ فَتاها[40]
وعُلومٍ تُرْجِمَتْ وَاسْتُنْبِطَتْ وَفُصُولٍ بَهَرَ الدُّنْيا حِجاها[41]
آبِداتُ القولِ ولَّتْ بَعْدَهُم طَيَّبَ اللهُ ثَراهُمْ وثَراها ![42]
يا بَنِي العَبَّاسِ فى مَصْرَعِكُمْ عِظَةُ الكَوْنِ وَعاها مَنْ وَعاها[43]
أُطْفِئَ النُّورُ ودالَتْ دَوْلَةٌ وَطَوَى الدهْرُ المُنَى حِينَ طَواها[44]
شَدَّ هُولاكُو عَلَى أَرْبَاضِها شَدَّةَ الذُّؤْبَانِ أَبْصَرْنَ شِياها[45]
وجَرَى مِنْ حَوْلِهِ عِقْبانُهُ كُلَّما أَطْعَمَها هاجَ ضَراها[46]
لَهْفَ نَفْسِي بِنْتُ عَدْنانَ هَوَتْ وأُسُودُ الغِيلِ قَدْ دِيسَ شَراها ![47]
سائِلُوا دِجْلَةَ عَمَّا رَاعَها أَوْ دَعُوها فَكَفاها ما دَهاها[48]
قَذَفَ الكُتْبَ بِها طاغِيَةٌ هَلْ دَرَى ماكَنَزَتْهُ دَفَّتاها ؟[49]

---

(٣٧) أبو المأمون ، هو الرشيد . المزن : السحاب ، يشير إلى قول الرشيد حين رأى سحابة عارضة فقال : أمطرى حيث شئت أن تمطرى ، فلن تمطرى إلا حيث سلطانى وملكى .

(٣٨) بنت قريش : هى اللغة العربية . الذروة من كل شيء : أعلاه . مرتقاها : الرقى إليها .

(٤٠) الدل : التمنع مع رغبة . القينة : الجارية أو المغنية . والوجد : الشوق .

(٤١) الحجا : العقل ، ويريد أثره .

(٤٢) آبدات القول : نوادره وبدائعه .

(٤٥) هولاكو : هو الزعيم التترى الذى ثل عرش الدولة العباسية . الأرباض : جمع ربض وهو ما حول المدينة ، الشياه : جمع شاه .

(٤٦) العقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجارحة المعروفة بنهمها . ضراها : ما فيها من ولع ونهم بالعدوان والشراسة .

(٤٧) بنت عدنان : اللغة العربية . عدنان : جد من أجداد العرب . هوت : سقطت . الغيل : الشجر الملتف وإليه تأوى الأسود . الشرى : جبل بتهامة وطريق فى سلمى ، وكلاهما معروف بكثرة أسده وشراستها .

(٤٨) دجلة : نهر معروف ، وهو والفرات يرويان العراق . راعها : أفزعها . دهاها : أصابها .

فَتَأَمَّلْ إِذْ جَرَى آذِيُّها ... أَتُرَى فِيهِ عُقُولاً أَمْ مِياها ؟[٥٠]

ذَهَبَ العَسْفُ بِآثارِ النُّهَى ... كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ ضاعَتْ نُهاها ؟[٥١]

طَارَتِ الفُصْحَى لِمِصْرٍ تَبْتَغِي ... ناعِمَ العَيْشِ خَصِيباً فى ذَراها[٥٢]

بَقِيَتْ فِيها تُلاقِي شَظَفاً ... فى أَحَايِينَ ، وفى حِينٍ رَفاها[٥٣]

ثُمَّ هَبَّتْ حَوْلَها عاصِفَةٌ ... خَلَطَ الذُّعْرُ ضُحاها بِمَساها[٥٤]

وإذا نَجْمٌ بَدا مُؤْتَلِقٌ ... شَخَصَتْ نَحْوَ سَناهُ مُقْلَتاها[٥٥]

وإذا مُنْقِذُ مِصْرٍ ماثِلٌ ... وإذا مِصْرٌ وقَدْ شُدَّتْ عُراها[٥٦]

وإذا العِلْمُ يُدَوِّى صَوْتُهُ ... وإذا الضَّادُ أضاءَتْ صَفْحَتاها[٥٧]

ظَفِرَتْ بِالعَبْقَرِى المُرْتَجَى ... فاسْتَجابَتْ لِلعُلا لمَّا دَعاها[٥٨]

دَوْلَةُ العِلْمِ بِهِ رُدَّتْ إلى ... عَرْشِ مِصْرٍ بَعْدَ أَنْ طَالَ نَواها[٥٩]

مَنْ كَإِسْماعِيلَ فى آلائِهِ ... يَنْفَدُ القَوْلُ ولا يَفْنَى جَداها ؟[٦٠]

زُهِيَتْ مِصْرُ جَمالاً وَسَناً ... بِأَبِى الأَشْبالِ ، واهْتَزَّتْ رُباها[٦١]

تَخْجَلُ السُّحْبُ إذا ما وازَنَتْ ... مَرَّةً بَيْنَ نَداهُ وَنَداها[٦٢]

غَرَسَ العِلْمَ بِمِصْرٍ دَوْحَةً ... كُلَّما أَخْضَلَها طَابَ جَناها[٦٣]

---

(٥٠) الآذى : الموج . ويريد بالعقول : نتاجها الذى حوته الكتب .

(٥١) العسف : الظلم . النهى : العقول ، ويريد آثارها .

(٥٢) طارت : خفت . ذراها : نواحيها .

(٥٣) الشظف : سوء العيش وخشونته . رفاها : رفاهية ونعيا .

(٥٥) مؤتلق : منير متلألىء . سناه : ضوءه . المقلتان : العينان .

(٥٦) يريد بمنقذ مصر : محمد على باشا . ماثل : حاضر . العرا : جمع عروة ، وهى أخت الزر . وشدّ العرا كناية عن القوة .

(٥٧) يدوى صوته : يرتفع عاليا . وصفحتاها : وجهها ، وللوجه صفحتان .

(٥٩) نواها : بعدها .

(٦٠) الآلاء : النعم . الجدى : العطية والمنحة .

(٦١) زهيت : تاهت ودلّت . السنا : الاشراق والتلألؤ . أبو الأشبال : إسماعيل .

(٦٢) نداه : كرمه وجداه . نداها : مطرها .

(٦٣) أخضلها : أرواها . الجنى : ما تجنيه من الثمر ، ويريد ثمار العلم .

سَمَتِ الآدابُ والدُّنيا بِهِ   وَبَدَتْ تَخْطِرُ فِي أَزْهَى حُلاها (٦٤)

يا ابْنَ إسْمَاعِيلَ يا ذُخْرَ النُّهَى   جَدَّدَتْ مِصْرُ بِكُمْ عَهْدَ صِباها (٦٥)

كُلُّ أَشْتَاتِ النَّدَى إنْ فُرِّقَتْ   فَإلَى بابِ فُؤادٍ مُلْتَقاها (٦٦)

هِمَّةٌ شادَتْ بِمِصْرٍ دَوْلَةً   صانَها الإنْصافُ والعِلْمُ وَقاها (٦٧)

مَسَحَتْ مِصْرُ بِهِ عَيْنَ الكَرَى   بَعْدَ أَنْ طالَ عَلَى مِصْرٍ كَراها (٦٨)

وَنَبَتْ وَثْبَتَها دَائِبَةً   كُلَّما أَجْهَدَها السَّعْيُ زَجاها (٦٩)

أَيْنَما أَبْصَرتَ تَلْقَى نَهْضَةً   تَمْلأُ العَيْنَ، وإقْبالاً وَجَاها (٧٠)

وَقُصُوراً لأَمِيعاتٍ كَالضُّحا   رَدَّدَ العِرْفانَ فِي مِصْرَ صَداها (٧١)

يا نَصِيرَ العِلْمِ فِي مَمْلَكَةٍ   بَلَغَتْ بِالْعِلْمِ غاياتِ مُناها (٧٢)

كُلُّ يَوْمٍ لَكَ حَفْلٌ لِلْعُلا   وَأَيادٍ تَبْهَرُ الدُّنْيا لُهاها (٧٣)

وَجَدَتْ بِنْتُ قُرَيْشٍ مَوْئِلاً   فِي ذَرَا المُلْكِ وحِصْناً مِنْ عِداها (٧٤)

لُغَةُ القُرْءانِ تُزْهَى شَرَفاً   أَنَّ حامِيَ الدِّينِ وَالْمُلْكِ حَماها (٧٥)

حِكْمَةُ المَأْمُونِ عادَتْ دارُها   بِابْنِ إسْماعِيلَ مِنْ بَعْدِ بِلاَها (٧٦)

مَجْمَعُ الفُصْحَى تَجَلَّى مُشْرِقاً   فِي سَماءِ الْمَجْدِ مُجْتازاً سُهاها (٧٧)

هُوَ فِي مِصْرَ مَنارٌ كُلَّما   أَرْسَلَ الأَضْواءَ فِي مِصْرَ هَداها (٧٨)

---

(٦٤) سمت: نهضت. تخطر: تختال مزهوة مدلة.

(٦٥) ابن اسماعيل. هو الملك أحمد فؤاد. النهى: العقول. ذخرها: أنفس ما عندها.

(٦٦) الندى: الكرم. وأشتاته: ألوانه وأنواعه.

(٦٨) الكرى: النعاس. ومسح عين الكرى: كناية عن النهوض والانتعاش.

(٦٩) دائبة: غير منقطعة السعي. أجهدها: أضناها وأتعبها. زجاها: ساقها ودفعها.

(٧٢) غايات مناها: منتهى ما تصبو إليه.

(٧٣) لهاها: عطاياها ومنحها.

(٧٤) بنت قريش: اللغة العربية. الموئل: الحصن والملجأ. وفي ذرا الملك: في كنفه.

(٧٦) البلى: الفناء. يشير إلى دار الحكمة التي كانت قائمة أيام المأمون شبّه بها المجمع.

(٧٧) تجلى: ظهر وبدا. السهى: نجم يضرب به المثل في العلو.

رَأَتِ البَصْرَةُ فِيهِ حَفْلَها ... وَرَأَتْ بَغْدَادُ فيه مُنْتَدَاها(٧٩)

مَنْ رَسُولِى لِأَعارِيبِ اللِّوَى؟ ... أَيْنَ أَعْرَابُ اللِّوَى أَيْنَ لِوَاها؟(٨٠)

أَنَّ مِصْرًا بَعَثَتْ آدابَها ... وأبا الفاروق قَدْ أَحْيا لُغاها(٨١)

وَبَنَى اليومَ عُكاظاً ثانياً ... تَاهَ إِعْجَاباً بِه الدَّهْرُ وبَاهَى(٨٢)

هَلْ حَبا الآدَابَ تاجٌ مِثْلَمَا ... صاحِبُ التَّاجِ بِمِصْرٍ قَدْ حَبَاها؟(٨٣)

أَنْهَضَ التَّأْلِيفَ مِنْ كَبْوَتِهِ ... فَسَقَى الأَحْلَامَ رُشْداً وَغَذَاها(٨٤)

كَمْ كِتَابٍ دَوَّنَتْ أَخْبَارُهُ ... مِنَناً، كان فؤادُ مُبْتَدَاها(٨٥)

رَحَلَ الأَعْلَامُ فِى الغَرْبِ إِلَى ... سُدَّةٍ يَسْطَعُ بِالْعِلْمِ سَنَاها(٨٦)

فَرَأَوْا مَمْلَكَةً وَثَّابَةً ... ومَلِيكًا بِهُدَى اللهِ رَعَاها(٨٧)

دُمْ فُؤَادَ القُطْرِ، تَحيَا أُمَّةٌ ... لَمْ يَكُنْ إِلَّاكَ يَوْماً مُرْتَجاها(٨٨)

وَسَمَا الفَارُوقُ نَجْمًا ساطِعاً ... لِبَنِي مِصْرَ وَعُنْوَانَ عُلَاها(٨٩)

---

(٧٩) البصرة وبغداد : مدينتان لهما تاريخها الزاهر بالحضارة العربية . المنتدى : مجتمع القوم للسمر والتشاور .

(٨٠) يريد «بأعاريب اللوى» العرب فى باديتهم . اللوى : منعطف الوادى .

(٨٢) عكاظ : سوق للعرب معروفة ، كانوا يتناشدون فيها الأشعار ويخطبون .

(٨٣) حبا : أعطى ومنح . تاج ، أى صاحب تاج ، ويريد : ملكا .

(٨٤) الكبوة : العثرة والسقطة . الأحلام : العقول . الرشد : الهدى والصلاح . غذاها : أمدها بما ينميها وينشئها .

(٨٥) المنن : العطايا . مبتداها : أصلها .

(٨٦) السدة : بيت الملك . السنا : الضوء .

(٨٨) مرتجاها : أملها ورجاؤها .

مصرُ الوالِهَة

في رثاء الملك فؤاد المتوفى في الثامن والعشرين من إبريل سنة ١٩٣٦ م .

جَلَلٌ ، هَزَّ كلَّ رُكْنٍ وهَدَّا   ومصابٌ ، رَمَى القُلوبَ فأَرْدَى (١)

كلُّ صَدْرٍ به أَنينٌ وَوَجْدٌ   مُرْسِلٌ خَلْفَه أَنيناً ووَجْدا (٢)

عَبَراتٌ ، من ساكبٍ ليس تَرْقَا   ووَجيبٌ ، مِنْ خافقٍ لَيْس يَهْدَا (٣)

ونشيجٌ ، أَقضَّ من مَضْجَعِ اللَّيْلِ ،   وماجتْ له الكواكبُ سُهْدا (٤)

* * *

فزِعَتْ مصرُ فزْعةً طارَ فيها   كلُّ عقْلٍ عن الرَّشادِ ، وندَّا (٥)

هَرَعَتْ ساعةَ الوَداعِ تُفيضُ الدَّمْعَ   بَحْراً ، وتُرسِلُ الشَّوقَ وقْدَا (٦)

أُمَّةٌ هالَها المُصابُ فهامَتْ   تستَحِثُّ الخُطَا ، شُيوخاً ومُرْدا (٧)

---

(١) جلل : خطب عظيم . كل ركن : كل ناحية . أردى : أفنى وأهلك .

(٣) ترقا : تجف وتنقطع . الخافق : القلب .

(٤) النشيج : البكاء يغص به الباكى فى حلقه من غير انتحاب . ماجت الكواكب : اضطرب سيرها واختلف .

(٥) ند : نفر وذهب .

(٦) وقدا : أى حارا بنار الحزن .

(٧) المرد : جمع أمرد . وهو الشاب لم يطرّ شاربه ولم تنبت لحيته .

خَرَجَتْ مِن خِبائِها كُلُّ خَوْدٍ ... لم تُقنِّعْ رأساً ، ولم تُخْفِ خَدًّا[8]

أعْجَلَتْها مُصيبَةُ الوَطنِ المفْجُوعِ ... أنْ تَخْتَبِى ، وأنْ تَتَرَدَّى[9]

زُمَرٌ تَلْتَقِى على الحُزْنِ واليأْ ... سِ ، وحَشْدٌ بَاكٍ يُزاحِمُ حَشْدا[10]

وبِحَارٌ من الأناسِيِّ ماجَتْ ... مُزْبداتٍ ، يَجِشْنَ جَزْرًا ومَدًّا[11]

وجِبَالٌ تَسِيرُ فى يَوْم حَشْرٍ ... كلُّ فِنْدٍ تَراهُ يَتْبَعُ فِنْدا[12]

فوْق سَطْحِ البُيوتِ كالنَّحْلِ فانظُرْ ... ثُمَّ إيَّاكَ أنْ تُحَاوِلَ عَدًّا[13]

كلُّ بَيْتٍ قدْ عَافَ أحْجارَهُ الصُّمَّ ، ... وأضْحَى دَماً ولَحْماً وجِلْدا[14]

والمَيادِينُ كُلُّها أُمَمٌ تُزْ ... جَى ، كما تُكْدَسُ السَّحائبُ رُبْدَا[15]

فإذا شئْتَ أن تَرَى الأرضَ أرْضاً ... كُنْتَ ممن يُحاولُ الأمْرَ إدًّا[16]

نَفَسٌ واحدٌ جميعاً ، وقلبٌ ... (لفؤاد) يَئِزُّ شَوْقاً وَصَهْدا[17]

ودُعاءٌ يَمُرُّ بالصَّدْرِ بَرْقاً ... فإذا انْسَابَ منه أصْبَحَ رَعْدا[18]

وخُشوعٌ من الجَلالِ تَراءَى ... وجَلالٌ من الخشوعِ تَبَدَّى[19]

حَمَلوه ، وإنما حَمَلُوا آ ... مَالَ شَعْبٍ ، بزَهْرِها الغَضِّ تَنْدَى[20]

حَمَلوا حامِيَ الحَقِيقةِ والدِّينِ ، ... كما تَحْمِلُ الملائكُ عَهْدا[21]

حَمَلوا كَوْكباً أشَعَّ على مِصْـ ... ـرَ سَناً مُبْصِراً وهَدْياً وسَعْدا[22]

* * *

---

(٨) من خبائها : أى من خدرها . الخباء (فى الأصل) : ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر ، ويكون على عمودين أو ثلاثة . ويريد هنا مكنها وبيتها . الخود : المرأة الشابة .

(٩) تتردى : تضع عليها رداءها .

(١١) ماجت : اضطربت . مزبدات : قاذفات بالزبد ، وذلك لا يكون إلا فى ثورة البحر وهيجانه . يجشن : يهجن ويضطربن . مد البحر وجزره : ارتفاعه واستطالته إلى ناحية مرة ، ثم رجوعه عنها مرة أخرى .

(١٢) الفند : الجبل العظيم . وفيه إشارة إلى قوله تعالى : وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب .

(١٤) عاف : مل وكره .

(١٥) تزجى : تساق وتدفع . تكدس ، أى يركب بعضها بعضا . الربدة : الغبرة .

(١٦) الإد : الأمر العظيم .

(١٧) النفس : الزفرة ينفثها المحزون . أزيز القدر : صوتها عند غليانها .

(٢٢) أشع : نشر ضوءه . سنا مبصرا : أى نورًا يهتدى الناس به ويبصرون .

ما عَلَى الدّهْرِ مَرَّةً لَوْ تَوَانَى ؟ أو عَلَى الدَّهْرِ ساعة لو تَهَدَّا ؟[٢٣]

لَفَحَتْ رِيحُهُ أزاهيرَ آما لِ ، ملأنَ الوُجودَ مِسْكًا ونَدًّا[٢٤]

وَعَلَتْ كَفُّهُ عَلَى دَوْحةٍ كا نتْ تَمُدُّ الظِّلالَ فى مِصْرَ مَدًّا[٢٥]

وَجَدَتْ مِصْرُ فى ذَراها سَلاماً وطَوَتْ فى ظِلاَلِها العَيْشَ رَغْدا[٢٦]

قدْ نَعَيْنا فَرداً به كان عَصْراً وفَقَدْنا عَصراً به كان فَرْدا[٢٧]

دَوْلةٌ فاقت الكواكِبَ نُوراً وأنافَتْ عَلَى الكواكبِ بُعْدا[٢٨]

علَّمَتْ كلَّ مَالِكٍ كيف تُرْعَى أُمَمٌ حاطَها المُلوكُ وتُهْدَى[٢٩]

* * *

رفع الشَّرقُ رأسَه (بِفُؤَادٍ) ونَضَا عَنْه يأسَهُ فاسْتَجَدّا[٣٠]

ومَضَى يَسْبِقُ الخَوَاطِرَ وثْباً وجَرَى يُجْهِدُ الأمَانِيَّ وَخْدا[٣١]

وأتَتْ كلُّ أمّة ترتجى (مِصْرَ) وِدَادًا ، وتَنْهَلُ العلم وِرْدا[٣٢]

كَعْبَةٌ حَجَّتْ الوُفُودُ إليها تَسْتَحِثُّ الرِّكابَ وَفْدًا فَوَفْدا[٣٣]

حَفَزَتْها لعَرْشِ (مِصْرَ) أمانٍ بِنَشِيدِ الوَلاَءِ والحُبُّ تُحْدَى[٣٤]

فَرأتْ حَزْمَ جاهِدٍ لَنْ يُبارَى ورأتْ جُهْدَ حازمٍ لن يُحَدّا[٣٥]

أبصَرُوا المُلكَ فى جَلالةِ مَغْنا هُ ، يُباهِى السَّماءَ عِزًّا ومَجْدا[٣٦]

أبْصَرُوا دَوْلةً ومُلْكاً كَبيرًا ومِراساً يُعْيِى الزَّمانَ وجُهْدا[٣٧]

---

(٢٣) توانى : لم يبادر ولم يتعجل . وتهدا : أى تمهل وأبطأ .

(٢٤) لفح الرياح : حرها . الأزاهير : الأزهار . الند : العنبر ، وقيل هو عود يتبخر به .

(٢٦) الذرا (بالفتح) الكنف والجانب .

(٢٨) أنافت : زادت .

(٣٠) نضا عنه يأسه : رمى به وطرحه . فاستجدا : أى فعاد جديدا بما صار اليه .

(٣١) الخواطر : ما يخطر بالقلب ويهجس فى النفس . الوخد : ضرب من المشى فيه إسراع واهراع .

(٣٢) تنهل : تشرب . الورد : مورد الشاربة .

(٣٣) الكعبة : البيت الحرام بمكة .

(٣٤) حفزتها : أعجلتها وأسرعت بها . تحدى : من الحداء ، وهو أن تغنى للابل تدفع بذلك عنها ملال السير .

هِـمّـةٌ تَـفْـرَعُ الـنُّـجومَ ، وعَزْمٌ　　سلَبَ السَّيْفَ حدَّه والفِرِنْدَا[٣٨]
ومَضَـاءٌ فى الـحَـادِثـاتِ بـرأيٍ　　فَضَح الصُّبْحَ نُورُه وتَـحدَّى[٣٩]
يَسـتـمـدُّ الإلهامَ من عـالِـمِ الـغَـيْـبِ ، وأجْـدِرْ بمثله أنْ يُـمَدّا[٤٠]

* * *

دَفَـعَ الشـعْـبَ لـلسبيل فكانت　　من سَنا هَدْيه أماناً ورُشْدا[٤١]
مُـلْـهِبا عَزْمَه إذا اجتازَ غَوْرًا　　مُسْـتَـحِـثًّا إذا تسلَّقَ نَجْدا[٤٢]
كـلَّما خَـارَ أجـزأتْ بـسـمـةٌ مِـنْـه ، فَـمدَّ الـخُطَا حَثِيثا وجَدّا[٤٣]
ومَضَى كـالـقَضَاءِ يَهْوِى لِـمَرْمَا　　هُ ، جَريئاً مُجَمَّعَ القَلْبِ جَلْدَا[٤٤]
يَبْهَرُ الصَّخرَ أنْ يَرَى منه صَلْدًا　　آدمىُّ الـرُّواء ، يَـقْـرَعُ صَـلْدا[٤٥]
لا يُبالِى ـ إذا سَعَى للمعَالى ـ　　خَبَط الشَوْكَ ، أم تَوطَّأَ وَرْدَا ؟[٤٦]
و (فُؤَادٌ) أمـامَـه خَـيْـرُ هـادٍ　　قـادَ لِلْغَايةِ البَعيدَةِ جُنْدا[٤٧]
كـانَ لِـلْـمُـقْـدِمين رُوحـاً وقَلْبـاً　　ولِرَكْب السَّارِينَ كَفًّا وزَنْدا[٤٨]
لـو دَعَـاهُـم إلى الـنُّجوم لَسَارُوا　　خَلْفَه يُزْمِعُون للنَّجْمِ قَصْدا[٤٩]
وإذا الـيأسُ مَسَّهُم كان عَطْفاً　　وسَلاماً عَلَى القُلُوبِ وبَرْدا[٥٠]

---

(٣٨) تفرع : تعلو . فرند السيف : وشيه وجوهره .
(٤١) السبيل : الطريق . سنا هديه : أى نور هدايته .
(٤٢) ملهبًا : مثيرًا مهيجًا . الغور : ما انخفض من الأرض ، مستحثًا : حاضا .
(٤٣) خار : ضعف وفتر . أجزأت : نابت وأغنت .
(٤٤) الجلد : القوى الشديد .
(٤٥) يبهره ، أى يفوقه بقوته فيدهشه . الصلد : الصلب . وآدمى الرواء : أى فى صورة الآدميين . يقرع : يضرب .
(٤٦) خبط الشوك : وطئه وداسه . ومثله فى ذلك ، توطأ .
(٤٨) المقدمون : الجادون . الزند : موصل طرف الذراع فى الكف . الزند أيضًا : العود الأعلى الذى تقتدح به النار .
(٥٠) بردا : راحة وطمأنينة .

نَـظْـرةٌ مِـنْـه تَبْعَثُ الأَمَلَ الوَا ... نِى ، وتُحْيِى منه الذى كان أوْدَى[٥١]

* * *

كان رِدْءًا لِمصْرَ إنْ جَارَ دهْرٌ ... وصِمَـاماً لأمْنِها إنْ تَعَدَّى[٥٢]

ساسَ بالحِكْمةِ البِلَادَ ، فكانَتْ ... من عَوَادِى الزّمانِ دِرْعا وسَدّا[٥٣]

فَهْو إنْ شَاءَ صيّر الغِمْدَ سيْفاً ... وإذا شاء صَيّر السَّيْفَ غِمْدَا[٥٤]

قـد أعـدّتْـه رَحْـمـةُ اللهِ لِـلْحُكْـمِ ، كَرِيماً مُبَارَكاً ، فاسْتَعَدّا[٥٥]

ورَعَى اللهَ فى الـرّعِـيّـةِ والـمـلـكِ ، فوفّى حقَّ الإلـهِ وأدّى[٥٦]

أيـنَما سِـرْت مَشْـرِقاً تَلْقَ شُكْرًا ... أو توجّهْتَ مَغْرِباً تَلْقَ حَمْدا[٥٧]

وإذا اللهُ رَامَ إصْلاحَ شَـعْبٍ ... سَلَكَ القَـائدُ الطّرِيقَ الأسَدّا[٥٨]

إنّما الـنّـاسُ بالـملوكِ ، وأغْلَى الـمُلْكِ شَأْوًا ماكانَ حُبّا وَوُدّا[٥٩]

* * *

رَد بالْحَزْم كلَّ خَطْبٍ سِوَى المَوْ ... تِ ، ولِلْمَوْتِ صَوْلَةٌ لَنْ تُرَدّا[٦٠]

والـفَتَى فى الْحَياةِ رهْنُ عَوَادٍ ... لايَـرَى دُونَ مُـلْـتَقَاهُن بُدّا[٦١]

حَـكَـمَ الموتُ فى الأنَـامِ فَسَوّى ... لم يَدَعْ سَيّدا ، ولم يُبْقِ عَبْدا[٦٢]

بَـيْـنَما يَسْـحَقُ الـنّمَالَ تَـراهُ ... بـاسِطاً كفّه لِيَقْبِضَ أُسْدا[٦٣]

* * *

يامَلِيكى ، والْحُزْنُ يَطْحَنُ نَفْسِى ! ... كلّما قُلْتُ : خَفّ . قال : سأَبْدا[٦٤]

أيْنَ عِزُّ الـمُلْكِ الـذّى كانَ للآ ... مالِ فى سَوْحِهِ مَرَاحٌ ومَغْدَى ؟[٦٥]

---

(٥١) الوانى : الفاتر الواهى . أودى : أى فنى وذهب .

(٥٢) الردء : العون والناصر . جار : بغى .

(٥٩) الشأو : الغاية والمدى .

(٦٠) الخطب : المكروه . الصولة : السطوة والقهر .

(٦١) العوادى : جمع عادية ، وهى ما يلم بالانسان من مكروه .

(٦٥) السوح : جمع ساحة ، وهى الناحية . ومراح ومغدى : أى رواح وغدو .

أينَ تلكَ الهِبَاتُ للعِلْمِ تُزْجَى كلُّ رِفْدٍ فيها يُزَاحِمُ رِفْدا ؟ (٦٦)
أينَ أينَ القُصَّادُ فى ساحةِ القَصْـرِ ؟ وأين الصِّلاتُ تُعْطَى وتُسْدَى ؟ (٦٧)
أين ذاكَ الْجَبِينُ ينضَحُ نُورًا ؟ أين ذاكَ الْحَدِيثُ يَقْطُر شَهْدا ؟ (٦٨)
قد فَقَدْنَاهُ والمُصَابُ جَلِيلٌ وجَمِيلُ العَزَاءِ بالْحُرِّ أجْدَى (٦٩)
نحنُ للهِ راجِعُون ، وكُلٌّ بالغٌ فى مَجَالَةِ العُمْرِ حَدّا (٧٠)
غَيرَ أنَّ الفَتَى يُغَالِبهُ الدَّمْعُ ، فلا يستطيعُ للدَّمْعِ صَدّا (٧١)
كلُّ مَهْدٍ يَصيرُ مِنْ بَعْدِ حينٍ - قَصُرَ العُمْرُ أو تطَاولَ - لَحْدَا (٧٢)

* * *

قَدْ مَلأْتَ الوُجودَ شَدْوًا بِمَنْحِيكَ ، وهَل غيْرُ مِزهَرِى بكَ أشْدَى ؟ (٧٣)
خَالِداتٌ مِنَ الجلائِلِ أوْلَتْ شِعْرِىَ المُزْدَهِى بوصْفِكَ خُلْدا (٧٤)
كَتبَ اللهُ أنْ يَعُودَ رِثَاءً وبُكَاءً يُدْمِى العيونَ وكَمْدا (٧٥)
قد نَظَمْتَ العُلاَ قِلادَةَ دُرٍّ فَنظمْتُ الدّموعَ أرْثِيكَ عِقْدا (٧٦)

* * *

أمَلُ الشَّعْبِ فى خَلِيفَتِك الْفَا رُوقِ أحْيَا آمالَه وأجَدّا (٧٧)
قرأ الشَّعْبُ فى مَلاَمِحِه الغُرِّ سُطورَ المُنَى وأبْصَر جَدّا (٧٨)
ورأى فيه نَبْعَةَ المجدِ والنُّبْلِ : أباً مُفْرَدَ الجلالِ وجَدّا (٧٩)

---

(٦٦) الرفد : الصلة والعطاء .

(٧٠) المجالة : الساحة والميدان يجال فيها ويطاف . شبه بها فسحة العمر وحياة الانسان .

(٧٣) شدوا : ترنما . المزهر : العود يضرب به . اشدى : أى أحسن شدوًا وتطريبًا .

(٧٤) أولت : أعطت ووهبت .

(٧٦) القلادة : ما يجعل فى العنق من الحلىّ . نظمها : تأليف حباتها وجمعها .

(٧٧) وأجدّا : أى صيّره جديدًا .

(٧٨) الملامح : ما بدا من محاسن الوجه . الغر : الجميلة الحسنة . سطور المنى : ما ينطق بتحقيق الرجاء . الجد (بالفتح) : الحظ والسعد .

(٧٩) النبعة (فى الأصل) : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسىّ ومن أغصانه السهام .

لم يـجـدْ لـلـعُلاَ سواه مَـثِـيلاً ولـبَـدْرِ الـسـمـاء إلاّهُ نِـدّا[80]

رحـمـةُ اللهِ لـلـمـليكِ الـمُسَجَّى ! ورَعَتْ عيـنُـه المليكَ الـمُفَدَّى[81]

(81) المسجى : الميت قد مد عليه غطاء . المفدى : الذى يفدى بكل عزيز .

إلى الأستاذ الإمام

قيلت هذه القصيدة والشاعرُ طالب بالأزهر سنة ١٩٠١ م وكان يتلقى دروس البلاغة والتفسير على الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، فمدحه بهذه القصيدة ونحا فيها منحى الشعراء المتقدمين فى الوصف والأسلوب ، وندّ عن الذاكرة عدد غير قليل من أبياتها .

الْمَجْدُ فَوْقَ مُتُونِ الضُّمَّرِ الْقُودِ	تَطْوِى الْفَلاَ بَيْنَ إِيجَافٍ وتَوْخِيدِ [١]
إِذَا رَمَتْ عُرُضَ صَيْهُودٍ مناسِمُها	رَمَتْ إِلَيْهَا اللَّيَالِى كُلَّ مَقْصُودِ [٢]
أَوْ مَزَّقَتْ طَيْلَسَانَ اللَّيْلِ مِنْ خَبَبٍ	كَسَتْ خَيَالَ الأَمَانِى ثَوْبَ مَوْجُودِ [٣]
تُدْنِى مِنَ الْمَجْدِ إِنْ شَطَّ الْمَزَارُ بِهَا	فَحَبَّذَا هُوَ تَقْرِيبٌ بِتَبْعِيدِ ! [٤]
الْمَجْدُ بالسيْفِ إِنْ عَزَّتْ وَسَائِلُهُ	لاَ يُغْمِدُ الْحَقُّ سَيْفٌ غَيْرُ مَغْمُودِ [٥]
فَكَمْ شَقَقْتُ فُؤَادَ الْبِيدِ مُنْصَلِتاً	مَنْ يَطْلُبِ المَجْدَ لاَ يَبْخَلْ بِمَجْهُودِ [٦]
تَرْمِى التَّنُوفَةُ بِى أُخْرَى بِجَانِبِهَا	وَأَقْطَعُ الْبِيدَ بَعْدَ الْجَهْدِ لِلْبِيدِ ! [٧]

(١) المجد : العز والشرف . المتون : جمع متن وهو الظهر . الضمر : جمع ضامر وهو الناقة أو الجمل الذى أصابه الضمور والهزال من كثرة الأسفار . القود : جمع أقود وهو البعير الشديد العنق . الفلا : جمع فلاة وهى القفر ، أو المفازة لا ماء فيها ، وطى الفلوات اجتيازها وقطعها بالسير فيها . الايجاف : ضرب من سير الابل والخيل . التوخيد : ضرب آخر من سير الابل ، وهو الاسراع أو سعة الخطو ، أو أن يرمى البعير بقوائمه كمشى النعام .

(٢) عرض الشيء : ناحيته وجانبه . الصيهود : الفلاة لا ينال ماؤها ، المناسم : جمع منسم وهو خف البعير .

(٣) الطيلسان : من لباس العجم كساء مدور كان يلبسه الخواص من العلماء . الخبب : ضرب من العدو ، أو كالرمل ، أو أن ينقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا ، أو أن يراوح بين يديه ، أو هو السرعة .

(٤) تدنى : تقرب . شطّ : بعد . المزار : الزيارة .

(٧) التنوفة : المفازة ، أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف ، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس .

كأنَّنى الكأْسُ بَيْنَ الشَّرْبِ مُتْرَعَةً   يُديرُها القَوْمُ مِنْ بِنْتِ العَناقِيدِ(٨)
فِى كُلِّ يَهْماءَ لم يَعْبُرْ مَناكِبَها   طَيْفٌ مِنَ الجِنِّ إلاَّ خافَ أَنْ يُودِى(٩)
لا يُرْسِلُ الطَّرْفُ فى مَيْدانِها قَدَماً   إلاَّ بِزَجْرٍ وَإيعادٍ وتَهْديدِ(١٠)
إذا بَدا الفَجْرُ ظَنَّتْهُ ضَراغِمُها   سَيْفاً فَكَرَّتْ إلَيْهِ كَرَّ صِنْديدِ(١١)
وَأَقْبَلَتْ لِغَديرِ الماءِ وَاثِبَةً   تَظُنُّهُ لأْمَةً مِنْ نَسْجِ داوُدِ(١٢)
فَكُنْتُ بَيْنَ مَرُوعِ القَلْبِ مُرْتَجِفٍ   كأنَّنى صارِمٌ فى كَفِّ رِعْديدِ(١٣)
أَطْوِى الدُّجَى فإذا ما اليأْسُ أَدْرَكَنى   وَفَلَّ عَزْمى بِسَيْفٍ مِنْهُ محدُودِ(١٤)
ذَكَرْتُ عَزْماً مِنَ الأُسْتاذِ فاتَّجَهَتْ   عَزِيمَتِى بَيْنَ إقْدامٍ وَتَسْديدِ(١٥)
وَسِرْتُ مِثْلَ قَضاءِ اللهِ لَيْسَ لَهُ   نَقْضٌ وَلا سَهْمُهُ يَوْماً بِمَرْدُودِ(١٦)
مَوْلاىَ عَلَّمْتَنِى كَيْفَ الثَّباتُ إذا   لَمْ يَتْرُكِ الرُّعْبُ قَلْباً غَيْرَ مَزْءُودِ(١٧)
عَلَوْتَ فازْدَدْتَ بَيْنَ النّاسِ مَعْرِفَةً   وَالنَّجْمُ يَعْلو فَيَبْدُو شِبْهَ مَفْقُودِ !(١٨)
وَأَصْبَحَ الدِّينُ تَيَّاهاً بِناصِرِهِ   وَالضّادُ تَزْهَى بِتَجْميلٍ وَتَجْديدِ(١٩)
دَعِ الحَسُودَ ، أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ لَهُ   نَفْساً تَفُورُ ، وَحَظّاً غَيْرَ مَجْدُودِ ؟(٢٠)

* * *

يا فارِسَ الشِّعْرِ لا تَجْزَعْ لِنازِلَةٍ   إذا دَعَوْتَ إلَيْها فارِسَ الجُودِ(٢١)
فَنَظْرَةٌ مِنْهُ لَوْ مَسَّتْ ظَلامَ دُجىً   ما زَمَّلَ اللَّيْلُ فى أثْوابِهِ السُّودِ(٢٢)

---

(٨) الشرب : جمع شارب . مترعة : مملوءة . بنت العناقيد : كناية عن الخمر .
(٩) اليهماء : الفلاة لا يهتدى فيها . المناكب هنا : الأنحاء . يودى : مضارع أودى أى هلك .
(١٠) الطرف : الفرس الكريم . الإيعاد : الوعيد لا يكون إلا فى الشر .
(١٢) اللأمة : الدرع وقد اشتهر نبى الله داود عليه السلام بصنع الدروع .
(١٣) الروع : الفزع ، مروع القلب : خائف فزع . مرتجف : مضطرب . الصارم : السيف القاطع .
(١٤) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة . فله : ثلمه وكسره . محدود : مسنون قاطع .
(١٥) التسديد : التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل .
(١٧) المزءود : المذعور الخائف .   (٢٠) فارت القدر : جاشت وغلت . غير مجدود : غير سعيد .
(٢١) يريد بفارس الشعر نفسه . الجزع : ضد الصبر . النازلة : الكارثة والشديدة من شدائد الدهر . الجود : السخاء .
(٢٢) زمله فى ثوبه : لفه .

رثاء الزهاوى

أقامت الحكومة العراقية حفلا جامعاً لتأبين شاعرها الكبير «جميل صدقى الزهاوى» دعت إليه شعراء الأقطار العربية ومن بينهم الشاعر. وقد ألقيت هذه القصيدة ببغداد فى ١٢ من فبراير سنة ١٩٣٧ م.

جَفَا الرَّوْضَ مُغْبَرُّ الأَسارِيرِ مَاطِرُهْ ! ... وغَادَرَه قَفْرَ الخمَائِلِ طَائِرُهْ ! [١]

ذَوَى نَبْتُه بَعْدَ البَشَاشَةِ وارْتَمَتْ ... مُصَوَّحَــــةً أَثْمارُه وأَزَاهِــــرُه [٢]

تَلَفَّتُّ : أَيْنَ الرَّوْضُ ، أينَ مكانُه ... وأَيْنَ مَجاليه ، وأَيْنَ بَوَاكِرُه ؟ [٣]

وأَيْنَ الذى لَمْ يَطْرُقِ الأُذْنَ مِثْلُه ... إذا صَدَحَتْ فَوقَ الغُصُونِ مَزاهِرُهْ ؟ [٤]

حَمَائِمُ أَلْهَاها النَّعِيمُ عَنِ البُكَا ... وأَذْهَلَها عن عابِسِ العَيْشِ نَاضِرُه [٥]

إذا أَرْسَلَتْ أَلْحانَها فى خَمِيلةٍ ... تَوَثَّبَ زَهْرُ الرَّوْضِ واهتَزَّ عاطِرُه [٦]

لها صَوْتُ دَاودٍ وحُسْنُ رَنِينِه ... إذا ما عَلَتْ مَتْنَ النَّسِيمِ مَزَامِرُهْ [٧]

إذَا بَدَأَتْ أَشْجَاكَ أَوَّلُ صَوْتِها ... وإنْ سَكَتَتْ أَعْيَا بَيَانَكَ آخِرُه [٨]

---

(١) الأسارير: الخطوط فى الوجه. اغبرار الأسارير: كناية عن العبوس والتجهم. ويريد بالطائر: الفقيد.

(٢) ذوى: ذبل. ويريد بالبشاشة: اخضرار النبت وتفتح أزهاره. مصوّحة: يابسة ذابلة. الأزاهر: الأزهار.

(٣) مجاليه: ما تجتليه وتستمتع به من محاسن الروض. البواكر: أول ما يدرك من الثمر والزهر.

(٤) المزاهر: هو العود يضرب به.

(٦) الخميلة: الشجر الكثير الملتف. عاطر الزهر: الرائحة العطرة منه.

(٧) داود: هو نبى الله دواد عليه السلام. وقد وهب الله له صوتا عذبا رخيما. المتن: الظهر. مزامره: ماكان يترنم به من الأدعية والأناشيد.

وإنْ هَتَفَتْ فى الدَّوْحِ مَالَ كَأنَّما ... يُسَايِرُها فى لَحْنِها وتُسَايِرُه[٩]
تَحَدَّتْ فُنُونَ المَوْصِلىِّ وطَوَّحَتْ ... بأَنْفَسِ ما ضُمَّتْ عَلَيْه بَنَاصِرُه[١٠]
أُولـئِك أَوْتَارُ الإِلَـهِ وصُنْعُهُ ... إذا عَزَفَتْ فَلْيُسْكِتِ الْعُودَ وَاتِرُه[١١]
أَلَمَّتْ بأَسْرَارِ النُّفُوسِ فَتَرْجَمَتْ ... كَمَا فَسَّرَ الْحُلْمَ المحجَّبَ عَابِرُه[١٢]
يُصِيخُ إلَيْها أسْوَدُ اللَّيْلِ باسِماً ... فتفتَرُّ عَنْ زُهْرِ النُّجُومِ مَشَافِرُه[١٣]
يَوَدُّ لَو أنَّ الغِيدَ ضَمَّتْ شُعورَها ... إلى شَعْرِهِ الدَّاجى فطَالَتْ غَدَائِرُه[١٤]
ويَرْجُو لَو انَّ الفَجْرَ عُوِّقَ خَطْوُه ... وطَاشَ به نَائِى الطَّرِيقِ وجَائِرُه[١٥]
وزَلَّتْ بشُطْآنِ المَجَرَّةِ رِجْلُهُ ... فَطَوَّحَه فى غَمْرَةِ اليَمِّ زَاخِرُه[١٦]
سَلِ الرَّوْضَ إن أَصْغَتْ إلَيْكَ رُسُومُه ... مَتَى رُوِّعَتْ أَطْلاَؤُه وجَآذِرُه ؟[١٧]
وأَيْنَ الغَدِيرُ العَذْبُ طَابَ وُرُودُه ... لِذِى الغُلَّةِ الصَّادِى وطَابَتْ مَصَادِرُه؟[١٨]
إذا فَاضَ بَيْنَ الزَّهْرِ تَحْسَبُ أَنَّه ... يَمَانِىُّ بُرْدٍ أَذْهَلَ التَّجْرَ نَاشِرُه[١٩]
تَأَزَّر مِنْ أَثْوابِه الرَّوْضُ واكْتَسَى ... فَرَقَّتْ حَوَاشِيه ، وطَالَت مَآزِرُه[٢٠]

---

(٩) الدوح : العظيم من الشجر . الواحدة ، دوحة .

(١٠) يريد بالموصلى : إبراهيم أو ابنه اسحاق ، وكلاهما له فى الغناء والضرب شهرة واسعة . طوحت : نبذت وطرحت . البناصر : جمع بنصر ، وهى الأصبع التى بين الوسطى والخنصر .

(١١) واتر العود : الذى يشد أوتاره ليضرب عليها .

(١٣) يصيخ : يلقى إليها بسمعه هادئا ساكناً . وتفتر : تنفرج . زهر النجوم : الوضاءة المتلألئة . المشافر : الشفاة وهى فى الأصل للبعير . ثم استعملت للانسان .

(١٥) جائره : غير السوى .

(١٦) الشطآن : جمع شاطئ . المجرة : نجوم كثيرة لاتدرك بمجرد البصر وإنما ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بياض مختلط ، والعرب تشبهها بالنهر . زاخره : مياهه الطامية .

(١٧) رسومه : ما بقى من آثاره . والأطلاء : أولاد الظباء ، الواحد : طلا (بالتحريك) . الجآذر : أولاد البقر الوحشى . الواحد : جوْذر .

(١٨) الورود والمصادر : إتيان الماء والرجوع عنه .

(١٩) البرد اليمانى : نوع من الثياب مخطط موشى . التجر : التجار . الواحد تاجر .

(٢٠) تأزر : لبس الازار ، وهو الثوب . الحواشى : جوانب الثوب . ويكنى برقة الحواشى عن الحسن والجمال . كما يكنى بطول المآزر عن التيه والدلال .

تَـدُورُ بـه جَـمٌّ البَلابِل مُطْرِقاً ... ولَمْ تَدْرِ أنَّ الدَّهْرَ دَارَتْ دَوَائِرُهْ ! (٢١)
وتُصْغِي ، فلا يَجْتازُ سَمْعَكَ نَغْمَةٌ ... سِوَى أنَّةٍ يُلْهِي بها الْحُزْنَ قاهِرُه (٢٢)
وتَدْعُو ، فلا تَلْقَى مُجِيباً سِوى النَّوَى ... تُطَارِح مَطْوِىٌّ الأسَى وتُحَاوِرُه (٢٣)
وَقَفْتُ به ، والقَلْبُ يَخْبِسُ وَجْدَه ... فَيطْغَى ، ودَمْعُ العَيْنِ يَنْهَلُّ بَادِرُه (٢٤)
وما وَقْفَتِى بَيْنَ الرِّيَاضِ وقَدْ عَفَتْ ... سِوَى حَاجَةٍ يَقْضِى بها الْحَقَّ نَاذِرُه (٢٥)
أرَى ! مـا أَرَى إلاَّ غُـبـاراً أثَارَه ... خَمِيسُ اللَّيالِى حِينَما ثَارَ ثَائِرُه (٢٦)
مضَى الطَّائِرُ الصَّدَّاحُ فالأُفْقُ مُوحِشٌ ... حَزِينُ النَّواحِى ، عابِسُ الوَجْه باسِرُهْ (٢٧)
وَأَوْدَى (الزَّهَاوِى) فانْتَهى مَلْعَبُ النُّهَى ... وأُطْفِئَتِ الأنْوارُ ، وانْفَضَّ سَامِرُهْ (٢٨)
أقَامَ عَلَى رَغْمِ النُّبُوغِ بِحُفْرَةٍ ... وسارَتْ عَلَى رَغْمِ المَنُونِ سَوائِرُه (٢٩)
وغَـادَر عَـرْشَ الـلَّوْذَعِـيـةِ رَبُّـه ... وخَلَّى نَدِىَّ العَبْقَرِيَّةِ شاعِرُه (٣٠)
دَعُوا ذِكْرَ إعْجَازِ البَيَان وسِرِّهِ ... فقَدْ غَابَ عَنْهُ طِيلَةَ الدَّهْرِ ساحِرُه (٣١)
له خاطِرٌ لَوْ سَابَقَ البَرْقَ فى الدُّجَى ... لَجَلَّى عَلَى بَرْقِ السَّموَاتِ خَاطِرُه ! (٣٢)
تَمَلَّكَ حُـرَّ الشِّـعـرِ سِنُّ يَـرَاعِـهِ ... فَيَا عَجَبا أنْ حَرَّرَ الشِّعْرَ آسِرُهْ (٣٣)
تَـمَـنَّى الـعَذَارَى لو تَـقَـلَّدْنَ دُرَّهُ ... ورَفَّتْ عَلَى أَجْيَادِهِنَّ جَوَاهِرُه (٣٤)

---

(٢١) البلابل : الوساوس والهم الشديد .
(٢٣) النوى : الفرقة والشتات . المطارحة : المحاورة . مطوى الأسى : الحزن الكمين .
(٢٤) الوجد : شدة الحزن . ينهل : ينصب فى شدة . بادر الدمع : ما يسبق منه .
(٢٥) عفت : درست وانمحت . وناذر الحق : من أوجب على نفسه قضاءه والوفاء به .
(٢٦) الخميس : الجيش . خميس الليالى : شدائدها وهمومها التى تكر بها وتعدو . ثار ثائره : هاج هائجه .
(٢٧) عابس الوجه باسره : أى إن صفحته قد حالت من إيناع وازدهار إلى ذبول وجفاف .
(٢٨) أودى : مات . النهى : العقول . الواحدة نهية . ملعب النهى : حيث تتبارى العقول فى الاتيان بكل عجيب . السامر : الجماعة من الناس يسمرون ليلا .
(٢٩) سوائره : أى ما سار وذاع مما يوءثر له ويحفظ .
(٣٠) اللوذعية : الفصاحة والبيان . ربه : أى صاحب العرش . الندى : مجتمع القوم . العبقرية : النبوغ وبلوغ الغاية ، ويريد بندى العبقرية : مجتمع رجالها اللسن .
(٣٢) الدجى : الظلام . جلى عليه : سبقه .
(٣٣) اليراع : جمع يراعة ، وهى القلم . تحرير الشعر : تخليصه من شوائبه وعيوبه .

وَيُزْهِي العُيونَ الدُّعْجَ أَنَّ سَوادَها ... شَبِيهٌ بما ضُمَّت عليه مَحابِرُهْ (٣٥)

وما جاشَت الصَّهْباءُ إلاّ لأنَّها ... وقَدْ صَفَّقُوا مَشْمُولهَا ، لا تُناظِرُه (٣٦)

تَمُرُّ به مَرًّا فَيَسْبِيكَ بَعْضُهُ ... وتَقْرَؤُه أُخْرَى ، فَيَسْبِيكَ سَائِرُه (٣٧)

تَرَى فيه هذا الكَوْنَ صُورَةَ حاذِقٍ ... أَحاطَتْ بأَسْرَارِ الحَيَاةِ بَصَائِرُهْ (٣٨)

وتَلْمحُ فيه الرَّأْيَ فى بُعْدِ غَوْرِه ... كما غَاصَ تَحْتَ المَاءِ للدُّرِّ ذَاخِره (٣٩)

وتَلْقَى به الآذِيَّ فى ثَوَرَانِه ... إذا عَقْلُهُ الْجَبَّارُ مارَتْ مَوَائِرُه (٤٠)

له قَلَمٌ لو لامَسَ الطِّرْسَ مَرَّةً ... تَدَانَى له صَعْبُ القَرِيضِ ونَافِرُه (٤١)

لَقَدْ كانَ مِنْظَارَ النُّفوسِ فَلَمْ يَجُلْ ... بِنَفْسٍ هَوىً إلاّ وطَرْفُكَ نَاظِرُهْ (٤٢)

يَلُوحُ بَعِيدُ الرَّأْيِ خَلْفَ زُجاجِهِ ... وحاضِرُ تاريخِ الْحَيَاةِ وغَابِرُه (٤٣)

بَرَاه إلَهُ الْخَلْقِ عَزْماً وَجُرْأَةً ... تَهابُ الرَّواسِي حَدَّه وتحَاذِرُه (٤٤)

وصَوَّرَه عَضْباً تَفِرُّ لِهَوْلِهِ ... ذِئَابُ الدَّنَايا شُرَّداً وَهْوَ شَاهِرُهْ (٤٥)

كَأَنَّ عَصَا مُوسَى أُعِيدَتْ بكَفِّه ... يُصَاوِلُ مَنْ يَرْمِى بها ويُغَاوِرُه (٤٦)

---

(٣٥) يزهي العيون : يجعلها مزهوة فخورة . الدعج : السود .

(٣٦) جاشت : اضطربت ، ويريد فورة الخمر فى الكأس . الصهباء : الخمر . التصفيق : تحويل الشراب من إناء إلى إناء ليصفو . المشمولة : الخمر ، أو الباردة منها ، لأنها تشمل الناس بريحها ، أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال .

(٣٧) يسبيك : يأسرك بسحره وجماله . السائر : البقية .

(٣٩) الغور : العمق . الذاخر : الذى يجمع الدر ويحفظه .

(٤٠) الأذى : الموج . ومارت موائره : ثار ثائره وهاج هائجه .

(٤١) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . نافره : ما استعصى على الذهن وند عن الخاطر .

(٤٢) المنظار : آلة مكبرة . لم يجل : لم يخطر ولم يمر .

(٤٣) يلوح : يظهر . بعيد الرأى : خفيه غير البين منه . الغابر : الماضى .

(٤٤) براه : سواه . وبرى القلم معروف . الرواسى : الجبال الثابتة شموخا وعظمة . حده : سنه .

(٤٥) العضب : القاطع من السيوف . ذئاب الدنايا : أى الدنايا التى هى كالذئاب عدوانا على الفضيلة وافتراسا للخصال الحميدة . شرداً : متفرقة مشتتة . وشاهره : رافعه للقتال .

(٤٦) موسى : هو نبى الله موسى بن عمران عليه السلام ، ومعجزته فى عصاه مشهورة . يصاول : من الصول ، وهو الاستطالة والغلبة . يغاوره : من الاغارة .

يَقُولُ جَرِيئاً مَا يُرِيد ، ورُبَّما ... يَقُول الفَتَى ما لم تُرِدْه سَرَائِرُه [٤٧]
وكَمْ مِنْ فَتًى يَقْضِى بنفْسَيْن عَيْشَهُ ... مَظَاهِرُه نَفْسٌ ، ونَفْسٌ مخَابِرُه [٤٨]
تَراهُ مع النُّسَّاكِ فى خَلَواتِهم ... وفى الْحَانِ قد نَمَّتْ عَلَيْه سَتَائِرُه [٤٩]
لِسَانٌ كما طَالَ الْجَرِيرُ مُسَبِّحٌ ... رِيَاءً ، ومِنْ خَلْفِ اللِّسانِ جَرَائِره [٥٠]
إذا لَم يَكُن فى الْحَرْب قَلْبك بَاتِراً ... فماذَا يُفِيدُ المَرْءَ فى الْحَرْبِ باتِرُهْ ؟ [٥١]
حَنَانَاً له ! كَيْفَ استقرَّتْ به النَّوى ؟ ... وكَيْفَ ثَوَى بَعْدَ التَّلَهُّف حائِرُه ؟ [٥٢]
وهَلْ بَعْدَ لَيْلٍ فى الْحَيَاة مُؤَرِّقٍ ... كَثِيرِ التَّظَنِّى أَبْصَرَ الصُّبْحَ ساهِرُه ؟ [٥٣]

* * *

شَقَقْتُ إِلَيْكَ الطرْقَ والقَلْبُ خافِقٌ ... تُراوِحُهُ آلامُه وتُباكِرُه [٥٤]
تَذَكَّر أُلافاً أَلَمُّوا فَودَّعُوا ... كطَيْفِ خَيالٍ أَرَّقَ الصَّبَّ زَائِرُه [٥٥]
ونَحْنُ حَياةٌ ، والْحَيَاةُ إلى مَدًى ... ولَوْلاَ المُنَى لَمْ يَبْذُرِ الْحَبَّ باذِرُهْ [٥٦]
وإنَّ المُهُودَ الزُّهْرَ - لَوْ عَلِم الفَتَى ... وفَكَّرَ فى غَاياتِهن - مَقَابِرُهْ [٥٧]
سَمَوْتُ إلى بَغْداد والشَّوْقُ نَحْوَها ... يُسَاوِرُنى حِيناً وحِيناً أُساوِره [٥٨]
كِلاَنَا نَأَى عن أَهْلِهِ وعَشِيرِهِ ... لِيَلْقَاه فيها أَهلُه وعَشَائِره [٥٩]

---

(٤٧) السرائر : جمع سريرة ، وهى ما يبطنه المرء .
(٤٨) يقضى عيشه : يصرف حياته .
(٤٩) النساك : جمع ناسك ، وهو العابد الزاهد فى متاع الحياة . الحان : حيث تباع الخمر ، الواحدة حانة . نمت : أذاعت وفضحت .
(٥٠) الجرير : حبل يجعل للبعير ، ويريد الحبل عامة . الجرائر : الشرور والآثام . الواحدة جريرة .
(٥٢) النوى : البعد والفرقة . ثوى : هدأ واستقر ، ويريد بحائره : فكره ، ووصفه بالحيرة ، لأنه كان صاحب رأى وفلسفة كثير الشك فى حقائق الكون .
(٥٣) مؤرق : يأرق فيه الإنسان . التظنى : الظن والشك . ويريد بالصبح : نور الحق . ساهره : أى الذى يسهر الليل ولا ينام فيه أرقا .
(٥٤) خافق : مضطرب حزنا ووجدا . تراوحه وتباكره : أى تعاوده صباحا ومساء .
(٥٦) المدى : الغاية .
(٥٧) المهود : جمع مهد ، الزهر : ذوات البهجة والحسن .
(٥٨) سموت إلى بغداد : أى قصدت إليها ، وفى تعبيره عن القصد بالسمو دليل على رفعتها وشرف مكانتها .

حَبِيبٌ إلى نَفْسِي العِراقُ وأَهْلُه ... وسالِفُه الزَّاهِي المَجِيدُ وحَاضِرُه (٦٠)

دِيارٌ بها الإِسْلامُ أَرْسَلَ ضَوْءَه ... فَسارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فى الأُفْقِ سَائِره (٦١)

ومَدَّتْ بها الآدَابُ ظِلاًّ على الوَرَى ... تَسَاوَتْ به آصالُهُ وهَواجِرُه (٦٢)

تَجَلَّى بها عَهْدُ الرَّشِيدِ وعِزُّهُ ... وزَاهِرُ مُلْكِ الفَاتحِينَ وبَاهِرُهْ (٦٣)

إذا شِئْتَ مَجْدَ العُرْبِ فى عُنْفُوانِهِ ... فَهذِى مَغَانِيه ، وهَذِى مَنَائِرُهْ ! (٦٤)

أَطَلَّتْ عَلَى الدُّنْيَا فأَبْصرَتِ الهُدَى ... كما لَمَعتْ فى جُنْحِ لَيْلٍ زَوَاهِرُه (٦٥)

تفاخِرُ بالغَازِى الَّذِى سَارَ ذِكْرُه ... ودَوَّتْ بآفاقِ البِلاَدِ مَفَاخِرُه (٦٦)

هُو الملكُ أَمْضَى من شَبَا السَّيْفِ عَزْمُهُ ... وأَغْزَرُ من مَاءِ السَّحائِبِ هَامِرُه (٦٧)

نَماه بُنَاةُ المَجْدِ من آلِ هاشِمٍ ... فجلَّتْ مَرَامِيهِ ، وطابَتْ عناصِرُه (٦٨)

أَعَادَ إلى عَهْدِ البَيَانِ شَبَابَه ... فهَبَّ فَتِيًّا يَنْفُضُ التُّرْبَ دَاثِرُه (٦٩)

يُرِيكَ بهِ المنْصُورَ مَأْثُورُ حَزْمِه ... وتُذْكِرك المَهْدِىَّ فِيه مآثِرُهْ (٧٠)

ذَكَرْنَا اسْمَه طُولَ الطَّرِيقِ فَذُلِّلَتْ ... مَصَاعِبُ مَتْنَيْه وضَاءَتْ دَيَاجِرُهْ (٧١)

* * *

---

(٦٠) سالفه : ماضيه . الزاهي : الحسن اللامع بمجده وحضارته .

(٦٢) الأصال : جمع أصيل ، وهو الوقت قبل الغروب . الهواجر : حيث يشتد الحر عندما ينتصف النهار .

(٦٣) تجلى : ظهر وأشرق . الرشيد : هو الخليفة العباسى هارون الرشيد .

(٦٤) عنفوانه : مقتبل عهده وأول عزه وبهجته . والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل غنى به أهله . منائره : جمع منارة .

(٦٥) جنح الليل (بالكسر ويضم) : الطائفة منه . زواهره : كواكبه المضيئة .

(٦٦) الغازى : هو ملك العراق فى ذلك الوقت . دوت مفاخره : أى علت أصوات الناس بذكرها ، فسمع لهم كالدوى لكثرتهم .

(٦٧) شبا السيف : حده . الهامر : الهاطل المنصب .

(٦٨) نماه ، أى ارتفع بالانتساب إليهم . آل هاشم : نسبة إلى جدهم هاشم بن عبد مناف ، أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم . جلت : عظمت . مراميه : غاياته . العناصر : الأصول .

(٦٩) فتيا : قويا . الداثر : الدارس البالى .

(٧٠) المنصور والمهدى : من خلفاء الدولة العباسية ، وقد تبوأت الدولة فى عهد الأول مكانا عاليا ، وعرف ثانيهما بالجود والعطاء . مأثور حزمه : حزمه الذى يؤثر عنه ويخلد . مآثره : أعماله الباقية على الزمن .

(٧١) متنا الطريق : ناحيتاه ، وهما اللذان يكون السير فيهما . دياجره : ظلماته ، الواحدة ديجور .

جَمِيلٌ، نِدَاءٌ مِنْ أَخٍ يَقْدُرُ النُّهَى ... وإِنْ لَمْ يُمَتَّعْ باجْتِلاَئِكَ نَاظِرُه (٧٢)
عَرَفْتُكَ فى آثَارِكَ الغُرِّ مِثْلَمَا ... تُنَبِّىءُ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ بَشَائِرُه (٧٣)
عَرَفْتُ «جَمِيلاً» فى جَمِيلِ بَيَانِه ... يُشَاطِرُنِى وجْدَانَـه وأُشَاطِرُه (٧٤)
تُجاوِرُنِى فى دَوْحَةِ النِّيلِ رُوحُه ... ورُوحِى بِلَوْحِ الرافِدَيْنِ تُجَاوِرُه (٧٥)
إذا اجتَمَعَ القَلْبَانِ فَالْكَوْنُ كُلُّهُ ... مَكَانٌ، وإِنْ شَقَّتْ وطالَتْ مَعَابِرُه (٧٦)
لنَا نَسَبٌ فى المَجْدِ يَجْمَعُ بَيْنَنا ... تَعَالَتْ أَوَاسِيه، وشُدَّتْ أَوَاصِرُهْ (٧٧)
أَلَسْنَا حُمَاةَ القَوْلِ فى كُلِّ مَحْفِلٍ ... تَتِيهُ بِنَا فى كُلِّ أَرْضٍ مَنَابِرُهْ؟ (٧٨)

* * *

صَبَبْتُ عَلَيْكَ الدَّمْعَ سَحًّا، ومَدْمَعِى ... عَزِيزٌ، وَلكِنْ أَجْوَدُ الدُّرِّ نادِرُه (٧٩)
وأَرْسَلْتُ فِيكَ الشِّعْرَ لَوْعَةَ مُوجَعٍ ... تَئِنُّ قَوَافِيه، وتَبْكِى صَدَائِرُه (٨٠)
عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ نُوراً ورَحْمَةً ... وغَادَتْكَ من سَيْبِ الإِلهِ مَوَاطِرُه! (٨١)

---

(٧٣) الغر: الناصعة البيضاء. البشائر: جمع بشارة، وهى الأخبار بخبر محبوب ترغب فيه.

(٧٥) دوحة النيل: رياض مصر. الدوحة (فى الأصل): الشجرة العظيمة المتسعة الظل. الرافدان: دجلة والفرات.

(٧٦) شقت: صعبت وامتنعت على السالك. المعابر: الطريق يعبر فيها.

(٧٧) الأواسى: الدعائم، الواحدة آسية. الأواصر: جمع آصرة، وهى القرابة والصلة.

(٧٩) سحا: مدرارا.

(٨٠) يريد بالقوافى والصدائر: أواخر الأبيات وأوائلها.

(٨١) غاداه: باكره. السيب: العطاء. المواطر: السحب الماطرة. والعرب إذا دعت لميت بالرحمة سألت الله أن يمطر قبره.

افتتاحُ الإذاعة

أُلقيت بدار الإذاعة يوم الاحتفال بافتتاحها في ٣١ من مايو سنة ١٩٣٤ م .

يا ساريَ الشِّعْرِ يَطْوِي الْجَوَّ في آنِ ... وَيَمْلأُ الأُفْقَ تَغْرِيداً بأَلْحانِ (١)

يَخْتالُ في بُرْدَةِ الفُصْحَى وتُسْعِدُهُ ... بَدائِعُ الْحُسْنِ من آياتِ عَدْنانِ (٢)

سِرْ أَيُّها الشِّعْرُ واركَبْ كلَّ ناجِيَةٍ ... مِنَ الرِّياحِ فقد أَلْقَتْ بأَرْسانِ (٣)

سِرْ بالرِّياضِ وخُذْ مِنْها نَضارَتَها ... ونَاغِ ما شِئْتَ مِنْ وَرْدٍ ورَيْحانِ (٤)

الكَوْنُ أُذْنٌ لِمَا تُلْقِيهِ واعِيَةٌ ... فامْلأْ مَدَاهُ بصَوْتٍ مِنْكَ رَنَّانِ (٥)

وَبَلِّغِ الأَرْضَ أَنَّا في حِمَى مَلِكٍ ... صَوْبُ الْحَيَا ونَدَى كَفَّيْهِ سِيَّانِ (٦)

وَإِنْ تَزُرْ كَعْبَةَ الآمالِ مُشْرِقَةً ... مِنْ (عابِدِينَ) فَطُفْ مِنها بأَرْكانِ (٧)

وقِفْ وأَطْرِقْ خُشُوعاً أنتَ في قُدُسٍ ... ضافِي المَهابَةِ عالِي الشَّأْوِ والشَّانِ (٨)

قَصْرٌ بَنَاهُ بُناةُ المَجْدِ مِن هِمَمٍ ... فَلَمْ يُطاوِلْ عُلاهُ أَيُّ بُنْيانِ (٩)

---

(٢) البردة : الثوب . الفصحى : اللغة العربية . عدنان : من أجداد العرب الذين تنتهي إليهم العربية ويعرفون بالفصاحة .

(٣) الناجية : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها ، شبه بها الرياح في حملها الأخبار حافظة لها أمينة عليها . الأرسان : جمع رسن (بالتحريك) وهو الزمام . وإلقاء الرياح بالأرسان ، كناية عن لينها وسهولة قيادها .

(٦) الحيا : المطر . صوبه : انصبابه ونزوله . ندى كفيه : عطاؤهما وبذلها .

(٧) الكعبة : البيت الحرام بمكة وإليه يتجه المسلمون حجاً وصلاة . عابدين : قصر الملك في القاهرة .

(٨) الشأو : الغاية والمدى . الشان (بالتسهيل) : الشأن (بالهمزة) .

فأَيْنَ كِسْرَى وَما أعْلَى مَشَارِفَهُ ... فى بُهْرَة المُلْكِ مِنْ صَرْحٍ وإيوان[١٠]

أساسُهُ عَزَماتٌ جَلَّ خالِقُهَا ... لا ما يَرَى الناسُ من صَخْرٍ وصَوّان[١١]

يُطِلّ مِنْهُ عَلَى آمالنا مَلِكٌ ... يُزْهَى به الشعْبُ فى سِرّ وإعْلان[١٢]

فى وَجْهِهِ قَسَماتٌ قَدْ دَلَلْنَ عَلَى ... ما ضَمَّهُ القَلْبُ مِنْ نُبْلٍ وإيمان[١٣]

* * *

يا بْنَ الأُلَى بَعَثُوا مِصْرًا لِنَهْضتِها ... وَأيقَظوا من بَنيها كُلَّ وَسْنان[١٤]

وأرْسَلُوها إِلَى العَلْياء فانْطَلَقَتْ ... تَعْدُو إِلَى الْمَجْدِ فى جِدٍّ وإمْعانِ[١٥]

كأنَّها تَبْتغِى فى الشَّمْسِ حاجَتَها ... أو أنَّها أوْدِعَتْ سِرًّا لكَيْوان[١٦]

آثارُهُمْ فى ضِفافِ النِّيلِ ماثِلةٌ ... أبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ رَضْوَى وثَهلان[١٧]

كأنَّها وهْىَ فى الوَادِى قد انْتَثَرَتْ ... عِقْدٌ تَنَاثَرَ عَنْ دُرٍّ وَعِقْيان[١٨]

جاءُوا بما عَزَّ فى الآذانِ مَسْمَعُهُ ... عَنِ المُلوكِ ولم تُبْصِرْهُ عَينان[١٩]

فى باحَةِ السِّلْمِ كانُوا رَحْمَةً وهدًى ... وفى الكَرِيهةِ كانوا أُسْدَ خَفّان[٢٠]

قد حاوَلُوا الصَّعْبَ حَتَّى ذَلَّ شامِسُهُ ... ومالَ بالرَّأسِ عَنْ يُسْرٍ وإمْكان[٢١]

* * *

---

(١٠) كسرى (بكسر الكاف وفتحها) : لقب الملك الفرس . ويريد بمشارفه : ما بنى من قصور عالية . البهرة من كل شىء : وسطه . الصرح : القصر وكل بناء عال . الايوان : الصفة العظيمة ، وكانت تتخذ لجلوس الملك (الصفة : بناء ذو ثلاثة حوائط)

(١٣) القسمات : جمع قسمة (بكسر السين وفتحها) وهى ما تنطق به أسارير الوجه وملامحه من حسن وجمال .

(١٤) الوسنان : النائم الغافل .

(١٥) الامعان فى السير : الاسراع .

(١٦) كيوان : اسم زحل (بالفارسية) .

(١٧) ضفاف النيل : شواطئه ويريد مصر . رضوى وثهلان : جبلان بالحجاز .

(١٨) العقيان : الذهب الخالص .

(٢٠) الباحة : الساحة . الكريهة : الحرب وشدتها . خفان (كحسان) : مأسدة قرب الكوفة يضرب المثل بآسادها فى البطش والقوة .

(٢١) الشامس : الفرس الجموح . مال بالرأس : أى خضع .

غَفراً (فُؤادُ) أبا (الفارُوقِ) إن عَجزَتْ عَنْ عَدِّ آلائِكَ الغَرَّاءِ أوْزانى [٢٢]

حاوَلْتُ تَصْويرَها جُهْدِى فما اتَّسَعَتْ لِبَعْضِ ذلكَ ألْواحى وألْوانى [٢٣]

والبحرُ تُبْصِرُ جُزْءاً حَوْلَ ساحِلِهِ ولَيْسَ فى دَرْكِهِ طَوْقٌ لإنسان [٢٤]

فى كُلِّ يَوْمٍ لكُمْ فى مِصْر عارِفَةٌ فى طَيِّها مِنْ نَداكُمْ ألْفُ بُرْهان [٢٥]

نَشَرْتَ فيها رُبُوعَ العِلْمِ زاهِرةً جَلالَةَ المُلْكِ فى عِلْمٍ وعِرْفان [٢٦]

غَرَسْتَهُ دَوْحَةً غَنَّاءَ وارِفَةً قَريبَةَ المُتَمَنَّى ذاتَ أفْنان [٢٧]

وساسَنا منكَ رأىٌ زانَهُ خُلُقٌ قد صاغَهُ اللهُ من رِفْقٍ وإحْسان [٢٨]

الدِّينُ زاهٍ وَوَجْهُ المُلْكِ مُؤْتَلِقٌ كالرَّوْضِ جادَ ثَراهُ صَوْبُ هَتَّانِ [٢٩]

رَدَدتَ لِلُّغَةِ الفُصْحَى بَشاشَتَها مِن بَعْدِ أنْ هَجَرتها مُنْذُ أزْمان [٣٠]

قد ذَكَّرتْها أيادِيكَ التى عَظُمَتْ مَنازِلَ العِزِّ فى دَاراتِ قَحْطان [٣١]

أوْلَيْتَها (مَجْمَعاً) طابَتْ مَشارِعُهُ وَبَلَّ منهُ صَداهُ كلُّ صَدْيان [٣٢]

أعادَ فى مِصْرَ عَهْداً للرَّشيدِ مضَى أيامَ أشْرَقَتِ الدُّنيا (بِبَغْدان) [٣٣]

سَعَتْ لِساحَتِكَ الدُّنيا ويَمَّمَها جَهابِذُ القَوْمِ مِنْ قاصٍ ومِنْ دانى [٣٤]

* * *

هَذِى الإذاعَةُ يا مولاىَ قد نَطَقَتْ بما بَذَلْتَ بِإفْصاحٍ وتِبْيان [٣٥]

---

(٢٢) الآلاء : النعم . الغراء : الحسنة المشهورة . أوزانى : أى قصائدى .

(٢٥) العارفة : العطية والمعروف . الندى : الكرم .

(٢٦) ربوع العلم : دوره .

(٢٩) الهتان : المطر فوق الهطل . صوبه : انصبابه .

(٣١) الدارات : جمع دارة ، وهى المحل يجمع البناء والعرصة . وتطلق أيضاً على القبيلة وكلاهما مراد هنا .
قحطان : هو ابن عابر ، وهو جد عرب اليمن . وفيهم كان للعربية مجدها الأول .

(٣٢) يريد بالمجمع : مجمع اللغة العربية الذى أنشأه الملك فؤاد الأول سنة ١٩٣٣ م . المشارع : موارد الشاربة . الواحد . مشرع ومشرعة (بفتح الراء) . وبلّ صداه : أروى ظمأه وشفى غلته . الصديان : العطشان .

(٣٣) الرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى الذى بلغت بغداد فى عهده غايتها فى الحضارة والعلوم .
بغدان : اسم لبغداد .

(٣٤) يمم : قصد . جهابذ القوم : نقادهم العارفون بتمييز الجيد من الردىء .

مِنْ قَبْلِها سارَ سَيْرَ الشمسِ ذِكْرُكُمُ ... يَطْوِى الْجِواءَ بأقطارٍ وبُلْدانِ [36]

أنشَأْتَها جَنَّةً غَنَّتْ بلابِلُها ... وغَرَّدَتْ بينَ أوراقٍ وأغصانِ [37]

فيها الثَّقافاتُ ألوانٌ مُنَوَّعَةٌ ... تُزْجَى إلى الشَّعبِ من آنٍ إلى آنِ [38]

قد أصْبَحَتْ مَنْهلاً يَسْعَى لِطالِبِهِ ... فاعجبْ إلى مَنْهلٍ يَسْعَى لِظَمْآنِ [39]

عِشْ لِلْبلادِ (أبا الفَارُوق) نُورَ هُدًى ... وأَعْلِ رايَتَها فى كُلِّ مَيْدانِ [40]

وعاشَ فاروقُ للدنْيا يُجَمِّلُها ... ويَزْدَهِى بُمحَيَّاهُ الْجديدانِ [41]

لما دَعوْهُ أميراً للصعيد سَمَا ... بِهِ الصَّعيد وأضْحَى جِدَّ جَذْلانِ [42]

لا زالَ زِينَةَ عَهْدٍ طابَ مَوْرِدُهُ ... مُجَمَّلٍ بِجَلَالِ المُلْكِ مُزْدَانِ [43]

---

(٣٦) الجواء : جمع جو .

(٣٨) تزجى : تساق وتحمل .

(٣٩) المنهل : المورد ينهل منه الظامئون .

(٤١) المحيا : الوجه . الجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان فلا يقال للواحد منهما جديد .

مِيلادُ الفَارُوق

تهنئة الملك فاروق الأول بعيد مولده وقد قيلت هذه القصيدة فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٧ م.

بَهَرَ الوُجُودَ بلؤلؤىٍّ ضِيَائِهِ ... نَجْمٌ تألَّق فى بَدِيعِ سَمَائِه [١]

لَبِسَ المَسَاءُ به غِلالَةَ مُسْفِرٍ ... حَتَّى كَأَنَّ الصُّبْحَ مِنْ أَسْمَائِه [٢]

وتَطَامَنَتْ زُهْرُ الكَوَاكِبِ هَيْبَةً ... لِلْمُشْرِقِ الوَضَّاحِ فى عَلْيَائِه [٣]

هَيْهاتَ ! أَيْنَ ضِيَاؤُها مِنْ ضَوْئِه ... وسَنَاؤُها مِنْ بُعْدِ أَوْجِ سَنَائِه ؟ [٤]

عَجَباً ! يَزِيد ظُهورهُ بِعُلُوِّه ... والنَّجْمُ يُعْرَفُ إِنْ عَلاَ بخَفَائِه [٥]

ما جَالَ فى الآفَاقِ أَصْدَقُ جَوْهرًا ... مِنْه وأَصْفَى مِنْ نَقِىِّ صَفَائِه [٦]

يَلْقَاكَ نُورُ الحَقِّ فى لَمحَاتِه ... ويَفِيضُ مَاءُ البِشْرِ مِنْ لأْلائِه [٧]

أَيْن النُّجُومُ جَلالُها ورُوَاؤُهَا ... مِنْ عَبْقَرِىٍّ جَلالِه ورُوَائه ؟ [٨]

* * *

---

(٢) الغلالة (بالكسر) : شعار يلبس تحت الثوب . المسفر : المضئ المشرق .

(٣) تطامنت : ذلت وخضعت . زهر الكواكب : الكواكب المشرقة الوضاءة .

(٤) هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد . السناء (بالمد) : الرفعة . الأوج : العلو .

(٦) جوهر الشيء : مبناه ومتكونه .

(٧) اللمحات : جمع لمحة . وهى (هنا) بمعنى الضوء والنور . اللألاء : النور .

(٨) الرواء : حسن المنظر .

نَجْمٌ أَطَلَّ عَلَى الوُجُودِ فكَبَّرَتْ زُمَـرُ الوُجُودِ وهَلَّلتْ لِلِقَائِه[9]

وَرَنَتْ لَـه الآمَالُ ظَمْأَى حُوَّماً مَـعْـقُودةً أَبْصـارُهـا بـرَجَـائِه[10]

والـنِّـيـلُ سَارَ يَجُرّ مِنْ أَذْيالِهِ تِيهاً ويَمْرَحُ فى مَدَى خُيلاَئِه[11]

يَخْتَالُ ما بَيْن الرِّياضِ وكُلُّها مِنْ نَسْجِ كَفَّيْه ومِنْ إِيحَائِه[12]

ويُـفَـتِّحُ الأَزهـارَ فى أَكْمامِـهـا ويُنَبِّه القُمْرِىَّ مِنْ إِغْفَائِه[13]

يُصْغِى إِلَيْه يَهُزّ أَعْطَافَ الدُّجَى ويُجَدِّدُ الآمَالَ سِحْرُ غِنَائِه[14]

(إِسْحَاقُ) لم يُوهَبْ عُذوبةَ صَوْتِه و(عِنَانُ) لم تُمْنَح جَمَالَ أَدَائِه[15]

أَيْن الصِّنَاعَةُ والفُنُونُ وما حَوَتْ فى جَنْب صُنْع اللهِ فى أَحْيَائِه؟[16]

النِّـيـلُ بالفَارُوقِ أَعْذَبُ مَوْرِدًا ماءُ الحَياةِ ثُمَالَةٌ مِنْ مَائِه[17]

علَّمتَه صِدْقَ الوَفَاءِ فأَصْبَحتْ تَتَحدَّثُ الدُّنيا بصِدْقِ وَفَائِه[18]

ومَنَحْتَه خُلُقَ العَطَاءِ فغَرَّدتْ صَدَّاحَةُ الوَادِى بفَضْلِ عَطَائِه[19]

لمّا عَلَوتَ مَطَاهُ صَفَّقَ مَوجه بِشْراً وأَسْكَتَ وَجْدَه برُغَائِه[20]

يَبْدو السَّفِينُ به كما تَبْدو المُنَى لِـلـيَائِس الحَيْرَان فى ظَلْمَائِه[21]

أو كالحَيَاة تَدِبُّ فى جِسْمِ امْرِئٍ أَفْـنتْ شِكَايتُه فُنونَ إِسَائِه[22]

---

(٩) الزمر : جمع زمرة ، وهى الفوج والجماعة .

(١٠) رنت : أدامت النظر اليه . حوّما : عطاشا .

(١٣) الأكمام : جمع كم (بالكسر) ، وهو وعاء الطلع وغطاء النور . القمرى : ضرب من الحمام .

(١٤) الأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب والناحية . الدجى : الظلام .

(١٥) إسحاق : هو ابن إبراهيم الموصلى ، وهو مغن عباسى معروف بجودة الغناء والضرب . عنان : جارية للناطفى مولدة من مولدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت ، وكانت جميلة مليحة الأدب والشعر ، سريعة البديهة ، وكانت مغنية مشهورة بحسن أدائها . ماتت بخراسان فى عهد الرشيد . الأداء : التوقيع .

(١٧) ثمالة من مائه : أى فضلة منه .

(١٨) الوفاء : إنجاز الوعد . وفاء النيل : زيادة مائه .

(٢٠) المطا : المتن والظهر . رغاؤه : صوت أمواجه يشبهها برغاء البعير . يشير إلى رحلة (الفاروق) إلى الوجه القبلى سنة ١٩٣٧ م فى النيل وهى السنة التى قال فيها الشاعر هذه القصيدة .

(٢٢) الاساء : جمع آس ، وهو الطبيب .

أَوْ كَالصَّبَاحِ لِمُدْلِجٍ خَبَطَ الدُّجَى   فَطَوَاهُ وادِى التِّيهِ فى أَحْشَائه (٢٣)
أَوْ كَالغَمَامِ رأَتْه أَزْهَارُ الرُّبَا   مِنْ بَعْدِ ما أَحْتَرقَتْ لِطُولِ جَفَائه (٢٤)
أَوْ كَابْتِسَامِ السَّعْدِ بَعْدَ قُطُوبِه   أَوْ كَانْقِيَادِ الدَّهْرِ بَعْدَ إِبَائه (٢٥)
يَجْرِى السَّفِينُ وفَوْقَه المَلِكُ الَّذِى   صَفِرتْ يَدُ الأَيَّامِ مِنْ نُظَرَائه (٢٦)
الدِّينُ والأَخلاقُ مِلْءُ جَنَانِه   وجَلالَةُ الأَمْلاكِ مِلْءُ رِدَائه (٢٧)
يَهْتَزُّ فى بُرْدِ الشَّبَابِ كَأَنَّه   سَيْفٌ يُدِلُّ بِمَائِه وَمَضَائِه (٢٨)
والنِّيلُ يَجْتَازُ المُرُوجَ مُبَشِّرًا   فُترددُ الأَطْيَارُ مِنْ أَصْدائه (٢٩)
وخَمَائِلُ الوَادِى تَمُدُّ غُصُونَها   وتَوَدُّ لَوْ فَازَتْ بِلَمْحِ ضِيَائه (٣٠)
قَالُوا لَهَا جَاءَ الغَمَامُ فأَقْبَلَتْ   تَسْتَقْبِلُ الآمالَ فى أَنْدَائه (٣١)
والزَّهْرُ يَخترِقُ الكِمَامَ لِنَظْرَةٍ   فَيَرُدُّه للكِمِّ فَرْطُ حَيَائه (٣٢)
قَدْ كَانَ يُزْهَى فى الرِّيَاضِ بِحُسْنِه   فرَأَى بَهاءً فَوْقَ حُسْنِ بَهائه (٣٣)
ورَأَى نُضَارًا مِنْ شَبَابٍ يَنْتَخِى   أَزْهَى الغُصُونِ نَضَارةً بإِزَائه (٣٤)
سَعِدَ (الصَّعِيدُ) وأَهْلُه بِزِيَارَةٍ   بَلَّتْ غَلِيلَ الشَّوْقِ فى أَرْجَائه (٣٥)
سَالَتْ إِلَيْكَ به المَدَائِنُ والقُرَى   والبَدْرُ يُغْرِى العَيْنَ باسْتِجْلاَئِه (٣٦)

---

(٢٣) المدلج : الذى يسير فى أول الليل . وقد يستعمل لمن يسير فى آخره . خبط الدجى : أى سار فى ظلام الليل على غير هدى . التيه : ما يتيه فيه الانسان ويضل .

(٢٤) الربا : جمع ربوة . وهو المرتفع من الأرض .

(٢٥) القطوب : العبوس والتجهم . إباؤه : امتناعه وشموسه .

(٢٦) صفرت : خلت .

(٢٧) الجنان : القلب . الأملاك : الملوك ، الواحد . ملك .

(٢٨) برد الشباب : إهابه . والبرد (فى الأصل) : الثوب . يدل : من الدلال ، وهو التيه والعجب . ماء السيف : بريقه ولمعانه . مضاؤه : حدته وسرعة قطعه .

(٣١) الأنداء : جمع ندى ، وهو المطر .

(٣٢) الكمام : جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور .

(٣٦) يريد « بسيلان المدن والقرى » : كثرة من وفدوا وحضروا إلى لقائه منها . استجلاؤه : أى النظر إليه .

سَدُّوا الشِّعَابَ وأَقْبَلَتْ أَرْسَالُهم كالزَّاخِرِ الهَدَّارِ فى ضَوْضَائه (٣٧)

ما بَيْنَ حامِلِ قَلْبِه بيَمِينِه ومُثَوِّبٍ هَزَّ الرُّبَا بدُعَائه (٣٨)

فانظُرْ إلى الوَادِى الفَسِيحِ فَهَلْ تَرَى إلاَّ قُلوباً فى فَسِيحِ فَضَائه ؟ (٣٩)

كُلٌّ دَعَاهُ الشَّوْقُ فانْتَهَبَ الخُطَا فى نَظْرَةٍ تَشْفِيه مِنْ بُرَحَائه (٤٠)

وطَلَعْتَ كالأَمَلِ الوَسِيمِ يَحُفُّه نُورُ المَهَابَةِ فى جَلالِ جَلائه (٤١)

كالبَدْرِ فى إشْرَاقِه ، والرَّوْضِ فى إزْهَارِه ، والغَيْثِ فى إسْدَائه (٤٢)

فى مَوْكِبٍ بهَرَ الزَّمَانَ فحيَّرتْ عَيْنَاهُ بينَ جَمَالِه وسَرَائه (٤٣)

عَجَزَ المُؤَرِّخُ أنْ يَرَى أَشْبَاهَه فِيما طَوَاه الدَّهْرُ مِنْ أَنْبائِه (٤٤)

ما نالَه (المَنْصُورُ) فى (بَغْدادِه) يَوْماً ولاَ الأَمْلاَكُ من خُلَفَائه (٤٥)

و(النِّيلُ) لم يَشْهدْ جَلاَلَةَ حَفْلِه فى عَهْدِ (خَفْرعٍ) ولا (مِينَائه) (٤٦)

* * *

أَرَأَيْتَ آثَارَ المُلوكِ وما بَنَوْا مِمَّا يَضِيقُ الجِنُّ عَنْ إنْشَائه ؟ (٤٧)

وُلِدُوا وشَمْسُ الأُفْقِ فى رَيْعَانِها والدَّهْرُ يَرْفُلُ فى ثِيَابِ صِبَائه (٤٨)

دَرَسُوا كِتَابَ الكَوْنِ أَوَّلَ طَبْعَةٍ ووَعَوْه مِنْ أَلِفِ الوُجُودِ لِيَائه (٤٩)

وأتَوْا مِنَ الإعْجَازِ ما تَرَكَ النُّهَى حَيْرَى فلَمْ تَمْلِكْ سِوَى إطْرَائه (٥٠)

---

(٣٧) الشعاب : أى الطرق والمنافذ. الأرسال : الجماعات , الواحد. رسل (بالتحريك) . الزاخر الهدار : البحر عالى الأمواج .

(٣٨) المثوب : الهاتف الداعى .

(٤٠) انتهب الخطا : أسرع عدوا . البرحاء : ما يعانيه المشوق من شدة الشوق والوجد .

(٤٣) السراء : الشرف والرفعة .

(٤٥) المنصور : هو أعظم خلفاء العباسية والمؤسس الحقيقى لها , وفى عصره صارت بغداد أزهى مدن الدنيا وانتشرت بها الحضارة وارتقت العلوم . وولد المنصور سنة ٩٥ هـ ، وولى الخلافة سنة ١٣٦ هـ ، وتوفى بمكة سنة ١٥٨ هـ .

(٤٦) خفرع : هو أحد فراعنة مصر ومشيد هرم الجيزة الثانى . ويريد « بمينائه » : مينا . أول الجالسين على عرش مصر بعد توحيد كلمتها وضم مصر السفلى إلى العليا .

ذَهَبُوا ولَمْ تَذْهَبْ صَحَائِفُ مَجْدِهِمْ ... وطَواهُـمُ الـمِـقْدَارُ فى أَطْوَائِهِ (٥١)
الـمَجْدُ فى الـدُّنيا سِجِلٌّ خَالِدٌ ... تَـتَـعاقَبُ الأَجْيـالُ مِنْ قُرَّائه (٥٢)

* * *

(فاروقُ) أَنْتَ مَناطُ آمَالِ الحِمَى ... وَسُلالَةُ الأَمْجَادِ مِنْ نُصرَائه (٥٣)
أَعْلَى أَبُوكَ بِنَاءَ (مِصْرَ) فزَاحَمَتْ ... زُهْرَ الكَواكِبِ رَاسِياتُ بِنَائه (٥٤)
وَأَرَى (فُؤَادًا) فِيكَ فى قَسَمَاتِه ... ومَضَـائِـه وذَكَـائِـه وسَـخَـائِـه (٥٥)
تَبْدُو أَيَادِى الغَيْثِ فى زَهْرِ الرُّبَا ... وَيَعِيشُ سِرُّ المَرْءِ فى أَبْنَائه (٥٦)
أَشْرِقْ عَلَى الوَادِى فَأَنْتَ حَيَاتُه ... وعِمَادُ نَهْضَتِه ومَجْدُ لِوَائه (٥٧)
أَحْيَيْتَ دِينَ اللهِ فى مِحْـرَابِه ... شُكْرًا عَلَى ما تَمَّ مِنْ نَعْمَائه (٥٨)
وَوَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيْه وِقْفَةَ خاشِعٍ ... يَرْجُو مَثُوبَتَه وحُسْنَ جَزَائِه (٥٩)
الدِّينُ طِبُّ النَّفْسِ مِنْ آلامِها ... وهِـدَايَةُ الحَيْرَانِ فى بَيْـدَائه (٦٠)
ما أَجْمَلَ التَّوْفِيقَ فى شَرْخِ الصبَا ... والعُمْرُ فَيَّاضُ السنَى بفَتَائه ! (٦١)

* * *

لله مَوْلِـدُكَ الـسَّـعِـيـدُ ويَوْمُـه ... وتَسَـابُقُ الآمَـالِ فى أَجْوَائـه (٦٢)
يَوْمٌ بـه بَسَـطَ السُّـرُورُ شُعَاعَه ... وأَعَار ثَوْبَ صَباحِه لِمَسَائه (٦٣)
يَوْمٌ أَغَـرُّ كَـأَنَّ صَـفْوَ سَـمَـائِه ... صَفْوُ النَّعِيمِ بِظِلِّه ورَخَائه (٦٤)
يَوْمٌ سَـرَتْ فـيـه البَشَائِر حُوَّماً ... تُفْضِى إلى الدُّنْيَا بسِرِّ عَلائه (٦٥)

* * *

---

(٥١) المقدار : القدر (بالتحريك) . أطواؤه : ثناياه .
(٥٣) مناط الآمال : حيث تتجه وتجتمع .
(٥٤) الراسيات : الثابتة المكينة .
(٥٥) القسمات : جمع قسمة وهى الحسن . المضاء : حدة العزم ، والنفاذ فى الأمور .
(٥٧) اللواء : العلم .
(٥٨) المحراب : مقام الامام فى المسجد .
(٦١) شرخ الصبا : أوله وريعانه . الفتاء : الشباب .

مَوْلَاى عَـهْـدُكَ فى الـبِلادَ مُؤَزَّرٌ ... باليُمْنِ فَاهْنَأْ فى مَدِيدِ هَنَائه (٦٦)

قطفتْ به (مِصْرٌ) جَنَى اسْتِقْلَالِهَا ... وأظَلَّـهـا المُـمْـتَـدُّ مِـنْ أفيَائِهِ (٦٧)

وأطَـاحَـتْ الـقَـيْـدَ الـعَـنِـيـفَ وطَـالَمَا ... عاذَتْ بِرَبِّ النَّاس مِنْ إيذَائه (٦٨)

والشُّـكْـرُ فى السَّرَّاء يَـعْـظُـمُ كُلَّمَا ... ذَكَرَ الفَتَى ما مَرَّ مِنْ ضَرَّائه (٦٩)

مَوْلَاى ، عِشْ للمُلْكِ نَجْمَ سُعُودِه ... وارْفَعْ لِواءَ المَجْدِ فى أنْحَائه (٧٠)

أنْتَ الـذى تَـحْـيـا الـمُـنَـى بِحَيَاتِه ... وتَسُودُ (مِصْرُ) وتَعْتَلِى بِبَقَائه (٧١)

---

(٦٧) جنى استقلالها : أى ثمرته . الأفياء : الظلال ، الواحد . فىء .

(٦٨) أطاحت القيد : حطمته وألقت به . عاذت : استعاذت وامتنعت .

(٦٩) السراء : نعيم العيش . الضراء : ضده .

(٧٠) نجم سعوده : أى طالع يمنه وسعادته . وللعرب نجوم سعد يتفاءل بها ويتيمن . وسعود النجوم عندهم عشرة ، منها : سعد السعود . ويقال فيه ، إذا طلع سعد السعود نضر العود .

الشّـيْخُ الغَـزِل

عام ١٩٢٤ م.

لـنـا شـيْخٌ تولّى أطْـيَـبـاه   يـهيـمُ بـحُبِّ ربّـاتِ الـقـدودِ[1]
يـغـازِلُ إذْ يـغـازِلُ من قـيـامٍ   وإن صلّى يُصَلّي من قُعودِ ![2]

(١) تولى : ذهب . أطيباه : الشباب وسعة العيش .
(٢) قعود : جلوس .

رثاء محمود فهمي النقراشي باشا

رئيس من رؤساء وزراء مصر السابقين عُرف بنزاهته ووطنيته ، كان زميلاً للشاعر في بعثة إلى انجلترا عام ١٩٠٨ إلى أن استشهد في ديسمبر من عام ١٩٤٨ م فحزن الشاعر عليه حزناً كبيراً ورثاه بهذه القصيدة التي انشدها نجله الأستاذ الشاعر بدر الدين على الجارم في احتفال كبير أقيم بمناسبة ذكرى الأربعين بقاعة الجمعية الجغرافية مساء ٨ فبراير سنة ١٩٤٩ م ولكن المنية عاجلت شاعرنا الكبير وهو يستمع إلى شعره ينشد في هذا الحفل الكبير .

مـاءُ الـعـيـونِ على الشـهـيـدِ ذَرافِ ... لـو أنَّ فـيضـاً من مَـعينك كافي (١)

إنْ لم يَـفِ الـدمـعُ الهتونُ بسيـبـهِ ... فـلمـن يَفِي بعدَ الخليل الوافي ؟ (٢)

شـيـئـان مَا عِـيبَ الـبـكاءُ عـليهما ... فـقـدُ الشباب ، وفُـرقَةُ الأُلافِ (٣)

أغْـرَقْتُ همى بـالـدموعِ فـخـانني ... وطفًا ، فويلي من غريقٍ طافي ! (٤)

وإذا بـكَى الـقـلبُ الحزين فما لـه ... راقٍ ولا لـبـكـائِـه مـن شافي (٥)

والـدمـعُ تهمى في الشـدائِـدِ سُحبُه ... ومـن الـدموع مُـمـاطلٌ وموافي (٦)

حَـارتْ بـه كفى تُـحـاولُ مَـسـحـهُ ... فـكـأنَّـهـا تُـغـريـه بـالايـكـاف (٧)

وأجـلُّ مــا يَـلـقى الشريفُ ثـوابَـه ... إنْ غَـسَّـلَـتْـه مَـدامـعُ الأشرافِ (٨)

* * *

(١) ماء العيون : الدموع . ذراف : تذرف بشدة . فيضا : كثيرا . معينك : مما تملكه .

(٢) يف : يوفي . الهتون : المصبوب . بسيبه : بعطائه .

(٣) الألاف : الأحباب .

(٥) راق : مُسكِّن لبكائه .

(٦) سحبه : سحابه والمقصود شده البكاء وكثرة دموع العين . مماطل : مسوف .

(٧) الايكاف : الهطول . الزيادة .

(٨) ثوابه : جزاءه . غسلته : صبت عليه الماء عند اغتساله . مدامع : دموع .

طيرُ المنيةِ صحتَ أشأمَ صيحةٍ وهززتَ شرَّ قوادمٍ وخوافِي[٩]
وعَلِقتَ بالأملِ العزيز مُحصَّناً بظوامئ الأرماحِ والأسيافِ[١٠]
والجندُ والأعوانُ ترعى موكباً ما حازه سابُورُ ذو الأكتافِ[١١]
يَفدونَ بالمهجاتِ مهجَةَ قائدٍ فى كلِّ منعرجٍ وكلِّ مطافِ[١٢]
رانَ الذهولُ ، فكلُّ عقلٍ حائرٍ وجرى القضاءُ ، فكل طرفٍ غافِي[١٣]
والموتُ أعمى فى يديه سهامُه يرمى البريةَ من وراء سِجافِ[١٤]
والموتُ قد يُخفى حمَاهُ بنسمةٍ هفَّافةٍ ، أو فى رحيقِ سُلافِ[١٥]
يغشَى الفتى ولو اطمأنَّ لموئلٍ فى الجو أو فى غمرةِ الرجّافِ[١٦]
ويحَ الكنانةِ بعد نزعِ شَغافِها أتعيشُ فِى الدنيا بِغير شَغافِ[١٧]

* * *

قد عاشَ يحمل رُوحَه فى كفِّهِ ما قالَ فى هولِ النضال كفافِ[١٨]
يلقَى الكوارثَ باسماً متألقاً والدهرُ يعصِفُ والخطوبُ سَوافى[١٩]
والموت يكشرُ عن نُيوبٍ مَشانقٍ غُبرِ الوُجوهِ دميمةِ الأطرافِ[٢٠]

---

(٩) طير المنية : الموت . قوادم : المقاديم ريش الطير الأول وهى عشر فى كل جناح . خوافى : مادون الريشات المذكورة فى الطير .
(١٠) علقت : تشبثت . بظوامئ : بعطاشى .
(١١) سابور ذو الأكتاف : أحد ملوك الهند .
(١٢) المهجات : الأرواح . منعرج : منعطف . مطاف : مكان .
(١٣) ران : غلب . طرف : عين . غافى : نائم .
(١٤) البرية : الخلق . سجاف : ساتر .
(١٥) حماه : سم العقرب . رحيق سلاف : صفوة الخمر .
(١٦) يغشى : يداهم . موئل : مكان يحتمى به . الرجاف : البحر المضطرب الأمواج .
(١٧) الكنانة : مصر . شغافها : غشاء القلب .
(١٨) كفاف : بمعنى كفى والمعنى انه لم يظهر كللاً ولا مللا .
(١٩) سوافى : مهلكة .
(٢٠) يكشر : يكشف ويظهر . نيوب : الأسنان الامامية . غبر الوجوه : سود الوجوه .

بينَ الرياحِ الهُوجِ يزأر مثلَها ... ويثورُ فى غَضَبٍ وفى إعْنافِ[21]

يَرنو إلى استقلال مصر كما رنَتْ ... عين المحبِّ لطارقِ الأطيافِ[22]

ما ارتاعَ مِن حبسٍ ولا أسرٍ ولا ... زَجْرٍ، ولا قتلٍ، ولا إرجَافِ[23]

وإذا دهتهُ الحادثاتُ بفادحٍ ... لم تلقَ إلاّ هِزّةَ استخفافِ[24]

هابتْهُ أسبابُ المنيّةِ جَهرَةً ... فَرمتهُ خائنةً بموت زُؤافِ[25]

مَوتُ الكرامِ البيضِ فوقَ جيادِهم ... لا فَوقَ نُمرقَةٍ وتحتَ طِرافِ[26]

فلكم تَمَّنى «ابنُ الوليد» مَنِيةً ... بيَن الصواهِل والقَنا الرعّافِ[27]

* * *

ذهبَ الجرئُ النَدبُ ذُخرُ بلاده ... غَوْثُ الصريخِ ونُجعةُ المُعتافِ[28]

خُلقٌ كأمواهِ السحابِ مُطَهَّرٌ ... وسَريرةٌ كلآلِئِ الأصدافِ[29]

وتَبسمٌ للمعضِلاتِ كأنّه ... إشراقُ وجهِ الروضةِ المئنافِ[30]

ونَقاءُ سُكّان السماء يحوطه ... رَبُّ السماء بعزّةٍ وعَفافِ[31]

ونزاهةٌ سِيقَتْ لها الدنيا فما ... ظفِرتْ بغير تنكُّرٍ وعِيافِ[32]

عُمَرٌ حوى الدنيا ولم يملِك سِوَى ... شاءٍ كأعوادِ القِسىِّ عِجَافِ[33]

---

(٢١) الهوج : السريعة الحمقاء . يزأر : يرفع صوته كصوت الأسد . اعناف : شدة .

(٢٢) يرنو : ينظر- يتطلع . طارق الأطياف : ما يتخيله من الخيال والأحلام أثناء النوم .

(٢٣) ما ارتاع : ما خاف . إرجاف : اضطراب .

(٢٥) جهرة : علنا . زؤاف : عاجل .

(٢٦) نمرقة : وسادة . طراف : أردية أو غطاء من حرير .

(٢٧) ابن الوليد : خالد بن الوليد البطل الإسلامى المشهور . الصواهل : الخيل . القنا : الحراب . الرعاف : الدم السائل والمقصود الحراب الملطخة بالدماء .

(٢٨) الندب : قاضى الحاجات . ذخر : ما يدخر لوقت الحاجة . غوث الصريخ : معيذ المحتاج . نجعة المعتاف : طلاب الكلأ .

(٣٠) المئناف : الطيب الرائحة .

(٣٢) عياف : كراهية .

(٣٣) شاء : من الغنم . أعواد القسى : شجر صلب تصنع منه الرماح . عجاف : هزال .

والمرءُ إن يَـخْشَ الدنيَّـةَ فى الغِنَى ... يقنَعْ بِعيشٍ فى الحياة كَفافِ[٣٤]

قـد كـانَ فى غـيرِ التحرُّجِ مَنفذٌ ... سَـهْـلٌ إلى الآلافِ والآلافِ[٣٥]

مَـهـمـا يَقُلْ من خالَفوه فإنّـه ... فى نُـبـلـهِ فـردٌ بِغير خِلافِ[٣٦]

* * *

وعَـزيمَةٌ لا الصـعبُ فى قـامـوسِـهـا ... صَعبٌ ، ولا خافِى الطريقِ بِخافِى[٣٧]

فـإذا أرادَ فـكـل شىء آلـةٌ ... وإذَا رمَى فـالـويـلُ للأهـدافِ[٣٨]

يـزدادُ فى ظُـلَـمِ النـوازلِ بِشْرُهُ ... كمْ كُدرةٍ تحتَ النـميرِ الصافى ![٣٩]

يُـخشَى ويُـرهبُ كـالمنيَّـةِ مُرهِفًا ... عَدْلٌ لدَى الإرهابِ والإرهافِ[٤٠]

فـإذا طـلـبتَ الحقَّ منه وجدتَهُ ... سهلَ الرحابِ مُوَطَّأَ الأكنافِ[٤١]

ذِكرى كحاليةِ الرياضِ شميمُها ... راحُ النـفوسِ وراحةُ المُستافِ[٤٢]

إنّ الـفتَى مـافِـيـه من أخلاقـهِ ... فإذا ذَهبْنَ فكُلُّ شىء «مافى»[٤٣]

مـازانَـه الشـرفُ المنـيفُ بِـغيرِهـا ... ولو انتَمى لسراةِ عبدِ منافِ[٤٤]

عِشنـا على الأسلافِ طولَ حياتِنا ... حتى سئِـمـنـا عِشرةَ الأسلافِ[٤٥]

الـعـبـقـرىُّ حـياتُه من صُنعِه ... لا صـنـعِ أسماءٍ ولا أوْصَافِ[٤٦]

يَـكـفـيـهِ مِنْ شَرفِ المجادةِ أنّه ... دَرْسُ العصورِ وقُدوةُ الأخلافِ[٤٧]

* * *

---

(٣٤) الدنية : النقيصة . كفاف : بسيطه ـ ما أغنى عن الناس .

(٣٩) النوازل : الملمات . كدرة : عدم الصفاء . النمير : عين الماء العذبة .

(٤٠) مرهفا : حادا ـ رقيقا .

(٤١) سهل الرحاب : يتسامح فى سعة . موطأ الأكناف : موفق الجوانب .

(٤٢) حالية الرياض : الرياض الجميلة المزهرة . شميمها : رائحتها الطيبة . المستاف : المسرور .

(٤٤) المنيف : الزائد . عبد مناف : قبيلة قديمة يضرب بها المثل فى الثراء .

(٤٥) الأسلاف : الآباء المتقدمون . سئمنا : مللنا .

(٤٧) المجادة : المجد والشرف . الأخلاف : من يأتون بعده .

عابوا السكوتَ عليهِ وهو فضيلةٌ لغَطُ الحديثِ مَطيَّةُ الإسفافِ(٤٨)
صَمْتُ الهمامِ النجدِ أو اطراقُه خُطَبٌ مُجلْجِلَةٌ بِغير هُتافِ(٤٩)
قولُ الفتى من قلبِه أو عقلِهِ فإذا سَمَحْتَ فلا تَبعْ بجُزافِ(٥٠)
حَسبُ الذى ألقى اللجامَ لِسانَه ما جاءَ مِن زَجْرٍ بسورةِ «قافِ»(٥١)
خاضَ السياسةَ ملءُ جُعبتِه هوًى مصرٍ ومَحوُ الظلمِ والإجحافِ(٥٢)
ما كانَ فى الجُلّى بحابِسِ سَرجِه عَن هَوْلِها يَوْمًا ولا وَقَّافِ(٥٣)
يَمضى ويتبعُه الشبابُ كما جرتْ جُرْدُ المذاكى فى غُبَار خِصافِ(٥٤)
نادَى مُلِحًّا بِالجلاءِ مناجزاً ماذا وراءَ الوعدِ والإخلافِ؟(٥٥)
ودعَا بوادى النيلِ غيرَ مقَسَّمٍ سُودان مصرَ كشاطئِ المُصطافِ(٥٦)
يايومَ أمريكا وكم بكَ موقفٌ أعيا النُّهىَ وبراعةَ الوصّافِ(٥٧)
هِىَ صيحةٌ لم يَرْمِها مِنْ قَبلِهِ بَطلٌ بوجه السادةِ الأحلافِ(٥٨)
صَوتٌ إذا هزّ الأثيرَ جهيرُه فلَكم بمصرٍ هزّ مِن أعطافِ(٥٩)

---

(٤٨) مطية : مركب .

(٤٩) النجد : المعين وقت الشدة . مجلجلة : مرفوعة الصوت ومسموعة .

(٥٠) بجزاف : بحدس وتخمين .

(٥١) قاف : سورة من سور القرآن الكريم فيها زجر كثير .

(٥٢) جعبته : صدره . هوى : حب . الإجحاف : الظلم .

(٥٣) الجلّى : الحلبة قبل الحرب . حابس سرجه : مانع فرسه ، كناية عن الاسراع . هولها : شدتها . ولا وقّاف : ولا مقلع عنه .

(٥٤) جرد : الذين يجدّون فى الشىء . المذاكى : حدة القلب . خصاف : نعل .

(٥٥) بالجلاء : بخروج الانجليز من مصر وكانوا يحتلونها . مناجزا : مقاتلا .

(٥٦) شاطئ المصطاف : البلاد الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط شمال مصر .

(٥٧) يوم أمريكا : يشير الى سفر الفقيد ممثلا لمصر الى هيئة الأمم المتحدة من أجل جلاء الانجليز وقال قولته المشهورة : أيها القراصنة ، أخرجوا من بلادنا . النهى : العقل .

(٥٨) السادة الاحلاف : دول الحلفاء وهى انجلترا وفرنسا وأمريكا وكان ذلك لقبهم فى أثناء الحرب العالمية الثانية ضد دولتى المحور وهما المانيا وإيطاليا .

(٥٩) جهيره : اعلانه . أعطاف : جوانب .

في كُلِّ أذنٍ مِنهُ شَنْفٌ زانَها ... ما أجمَلَ الآذانَ بالأشنافِ (٦٠)

أصغى له جمعُ الدهاةِ وأطرقوا ... شتّان بين السمع والإنصافِ ! (٦١)

سَمِعوا بيانًا عبقريًّا ما به ... في الحقِّ مِن شططٍ ولا إسرافِ (٦٢)

وجدالَ وثّابِ البديهةِ ثابتٍ ... في يوم ملحمةٍ ويوم ثِقافِ (٦٣)

وصراحةً بهرت عيونَ رجالِهم ... لمّا بدتْ نُورًا بلا أسدافِ (٦٤)

* * *

قالوا الرثاءُ ، فقلتُ دَمعُ محاجِرى ... بحرٌ ، وأنّاتُ الحزين قوافي (٦٥)

شِعرٌ مِنَ الذهبِ النُّضارِ حُروفه ... ولكم بسوقِ الشعر من زَيّافِ (٦٦)

«محمودُ» ، قد لقى المجاهدُ ربَّهُ ... في جنَّةِ النفحاتِ والألطافِ (٦٧)

نَمْ هادئًا إنَّ الغِراسَ وريفةٌ ... تُزهى بأكرم تُربةٍ وقِطافِ (٦٨)

وانزلْ إلى مَثوى الصديق تَجِد بهِ ... ماشِئْتَ مِنْ حُبٍّ ومن إشرافِ (٦٩)

قَبرُ الشهيدِ سَماحةٌ فيّاحةٌ ... ومديدُ ظِلٍّ حدائقٍ ألفافِ (٧٠)

---

(٦٠) شنف : ما علق فى أعلى الأذن .

(٦١) جمع الدهاة : جماعة العقلاء ذوى الآراء الحصيفة والمقصود ممثلى الدول فى اجتماع هيئة الأمم المتحدة .

(٦٢) شطط : خروج .

(٦٣) ملحمة : الوقفة العظيمة . ثقاف : تسوية الرماح . والمقصود يوم لقاء المحاربين .

(٦٤) أسداف : ظلمة .

(٦٥) محاجرى : عينى .

(٦٧) النفحات : الرائحة الذكية . الألطاف : التوفيق من الله والعصمة .

(٦٨) الغراس : ما غرست من الشجر والمقصود ما أديت من أعمال عظيمة . وريفة : مظلة لأن فروعها وورقها وثمرها كثير . تزهى : تفخر . قطاف : ما يجمع من الثمار . وعندما وصل لجل الشاعر عندما كان يلقى القصيدة الى هذا البيت مالت رأس الشاعر على صدره ـ وقد كان جالسا فى احد الصفوف الامامية وفارق الحياة إلى جوار ربه سبحانه وتعالى ثم نقلوه إلى خارج القاعة ومنها تمّ نقله إلى منزله .

(٦٩) مثوى : مكان . الصديق : يقصد أحمد ماهر باشا صديقه ورئيس وزراء مصر قبله ودفن معه فى نفس المدفن بشارع رمسيس بالقاهرة .

(٧٠) فياحة : تفوح منه رائحة المسك . الفاف : أشجار يلتف بعضها ببعض .

ما مَاتَ مَن كتبَ الخلودُ رثاءَه ووشَى له حُللَ الثناء الضَّافى[71]
حُيِّيتَ مِن مُزنِ العيُون بوابلٍ ومِنَ الحنانِ بِناعم رَفّافِ[72]

(71) الضافى : السابغ .
(72) مزن العيون : دمع العيون . وابل : مندفع شديد منهمر . ناعم رفاف : ثياب خضر حريرية ملساء . وقد يكون المقصود العلم المصرى وقد كان حينئذ أخضر اللون يتوسطه هلال وثلاث نجوم بيضاء اللون .

الزِّفَافُ المَلكِي

بمناسبة زفاف الملك فاروق ملك مصر حينئذ فى يناير سنة ١٩٣٨ م .

إنْظِمِ الدُّرَّ تَوْءَمًا وَفَرِيدًا ... وَامْلَأِ الأَرْضَ والسَّماءَ نَشِيدًا (١)

وَإِذَا مَرَّ بِالنُّجُومِ خَيَالٌ ... فَتَخَيَّرْ مِنَ النُّجُومِ عُقُودًا (٢)

آنَ يا شِعْرُ أَنْ تُغَنِّى فَأَرْسِلْ ... مِنْ قَوافِيكَ ما يَهُزُّ الْوُجُودَا (٣)

أَسْكِتِ الصَّادِحاتِ يَهتِفْنَ فى الدَّوحِ ... وَكُنْ فى عِشاشِهَا تَغْرِيدًا (٤)

حَفِظَتْ رنَّةً وَقَدْ رَدَّدَتْهَا ... فَابْعَثِ اللَّحْنَ «جَارِمِيًّا» جَدِيدًا (٥)

وَاصْعَدِ الْجَوَّ للسَّمَوَاتِ وَانْقُلْ ... لُغَةَ الْخُلْدِ إنْ مَلَكْتَ صُعُودا (٦)

نَغَمَاتٌ مِنَ الْمَلائِكِ تَسْرِى ... فِى الْفَرَادِيسِ مَا عَرَفْنَ حُدُودا (٧)

صَفَّقَ الْكَوْثَرُ الطهُورُ لِمَسْرَاهَا ... وَجَرَّ الذُّيُولَ يَمْشِى وَئِيدا (٨)

وَسَعَتْ صَوْبَ هَمْسِهَا كلُّ حَوْرَاءَ ... تُدَانِى رَأْسًا وَتَعْطِفُ جِيدًا (٩)

---

(١) الدر : اللآلئ العظيمة ، الواحدة درة . التوءم : اسم لولد يكون معه آخر فى بطن واحد ، ويقال : توءم للذكر وتوءم للأنثى والجمع توائم ، وهما توأمان وتوءم . وتوائم اللآلئ : ما تشابك منها . وفريداً : واحداً فرداً ، والفريد أيضاً : الدر الذى يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد .

(٢) العقود : جمع عقد وهو القلادة .

(٨) الكوثر : نهر فى الجنة .

(٩) صوب : جهة . الهمس : الصوت الخفى . حوراء : صفة من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها ، تدانى : تقرب . تعطف : تميل وتثنى . الجيد : العنق .

سِرْ خفيفًا معَ النسَائِمِ وَابْعَثْ نَفَسًا يَملأُ الْفَضاءَ مَديدا[٢١]
يُنصِتُ اللَّيْلُ حِينَ تُنْشِدُ يا شِعْـرُ وَتَنفى عَنْ مُقْلَتَيْهِ الرُّقودا[٢٢]
ضُمَّهُ بَيْنَ سَاعِدَيْكَ وَغَرِّدْ مِثْلَمَا هَزَّتِ الْفَتَاةُ الْوَلِيدا[٢٣]
لا تَدَعْ فى لَهَاةِ فَنِّكَ صَوْتًا إِنْ رَنَا مُصْغِيًا يُرِيدُ الْمَزِيدا[٢٤]
قَدْ نَقَدْنَا لَكَ الْقَوافى صِحَاحًا مِثْلَمَا يَنْقُدُ الشَّحِيحُ النقُودَا[٢٥]
وَجَمَعْنَا حُرَّ الْكَلاَمِ الَّذِى عَـزَّ فَأَضْحَتْ لَهُ الْمَعَانى عَبِيدا[٢٦]
وَحَشَدْنَا الأَلْفَاظَ أَنْقَى مِنَ الْمَـاءِ وَأَشْهَى مَسَاغَةً وَوُرُودا[٢٧]
وَبَعَثْنَا الْخَيَالَ سِحْرًا مِنَ السحْـرِ وَنَهْجًا مِنَ الْبَيَانِ سَدِيدا[٢٨]
طارَ فى الْجَوِّ مَا يَمَلُّ زَفِيفًا وَطَوَى الأرضَ مَا يَمَلُّ وَخِيدا[٢٩]
رِقَّةٌ لَوْ جَرَتْ بِسَمْعِ الْغَوَانى أَوَّلَ الدهرِ مَا عَرَفْنَ الصدُودَا[٣٠]
قَدْ رَآهُ مُثَقَّفُ الْحِسِّ وَحْيًا وَرَآهُ مَنْ لاَ يُحِسُّ قَصِيدًا[٣١]
سَارَ يَحْثُو التُّرَابَ فى وَجْهِ بَشَّا رِ وَيَطْوِى ابْنَ هَانِئٍ وَالْوَلِيدا[٣٢]

---

(٢١) خفيفاً : صفة من الخفة ، والخفيف أيضاً أحد بحور الشعر ، وأجزاؤه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين . والقصيدة من هذا البحر ، ففى هذه الكلمة تورية لطيفة . مديداً : صفة لنفساً بمعنى ممدود منبسط طويل . والمديد أيضاً ثانى بحور الشعر ، وأجزاؤه فاعلاتن فاعلن أربع مرات وهو مجزوء وجوبا ، وفى مديد تورية أيضاً .

(٢٥) نقد الدراهم من باب نصر : أخرج منها الزيف أو نظرها ليعرف جيدها وزيفها .

(٢٦) يريد بحر الكلام : جيده .

(٢٨) النهج : الطريق الواضح . البيان : الفصاحة واللسن . سديد : الصواب والقصد والاستقامة .

(٢٩) الزفيف : مصدر زف الطائر يزف بكسر الزال زفا وزفيفاً إذا بسط جناحه وأسرع فى طيرانه . وطى الأرض : كناية عن السير فيها . الوخيد : نوع من سير الابل وهو الاسراع أو أن يرمى البعير بقوائمه كمشى النعام أو سعة الخطو .

(٣١) الوحى : الالهام . القصيد : جمع قصيدة ، أو القصيد من الشعر ما تم شطر أبياته ، وليس إلا ثلاثة أبيات فصاعداً أو ستة عشر فصاعداً .

(٣٢) يحثو التراب : يقبضه بيده ثم يرميه ، وهذا كناية عن الازدراء والتحقير . وبشار بن برد : من الشعراء المخضرمين فى الدولتين الأموية والعباسية ، كان نابغة زمانه فى الفصاحة والشعر ، وهو أول من جمع فى شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ومهد طريق الاختراع والبديع للمتفننين وقد مات مقتولا سنة ١٦٧ هـ بعد أن نيف على التسعين . وابن هانئ : هو أبو نواس الشاعر المبدع وقد أجاد فى كل فنون الشعر ، وبرع فى المجون

وَالتَّهَالِيلُ تَمْلأُ الْمَلأَ الأَعْلَى   وَتَعْنُو لِقُدْسِهِ تَمْجِيدَا(١٠)

فَرَحٌ فِى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ بِالْفَا   رُوقِ فَازَتْ بِهِ الْبَشَائِرُ عِيدَا(١١)

غَنِّ يَا شِعْرُ بِالأَمَانِى حِسَانًا   ضَاحِكَاتٍ وَبِالزَّمَانِ وَدِيدَا(١٢)

أَجِدِ الْقَوْلَ مَا اسْتَطَعْتَ وَإِلَّا   فَمَتَى يَا تُرَى تَكُونُ مُجِيدَا(١٣)

عَجَزَ النَّاىُ فَابْتَكِرْ مِنْ قَوَافِيكَ   وَرَنَّاتِهِنَّ نَايًا وَعُودَا(١٤)

وَتَخَيَّرْ مِنَ الْخَمَائِلِ أَنْدَا   هَا وَرَدِّدْ خِلالَهَا تَرْدِيدَا(١٥)

هَاتِهَا مَوْصِلِيَّةً تَمْلِكُ السَّمْعَ   وَطَرِّبْ بِهَا وَغَنِّ «الرَّشِيدَا»(١٦)

وَابْعَثِ الرَّوْضَ مِنْ كَرَاهُ وَقَبِّلْ   وَجَنَاتٍ مِنْ زَهْرِهِ وَخُدُودَا(١٧)

وَتَرَنَّمْ تُجِبْ صَدَاكَ الْقَمَارِى   وَتَمِلْ نَحْوَكَ الْغُصُونُ قُدُودَا(١٨)

أَرْسِلِ الصَّوْتَ رَنَّةً تَمْلأُ الدُّنْيَا   وَتَبْقَى عَلَى الزَّمَانِ خُلُودَا(١٩)

لا تُبَالِ الْقُيُودَ مِنْ فَاعِلاتُنْ   أَنْتَ أَحْرَى بِأَنْ تُذِلَّ الْقُيُودَا(٢٠)

---

(١٠) التهاليل : جمع تهليل مصدر هلل أى قال : لا إله إلا الله ، أو هو جمع تهليلة اسم مرة منه . والملأ فى الأصل : الجماعة ، والمراد بالملأ الأعلى هنا أهل السموات . تعنو : تخضع . القدس : الطهر . التمجيد : الاعظام والاجلال والثناء .

(١٢) الأمانى بالياء المشددة وقد خففت هنا لضرورة وزن الشعر : جمع أمنية وهى ما يحبه الانسان ويتمناه . وديداً : محباً .

(١٥) الخمائل : جمع خميلة وهى الشجر الكثيف . أندى : اسم تفضيل من ندى بمعنى ابتل . والمراد أنضرها وأجملها .

(١٦) موصلية : نسبة إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ مغنى الرشيد والمضروب به المثل فى تجويد الغناء وتنويعه والتفنن فيه وهو فارسى الأصل ، وقد أخذ الغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين . الرشيدا : هارون الرشيد خامس خلفاء بنى العباس ومن أعظمهم شهرة وأبعدهم صيتًا ، تولى الخلافة من سنة ١٧٠ هـ إلى سنة ١٩٣ هـ .

(١٧) الكرى : النعاس . الوجنات : جمع وجنة وهى من الانسان ما ارتفع من لحم خده .

(١٨) القمارى : جمع قمرى أو قمرية لنوع من الحمام كأنه منسوب إلى القمرة وهى لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة ، وقد خففت ياء القمارى هنا لضرورة وزن الشعر . القدود : جمع قد ، وهو قامة الإنسان وحسن اعتداله .

(٢٠) فاعلاتن : من أجزاء الشعر وتفاعيله التى يوزن بها وتتألف منها بحوره . أحرى : أجدر وأحق .

كـلَّمَا قَامَ مُنْشِدُ الْقَوْمِ يَتْلُو ... هُ تَـمَنَّى مُتَابِعٌ أَنْ يُعِيـدا[٣٣]

إنَّ يَوْمَ الْفَارُوقِ يَوْمٌ عَلَى الدهْـــرِ فَرِيدٌ ، فَهَاتِ قَوْلاً فَرِيدا[٣٤]

وَتَخَيَّرْ مِنْ سِحْرِ «مَنْفِيسَ» سِرًّا ... كَـتَمَـتْهُ الْكُهَّانُ عَهْدًا عَهِيدًا[٣٥]

وَصُغِ الشمْسَ فِي الأَصَائِلِ تَاجًا ... وَانْسُجِ الرَّوْضَ فِي الرَّبِيعِ بُرُودَا[٣٦]

إنَّ «فَارُوقَ» فِي الْمُلُوكِ وَحِيدٌ ... فَلْتَكُنْ أَنْتَ فِي الْبَيَانِ وَحِيدا[٣٧]

* * *

بَحَثَ الْمَجْدُ فِي الْعُصُورِ فَلَمْ يَلْـــقَ لَهُ بَيْنَ دَفَّتَيْهَا نَدِيدًا[٣٨]

مَلِكٌ فَضْـلُـهُ تَـرَاهُ قَـرِيـبًـا ... وَمَـدَى رَأْيِـهِ تَـرَاهُ بَـعِـيـدًا[٣٩]

خَـدَمَـتْـهُ الأَقْـدَارُ حَـتَّى تَـمَنَّتْ ... لَوْمَشَتْ حَوْلَ سُدَّتَيْهِ جُنُودًا[٤٠]

وَتَـمَـنَّى اخْضِـرَارُ كُـلِّ نَـبَـاتٍ ... لَوْ غَدَا فِي سَمَاءِ مِصْرَ بُنُودا[٤١]

هِـمَّـةٌ تَـمْـتَـطِي الـسـماءَ وَعَزْمٌ ... يَرْهَبُ الـدهْرُ سَيْفَهُ مَغْمُودا[٤٢]

وَثَـبَـاتٌ يُـدْمِي جَـبِـيـنَ اللَّيَالِي ... وَيَفُتُّ الصخْرَ الأَصَمَّ الصَّلُودا[٤٣]

مَـكْـرُمَـاتٌ سَـارَتْ بِـكُلِّ مَسارٍ ... مَـثَلاً يَسْـبِقُ الـريَـاحَ شَرُودا[٤٤]

* * *

والغزل ووصف الخمر ومجالسها ، مات سنة ١٩٦ هـ والوليد : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى البحترى من أشهر شعراء الدولة العباسية وأحد الذين سارت بذكرهم الركبان وخلد شعرهم الزمان . ولد سنة ٢٠٦ هـ بناحية «منبج» بين حلب ونهر الفرات ولازم وهو فتى أبا تمام الشاعر المشهور وعليه تخرج واقتبس طريقته فى البديع من غير إفراط . ثم اتصل بالخليفة العباسى جعفر المتوكل على الله ووزيره الفتح بن خاقان ومدحهما وأقام فى خدمتها إلى أن قتلا فرجع إلى «منبج» وبقى يختلف أحيانا إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ .

(٣٥) «منفيس» : مدينة قديمة أنشأها الملك «مينا» أول الفراعنة الذين جلسوا على عرش مصر قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، وكانت حاضرة البلاد المصرية فى ذلك العهد ومقر الملك وموطن السحر والعظمة والبهاء والجلال وموقعها الآن البدرشين وميت رهينة وعلى مقربة منها أهرام سقارة ودهشور وفى شمالها الغربى أهرام الجيزة المشهورة . وبقيت منف رفيعة القدر عالية الشأن بعيدة الصيت إلى أن انقرضت الدولة المصرية القديمة بانقراض الأسرة الثامنة حوالى ٢١٦٠ ق . م .

(٤٠) السدة : باب الدار ، أو فناء البيت .

(٤١) البنود : جمع بند وهو العلم الكبير ، وفيه إشارة إلى اللون الأخضر لعلم مصر حينئذ .

(٤٣) الأصم : الصلب المصمت . الصلود : الصلب الأملس .

يـــا لِوَاءَ الْـــبِلادِ أيُّ لِوَاءٍ ... لا يُفَدَّى لِوَاءَكَ الْمَعْقُودَا ؟[٤٥]

صـانَـهُ اللهُ فى يَـدَيْكَ فَـخُذْهُ ... وَتَـقَـدَّمْ بِـهِ قَوِيًّا جَـلِـيـدا[٤٦]

وَجَـدَ الـنَّصْـرُ فى ذَرَاهُ مَـقِيلاً ... فَأَبَى أَنْ يَرِيمَ أَوْ أَنْ يَحِيدا[٤٧]

وَرَأَتْ مِصْـرُ فِـيـه عِـزًّا مَـنِيعًا ... ومَثَابًا رَحْبًا وَرُكْنًا شَدِيدا[٤٨]

أَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ بَنَوْا فارِعَ الْمَجْـــدِ فَأَمْسَى بِمِصْرَ صَرْحًا مَشِيدا[٤٩]

عَرَفَ السَّيْفُ أَنَّهُمْ جُنْدُهُ الْبُسْـــلُ إذَا صَافَحَ الْحَدِيدُ الْحَدِيدا[٥٠]

أَسْعَدُوا شَعْبَهُمْ فَكَانُوا سَحَابًا ... وَحَمَوْا عَرْشَهُمْ فَكَانُوا أُسُودا[٥١]

وَمَضَوْا لِـلْـعُلاَ سِـرَاعًـا وَخَـلَّوْا ... أَنْجُمَ اللَّيْلِ جَاثِمَاتٍ هُجُودا[٥٢]

مَـلَـكُوا مِقْوَدَ اللَّـيالى صِعَابًا ... وَلَوَوْا هَـامَـةَ الـزَّمَانِ عَنِيدا[٥٣]

* * *

يَوْمَ «فارُوقَ» دُمْ عَلَى صَفْحَةِ الدَّهْـــرِ حَفِيلاً بِالْبُشْرَيَاتِ مَجِيدا[٥٤]

لَبِسَتْ فِيكَ مِصْرُ أَزْهَى حُلاَهَا ... ورَأَتْ فِيكَ يَوْمَهَا الْمَشْهُودا[٥٥]

عَـبْـدُهَـا الـدَّهْرُ وَاللَّيَالى إمَاءٌ ... وَالأَمَـانى تُرِيدُهَا أَنْ تُرِيدا[٥٦]

---

(٤٥) اللواء : العلم .

(٤٦) جليداً : قويا شديداً صبوراً .

(٤٧) الذرا : الكنف والستر . المقيل : اسم مكان من قال من باب باع أى نام فى الظهيرة ، والمراد بالمقيل هنا المستقر والمكان الذى يجد فيه الانسان راحته وطمأنينته . يريم : يبرح . يحيد : يميل ويعدل وينصرف .

(٤٨) منيعا : قوياً عزيزاً مكيناً . المثاب : مجتمع الناس بعد تفرقهم ، أو هو المرجع . الركن : الجانب الأقوى ، وما يقوّى به من ملك وجند وغيره .

(٤٩) الفارع : الرفيع العالى . الصرح : القصر وكل بناء عال . مشيداً : مطلياً بالشيد وهو ما طلى به حائط من جص ونحوه .

(٥١) حماه : دفع عنه ومنعه وصانه .

(٥٢) خلوا : تركوا . جاثمات : جمع جاثمة اسم فاعل من جثم الطائر ونحوه إذا تلبد بالأرض . هجوداً : نائمات .

(٥٣) المقود : الحبل تقاد به الدابة . صعاباً : جمع صعبة ، وهى حال من الليالى . لوى رأسه : أماله . الهامة : الرأس . عنيداً : حال من الزمان وهى صفة من العناد بمعنى الخلاف والعصيان .

(٥٤) حفيلا : ممتلئاً .

(٥٦) الاماء : جمع أمة . الأمانى : جمع أمنية وهى ما يتمناه الإنسان ويريده .

فى ظِلالِ الْمَلِيكِ عزَّتْ وَطَالَتْ وَاسْتَعَادَتْ فِرْدَوْسَهَا الْمَفْقُودا[57]
وَغَدتْ حَلْقَةً مِنَ الْمَجْدِ حَتَّى قَدْ ظَنَنَّا الطَّرِيفَ مِنْهُ تَلِيدَا[58]
أَقْبَلَتْ تَحْوَ سُدَّةِ الْمَلِكِ الْعَا لى وُفودًا تَتْلُو إِلَيْهِ وُفُودا[59]
مَلَئُوا سَاحَةَ الْإِمَامَةِ حَتَّى خَافَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمُ أَنْ تَمِيدا[60]
وَاسْتَحَثُّوا الْخُطَا فَكَانُوا بروقاً وعلاَ صَوْتُهم فكانوا رُعُودا[61]
وَالسُّرُورُ السرورُ يَلْعَبُ بِالشَّعْــبِ كَمَا هَزَّتِ النَّسَائِمُ عُودا[62]
ضَحِكَاتٌ تَهْفُو إلى ضَحِكَاتٍ وَوعُودٌ بِالصفْوِ تَلْقَى وُعُودَا[63]
كُلُّهُمْ يَجْأَرُونَ بِالْعِزِّ لِلْفَا رُوقِ وَالْعَيْشِ نَاضِرًا وَرَغِيدا[64]
كَبَّرُوا حِينَمَا رَأَوْكَ مُطِلاًّ وَأَبَحُّوا أَصْوَاتَهُمْ تَحْمِيدا[65]
أَبْصَرُوا طَلْعَةً إِذَا مَا تَبَدَّتْ خَرَّتِ الشَمْسُ وَالنُّجُومُ سُجُودا[66]
وَرَأَوْا سَيِّدًا يُضِيءُ شَبَابًا بَاسِمًا كَالْمُنَى، وَيَهْتَزُّ جُودا[67]
قَدْ غَرَسْتَ الْوَلاَءَ فى كُلِّ قَلْبٍ فَتَفَيَّأْ فى ظِلِّهِ مَمْدُودَا[68]

* * *

إِنَّ عَرْشًا أَسَاسُهُ مُهَجُ الشَّعْــبِ خَلِيقٌ بِأَنْ يَكُونَ وَطِيدا[69]
فَانْظُرِ الشَّعْبَ لَا تَرَى غَيْرَ قَلْبٍ نَابِضٍ يَحْفَظُ الْوَلاَءَ الأَكِيدا[70]
ما رَأَتْ مِصْرُ مُنْذُ أَيَّامِ عَمْرٍو مِثْلَ أَيَّامِكَ الْحِسَانِ عُهُودا[71]

---

(58) الطريف : الجديد المستحدث . التليد : القديم .
(59) السدة : باب الدار أو فناؤها .
(60) الساحة : الفضاء المتسع أمام الدار . تميد : تتحرك وتهتز .
(61) استحثوا الخطا : أسرعوا .
(63) تهفو : تذهب وتسرع .
(64) يجأرون : يرفعون أصواتهم بالدعاء ويتضرعون .
(68) الولاء : الحب . تفيأ بالشجرة : استظل بها .
(69) المهج : جمع مهجة وهى دم القلب أو النفس والروح . وطيد : ثابت مستقر مكين .
(71) عمرو بن العاص: أحد دهاة العرب وساستهم وقوادهم الذين سارت بذكرهم الركبان ، وخلد مجدهم الزمان ، وقد فتح مصر باذن من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) ثم كان والياً عليها من

قَدْ نَشَرْنَا لَكَ الْوُرُودَ قُلُوبًا وَنَشَرْنَا لَكَ الْقُلُوبَ وُرُودا(٧٢)
وَحَفِظْنَا لَكَ الْوِدَادَ نَضِيرًا وَأَذَعْنَا لَكَ الثَّنَاءَ نَضِيدا(٧٣)

* * *

مَوْكِبٌ يَبْهَرُ الشُّمُوسَ وَمَجْدٌ حَمْلَقَ الدهْرُ مُذْ رَآهُ سُمُودا(٧٤)
لَمْ يُشاهِدْ سِوَاهُ بَعْدَ ابْنِ دَا وُدَ سَنًا مُشْرِقًا وَمُلْكا عَتِيدا(٧٥)
وَمَلِيكًا يَرْعَى الإِلَهَ وَيَخْشَا هُ وَيُعْلِى الإِيمَانَ والتَّوْحِيدا(٧٦)
أَكْمَلَ الدِينَ بِالزَّوَاجِ فَأَسْدَى مَثَلاً ـ لَوْدَرَى الشَّبَابُ ـ رَشِيدا(٧٧)
فَرَحٌ شَامِلٌ بِهِ بَلَغَتْ مِصْرُ مُنَاهَا وحَظُّهَا الْمَنْشُودَا(٧٨)
كُلُّ بَيْتٍ بِهِ غِنَاءٌ وَشَدْوٌ عَلَّمَ الطيْرَ ـ إِنْ شَدَتْ ـ أَنْ تُجِيدا(٧٩)
تَتَمَنَّى الأَغْصَانُ لَوْ رَقَصَتْ فِيهِ مَكَانَ الْحِسَانِ هِيفًا وَغِيدا(٨٠)
وَتَوَدُّ النُّجُومُ لَوْ كُنَّ فِيهِ بَدَلاً مِنْ سَنَا الشمُوعِ وَقُودا(٨١)

* * *

يَا لَيَالِى الْفَارُوقِ كُونِى لِمَوْلَا كِ رِفَاءً وَلِلْبِلادِ سُعُودا(٨٢)
لَمَعَتْ فِى عُلاَكِ دُرَّةُ خِدْرٍ كَرُمَتْ نَشْأَةً وَطَابَتْ جُدُودا(٨٣)

قبله فأقام فيها ميزان العدل ونشر فى ربوعها الأمن والطمأنينة والرخاء.

(٧٣) لضيداً : كثيراً منظوماً يتبع بعضه بعضاً، وأصلها من نضد متاعه إذا وضع بعضه على بعض.

(٧٤) سموداً : حيرة وولهاً.

(٧٥) ابن داود: هو سيدنا سليمان عليه السلام، وقد أشاد القرآن بجلال ملكه وعظمته فى سورة ص وغيرها «قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رُخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» ٣٥ ـ ٣٩ سورة «ص» السنا : الضوء. العتيد : العظيم.

(٧٧) أسدى إليه معروفًا : اتخذه عنده. رشيد : صفة من الرشاد وهو الهدى والصواب.

(٨٠) هيف : جمع هيفاء وهى المرأة الضامرة البطن والخاصرة. غيد : جمع غيداء وهى المرأة الناعمة المتثنية لينا.

(٨٢) مولاك : صاحبك وسيدك. الرفاء : الوفاق والالتئام وجمع الشمل.

(٨٣) الدرة : اللؤلؤة العظيمة شبه بها الشاعر الملكة «فريدة». الخدر : الستر، ويطلق الخدر على البيت.

بَـلَـغَتْ قِـمَّـةَ الْـجَلاَلِ فَـأَمْسَى كُلُّ مَجْدٍ لَـمجْدِهَا مَرْدُودا(٨٤)
مِنْ مِهَادِ النُّبْلِ السَّنِيِّ أَضَاءتْ فَعَلَتْ كَوْكَبًا وعَزَّتْ مُهُودا(٨٥)
وَزَهَتْ فِى مَقَاصِرِ الْمُلْكِ زَهْرَا ءَ فَـزَانَتْ مَقَامَهُ الْـمَحْـمُودا(٨٦)

* * *

يَا مَلِيكَ الْبِلاَدِ فَاهْنَأْ بِمَا نِلْـــتَ سَعِيدًا جَمَّ الثَّنَاءِ حَمِيدَا(٨٧)
قَدْ أَشَدْنَا بِفَضْلِكَ الْوَافِرِ الْجَـــمِّ إِذَا اسْطَاعَ شَاعِرٌ أَنْ يُشِيدَا(٨٨)
أَجْهَدَ الشعْرَ أَنْ يَرَى عَزَمَاتٍ يَعْجِزُ الْوَصْفُ دُونَهَا وَجُهُودا(٨٩)
وَمَــعَــانِيكَ لَا تُــحَـدُّ فَـمَـاذَا يَعْمَلُ الشعْرُ قاصِرًا مَحْدُودا ؟(٩٠)
وَإِذَا مَـا الْـبَـيَـانُ عَقَّ لَـبِـيـدًا فِي الْمَقَامِ الْمَهِيبِ فَاعْذِرْ لَبِيدا(٩١)
عِشْ وَحِيدَ الْجَلاَلِ وَالْمَجْدِ وَاسْعَدْ أَمَلُ الْمَجْدِ أَنْ تَعِيشَ سَعِيدا(٩٢)
وَابْقَ لِـلـدِّينِ مَوْئِلاً وَعِـمَـادًا وَابْقَ لِلشَّرْقِ سَيِّدًا وَعَـمِـيـدا(٩٣)

---

(٨٥) المهود : جمع مهد .
(٨٦) المقاصر : جمع مقصورة وهى الحجرة . زهراء : حسناء بيضاء نضيرة .
(٩١) البيان : الفصاحة واللسن والبلاغة . عقّ : عصى . لبيد : هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى كان فى الجاهلية سيدا شاعراً مجيداً ، وفارساً حكيما شريفاً ، وهو من بنى عامر بن صعصعة إحدى بطون هوزان من مضر ، وأمه عبسية ، وهو من أصحاب المعلقات ، وقد عمر حتى ظهر الاسلام فأسلم وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر .
(٩٣) موئلا : ملجأ . العماد : الأبنية الرفيعة واحدتها عمادة . العميد : السيد والرئيس .

تمثال سعد

احتفلت الحكومة المصرية برفع الستار عن تمثال سعد زغلول باشا بالقاهرة والإسكندرية فى صيف سنة ١٩٣٨ م .

إمْلأ الأُفْقَ مِنْ سَنًا وَسَنَاء   وَتَرَفَّقْ بِهَامَةِ الْجَوْزَاء[١]
وَاسْمُ نَحْوَ السَّمَاء كَالْمَثَل الأَعْلَى تجلَّى مُحَلِّقًا فى السماء[٢]
تَجْتَلِيكَ النُّفوسُ طَالِعَ سَعْدٍ   وَتَرَاكَ الْعُيُونُ لَمْحَ رَجَاء[٣]
رَافِعٌ رَأْسَهُ يَشُقُّ بِهِ السُّحْبَ فَتَمْضِى فى رَهْبَةٍ وَحَيَاء[٤]
شَمَمٌ عَافَ أَنْ يَعِيشَ عَلَى الأَرْ   ضِ فَفَازَتْ بِهِ طِبَاقُ الْجِواء[٥]
مَنْ سِوَى ذِى الْمَضَاء وَالْهِمَّةِ الشَّمَّاء أَوْلَى بِالْقِمَّةِ الشَّمَّاء؟[٦]
نَاظِرٌ يَعْبُرُ الْوُجودَ بِلَحْظَيْهِ فَيَجْتَازُ مُسْتَسِرَّ الْخَفَاء[٧]
تَتَجَلَّى لَهُ الْحَيَاةُ سُطُورًا   مِنْ ضِيَاء لَا مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاء[٨]
وَيَرَى مِنْ وَرَائِهَا كُلَّ سِرٍّ   جَلَّ مَكْنُونُهُ عَنِ الإِفْشَاء[٩]
وَاقِفٌ كَالْخَطِيبِ فَانْتَبَهَ الشَّرْ   قُ وَمَدَّ الأَعْنَاقَ لِلإِصْغَاء[١٠]

---

(١) سنا : ضوء . سناء : رفعة وشرف . هامة : رأس كل شيء وجمعه الهام . الجوزاء : برج فى السماء .
(٢) اسمُ : اعلُ .
(٣) تجتليك : تستبينك وتراك .
(٥) الشمم : الأنفة والإباء . عاف : كره ومَلّ . طباق : طبقات . الجواء : جمع جو .
(٦) المضاء : النفاذ والإرادة القوية . الشمّاء : العالية .
(٧) يعبر : يجتاز . اللّحظ : مؤخر العين . مستسر : مستتر .
(٩) جل : عظم واستعصى . مكنونه : مستوره .

رُبَّ صَمْتٍ مِنَ الْبَيَانِ رَهِيبٍ   حُرِمَتْهُ مَقَاوِلُ الْبُلَغَاءِ(١١)

وإِذَا جَلَّتِ الْمَعَانِي تَسَامَتْ   عَنْ قُيُودِ الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ(١٢)

يَتَأَبَّى السَّيْلُ الَّذِي يَصْدَعُ الْأَجْبَالَ   أَنْ يَحْتَوِيهِ جَوْفُ إِنَاءِ(١٣)

وَإِذَا لَمْ تَعِ الْمَعَانِي فَنَقِّبْ   تَجِدِ الْعَيْبَ كُلَّهُ فِي الْوِعَاءِ(١٤)

بَيْنَ مَعْنًى قَزْمٍ يَجُرُّ رِدَائَيْهِ   وَمَعْنًى ضَخْمٍ قَصِيرِ الرِّدَاءِ(١٥)

رُبَّ فِكْرٍ فِي النَّفْسِ وَهْوَ مُضِيءٌ   أَخْمَدَتْهُ فَهَاهَةُ الْفَأْفَاءِ(١٦)

* * *

كَانَ فِي مَوْتِهِ مِنَ الْخُلْدِ مَعْنًى   فَوْقَ مَعْنَى الْحَيَاةِ وَالْأَحْيَاءِ(١٧)

عِشْتَ حُرًّا، فَكَانَ خَيْرَ قَرِينٍ   لَكَ بَعْدَ الْحَيَاةِ طَلْقُ الْهَوَاءِ(١٨)

تَزْدَهِي الطَّيْرُ بِالزَّعِيمِ وَتَهْفُو   بِجَنَاحَيْنِ مِنْ هَوًى وَوَفَاءِ(١٩)

كُلَّمَا غَنَّتِ الْبِلَادُ بِسَعْدٍ   رَدَّدَتْ فى السمَاء لَحْنَ الْغِنَاءِ(٢٠)

وَهْوَ عَالٍ كَذِكْرِهِ، مَلَأَ الْأَرْ   ضَ، وَأَلْوَى بعاصِفَاتِ الْفَنَاءِ(٢١)

إِنَّ مَنْ لَمْ يُبَالِ بِالْمَوْتِ حَيًّا   فَازَ مِنْ بَعْد مَوْتِهِ بِالْبَقَاءِ(٢٢)

* * *

فِي صَفَاءٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ كَالْحَقِّ،   إِذَا لَمْ يَشِنْهُ ثَوْبُ الرِّيَاءِ(٢٣)

تَقْبِسُ الشَّمْسُ نُورَهَا مِنْهُ فِي الصُّبْحِ،   وَزُهْرُ النُّجُومِ عِنْدَ الْمَسَاءِ(٢٤)

---

(١٢) جلت : عظمت . تسامت : تعالت وعظمت .

(١٣) يصدع : يشق .

(١٤) لم تع : لم تستبن . نقب : ابحث .

(١٦) أخمدته : أخفته . فهاهة : عيّ . الفأفاء : مردد الفاء فى كلامه من العي .

(١٨) قرين : مثيل ونظير .

(٢١) ألوى بعاصفات الفناء : ذهب بها وسحقها .

(٢٣) لم يشنه : لم يعبه . الرياء : إظهار خلاف الباطن .

(٢٤) تقبس : تستمد وتأخذ . زهر النجوم : الكواكب المشرقة .

فى حَفِيفٍ مِنَ النَّسِيمِ رَفِيقٍ ... وَجَمِيمٍ عَذْبٍ مِنَ الأَنْدَاءِ [٢٥]

لاَ يُبَالِى الأَنْوَاءَ مِنْ بَعْدِمَا عَا ... شَ حَيَاةً كَثِيرَةَ الأَنْوَاءِ [٢٦]

تَحْتَهُ النِّيلُ فى الْخَمَائِلِ يَمْشِى ... خَافِضًا طَرْفَهُ عَلَى اسْتِحْيَاءِ [٢٧]

سَارَ يَزْهَى بِشَاطِئَيْهِ طَلِيقًا ... نَحْنُ أَدْرَى بِنِعْمَةِ الطُّلَقَاءِ [٢٨]

يَزْأَرُ الْمَوْجُ فِيهِ غضبانَ أَنْ ضَا ... قَ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِطْرَاءِ [٢٩]

هُوَ مَجْرَى مِنَ الْبَشَائِرِ وَالآ ... مَالِ مُثِّلْنَ فى غَرِينٍ وَمَاءِ [٣٠]

هُوَ حِينًا حَوْلَ الرُّبَا مِنْ نُضَارٍ ... وَهْوَ حِينًا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ [٣١]

قَبَّلَتْهُ الأَزْهَارُ وَهْوَ أَبُوهَا ... كَمْ حَنَانٍ فى قُبْلَةِ الأَبْنَاءِ ! [٣٢]

* * *

قِفْ كَمَا شِئْتَ وَقْفَةَ اللَّيْثِ يَا سَعْـ ... ـدُ ، قَلِيلَ الأَنْدَادِ وَالنُّظَرَاءِ [٣٣]

مِصْرُ غِيلُ الشَّرْقِ الَّذِى عَلَّمَ الأُسْـ ... ـدَ صِيَانَ الْحِمَى ، وَفَتْكَ الضِّرَاءِ [٣٤]

نَابُهَا الْحُجَّةُ الضَّرُوسُ ، وَأَظْفَا ... رُ يَدَيْهَا عَزِيمَةُ الْبُسَلاَءِ [٣٥]

زَأَرَتْ مِصْرُ فَاسْتَطَارَ لَهَا الشَّرْ ... قُ ، وَلَبَّى مُثَوِّبًا لِلنِّدَاءِ [٣٦]

وَأَمَاطَ الْحِجَابَ عَنْ نَاظِرَيْهِ ... وَمَضَى يَسْتَخِفُّ بِالأَرْزَاءِ [٣٧]

قِفْ مُشِيرًا إِلَى الْفَضَاءِ ، فَذِكْرَا ... كَ مَدَى الدَّهْرِ مِلْءُ هَذَا الْفَضَاءِ [٣٨]

حَفِظَتْهَا الأَبْنَاءُ أُنْشُودَةَ الْمَهْـ ... ـدِ ، وَكَانَتْ عَقِيدَةَ الآبَاءِ [٣٩]

* * *

قِفْ وَشَاهِدْ مِصْرَ الطَّلِيقَةَ تَجْرِى ... شَوْطَهَا ، فِى تَوَثُّبٍ وَمَضَاءِ [٤٠]

---

(٢٥) الأنداء : جمع ندى .

(٣٠) مثلن : صورن . الغرين : ما يحمله ماء النيل من الطين .

(٣٤) الغيل : الشجر الكثير الملتف وهو موضع الآساد . صيان : حفظ . الحمى : ما يحمى ويحافظ عليه كالوطن .
الضراء : جمع ضرو كذئب وهو الحيوان الضارى .

(٣٥) الضروس : الطاحنة .

(٣٦) استطار : أسرع . مثوبا : مقبلا أو مردداً الإجابة .

(٣٧) أماط : نحى وأبعد . الأرزاء : جمع رزء وهو المصيبة .

نَحْنُ أَحْرَى بِالرَّسْمِ مِنْ أَلْفِ مَثَّا لٍ ، وَأَدرَى بِشِيمَةِ النُّبَغَاءِ(٥٧)

ذَهَبَ الْقَيْدُ فِي الرِّيَاحِ وَوَلَّى وَبَدَا وَجْهُهَا وَضِيءَ الرُّوَاءِ(٤١)

لَيْسَ يَدْرِي حَلَاوَةَ النُّجْحِ إِلاَّ كَادِحٌ ذَاقَ فِيهِ مُرَّ الْعَنَاءِ(٤٢)

وَنَعِيمُ السَّرَّاءِ يَجْهَلُ مَعْنَا هُ فَتًى لَمْ يُمَسَّ بِالضَّرَّاءِ(٤٣)

مَرْحَبًا بِالشَّدَائِدِ الدُّهْمِ ، يَتْلُو هَا صَبَاحٌ مِنْ نِعْمَةٍ وَرَخَاءِ(٤٤)

عَلَّمَتْنَا أَلاَّ نَبِيتَ عَلَى ضَيْمٍ ، وَأَلاَّ نَبْكِي بُكَاءَ الإِمَاءِ(٤٥)

وَأَرَتْنَا أَنَّ النِّهَايَةَ لِلصَّبْرِ إِذَا حَاطَهُ كَرِيمُ الإِبَاءِ(٤٦)

كِبْرِيَاءُ الشُّعُوبِ سِرُّ عُلاَهَا لَمْ تَسُدْ أُمَّةٌ بِلَا كِبْرِيَاءِ(٤٧)

* * *

إِنَّ تِمْثَالَكَ الَّذِي هُوَ رَمْزٌ لِلأَمَانِي ، وَالْهِمَّةِ الْقَعْسَاءِ(٤٨)

بَارِزٌ فِي الضَّمِيرِ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ بَاعِثٌ نُورَهُ إِلَى كُلِّ رَائِي(٤٩)

قَدْ أَجَادَ الْمَثَّالُ مَا تَصْنَعُ الْكَفُّ ، وَمَا يَسْتَطِيعُ وَحْيُ الذَّكَاءِ(٥٠)

غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ الْكَبِيرَةَ خَلْقٌ فَوْقَ طَوْقِ التَّصْوِيرِ وَالإِيحَاءِ(٥١)

مَنْ تُرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ فِكْرٍ لَكَ أَمْضَى مِنْ رَجْعَةِ الأَصْدَاءِ ؟(٥٢)

مَنْ تُرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ رَأْيٍ أَلْمَعِيٍّ كَالْكَوْكَبِ الْوَضَّاءِ ؟(٥٣)

أَيْنَ مَنْ يَرْسُمُ الشَّهَامَةَ وَالْحَقَّ وَضِيءَ السَّنَا بعيدَ السَّنَاءِ ؟(٥٤)

أَيْنَ مَنْ يَرْسُمُ الإِبَاءَ عَزِيزًا وَجَلَالَ الْهُدَى وَنُبْلَ السَّرَاءِ ؟(٥٥)

صَوَّرُوا شَخْصَهُ وَخَلُّوا الْمَعَانِي وَدَعُوهَا لِرِيشَةِ الشُّعَرَاءِ(٥٦)

---

(٤١) الرواء : حسن المنظر .

(٤٥) ضيم : ذل وظلم . الإماء : جمع أمة وهي الجارية .

(٤٨) القعساء : العالية .

(٥١) طوق : قدرة . الإيحاء : الإلهام .

(٥٣) الرأي الألمعي : الرأي السديد الواضح .

(٥٤) وضيء السنا : ظاهر الوضوح . بعيد السناء : عظيم العلو .

(٥٥) نبل السراء : عظمة الشرف .

يَصْعَدُ الشِّعْرُ حَيْثُ لَا تَصِلُ الشَّمْـــسُ ، وَيَبْقَى عَلَى مَدَى الْآنَاءِ[٥٨]

هُوَ خَطُّ الْجَمَالِ فِي صَفْحَةِ الْكَوْ نِ ، فَهَلْ لِلْجَمَالِ مِنْ قُرَّاءِ ؟[٥٩]

* * *

شَرَفًا سَعْدُ ، قَدْ لَقِيتَ مِنَ الْفَا رُوقِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ حَفَاءِ[٦٠]

مَلِكٌ يَقْدُرُ الرِّجَالَ ، وَتَعْلُو فِي حِمَاهُ مَرَاتِبُ الْعُظَمَاءِ[٦١]

كُلَّمَا أَثْنَتِ الْمَعَالِي عَلَيْهِ كَانَ فَوْقَ الْعُلَا وَفَوْقَ الثَّنَاءِ[٦٢]

حُبُّهُ جَمَّعَ الْقُلُوبَ كَمَا تَجْـــمَعُ بَلُّورَةٌ شَتِيتَ الضِّيَاءِ[٦٣]

حِكْمَةٌ زَانَهَا الشَّبَابُ فَأَضْحَتْ قَبَسًا لِلْهُدَاةِ وَالْحُكَمَاءِ[٦٤]

وَجَلَالٌ لِمِثْلِهِ يَخْشَعُ الطَّرْ فُ ، وَتَعْنُو الْقُلُوبُ بِالْإِيمَاءِ[٦٥]

قَدْ فَدَيْنَا لِوَاءَهُ فِي يَدَيْهِ وَفَدَيْنَاهُ حَامِلًا لِلِّوَاءِ[٦٦]

هَتَفَ الْمَجْدُ بِاسْمِهِ وَاسْتَضَاءَتْ بِسَنَاهُ زَعَامَةُ الزُّعَمَاءِ[٦٧]

قَدْ مَلَأْتُ الْوُجُودَ شِعْرًا بِمَدْحِيـــهِ ، وَمَا زِلْتُ بَيْنَ بَاءٍ وَتَاءِ[٦٨]

يَنْتَهِي جُهْدُ كُلِّ مَدْحٍ وَوَصْفٍ وَمَدَى فَضْلِهِ بِغَيْرِ انْتِهَاءِ[٦٩]

---

(٦٤) قبسا : شعلة من النار .

(٦٥) تعنو : تخضع . الإيماء : الإشارة .

(٦٦) اللواء : العلم .

الدكتور على إبراهيم باشا

أنشدت هذه القصيدة فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة فى حفل تكريم الدكتور الجرّاح على ابراهيم باشا بمناسبة بلوغه سن الستين عام ١٩٤١ م وكان وزيراً للصحة حينئذ .

ذُؤابةُ مجدٍ ما أجلَّ وما أسْمَى ... ووثْبَةُ شأوٍ كاد يستبقُ النجمَا [١]

وماذا يقولُ الشعْرُ والوهْمُ جُهْدُه ... وقَدْرُ «علىٍّ» يبهرُ الشعْرَ والوَهْما ؟ [٢]

وأنَّى يمدُّ ابنُ القوافى جَناحَهُ ... إلى رقمةٍ شمَّاءَ أعجزتِ العُصْما ؟ [٣]

يضيقُ البيانُ العبقرىُّ مَهابةً ... إذا لمح الآثارَ والحسَبَ الضخْما [٤]

يَهُمُّ فيعروه القُصورُ فينثنى ... وقد كان يقتادُ النجومَ إذا همَّا [٥]

ومَنْ رامَ تصويرَ الملائكِ جاهداً ... فكيف له أنْ يُحكِمَ النقشَ والرسْما ؟ [٦]

رُوَيْدَكَ قلْ يا شعرُ ما تستطيعُهُ ... وغرِّدْ بما لا تستطيعُ له كَتْما [٧]

إذا اليَمُّ أعيا أن تُلِمَّ بِحَدِّهِ ... فيكفيك عند الشطِّ أن تصفَ اليَمَّا [٨]

ويكفيك أنْ تدعو أبا الطبِّ باسمِهِ ... فإنَّ العُلا صارتْ له لَقَباً واسما [٩]

---

(١) ذؤابة كل شيء : أعلاه . شأو : الغاية والأمد .

(٣) ابن القوافى : الشاعر . شماء : عالية مرتفعة . العُصما : جمع اعصم وهو الظبى فى ذراعيه أو احداهما بياض وهو أقدر الحيوان على تسلق الجبال .

(٥) يعروه : يصيبه . يقتاد : يقود .

(٦) يحكم : يتقن . النقش : الزخرفة .

(٨) اليم : البحر . تلم : تحيط .

(٩) أبا الطب : الدكتور على ابراهيم باشا .

فقلْ وانثُرِ الأزهارَ فوق مناقبٍ تماثلُها حُسناً ، وتشبهُها شمّاً[١٠]
وخُذْ من فَم الدنيا الثناءَ فطالما أشادتْ به نثراً ، وغنّتْ به نظما[١١]
وحدِّث به الآفاقَ إنْ شئتَ ، إنَّها وقد عَرَفَتْهُ ، لن تزيدَ به عِلْما[١٢]

* * *

دعونى أوفّى بالقريضِ ديُونَه فقد عاد غُرْماً ما توهمتُه غُنْما[١٣]
سَمَوْتُ إليه ، والظلامُ يلُفُّنى فيملؤُنى رُعْباً ، وأملؤُه هَمّا[١٤]
أسيرُ وفى قلبى من الحزنِ لوعةٌ تكادُ تُذيبُ الصُّمَّ لو مسَّتِ الصُّمّا[١٥]
تركتُ ببيتى جُثَّةً آدميَّةً كأنَّ هلالَ الشكِّ كان لها جسما[١٦]
شكتْ سُقْمَها حتى بكاها وِسادُها وكاد عليها يشتكى السُّهْدَ والسُّقْما[١٧]
يمزِّقها الموتُ العنيفُ صِراعُهُ بأظفاره حُمْراً ، وأنيابه سُحْما[١٨]
ففى البطن قَرْحٌ لا يكُفُّ لهيبُه وفى الرأس نارٌ لا تبوخُ من الْحُمَّى[١٩]
إذا قلَبَتْها العائداتُ حَسِبْنَها خَيالاً ، فلا عَظْماً يَرَيْنَ ولا لحما[٢٠]
وقد وقف الطبُّ الحديثُ حِيالَها عَيِيًّا ، يكادُ العجزُ يقتُله غمّا[٢١]
وغادرها جَمْعُ الأساةِ كأنّهم طيورٌ رمَى الرامى بدَوْحَتِها سَهْما[٢٢]
فلم يبقَ إلاَّ اليأسُ ، واليأسُ قاتلٌ وأقتلُ منه نِيَّةٌ لم تجدْ عَزْما[٢٣]
فقلتُ «علىٌّ» ليس للأمرِ غيرُه إذا ما أدار الدهرُ صفحتَه جَهْما[٢٤]

---

(١٠) شما : شم الطيب ، تنفس رائحته بهدوء .

(١٤) يقص الشاعر هنا ما أصاب احدى قريباته من مرض عضال وماكان من عناية الممدوح بها حتى شفيت .

(١٥) الصم : الحجارة الصلبة الملساء .

(١٦) هلال الشك : هو يوم استطلاع هلال أول الشهر العربى حيث يكون الهلال دقيق ويكاد لا يرى .

(١٨) صراعه : قتله . سحما : سودا .

(١٩) قرح : الم الجراح . لا تبوخ : لا تطفأ ولا تسكن .

(٢٠) العائدات : زائراتها اللائى يعطفن عليها .

(٢١) عييا : عاجزا .

(٢٢) الأساة : الأطباء

(٢٤) أدار الدهر صفحته : قلب وجهه . جهما : كالح الوجه عابسا .

أبو الحسنِ الجَرّاحُ فخرُ بلادِهِ ... وأكرمُ مَنْ يُرْجَى ، وأشرفُ من يُسْمَى (٢٥)

فَزُرْ دارَه يلقاكَ قبل ندائِه ... فَثَمَّ الذى ترجوه من أملٍ ثَمّا (٢٦)

فما سرتُ نحو البابِ حتى رأيتُه ... تقدَّمَ بسَّامَ الأساريرِ مُهتمّا (٢٧)

وقد فهمَتنى عينُه وفهمْتُه ... وكان بحمدِ اللهِ أسرَعَنا فهما (٢٨)

وجاء وجِبْريلُ الأمينُ أمامَهُ ... يَمُدُّ جَناحاً من حَنانٍ ومن رُحْمَى (٢٩)

وجسَّ مكانَ الداء أوّلَ نَظرةٍ ... كأنَّ له عِلْماً بموضِعه قِدْما (٣٠)

فما هو إلاّ مِبْضَعٌ فى يمينِه ... أطاح بناب الموتِ ، واستأصل السُّمّا (٣١)

وردّ إلى أهلى حياةً عزيزةً ... وبدّلهم من بُؤسِ أيامِهم نُعْمى (٣٢)

متى ذكروه فى خُشوعٍ تذكّروا ... مآثِرَهُ الْجُلّى ، ونائلَه الْجَمّا (٣٣)

إذا ما امرؤ أهدَى الحياةَ لميّتٍ ... فذلك قد أهدَى الوجودَ وماضَمّا (٣٤)

* * *

له مِبْضَعٌ تجرى الحياةُ بحدِّه ... يُصيب حُشاشاتِ المنونِ إذا أدْمى (٣٥)

أحَنُّ على المجروحِ من أُمِّ واحدٍ ... وأرفقُ من طِفلٍ إذا داعب الأمّا (٣٦)

تعلَّمَ منه البرقُ سُرعَةَ خَطْفِهِ ... إذا ما جَرى يستأصلُ اللحمَ والعظما (٣٧)

تكادُ وقد شاهدتَ وَمْضَ مَضائِهِ ... تظنُّ الذى شهدتَ من عَجَبٍ حُلْما (٣٨)

كأنّ به نورًا من الله ساطِعًا ... يُضِئُ له نَهْجَ الطَّريقِ إذا أمّا (٣٩)

أصابعُ أجْدَى خِبْرَةً من أشعةٍ ... وأصدقُ إنْ مرّتْ على جَسدٍ حُكْما (٤٠)

فكَم من حياةٍ فى أنامِلها التى ... تكادُ شفاهُ الطِبِّ تلثِمُها لَثْما (٤١)

---

(٢٦) فثم : فهناك .

(٣٠) قدما : قديما .

(٣١) مبضع : مشرط .

(٣٣) الجلى : الظاهرة الواضحة . نائله : عطاياه . الجما : الكثيرة .

(٣٥) بحده : بنصله . حشاشات : ما بداخلها . أدمى : أنزل الدم .

(٣٨) ومض : لمعان . مضائه : سرعته وهمته .

(٣٩) نهج : الطريق أبانه وأوضحه . أمّا : قصد .

(٤١) أناملها : أطراف الأصابع . تلثمها : تقبلها .

وَكم من يَدٍ أَسْدَتْ ، إذا شئتَ وصفَها ضلِلْتَ بها كيْفاً ، وأخطأتها كَمّا[٤٢]
زهـا الشرقُ إعـجاباً بـه وبمثلِه وقد عاش دهراً قبلَه يشتكى العُقْما[٤٣]
إذا قَسَـم اللهُ الـكـريـمُ لأمّـةٍ بنابغةٍ فَرْدٍ ، فقد أجزل القَسْما[٤٤]

* * *

هنيئاً لك العمرُ السعيدُ فإنّه عُصارةُ دهرٍ ضمَّتِ العزمَ والحزما[٤٥]
بلغتَ به عُلْيا السنينَ وكلُّها مَدارجُ مجدٍ تفرَعُ القِمَمَ الشُّما[٤٦]
كـأنّك مـنـه فوقَ ذِرْوةِ شامخٍ ترَى من أمورِ الدهرِ أبعدَها مَرْمَى[٤٧]
زمانٌ مضَى فى الْجِدِّ ما مَسّ شُبْهةٌ ولا وَصَلَتْ كفُّ الزمانِ به ذَمّا[٤٨]
بَـنَـيْتَ بـه عِـزًّا لمصـرَ فـأينما تلفَّتَّ تلقَى صَرْحَهُ سامقًا فَخْما[٤٩]
بـذلتَ لها من صِـحّـةٍ ورَفـاهـةٍ فـأولتك حُبًّا ما أبرَّ وما أسْمَى[٥٠]
وألهمـتَـهـا مـعنى الثناء ولفـظَهُ كريماً ، فخُذْه اليومَ من فَمِها نَغْمـا[٥١]
إذا كان للرحمنِ فى الناسِ آيةٌ فإنّك بينَ الناسِ آيتُهُ العُظْمى[٥٢]
تلألُؤُ رأيٍ يسلُبُ الشمسَ ضوءَها وكاملُ خُلْقٍ علَّم القمرَ التِّمّا[٥٣]
فـإن كـرّمـتْكَ اليـومَ مصرُ فإنّما تُكَرِّمُ من أبنائِها رجلاً شَهْما[٥٤]
فـقـل لـلـذى يـبـغى لَحَاقَك جاهدًا رُوَيْدَكَ حتّى يدخلَ الْجمَلُ السَّمّا[٥٥]

---

(٤٢) ضللت : لم تهتد إليه . كمّا : عددا .
(٤٣) زها : افتخر . العقما : عدم الإنجاب .
(٤٤) أجزل : اكثر له العطاء .
(٤٦) تفرع : تزيد ارتفاعا . الشما : العالية .
(٤٧) ذروة : قمة الشىء وأعلاه . شامخ : شاهق .
(٤٨) وصلت : اتصلت . ذما : ضد المدح .
(٤٩) صرحه : البناء العالى الشامخ . سامقا : عاليا .
(٥٠) رفاهة : سعة من العيش . أولتك : أعطتك .
(٥٢) آية : علامة .
(٥٣) تلألؤ : إضاءة . يسلب : يسرق . التما : الكمال .
(٥٥) رويدك : مهلا . الجمل : هو الحيوان المعروف أو الحبل الغليظ . السمّا : الثقب وهنا اقتباس من الآية الكريمة : حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط .

إذا ما رأى الناسُ المكارمَ حِلْيةً فأنت تراها فى العُلا واجبًا حَتْمًا[٥٦]
فَعِشْ واملأْ الدنيا حياةً وذُكْرَةً فمثلُك يُعلى ذِكْرَه العُرْبُ والعُجْمَا[٥٧]

(٥٧) ذكره : ذكرى .

لَيلة وليلىٰ

١٩١٧ م.

وَلَيْلَةٍ حَالِكَةِ الْجِلْبابِ أَغْطَشَ مِنْ خَافِيَةِ الْغُرَابِ[١]
كَأَنَّهَا صَحِيفَةُ الْمُغْتَابِ أَوْ حَظُّ مَحْدُودٍ مِنَ الْكُتَّابِ[٢]
أَوْ غَمَرَاتُ الزاخِرِ الْخِضَمِّ[٣]
وَقَفْتُ فِيها وِقْفَةَ الْمُلْتَاحِ أُسائِلُ النجْمَ عَنِ الصباحِ[٤]
فَقَالَ سَلْ عَنْهُ عَتِيقَ الرَّاحِ أَوْ وَجَنَاتِ الْخُرَّدِ الْمِلَاحِ[٥]
فَلَيْسَ لِى بِشَأْنِهِ مِنْ عِلْمٍ[٦]
إِنِّى رَأَيْتُ الْعُرُبَ الْحِسَانَا يَصْبَغْنَ مِنْهُ الْخَدَّ وَالْبَنَانَا[٧]

---

(١) أغطش : أظلم . وخافية الغراب : واحدة الخوافى وهى ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، أو هى الأربع اللواتى بعد المناكب ، أو هى سبع ريشات بعد السبع المقدمات ، أو هى ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح .

(٢) المغتاب : الذى يذكر غيره بما يكره .

(٣) الغمرات : جمع غمرة وهى كثرة الماء . الزاخر : الطامى الممتلئ . الخضم : البحر .

(٤) الملتاح : المتغير من هم أو سفر أو نحوهما .

(٥) العتيق : القديم . الراح : الخمر . الخرّد : جمع خريدة وهى البكر لم تمس ، أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة .

(٧) العرب : جمع عروب وهى المرأة الضاحكة المتغزلة .

وَرَاهِــبـاً ، أَظُـنُّـهُ فُلاَنَـا أَحْضَـرَ بِـالأَمْسِ هُـنَـا دِنَـانَـا[٨]
وَرَاحَ وَهْيَ مُفْعَمَاتٌ تَهْمِي[٩]
يا سارقاتِ الصبْحِ طَالَ لَيْلِى ! فَدَيْتُكُنَّ بَعْضَ هَـذَا الدَّلِّ ![١٠]
هلْ جازَ فِي دِينِ الغرَامِ ذُلِّي ؟ مَنْ لِى بِأَنْ أَلْقَى الصَّبَاحَ مَنْ لِى ؟[١١]
بِاللَّمْحِ أَوْ بِاللَّمْسِ أَوْ بِاللَّثْمِ[١٢]
فِـيـكُنَّ ذاتُ حَسَبٍ ودِينِ مُشْـرِقَـةُ الـطَّـلْـعَـةِ وَالْـجَبِينِ[١٣]
كَـأَنَّـهـا إِحْـدَى الظِّباءِ الْعِينِ مَنْ عاذِرِى فِيهَا ، وَمَنْ مُعِينِى ؟[١٤]
عِيلَ بِهَا صَبْرِى وَطَاشَ حِلْمِى[١٥]
عَـلِـقْـتُـهَـا صامِـتَةَ الْـحَجْلَيْنِ أَنْصَعَ مِنْ سَبِيكَةِ اللُّجَيْنِ[١٦]
حَوْراءَ مِلْءَ الْقَلْبِ ، مِلْءَ الْعَيْنِ كَـأَنَّـهـا اللِّـقاءُ بَعْدَ الْبَيْنِ[١٧]
أَوْ عَوْدَةُ الشفاءِ بَعْدَ السُّقْمِ[١٨]
حَـدِيـثُـهَـا سُلاَفَـةُ الـنَّـدِيمِ وَخُـلْـقُـهَـا تَواضُـعُ الْـيَـتِيمِ[١٩]
فَـدَيْـتُـهَـا مِنْ مَـلَكٍ كَـرِيـمِ ! تَـعْـرِفُ فِـيـهَا نَضْرَةَ النَّعِيمِ[٢٠]
أَنْقَى وأَصْفَى مِنْ نِطافِ الغَيْمِ[٢١]
أَبْـرَزْتَـهـا يَـومـاً فَـقُـلْـتَ وَاهَـا ! قُتِلْتُ إِنْ شَبَّبْتُ فِى سِواهَا ![٢٢]
كَـأَنَّـهَـا ، والْـحُسْنُ قَـدْ جَلاَّهَا لُؤْلُؤَةٌ ، تَـبْـهَـرُ مَنْ رَآهَـا[٢٣]
أَلْقَى بِها الْغَوّاصُ قُرْبَ الْيَمِّ[٢٤]

---

(٨) الراهب : عابد النصارى . الدنان : جمع دن وهو وعاء للخمر .

(٩) راح : رجع . مفعمات : مملوءات . تهمى : تسيل .

(١٤) العين : جمع عيناء وهى الحسنة العينين الواسعتهما .

(١٥) عيل صبرى : غلب . الحلم : الأناة والعقل .

(١٦) علقتها : هويتها وأحببتها . الحجل : الخلخال ، وصامته الخلخالين أى لا يسمع لهما حس ، وذلك كناية عن امتلاء ساقيها . اللجين : الفضة .

(١٧) حوراء : صفة من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها . البين : الفراق .

(١٩) السلافة : الخمر . النديم : من ينادمك أى يجالسك على الشراب .

(٢١) النطاف : جمع نطفة وهى الماء الصافى . الغيم : السحاب .

(٢٣) جلاها : كشفها وأوضحها . تبهر : تغلب بحسنها .

لَـيْلاَىَ يـا مضيئـةَ اللَّـيْلاَتِ !   يـا مَـلَكَ الـرحْـمَـةِ والنَّجاةِ ! (٢٥)
عَـرَفْتُ مِـنْكِ كَـرَمَ الصِّـفـاتِ   وَقـيـمَـةَ الْـحَـيَـاةِ فى الْـحَيَاةِ (٢٦)
إنْ كانَ لى نُعْمٌ فَأَنْتِ نُعْمى (٢٧)

---

(٢٧) نعم : اسم فتاة شبب بها عمر بن أبي ربيعة .

عِيدُ جُلُوس الفارُوق فى السودَان

حينما زار الشاعر السودان فى سنة ١٩٣٧ م واحتفى السودان حكومته وشعبه بعيد جلوس الفاروق أنشد الشاعر هذه القصيدة فى حفل رسمىّ حاشد .

عِيدَ الْجُلُوسِ صَدَقْتَ وَعْدَكَ بِالْمُنَى وَصَدَقْتُ وَعْدِى (١)
عَلَّمْتُ طَيْرَ الْوَادِيَيْنِ فَغَرَّدَتْ بِحَنِينِ وَجْدِى (٢)
وَنَظَمْتُ فِيكَ فَرَائِداً كَانَتْ لِجِيدِكَ خَيْرَ عِقْدِ (٣)
الشِّعْرُ يُبْدِى فِيكَ زِينَتَهُ ، وَوَجْهُ الرَّوْضِ يُبْدِى (٤)
نَثَرَ الرَّبِيعُ بِكَ الْوُرُو دَ نَضِيرَةً وَنَثَرْتُ وِرْدِى (٥)
وَوَشَى الْبُرُودَ مِنَ الأَزَا هِرِ وَانْتَقَى لَكَ خَيْرَ بُرْدِ (٦)
فِيهِ الرِّيَاضُ تَبَرَّجَتْ وَثَنَيْنَ مِنْ جِيدٍ وَقَدٍّ (٧)
كَمْ مِنْ عُيُونٍ غَضَّةٍ فِيهَا وَمِنْ ثَغْرٍ وَخَدٍّ (٨)
وَجَرَى النَّسِيمُ مُضَمَّخَ الْ أَرْدَانِ مِنْ مِسْكٍ وَنَدٍّ (٩)

* * *

---

(٢) يريد بالواديين مصر والسودان .

(٣) الفرائد : جمع فريدة وهى الجوهرة النفيسة . الجيد : العنق . العقد : القلادة .

(٦) وشيت الثوب : رقمته ونقشته . البرود : جمع برد وهو ثوب مخطّط .

(٧) الجيد : العنق : القد : القوام وهو القامة وحسن الطول .

(٨) غضة : ناضرة ذات حسن ورونق .

(٩) ضمّخه بالطيب : لطّخه به . الأردان : جمع رُدن وهو أصل الكم . المسك : طيب معروف وهو أفضل الطيب عند العرب . الند : نوع من الطيب أو هو العنبر ، أو عود طيب الرائحة يتبخر به .

عِيدَ الْجُلُوسِ وَكَمْ حَوَتْ ... ذِكْرَاكَ مِنْ عِزٍّ وَمَجْدِ[١٠]

أَصْبَحْتَ وَحْدَكَ فِي الزمَا ... نِ وَصِرْتُ فِي الشعَرَاءِ وَحْدِي[١١]

عِنْدِي لَكَ الدُّرَرُ الْحِسَا ... نُ وَأَيْنَ إِنْ لَمْ تُلْفَ عِنْدِي ؟[١٢]

اَلشِّعْرُ لِلأَمْلاَكِ خَيْرُ ذَخِيرَةٍ وَأَعَزُّ بَنْدِ[١٣]

صَاغَتْ سَوَائِرُهُ لَهُمْ ... تَاجَيْنِ مِنْ مَجْدٍ وَخُلْدِ[١٤]

وَلَرُبَّ قَافِيَةٍ بِهَا ... مَا شِئْتَ مِنْ خَيْلٍ وَجُنْدِ[١٥]

تَسْرِى فَلاَ صَعْبٌ بِصَعْبٍ لاَ وَلاَ بُعْدٌ بِبُعْدِ[١٦]

تَثِبُ الْجِبَالَ وَمَا لَهَا ... بَيْنَ الْكَوَاكِبِ مِنْ مَصَدٍّ[١٧]

اَلشِّعْرُ زَنْدٌ لِلْقَوِيِّ ... وَعُدَّةٌ لِلْمُسْتَعِدِّ[١٨]

كَمْ زَانَ مِنْ مُلْكٍ كَمَا ازْ ... دَانَ الْمُهَنَّدِ بِالْفِرِنْدِ[١٩]

* * *

عِيدَ الْجُلُوسِ وَأَنْتَ فِي الْ ... أَعْيَادِ فَرْدٌ أَيُّ فَرْدِ ![٢٠]

أُلْفَى بِكَ الأَمَلُ الْبَعِيدُ لِمِصْرَ أَكْرَمَ مُسْتَمَدِّ[٢١]

وَتَوَاتَرَتْ نِعَمُ الإِلَهِ تَجِلُّ عَنْ حَصْرٍ وَعَدِّ[٢٢]

* * *

« فَارُوقُ » يَا أُسَّ الرجَا ... ءِ وَمُلْتَقَى الركْنِ الأَشَدِّ[٢٣]

جُمِّلْتَ بِالْقَوْلِ السدِيدِ وَسَاطِعِ الرأْيِ الأَسَدِّ[٢٤]

---

(١٢) الدرر : جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة . تلفى : توجد .

(١٣) الأملاك : جمع ملك . البند : العلم الكبير .

(١٤) السوائر : جمع سائرة أى ذائعة منتشرة .

(١٨) الزند : موصل طرف الذراع فى الكف ، وهو من مكامن القوة فى الانسان .

(١٩) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . الفرند : جوهر السيف ووشيه وبريقه .

(٢١) ألفى : وجد . المستمد : المكان الذى يطلب منه المدد ، أو الزمان الذى يطلب فيه .

(٢٣) الأس : الأساس والأصل . الركن : زاوية البناء ، وهى أقوى ما فيه وأشده .

وَهَبَتْ لَكَ الدنيا مَفَا تِحَ مَجْدِهَا مِنْ غَيْرِ رَدٍّ[٢٥]

وَضَمَمْتَ بُرْدَ شَبَابِكَ الزَّا هِى عَلَى جِدٍّ وَجَدٍّ[٢٦]

خُلُقٌ كَأَزْرَارِ النسيمِ تَفَتَّحَتْ عَنْ نَفْحِ رَنْدِ[٢٧]

وَعَزِيمَةٌ لَوْ لاَطَمَتْ أُحُداً مَضَتْ أَيَّامُ أُحْدِ[٢٨]

طَهُرَتْ مِنَ الصَّلَفِ الذَّمِيمِ وَعُنْفُوَانِ الْمُسْتَبِدِّ[٢٩]

تَجْرِى على سَنَنِ الْمُهَيْمِنِ بَيْنَ إيمانٍ وَرُشْدِ[٣٠]

مَنْ سَارَ فِى نُورِ الإِلَهِ سَعَى إِلَيْهِ كُلُّ قَصْدِ[٣١]

وَمَضَى فَعَادَ الوَهْدُ مُسْتَوِياً وَطَأْطَأَ كُلُّ نَجْدِ[٣٢]

الْمَجْدُ وَهْوَ مُنَى الْحَيَا ةِ أُعِدَّ لِلْبَطَلِ الْمُجِدِّ[٣٣]

حَسْنَاءُ دُونَ حِجَابِهَا رَصَدَانِ مِنْ هَجْرٍ وَصَدٍّ[٣٤]

تَقِفُ الْعُيُونُ حِيَالَهَا حَيْرَى عَلَى شَغَفٍ وَسُهْدِ[٣٥]

مَهْرُ الْبُطُولَةِ مَا أَجَلُّ فَمَنْ يُوَفِّى أَوْ يُؤَدِّى ![٣٦]

لاَ تَبْكِ إِنْ عَزَّ السبيلُ فَإِنَّ نَوْحَكَ غَيْرُ مُجْدِى[٣٧]

وَاعْمَلْ بِجُهْدِكَ ما اسْتَطَعْتَ فَلَنْ تَفُوزَ بِغَيْرِ جُهْدِ[٣٨]

فَالسَّيْفُ غِمْدٌ ما أقَا مَ وَلَمْ يُفَارِقْ جَوْفَ غِمْدِ[٣٩]

* * *

---

(٢٥) المجد : العز والشرف ، وقوله : « من غير رد » احتراس جميل لأن الهبة يصح أن تسترد .

(٢٦) البرد : الثوب . الجد بالكسر : الاجتهاد فى الأمر . الجد بالفتح : السعد والعظمة .

(٢٧) أزرار القميص واحدها زر . النسيم : الريح الطيبة . الرند : شجر طيب الرائحة من أشجار البادية .

(٢٨) أُحد : جبل بقرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وكانت به الغزوة المشهورة المعروفة بغزوة أُحُد .

(٢٩) الصلف : التكبر . عنفوان الشيء : أوله ، والمراد شدته . المستبد بالأمر : المنفرد به من غير مشارك له .

(٣٠) السنن : الطريقة والسنة . المهيمن : من أسماء الله تعالى بمعنى الرقيب والحافظ .

(٣١) القصد : بمعنى المقصود .

(٣٢) الوهد : الأرض المنخفضة . طأطأ رأسه : طامنه وخفضه . النجد : ما ارتفع من الأرض .

(٣٤) الرصد : القوم يرصدون ويرقبون ، يستوى فيه الواحد والجمع . الهجر : ضد الوصل . الصد : الانصراف والاعراض .

«فَارُوقُ» فَرْدٌ فِي الْجَلَا ... لِ يَجِلُّ عَنْ وَصْفٍ وَحَدٍّ[٤٠]
الْعَبْقَرِيَّةُ أَنْ تُحَلِّقَ ... لِلنُّجُومِ بِغَيْرِ نِدٍّ[٤١]
وَتَنَالَ قَسْرًا مِنْ فَمِ الدُّنْيَا ... حَلَاوَةَ كُلِّ حَمْدِ[٤٢]

* * *

مَنْ كَالْمَلِيكِ إِذَا انْتَمَى ... بَهَرَ الْعُلَا بِأَبٍ وَجَدٍّ؟[٤٣]
كَانَا لِمِصْرَ وَأَهْلِهَا ... عَضُدًا يَصُولُ بِخَيْرِ زَنْدِ[٤٤]
رَكِبَا الْعَزَائِمَ لِلْعَظَا ... ئِمِ بَيْنَ إِيجَافٍ وَشَدٍّ[٤٥]
مَلَكَا خِطَامَ الْحَادِثَا ... تِ وَمِقْوَدَ الدَّهْرِ الْأَلَدِّ[٤٦]
وَتَحَدَّيَا قَصَبَ السِّبَا ... قِ فَأَذْعَنَتْ عِنْدَ التَّحَدِّي[٤٧]
شَرَفٌ إِذَا اخْتَارَ الْمُقَا ... مَ أَقَامَ فِي عُلْيَا مَعَدِّ[٤٨]
فَلَكَمْ تَنَقَّلَ فِي الْعُلَا ... مِنْ مَهْدِ مَكْرُمَةٍ لِمَهْدِ[٤٩]
مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ صَادِقِ الرَّ ... مَيَاتِ كَالْوَتَرِ الْعُرُدِّ[٥٠]
جَعْدٍ أَبِيٍّ يَنْتَمِي ... لِمُوَثَّقِ الْعَزَمَاتِ جَعْدِ[٥١]
جَلْدٍ، وَهَلْ خَضَعَ الزَّمَا ... نُ لِغَيْرِ صُلْبِ الْعُودِ جَلْدِ؟[٥٢]

* * *

إِنِّي نَزَلْتُ بِجِيرَةٍ ... بُسْلٍ عَلَى النَّجَدَاتِ حَشْدِ[٥٣]

---

(٤٥) الايجاف: مصدر أوجف الراكب بعيره أو فرسه أى حمله على الوجيف وهو العدو. الشد: العدو.

(٤٦) الخطام: الزمام وهو المقود أى الحبل الذى تقاد به الدابة. الألد: الشديد الخصومة.

(٤٧) القصب: كل نبات تكون ساقه أنابيب وكعوبا، الواحدة قصبة، وقصب السباق أصله أنهم كانوا ينصبون فى حلبة السباق قصباً، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع. أذعنت: خضعت وذلت.

(٤٨) معد بن عدنان: أبو العرب.

(٥٠) الأروع: الوسيم الشجاع. الوتر: شرعة القوس ومعلقها. العرد: القوى المتين الصلب.

(٥١) الجعد: الكريم. الأبى: العف الغنى النفس الذى يأبى الدنايا ويكرهها. ينتمى: ينتسب. الموثق العزمات: القوى الارادة المحكم التدبير.

(٥٢) الجلد: صفة من الجلد وهو الصلابة.

أَنَسِيتُ أَهْلِي بَيْنَهُمْ وَسَلَوْتُ إِخْوَانِي وَوُلْدِي[٥٤]
الضَّيْفُ فِي سَاحَاتِهِمْ يَجْتَازُ مِنْ رِفْدٍ لِرِفْدِ[٥٥]
عَقَدُوا خَنَاصِرَهُمْ عَلَى صِدْقِ الْوَفَاءِ أَشَدَّ عَقْدِ[٥٦]
وَمَضَتْ أَوَاصِرُنَا تُمَدُّ إِلَى الْعُرُوبَةِ خَيْرَ مَدٍّ[٥٧]

* * *

«فَارُوقُ» عِشْ نَجْماً يُضِيءُ بِيُمْنِ إِقْبَالٍ وَسَعْدِ[٥٨]
قَدْ كَانَ عَهْدُكَ فِي عُهُو دِ الْمَالِكِينَ أَجَلَّ عَهْدِ[٥٩]
بَلَغَتْ بِهِ مِصْرُ الْمَدَى وَتَخَلَّصَتْ مِنْ كُلِّ قِدٍّ[٦٠]
خُذْهَا عُجَالَةَ شَاعِرٍ تُغْنِي عَنِ الْقَوْلِ الْمُعَدِّ[٦١]
سَلَكَتْ سَبِيلاً لَيِّناً سَهْلاً وَجَافَتْ كُلَّ صَلْدِ[٦٢]
وَالرَّوْضُ إِنْ صَدَحَتْ بَلاَ بِلُهُ صَدَحْنَ بِغَيْرِ كَدِّ[٦٣]
فَاهْنَأْ بِعِيدِكَ فِي نَعِيمٍ مُشْرِقِ الْبَسَمَاتِ رَغْدِ[٦٤]
تَفْدِيكَ مِصْرُ وَنِيلُهَا عَاشَ الْمُفَدَّى وَالْمُفَدِّي ![٦٥]

---

(٥٥) الرفد : العطاء والصلة .
(٥٦) الخناصر : جمع خنصر وهي الاصبع الصغرى . وعقد الخناصر على الشيء كناية عن شدة الحرص عليه .
(٥٧) الأواصر : جمع آصرة وهي الرحم والقرابة .
(٦٠) المدى : الغاية . القد بالكسر : سير يقد من جلد غير مدبوغ يقيد به الأسير ونحوه .
(٦٢) جافت : باعدت . والصلد : الصلب .

رِثَــاء أمِــين

يبكى الشاعر فى هذه القصيدة صديق شبابه الأستاذ محمد أمين لطفى وكان وكيلا مساعداً بوزارة المعارف وقد أنشدت هذه القصيدة فى جمع حافل بدار الأوبرا فى آخر يناير سنة ١٩٣٦ م.

أَتَدْرِى العُلاَ مَنْ شَيَّعتْ حينَ شَيَّعوا ؟ ... ومَنْ ودَّعتْ يومَ الرَّحِيلِ ووَدَّعُوا ؟ (١)

بَكَيْنا ، فَلَمْ يَشْفِ البُكَا حُرْقَةَ النَّوى ... وَلكِن إذا ضَاقَ الفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ (٢)

تَهِيجُ بنا الذِّكْرَى ، فَيغْلِبُنا الأَسَى ... وتدرِكنا رُحْمَى الإلهِ فنَخْضَعِ (٣)

هو المَوْتُ سَهْمٌ فى يَدِ اللهِ قَوْسُهُ ... فَلا الحَزْمُ يَثْنِيه ، ولا الكَفُّ تَدْفَع (٤)

نَرُوحُ إلى حاجَاتِنا . وَهْوَ راصِدٌ ... وننشُرُ من آمالِنا . وهو يجْمَعُ (٥)

بِنَفْسِى أميناً فى ثِيابِ شَبابِه ... يَطِير به الأَمْسُ الذى لَيْسَ يَرْجِعُ (٦)

أقام كمَا تبْقَى الأَزَاهِيرُ لَمْحةً ... وزَالَ كما زَالَ الخَيالُ المُوَدِّعُ (٧)

فَقَدْنَاهُ فِقْدانَ الكَمِىِّ سلاحَه ... (وما بين قِيدِ الرمحِ والرمحِ إصْبع) (٨)

فقدناه ، حتى قد فقدنا وجودَنا ... فهل بَقِيَتْ إلاَّ جُفونٌ وأدمع ؟ (٩)

---

(٢) النوى : الفرقة والبعد . حرقة النوى : لذعتها .

(٣) تهيج : تثور .

(٥) راصد : مترقب بنا الدوائر ينتهز الوقيعة . نثر الآمال : تشعبها وتعدد مناحيها .

(٦) بنفسى أميناً : أى أفدى أميناً بنفسى .

(٧) الأزاهير : جمع الأزهار . ويضرب المثل فى القصر بأعمارها .

(٨) الكمى : الشجاع .

فقدناه ، فِقْدانَ الأليفِ أليفَه ... يصيحُ به فى كل روضٍ ويسجَع [10]
يسائلُ عنه الأفقَ ، والطيرُ حُوَّمٌ ... ويستخبرُ الأمواهَ ، والطيرُ شُرَّع [11]
يَدِفُّ فيحوى الأرضَ منه تأملٌ ... ويعلو فيعلو النجمَ منه تطلُّع [12]
يظنُّ حفيفَ الدوحِ خَفْقَ جَناحِه ... إذا هستْ منه غصونٌ وأفرُعُ [13]
ويحسَبُ تَحنانَ الغديرِ هَديلَه ... فيحبِسُ من زَفْراتِهِ ثم يَسْمع [14]
لقد ملَّتِ الغاباتُ مما يجوسُها ... وملَّ صِماخُ الليلِ ممّا يُرَجِّع [15]
له أنَّةُ المجروحِ أعيا طبيبَه ... وضجٌّ لما يشكو وِسادٌ ومَضْجَع [16]
كأنَّ جَناحَيْهِ شِراعُ سفينةٍ ... دهتها من الأرواحِ نَكْباءُ زَعْزَع [17]
تُضاحِكُهُ الآمالُ حِيناً فيرتجى ... ويَجْبَهُهُ اليأسُ العبوسُ فيخشع [18]
لدَى كلِّ عُشٍّ صاحباه ، وعُشُّه ... خَلِيٌّ من الأُلّافِ قَفْرٌ مُصَدَّع [19]
عَزاءً عَزاءً أيها الطيرُ إنما ... لكل امرئٍ فى ساحةِ العمرِ مَصْرَعُ [20]
فأين من الطيرِ الهديلُ وَوُلْدُهُ ؟ ... وأين من الأملاكِ كِسْرَى وتُبَّعُ ؟ [21]
طواهم خِضَمٌّ لا يُنادَى وليدُه ... يطوِّحُهم آذِيُّهُ المتدفِّع [22]

* * *

---

(١٠) الأليفان من الحمام : الذكر والأنثى . تسجع : تغرّد نائحة .

(١١) يقال : حوّم الطائر : وذلك إذا دوّم فى طيرانه . شرع : أى مجتمعة حول الماء لتشرب .

(١٢) يقال : دف الطائر : وذلك إذا مر فوق الأرض . ويحوى الأرض ... الخ أى يحيط تأمله بجميع ما على الأرض وذلك لقربه منها فى طيرانه .

(١٤) تحنان الغدير : خرير مياهه . هديل الحمام : سجعه . زفراته : أنفاسه .

(١٥) يجوسها : يذهب خلالها ويجئ . الصماخ : خرق الأذن حيث تنحدر منه إليها المسموعات . الترجيع : ترديد الصوت فى الحلق .

(١٧) دهتها : أصابتها . الأرواح : الرياح . والنكباء الريح تنحرف عن مهبها . الزعزع : الريح العاصفة .

(١٨) تجبهه : تواجهه بما يكره .

(١٩) قفر : خال . مصدع : أى قد تفرق جمع ساكنيه وتشتت شملهم .

(٢١) الهديل : فرخ من الحمام كان على عهد نوح يقال إنه مات عطشاً . كسرى : لقب لملوك الفرس . تبع : لقب لملوك اليمن .

(٢٢) الخضم : البحر . الآذى : الموج .

رمتني الليالي قبلَ نَعْيِكَ رَمْيَةً عرَفتُ بها كيف القلوبُ تَقَطَّع (٢٣)
نِصالٌ حِدادٌ قد أَلِمْتُ لحَمْلِها وأعْلَمُ أنى هالكٌ حين تُنْزَع (٢٤)
فلما رمانى سهمُك اليومَ وانطوتْ عليه جُنوبٌ خافقاتٌ وأضْلع (٢٥)
أَمِنْتُ على قلبى السهامَ فلم يَعُدْ به بعد خطبِ الأمسِ واليومِ مَوْضِع (٢٦)

* * *

أأنسَى أميناً ، والشبابُ يَحُفُّنا جديداً ، وروضُ الوُدِّ بالوُدِّ مُمرِع (٢٧)
بأرضٍ إذا غَصَّ النَّهارُ بِغَيْمِها فوجهُ أمينٍ أينما لاح يَسطَع (٢٨)
نَسِيتُ به أهلى ، ويا رُبَّ صاحبٍ أبرُّ من ابن الأم قلباً وأنفع (٢٩)
يغالبنى شوقٌ إلى الفنِّ رائعٌ ويجذبُه مَيْلٌ إلى العِلم أروَع (٣٠)
نروحُ ونغدو لا هَيّابَيْنِ ، ولم نكن نخاف رزايا الدهرِ أو نتوقَّع (٣١)
ونضحَكُ للدنيا اللعوبِ وزُورِها ونمرَحُ فى زَهْوِ الشباب ونرتَع (٣٢)
وكنا نرَى الأيامَ أحلامَ نائمٍ فأيقظنا منها الأليمُ المُرَوِّع (٣٣)
وكانت غِناءً كلُّها ثم أصبحت وليس بها إلاَّ الرثاءُ المُفَجِّع (٣٤)

* * *

أتذكُرُ إذ نمشى إلى الدرسِ بُكْرَةً بِنُوتِنْجهامٍ . تستحِثُّ فأُسرِع ؟ (٣٥)

---

(٢٣) يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة بعده إلى خطب (الشاعر) فى ابن له انتزعه القدر من بين يديه ناشئاً صغيراً ورحل عنه فى نوفبر ١٩٣٥ م عن عشرين عاما .

(٢٤) النصال : جمع نصل ، وهو حديدة السكين والسيف والرمح . حداد : حادة .

(٢٥) انطوت عليه : انضمت عليه . وخافقات : مضطربات هماً وحزناً .

(٢٧) ممرع : مخصب معشب .

(٢٨) بارض : يقصد بلاد الانجليز وقد اشتهرت بغيومها واحتجاب شمسها .

(٣١) رزايا الدهر : أرزاؤه وما يصيب به مما يعيا بحمله الانسان .

(٣٣) المروع : المفزع .

(٣٤) المفجع : الموجع المؤلم .

(٣٥) بكرة : أول النهار . نوتنجهام : إحدى مدن انجلترا . وكانت فيها الجامعة التى تلقى فيها الشاعر والفقيد علومها تستحث : تحفزنى للاسراع وتستنهضنى .

وقد حجب الشمسَ الضبابُ كأنّما ... تلا الليلَ ليلٌ عاكرُ اللونِ أسفَعُ (٣٦)

بلادٌ كأنَّ الشمسَ ماتت بأُفقها ... فظلّتْ عليها أعينُ السُّحْبِ تَدمَع (٣٧)

كأنَّ المصابيحَ الخوافقَ حَوْلَنا ... سيوفُ وَغًى فى ظُلمةِ النَّقْعِ تلمَع (٣٨)

كأنَّ بياضَ الثلجِ يُنْثَرُ فوقَنا ... صحيفتُك البيضاءُ بل هى أنصع (٣٩)

تُناقِلُنى حُلْوَ الحديث كأنّه ... وقد رقَّ معناه الرحيقُ المُشَعْشَع (٤٠)

خلالٌ كريماتٌ أرقُّ من الصَّبا ... وأنضرُ من وَشْىِ الرياضِ وأضْوع (٤١)

وَلِعْتُ بها عُمْرِى ، وأكْبَرْتُ ربَّها ... وإنى بأخلاقِ الكرامِ لمُولَع (٤٢)

وقد كنتَ عفَّ النفسِ واللفظِ والنُّهى ... فلا الرأىُ مأفونٌ ولا القولُ مُقْذِع (٤٣)

تكُدُّ كما كدَّ النهالُ ، وترتوى ... زُلالاً من العلم الصحيح وتَكْرَعُ (٤٤)

فتًى طَلب الدُّنيا كَريماً فنَالَها ... ولَيْس له فيها سِوَى المجْدِ مَطْمعُ (٤٥)

وسَعْىُ كَبِيرِ النَّفْس للنَّفْس مُكْبِرٌ ... وسَعْىُ صَغِيرِ النَّفْسِ للنَّفْسِ مُخضِع (٤٦)

وأعْظَمُ أخْلاَقِ الفتَى هِمَّةُ الفتَى ... وعَزْمٌ حَدِيدُ النَّصل لا يَتَزعْزَع (٤٧)

إذَا وَفَّقَ اللهُ امْرأً فى طِلاَبِه ... دَنَا الصَّعْبُ ، وانْقَاد العَسِير المُمَنَّع (٤٨)

قَنِعْنا بما دُونَ القَلِيل ، ولَمْ تَكُنْ ... بغَيْرِ جَلِيلاَتِ المَطَالب تَقْنَع (٤٩)

وعُدْتَ وفِى يُمْنَاكَ أسْمَى شَهادةٍ ... وأشْرفُ عُنْوانٍ لمِصْرَ وأرْفَع (٥٠)

رَسمتَ لشُبَّانِ البِلاَدِ طَرِيقَهمْ ... فأبْدَعْتَ فيما قَدْ رَسَمْتَ وأبْدَعُوا (٥١)

ومَنْ طَلَب المَجْدَ المَنِيعَ فما له ... سِوَى سِيرَةِ الأبْطَالِ فى النَّاس مَهْيَعُ (٥٢)

* * *

(٣٦) الاسفع : الأسود المشرب حمرة .
(٣٨) الخوافق : المضطربة . الوغى : الحرب . النقع : الغبار تثيره الحرب .
(٤٠) الرحيق : أطيب الخمر وخالصها . المشعشع : الممزوج منها . وهو أشد أثرًا ولعبًا بالرءوس .
(٤١) الصبا : ريح باردة منعشة . وشى الرياض : ألوان زهرها المختلفة . أضوع : أكثر رائحة وأذكى .
(٤٢) ولعت : أغرمت وشغفت بها .
(٤٣) المأفون : الضعيف الفاسد الرأى . المقذع : المفحش .
(٤٤) الزلال : العذب الصافى . تكرع : تشرب .
(٥٢) المهيع : الطريق البين الواضح .

وقد كُنْتَ فى كُلِّ المَناصِبِ سَيِّداً تَزِينُك فى الدُّنْيا خَلاَئِقُ أَرْبَعُ [٥٣]

فَحزْمٌ كما تَرْضى العُلاَ، وتواضُعٌ وعَزْمٌ كما تَرْضَى العُلا، وتَرَفُّعُ [٥٤]

لَكَ البسْمَةُ الزَّهْرَاءُ تَلْمَعُ كالضُّحَى وتُدْنِى مِنْ قَلْبِ الجَبَانِ فيَشْجُع [٥٥]

حَـرِيصٌ على وُدِّ الصَّـدِيق كـأنَّما مَودَّتُه العَـهْدُ الذى لا يُضَيَّع [٥٦]

إذا قَـرأَ الأوْرَاقَ لِـلـرَّأْيِ فـاتَّئِدْ فقَدْ قَرأَ الأَوْرَاقَ للرَّأْيِ أَلْمعُ [٥٧]

وإن صَدَعَتْ بالحُكْمِ يوماً شِفَاهُهُ فلَيْس بغَيْرِ الْحَقِّ والعَدْلِ تَصْدَعُ [٥٨]

* * *

عَجِبْتُ لصَدْرٍ ضَاقَ بالدَّاء حِلْمُه وأَرْجَاؤه مِنْ شَاسِعِ البِيدِ أَوْسَعُ [٥٩]

مَـرِضْت، فقُـلْنـا مَشْرَفِيٌّ بِغمْده تَوارَى، ونَجمٌ عَنْ قَلِيلٍ سيَطْلُع [٦٠]

ولَـمْ نَـدْرِ أَنَّ الـمَـوْتَ باسِطٌ كَفِّه إلى الغُصْنِ فى رَيْعَانِه وهو مُونِع [٦١]

وأَنّ النَّوَى الْحَمقَاءَ شَدَّتْ رِحَالَها وأَنّ أَمِينَ الرَّكْبِ للبَيْن مُزْمِعُ [٦٢]

وأَنَّ الـمَعَالِى والـمَكَـارِمَ والـحِجَا سيَضْمَنُها قَفْرٌ من الأَرْضِ بَلْقَع [٦٣]

وأَنَّ قَضَاء اللهِ حُـمٌّ، فـمَـا لَـنَـا مَحِيصٌ، ولا مِمَّا قَضَى اللهُ مَفْزَع [٦٤]

إذا بَرَعَ الطِّبُّ الحَدِيثُ فَقُلْ لَهُ يَدُ المَوْتِ أَمْضَى مِنْ يَدَيْك وأَبْرَع [٦٥]

---

(٥٤) النهى : جمع نهية ، وهى العقل ، وسمى العقل بها لأنه ينهى عن كل مرذول قبيح .

(٥٨) صدعت بالحكم : نطقت به وجهرت .

(٥٩) البيد : جمع بيداء ، وهى الفلاة الواسعة . يشير إلى موته بعلة الصدر ويعجب كيف أن صدره الرحب لم يتسع لمثل هذا الداء .

(٦٠) المشرفى : السيف ، منسوب إلى المشارف ، وهى قرى من أرض اليمن ، وقيل من أرض العرب تدنو من الريف . غمد السيف : جفنه .

(٦١) ريعانه : اكتماله وتمام قوته . مونع : قد أدرك ونضج .

(٦٢) النوى : الفرقة ، ويريد بها الموت ، الرحال : جمع رحل ، وهو ما يوضع على الراحلة . شد الرحال : كناية عن الأهبة للرحيل . أمين الركب : هو الفقيد . مزمع : عازم .

(٦٣) الحجا : العقل والفطنة . البلقع : التى لا أنيس بها .

(٦٤) حم القضاء : وقع . ما لنا محيص : أى ليس لنا عنه محيد ولا منه مهرب . مفزع : أى مكان نلجأ ونفزع إليه فنتقى به ما وقع .

وإنّ الفَتَى ماضٍ وماضٍ طَبيبُه   وعائدُه مِنْ بَعْدِه والمُشَيِّع [٦٦]

* * *

أمينُ ، وظِلُّ المَوْتِ يَفْصِلُ بيننا   سَبَقْتَ ، وإنِّى عَنْ قَليلٍ سأتْبع [٦٧]

ونَرْجع للْحُسْنَى كَمَا كَانَ عَهْدُنا   فَلاَ نَشْتَكِى هَمًّا ولاَ نَتَوَجَّع [٦٨]

وما مَاتَ مَنْ أبْقى ثَنَاءً مُخَلَّدًا   وذِكْرًا يُسَامى النَّيِّراتِ وَيفْرَع [٦٩]

إذا ذَهَب المِسْكُ الذَّكِىُّ فإنّه   يَزُول وَيبْقَى نَشْرُه المُتَضَوِّع [٧٠]

---

(٦٧) ظل الموت : حجابه .

(٦٩) يسامى : يباريها فى السمو والرفعة . النيرات : الكواكب المضيئة المشرقة . يفرع : يعلو .

(٧٠) الذكى : الذى تسطع رائحته . نشره : ما ينبعث عنه من رائحة طيبة . المتضوع : المنتشر .

وزارة سعد

ألقيت أمام سعد زغلول حينما زار وزارة المعارف سنة ١٩٢٤ م وكان رئيسًا للوزراء.

اليَوْمُ يومُكِ مِصْرُ	للهِ حَمْدٌ وَشُكْرُ (١)
فَلَنْ يَرُوعَكِ رِقٌّ	وَلَنْ يَمَسَّكِ أَسْرُ (٢)
وَكُلُّ مافيكِ صَفْوٌ	وَكُلُّ مَنْ فِيكِ حُرُّ (٣)
سَعْدٌ يَحُوطُ بَنِيه	وَهْوَ الأَعَزُّ الأَبَرُّ (٤)
دَعَتْهُ مِصْرُ فَلَبَّى	وَالْوَجْهُ يَعْلُوهُ بِشْرُ (٥)
فِى سَاعَةٍ لَيْسَ فِيهَا	مِنَ الفِرَارِ مَفَرُّ (٦)
المَوْتُ يَحْصُدُ حَصْداً	وَالسِّجْنُ لِلْحُرِّ قَبْرُ (٧)
والأَرْضُ تَهْتَزُّ رُعْباً	فَمَا لَهَا مُسْتَقَرُّ (٨)
يَسْرِى مَعَ اللَّيْلِ هَمٌّ	وَيَخْنُقُ الشَّمْسَ ذُعْرُ (٩)
تَحَدُّثُ النَّاسِ هَمْسٌ	كَأَنَّمَا هُوَ فِكْرُ (١٠)
وَمِصْرُ تَرْقُبُ سَطْراً	لِلْمَوْتِ يَتْلُوهُ سَطْرُ (١١)
إِذَا نِدَاءٌ جَهِيرٌ	يَهُزُّ مِصْرَ وَزَأْرُ (١٢)

---

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى قيام سعد بالمطالبة بحق مصر فى وقت كان يحجم غيره عن التقدم ويولى خوفا.

(٧) يصف حال مصر إبان ثورتها سنة ١٩١٩ م.

زَأرُ الْهِزَبْرِ الْمُفَدَّى   سَعْدٍ وَنغْمَ الْهِزَبْرُ(١٣)
دَعَوْتَ قَوْمَكَ حَتَّى   أَسْمَعْتَ مَنْ فِيهِ وَقْرُ(١٤)
وَقُمْتَ فِيهِمْ خَطِيبًا   لَهُ عَلَى الْقَوْلِ أَمْرُ(١٥)
مُفَصَّلاَتٌ قِصَارٌ   لَهَا رَنِينٌ وَنَبْرُ(١٦)
وَحِكْمَةٌ فِي بَيَانٍ   إِنَّ الْبَيَانَ لَسِحْرُ(١٧)
قَلْبٌ أَبِيٌّ شَمُوسٌ   عَلَى الْخُطُوبِ وَصَدْرُ(١٨)
وَعَزْمَةٌ مِنْ حَدِيدٍ   لَهَا عُرَامٌ وَأَزْرُ(١٩)
أَبتْ عَلَى الدَّهْرِ لِينًا   سِيَّانِ عُسْرٌ وَيُسْرُ(٢٠)
بَانِي الجِبَالِ بَنَاهَا   مَنِيعَةً لاَ تَخِرُّ(٢١)
فلم يَكُنْ غيرَ سعدٍ   لمصرَ رِدْءٌ وذُخْرُ(٢٢)
فلم يكُنْ غيرَ سَعْدٍ   للناس وِرْدٌ وذِكْرُ(٢٣)
جاءوا إليكَ سِراعًا   لهم أزيزٌ وهَدْرُ(٢٤)
الشيخُ يتلوه قَسٌّ   والقَسُّ يتلوه حِبْرُ(٢٥)
ودينُهم حُبُّ مِصْرٍ   وغيرُ ذلكَ كُفْرُ(٢٦)
فى كلِّ قلبٍ يقينٌ   وحُسنُ عَزمٍ وصَبْرُ(٢٧)
وليس فى الكفِّ بِيضٌ   وليس فى الكفِّ سُمْرُ(٢٨)
فَقُدْتَهُمْ نحوَ فخرٍ   لمِصرَ يتلوه فَخْرُ(٢٩)

---

(١٣) الهزبر : الأسد .
(١٤) الوقر : الصمم .
(١٦) مفصلات قصار : أى كلمات بينة الدلالة وافية بالإبانة على قصرها . النبر : ارتفاع الصوت .
(١٨) الأبى : الذى يأبى الدنية كبرا . شموس على الخطوب : أى لا يذل لها ولا يخضع .
(١٩) العرام : الشدة والحدة . الأزر : القوة .
(٢٢) الردء : العون والناصر . الذخر : ما تعده لوقت الحاجة .
(٢٣) الورد : ما يتلوه الانسان ويردده .
(٢٨) البيض : السيوف . السمر : الرماح .

رُوحٌ من اللهِ جـاءت   من السـماء ونَصْـرُ[٣٠]

ونَـهْضَـةٌ كـان فيهـا   للهِ قَـبْـلَكَ سِـرُّ[٣١]

سِـرْ بـالسـفِينَـةِ هَوْنًـا   فـليس ثَـمَّـةَ صَخْـرُ[٣٢]

الـبحـرُ صـافٍ أمـينٌ   وأنتَ بـالسِـفْـرِ بَـرُّ[٣٣]

تَـعِـيشُ مِصْـرُ وتـبـقَى   فَـقُـرَّةُ الـعَـيْـنِ مِصْـرُ[٣٤]

إلى نادى المعلمين

نشرت هذه الأبيات فى سنة ١٩٤٧ م بعد أن منحت الدولة المعلمين نادى العلمين ليكون نادياً لهم .

يا نَادىَ « العلَمين » صرتَ لفتيةٍ ... كانت مواقفُهم بمصرَ مشرَّفه[1]
قد توَّج النطق « الكريم » جهادَهم ... وسما بمن يبنى العقولَ وأنصفه[2]
زادوك « ميماً » فازدهيتَ بحسنها ... تيهاً ، ولم تكُ غيرَ « ميم المعرفه »[3]

(١) العلمين : بلد غرب الإسكندرية حدثت به معركة فاصلة بين دول الحلفاء (انجلترا وفرنسا وأمريكا) ودولتى المحور (المانيا وإيطاليا) فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٤ م) وانهزم فيه القائد الألمانى الشهير روميل . وقد سمى النادى باسمه لأن جنود الحلفاء كانوا يجعلونه منتدى لهم فلما منحته الدولة للمعلمين غيروا اسمه وسموه بادى المعلمين بدلا من العلمين .

(٣) ميا : حرف الميم فى الحروف الهجائية .

تهنئةُ المليكِ بالعيدِ

(فاروق الأول)

عيد الفطر المبارك سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٧ ميلادية).

أَسَمِعْتَ شَدْوَ الطائرِ الغِرِّيدِ هَزِجاً يُنَاغِي فَجْرَ يَوْمَ العيدِ؟[١]

وَبَدَا عَمُودُ الصُّبحِ أَبْيَضَ ناصِعاً كالسَّلْسَلِ الضَّحْضَاحِ فَوْقَ جَلِيدِ[٢]

أو كاليدِ البَيْضَاءِ تَنْضَحُ بالنَّدَى والغيثِ، أو جِيدِ العَذَارَى الغِيدِ[٣]

أو كاقْتِبَالِ الْحُسْنِ بعد تَحَجُّبٍ أو كابتسام الدَّلِّ بعد صُدُودِ[٤]

وإذا لَمحْتَ الشَّرْقَ خِلْتَ عَرَائِساً مَاسَتْ بثوبٍ كالشَّباب جَدِيدِ[٥]

يَرْفُلْنَ في صَافِي الضِّيَاءِ نَوَاعِماً في سِحْرِ أنغامٍ، وَلِينِ قُدُودِ[٦]

وَدَمُ الشَّبابِ له روائعُ نَشْوَةٍ ما نَالَها يوماً دَمُ العُنْقُودِ[٧]

ما بين طَرْفٍ بالخديعة ناعِسٍ ثَمِلٍ، وآخَرَ في الهوى عِرْبِيدِ[٨]

* * *

---

(١) هزجا : مترنما. يناغي : يداعب.

(٢) السلسل : الماء العذب أو البارد. الضحضاح : الماء اليسير لا غرق فيه. الناصع : الخالص من كل ما يشوبه.

(٤) الدل : دل المرأة ودلالها.

(٥) ماست : تبخترت في عجب.

(٦) رفل في ثيابه : أطالها وجرها متبخترا.

(٧) النشوة : أول السكر. دم العنقود : كناية عن الخمر.

وَدَّعْتُ أيَّامَ الشَّبابِ حَوَافِلاً ... من بعد ما عَصَفَ المشيبُ بعُودِى[9]

فإذا خَطَرْنَ ، فَهُنَّ رُؤْيَا نَائِمٍ ... وإذا هَمَسْنَ ، فَهُنَّ رَجْعُ نَشِيدِ[10]

أَرْنُو إلى عَهْدٍ لَهُنَّ كأنَّمَا ... أَرْنُو لِنَجْمٍ فى السَّمَاءِ بَعِيدِ[11]

وأَرَى الحياةَ بلا شَبَابٍ مِثْلَمَا ... لَمَعَ السَّرابُ بِمُقْفِرَاتِ البِيدِ[12]

* * *

إنَّ الشَّبَابَ رَحِيقُ أَزْهَارِ الرُّبا ... وَحَفِيفُ غُصْنِ البَانَةِ الأُمْلُودِ[13]

ومَطِيَّةُ الآمالِ فى رَيْعَانِهَا ... وسِرَاجُ لَيْلِ السَّاهِدِ المَجْهُودِ[14]

وبَشَاشَةُ الدُّنيا إذا ما أقْبَلَتْ ... ونجاةُ وَعْدٍ مِنْ أَكُفِّ وَعِيدِ[15]

هو فى كتابِ العمرِ أَوَّلُ صَفْحَةٍ ... بُدِئَتْ بِبِسْمِ اللهِ وَالتَّحْمِيدِ[16]

وربيعُ أيَّامِ الحياةِ تَبَسَّمَتْ ... رَوْضَاتُهُ عن ضَاحِكَاتِ وُرُودِ[17]

أَهْدَى لها الوَسْمِيُّ نَسْجَ غَلائِلٍ ... وَأتَى الوَلِيُّ لها بوَشْىِ بُرُودِ[18]

وسَرَى النَّسِيمُ بهَا يُغَازِلُ أَعْيُناً ... من نَرْجِسٍ ويَشُمُّ وَرْدَ خُدُودِ[19]

إنَّ الشبابَ . ومَا أُحَيْلَى عَهْدَه ! ... كالواحَةِ الْخَضْرَاءِ فى الصَّيْهُودِ[20]

تَلْقَى بها مَاءً وظِلاًّ حَوْلَهُ ... جَدْبُ الْجَفَافِ وقَسْوَةُ الْجُلْمُودِ[21]

* * *

إنِّى طَرَحْتُ مِنَ الشبابِ رِدَاءَهُ ... وثَنَيْتُ عَنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ جِيدِى[22]

وَاخْتَرْتُ من صُحُفِ الأَوائِلِ صَاحِبِى ... وجَعَلْتُ مأثُورَ البَيَانِ عَقِيدِى[23]

ومَرَرْتُ بالتاريخِ أَمْلأُ نَاظِرِى ... منه وأُحْيِى بالفناءِ وُجُودِى[24]

---

(١٢) السراب : ما يرى فى البيد ماء وليس بماء . مقفرات البيد : الصحارى المجدبة .

(١٣) الرحيق : صفوة الخمر . والمراد هنا خلاصة الأزهار الأرجة . الأملود : اللين الناعم .

(١٨) الوسمى : مطر الربيع الأول . الولى : مطر الربيع الثانى . البرود الموشاة : الثياب المنقوشة .

(٢٠) أحيلى : تصغير أحلى . الصيهود : الصحراء لا ماء فيها ولا نبات .

(٢١) الجلمود : الصخر الأصم .

(٢٢) ثنيت : حوّلت . الصبابة : رقة الشوق وحرارته .

(٢٣) عقيدى : حليفى ومعاهدى .

كَمْ عَالِمٍ قابَلْتُ فى صَفَحَاتِه ... ولَكَمْ ظَفَرْتُ بفاتِحٍ صِنْدِيدِ ! (٢٥)

وإذا التمسْتَ مِنَ الدُّهورِ رِسَالةً ... فصَحَائِفُ التَّاريخِ خَيْرُ بَرِيدِ (٢٦)

أَحْنُو إلى قَلَمِى كأنَّ صَرِيرَه ... فى مِسْمَعِى المكْدُودِ رَنَّةُ عُودِ (٢٧)

وأَعِيشُ فى دُنْيَا الْخَيالِ لأنَّنى ... أَحْظَى بها بالفائِتِ المفْقُودِ (٢٨)

كَمْ لَيْلَةٍ سامَرْتُ شِعْرِىَ لاهِياً ... وَالنَّجمُ يَلْحَظُنَا بعين حَسُودِ (٢٩)

حِيناً يُراوِغُنِى فأَنْظُرُ ضَارِعاً ... فَيَلِينُ بعد تَنَكُّرٍ وجُحُودِ (٣٠)

ولقد أُغَرِّدُ بالقَرِيض فَيَنْثَنِى ... فأنَالُ قَادِمَتَيْهِ بالتَّغْرِيدِ (٣١)

طَهَّرْتُه من كلِّ مَا تأبى النُّهَى ... ويَعَافُهُ سَمْعُ الحِسَانِ الْخُودِ (٣٢)

وَبَعَثْتُ فِيهِ تَجَارِباً مَذْخُورَةً ... هِىَ كلُّ أمْوَالِى وكلُّ رَصِيدِى (٣٣)

وَجعلْتُ تَشْبِيبِى بمِصْرَ ومَجْدِهَا ... وشمَائِلَ « الفَارُوقِ » بَيْتَ قَصِيدِى (٣٤)

* * *

مَلِكٌ زَهَا الإِسلامُ تَحْتَ لِوَائِه ... وَأَوَى لِرُكْنٍ من حِمَاهُ شَدِيدِ (٣٥)

إنْ فَاتَ عَهْدُ الراشدينَ فَقَدْ رَأَى ... فى دَوْلَةِ « الفَارُوق » خَيْرَ رَشِيدِ (٣٦)

قَرَنَتْ مَنَابِرُه جَلاَئِلَ سَعْيِهِ ... وَجِهَادِهِ بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ (٣٧)

وصَغَتْ مَسَاجِدُه لتَرْدِيدِ اسْمِهِ ... فكأنما يَحْلُو عَلَى التَّرْدِيدِ (٣٨)

مَنْ يَجْعَلِ الإِيمَانَ صَخْرَةَ مُلْكِهِ ... رَفَعَ البِنَاءَ عَلَى أَشَمَّ وَطِيدِ (٣٩)

كَمْ وقفةٍ لك فى المَحَارِبِ جَمَّلَتْ ... عِزَّ المُلوكِ بِخَشْيَةِ المَعْبُودِ (٤٠)

سَجَدَتْ لك الأَيَّامُ حِينَ تَلَفَّتَتْ ... فرأَتْكَ بينَ تَشَهُّدٍ وسُجُودِ (٤١)

---

(٢٥) الصنديد : السيد الشجاع .

(٢٧) أحنو : أميل . صريره : صرير القلم . صوته عند الكتابة . المكدود : المتعب . رنة عود : صوته .

(٣١) يثنى : ينعطف ويميل . قادمتيه : القادمتان : ريشتان فى مقدم جناح الطائر .

(٣٢) الخود : جمع خوداء وهى الشابة الجميلة الناعمة .

(٣٤) تشبيبى : التشبيب الغزل بالنساء .

(٣٨) صغت : مالت .

(٣٩) أشم : مكان عال . وطيد : ثابت .

(٤٠) المحراب : صدر المجلس . والمراد محراب المسجد .

وتَطَلَّعَ الإسْلَامُ فى أَمْصَارِهِ … يَهْفُو لِظِلِّ لِوَائِكَ المَعْقُودِ[٤٢]

* * *

سَعِدَ الصِّيَامُ وشَهْرُهُ بمُجَاهِدٍ … عَبِقَ الوُجُودُ بِذِكْرِهِ المَحْمُودِ[٤٣]

فَنَهَارُه لِلصَّالحاتِ ، ولَيْلُهُ … لِلْبَاقِياتِ وللنَّدَى والْجُودِ[٤٤]

حَيَّيْتَ فى المِذْيَاعِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ … مِنْهُ بقَولٍ مُحْكَمِ التَّسْدِيدِ[٤٥]

جَمَعَ السِّيَاسَةَ كُلَّهَا فى أَحْرُفٍ … كالعِقْدِ أَلَّفَ بَيْنَ كُلِّ فَرِيدِ[٤٦]

وكَقَطْرَةِ العِطْرِ الَّتى كَمْ جَمَّعَتْ … من نَوْرِ أَغْوَارٍ وَزَهْرِ نُجُودِ[٤٧]

قَوْلٌ بهِ الْحِكَمُ الغَوَالِى نُسِّقَتْ … ما بينَ منْثُورٍ وبَيْنَ نَضِيدِ[٤٨]

أَصْغَى إليه الشَّرْقُ يَسْمَعُ دَعْوَةً … قُدْسِيَّةً لِلْبَعْثِ والتَّجْدِيدِ[٤٩]

وَزَهَتْ بهِ العَزَمَاتُ بَعْدَ ذُبُولِهَا … وَصَحَتْ به الآمالُ بَعْدَ رُقُودِ[٥٠]

للهِ صَوْتُكَ فى الأَثِيرِ فَإِنَّه … أَخَذَ الهُدَى والْحُسْنَ عَنْ دَاوُدِ ![٥١]

لَبَّيْكَ يا مَلِكَ القلوب ! فَمُرْ نَكُنْ … لَكَ طاعَةً ، واللهُ خَيْرُ شَهِيدِ[٥٢]

* * *

إنَّا بدَرْسِ الدِّينِ أَبْصَرْنَا الهُدَى … نُوراً يُشِعُّ بِجَمْعِهِ المحشُودِ[٥٣]

وَبدَا المَلِيكُ بهِ يُمَجِّدُ رَبَّهُ … للهِ مِن نُسُكٍ وَمِنْ تَمْجِيدِ ![٥٤]

أَبْصَرْتُه والشَّعْبُ حَوْلَ بِسَاطِهِ … كَالطَّيْرِ رَفَّ لِوِرْدِهِ المَوْرُودِ[٥٥]

مَا أَسْمَحَ الإِسْلَامَ ! يَجْمَعُ رَحْبُهُ … فى اللهِ بَيْنَ مُسَوَّدٍ ومَسُودِ[٥٦]

حَرَسَتْهُ أَفْئِدَةٌ تُفَدِّى عَرْشَهُ … وَالْحُبُّ أَقْوَى عُدَّةٍ وعَدِيدِ[٥٧]

---

(٤٣) عبق الطيب : انتشر شذاه .

(٤٤) الندى : العطاء والجود .

(٤٧) النور : الزهر . أغوار : جمع غور وهو المطمئن من الأرض . نجود : جمع نجد ما ارتفع منها .

(٤٨) نضيد : من نضد المتاع وضع بعضه على بعض .

(٤٩) قدسية : طاهرة . البعث : الايقاظ والتنبيه .

(٥٥) رف الطائر : بسط جناحيه . ورف للماء : سعى إليه .

إنَّ الْجُنُودَ بِهِ تَلُوذُ وَتَحْتَمِي ... وَلَكَمْ عُرُوشٌ تَحْتَمِي بِجُنُودِ ! (٥٨)

يُصْغِي ويُنْصِتُ للكِتَابِ وَآيِهِ ... فِى سَمْتِ مَوْفُورِ الجَلاَلِ حَمِيدِ (٥٩)

يا قُدْوَةَ الجِيلِ الْجَدِيدِ وَذُخْرَهُ ... عِشْ لِلْمُنَى فَرْداً بِغَيْرِ نَدِيدِ (٦٠)

* * *

حَارَ القَرِيضُ وكيفَ أَبْلُغُ غَايَةً ... هِى فَوْقَ طَوْقِ يَرَاعَتِى وجُهُودِى؟ (٦١)

أَعْـدَدْتُ أَلْوَانِى لأَرْسُمَ صُورَةً ... أَيْنَ السُّهَا من سَاعِدِى المَكْدُودِ؟ (٦٢)

حِلْمٌ كما تُغْضِى الأُسُودُ تَكَرُّماً ... وَعَزَائِمٌ فِيهَا نِجَارُ أُسُودِ (٦٣)

وَفِرَاسَةٌ سَبَقَتْ حَوادِثَ دَهْرِهَا ... حَتَّى كَأَنَّ الغَيْبَ كَالمَشْهُودِ (٦٤)

وإِرَادَةٌ تَفْرِى الصِّعَابَ شَبَاتُهَا ... وَتَهُدُّ عَزْمَ الصَّخْرَةِ الصَّيْخُودِ (٦٥)

وَذَكَاءُ قَلْبٍ لَوْ رَمَى حَلَكَ الدُّجَى ... لَمضَى يُهَرْوِلُ فِى المُسُوحِ السُّودِ (٦٦)

* * *

مَوْلاَىَ ! إِنَّ الشِّعْرَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ... بَلَغَ المَدَى فى ظِلِّكَ المَمْدُودِ (٦٧)

أَلْفَى خِلاَلاً لَقَّنَتْهُ بَيَانَهُ ... فَأَعَادَهَا كَالصَّادِحِ الغِرِّيدِ (٦٨)

فَلَكَمْ بَعَثْتُ مَعَ الأَثِيرِ وَحِيدَةً ... فى فَنِّهَا تَشْدُو بِمُلْكٍ وَحِيدِ (٦٩)

فَاهْنَأْ بِمِيلاَدِ الأَمِيرَةِ إِنَّهَا ... عُنْوَانُ مَجْدٍ طَارِفٍ وَتَلِيدِ (٧٠)

وانْعَمْ بِعِيدِ الفِطْرِ واسْعَدْ بالمُنَى ... فى طَالِعٍ صَافِى النَّعِيمِ سَعِيدِ (٧١)

---

(٦٢) السهى : كوكب خفى يمتحن الناس به أبصارهم .

(٦٣) النجار : الأصل .

(٦٤) فراسة : هى المعرفة ببواطن الأمور .

(٦٥) تفرى : تمزق . الشباة : الحد . الصخرة الصيخود : الشديدة .

(٦٦) حلك الدجى : سواد الظلمة . يهرول : يمشى مسرعاً . المسوح : جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ .

(٦٨) ألفى : وجد .

(٧٠) الطارف : الجديد . التليد : القديم . الأميرة : الأميرة فريال أولى بنات فاروق .

عبد العزيز جاويش

يرثى الشاعر فى هذه القصيدة أستاذه وصديقه الشيخ « عبد العزيز جاويش » . وقد توفى فى يناير سنة ١٩٢٩ م .

دُموعُ عُيونٍ أم دِماءُ قُلوبِ ... على راحلٍ نائى المَزَارِ قريبِ؟[١]

نعاه لنا الناعِى فأفْزَعَ مِثْلَمَا ... تُراعُ بِصَوْتٍ فى الظلامِ رهيب[٢]

فقُلنا أبِنْ ـ رُحْماكَ ـ طارتْ عُقُولُنا ... وَكم من يقينٍ فى الحياة مُريب[٣]

شكَكْنا ، وكان الشكُّ أمْنًا وراحةً ... فلم نستَمِعْ من فِيكَ غيْرَ نَعِيب[٤]

حَنانَكَ ، إنّا أُمّةٌ هَدَّ ركنَها ... صِراعُ ليالٍ ، واصطلاحُ خُطوبِ[٥]

إذا كَشَفَتْ عنها القميصَ بدتْ بها ... نُدُوبٌ لطعنِ الدهرِ فوق نُدُوبِ[٦]

وإنْ أرسلتْ فى ذِمَّةِ الله عَبْرَةً ... على ابن سُرّى حامى الذِّمارِ وَثُوبِ[٧]

دَهَتْها الليالى فى سواه ، ولا أرَى ... شَعُوبًا لهذا الناس مِثْلَ شَعُوب[٨]

تَدَاوَى من الإعْوالِ بالبثِّ والبُكا ... وتَشْفِى لَهِيبًا للجَوَى بلهيب[٩]

وتَمسَحُ دمعًا كى تجودَ بِمِثْلِهِ ... وتَنْسَى أريبًا باذِّكارِ أريب[١٠]

---

(١) نائى المزار : بعيد مكان الزيارة .

(٣) النعيب : صوت الغراب ، وهو مما يتشاءم به ويتبرم بسماعه .

(٥) اصطلاح الخطوب : تتابعها .

(٧) الذمار : ما يلزمك حفظه والدفاع عنه .

(٨) شعوبا : مصدعًا ومفرقا ، شعوب : الموت .

(٩) البث : الحزن . الجوى : حرقته .

(١٠) الأريب : ذو العقل والدهاء . الاذكار : الذكر .

فيأيُّها الناعى ، إذا قُلْتَ فاتَّئِدْ ... فما مُخطئٌ فى قولِه كمُصيب[11]

حَنَانَكَ ، قُلْ ما شئتَ إلاّ فَجيعةً ... بفقدِ كريمٍ أو فِراقِ حَبيب[12]

فقال : قَضَى ، قُلْنا : قَضَى حاجةَ العُلا ... فقال : مَضَى ، قُلنا : بغيرِ ضَرِيب[13]

فهزَّ اعتلاجُ الْحُزنِ أضلاعَ صَدْرِهِ ... وأخْفَى نَشيجًا تحتَ طيِّ نحيب[14]

وقال : قضَى عبدُ العزيزِ ولم يكُنْ ... نصيبُ امرئٍ فى الرُّزْءِ فوقَ نَصيبِى[15]

فواحسرتا ! مات الإمامُ ولم تكُنْ ... نِهايةُ هذِى الشمسِ غيرَ مَغيب[16]

وغاضَ مَعِينٌ كان رِيًّا ورحمةً ... وكلُّ مَعينٍ صائرٌ لنُضُوبِ ![17]

فمَنْ لِكتابِ اللهِ يلمَحُ نُورَهُ ... بعينٍ بصيرٍ بالبَيانِ لَبيبِ ؟[18]

ومَنْ يدفَعُ العادِى على دينِ أحْمدٍ ... بعزمٍ كمَسْنُونِ الْحِرابِ صَليبِ ؟[19]

وقد كُنْتَ ياعبدَ العزيزِ إذا دَجَتْ ... وقد قيل «أمَّا بَعْدُ» خيرَ خَطيب[20]

* * *

بنفسِيَ مَن عَانَى الحياةَ مُشَرَّدًا ... يَجُوبُ من الآفاقِ كُلَّ مَجُوب[21]

غريبًا تَقاضاه الليالى حُشاشةً ... ولكنّه للفضلِ غيرُ غريب[22]

يطوفُ بأقطارِ البلادِ كأنّه ... خيالُ مُلِمٍّ ، أو خيالُ أديبِ[23]

ويطوى وراءَ البِشْرِ نفسًا جَرِيحةً ... وأعشارَ قلبٍ بالهُمومِ خَضيبِ[24]

أيشكو لئيمُ القومِ كَظًّا وبِطْنَةً ... ويَشْكو فَتَى الفِتيانِ مسَّ سُغُوبِ ؟[25]

---

(١٣) قضى : «الأولى» مات . قضى (الثانية) : أنجز وأتم . الضريب : النظير والمثل .

(١٤) اعتلاج الحزن : اضطرابه وثورانه . النشيج : البكاء يغص به الحلق . النحيب : أشد البكاء .

(١٧) غاض المعين : ذهب ماؤه . الرى : الارتواء . النضوب : الجفاف .

(١٩) صليب : قوى لا يلين .

(٢٠) دجت : أظلمت ، ويريد بالإظلام أوقات الشدة .

(٢١) بنفسى : أفدى بنفسى . المجوب : المعمور من البلاد ، الذى يجوبه الناس ، يرحلون إليه .

(٢٢) تقاضاه : تتقاضاه . الحشاشة : الفؤاد .

(٢٤) الأعشار : الأجزاء . خضيب : مخضوب .

(٢٥) الكظ والبطنة : امتلاء البطن . السغوب : الجوع مع التعب . مس سغوب : ما يشعر الانسان به من ألم الجوع .

لأمرٍ غدا ما حَوْلَ مكةَ مُقْفِرًا جَديبًا ، وباقى الأرضِ غيرُ جَديب (٢٦)

* * *

تُقَتِّلُنا الأيامُ وهْىَ حياتُنا وتُعطى ، وما أبْصرْتُ غيرَ سَليب (٢٧)

فما حِيلتى إنْ كان بالماء غُصَّتى ودائى إذا عزَّ الدواءُ طبيبى ؟ (٢٨)

كأنَّ حِبالَ الشمسِ كِفَّةُ حابِلٍ تُحيطُ بنا من شمألٍ وجَنوب (٢٩)

نَروحُ بها ، والموتُ ظمآنُ ساغبٌ يُلاحظُنا فى جَيْئَةٍ وذُهوب (٣٠)

على الشَّفَقِ المُحْمَرِّ مِنْ فَتَكاتِهِ بَقايا دَمٍ للذاهبينَ صَبيب (٣١)

هل الدَّهْرُ إلاَّ ليلةٌ طال سُهدُها تَنَفَّسُ عن يومٍ أَحَمَّ عَصيب ؟ (٣٢)

وليس ترابُ الأرضِ غَيْرَ ترائبٍ وغيرَ عُقولٍ حُطِّمتْ وقُلوبِ ! (٣٣)

سَلُوا وَجَناتِ الغيدِ فى ذِمَّةِ الثَّرى أتَزْهَى بحسنٍ أَمْ تُدِلُّ بطيب ؟ (٣٤)

وكانت شِبَاكًا للعُيونِ فأصبحتْ ولستَ تَرى فيهنَّ غَيْرَ شُحُوب (٣٥)

* * *

فَيَا مَنْ رأى عبدَ العزيزِ تَنُوشُه نُيُوبٌ لعادى الموتِ أىُّ نُيُوب (٣٦)

طريحًا على أيدى الأُسَاةِ كأنّه حِبالةُ عَضْبٍ أو رِشاءُ قَليبِ (٣٧)

فَيَاوَيْحَ للصدرِ الرَّحيبِ الَّذى غدا بمُزْدَحِمِ الآلامِ غيرَ رَحيب (٣٨)

تَدِبُّ به فى مَوْطِنِ الحلمِ عِلّةٌ لها كالصِّلال الرُّقشِ شرُّ دَبيبِ (٣٩)

---

(٢٧) السليب : المسلوب .

(٢٨) الغصة : ما تشعر به عند اعتراض شىء فى الحلق ، عز : امتنع .

(٢٩) الحابل : الصائد ، كفته : حبالته التى يصيد بها .

(٣٠) الساغب : الجائع .

(٣١) صبيب : منصب .

(٣٢) السهد : الأرق وعدم النوم . تنفس : تتكشف وتسفر . الأحم : الشديد السواد .

(٣٣) الترائب : عظام الصدر .

(٣٦) تنوشه : تتناوله تمزيقا . نيوب : أى أنياب قوية حادة .

(٣٧) الأساة : الأطباء ، واحده أسٍ . العضب : السيف القاطع . القليب : البئر . رشاؤه : حبله .

(٣٩) الصلال : الحيات . الرقش : المنقطة ، ويريد بموطن الحلم : الصدر .

تَرَى القلبَ منها واجبًا أنْ تَمَسَّهُ ... فتتركَهُ قلبًا بغيرِ وَجِيبِ[40]

أصابَتْ نِظَامًا للمعالى فبدَّدَتْ ... ومقصِدَ آمالٍ ومجدَ شُعُوبِ[41]

* * *

لقد كنتَ تُعلى فى الحياةِ قصائدى ... وتهتزُّ عُجْبًا إنْ سَمِعتَ نَسيبى[42]

فهاكَ نِداءً، إنْ يَجِدْ منكَ سامعًا ... وهاكَ رِثاءً إنْ يَفُزْ بمُجِيبِ[43]

رِثاءٌ يكادُ المَيْتُ يَحْيَا بلفظِهِ ... ويَحْبِسُ شمسَ الأُفْقِ دونَ غُروبِ[44]

فطارِحْ به الْخَنْساءَ إن جُزْتَ دارَهَا ... ونافِسْ به -إن شئتَ- شِعْرَ حَبِيبِ[45]

تمنّيتُ لو أرسلتُ شعرى مع البُكا ... بغيرِ قَوافٍ، أو بغيرِ ضُرُوبِ[46]

وصَيَّرْتُ أنّاتى تفاعيلَ بحرِهِ ... وجئْتُ بوَزْنٍ فى القَريضِ عجيبِ[47]

فإنّى رأيتُ الشّعرَ تنفِرُ طيرُهُ ... إذا دُهمتْ من فادحٍ بهُبوبِ[48]

تَهابُ القوافِى أنْ تَمَسَّ جَلالَةً ... لذى شَمَمٍ ضَافِى الجلالِ مَهِيبِ[49]

عليكَ سلامُ اللهِ ما ناحَ طائرٌ ... على غُصُنٍ غَضِّ الإهابِ رطيبِ[50]

---

(٤٠) واجبا : خافقاً . الوجيب : خفقان القلب .

(٤٥) الخنساء : شاعرة عربية . حبيب : هو الشاعر العربي المشهور أبو تمام .

(٤٦) الضروب : جمع ضرب ، وهو عجز البيت .

(٤٩) الشمم : الإباء . ضافى الجلال : عميمه مبسوطه .

(٥٠) ما ناح طائر : ما بقيت الدنيا . رطيب : طرى .

الصلح بين القبائل

حينما زار الشاعر بغداد فى [illegible] ١٣٩١ م مع صديقه حمد الباسل باشا . وُفّقا لعقد الصلح بين قبائل شمر والعبيد ، بعد أن استمر العداء بينهما زمنا طويلا . وقد أقيمت بهذه المناسبة حفلة بدار السفارة المصرية أنشد الشاعر فيها هذه القصيدة .

أجابتْ نداءَ الحقِّ سُمْرُ العواسلِ ... وعادتْ إلى الأغماد بيضُ المَناصلِ[1]

وقرّت قلوبٌ جازعاتٌ خوافِقٌ ... وخالَطَ دمعُ البِشرِ دمعَ الثواكلِ[2]

وطافت على الشرِّ المناجِزِ حكمةٌ ... أطاحتْ بما قد حاكه من حبائلِ[3]

وأطفأ نيرانَ العداوةِ وابلٌ ... من الحِلم ، حيّا صَوبَه كلُّ وابلِ[4]

وصفّق بالبشرى الفُراتُ ودِجْلةٌ ... على نغماتِ الساجعاتِ الهوادلِ[5]

وحطّمتِ السلْمُ الحُسامَ فلمَ تَدَعْ ... به بعدَ طولِ الفتكِ غيرَ الحمائلِ[6]

فليت زُهيْراً بيننا بعدَ ما خبَتْ ... لظَى الحربِ وانجابت غيومُ القساطِلِ[7]

* * *

(١) نداء الحق : يراد هنا السلام . سمر العواسل : الرماح . الأغماد : جمع غمد وهو الجراب الذى يوضع فيه السيف . بيض المناصل : السيوف .

(٢) قرّت : هدأت وسكنت . جازعات خوافق : خائفات مضطربات . الثواكل : النساء اللاتى فقدن أبناءهن .

(٣) المناجز : المقاتل . حاكه : صنعه .

(٤) وابل : المطر الشديد .

(٥) الفرات ودجلة : نهران بالعراق . الساجعات الهوادل : الحمام .

(٦) الحسام : السيف . الحمائل : علاّقة السيف .

(٧) زهيرا : هو زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى العظيم وأحد أصحاب المعلقات فى الجاهلية واشتهر بحبه للسلام

هو السيفُ أطغَى ما خضعتم لحكمه ... إذا ما انتضاه الحقدُ فى كفِّ جاهلِ (٨)

يُقطِّعُ أوشاجًا علينا عزيزةً ... ويبتُرُ جبّارًا كريمَ الوصائلِ (٩)

يسيلُ دمُ القُرْبَى عليه مطهَّراً ... أعزَّ وأزكَى من نجيع الأصائلِ (١٠)

أخى ، أنت دِرْعِى إنْ ألمّت مُلِمّةٌ ... وإن فدحتْنِى عابساتُ النوازلِ (١١)

أخى ، أنت من نفسِى ، دماؤكَ من دمِى ... « فإن كنتُ مأكولاً فكنْ خيرَ آكلِ » (١٢)

أأرمى أخى ؟ يا ويلَ ما صنعتْ يدى ! ... فيالتها كانتْ بغيرِ أناملِ ! (١٣)

إذا مسَّنى خَطْبٌ فأولُ راكبٍ ... يخوضُ لِىَ الجُلَّى ، وأسرعُ نازلِ (١٤)

أكلتُ دماً إنْ لم أزُدْ عن حياضِهِ ... كريماً ، وأدفَعْ عنه كيدَ الغوائلِ (١٥)

أضاحكُهُ والقلبُ ما عبثتْ به ... لِئامُ المساعى ، أو سمومُ الدخائلِ (١٦)

وأبسطُ كفِّى نحوه غيرَ جافلٍ ... ويبسُط نحوى كفَّه غيرَ جافلِ (١٧)

إذا البيدُ لم تُنْبِت نباتاً فحسْبُها ... فقد أنبتتْ فينا كريمَ الشمائلِ (١٨)

وقد علَّمتنا أنْ يكونَ إخاؤنا ... كشامخِ رَضْوَى ركنُه غيرُ زائلِ (١٩)

وكراهيته للحرب ، له معلقة مشهورة مطلعها : أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدرّاج فالمتلثم . دعا فيها للسلام ونفرّ من الحرب وويلاتها إذ قال :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو ... وما هو عنها بالحديث المرجّم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر إذا ضريتموها فتضرم

القساطل : جمع قسطل وهو غبار الحرب .

(٨) أطغى : جاوز الحد .

(٩) أوشاجا : جمع وشج وهو صلة القرابة .

(١٠) نجيع : الدم من الجوف . الأصائل : الأصيل .

(١١) الدرع : ما يقى الانسان أثناء الحرب . الت ملمة : نزلت نازلة . فدحتنى : أصابتنى بمصاب كبير . عابسات النوازل : شدة الكوارث .

(١٤) الجلّى : حلبة القتال ويقصد المخاطر والأهوال .

(١٥) أكلت دما : دعاء على نفسه . أزد : ادافع . حياضه : أراضيه . كيد : مكر . الغوائل : الذين يقفون له بالمرصاد لإهلاكه .

(١٦) الدخائل : الدخلاء المفسدون .

(١٧) غير جافل : غير خائف .

(١٨) البيد : الصحراء .

(١٩) رضوى : جبل رضوى الشهير بالحجاز .

ألسْنا الكرامَ الغُرَّ من آلِ يَعْرُبٍ لَدَى الرَّوْعِ ، أو عندَ التفافِ المحافلِ ؟[٢٠]
حَمَيْنا بحمدِ اللهِ أنسابَ قومِنا وصُنّا على الأيامِ مجدَ الأوائلِ[٢١]
وما خُلِقَتْ إلاّ لعزمٍ نفوسُنا كأنّا خُلِقْنا من غُبارِ الجحافلِ[٢٢]
إذا افترقت أهواءُ قومٍ تشتّتوا ولم يرجعوا إلاّ بعارِ التخاذلِ[٢٣]
عزيزٌ على الأوطانِ أنَّ شجاعةً تُمزِّقُها الشَّحْناءُ فى غيرِ طائلِ[٢٤]
حمانا كتابُ اللهِ من بعدِ فُرْقَةٍ فكنّا لدينِ اللهِ خيرَ المعاقلِ[٢٥]
وصالتْ بنا من قوّةِ البأسِ وَحْدةٌ على الكونِ ، لم تتركْ مَصالاً لصائلِ[٢٦]
فثُلّتْ عُروشٌ ، واستطارتْ أسِرّةٌ من الذُّعرِ فى أعوادِها والزلازلِ[٢٧]

* * *

جَمَعْنا على الحُبِّ القلوبَ فأشرقتْ كما أشرقت بالغيث زُهْرُ الخمائلِ[٢٨]
وعِفْنَا ورودَ الماءِ أكدرَ آسناً وحنّتْ حنايانا لعذبِ المناهلِ[٢٩]
وعادت إلى الحسنى «العَبيدُ» و«شَمَّرٌ» وسار بشيرُ السلمِ بين القبائلِ[٣٠]
وأصْغوا إلى الرأيِ السديدِ وانصتوا لنصحِ نصيرٍ للعُروبةِ «باسلِ»[٣١]
إلى «حَمَدٍ» ترنو المعالى مُدِلَّةً وتُلْقِى بأسبابِ النُّهى والفضائلِ[٣٢]
عرفناه وِرْداً للندى غيرَ ناضبٍ لراجٍ ، وعزماً للعلا غيرَ ناكلِ[٣٣]
وقد دفن القومُ التِّراتِ وأقبلوا إلى الحقِّ يمحو ضوؤه كلَّ باطلِ[٣٤]

---

(٢٠) آل يعرب : يقصد العرب نسبة إلى يعرب بن قحطان وهو أبو العرب . الروع : الفزع والهول .
(٢٢) غبار الجحافل : غبار الجيوش الكبيرة .
(٢٩) عفنا : كرهنا ـ تجنبنا . اكدراً سنا : متغير اللون والطعم والرائحة . عذب المناهل : الماء العذب . وفى البيت طباق .
(٣٠) العبيد وشمر : القبيلتان المتحاربتان بالعراق .
(٣١) أصاخوا : إستمعوا . باسل : هو حمد الباسل باشا وكان هو والشاعر أعضاء الوفد الذى أسهم فى إصلاح ذات البين بين القبيلتين المتحاربتين .
(٣٣) وردا : موردا . الندى : الكرم . غير ناضب : غير منقطع ـ وافر . ناكل : راجع عن .
(٣٤) الترات : الاحقاد التى أدت بهم الى الحرب .

وسـلُّوا لإعلاء الـعِـراق عـزائما أسدَّ وأمضَى من سِنان الذوابل[٣٥]

يُـفـدُّون بـالأرواحِ والأهلِ «فَيْصلاً» مناطَ المُنى من كل راجٍ وآمل[٣٦]

---

(٣٥) سلوّا : أخرجوا . سل السيف : أخرجه من غمده استعدادًا للقتال . الذوابل : الرماح .

(٣٦) فيصلا : الملك فيصل الثانى ملك العراق حينئذ . راج : مرتجى – مؤمل .

ثقيل ! !

عام ١٩٣٠ م.

تَبًّا لـه من ثـقيـلٍ دَمـاً ورُوحـاً وطِـينـهْ ! (١)
لو كـان من قوم نُوحٍ لَمَا ركِـبْتُ الـسـفـيـنـه (٢)

(٢) السفينة : يقصد بها سفينة سيدنا نوح كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم.

ذكرى الزّفاف الملكيّ

بمناسبة ذكرى زواج الملك السابق فاروق إلى الملكة السابقة فريدة يناير ١٩٣٩ م.

إقبسِ النورَ من شُعاعِ الراحِ والثِمِ الحسْنَ فى جَبينِ الصّباحِ [١]
وابْعثِ اللَّحْنَ من سَمائِكَ ياشعْرُ ونافسْ به ذواتِ الجناحِ [٢]
وانْهبِ الحسْنَ من خُدودِ العذَارَى واسرِقِ السِّحْرَ من عُيونِ المِلاحِ [٣]
وتَنقَّلْ بيْنَ الخمائلِ جَذْلا نَ طليقَ الهَوَى جَميمَ المِراحِ [٤]
واسقِنا من سُلافِك العَذْبِ إنّا قد سئمنا مرارةَ الأقداحِ [٥]
كم ثملنا برَشْفةٍ منكَ ياشعْرُ فصرْنا رُوحًا بلا أشباحِ [٦]
ورأينا من الحقائقِ ما عزَّ على كلِّ باحثٍ كدَّاحِ [٧]
وقرأنا فى كلِّ شىءٍ رُموزًا فوقَ طوقِ البيانِ والإيضاحِ [٨]
ورَسَمنا بدائعَ الكونِ فى لوْ حٍ تعالى عن جَفْوَةِ الألواحِ [٩]
وفهمنا لُغى الطُّيورِ وأصْغيْنا لهمسِ الغُصون فى الأَدْواحِ [١٠]

---

(١) قبس النور : أخذه ، القبس : الشعلة . الراح : الخمر . اللثم : التقبيل . والمراد بالنور : شعاع الخمر .
(٢) اللحن : الغناء . ذوات الجناح : الطيور .
(٥) السلاف : الخمر .
(٦) ثمل : انتشى . الرشفة : المرة من الشرب ، الأشباح : الأشخاص .
(٨) الرمز : الإيماء ، والمراد به هنا المعنى الخفى . الطوق : الطاقة .
(٩) البدائع : الطرائف . الجفوة : الغلظ .
(١٠) لغى : جمع لغة . الأدواح : ومفرده دوحه وهى الشجرة العظيمة .

ورأينا البُرُوقَ تَضحَكُ فى الرَّو ... ضِ فتهفو لها ثُغورُ الأقاحى[11]

إيهِ ياشعرُ أنتَ سَلْوايَ فى الدنيا إذا ضاق بى فسيحُ البَراح[12]

كم عناءٍ كشفتَ بعدَ نِضالٍ ... وجَبينٍ مَسَحتَ بعدَ كِفاحِ ![13]

لا تَدَعْنى ياشعرُ فى ليلة الذِّكْرَى وأَطْلِقْ إلى الخَيالِ سَراحى[14]

غَنِّنى بالمُنَى تَرِفُّ حَنانًا ... بعدَ نَأْيٍ وبعدَ طُولِ جماحِ[15]

غنِّنى باللِّقاءِ بعدَ شَتاتٍ ... وبعطفِ الزَّمانِ بعدَ شِيَاحِ[16]

غننى بالربيع يَخطر فى الرَّوْ ... ضِ ويَعطُو بمِئْزَرٍ ووُشاحِ[17]

غننى غننى فقدَ عَيَّ نَايِي ... ونَبا مِزْهَرى عن الإفْصَاحِ[18]

كيف تَحوِى الأوتارُ ما يغمُرُ القَلبَ ويَطْفُو به من الأفراحِ؟[19]

غنِّ فى ليلة البشائرِ ياشعْرُ وغَرِّدْ بصوتِك الصدَّاحِ[20]

وَخَلِّدِ الفنَّ من ترانيمِ إسْحَا ... قَ وبُعْدَ المَدَى عن ابن رَبَاحِ[21]

واملأ الأُفْقَ بالنَّشيدِ تُرَدِّدْ ... رَجْعَ أنغامِهِ جميعُ النَّواحى[22]

مَاسَتِ الباسِقاتُ فى ضِفَّةِ الوا ... دِى وأَرْخَتْ شُعورَها للرِّياحِ[23]

وَرَنا الزهرُ باسمًا يَنْشُرُ النُّو ... رَ ويهفُو بثَغْرِهِ الفَوَّاحِ[24]

أسْكَرَتْهُ الذِّكْرَى فأصْغَى وأَصْغَى ... يملأُ السَّمْعَ وهو نشوانُ صاحى[25]

---

(١١) الأقاحى : جمع أقحوان وهو زهر أصفر الوسط أبيض الأوراق مسننها .

(١٥) ترف : ترفرف . النأى : البعاد . الجماح : الشرود .

(١٦) الشتات : التفرق . الشياح : الإعراض .

(١٧) العطو : رفع الرأس . المئزر : الملحفة . الوشاح : حلية مرصعة بالجوهر .

(١٨) عيّ : عجز . نبا : كلّ . الناى : آله نفخ . المزهر : العود .

(١٩) يغمر : يغطى . يطفو : يعلو .

(٢١) ترانيم : جمع ترنيم وهو تطريب الصوت . المدى : الغاية . اسحاق : هو بن إبراهيم الموصلى كان هو وأبوه من أشهر مغنى الدولة العباسية . ابن رباح : هو بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢٣) ماس : مال تيها . الباسقات : جمع باسقة وهى النخيل .

(٢٤) رنا : نظر . هفا : مال . الثغر : الفم . الفواح الذى يتضوع أريجا .

(٢٥) النشوان : الغائب عن الوعى بتأثير الخمر . الإصغاء : الإمالة ويستعمل كثيرًا فى التسمع .

مَالَ تِيهًا كما تميلُ العَذارَى هلْ على الزَّهر فى الهوى من جُناحِ ؟[٢٦]

* * *

إنَّ ذكرى الزِّفافِ أسعدُ ذكرَى تملأُ النَّفسَ من مُنًى وارتياحِ[٢٧]

سعِدتْ مصرُ بالمليكةِ فِيهِ واستنارتْ بنورِها الوضَّاحِ[٢٨]

شرفٌ باذِخٌ يتيهُ على الدُّنيا ومجدٌ من الصَّميمِ الصُّراحِ[٢٩]

نَبَتَتْ فى مَنابتٍ أرضُها المِسْكُ وفى ظلِّ عِزَّةٍ وسَماحِ[٣٠]

وبدتْ دُرَّةً من النُّبلِ والمجدِ فغضَّتْ منَ الدَّرارِى الصِّحاحِ[٣١]

فهناءً فاروقُ يامَوْئِلَ النِّيلِ ويا يُمْنَ نَجْمِهِ اللَّمَّاحِ[٣٢]

أنتَ أنهضْتَ مصرَ تستَبِقُ الخَطْوَ وتَمضى بِعَزْمَةٍ وطِماحِ[٣٣]

وبَعَثْتَ الآمالَ فى كلِّ قلْبٍ وغرَسْتَ الإحسَانَ فى كلِّ رَاحِ[٣٤]

ذاكَ سِرُّ البيتِ الكريمِ وفيْضٌ من عَطاءِ المُهَيْمِنِ الفتَّاحِ[٣٥]

آلَ بيتِ المُلْكِ المؤثَّلِ أنتمْ شَرَفٌ مُشْرِقُ الأسارِيرِ ضَاحى[٣٦]

عَجَزَ الشِّعرُ أن ينالَ مَدَاكُمْ وكَبَتْ دونَ وَصْفِكُمْ أمْداحى[٣٧]

كتَبَ اللهُ فى الخلودِ عُلاَكُمْ مَالِمَا خُطَّ فى السَّمَوَاتِ مَاحِى[٣٨]

جَدُّكُمْ أنقَذَ البلادَ وأعْلَى رايةَ الدِّينِ بالظُّبَا والرِّماحِ[٣٩]

حكمةٌ تأسرُ القلوبَ بصَفْحٍ وإباءٌ يَغْشَى الوَغَى بصِفاحِ[٤٠]

---

(٢٦) التيه : الدلال . الجناح : الإثم .

(٢٩) باذخ : عال . الصراح : الخالص .

(٣١) غض منه : وضع من قيمته . الدرارى : النجوم اللامعة .

(٣٢) موئل : ملجأ . اليمن : البركة . لماح : لماع .

(٣٣) الاستباق : التسابق ، والمراد يسابق بعضها بعضا . الطماح : التطلع ، والمراد التطلع الى المعالى .

(٣٤) الراح : بطون الأيدى مفرده راحة .

(٣٥) السرّ هنا : الأصل وكرم النسب .

(٣٦) المؤثل : الأصيل . الأسارير : محاسن الوجه . الضاحى : البادى الظاهر .

(٣٧) كبا : عثر .

(٣٩) الظبا : جمع ظبة وهى شفر السيف وحدّه ، والجد المشار إليه هو : محمد على باشا رأس الأسرة العلوية .

(٤٠) الصفح : الغفران ، وهو أيضا عرض السيف وجمعه صفاح . غشيان الوغى : اقتحام الحرب .

كم تَغَنَّى بفضله كلُّ مَغْدًى   وسَرَى ذِكْرُهُ بكلِّ مَرَاح[٤١]

عاشَ فاروقُ والمليكةُ ذُخْرًا   وَمنارًا للبرِّ والإِصْلاح[٤٢]

ولْتعِشْ قُرَّةُ البَصائِرِ فِرْياَ   لُ حياةُ النُّفوسِ والأَرْوَاح[٤٣]

---

(٤١) مغدى ومراح : اسما مكانى الغدو والرواح بمعنى الذهاب والمجيء أو اسما زمانيهما ، والمعنى مستقيم على كلا الاعتبارين .

(٤٢) الذخر : ما يدخر للمستقبل ، والمنار : ما ينصب لهداية السفن .

(٤٣) القرّة : البرد ، البصائر : جمع بصيرة والمراد بها القلب .

رثاء عاطف

أنشدت فى حفل تأبين عاطف بركات باشا وكيل وزارة المعارف سنة ١٩٢٤ م.

الْعَيْنُ عَبْرَى ، والنُّفُوسُ صَوادِى ... ماتَ الْحِجَا ، وقَضَى جَلاَلُ النَّادِى [١]

أرْجَاءَ ذَا الوادِى الخَصِيبِ جنابُهُ ... ماذَا أَصَابَكَ يَا رَجَاءَ الوَادِى؟ [٢]

سَـهْـمٌ رَمَـاكَ بـهِ الحِمَامُ مُسَـدَّدٌ ... أوْدَى بـأَىِّ رَوِيَّـةٍ وسَـدَادِ! [٣]

وقَضَى على الآمَالِ فى أفْنَانِها ... فَذَوَتْ ولم تُمْهَلْ لِوَقْتِ حَصَادِ [٤]

وأصَابَ من قَبَس الزَّكَانَةِ شُعْلَةً ... وَهَّاجَةً ، فَغَدَت فَتيتَ رَمَادِ [٥]

وطَوَى حُسَامًا مِنْكَ فى جَفْنِ الثَّرَى ... قَدْ كَانَ يَسْتَعْصِى عَلَى الأَغْمَادِ [٦]

صُحُفُ الحَيَاةِ ، وأنْتَ أَصْدَقُ قارئ ... لسُطُورِها ، تُطوَى إلى مِيعَادِ [٧]

والوَرْدُ يَـزْهُـو نـاضِرًا فَوْقَ الرُّبَا ... ويَعُودُ حِينًا وهو شَوْكُ قَتَادِ [٨]

والمَاءُ يَجْتَـلِبُ النُّفُوسَ نَمِيرُه ... وَلَقَدْ يَكُون الماءُ غُصَّةَ صَادِى [٩]

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا؟ أمَا مِنْ نِعْمَةٍ ... فيها لغَيْرِ تَشَتُّتٍ ونَفَادِ! [١٠]

---

(١) عبرى : يجرى دمعها حزنا . صوادى : ظمأى من حرقة الحزن ولهيبه .

(٢) الجناب : الناحية .

(٥) القبس : الشعلة تقتبس من معظم النار . الزكانة : الفراسة والبصر بالأمور .

(٨) الربا : ما ارتفع من الأرض . القتاد : شجر صلب له شوك كالابر .

(٩) نميره : الصفى العذب منه . الغصة : ما يعترض فى الحلق فيتأذى به الإنسان . الصادى : العطشان .

قَدْ حَيَّرَتْ شَيْخَ المَعَرَّةِ حِقْبَةً فِى نَوْحِ بَاكٍ أَوْ تَرَنُّمِ شَادِى[11]
تَعَبُ الحَيَاةِ يَجِئُ من لَذَّاتِها ولَذِيذُهَا يُجْنَى مِنَ الإِجْهادِ[12]
يَطْوِى بِسَاطَ الْعُرْسِ فيها مأتمٌ فى إثره عِيدٌ من الأعيَادِ[13]
قَدْ كَانَ فِى رُزْءِ الحُسَيْن بكَرْبَلاَ عيدُ اليزيد وعيدُ آل زِياد[14]

* * *

أَيَمُوتُ عاطفُ ، والكِنانَةُ تَرْتَجِى وَثَبَاتِه ، واليَوْمُ يَوْمُ جِلَادِ ؟[15]
أَيَمُوتُ فى المَيْدَانِ . لم يُغْمَدْ له سَيْفٌ ، ولم يُخْلَعْ نِياط نِجادِ ؟[16]
أَيَمُوتُ ، والنَّصْرُ المُبِينُ مُلَوِّحٌ بِلِوَائِه لِطَلَائِعِ الأجنَادِ ؟[17]
ويَغِيضُ ماءٌ كانَ أيْسَرُ قَطْرِةٍ مِنهُ حَيَاةَ خَلَائِقٍ وبِلادِ ؟[18]
عُمْرٌ إذَا قَلَّتْ سِنُوه ، فإنَّما آثارُهُنَّ كَثِيرَةُ التَّعْدَادِ[19]
كالعِطْرِ تَجْمَعُ قَطْرةٌ من مائهِ زَهْرًا ، يَنُوءُ بغُصْنِهِ المَيَّادِ[20]
كَمْ مِنْ فَتىٍّ فى التُّرابِ ، وخَلْفَهُ ذِكْرٌ يُزَاحِمُ مَنكِبَ الآبَادِ ![21]
ومُعَمَّرٍ عَبَرَ الوُجودَ ، فَمَا رَنَا طَرْفٌ إليهِ ولا بَكَى لبِعَادِ[22]
عُمْرُ الرِّجالِ يُقَاسُ بالمَجْدِ الذى شادُوه ، لا بِتَقَادُمِ المِيلادِ[23]

* * *

عَزِّ (المعارِف) مُطْرِقًا فى عَاطِفٍ زَيْنِ الفِنَاءِ وسَيِّدِ الأنْدَادِ[24]
لِلعِلْمِ والأَخْلَاقِ كانَ مُعَاضِدًا فطَوَى الْحَيَاةَ وفَتَّ فى الأَعْضَادِ[25]

(١١) شيخ المعرة : أبو العلاء المعرى الشاعر المعروف بزهده . الحقبة : المدة . ويشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى قصيدة أبى العلاء التى مطلعها .

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شادى

(١٤) الرزء : المصيبة . كربلاء : حيث قتل الحسين عليه السلام . اليزيد : هو ابن معاوية . زياد : هو ابن أبى سفيان . ويريد بآله الشيعة الأموية التى خرجت على على بن أبى طالب .

(١٦) النجاد : حمالة السيف . نياط الشىء : ما يعلق به ويشد . الواحد نوط .

(٢٠) ينوء : يعيا ويكل . المياد : المتثنى لينا .

(٢١) الآباد : جمع أبد (بالتحريك) وهو الدهر .

(٢٥) معاضدا : ناصرا ومؤازرا . فت فى الأعضاد : أوهن وأضعف مشيرا إلى مرض السرطان الذى مات به الفقيد .

مازَال يَكْدَحُ ، والْخُطُوبُ بِمَرْصَدٍ والدَّاءُ يَطْغَى ، والزَّمانُ يُعَادِى(٢٦)
لَمْ تـثْنِـهِ الآلامُ عن غَـاياتِه أو تَـلْوِه الأسْقَامُ دُونَ مُرَادِ(٢٧)
فـالـلَّيْلُ مَوْصُولٌ بيَوْمٍ حافلٍ والـيومُ مَعقُودٌ بليْل سُهَادِ(٢٨)
وكـأنَّمـا نُصْحُ الطبيبِ بسَمْعِه هَـذَرُ الوُشَاةِ ، وزَفرَةُ الْحُسَّادِ(٢٩)
وَهَبَ الحيـاةَ كـريمةً لـبِلادِه ومَضَى إلى الأخْرَى صَريعَ جِهاد(٣٠)
وإذَا بـذَلْتَ لـمِصرَ كلَّ عَزيزةٍ إلاَّ الحيَاةَ ، فأنتَ غيرُ جَوَاد(٣١)

* * *

حَمَلُوا على الأعْوَادِ خيرَ وديعةٍ (أَعلمتَ مَنْ حَمَلوا على الأعْوَادِ؟)(٣٢)
فى رَكْبِـه زُمَرُ السَّمَوَاتِ العُلاَ تَـحْدُو مَطِيَّتَهُ لِخَيْرِ مَعَاد(٣٣)
والصبـرُ نـاءٍ ، والرُّءوسُ خواشِعٌ والدَّمعُ جارٍ ، والقُلوبُ صَوَادِى(٣٤)
حَمَلوا على النَّعْشِ الكَرِيمِ ، سُلاَلَةَ الْ حَسَبِ الكَرِيمِ ، وصَفوةَ الأمْجاد(٣٥)
وتَحمَّلوهُ لِيَدْفِنوا تَحْتَ الثَّرَى شَمَمَ الأُبَاةِ ، وصَوْلَةَ الآسَاد(٣٦)
حَفَّ الشبـابُ بـه ، وفى عَبَرَاتِهم كَـمَـدُ الجنودِ لمصْرَعِ القُوَّادِ(٣٧)

* * *

يـا رَامِىَ الأمـلِ البَعِيـدِ بِهمَّةٍ شـمَّـاءَ تُـدْرِكُ غايةَ الأبْعاد(٣٨)
وعَـقِـيـدةٍ لـو صُوِّرَتْ بـمُمَاثـلٍ كـانت تكونُ رَصانَةَ الأطْوَاد(٣٩)
لم يَـزْهُهـا ضافِى المديحِ ، ولم تكن فى الحقِ ترهبُ صولةَ النُـقَّاد(٤٠)

---

(٣٢) الأعواد : النعش . والشطر الثانى مطلع قصيدة للشريف الرضى .
(٣٣) الزمر : الجماعات . ويريد «بزمر السموات» الملائكة . تحدو : تسوق وتدفع . ويريد «بالمطية» نعشه .
(٣٤) صوادى : جافة من حرقة الحزن ولهيبه .
(٣٦) تحملوه : حملوه . والشمم : العزة والامتناع . والأباة : جمع أبى وهو الذى يأبى الضيم والذلة . وصولة الآساد : بطشها وقوتها .
(٣٩) الرصانة : الرسوخ . الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل العظيم .
(٤٠) لم يزهها : لم يبطرها . الصولة : السطوة .

وعزيمةٍ لا الزجرُ نهنه همَّها ... يومًا ولا فُلَّتْ ، من الإيعاد[41]
كادت تدور مع الكواكب دورها ... بالنحس آونةً وبالإسعاد[42]
كانتْ أحزَّ من المُدَى ، وأحدَّ مِنْ ... غَرْب الظُّبَى يُسلَلْنَ يومَ طِرَاد[43]
وَثِقتْ بخالقها القدير فشمَّرتْ ... محمودةَ الإصدار والإيراد[44]
«سيشيلُ» منه رأتْ هَصورًا يزدرى ... ألمَ الإسارِ . وقسْوةَ الأصفاد[45]
لَهفِى عليهِ ، والديارُ بَعيدةٌ ... وخيالُ مِصْرَ مُرَاوِحٌ ومُغادِى[46]
مُتَوَثِّبًا نحوَ المُحِيط كأنه ... صَقْرُ الفلاةِ بِكِفَّةِ الصَّيَّاد[47]
ما دكَّه عَصْفُ الخُطوبِ ولاوَنَى ... لزَعازعِ الإبْراقِ والإرْعاد[48]
لا تَعْجَبوا ، مَنْ كان سعدٌ خالَهُ ... ألقَتْ له الأخلاقُ كلَّ قِيَاد[49]
سَعْدُ الذى غَرَسَ المُهَيْمِنُ حُبَّه ... فى كلِّ جارحةٍ وكلِّ فُؤاد[50]

* * *

مُحْيِى القَضَاء رَمَاه فى رَيْعَانِهِ ... سَهْمُ القضاء . فما له من فادى ![51]
وثبتْ عَليه من المَنُونِ غوائِلٌ ... وعَدَت عليه من الزَّمان عَوادِى[52]
شَيَّدتَ دارًا للقضاء فأصْبَحَتْ ... للدِّينِ والأخلاقِ خيرَ عِماد[53]
لو لم تُجِىءْ يومَ الحِسابِ بَغيرِها ... لَسَمَوْتَ فوق مَنازِلِ العُبَّادِ[54]
وبَثَثتَ رُوحَكَ فى الشُّيوخِ ، فكلُّهم ... داعٍ إلى نُورِ النُّبوَّةِ هادِى[55]
وَبَنَيْتَ بالأخلاقِ منهم دولةً ... بَلَغتْ بِحَوْلِكَ أبْعَدَ الآمادِ[56]

(٤١) نهنه : خفف ولطف . فلت : تكسرت . الإيعاد : التهديد .
(٤٣) أحز من المدى : أحد وأقوى قطعا . غرب الظبى : حد السيوف . يسللن : ينتزعن من أغمادهن . يوم الطراد : الحرب .
(٤٤) شمرت : جرت متجهة إلى ما تريد . الإصدار والإيراد : الفعل والترك .
(٤٥) سيشل : إحدى الجزر التابعة لانجلترا حينئذ وتقع إلى الشرق من إفريقية . وإليها نفى الفقيد مع المغفور له سعد زغلول باشا وغيرهما . الهصور : الأسد . يزدرى : لا يعبأ . الإسار : الأسر . الأصفاد : القيود .
(٤٧) كفة الصياد : حبالته .
(٥١) محيى القضاء يشيد بأياديه على مدرسة القضاء الشرعى التى أنجبت قضاة أخذوا بيد القضاء ونهضوا به .
(٥٤) سموت : علوت وارتفعت .
(٥٦) الآماد : الغايات . الواحد : أمد .

الدِينُ سَمْحٌ ، إنْ سَلَكْتَ سَبِيلَه ... لِلْخَيْرِ ، لا للشَّرِّ والإفْسَادِ(٥٧)
فلَكَمْ رَأينا فى المَعابد أَشْعَبًا ... للخَتْل يَلْبَسُ بُرْدَةَ الزُّهّاد(٥٨)

* * *

فَزِعت لك الأقْلامُ فوقَ طُروسِها ... ومن المِدَادِ لَبِسْنَ ثوبَ حِداد(٥٩)
وتكادُ تَلْتَهِبُ المَنَابِرُ حَسْرَةً ... لمَّا رَحَلْتَ ، على خَطِيب إياد(٦٠)
والشِّعْرُ أضحتْ هاطلاتٌ دُموعِهِ ... بَحْرًا ، فناح عليكَ فى الإنْشاد(٦١)
مَنْ لى ، وظِلُّ الموتِ داجٍ بَيْننا ... بضِياءِ ذاكَ الكَوْكبِ الوقّاد ! (٦٢)
مَنْ لى بِذاكَ الوجهِ ، بَيْنَ غُضُونِهِ ... أسْطارُ أسْرارِ الحَياةِ بوادِى ! (٦٣)
يا طالبًا نُورَ اليَقِينِ حَيَاتَهُ ... جاءَ اليقينُ ، فسِرْ بأوْفَرِ زَاد(٦٤)
واملأْ جُفونَكَ بالكَرَى فى غِبْطَةٍ ... قد كنتَ أحوجَ ساهدٍ لرُقاد(٦٥)
واخلَعْ ثِيابَ الداءِ عَزَّ دواؤه ... والْبَسْ بعَدْنٍ أنفسَ الأبْراد(٦٦)
واذهبْ كما ذَهب الشباب مُشَيَّعًا ... بدم الجُفونِ وحُرْقة الأكْباد(٦٧)
سَحَّتْ عليكَ مع الجَنُوب رَوائحٌ ... وهَمَتْ عليك مع الشمالِ غوادِى(٦٨)

---

(٥٨) أشعب : طماع يضرب به المثل فى شدة الطمع والنهم . الختل : الخداع والأخذ على غرة .
(٥٩) الطروس : الصحف .
(٦٠) خطيب إياد : هو قس بن ساعدة الأيادى خطيب العرب فى جاهليتها .
(٦٢) داج : مظلم يحجب ما بينى وبينك .
(٦٦) عدن : الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين . أنفس الأبراد : لباس التقوى .
(٦٨) سحت : أمطرت فى غزارة . الجنوب : الريح تهب من الجنوب . الروائح : السحب الرائحة . همت : أمطرت . الغوادى : السحب الغادية .

عيدُ دَارِ الإذاعَة

أذيعت هذه القصيدة فى ٣١ من مايو سنة ١٩٣٨ م حينما احتفلت دار الإذاعة بانتهاء العام الرابع من إنشائها .

فَتَاةَ الْقَرِيضِ ، اهْبِطِى مِنْ عَلٍ   مَدَدْتُ يَدَىَّ ، فَلاَ تَبْخَلِى[1]

كَبَا بِفَتَى الشعْرِ طُولُ الصعُودِ   فَإنْ كُنْتِ رَاحِمَةً فَانْزِلِى[2]

يَحِنُّ إلَيْكِ حَنِينَ الْمَشِيبِ   إلَى ضحكَاتِ الصِبَا الْمُخْضِلِ[3]

سَلاَ بِكِ لَيْلَى وَأَتْرَابَهَا   وَنَامَ عَنِ الْعَذْلِ وَالْعُذَّلِ[4]

شَغَلْتِ فَتَاكِ بِسِحْرِ الْبَيَانِ   ولَوْلاَ عُيُونُكِ لَمْ يُشْغَلِ[5]

يَرَاكِ مِنَ اللَّيْلِ فِى بَدْرِهِ   وَفِى شَعْرِهِ الْفَاحِمِ الْمُسْبَلِ[6]

وَفِى كُلِّ آهٍ رَمَاهَا الْهَوَى   عَلَى شَطِّ مَدْمَعِهِ الْمُرْسَلِ[7]

وَيَلْقَاكِ فِى كُلِّ وَجْهٍ صَبِيحٍ   بِغَيْرِ الْمَلاَحَةِ لم يُصْقَلِ[8]

وَمِنْ فِيكِ يَسْمَعُ نَجْوَى الْغُصُونِ   وَيُصْغِى إلَى هَمْسَةِ الْجَدْوَلِ[9]

تَعِيشِينَ فى زَاخِرٍ مِنْ ضِيَاءٍ   يُصَفِّقُ بِالأَمَلِ الْمُقْبِلِ[10]

تَحُومُ الْمَلاَئِكُ مِنْ فَوْقِهِ   كما حَامَ طَيْرٌ عَلَى مَنْهَلِ[11]

رَوِينَا بِهِ فَنَسِينَا الْحَيَاةَ   وَمَا دِيفَ فِيها مِنَ الْحَنْظَلِ[12]

---

(٢) كبا : انكب على وجهه وسقط .

(٣) المخضل : الندى الناعم . أخضل : ندى .

(٥) المراد بالعيون هنا : خيار الشعر وما كان منه معجبًا ساحرًا ، فى هذه الكلمة تورية .

(٦) الفاحم : الأسود . أسبل الأزرار والستر ونحوهما : أرخاه .

(١٢) الحنظل : نبت مر.

وَذُقْنَا سُلَافاً أَبَتْ أَنْ تَرِفَّ ... بِكَفِّ النُّواسِيِّ والأَخْطَلِ(١٣)
إذَا قُتِلَتْ أَحْيَتِ الشَّارِبينَ ... فَكَيْفَ إذَا هِيَ لَمْ تُقْتَلِ(١٤)
كَأَنَّ الحَبَابَ عَلَى وَجْهِهَا ... وُعُودٌ حَصَلْنَ وَلَمْ تَحْصُلِ(١٥)
عِدِينِي عِدِينِي فَتَاةَ القَرِيضِ ... وَإِيَّاكِ إِيَّاكِ أَنْ تَمْطُلِي(١٦)
تَعَالَيْ نُقَبِّلُ وَجْهَ الرَّبِيعِ ... بَشِيرِ المُنَى وَمُنَى المُجْتَلِي(١٧)
وَنَجْمَعُ مِنْ زَهْرِهِ مَا نَشَاءُ ... وَنَرْفُلُ فِي ثَوْبِهِ المُخْمَلِ(١٨)
تَعَالَيْ نَطِيرُ بِرِيشِ الأَثِيرِ ... وَنَعْلُو بِهِ حَيْثُمَا يَعْتَلِي(١٩)
نَمُرُّ كَمَا مَرَّ طَيْفُ الخَيَالِ ... أَلَمَّ لِمَامًا وَلَمْ يَحْلُلِ(٢٠)
فَبَيْنَا نُحَدِّثُ أَهْلَ الحِجَازِ ... إذَا صَوْتُكِ العَذْبُ فِي المَوْصِلِ(٢١)
نُحَيِّي بَنِي العَرَبِ الأَوْفِيَاءِ ... وَنُسْمِعُهُمْ غَرَدَ البُلْبُلِ(٢٢)
أُولَئِكَ قَوْمِي بُنَاةُ الفَخَارِ ... وَزَيْنُ المَحَافِلِ وَالجَحْفَلِ(٢٣)
وَلَوْلاَ الإِذَاعَةُ عَاشَ الكِرَامُ ... حُمَاةُ العُرُوبَةِ فِي مَعْزِلِ(٢٤)

* * *

أَدَارَ الإِذَاعَةِ مِنْ مُخْلِصٍ ... عَنِ الوُدِّ وَالعَهْدِ لَمْ يَنْكُلِ(٢٥)
هَنَاءٌ بِأَعْوَامِكِ المُشْرِقَاتِ ... وَأَيَّامِ نَهْضَتِكِ الحُفَّلِ(٢٦)
وُلِدْتِ وَلِلْعِلْمِ أَسْرَارُهُ ... وَقَدْ كُنْتِ مِنْ سِرِّهِ المُغْفَلِ(٢٧)

---

(١٣) السلاف : الخمر. ترفّ : تبرق وتتلألأ . النواسى : هو أبو نواس الحسن بن هانئ شاعر فارسى الأصل ، ولد بقرية من قرى خورستان شرقى البصرة سنة ١٤٥ هـ ومات ببغداد سنة ١٩٩ هـ ومدح الرشيد وابنه محمد الأمين من خلفاء الدولة العباسية . وهو أشهر الشعراء المحدثين بعد بشّار ، وأكثرهم تفنّنًا ، وقد امتاز بقصائده الخمريات ومقطعاته المجونيات . الأخطل : هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبى من الشعراء المتقدمين فى الدولة الأموية ، وقد اشتهر بالتعمق فى وصف الخمر وانفرد بذلك دون شعراء عصره . مات سنة ٩٥ هـ .

(١٤) قتلت : مزجت بالماء .

(١٥) الحباب بفتح الحاء : النفاخات التى تعلو الماء ونحوه .

(١٧) المجتلى : اسم فاعل من اجتليت الشىء بمعنى نظرت إليه .

(٢١) الموصل : من بلاد العراق فى شمالها على نهر دجلة .

(٢٣) الجحفل : الجيش الكثير.

بَذَلْتِ الثَّقَافَةَ لِلظَّامِئِينَ وَلَوْلاَ يَمِينُكِ لم تُبْذَلِ [٢٨]
وَنَبَّهْتِ وَسْنَانَ جَفْنِ الصبَاحِ بِآيٍ مِنَ الْكَلِمِ الْمُنْزَلِ [٢٩]
وَغَنَّيْتِ حَتَّى تَعَزَّى الْحَزِينُ وَقَرَّ الشَّجِيُّ وَهَامَ الْخَلِي [٣٠]
تَرَانِيمُ ما سَمِعَتْهَا الْفُنُونُ بِأَوْتَارِ إِسْحَاقَ أَوْ زُلْزُلِ [٣١]
وَكَمْ قَدْ هَزَلْتِ لِتَشْفِي النُّفُوسَ فَكَانَ مِنَ الْجِدِّ أَنْ تَهْزِلِي [٣٢]

* * *

مَضَتْ مِصْر تَصْعَدُ نَحْوَ السماءِ وَتَسْمُو عَلَى مَسْبَحِ الأَجْدَلِ [٣٣]
وَأَضْحَتْ مِنَ الْعِلْمِ فِي رَوْضَةٍ وَمِنْ عِزَّةِ الْمُلْكِ فِي مَعْقِلِ [٣٤]
تَتِيهُ بِتَارِيخِ أَمْجَادِهَا وَتُزْهَى بِفَارُوقِهَا الأَوَّلِ [٣٥]

---

(٢٩) الوسنان : صفة من الوسن وهو النعاس .

(٣١) إسحاق بن ابراهيم الموصلى كان مغنيا ذائع الصيت فى عهد هارون الرشيد وابنه عبد الله المأمون . وهو فارسى الأصل ، وقد ورث الوَلوع بالغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين ، وتعلم الضرب بالعود من « زلزل » وكان إلى جانب شهرته بالغناء فقيها عالما صادقا عفيفا . زلزل : مغن بغدادى مشهور ، كان يضرب المثل بضربه العود (وهو أول من أحدث العيدان) . واسمه منصور وأصله من سواد أهل الكوفة ، وقد تعلم الغناء من إبراهيم الموصلى .

(٣٣) الأجدل : الصقر وهو أقوى جوارح الطير وأرفعها طيرانا .

تكريم

ألقيت هذه القصيدة فى حفل لتكريم الدكتور على توفيق شوشة وكيل وزارة الصحة بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية عام ١٩٤٥ م .

نَغَمُ الشِّعرِ فى رُبا جَنَّاتِهْ ... أسكتَ ابنَ الغُصونِ فى دَوْحاتِهْ[١]

مالَ سَمْعُ الدنيا إليه وأصغتْ ... هاتفاتُ المُنَى إلى هاتفاتِه[٢]

وَتَرٌ صاغَه الإلهُ وألقى ... نَغَماتِ الفِرْدَوْسِ فى نَغَماتِه[٣]

ورنينٌ من السماء تمنَّى ... كلُّ طيْرٍ لو أنَّهُ من لَهاتِه[٤]

صُنْتُه أنْ يهونَ ، والفنُّ يسمو ... حينَ تسمو به نفوسُ حُماته[٥]

وتقلدتُه حساماً لمصرٍ ... تتوقى الخطوبُ وَقْعَ شَباتِه[٦]

وهززتُ الشبابَ للسبقِ فانثا ... لوا سِراعاً على هُدَى مِشْكَاتِهْ[٧]

ما مدحتُ الكريمَ إلاَّ لأدعو ... بمديحى إلى كريمِ صِفاتِه[٨]

أنا بالمجدِ مُولَعٌ وبأهليـ ... ـه ، وبالباقياتِ من ذِكْرَياتِه[٩]

أعشَقُ النُّبْلَ فى جلالةِ معنا ... ه وأهوَى الإقدامَ فى عَزَماتِه[١٠]

---

(١) ربا : جمع ربوة . ابن الغصون : الطائر المغرّد . دوحاته : أشجاره الكبيرة .

(٢) هاتفات المنى : صائحات بالأمانى .

(٣) صاغه : صنعه . الفردوس : حديقة فى الجنة .

(٤) لهاته : اللهاة زائدة لحمية فى مؤخرة سقف الحلق والمقصود حنجرته .

(٥) حماته : المدافعون عنه .

(٦) تقلدته : حملته . حساما : سيفا . وقع شباته : ضرب طرفه الحاد .

(٧) هززت : أثرت وحركت . انثالوا : جاءوا من كل وجه . مشكاته : مصباحه .

قد رأيتُ العَلاءَ فى اسم «علىٍّ» ورأيتُ «التوفيقَ» خيرَ سِماته[11]
فشدا باسمِه قَريضى كما يَشْـ ـدو طليقُ الْجَناحِ فى رَوْضاته[12]
وإذا كَرَّم الرجالُ ابن توفيـ ـقٍ فقد كرّموا النبوغَ لذاته[13]

* * *

بَسَماتُ الربيعِ فى بَسَماتِه وسنا الصبح من سنا قَسَماته[14]
كوكبىٌّ الذكاء لو صَدَعَ الليـ ـلَ لجلّى بنوره ظُلُماتِه[15]
باحثٌ لا يَصيدُ فى مَهْمَهِ العـ ـلمِ سوى الشارداتِ من آبداته[16]
رأيُه مِجْهَرٌ فما غاب أمرٌ كيفما دقَّ عن مدَى نَظَراته[17]
لَمَحاتٌ كأنّها خاطفُ البـ ـرقِ ، وأين البُروقُ من لمحاته ؟[18]
إن رمَى الشكَّ رأيُهُ فَرَّ حيْرا ن ، يجرُّ الذيولَ من شُبُهاته[19]
ما رأى عَبْقَرٌ ولا جنٌّ واديـ ـه كهذا الذكاء فى مُعجزاته[20]

* * *

وشبابٌ كأنه ناضِرُ الريحـ ـانِ فى حُسْنِه وفى نَفَحاته[21]
صانَه النُبْلُ أن يُمَسَّ له ذَيْـ ـلٌ ، وأدَّى الايمانُ فرض ذكاته[22]
غرسَ اللهُ نبتَه فنما نَضْـ ـراً ، وآتَى الشَّهِىَّ من ثمراتِه[23]

---

(١١) العلاء : الشرف والمجد . سماته : صفاته .
(١٢) طليق الجناح : الطيور الحرّة المغرّدة .
(١٤) سنا : نور . قسماته : ملامحه .
(١٥) كوكبي : نوره كالنجم . صدع : شق . جلّى : كشف .
(١٦) مهمه : الفلاة يقصد اتساع العلم . الشاردات : يقصد أموره الشاردة الغريبة . آبداته : عويصات .
(١٧) مجهر : المنظار المكبّر . مدى : غاية ونهاية .
(١٨) لمحات : نظرات . خاطف البرق : البرق السريع .
(١٩) شبهاته : الشكوك والظنون ـ الألتباس .
(٢٠) جن واديه : الجن من المخلوقات التى لا ترى وقد زعم العرب أن لها وادى هو وادى عبقر .
(٢٢) ذكاته : طهارته .
(٢٣) نبته : غرسه . آتى : أثمر . الشهى : ما يشتهى لحلاوته .

يمتطى العبقرىُّ ناجيةَ العز ... مِ حثيثَ الخُطا إلى غاياته[٢٤]

لا يَرَى الطرْفُ منه إلاّ غُباراً ... عَجَزَ الطرْفُ أنْ يَرَى قَصَباته[٢٥]

يتمنَّى الشُيوخُ لو بذلوا العُمْـ ... ـرَ لِقاءَ القليلِ من ساعاته[٢٦]

عُمُرُ المرءِ بالجليلِ من الأعـ ... ـمالِ لا بالكثيرِ من سنواته[٢٧]

بُؤرَةُ الضوءِ كم بها من شُعاعٍ ... ملأَ الأُفقَ فى جميعِ جهاته ![٢٨]

ورحيقُ الأزهارِ كم ضمَّ من رَوْ ... ضٍ شَذِىِّ الشَّميمِ فى قطَراته ![٢٩]

* * *

جَمَعَ الفضلَ حين فرَّقه النا ... سُ ، وآواه بعدَ طولِ شَتاته[٣٠]

دائراتُ المعارفِ اجتمعت فيـ ... ـه ففتِّش عنهن فى صَفحَاتِه[٣١]

كم لُغاتٍ جرَى بها لفظُه العَذْ ... بُ سليماً كأنَّها من لغاته[٣٢]

هو فى الطبِّ من كِبار نُحاته ... وهو فى النحوِ من كِبارِ أُساته[٣٣]

وهو فى حَلْبَةِ البيانِ أديبٌ ... تسمَعُ السحرَ فى رُقَى نَفثَاته[٣٤]

وهو إن شئتَ حافظٌ لغوىٌّ ... كلماتُ « القاموسِ » من كلماته[٣٥]

نسخةٌ « للسانِ » فى صدرِه الوا ... عى ، سما طبعُها على طَبَعاته[٣٦]

يعرِفُ الأَيْهُقَانَ والثولَ والذعـ ... ـلوقَ والسَّيْسَبَى ونوعَ نباته[٣٧]

أنا أخشَى جِدالَه كلّما صا ... لَ عنيفَ الجدال فى صَوْلاته[٣٨]

---

(٢٤) يمتطى : يركب . ناجية : سريعة . حثيث : سريع . غاياته : مراده وهدفه .

(٢٥) الطرف : العين . قصباته : القصب الذى يوضع فى حلبة السباق .

(٢٩) شذىّ الشميم : ذكى الرائحة .

(٣١) دائرات المعارف : جمع دائرة المعارف وهى الموسوعة العلمية .

(٣٣) نحاته ، علماء اللغة . أساته : أطباؤه .

(٣٤) حلبة : مكان السباق . رقى : تعاويذ .

(٣٥) القاموس : يقصد القاموس المحيط وهو اكبر قواميس اللغة العربية .

(٣٦) نسخة للسان : المراد باللسان كتاب لسان العرب وهو معجم لغوى ضخم . سما : علا .

(٣٧) الأيهقان : عشب يطول ساقه وله وردة حمراء وورقه عريض ويؤكل وهو الجرجير البرىّ . الثول : شجر الحمض . الذعلوق : بقل كالكرات . والسيسبى : السيسبان .

مجمعُ الضادِ يرفعُ الرأسَ في زهوٍ بآرائه وصدق أناته[٣٩]
حَسْبُ دهرٍ جنَى على الناسِ أنْ كا ن «عليٌّ» يُعَدُّ من حَسَناتِه[٤٠]
«معملُ المَصْلِ» وهو فتحٌ مبينٌ بعضُ ما نال مصرَ منَ مَأْثُراته[٤١]
فَتَكَاتُ المكروبِ ألقتْ سلاحاً للسريعِ السديدِ منَ فَتَكَاته[٤٢]
يصرَعُ الموتَ ثابتَ العزمِ مِقْدا ماً جريئًا في عزمِه و ثباته[٤٣]
كم حبا الناسَ من حياةٍ، أمدَّ اللـ ـهُ للمجدِ والعُلا في حياته![٤٤]
نال أسمَى الألقابِ والفضلُ فضلٌ كيفما قد رفعتَ من درجاته![٤٥]

---

(٣٩) مجمع الضاد: هو مجمع اللغة العربية والممدوح كان عضوا به.

(٤٠) حسب دهر: يكفي الزمن.

(٤١) معمل المصل: معمل المصل واللقاح وكان الممدوح يشرف عليه. مأثراته: مآثره وحسناته.

(٤٤) حبا: أعطى ـ أختص.

من أخبر الجمل ! ؟

كتب الشاعر هذه الأبيات فى مناسبة فرار جمل من جزّاره والتجائه إلى قصر عابدين سنة ١٩٤٤ م.

عابدينُ كعبةُ مصرٍ رُكْنُها حَرَمٌ للخائفينَ إذا خَطْبٌ بهم نَزَلا[١]

تهوى إليها وفودُ الأرض ضارعةً ترجو بها الأمنَ ، أو تُحْيِى بها الأملا[٢]

أمْرٌ وعاه بنو الإنسانِ وَحْدَهُمُ فَمَنْ بربِّكَ قلْ لى أخبر الجملا ! ؟[٣]

---

(١) حرم : امان والمقصود من دخله كان آمنا كالبيت الحرام .

(٢) تهوى : تذهب ـ تفد . ضارعة : داعية الى الله .

(٣) وعاه : عرفه .

هجاء ...

عام ١٩٠٦ م.

إنْ نَبا خَدُّكَ المُصَعَّرُ عنّى ... مُذْ نَبا هَجْوِىَ المُبَرِّحُ عَنْكَا (١)

فبجهلٍ قابلتَ ما كان منّى ... وبحلمٍ قابلتُ ما كان منكا (٢)

ولو استطعتُ لابتدعتُ كُفوفًا ... من هِجاءٍ ، تَصُكُّ وجْهَكَ صَكّا (٣)

ولفككْتُ من أساريرِكَ الكِبْـ ... ـرَ بقولٍ من وَخزَةِ الموتِ أنْكَى (٤)

إنّنا مَعْشَرٌ نَرى الذلَّ فى الو ... دِّ لغيرِ اللهِ المهيمنِ شِرْكا (٥)

قد رأينا فى المالِ والذلِّ فَقْراً ... ورأينا فى العِزِّ والفقرِ مُلْكا (٦)

---

(١) نبا : تجافى وبعد . المصعر : مائل كبرا . هجوى : هجاء ــ ضد المدح . المبرّح : الشديد .

(٣) تصك : تضرب .

(٤) وخزة الموت : طعنة مميته . أنكى : أصعب .

(٥) المهيمن : المتصرف فى الأمور . شركا : أى لجعل منه شريكا وهو كفر .

رثاء أنطون الجميّل باشا

ألقيت هذه القصيدة فى الحفل الذى أقامه مجمع اللغة العربية لتأبين الأستاذ أنطون الجميل عضو المجمع عام ١٩٤٨ م .

حَنَّ شِعرى إلى اللّـقـاءِ وأنّـا ... أَيْنَ ألقاكَ ليتَ شعرى؟ وأنّى؟[1]

ضَـرَبتْ بـيـنَنـا المَنونُ بِسُورٍ ... حَـجَـبتهُ العقُولُ عَنْـها وعَنّا[2]

تـتلاقَى بِـه الـدموعُ حَـيـارَى ... وتَـغُوصُ الظنونُ فيـه فَتضنَى[3]

كـم حوَى مِن ورائـه زَهـراتٍ ... وغُصُوناً رَيّا المَعاطفِ لُدنَا[4]

كـم حوى من ورائـه عـبـقريـ ... ـاتٍ، ورأيًا عَضْبَ الشَباةِ وذهْنَا[5]

كم حَوى مِن صحائفٍ لم تُتمَّمْ ... وأنـاشيدَ لم تَعِشْ لتُغنَّى![6]

وأمـانٍ زُغبٍ تـطير إلى القـبـ ... ـر، خِمَاص الحشى، فُرادى ومَثْنى[7]

حَـجَبَ السورُ خلفَه لى رجاءً ... خانَه الدهرُ فى صِباهُ وأخْنَى[8]

أسـكـتَتـهُ قوارعُ الموتِ لَحناً ... ولوتْـهُ زَعازعُ الموتِ غُصنـا[9]

هُو فى البدرِ حينما يطلعُ البد ... رُ، وفى الروضِ حيثما يتثنّى[10]

---

(١) أنّا : أصدر أنينا . أنىّ : أين .

(٣) تضنى : تتعب .

(٤) ريا : مرتوية . المعاطف : الجوانب . لدنا : لينة .

(٥) عضب : كالسيف . الشباة : حاد الطرف .

(٧) زغب : صغار . والزغب هو أول ما يغطى جلد صغار الطيور بعد فقسها .

(٨) أخنى : أتى عليه وأهلكه .

(٩) قوارع : نوازع ودواهى . زعازع : زعزعة الشىء .

مـا بُـكـاءُ الأطـفـالِ أجدى عـليـهِ   لاَ ، ولاَ الصبرُ والتجلُّدُ أغنَى [١١]

فيـه أسْعدتُ كلَّ باكٍ بِـدَمعى   وأعرتُ الثَّكْلى الحزينَةَ جفْنَا [١٢]

كـلَّما مـرّت النـوادبُ صُبـحـاً   ضربَ القَلبُ بالجَناحِ وحنَّا [١٣]

يـا شـبـابـاً فـقـدتُ فـيـه شَبابِي   أدْرِكِ الوالِـهَ الشجِيَّ المُعنَّى ! [١٤]

قـد وأدتُ الـرجـاءَ فى هـذه الـدنـيـا ، فلا أرتجِى ولا أتَمنّى [١٥]

وخـنـقتُ السـنـينَ أو مـا علاها   فـرأيتُ الميلادَ مَوْتـاً ودَفْـنـا [١٦]

مَنْ يُـعـمَّـرْ يجِدْ أخِلاّءَهُ فى الأر   ضِ أوفَى مِمَّن عليها وأحنَى ! [١٧]

يـذهـب الأمسُ بـالـرجـال فيُنسَوْنَ ، وتَمضِى القُرونُ قرنا فقرنا [١٨]

رِيشَـةٌ فى مـهـامـهِ الـبـيـدِ طارَت   أيْنَ طارت ؟ اللهُ أعـلـمُ مِنّا ! [١٩]

وخِضَـمُّ الماضِى يَـعُـجُّ بمن فـيـه ، ويغْشَى قوماً ، ويغمرُ مُدنَا [٢٠]

وظُعونُ المنونِ منذُ سليل الطيـن تَطوى الصحراءَ ظِعنًا فظعنَا [٢١]

سُـفـنٌ تـلـتـقِى على شاطئ الغيْـبِ ، لتَلقى هُنالكَ سُفناً وسفنَا [٢٢]

مـا لـنـا غـيرَ أن نقولَ حيـارى   بلسان الدموع : كـانُـوا وكُنَّا [٢٣]

لا تـقـلْ إنّ صـالحَ الـذكـرِ يبقى   كـل شىء فى الدهرِ يبقى ليفنَى [٢٤]

مـا غـنـائـى بـالـذكـر يبقى جميلاً   حين أمسى تحت الصفائح رَهْنَا ؟ [٢٥]

ما رجـائـى والسيفُ أضحى حُطاماً   أن أرى بعده نِجاداً وجَفنَا ؟ [٢٦]

* * *

---

(١٢) أعرت : أقرضت . الثكلى : التى فقدت ابنها ، جفنا : جفن العين . يقصد عينا دامعة .

(١٣) النوادب : الباكيات على الميت الذاكرات لمحاسنه .

(١٤) الواله : المحب الحيران . الشجىّ : الحزين . المعنىّ : الذى يقاسى .

(١٥) وأدت : دفنت . أرتجى : أرجو وأأمل .

(١٧) أخلاءه : أخوانه . أوفى : أخلص . أحنى : عطوفا .

(١٩) مهامه البيد : الصحراء الممتدة الواسعة .

(٢٠) خضمّ : البحر ذو الأمواج المرتفعة . يغشى : يغطى .

(٢١) ظعون : أسفار . سليل الطين : المخلوق من الطين والمقصود سيدنا آدم عليه السلام .

(٢٥) الصفائح : الألواح . رهنا : مرهونا يقصد موجودا باقيا .

(٢٦) حطاما : متكسرًا ومتحطما . نجادًا : حمائل السيف . جفنا : غمد السيف .

قد فقدنا «أنطونَ» بالأمس والحز — نُ على فقده يُجدِّدُ حُزنا[٢٧]
أخذَتْه فُجاءةُ الموتِ أخذاً — ريعَ مِن هولهِ الصباحُ وجُنّا[٢٨]
ما حنى الرأسَ مرةً لِعظيمٍ — فأبى أن يراهُ لِلسِّنِّ يُحنى[٢٩]
أنجمٌ أشرقتْ فأطفأها المو — تُ، كما تُطفأُ المصابيحُ وهْنَا[٣٠]
ما على الدهرِ لو تريَّثَ حِيناً — أو على الدهرِ مَرّةً لو تأنَّى![٣١]
كُلَّ يومٍ نرثي وننْدبُ حتّى — صار ندبُ الرجال في مصرَ فنّا[٣٢]
ورحا الموتِ لا تني تملأ الأر — ضَ ضجيجاً وتنثر الناس طحْنَا[٣٣]
نَسِيَ الشعرُ في صراع الرزايا — رنّةَ الكأسِ والغزالَ الأغنّا[٣٤]
شغَلتْه مآتمٌ ونعوشٌ — عَنْ هَوى زَينبٍ، وعَن وَعد لُبنى[٣٥]
كم سلَوْنا عَن صاحبٍ بحبيبٍ — فإذا بالحبيبِ يُخلِفُ ظنّا![٣٦]
نتداوى مِن لاعجِ الشوقِ بالشـ — ـوقِ ونطوى أسىً لننشر شَجْنَا[٣٧]

* * *

ماتَ «أنطونُ» وانقَضت دولةُ المجـ — ـدِ، وكانت به تَعِزُّ وتغنَى[٣٨]
وغدا عَبقرٌ وواديه أضغا — ثاً، وعادت رَجاحةُ العقْلِ أفْنا[٣٩]
ورأينا الأقلامَ يَشقُقْن صدراً — بعده حَسرةً ويقرَعْنَ سِنّا[٤٠]
نندبُ الكاتبَ الذى يُرسل القو — لَ قويَّ الأداء مَعْنىً ومَبنَى[٤١]
لا ترى لفتةً به تجبهُ الذو — قَ، ولا لفظةً تُخدِّشُ أُذْنَا[٤٢]

---

(٢٨) ريع : خاف وفزع .
(٣٠) وهنا : ضعفا .
(٣٣) رحا : المطحنة .
(٣٤) الرزايا : المصائب . الأغنّا : الذى يعيش فى الأرض المعشبة المليئة بالشجر.
(٣٦) سلونا : نسينا .
(٣٧) لاعج : شدة . شجنا : حزنا .
(٣٩) عبقر : صاحب وادى الجن الذى ادعى العرب وجوده . أضغاثا : أحلام لا يصلح تأويلها لا ختلاطها .
أفنا : ضعف فى العقل والرأى .
(٤٠) يقرعن سنا : يضربن ضرسا كناية عن الحسرة .

موجِـــــزٌ زاده الوُضوحُ جمالاً والتخلّى عن الفَضالاتِ وزْنا[٤٣]
أين ذاكَ الخُلقَ السميحَ؟ كأن لم يكُ بالأمسِ يملأ الأرضَ حُسنًا[٤٤]
والبشاشاتُ أينَ مِنّى سناها؟ والأفاكيهُ مِنْ هُناك وهُنّا[٤٥]
والسياساتُ؟ والدهاءُ الذى كا نَ سِلاحاً حيناً وحيناً مِجَنّا؟[٤٦]
أينَ ذاكَ الصدرَ الذى يحملُ العـ ـبْءَ . عظيماً ، وليس يحملُ ضِغنَا؟[٤٧]
كم غزتْهُ الخُطوبُ دُهمَ النواصى وهو أصفى من الصباح وأسنَى[٤٨]

* * *

يا أخى ، هَلْ يليقُ أن تدخَل البا بَ أمامى ، وأنت أصغرُ سِنًّا!؟[٤٩]
قِفْ! تأخَّر ، قد كنت تُعلِى مكانى ما جرَى!؟ ما الذى نَبا بك عنَّا؟[٥٠]
كنتَ بالأمس ، كنت بالأمسِ رُوحاً مَرِحاً ضاحِكاً ، وصَوْتاً مُرِنّا[٥١]
كنت مَعنًى من الشباب وإن ـ شاخَ ، وعزْماً لم يعرف الدهرَ وهْنا[٥٢]
تملأُ الأرضَ والزمانَ حياةً هادئَ النفسِ وادِعاً مطمئنا[٥٣]
تبذلُ الخيرَ لم يُكدِّر بمنٍّ وكثيرٌ مِنّا إذا مَنَّ مَنّا[٥٤]

* * *

مجمعُ الضادِ كنتَ للضادِ فيه عَلَماً يُحسِرُ العيونَ ورُكنَا[٥٥]
كنتَ مِصباحَنا المنيرَ إذا غمّـ ـت سبيلٌ ، وطالَ ليلٌ وجنّا[٥٦]

---

(٤٣) الفضالات : النواقص .
(٤٥) البشاشات : طلاقة الوجه وسروره . سناها : ضوؤها . هنا : للتقريب .
(٤٦) مجنا : الدرع الواق .
(٤٧) العبء : الحمل الثقيل . ضغنا : حقدا .
(٤٨) دهم النواصى : سود الرؤوس . أسنى : اكثر ضياء .
(٥٠) نبا : بعد وجافى .
(٥١) مرنا : له رنين مسموع .
(٥٢) شاخ : كبر وهرم . وهنا : ضعفا .
(٥٥) مجمع الضاد : مجموع اللغة العربية والفقيد كان عضوا به . يحسر : تكل العيون من كثرة التطلع اليه .
(٥٦) غمت : اسودت : أظلمت . جنا : أظلم .

كنتَ يومَ الجدالِ بالحُجَّةِ البيضا ... ء تمحو سحائبَ الشكِّ وكنّا (٥٧)

عِفَّةٌ فى اللّسانِ صَيَّرت الأيـ ... ـامَ تشدو بمدحِك اليومَ لُسْنا (٥٨)

تبلُغُ الغايةَ القصيّةَ ما أدْ ... ميتَ جُرحاً ، ولا تعمدتَ طَعنا (٥٩)

كلُّ قِرْنٍ لدى النضال يرى فيـ ... ـكَ لمعنى الوفاء للحق قِرنا (٦٠)

* * *

حَسْرتَنا للفتى إذا قارَب الشوْ ... طَ طوتْهُ المنونُ غَدْراً وغَبْنَا (٦١)

كلّما مدَّ للكمالِ يديهِ ... صَدَّ عنهُ الكمالُ كِبراً وضَنَّا (٦٢)

إنْ قَوِينا عَقْلاً ضَعُفْنا جُسوماً ... ورأينا فى الموتِ بُرءاً وأمْنَا (٦٣)

وشئونُ الحياةِ شتّى ولكنْ ... حُبُّنا للحياةِ أعظَمُ شأنَا (٦٤)

لو يعيشُ الانسانُ عُمْرَ السُلحفا ... ةِ لأغنَى هذا الوجودَ وأقنَى (٦٥)

ما الذى نرتجيه والُعُمْرُ طَيفٌ ... إنْ فَتحْنَا العينين بانَ وبِنّا ؟ (٦٦)

نحنُ فى هذه الحياةِ ثِمارٌ ... كُلُّ شىء إن أدْرَكَ النضْجَ يُجْنَى (٦٧)

* * *

يا أخى ، هل تُجيبُ إن هتف الشـ ... ـوقُ حبيباً صِدْقَ الوفاء وخِدْنًا ؟ (٦٨)

إن اكنْ فيكَ دانِىَ القلْبِ بالأمـ ... ـسِ ، فروحى لروحِك اليوم أدْنَى (٦٩)

---

(٥٧) وكنا : متمكنا .

(٥٩) القصية : البعيدة . ما أدميت : ما أسلت دما .

(٦٠) قرن : ند .

(٦١) غبنا : ظلما .

(٦٢) ضنا : شحًا وبخلاً .

(٦٣) برءا : شفاء . أمنا : أمانا .

(٦٥) أقنى : أعطى .

(٦٦) نرتجيه : نأمله ونريده . طيف : خيال . بان : ظهر .

(٦٧) يجنى : يحصد ويجمع .

(٦٨) خدنا : صديقا .

(٦٩) دانىَ : قريب .

أتـراني إنْ حـان حَـيْني قَـمـيـنـاً   أن أرى فِي ذَرَاك ظِلاًّ وسَكْنَا[٧٠]

نَـمْ قـريـراً ، فإنَّ في ضـجـعـةِ القبـ   ـرِ سَلامـاً لـلـعـامـلين ويُـمْـنَـا[٧١]

وجَـدَّ الســاهــرُ المجدُّ وسـاداً   ورأى الـطـائـرُ المحلِّقُ وَكْـنَـا[٧٢]

إنْ يكنْ في الحياةِ مَعنًى مِن الصفْـ   ـوِ فَما لـلـحياةِ بَعْـدَكَ معْـنَى[٧٣]

---

(٧٠) قمينا : جديرا . ذراك : كنفك . سكنا : اقامة .

(٧١) قريرًا : هادئا ساكنا . في ضجعة : في وضع جنبه على الأرض . يمنا : بركة .

(٧٢) وكنا : عشا .

لبنان

ألقيت هذه القصيدة فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى ببيروت فى صيف عام ١٩٤٤ م.

أَلْقيتُ للغِيد الملاحِ سلاحى ... ورجَعتُ أغسلُ بالدموعِ جراحى [1]
ولمحتُ رَيْحانَ الصِبا فرأيتُه ... ذَبُلَتْ نضارتُه على الأقداح ! [2]
كان الشبابُ طماحَ لاعجَةِ الهَوى ... فاليوم يرفَعُ ساعِدَيه طِماحى [3]
مَنْ لى وقد عَبِثَ المشيبُ بلِمّتى ... بضياء ذاك الفاحِمِ اللَّماح ؟ ! [4]
قد كان للذَّاتِ أسْرعَ ناصحٍ ... فغدا على الشُّبُهات أولَ لاحى [5]
لو أستطيعُ لبعتُ عمرىَ كلَّه ... لمنى الصِبا وأريجه النفّاح ! [6]
أيامَ أوتارى تغرِّدُ وَخَدها ... وتكادُ تَسْكَرُ فى الزُّجاجةِ راحى [7]
أيامَ شِعْرى للفواتنِ رُقْيَةٌ ... تستَلُّ كلَّ تدلُّلٍ وجِماح [8]
« دوجين » لم يجدِ الفتى مصباحَه ... وأبانَ أسرارَ الهَوى مِصْباحى [9]

---

(٢) ريحان الصبا : رائحة الشباب الذكية. نضارته : حسنه ورونقه .

(٣) طماح : مرتفع. لاعجة الهوى : الحب . يرفع ساعديه : كناية على الإستسلام.

(٤) لمتى : الشعر الذى يلى شحمة الأذن.

(٥) لاحى : لائم.

(٦) أريجه : رائحته النفاذه .

(٧) راحى : خمرى .

(٨) الفواتن : جمع فاتنة. رقية : تعويذة . تستل : تخرج . جماح : شرود .

(٩) دوجين : فيلسوف يونانى قديم يحمل مصباحا باحثا عن الحقيقة .

الـفـلـسـفـاتُ ومـا حـوتْ فى نـظـرةٍ ... من لحظِ ساجية العيونِ رَداحِ[10]
تُـغـرى الهوى وتصُـدُّه لَـمـحَاتُـهـا ... فَـيَـحـارُ بين تمنُّـعٍ وسماحِ[11]
والـنـظـرةُ الـبَـهْـمَـاءُ أفتكُ بالفتى ... من كـلِّ واضـحـةِ المرام وَقـاحِ[12]
فـخـذوا الـيـقـيـنَ ونورَه لعقولكم ... ودعـوا شُكـوكَ الحُبِّ للأرواحِ[13]

* * *

سِـرْ يـا قـطـارُ فـفى فـؤادى مِرْجَلٌ ... يُـزْجِـيك بيْنَ مَتالعٍ وبِطاحِ[14]
لـو كـنـتَ شِعْرى كـنت أسبقَ طائرٍ ... يـكـفـيـه لـلـقـطبين خَفْقُ جَناحِ[15]
قالوا : هنا لُبْنانُ ، قلتُ : وهل سوى ... لُـبـنـانَ مـلـعبُ صَبوتى ومِراحى[16]
يـبـدو أشـمَّ على الـبِـطاحِ كـأنّه ... عَـلَـمٌ بـكـفِّ الفارسِ الجَحْجاحِ[17]
نَسَجَتْ لـه سُحُبُ السماءِ مطارفاً ... وحَـبَـتْـه زُهْـرُ نجومِها بوشاحِ[18]
طُرُقٌ كما التوت الظنونُ ، وقِمَّةٌ ... قامت كحقٍّ للشعوب صُراحِ[19]
الـنـبـعُ خـمـرٌ ، والحدائقُ نَشْوَةٌ ... والجوُّ من مِسْكٍ ومن تُـفّـاحِ[20]

* * *

لُبنانُ دوْحُ الشعرِ أنت . تعلّمتْ ... منكَ الهديـلَ سواجعُ الأدواحِ[21]
شِـعْـرٌ لـه فِعْلُ السُّلافِ فلو أتى ... قبلَ الشرائعِ كان غيرَ مُباحِ[22]

---

(١٠) ساجية : ساكنة . رداح : امرأة رابية الجسم .
(١٢) البهماء : التى لا يعرف مقصدها . المرام : المقصد . وقاح : البين الواضح .
(١٤) قطار : القطار الذى سافر به من القاهرة الى بيروت عبر فلسطين وكان الوسيلة المعتادة للسفر حينئذ . مرجل : غلاية . يزجيك : يسوقك ويدفعك . متالع : الروابى . بطاح : جمع بطحاء وهو المسيل المنبسط .
(١٦) صبوتى : صباى .
(١٧) أشم : عالى . البطاح : المسيل الواسع . الجحجاح : المسارع الى الكلام .
(١٨) مطارفا : أردية من حرير . حبته : منحته . بوشاح : شىء يصنع من نسيج عريض ويرصع بالجواهر وقد تشده المرأة بين عاتقها وكشحها .
(٢٠) النبع : ما ينبع منه الماء . مسك : طيب .
(٢١) دوح : حديقة . الهديل : صوت الحمام .

ونضـيـرُ ألـفـاظٍ كـأزهـارِ الـرُّبـا ... يـبـيـمن غيبَّ العارضِ السَّحّاحِ[٢٣]
وخمائـلٌ من أحـرُفٍ قُـدْسـيـةٍ ... أَخْمَلْن صوتَ الطائرِ الصَّدّاحِ[٢٤]
الـفـنُّ من سرِّ السـمـاءِ ونَـفْـحَةٌ ... من فَيْضِ نورِ الواهبِ الفتّاحِ ![٢٥]
والـعـبـقـريـةُ أنْ تُـحـلِّقَ وادعـاً ... فتفوتَ جُهْدَ الناصبِ الكَدّاحِ[٢٦]

* * *

لُبنانُ ، أنتَ من العزائمِ والنُّهى ... مـا أنتَ من صَخْرٍ ولا صُفّاحِ[٢٧]
أبـطـالُكَ الصيـدُ الكُماةُ مَناصِلٌ ... طُـبِـعتْ لـيوم كـريهةٍ وتلاحي[٢٨]
شَحُّوا على مُتَعِ الحياةِ بلحظةٍ ... ومشَوا لورْدِ الموتِ غيرَ شِحاحِ[٢٩]
قهروا الزمانَ ، ولن تضيعَ كرامةٌ ... لـلـحقِّ بين أسِـنـةٍ ورمـاحِ[٣٠]
المجدُ بـابٌ إن تـعـاصَى فـتـحُـه ... فاسألْ كتائبهم عن المفتاحِ[٣١]
دقّوا فما أودَى بـعـزم أكـفِّـهـم ... بـأسُ الحديـدِ وقسوةُ الألواحِ[٣٢]
ومن الحِفاظِ المُرِّ ما يُعْيِى الفتى ... ليست تكاليفُ العُلا بمزاحِ ![٣٣]
كم صابروا عَنَتَ الحياةِ وعُسْرَها ... بخلائقٍ غُـرٍّ الوجوهِ صِبـاحِ[٣٤]
نزحوا عن الأوطانِ فى طَلَبِ العُلا ... والـعـزمُ مِلْءُ حقائبِ النُّزّاحِ[٣٥]

---

(٢٣) غيب : غبّ كل شيء عاقبته . العارض : السحاب المعترض فى الأفق . السحاح : الممطر .
(٢٤) أخملن : جعلته خاملا ضعيف الذكر .
(٢٥) فيض : جود وكرم .
(٢٦) تفوت : تترك . الناصب : المتعب . الكداح : الذى يسعى ويكد فى عمله .
(٢٧) صفاح : حجارة عريض رقاق .
(٢٨) الصيد : رافعى الرأس . الكماة : الشجعان . مناصل : سيوف . طبعت : صنعت ـ جبلت . يوم كريهة : يوم الحرب . تلاحى : نزاع .
(٣١) تعاصى : استعصى .
(٣٢) أودى : أوهن . بأس : شدة وقوة .
(٣٣) الحفاظ : الإباء والأنفة . يعيى : يتعب .
(٣٤) عنت : الأمر الشاق . عسرها : شدتها . غر الوجوه : بيض الوجوه . صباح : عليهم نور كنور الصبح .
(٣٥) نزحوا : تركوا وهاجروا .

وسَرَوْا مع الريحِ الهَبُوبِ فلا ترى   إلاّ رياحاً زُوجِمتْ برياحِ(٣٦)

لم يستكينوا للزمان ووعدِه   فالدهرُ أكذَبُ من نَبِيٍّ سَجاحِ(٣٧)

فى أرض «كُولُمْبٍ» بنَوْا فيما بَنوا   شَمَمَ الأبيِّ وعزمةَ المِلحاحِ(٣٨)

وبكلِّ جوٍّ رايةٌ هفّافةٌ   تهتزُّ كالمتخايلِ المَيّاحِ(٣٩)

لو أبصروا فى الشمسِ موضعَ مَهْجَرٍ   لتسلّقوا لسعيرها اللوّاحِ(٤٠)

والنفسُ إن عظُمتْ يضيقُ بسعيِها   صدرُ الفضاء برَحْبِه الفيّاحِ(٤١)

للناسِ ناحيةٌ تلُمُّ شَتاتَهم   والعبقريُّ له الوجودُ نواحي !(٤٢)

يمشى الجرىءُ على العُبابِ مُخاطِراً   وأرى الجبانَ يموتُ فى الضحْضاحِ(٤٣)

* * *

لُبنانُ ، صُنْتَ الضادَ فى لأوائها   من شرِّ ماحٍ أو هَوى مجتاحِ(٤٤)

فى البَدْوِ لوَّحها الهجيرُ فلم تجدْ   إلاّ ظِلالَكَ نُجعةَ المُلْتاحِ(٤٥)

جمعَتْ رجالُكَ زَهرَها فى طاقةٍ   عَبِقَ الوجودُ بنشْرِها الفَوّاحِ(٤٦)

نظموا لها عِقْدًا يرِفُّ شعاعُه   بلآلِئٍ مِلْء العيونِ صِحاحِ(٤٧)

---

(٣٦) سروا : مشوا . الهبوب : المثيرة للأتربة . والمقصود الشديدة .

(٣٧) سجاح : امرأة ادعت النبوة وادعى النبوة أيضا مسيلمة الكذاب الذى تزوجته .

(٣٨) كولب : هو كريستوفر كولمبس مكتشف القارة الأمريكية والمقصود بأرض كولمب الولايات المتحدة الأمريكية . شمم : علو وأنفة . الأبى : الشريف . عزمة : عزيمة . الملحاح : الملح فى طلب الشىء .

(٣٩) هفافة : مرفرفة . المتخايل : المعجب بنفسه . المياح : المعجب المتمايل .

(٤٠) مهجر : مكان يهاجر إليه . لسعيرها : لنارها . اللواح : الذى يغير لون وجهه .

(٤١) برحبه : بسعته . الفياح : المنتشر .

(٤٢) ناحية : جهة ـ مكان . شتاتهم : تفرقهم .

(٤٣) العباب : الموج المرتفع . الضحضاح : القليل الماء .

(٤٤) الضاد : اللغة العربية . لأوائها : شدتها . ماح : مبيد . مجتاح : يريد إجتياحها وإبادتها .

(٤٥) البدو : البادية . لوحها : غير لون وجهها . الهجير : شدة حرارة الشمس . ظلالك : ظلك . نجعة : طلب الكلأ . الملتاح : المتغير من نصب أو سفر .

(٤٧) يرف : يتحرك . صحاح : صحيحة ـ سليمة .

وحَمَوْا كتابَ الله جلّ جلالُه — من لَغْوِ فَدْمٍ أو هُرَاءِ إباحي[48]
فانظرْ إلى «البُستان» هل تلقَى به — إلاّ وروداً أو ثُغورَ أقاحي؟[49]

* * *

لُبنانُ، والفِردَوسُ أنت لَقيتُه — فطرَحْتُ عند لِقائِه أتراحي[50]
وتركتُ للهْوِ العِنانَ وأطلقَتْ — أيدي الزمانِ العاتياتُ سراحي[51]
وشهدتُ فيكَ الحُورَ تسبح في السَّنا — نفسي فِداءُ ضِيائها السَّباح![52]
طاوعتُ في نجلائِهنّ صَبابتي — وعصَيتُ ما تَهْذي به نُصَّاحي[53]
ما الفتنةُ الشّعْواءُ إلاّ أعينٌ — سُودٌ، تَلألأُ في وجوهٍ مِلاح[54]
دافعتُ بالغَزَلِ الحَنونِ لحاظَها — شتّانَ بيْن سِلاحِها وسلاحي![55]
وبعثتُ آناتي وقلتُ لعلّها — تُغْني إشارتُها عن الإفصاح؟[56]
فتجاهلتْ لغةَ الغرامِ وتابعتْ — خُطُواتِها في عِزّةٍ وشِياحِ[57]
عادتْ إليّ حَبائلي فَلَممتُها — ورضِيتُ من ضَحِكِ الهَوى بنُواحي[58]
لم يُبْقِ مني الوجدُ غيرَ حُشاشةٍ — لولا التعلُّلُ آذنتْ بِرَواحِ[59]
أشكو، وما الطبُّ الحديثُ براحمٍ — شجوي، ولا مُتسمِّعٍ لِصياحي[60]
هل بين مؤتمَرِ الأساةِ مُجرِّبٌ — شافٍ لأدواءِ الصبابةِ ماحي؟[61]

---

(48) لغو: باطل. فدم: أحمق. هراء: عبث ـ استهزاء. أباحي: متصف بالرذيلة.

(49) أقاحي: زهر له ورق أبيض ووسطه أصفر.

(50) طرحت: تركت. أتراحي: أحزاني.

(53) نجلائهن: عيونهن الواسعة. صبابتي: رقة الشوق وحرارته.

(54) الشعواء: المتفرقة. تلألأ: تضيىء.

(55) لحاظها: عيونها. شتان: هيهات ـ بعد ما بينهما.

(57) شياح: حذر.

(58) حبائلي: حيَلي. نواحي: بكائي.

(59) الوجد: الشوق. برواح: بذهاب.

(60) شجوى: حزني.

(61) مؤتمر الأساة: المؤتمر الطبي. أدواء: أمراض. ماحي: مزيل.

والطبُّ لا يصِلُ المَدَى إن لم تصِلْ جَـدْواهُ للأَرواحِ وَالأشــبــاحِ (٦٢)

* * *

مَــرْحَى بمؤتمرٍ تــبَــلــجَ نورُه في الشرقِ . مثلَ تبلُّجِ الإصباحِ (٦٣)
زُمَـرٌ مـن الـبَشَـرِ الملائكِ كـم لهم في الطبِّ من غُرَرٍ ومن أَوْضاحِ (٦٤)
بذلوا النفوسَ ، فكم شهيدِ جراحةٍ منهم ، وكـم منهم شهيدُ كِفاحِ (٦٥)
وتــفــهَّـموا سِرَّ الحيـاةِ ولم يـكـنْ سـرُّ الحيـاةِ لـغيرهـم بـمُـبـاحِ (٦٦)
دهَتِ الـبلادَ بـعـوضــةٌ أجَـمِيّـةٌ جـاءت على قـدَرٍ لمصـرَ مُتـاحِ (٦٧)
دقَّتْ لـغير تـرحُّـلٍ أطـنـابَـهـا وَرَمَتْ مــراسيهـا لـغـيـرِ بَـراحِ (٦٨)
وَعَدَتْ على الماء القراحِ جُيوشُها فـغـدا الـنـميرُ العذْبُ غيرَ قراحِ (٦٩)
السُّمُّ أقوى في شَبا خُرْطومِها من حدِّ كلِّ مُهنَّدٍ سفَّاحِ (٧٠)
كـالجنِّ تهوَى الـليلَ في وَثَباتِها وتَفِرُّ ذُعْراً من بزُوغِ صَباحِ (٧١)

* * *

يــا خِيرةَ الشرقِ الـمُـدِلَّ بـقـومِـه هـذا أوانُ الـبـعـثِ والإصلاحِ (٧٢)
المجدُ فوقــكُــمُ دنتْ أفـنـانُــه فـتــلــقَّـفوا ثمراتِه بـالـرَّاحِ (٧٣)

---

(٦٢) المدى : الهدف . جدواه : فائدته ــ عطاياه . للأرواح : للأنفس . الأشباح : الأشخاص .

(٦٣) تبلّج : أشرق وأضاء .

(٦٤) زمر : جماعات . غرر : سيادة وشرف .

(٦٧) أجمية : نسبة إلى الأجمة وهي الغابة والمقصود بها بعوضة « الجامبيا » التي غزت مصر وفتكت بالكثير من أبناء الصعيد ولم تنج مصر من شرها الا بعد نحو أربع سنوات . متاح : مهيأ .

(٦٨) أطنابها : حبالها الطويلة . مراسيها : ما تثبت به .

(٦٩) عدت : اعتدت . القراح : الصافي الذي لا يشوبه شيء .

(٧٠) شبا : طرفه الحاد . خرطومها : أنفها . مهند : السيف .

(٧١) بزوغ : طلوع . إشارة الى أن البعوض يكثر ليلا وكذلك الى أن حمّاها لا تزور المريض إلا ليلا في الغالب .

(٧٢) المدل : المفتخر ــ المباهي .

(٧٣) أفنانه : أغصانه . الراح : الكف .

وتـرسَّـموا سَنَنَ الرئيسِ وهدْيَه ... شيخِ الأساةِ «علىَّ» الْجراحِ[٧٤]
وَانْـفُوا عن الـطبِّ الرَّطانةَ إنّهـا ... نَمَشٌ يَعيثُ بوجهِه الوضَّاح[٧٥]
كم فى حِمَى الفُصْحَى وبين كُنوزِها ... من مُشْرِقاتٍ بالبيانِ فِصاح ![٧٦]
مـا أنـكرتْ أمـمٌ لسانَ جُدودها ... يوماً وسارتْ فى طريق فلاح[٧٧]

* * *

لُبنانُ . مُذْ حلّتْ ذَراكَ رِكابُنا ... حلّتْ من الدنيا بأكرم ساح[٧٨]
الأرْزُ فيك ونخلُ مصرَ كلاهما ... أخَوانِ فى الأتـراح والأفـراح[٧٩]
وَالنيلُ منكَ ، فلو بَكيْتَ لفادحٍ ... غَمَرَ الشُّطوطَ بدمعِه النضّاح[٨٠]
لُبنـانُ . آن لك الفَخارُ بسادةٍ ... غُرْبٍ كِرامِ المَنْبِتَيْنِ سِمَاح[٨١]
مجدٌ إذا مـا أشرقتْ صَفَحاتُه ... أزرتْ بمؤتلِقِ النهارِ الضاحى[٨٢]

---

(٧٤) ترسموا : تتبعوا . سنن : طريق ـ اسلوب ـ منهاج . الرئيس : رئيس المؤتمر الدكتور على ابراهيم باشا . هديه : إرشاده . الأساة : الأطباء .
(٧٥) انفوا : أطردوا ـ ابعدوا . الرطانة : الكلام بالأعجمية . نمش : نقط بيض وسود . يعيث : يفسد .
(٧٦) حمى : كنف . الفصحى : اللغة العربية . فصاح : بليغة .
(٧٨) حلّت : نزلت . ذراك : كنفك . ساح : المكان الذى يسيح منه الماء والمقصود أرض لبنان .
(٧٩) الأرز : شجر الأرز وهو الشجر المشهور لبنان بزراعته واتخذوه علما لهم .
(٨٠) النضاح : الكثير .
(٨١) سماح : كرام .
(٨٢) أزرت : تمسكت بقوة . مؤتلق : اشراق .

برنـادوت

رجل عمل من أجل السلام فكان من أوائل ضحاياه ممّا حرّك
أحاسيس الشاعر فكانت هذه الأبيات عام ١٩٤٨ م.

خَسِرْنَا لِلكُونْتِ بِرْنَا دُوت لَوْ تَنْفَعُ حَسْرَةْ ! (١)
رَامَ أنْ يَسْتَنْقِذَ الكَوْ نَ وَيَسْتَأْصِلَ شَرَّهْ (٢)
قَتْلُهُ جُبْنٌ وخُذْلا نٌ ولُؤْمٌ وَمَعَرَّةْ (٣)
طَلَبَ الكَفَّ عَنِ الحَرْ بِ ، فَمَنْ نَفَّذَ أمْرَهْ ؟ (٤)
خَرَقَ الهُدْنَةَ أبْنَا ءُ يَهُوذَا ألْفَ مَرَّةْ ! (٥)
وَهُوَ لاَ يُؤْمِنُ حَتَّى سَلَبُوه الرُوحَ جَهْرَةْ (٦)
أتُرَى آمَنَ لَمَّا خَرَقَ الأنْذَالُ صَدْرَهْ ؟ (٧)
رُبَّمَا يَحْفِرُ ذُو الآ مَالِ بِالآمَالِ قَبْرَهْ (٨)

---

(١) برنادوت : هو الكونت فولك برنادوت مسئول هيئة الأمم المتحدة . عمل من أجل السلام بين العرب والإسرائيليين ولكنه قتل فى حادث سقوط طائرته وأشارت أصابع الاتهام حينئذ الى اليهود عندما ظهر تفهمه للحق العربي .

(٢) رام : أراد .

(٥) أبناء يهوذا : اليهود .

(٦) جهرة : علنا .

الملك

نشرت هذه القصيدة فى مناسبة عيد جلوس الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٣٩ م .

اقتبالُ الربيعِ فى بَسَماتِهْ ... نبَّه الكونَ بعدَ طولِ سُباتِهْ[١]

ينثُرُ الزَّهْرَ كالدنانيرِ غضًّا ... أينَ حُرُّ النُّضارِ من زَهَراتهْ ؟[٢]

قد سئِمْنا دُجَى الشتاء فجئنا ... نرشُفُ النورَ من سَنَا لمحاتهْ[٣]

وخلعنا الدِّثارَ مثلَ أسيرٍ ... حُلَّ من قَيْده ومن وخزاتهْ[٤]

قد ظننناه فى الشتاء وِقاءً ... فجمعنا الشتاء فى طَيَّاتهْ[٥]

تبخلُ الكفُّ أن تُشيرَ من البَرْدِ . ويخشَى المقرورُ من لفَتاتهْ[٦]

جَمَدتْ صَوْلةُ اللسانِ وكادتْ ... تجمُدُ الهاتفاتُ من كلماتهْ[٧]

واختفَى الطيرُ واختفَى كلُّ صوتٍ ... مُوْصِليٌّ الأداء فى لَهَواتهْ[٨]

---

(١) سباته : نومه .

(٢) حر النضار : الذهب الخالص .

(٣) دجى : ظلمة . سنا : ضوء . لمحاته : اختلاس النظر إليه .

(٤) الدثار : غطاء ثقيل يقى برد الشتاء . وخزاته : طعناته .

(٥) طياته : ثناياه .

(٦) المقرور : المصاب بشدة البرد .

(٧) صولة : تحرك ونشاط .

(٨) موصلى : نسبة الى اسحق الموصلى المغنى المشهور . لهواته : جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

ورأينا الأشجارَ يسلُبها الحسـ ـنُ سَنا حَلْيِه وسِحْرَ شِياتِهْ[٩]
مال فيها برأسِه كلُّ فرْعٍ باحثاً فى الترابِ عنْ وَرَقاتهْ[١٠]
يهرَمُ الدهرُ فى الشتاءِ ويلْقَى ما مَضَى فى الربيعِ من صَبواتهْ[١١]
هو تَختُ الوجودِ غنَّى به الطيْـ ـرُ فهزَّ الغصونَ فى دَوْحاتهْ[١٢]
سَايَرتْه الأزهارُ تهفو يميناً وشمالاً على هوى نغماتهْ[١٣]
وإذا صفَّقَ الغديرُ انثنى الغُصْـ ـنُ نضيرَ الشبابِ فى رَقَصاتهْ[١٤]

* * *

هاتِ عهدَ الشبابِ إنْ غاصَ فى الما ءِ وإنْ غابَ فى السماءِ فهاتهْ ![١٥]
هَمَساتُ الشبابِ فى النفس أحلى من حديثِ الهوى ومن هَمساتهْ[١٦]
نارُه تطرُدُ الهمومَ فتمضِى خافقاتِ الجَنانِ من جَمَراتهْ[١٧]
نارُه تصهرُ العزيمةَ سيفاً تتوقّى السيوفُ وَقْعَ شَباتهْ[١٨]
ما أحَيْلى وثوبَه وهْو ماضٍ يتحدَّى الزمانَ فى فَتَكاتهْ[١٩]
نَفحاتُ الشبابِ أين تولَّت ؟ لَهْفَ نفسى على شذى نفحاتهْ ![٢٠]
قَدحٌ قد حَلَتْ أوائلُهُ رَشْـ ـفاً ، وذُقْنا المرَّيْنِ فى أُخرَياتهْ[٢١]
ما أرانى من غيرِه غيرَ ثوبٍ ضمَّ أردانَه على عِلاّتهْ[٢٢]
رُبَّ شيخٍ فى عالَمِ الطبِّ حىٌّ ويراه الزمانُ من أمواتهْ[٢٣]

---

(٩) سنا : ضوء . حليه : زينته . شياته : جمع شيته وهو اللون فى الشىء يخالف بقية لونه .
(١١) يهرم : يشيخ . صبواته : أيام الصبى والشباب .
(١٢) دوحاته : الشجر العظيم .
(١٧) خافقات الجنان : مضطربات القلوب . جمراته : ناره وحرارته .
(١٨) شباته : طرفه الحاد .
(١٩) ما أحيلى : ما أحلى .
(٢٠) نفحات : رائحة .
(٢١) حلت : طعمها حلو . المرّين : مثنى مُرّ .
(٢٢) أردانه : اكمامه . علاته : أمراضه .

الشبابُ الشبابُ نورٌ من اللـ ـهِ وريحٌ تهبُّ من جنّاته (٢٤)

* * *

ياشبابَ الحِمَى ويا جُنْده الأحْـ ـرارَ إن فتّشَ الحمى عن كُماته (٢٥)

زاحِموا فى ولمةِ الدهر أرْسَا لاً ، ولا تكتفوا بجَمْع فُتاته (٢٦)

الطُّموحُ الحياةُ ، والمجدُ فى الدّنـ ـيا مُبَاحٌ لِطالبى قَصبَاته (٢٧)

لا ينالُ الفتى مَدى المجدِ إلاّ بمَضاء يُرْبِى على وثَباته (٢٨)

الذراعُ الأزلُّ والساعدُ المفْـ ـتُولُ ذُخْرُ الشبابِ فى أزماته (٢٩)

تسخَر الريحُ بالضعيفِ من النَّبْـ ـتِ وتخشَى القوىَّ من باسقاته (٣٠)

املِكوا الدّهرَ إنّه لا يُوَاتى غيرَ عَزْمٍ يَفُلُّ من عَزَماته (٣١)

علَّمتْنا الأيامُ أنّ الذى يُحْـ ـسنُ يَلْقَى الجزاءَ عَنْ حَسَنَاته (٣٢)

ذهب النومُ ، فالذى يُغْمِضُ العَيْـ ـنَيْنِ ، يا تَعْسَه وَيا وَيلاتِه (٣٣)

أسِرعوا فالزمانُ ماضٍ وكَمْ مِنْ مُبْطِىء قد طَوَاه فى عَجلاته (٣٤)

واطرُقوا البابَ ، كلُّ بابٍ كفيلٌ بوُلوجٍ لمن دَرَى دقّاته (٣٥)

قد يطولُ السرى على المدلج السا رى فيُدنيه من مدَى غاياته (٣٦)

لا تُنالُ العُلا « بلَيْتَ » « ولكنْ» وعُكوفِ الفتى على مِرْآته (٣٧)

---

(٢٥) كماته : شجعانه .

(٢٦) أرسالا : متناضلين . فتاته : ما تكسر منه وبقى .

(٢٧) قصباته : التى يتسابقون لنيلها .

(٢٨) مدى : غاية . بمضاء : نفاذ وعزيمة . يربى : يزيد . وثباته : همته وخطاه .

(٢٩) الأزل : السريع القوى . المفتول : الملفوف القوى . ذخر : معين ـ مدخر .

(٣٠) باسقاته : العالية القوية .

(٣١) يفل : يكسر .

(٣٥) كفيل : ضامن . ولوج : دخول .

(٣٦) السرى : السير . المدلج : السائر فى أول الليل . السارى : الماشى ليلا . مدى : غاية . غاياته : مآربه .

(٣٧) عكوف : وقوف مستمر .

آلةُ الفَوْزِ هِمَّةٌ تطحَنُ الصخـ ... ـرَ وتسمُو للنَّجْمِ فى سَبَحاتِهْ(٣٨)

ابتنوا للعُلا وللنيلِ مَجْداً ... واسكبُوا من حياتكم فى حياتهْ(٣٩)

* * *

لكُمُ فى مليكِكم خيرُ داعٍ ... تستجيبُ المُنى إلى دَعَوَاتهْ(٤٠)

قُدوةٌ للشباب ، قد عرَفَ الجيـ ... ـلُ طريقَ الحياةِ من خُطُواتهْ(٤١)

مرَّةً سامقاً على صَهْوة الْخَيْـ ... ـلِ ، وأخرَى مُطامِناً فى صلاتهْ(٤٢)

لم نَرَ البَدْرَ قبله يعتلى العَرْ ... شَ ويُمْسِى الجلالُ من هَالاَتهْ(٤٣)

أو شهدنا نوراً على الأرض يمشى ... الهدى واليقينُ من مِشْكاتِهْ(٤٤)

أو عهدنا تاجاً على مَفْرِقِ الشمـ ... ـسِ يُشِعُّ الإيمانُ من خَرَزاتهْ(٤٥)

كُنْ كما شئتَ أيها الشِّعْرُ فنَّا ... نًا فلن تستطيع لمحَ صِفاتهْ(٤٦)

هو خَلْقٌ من الكمالِ المصفَّى ... من رآه رأى الكمالَ بذاتهْ(٤٧)

النَّدى والحنانُ فى بسماته ... والعُلا والجلالُ فى قسماتهْ(٤٨)

يامليكاً أعْلَى الحديثَ من المجْـ ... ـدِ ، وأحيا قديمَه من رُفاتهْ(٤٩)

إن عيدَ الجلوسِ أشرقَ فى الكَوْ ... نِ شُروقَ الربيعِ فى رَوضاتهْ(٥٠)

المنى اليانعاتُ من ثَمَراته ... وجَمَالُ الزمانِ فى لحظاتهْ(٥١)

يزدهى النيلُ بالمليكِ المرجَّى ... خيرِ أبطالِهِ وحامى حُماتهْ(٥٢)

إن تكنْ مصرُ قبله هِبةَ النِّيـ ... ـلِ ، فقد صارَ نيلُها من هِباتهْ(٥٣)

---

(٣٨) تسمو : تعلو على . سبحاته : يقصد الكون حيث تسبح النجوم والكواكب .

(٤٢) سامقا : طويلا . صهوة الخيل : ظهورها . مطامنا : ساكنا .

(٤٣) يعتلى العرش : يجلس على العرش . يمسى : يبيت . هالاته : الدوائر المنيرة حول القمر .

(٤٤) مشكاة : مصباح .

(٤٥) مفرق الشمس : وسط الشمس . خرزاته : الذى ينظم عقودا .

(٤٦) لمح صفاته : التلميح بصفاته .

(٤٨) قسماته : شكله وملامحه .

(٥٢) حماته : المدافعون عنه .

فارس الصحافة

تلقى الشاعر نبأ وفاة الأستاذ جبرائيل تقلا صاحب جريدة « الأهرام » وهو فى طريقه إلى الاسكندرية فكتب هذه الأبيات فى القطار وأرسلها إلى الجريدة عام ١٩٤٨ م .

سَدَّ القضاءُ منافِذَ الأسماعِ ... ماذا يقولُ إذا نعاكَ الناعي ؟[١]

بُهِتَ القريضُ فما يُبِينُ ، وأَذْهَلَتْ ... نُوَبُ الخُطوبِ نوادِبَ الأسجاعِ[٢]

وتنكَّرَتْ صُورُ البيانِ وعقَّنى ... عن أنْ أبوحَ كما أشاءُ يراعى[٣]

تمحو سواجِمُهُ المِدادَ ، فخطُّهُ ... أسطارُ ملتهِبِ الحَشا مُلْتاعِ[٤]

والشعرُ إن عقَدَ المُصابُ لسانَهُ ... فسكوتُه ضَرْبٌ من الإبداعِ[٥]

نَعْىُ الكريمِ العَبْقَرِىِّ لأُمَّةٍ ... نَعْىُ الغَمامِ إلى رياضِ القاعِ[٦]

وَيْلَ المنونِ تطاولت أحداثُها ... فَلَوَتْ قناةَ الأَرْوعِ الشَّعْشَاعِ[٧]

وطغَتْ عواصِفُها فغَالَ هُبوبُها ... أَضْواءَ ذالكَ الكوكبِ اللمَّاعِ[٨]

بكتِ الصحافةُ فيه أشجَعَ فارسٍ ... وأعزَّ مَدْعُوٍّ وأكرمَ داعى[٩]

---

(٢) نوادب الأسجاع : من يعددون مناقب الميت .

(٣) تنكرت : جحدت . عقنى : جافانى . يراعى : قلمى .

(٤) سواجمه : دموعه الهاطلة . ملتهب الحشا : متقد البطن بالحرارة . ملتاع : محترق الفؤاد .

(٥) عقد : ربط . ضرب : صنف .

(٦) الغمام : السحاب . رياض القاع : الحدائق المستوية .

(٧) المنون : الموت . لوت : ثنت . قناة : رمح . الأروع : الشجاع . الشعشاع : الطويل .

(٨) غال : أخذ .

(٩) مدعو : من يدعى .

قد كان «جَبْرائيلُ» مُلْهِمَ وَحْيِها   يرعَى جلالةَ قُدْسِها ويُراعى[10]

فإذا جفانى الشعرُ يومَ رِثائِهِ   فلقد رثَتْه مآثرٌ ومَساعى[11]

وإذا فَرَرْتُ من الوداعِ وهَوْلِهِ   فلقد بعثتُ مع الدُّموعِ وَداعى[12]

---

(١١) جفانى : بعد ونأى عنى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى علي إبراهيم باشا

وقد أبلّ الطبيب الجرّاح من مرضٍ ألمّ به عام ١٩٤٤ م.

زَهَتْ دولةُ الطبِّ لمَّا شُفيتَ ... وعاوَدَها الأملُ الناهِضُ[1]

فللطبِّ أنتَ وَتينُ الحياةِ ... وأنت له قلبُهُ النّابضُ[2]

(٢) وتين: الشريان الأعظم الذى يخرج من القلب ويتفرع إلى أعضاء الجسم المختلفة وهو الأورطى.

الوباء

انتشر وباء الهيضة المعوية (الكوليرا) برشيد سنة ١٨٩٥ م وحصد الأرواح ، فراع الشاعر الصغير ما رأى ، وأثار عاطفته الشعرية ، فقال هذه القصيدة :

أىُّ هَذَا (المِكْرُوبُ) مَهْلاً قَلِيلاً قَدْ تَجَاوَزْتَ فى سُرَاكَ السبِيلاَ !(١)

لَسْتَ كَالْواوِ . أنتَ كَالْمِنْجَلِ الْحَصَّـــادِ . إنْ أَحْسَنُوا لَكَ التمْثِيلاَ(٢)

مـا غَلَبْتَ النفُوسَ بِالْعَزْمِ لَكِنْ هَـكَذَا يغْلِبُ الْكَثِيرُ الْقَلِيلاَ(٣)

أَنْتَ فى الْهِنْدِ فى مَكانٍ خَصِيبٍ فَلِمَاذَا رَضِيتَ هذا الْمُحُولاَ ؟(٤)

أَنْتَ كَالشيْبِ إن دَهِمْتَ ابْنَ أُنْثَى لم تُزَايِلْ جَنْبَيْهِ حَتَّى يَزُولاَ(٥)

حارَ «بنشنج» فِيكَ يَابْنَ شَعُوبٍ ونَـقَضْتَ الْـمُجَرَّبَ الْـمَعْقُولاَ(٦)

عَـقَـدَ الأَمْـرَ فَابْتَكَرْتَ لَهُ الْحَـــلَّ ، وما كانَ عَقْدُهُ مَحْلُولاَ(٧)

قـامَ يَـغْـزُوكَ بَيْنَ جَيْشِ الْـقَوارِيـــرِ فَوَلَّى بِـجَيْشِهِ مَخْذُولاَ(٨)

وَتَرَكْتَ الْحُمُوضَ تَجْرَعُهَا الأرْ ضُ ، وجَرَّعْتَنَا الْعَذَابَ الْوَبِيلاَ(٩)

---

(٢) يشير إلى شبه الميكروب : بحرف « الواو » .

(٤) خصيب : صفة من الخصب وهو النماء والبركة ، والخصب أيضًا ضد الجدب . المحول : الجدب .

(٥) دهمت : غشيت وفاجأت . تزايل : تفارق . يزول : يذهب ويهلك .

(٦) حار : تحيّر فى أمرك . بنشنج : اسم لمدير الصحة بمصر فى ذلك الزمن ، شعوب : اسم للمنية وهو الموت ، وكنّى هذا المكروب بابن شعوب لشدة فتكه بالناس ، نقضت : هدمت وأبطلت .

(٩) الحموض : جمع حمض ، والمراد به هنا العقاقير التى كانت قد أعدت للقضاء على هذه الجراثيم . تجرعها : تبتلعها ، وذلك أنهم إذا أرادوا تطهير بيت مثلا صبوا العقاقير على أرضه وجدرانه . جرعتنا : سقيتنا . الوبيل : الوخيم الثقيل .

«وبِعوشَى» أرادَ حَصْرَكَ بِالْجُنْـــدِ . وَهَلْ تَحْصُرُ الْجُنُودُ السُّيُولاَ ؟(١٠)
يا ثَقيـلَ الظِّلالِ آذَيْتَ بِالْما ... لِ وَبِالنَّفْسِ فَالرَّحيلَ الرَّحيلاَ(١١)
مَنْ يَبِتْ عِنْدَهُ الْهِزَبْرُ نَزيلاً ... كانَ مِنْ قَبْلِ زادِهِ مَأْكُولاً !(١٢)
رُبَّ طِفْلٍ تَرَكْتَ مِنْ غَيْرِ ثَدْيٍ ... يَضْرِبُ الأَرْضَ ضَجَّةً وعَويلاً !(١٣)
وَفَتاةٍ طَرَقْتَها لَيْلَةَ الْعُرْ ... سِ وَقَبْلَ الْحَليلِ كُنْتَ الْحَليلاَ(١٤)
كَحَّلُوا جَفْنَها فَكَحَّلْتَ فيها ... كُلَّ جَفْنٍ أَسًى وَسُهْدًا طَويلاً(١٥)
خَضَّبَتْها يَدُ الْمَواشِطِ صُبْحًا ... فَمَحاهُ الْمُطَهِّرُونَ أَصيلاَ(١٦)
ما رَحِمتَ الْعُيُونَ تِلْكَ اللَّواتي ... تَرَكَتْ كُلَّ عاشِقٍ مَذْهُولاَ(١٧)
لَوْ رَآها جِبْريلُ ـ أَسْتَغْفِرُ اللهَ ـ لأَلْهَتْ عَنْ وَحْيِهِ جِبْريلاَ(١٨)
يا قَتيلَ (الْفِينيكِ) يَكْفيكَ قَتْلا ... كَ فَأَغْمِدْ حُسامَكَ الْمَسْلُولا !(١٩)
إِنَّ في مِصْرَ غَيْرَ مَوْتِكَ مَوْتًا ... تَرَكَ الأَرْوَعَ الأَعَزَّ ذَليلاَ(٢٠)
فَارْتَحِلْ بارِدَ الْفُؤادِ قَريرًا ... مُرْوِيًا مِنْ دَمِ الْعِبادِ الْغَليلاَ(٢١)

---

(١٠) «موشى» : بلدة من أعمال أسيوط ظهر فيها هذا الوباء أول ما ظهر .

(١٢) الهزبر : الأسد القوى . النزيل : الضيف . الزاد : طعام يتخذ للسفر .

(١٤) طرقها : نزلت بدارها ، الحليل : الزوج .

(١٦) خضبت اليد خضبًا من باب ضرب بالخضاب وهو الحناء ونحوه . والمواشط جمع ماشطة وهى التى تحسن تطرية العروس وتجميلها ومشط شعرها أى تسريحه .

(١٨) جبريل : ملك الوحى . ألهاه : شغله .

(١٩) «الفينيك» كلمة أعجمية تطلق على بعض السوائل المطهرة القاتلة لجراثيم الأمراض ، وأغمدت السيف اغمادًا جعلته فى غمده . الحسام : السيف القاطع . المسلول : المنتزع من غمده .

(٢٠) الأروع : من يعجبك بشجاعته . الأعز : اسم تفضيل من العز وهو ضد الذل . وفى هذا البيت إشارة إلى المستعمر الإنجليزى الذى كان يحتل مصر فى ذلك الوقت .

(٢١) بارد الفؤاد : ريان القلب . قرير : مسرور . الغليل : حرارة العطش .

رضــا اليــأس

عام ١٨٩٧ م.

كان الشاعر يسير على جسر قصر النيل فرأى سُراة القاهرة وهم فى عجلات فخمة تجرها سوابق الجياد فقال :

أيـركَـبُـهـا هـذا فَتَنتهِبُ الثرَى ... وتنهبُ رِجْلَىَّ الحصَى والجنادِلُ !؟[1]

رَضيتُ رضاءَ اليأسِ، واليأسُ راحةٌ ... وأتْعبُ خَلْقِ اللهِ فى الناسِ آملُ ![2]

---

(١) تنتهب : تطوى الأرض مسرعة . الجنادل : الحجارة .

عيد الأعياد

نشرت هذه القصيدة يوم احتفال البلاد بمولد الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٣٩ م.

خَفَقَتْ بساحَتِكَ البشائِرْ ... وسَرَتْ بريّاكَ الأزاهِرْ[1]

يا يومَ مولدِه وما ... لكَ في جمالِكَ من مُفاخِرْ[2]

جاهِرْ بنُبْلِك في الزما ... نِ فحقٌّ مثلِكَ أنْ يُجاهِرْ[3]

لك أوّلٌ في المَكْرُما ... تِ ، وما لفيضِ يدَيْكَ آخِرْ[4]

أشرقتَ في أُفُقِ القلو ... بِ ، ودُرْتَ في فَلَكِ الضمائرْ[5]

وجُمِعْتَ من ضَوْءِ المنى ... وخُلِقْتَ من نور البصائرْ[6]

لكَ بينَ أعيادِ الزما ... نِ سَنًا على الأعياد باهرْ[7]

شَفَقاكَ خدّا غادةٍ ... ودُجاكَ أحداقُ النواظرْ[8]

ما أنتَ في الدنيا سِوَى ... أملٍ وضِيءِ الحُسن سافرْ[9]

هذا الجمالُ كأنّه ... قد صِيغَ من خَطَراتِ شاعرْ[10]

سَحَرَ العُيونَ بحُسْنِه ... والحسنُ للأبصارِ ساحرْ[11]

الصبحُ بسّامُ السنا ... والليلُ مصقولُ الغدائرْ[12]

---

(١) سرت : مشت ليلا . برياك : فيضك . الأزاهر : النبات المزدهر.

(٨) شفقاك : الشفق هو لون السماء قبل غروب الشمس . خدّا : مثنى خد . دجاك : سواد ليلك . أحداق : جمع حدقة العين.

يــا يومَ فـاروقٍ وكـمْ … لكَ عـنـد مصرٍ من مآثِرْ (١٣)

شَـهِـدَتْ بمطـلـعك الحيـا … ة تفيض بالنِعَمِ الزواخرْ (١٤)

ورأتْ جَـبـيـنًـا كـالصبـا … حِ أضاء مُعْتَكِرَ الدياجرْ (١٥)

ورأتْ مُـنًى قـدسـيَّـةً … دقَّ الزمانُ لها البشائرْ (١٦)

ورأت مـخـايـلَ دَوْلَـةٍ … فوْقَ النجومِ لها معَابرْ (١٧)

ورأت رجـاءَ النيـلِ فى … ثوبٍ من الإيمان طـاهـرْ (١٨)

ورأت بَوادرَ هِـمَّـةٍ … أعظِمْ بهاتِيكَ البَوادرْ! (١٩)

ورأت سَـريـرةَ خـاشـعٍ … سَجدَتْ لخشيتهِ السرائرْ (٢٠)

وتَطلَّعَ المِحْرابُ فى … جَذَلٍ وأشرقتِ المنابرْ (٢١)

واستبْشرَ الدينُ الحنيـ … ـفُ بخيرِ من يُحيي الشعائرْ (٢٢)

نادَى البشيرُ به، فيا … بُشْرَى المدائنِ والحواضرْ! (٢٣)

ومشتْ ملائكةُ السما … ءِ تَهُزُّ فى الجوِّ المباخرْ (٢٤)

فـالأفْقُ مِسْكٌ عاطرٌ … والمَهْدُ مثلُ المِسكِ عاطرْ (٢٥)

هتفتْ لمَوْلِدِ كابرٍ … لمُطَهَّرِ الأنسابِ كابرْ (٢٦)

هتفتْ بفاروقٍ أجَـ … ـلِّ مُمَلَّكٍ وأعزِّ ناصرْ (٢٧)

خطَّ المثالَ وفضلُهُ … مَثَلٌ يُبارى الريحَ سائرْ (٢٨)

والناسُ بينَ مُكَبِّرٍ … داعٍ. ومُولِى الحمدِ شاكرْ (٢٩)

---

(١٤) الذواخر : الكثيرة .

(١٥) معتكر : مختلط بالظلمة . الدياجر : الليالى المظلمة .

(١٦) منى : أمانى .

(١٩) بوادر : أوائل .

(٢٠) سريرة : مايسرّه فى نفسه .

(٢١) جذل : فرح .

(٢٤) المباخر : التى توضع فيه البخور ذو الرائحة الحسنة .

(٢٦) لمطهر الأنساب : ذو النسب الطاهر .

(٢٨) خط المثال : وضع وضرب المثل . يبارى : ينازل .

ملأوا القلوبَ بحُبِّه   وبذِكْرِهِ ملأوا الحناجرْ[٣٠]

فاروقُ فَرْدٌ فى الجلا   لِ فلا شبيهَ ولا مُناظِرْ[٣١]

هذى بَواكِرُه فكيـ   ـف يكونُ ما بعدَ البواكرْ[٣٢]

ينهَى ويأمُرُ هاديًا   أَفْدِيه من ناهٍ وآمِرْ![٣٣]

فَرْعٌ من الدَّوْحِ الكر   يم مُبارَكُ النَّفحاتِ زاهرْ[٣٤]

وقديمُ ماضٍ فى العَلا   ءِ يزينُه فى النُّبْل حاضرْ[٣٥]

وسُلاَلَةُ الأمجادِ أبنا   ءُ المواضى والبَواترْ[٣٦]

من كلِّ مِسْعَرِ غارَةٍ   والموتُ مُحْمَرُّ الأظافرْ[٣٧]

يُجْرِى الحصانَ مُخاطِرًا   فوقَ الجماجم والمغافرْ[٣٨]

أمضَى لدعوةِ صارخٍ   من لمح كرَّات الخواطرْ[٣٩]

يأبَى عليه نِجارُه   وإباؤه ألاَّ يُبادرْ[٤٠]

للنَّقع فوقَ جَبينه   مِسْكٌ يُضَمِّخُ كلَّ ظافرْ[٤١]

المجدُ لا يُلْقِى العِنا   نَ لغيرِ ذى العَزْمِ المُثابِرْ[٤٢]

السابقِ الوثّابِ طَلاَّ   عِ الثَّنِيّاتِ المصابِرْ[٤٣]

مَنْ لا يُحاذِرُ إنْ دَعا   هُ حِفاظُه ألاّ يُحاذِرْ[٤٤]

عَشِقَ المخاطرَ مُرَّةً   فَجَنَى الشُّهادَ من المخاطرْ[٤٥]

---

(٣٢) بواكره : أوائل أعماله .

(٣٦) البواتر : القواطع .

(٣٧) مسعر : مشعل . غارة : من الاغارة على العدو . محمر الأظافر : من إراقة الدماء .

(٣٨) المغافر : جمع مغفر وهو زرد يلبس على الرأس فى الحروب .

(٣٩) لمح : المقصود سرعة . الخواطر : ما يطرأ على الخاطر .

(٤٠) نجاره : أصله .

(٤١) النقع : الغبار . يضمخ بالمسك : يمسح جلده بالمسك .

(٤٤) حفاظه : أنفته .

(٤٥) مُرة : صعبة وعسرة . جنى : حصد وحصل . الشهاد : الشهد الحلو .

من كـــالأســـاوِرَةِ الـــبوا   سلِ والـقَسَـاورةِ الخوادِرْ؟[٤٦]
أجـــدادِ فـــاروقٍ كِـــرا   مِ الْمُنتَمى طُهْر الأواصرْ[٤٧]
بَـــعَـــثوا تُـــراثَ الأوَّلــــيـ   ـنَ ، ووطَّدوا مَجْدَ الأواخرْ[٤٨]
تُـــزْهَى بهم مِصـــرٌ كما   زُهِـيَتْ بـفِـتْـيتِها تُماضرْ[٤٩]
دعْـــهـــا تُــكـــاثـــر بـالــذى   أسدَوْا ، نَعَمْ دَعْها تُكاثِرْ[٥٠]
فـــاروقُ أشـــرقْ بـــالمنى   يسمو لِصَوتك كُلُّ حائرْ[٥١]
مصـــــرٌ وأنت يميـــنُـــهـــا   عَقَدت على الحبِّ الخَناصرْ[٥٢]

---

(٤٦) الاساورة : جمع أسوار : القائد . القساورة : جمع قسورة وهو الأسد . الخوادر : المستترة .

(٤٨) وطدوا : ثبتوا .

(٤٩) تماضر : هى الشاعرة العظيمة الملقبة بالخنساء وكانت تزهو وتفتخر بأولادها وقد أسلمت وحضرت الرسول عليه الصلاة والسلام وكان يعجب بشعرها . ولما بلغها نبأ استشهاد أولادها الأربعة فى معركة واحدة لم تجزع وقالت قولتها المشهورة : الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم وأرجو الله أن يجمعنى وإياهم فى الجنة .

(٥٠) أسدوا : أعطوا .

(٥٢) يمينها : يدها اليمنى التى تعتمد عليها أى وأنت عمادها . عقدت : عاهدت . الخناصر : جمع الإصبع الخنصر .

صديقٌ عدو وعدوّ صديق

عام ١٩٢٠ م.

أصــــديق يَودُّ أنى أُســــاء!؟ وعـدوٌّ يُظن فـيه الوفاءُ!؟[1]
عُــكِس الحال لا محالـة لـكـن ربّما أنجد الـغـــريقَ الماء![2]

الوَطَنُ
نشيدُ الكشّافة
١٩٣٧ م .

مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وسُودِي يـا أَلِفَ الْكَوْنِ والْوُجُودِ(١)
نَهَضْتِ والأَرْضُ فى دُجاهَا والشمْسُ والْبَدْرُ فى الْمُهُودِ(٢)

* * *

قَدْ كُنْتِ والدهْرُ فى صِباهُ نَجْمَ هُدًى ساطِعًا سَناهُ(٣)
تَعْنُو لِسُلْطانِكِ الْجِباهُ مَرْفُوعَةَ الرَّأْسِ والْبُنُودِ(٤)

* * *

يا بَسْمَةً فى فَمِ الزمانِ ومَوْطِنَ الْعِزِّ والأَمانِ(٥)
نَيْلُكِ أَحْلَى مِنَ الأَمانِي جَنًى وَأَذْكَى مِنَ الْوُرُودِ(٦)

* * *

(١) سودى : أمر من السيادة وهى العز والمجد والشرف ، ويراد بالأمر هنا الدعاء أو التمنى ، والألف أول الحروف الهجائية والمراد بألف الكون والوجود أنها أول البلاد التى عرفها التاريخ بالحضارة والعمران .

(٢) الدجى : الظلمة . المهود : جمع مَهد .

(٣) ساطعًا : عاليا . السنا : الضوء .

(٤) تعنو : تخضع وتذل . البنود : جمع بند وهو العلم .

(٦) الجنى : ما يجنى من الثمر . أذكى : أطيب رائحة . الورود : جمع وَرْد .

الْأَرْضُ أَنَّى خَـطَوْت تِـبْـرُ وزَهْــرُهــا جَوْهَــرٌ ودُرٌّ[7]
عِـقْـدٌ، وهـذا الْوُجُودُ نَـحْرُ قد يَجْمُلُ النحْرُ بالعُقُودِ ! [8]

* * *

كَمْ نِلْتِ بالْعِلْمِ مِنْ مَقَامِ ونلتِ بالْجِدِّ مِنْ مَرَامِ [9]
إلى الْأَمَـــامِ إلى الْأَمَـــامِ إلى الْـمَعَالى إلى الْخُلُود[10]

* * *

يـا مِصْـرُ نَحْنُ الْفِدَاءُ نَحْنُ ما مَسَّنا فى الْخُطُوبِ وَهْنُ[11]
أرْوَاحُـنَـا فى يَـدَيْكَ رَهْنُ وعَـهْـدُنَـا أَصْدَقُ الْعُـهُـودِ[12]

* * *

آبــاؤُنَـا قَـادَةُ الـدهُورِ قَدْ أَنْطَقُوا صَامِتَ الصخُورِ[13]
مِنْ كُـلِّ وَثَّـابَـةٍ جَسُورِ كَـأَنَّـهُ صَـائِـلُ الْأُسُودِ[14]

* * *

يـا مِصْـرُ فـارُوقُكِ الْـمُرَجَّى إلَيْهِ تَرْنُو الْـمُنَى وتُزْجَى [15]
بِيُـمْـنِـهِ قَـدْ بَلَـغْتِ أَوْجـا وَعِشْتِ فى قِمَّةِ السُّعُودِ[16]

* * *

بِفَضْلِهِ صِرْتِ فى الشُّعُوبِ مَهِيبَةَ الْقَدْرِ فى الْقُلُوبِ[17]
فَـــمِنْ وُثُوبٍ إلى وُثُوبِ ومِنْ صُـعُودٍ إلى صُـعُودِ[18]

* * *

---

(٨) العِقد : القلادة . النحر : موضعها من الصدر .
(٩) الجد : الاجتهاد . والمرام : المطلب .
(١٤) صائل : اسم فاعل من صال أى سطا وهجم .
(١٥) تزجى : تدفع وتساق .
(١٦) الأوج : الرفعة .

نُكَرِّرُ الشكْرَ مُخْلِصِينَا   لِمَنْ أَعَادَ الْحَيَاةَ فِينَا[19]

لِمَصْدَرِ النورِ لِلْبَنِينَا   والْمَنْهَلِ الْعَذْبِ لِلْوُرُودِ[20]

* * *

مِصْرُ اسْعَدِى وازْدَهِى وَتِيهِى   دَعَاكِ لِلنَّصْرِ فاتْبَعِيه[21]

مَا لَكِ فى الْمَجْدِ مِنْ شَبِيه   وما لِجَدْوَاهُ مِنْ حُدُودِ[22]

* * *

عاشَ مَلِيكُ الْبِلادِ زَنْدَا   وَسَاعِدًا مُسْعِدًا أَشَدَّا[23]

فارُوق الْمُرْتَجَى الْمُفَدَّى   مُوَفَّقَ الرَّأْىِ والْجُهُودِ[24]

مِصْرُ اسْلَمِى واسْلَمِى وسُودِى   يا أَلِفَ الْكَوْنِ والْوُجُودِ[25]

---

(٢٠) المنهل : المورد وهو عين الماء التى يُستقى منها .

(٢٢) الجدوى : العطية .

(٢٣) الزند : موصل طرف الذراع فى الكف ، وهو من مكامن القوة والمراد ينبوع قوة للبلاد ، والساعد من الإنسان ما بين المرفق والكف .

نجيب مترى

يرثى الشاعر صديقه المرحوم نجيب مترى صاحب مكتبة المعارف وقد توفى سنة ١٩٢٨ م.

قُمْ وَانْثُرِ الزهْرَ عَلَى لَحْدِهِ   وَابْكِ مَضَاءَ الْعَزْمِ مِنْ بَعْدِهِ(١)
هذَا «نَجِيبٌ» قَدْ ثَوَى مُفْرَدًا   كَأَنَّهُ الصمْصَامُ فى غِمْدِه(٢)
مَقْصَدُهُ ضَاقَ بِهِ جِسْمُهُ   وَنفْسُهُ أَكْبَرُ مِنْ قَصْدِهِ(٣)
كانَ عِصَامِيًّا بَعِيدَ الْمَدَى   لا يَبْلُغُ الطرْفُ مَدَى حَدِّهِ(٤)
يعْمَلُ كالنخْلِة لا يَنْثَنى   وَكَمْ جَنَيْنَا الْحُلْوَ مِنْ شَهْدِهِ(٥)
ملَّ نَهَارُ الْقَيْظِ مِنْ كَدِّهِ   وَضَجَّ نَجْمُ الصُبْحِ مِنْ شُهْدِهِ(٦)
رَأْىٌ يُرِيكَ اللَّيْلَ شمْسَ الضُحى   وَهِمَّةٌ كَالنجْمِ فى بُعْدِهِ(٧)
وَطُهْرُ نَفْسٍ إنْ تُرِدْ وَصْفَهُ   فَانْظُرْ إلى الطَلِّ عَلَى وَرْدِهِ(٨)
كانَ أَبًا بَرًّا يَعافُ الكَرَى   لَوْ مَرَّتِ الريحُ عَلَى وُلْدِهِ(٩)

---

(١) اللحد : الشق فى جانب القبر، والمراد القبر نفسه . المضاء : النفاذ والحدة . العزم : الإرادة القوية .
(٢) ثوى : أقام . الصمصام : السيف الصارم القاطع الذى لا ينثنى .
(٣) المقصد والقصْد مصدر قصدت الشىء وله وإليه أى طلبته بعينه .
(٤) عصاميا : معتمدًا على نفسه عظيما بأعماله . المدى : الغاية . الطرف : العين . حدُّ الشىء : منتهاه .
(٥) لا ينثنى : لا ينصرف عن غايته .
(٨) الطل : الندى يكون فى الصباح فوق أوراق الزهر والشجر.
(٩) الكرى : النعاس .

عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحِبُّونَهُ وَكَيْفَ يَبْكُونَ عَلَى فَقْدِهِ[10]

لا بَرِحَتْ ذِكْرَاهُ مِلْءَ النهَى ولا خَلَا مَغْنَاهُ مِنْ مَجْدِهِ[11]

---

(١١) النهى : جمع نهية وهى العقل . المغنى : المنزل .

تغريد

غنت السيدة « أم كلثوم » هذه الأبيات احتفالاً بزواج الإمبراطورة فوزية من عاهل ايران الذى أقيم بدار الأوبرا سنة ١٩٣٩ م .

لَمَحَ البِشْرُ باسماً بالأماني ... وشدا الصفوُ صادحاً بالأغاني (١)

طَرَبٌ هزَّ كلَّ عِطْفٍ وجيدٍ ... فكأنَّ الوُجودَ من ألحان (٢)

إزْدَهِي مصرُ ، وامْلَئِي الكونَ تيهاً ... بالأمير النبيل من إيران (٣)

أمةٌ مجدُها أطلَّ على الشمـ ... ـس ، فحيّا سناءه الفَرْقدان (٤)

قَهَرَتْ صَوْلَةَ الزمان وكانتْ ... قَبَسَ النورِ فى شبابِ الزمان (٥)

إنّ مصراً وإنّ ايرانَ فى المجـ ... ـد تليداً وطارفاً أخَوان (٦)

أكبرَ ابنُ الحُسين أهرامَ مصرٍ ... وشَدا البُحْتُرِيُّ بالإيوانِ (٧)

سَعِدا بالقِران فى عزّة المُلْـ ... ـك ، وفى ظلِّ دوْحِه الفَيْنان (٨)

---

(٢) عطف : جانب . جيد : العنق .

(٣) تيها : افتخارا . الأمير النبيل : محمد رضا بهلوى شاه ايران .

(٤) سناءه : ضوءه . الفرقدان : نجمان قريبان من القطب .

(٥) قبس : شعلة النور .

(٦) تليدا : قديما . طارفا : حديثا .

(٧) ابن الحسين : الشاعر أبو الطيب المتنبى . البحترى : الشاعر العباسى الشهير . الايوان : ايوان كسرى ملك الفرس .

(٨) دوحه : شجره العظيم . الفينان : الطويل الحسن ذو الأغصان الوارقة .

فالتقّى بالرضا وبالفوز تاجا ن ، وبالوُدّ والصفا أمّتانِ[٩]
دُرّةٌ من كنوز مصرَ أضاءتْ فوق تاج الملوك من ساسان[١٠]
ونباتٌ زَكا بروض فؤادٍ بين ظِلّين من ندى وحنان[١١]
إنّ عهدَ الفاروق عهدُ سُعودٍ باسمُ الثغرِ ناضرُ الأفنان[١٢]
مِلكٌ زانه الجلال وطافتْ حوْله هالةٌ من الإيمان[١٣]
قد سَرَى حُبُّه إلى كلّ قلبٍ وجرَى حمدُه بكلّ لسان[١٤]

---

(٩) بالرضا : القبول ويجوز أن يكون المقصود رضا بهلوى والفوز إشارة الى فوزية .

(١٠) ساسان : بلدة بإيران واليها نسبت الدولة الساسانية .

(١٢) سعود : يمن وبركة وسعادة .

ذكرى وتاريخ

أنشدت هذه القصيدة بدار المعارف سنة ١٩٤٥ م بمناسبة احتفالها بمرور عامين على إصدار سلسلة « إقرأ » :

لَسْتِ من شأنه ولا بعضِ شانِهْ ... كَبَحَ الشيْبُ والنُّهى من عنانِهْ[1]

فاذهبى . ما سلا الفؤادُ ولكن ... ساقَه يأسُه إلى سُلوانه[2]

وبدار الفِردوسِ من جانبوا الإثـ ... ـمَ ، لعجز النفوسِ عن إتيانه[3]

قد تولى الشبابُ ريحانةُ الحـ ... ـبِّ . فمن لى بالحبِّ أو ريحانه ؟[4]

آه من حَيْرةِ المشيبِ : سواءٌ ... هو فى بَوْحِه وفى كتمانه ![5]

إن كتمناهُ قهقه الدهرُ جذلا ... نَ ، ومدّ الخبيثُ طرفَ لسانه[6]

أو أبحناهُ راعنا كلَّ يومٍ ... شُرُفاتٌ يَهْوين من بنيانه[7]

ورأينا الغِيدَ الأماليدَ حُلْماً ... ضَنَّ بالملتقَى على وسنانه[8]

كلُّ شىءٍ له أوانٌ يوفِّيـ ... ـه ، وفوْتُ الشباب قبل أوانه[9]

---

(١) النهى : العقل . عنانه : مقود الفرس .

(٢) سلا : نسي .

(٣) دار الفردوس : الجنة .

(٤) ريحانة : رائحته الطيبة والريحان نبات ذو رائحة جميلة .

(٦) جذلان : فرحان .

(٨) الأماليد : ناعمة الخد . وسنانه : نائمة .

(٩) أوان : وقت . يوفيه : يعطيه حقه .

كم نَعِمْنا به زماناً فلمّا طاح ، عشنا فى ذكريات زمانِهْ[10]
طائرٌ كان إن تغنَّى إلى الرو ض ، شجا الحالياتِ من أغصانه[11]
عسجدىُّ الجناحِ وَدّ العذارَى لو خَضَبْنَ البَنانَ من ألوانه[12]
وتمنّى الأصيلُ لو نال يوماً لمحةَ الحسن من سنا لمعانه[13]
أين تصفيقُه؟ وأين مجاليـ ـه ؟ وأين الرخيمُ من ألحانه ؟[14]
جالَ فى الأفق جولةً ثم ولَّى هل يعود الشادى إلى جَوْلانهْ ؟[15]
ومضى خافقَ الْجَناح ولم يتـ ـرُكْ لقلبى منه سوى خفقانه[16]
وحواه الماضى الْخِضَمُّ وأبقَى ذكرياتٍ تطفو على شُطْئانه[17]
مرَّةً نستريح شوقاً لذكرا ه ، وحيناً نَجِدُّ فى نسيانه[18]
أنا عزمى من آل صخرٍ ، ورأسى لَقِىَ الويلَ من بنى شَيْبانه[19]
ولنفسى مُنَى الشبابِ ، وإن أدْ رَجَ وجهى الشبابَ فى أغصانه[20]

* * *

ما أُخَيْلَى الصِبا ، فهل لمحةٌ منـ ـهُ ، ومن زَهْوِهِ ومن ريعانه ! ؟[21]
بان بالأمس رَكْبُه فتطلَّعـ ـتُ ، أَعُدُّ الطيوفَ من أظعانه[22]
وبدا فى طليعة الركبِ طَيْفٌ لجَّ منه الفؤادُ فى تحنانه[23]

---

(10) طاح : سقط وولى وراح .
(11) شجا : طرب . الحاليات : المظهرات حلاوة وعجبا .
(12) عسجدى : ذهبى . خضبن : دهن أيديهن بالحناء .
(13) الأصيل : الوقت بعد العصر إلى المغرب .
(14) الرخيم : الرقيق .
(15) جال : طاف .
(16) خافق الجناح : مضطرب مرفرف .
(19) آل صخر وبنى شيبان : أسماء لقبائل عربية .
(21) ريعانه : قوته وفتوته .
(22) الطيوف : الأخيلة . أظعانه : أسفاره ومشيه .
(23) لجّ : تردد .

هاج ذِكْرى «دارِ المعارف» والغُصْـ ـنُ رطيبٌ، والعُمْرُ فى عنفوانِه(٢٤)
جَـمَـعَـتْـنـا روْضـاً جَـنًى وظلالاً تـتـدانى الـقـطـوفُ مـن أفـنـانـه(٢٥)
فشـدوْنـا عـنـادِلاً هـزّت الـدهـ ـرَ، وكادت تُلهيه عن حَدثانه(٢٦)
وصحا الشرقُ ناشطاً يجَبه الدنـ ـيا، وينفى النعاسَ عن أجفانه(٢٧)
وكـتَـبـنـا فى روْعـةٍ وبـيـانٍ يُقسِمُ السحرُ: إنه من بيانه(٢٨)
من إمـامٍ وشـاعـرٍ وأديبٍ معجزاتُ الفنونِ طوْعُ بنانه(٢٩)
جـمـعـتـنـا «دارُ المعـارف» أحرا راً، فكُنّا للعلم من عُبْدانه(٣٠)
إنّ عُـنـوانَـهـا جـهـابـذُ مصرٍ وجلالُ الكتابِ فى عنوانهْ!(٣١)
مصـنـعٌ مـن ثـقـافـةٍ وضـيـاءٍ كـلُّ قُـطـرٍ يـعشـو إلى نيرانـه(٣٢)
يُـنْـضِـجُ الخبـزَ لـلـعـقـول نَـقـيًّـا لم يُـروَّع بـالـبخسِ فى ميزانه(٣٣)
كُـلّـمـا دار دورةً نهض الـعـقـ ـلُ، وألقى العتيقَ من أكفانه(٣٤)
طَـبَـعـاتٌ فيهـا من الحسن طبعٌ قيـمـةُ المرءِ فى مدَى إحسانه!(٣٥)
وإذا راعك الجمالُ لـفـنٍّ عـبـقـرىٍّ فـاسألْهُ عن فنّانه(٣٦)
نجمـعُ الـدرَّ توْءمـاً وفـريـداً ثم نـأتى بـه إلى دَهْـقـانـه(٣٧)
قُلْ كما شئت فى مديح «شفيقٍ» والـكـرام الـثـقـاتِ من أعوانه(٣٨)
بـاعثُ الفِكرِ مثلهُ ناشرُ الفكـ ـرِ. لـه فضلُه ورفعةُ شانِهْ(٣٩)

---

(٢٥) جنى: ثمار. القطوف: العناقيد.
(٢٦) عنادلاً: طيور يقال لها الهزار صوتها حسن. حدثانه: أحداثه.
(٢٧) يجبه: يستقبل.
(٢٩) طوع بنانه: منقادة له.
(٣٠) عبدانه: خاضعين له.
(٣١) جهابذ: عظماء.
(٣٢) قطر: الناحية والجانب. يعشو: هنا بمعنى يقصد.
(٣٣) يروع: يفزع. البخس: النقص.
(٣٧) التوءم: الثانى فى بطن واحدة. فريدا: واحدا. دهقانه: تاجر الجواهر.
(٣٨) شفيق: هو شفيق نجيب مترى صاحب دار المعارف فى ذلك الحين. الثقات. أهل الثقة.

أيُّ نفعٍ للمِسْكِ فى حُقّةِ المسـ ـكِ ، وللمال فى يَدَىْ خزّانِهْ ؟(٤٠)

ينشَطُ الفكرُ بالذيوعِ ويزكو وزَكاءُ اليَنبوعِ فى جريانه !(٤١)

* * *

يا ابن «متى» بلغتَ مدحى ، وهذا منزلُ النجمِ ، أو قريبُ مكانه(٤٢)

صُنتُ شعْرى عن أن يهونَ وبعضُ الشـ ـعر يَسعى لذُلِّه بهوانه(٤٣)

يصْغُرُ الفنُّ حينما تصغُرُ النفـ ـسُ ، وينحطُّ من رفيع قِنانه(٤٤)

إن شِعْرى أجرُ النبوغِ فما بـ ـضّ لغير المُجيدِ فى مَيْدانه(٤٥)

* * *

أشفيقٌ ، سِرْ بالشبابِ حثيثاً أملُ الشرقِ فى يَدَىْ شُبّانه !(٤٦)

قد قرأنا فى « اقرأ » صحائفَ أَبْدَتْ صفحاتِ الربيعِ فى إبّانِهْ(٤٧)

نَهضَتْ بالشريفِ من لغة الضا دِ ، وجاءت بالسحر من تِبيانه(٤٨)

فهناءً « دارَ المعارف » لا زِلْـ ـتِ منارَ الحِجا ومجلَى افتنانه(٤٩)

لقِيَ الشرقُ فى ذَراكِ مَلاذاً مُذْ بَعَثْتِ الحياةَ فى أوطانه(٥٠)

---

(٤٠) المسك : الطيب . حقة : المكان الذى يوضع فيه .

(٤١) الذيوع : الانتشار . ذكاء : نماء . الينبوع : عين الماء .

(٤٤) قنانه : مكانته العالية – أعلى الجبل .

(٤٥) بضّ : رق ولان – استجاب .

(٤٧) اقرأ : هو اسم سلسلة كتيبات تصدرها دار المعارف . إبانه : أوانه .

(٤٨) لغة الضاد : اللغة العربية .

(٤٩) منار الحجا : منار العقل . مجلى : موضح .

(٥٠) ذراك : ظلك . ملاذا : ملجأ ومأوى .

مصطفى النحاس باشا

واحد من زعماء مصر البارزين خلف الزعيم العظيم سعد زغلول باشا فى رئاسة حزب الوفد وعاش حياته يناضل الاستعمار الإنجليزى لمصر حتى حقق الله على يديه استقلال البلاد وقد أنشد الشاعر هذه القصيدة فى الاحتفال الذى أقيم تكريماً للزعيم بعد عودته هو وصحبه عقب توقيع اتفاقية « منترو » عام ١٩٣٧ م .

مَلَكْتَ بما أُوتيت ناصِيةَ النجمِ ... وحُزْتَ عِنانَ المجدِ والشرفِ الجمِّ (١)

وعُدْتَ زعيمَ الفاتحين تقودُه ... يدُ اللهِ مِنْ غُنْمٍ لمصرَ إلى غُنْمِ (٢)

تطالعُكَ الأعلامُ نَشوىَ كأنَّها ... بكلِّ الذى أوليْتَ مِصْر على عِلْمِ (٣)

خوافِقُ تنأى فى السماء وتلتقى ... كما مال رِئْمٌ فى الفلاةِ إلى رِئْمِ (٤)

ويُطرِبُها عالى الهتافِ فتنثنى ... كما رقصتْ هِيفُ العذارى على نغمِ (٥)

فُتِنَّ بألوانِ الرياضِ وحُسنِها ... فقاسَمْنَها فى الحُسنِ أو جُرن فى القَسْمِ (٦)

وكادَ سُروراً ما بها من أهلَّةٍ ... يتيه على ابن الليل فى ليلة التَّمِّ (٧)

لها نشوةٌ لو أنَّ للكَرْمِ مِثْلَها ... لما كانَ إثْماً أنْ تُساغَ ابنةُ الكَرْمِ (٨)

---

(١) ناصية : أعالى النجم . عنان المجد : قيادة الشرف والعزة .

(٢) غنم : غنيمة .

(٣) تطالعك : تظهر لك . نشوى : فرحة . أوليت : أعطيت .

(٤) خوافق : مرفرفه . تنأى : تبعد . رئم : غزال . الفلاة : الصحراء .

(٥) هيف : الحسناء ضامرة البطن . نغم : صوت حسن .

(٦) فتنَّ : عجبن . جُرن فى القسم : جاوزن الحد فى النصيب والحظ .

(٧) أهلّة : جمع هلال . ابن الليل : المقصود القمر . ليلة التم : ليلة اكتمال القمر وهى النصف من الشهر العربى .

(٨) الكرم : العنب الذى تصنع منه الخمر . تساغ : بمعنى تشرب . ابنة الكرم : من أسماء الخمر .

زَهاها على الرايات أن انتصارَها ... على الدهرِ لم يُقْسَم لعُرْبٍ ولا عُجْمِ [٩]
وأن فَتَاها لم يقفْ فى ثيابه ... أخو نجدَةٍ فى يوم حربٍ ولا سِلْمِ [١٠]
حمَاهَا وأعْلاَهَا على النجْمِ سعيُه ... فلله من يعْلى اللواءَ ومن يحْمى [١١]

* * *

أبَى المجدُ أن يدنو بفضلِ عِنانه ... لغير بعيدِ الغَوْرِ والرأيِ والسهمِ [١٢]
وما خضعَ النصرُ الأشمُّ لفاتحٍ ... إذا لم يكُنْ من خيرة السادةِ الشُّمِّ [١٣]
حملنا له الأزهارَ تَنْدَى نضارةً ... وتهتزُّ عن طيبٍ وتَفْتَرُّ عن بَسْمِ [١٤]
وأنْفَسُ شىءٍ فى الحياةِ أزاهِرٌ ... يُبعثرها شَعبٌ على قدمَىْ شَهمِ [١٥]
وجِئنا بغُصنِ الغارِ تاجاً لجبهةٍ ... عليها سطورٌ من إباءٍ ومن عزْمِ [١٦]
أقامَ طويلا بالرياضِ كأنَّما ... أُصيبتْ بناتُ المجدِ فى مصرَ بالعُقْمِ [١٧]

* * *

سَعى الشعبُ أفواجاً إليكَ تسوقُه ... نوازعُ حُبٍ قد طَغَيْن على الكَتْمِ [١٨]
رأينا به الآذىَّ يهدُر ماؤه ... وجرجرةُ الأمواجِ فى لُجَّةِ اليمِّ [١٩]
صُفوفٌ بناهَا اللهُ فى حُبِّ «مُصطفى» ... تَنَزهنَ عن صَدْعٍ وعُوفينَ من ثأمٍ [٢٠]

---

(٩) زهاها : افتخر بها . لم يقسم : لم يكن من نصيب .
(١٠) لم يقف فى ثيابه : لم يلتزم بوتيرة واحدة . أخو نجدة : صاحب عون واستغاثة .
(١٢) عنانه : قيادته . بعيد الغور : عميق الفكر . الهم : الهمة .
(١٣) الأشم : العالى . الشم : الشرفاء .
(١٤) تندى : من الندى أى مبتلة بالماء . نضارة : حسنا وبهاءً ورونقًا . طيب : رائحة العطر . تفتر : تفصح وتظهر . بسم : ابتسام وبشاشة .
(١٥) أنفس : أثمن . أزاهر : النبات المزهر . يبعثرها : ينثرها .
(١٦) الغار : الوسام . إباء : عزّة .
(١٧) العقم : عدم الإنجاب .
(١٨) نوازع : مشاعر . طغين : جاوزن الحد . الكتم : الكتمان .
(١٩) الآذى : الموج . جرجرة : صوت . لجة اليم : ماء البحر العظيم .
(٢٠) صدع : كسر ـ شق . عوفين من ثأم . سلمن من الخلل .

بها اجْتَمَعَتْ كلُّ المدائنِ والقُرى ... فما شِئتَ من كيفٍ وما شئتَ من كَمِّ[21]

إذا حاولَ الوهمُ المصَوِّرُ رَسمَهَا ... على صفحةِ القُرطاسِ عزّتْ على الوهمِ[22]

وأصواتُ صِدْقٍ بالدعاءِ تتابعت ... لها كَدَوِيٍّ النحلِ فى أُذْنِ النجمِ[23]

أصاخَ إليها الصُمُّ . يستمعونَها ... فإن جَحَدُوها فالعفاءُ على الصُمِّ[24]

تُحِسُّ أزيزَ النارِ فى نَبراتِها ... وتَلْمَحُ فيها قوّةَ العَزْمِ والجزْمِ[25]

تكادُ تميدُ الأرضُ بالحشدِ فوقها ... وتنسدُّ أرجاءُ الفضاءِ من الزَحْمِ[26]

زعمتُ بأن أطوى لك الجمعَ سابحاً ... فللهِ كَمْ لاقيتُ من ذلك الزَعْمِ[27]

أحاطتْ بِيَ الأمواجُ من كُلِّ جانبٍ ... أغوصُ إلى لحمٍ وأطفو على لحمِ[28]

إذَا نالَ منى الوكْزُ ما كانَ يشتهى ... خَلَصت إلى مالا أحب من اللكْمِ[29]

سَدَدْتُ علىَّ الطُرْقَ لم ألْقَ مَسْلكاً ... وأوسعتُ طُرْقَ المجدِ والحسبِ الضخمِ[30]

تمنيتُ لو لامَسْتُ كفًّا هى المُنَى ... خواتِمها قد صاغها الشعبُ من لَثْمِ[31]

وشاهَدْتُ شهماً كلّما رُمتُ رسمَهُ ... تصوّرتُ اخلاقَ الملائكِ فى الرسْمِ[32]

وفُزت بوجهٍ من سنَا اللهِ ضوؤه ... كريمُ المحيّا لا قطوبٍ ولا جَهْمِ[33]

إذا قدّرَ الشعبُ الرجالَ فإنّهُ ... قمينٌ بالاستقلالِ فى الرأيِ والحكْمِ[34]

* * *

---

(٢٢) القرطاس : الورق .

(٢٣) فى إذن النجم : الصوت يصعد الى مكان النجم فى السماء .

(٢٤) أصاخ : استمع . الصم : الذين لا يسمعون . جحدوها : أنكروها .

(٢٥) أزيز النار : صوت النار المشتعلة . نبراتها : صوتها . الجزم : القطع .

(٢٦) تميد : تتحرك الى أسفل . أرجاء الفضاء : نواحى الفضاء . الزحم : التزاحم .

(٢٩) الوكز : الدفع .

(٣٠) الق : أجد . مسلكا : طريقا .

(٣١) المنى : الأمانى . صاغها : صنعها . لثم : تقبيل .

(٣٢) رمت : أردت .

(٣٣) سنا الله : نور الله . قطوب : عبوس . جهم : كالح الوجه .

(٣٤) قمين : جدير .

دعوناكَ للجُلّى فكُنتَ غِياثَها وقد عَبّثَتْ خيلُ الحوادثِ باللّجْمِ (٣٥)

عليكَ من اللهِ العزيزِ مَفاضةٌ من الحق لم تأبه لرمْحٍ ولا سهمِ (٣٦)

تصولُ على العُدوان تستّلُ نابَهُ وتَصدعُ بالأيمانِ غاشيةَ الظلْمِ (٣٧)

وترفعُ صدراً كانَ حِصْناً وموئلاً لمصرَ فأغناها عن الحصْنِ والأطَمِ (٣٨)

رميتَ فسدّدتَ الرمَاءَ وإنّما هُو اللهُ يرمي عن يمينك إذْ ترْمي (٣٩)

وما كل ذي سهمٍ أصابت يمينُه ولاكل سهمٍ في إصابتهِ يُصْمي (٤٠)

وجنّدتَ من آرائِكَ الغرِّ جحفلاً طلائِعُه أغنَتْ عن البيضِ والدُّهْمِ (٤١)

وأرسلتَ صوْتاً في البلادِ مجلجلاً سمعنا به زأرَ الضراغِمِ في الأجْمِ (٤٢)

ففتّحت آذاناً وأيقظت أعيُناً وصنتَ رِباطَ العنصرين من الفصْمِ (٤٣)

فلَمْ يرضَ جنبٌ أن ينَامَ على أذًى ولم يَرْضَ حَقٌّ أن ينامَ على هضْمِ (٤٤)

وطار بنُو مِصْرٍ لنجدةِ أمهم سِرَاعاً فأكْرِمْ بالبنين وبالأمِ (٤٥)

ونالتْ بك استقلالَها مِصْرُ كَامِلاً على الرغم من كَيْدِ الزمانِ على الرغْمِ (٤٦)

وحَطّمتَ أغلالَ الإسارِ وقد لَوتْ يَدُ الدهرِ واستعصتْ طويلاً على الحَطْمِ (٤٧)

---

(٣٥) الجلىّ : كشف عظائم الأمور . غياثها : منقذها . اللجم : مقود الخيل .

(٣٦) مفاضة : الدرع الواقى . تأبه : تعبأ - تهتم .

(٣٧) تصول : تهاجم . تستل نابه : تخلع أسنانه أى تبطل شره كما تنزع أنياب الثعبان فيبطل سمه . تصدع : تشق وتقطع . غاشية الظلم : غطاء الجور .

(٣٨) ترفع صدرا : الصدر هو أول الشيء . حصنا : مانعا . موئلا : ملاذا . الأطم : الخطر .

(٣٩) الرماء : الرماية . وفى البيت اقتباس من القرآن الكريم من الآية : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . صدق الله العظيم .

(٤٠) يصمى : يصيب .

(٤١) الغر : الغرّاء . جحفلاً : جيوش . طلائعه : أوائله . البيض : السيوف . الدهم : الخيل .

(٤٢) زأر : صوت الأسود . الضراغم : الأسود . الأجم : الغابة كثيفة الشجر .

(٤٣) العنصرين : المسلمين والأقباط . الفصم : الفصل .

(٤٤) جنب : ناحية والمقصود أى شخص . ينام على أذى : يغفل عينيه وبه ضرر . ينام على هضم : يغفل عينيه وهو مظلوم مهضوم الحقوق .

(٤٧) الاسار : الأسر . استعصت : امتنعت . الحطم : التحطيم .

إذا عَظُمَتْ نفسُ امرئٍ جلَّ سعيُه ... وجلّ فَلَم يُوصَمْ بزهوٍ ولا عَظْمِ (٤٨)

* * *

تَحدَّثتْ الدنيا «بسعدٍ» و«مصطفى» ... وهل قُرِئتْ أمُّ الكتابِ بلاَ «بسمِ» (٤٩)

أبانَ لكَ الطرْقَ اللّواحبَ للعُلا ... فجَلّيتَ فعلَ الفارسِ البطلِ القرمِ (٥٠)

بَنَيْتَ وهدّمتَ الضلالَ مُجاهداً ... فكنتَ كَريماً فى البناءِ وفى الهدْمِ (٥١)

بك اهتزّت الآمالُ واخضرَّ عُودُهَا ... كما اهتزّ روْضٌ جادَه واكِفُ السَّجْمِ (٥٢)

ورُبَّ رجالٍ كالسحائبِ خُلّباً ... تَسُدُّ مصابيحَ السماءِ ولا تهمى (٥٣)

يَرونَ من الحِلْمِ القرارَ على الأذى ... وأين قرارَ الهُوْنِ من خُلُقِ الحِلْمِ (٥٤)

إذا شهوةُ الدنيا دهت عقْلَ عاقلٍ ... غدَا وهو أذكى الناسِ شرًّا من الفَدْمِ (٥٥)

وإن عَشَقَتْ رُوحُ الفتى راحةَ الفتى ... فلا خيرَ فى رُوحٍ ولا خيرَ فى جِسْمِ (٥٦)

وقفتَ لنصرِ الحقِّ فى قصرِ «منترو» ... وقوفَ وضىءِ الرأىِ مُجتمِعِ الحزْمِ (٥٧)

وحولَكَ من أصحابِكَ الصيدِ فتيةٌ ... خِفافٌ إلى المولى شِدادٌ على الخَصْمِ (٥٨)

يرَوْنَ من الحتمِ الوفاءَ لقومِهِمْ ... وليست بشاشاتُ الحياةِ من الحتْمِ (٥٩)

كأنّ غُبارَ النصرِ فى لَهَواتِهِم ... جَنَى النحلِ أو أشهى وأطيبُ فى الطعْمِ (٦٠)

---

(٤٨) جلّ : عظم ـ كثر. يُوصَم : يُدْمَغ . زهو : افتخار. عظم : كبر.

(٤٩) سعد : سعد زغلول باشا زعيم حزب الوفد . أم الكتاب : الفاتحة. بسم : يقصد بسم الله الرحمن الرحيم .

(٥٠) اللواحب : الواضحة . جليت : أظهرت وأبنت . القرم : السيد المهاب .

(٥٢) جاده : أعطاه ورواه . واكف : القطر والماء . السجم : السائل .

(٥٣) خلبًا : السحاب الذى لا مطر فيه . مصابيح السماء : المقصود النجوم . لا تهمى : لا تمطر .

(٥٤) الحلم : الأناة . القرار على الأذى : الصبر على الضرر . قرار الهون : الصبر على الذل والهوان . خلق الحلم : سجية الصبر .

(٥٥) شهوة الدنيا : ما يحب ويشتهى فى الدنيا . دهت : أصابت . غدا : أصبح . الفدم : الغبى العيىّ .

(٥٧) مونترو : بلدة بسويسرا وُقّعت بها معاهدة ١٩٣٦ م لمنح مصر استقلالها . وضئ الرأى : واضح الرأى . الحزم : الرأى .

(٥٨) الصيد : العظماء. المولى : الله سبحانه وتعالى . شداد : أقوياء . الخصم : العدوّ .

(٥٩) بشاشات الحياة : مباهج الحياة .

(٦٠) لهواتهم : جمع لهاة وهى زائدة لحمية فى سقف الحلق والمقصود حلوقهم . جنى النحل : حصاد النحل وهو العسل .

لك الحِجَجَ البيضَ الصلاَبَ كأنّها نِصالُ سهامٍ قد حَزَزْنَ إلى العَظْمِ (٦١)
أمَنْ جعل الضيفَ النزيلَ كواحدٍ من الأهْلِ يُرْمَى بالجفاء وبالذمِّ ! ؟ (٦٢)
فَهِمْنا ولكن للسياسةِ منطقٌ عزيزٌ على الأذهانِ صعبٌ على الفَهْمِ (٦٣)
ومسْلُكَ مَنْ ردّ العقُولَ لمنهجٍ سديدٍ وأرْدَى الشكَّ بالمنطقِ الحسَمِ (٦٤)
فما زلْتَ حتى أدركَتْ مِصرُ سُؤْلَهَا رفيعةُ شأوِ المجدِ موفورَةَ السهْمِ (٦٥)
وأصبحَ حُبًّا كل ما كان من قلا لمصرَ وغُنْماً كل ما كانَ من غُرْمِ (٦٦)
هنيئاً لَكَ الفتحُ المبينُ فإنّه سيبقى على التاريخِ متَّضحَ الوسْمِ (٦٧)
نثرتُ له زَهْراً وأنْظَمْتُ لؤلؤاً فأحسنتُ فى نثرى وأبدعتُ فى نظْمى (٦٨)

---

(٦١) نصال سهام : حد السهام . حززن : قطعن .

(٦٢) يرمى : يوصف . الجفاء : التنكر والابتعاد . بالذم : ضد المدح .

(٦٤) منهج : طريق . سديد : صواب وموفق . أردى : قتل . بالمنطق الحسم : بالقول القاطع .

(٦٥) سؤلها : مطلبها . شأو المجد : غاية الشرف والمجد . موفورة السهم : تامة وكاملة النصيب .

(٦٦) قلا : ابغض وترك . غنما : المكسب . غرم : خسارة .

(٦٧) متضح الوسم : واضح الصفة التى يعرف بها .

(٦٨) انظمت لؤلؤا : جمع اللؤلؤ وصنع منه عقدا : يقصد أنه جمع كلمات كاللآلئ ونظم منها شعرا . نظمى : شعرى .

دُرّة التّاج

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى ميلاد الأميرة السابقة فادية ابنة الملك فاروق آخر ملوك مصر فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ م.

هـزّتِ البُشْرَى جَنـاحَ الخافقيْنْ ومضتْ تخطِرُ بين المشرقيْنْ[1]

وتهادَى النيـلُ نشوانَ الهوىَ ينشرُ الأزهارَ فوْق الشاطئينْ[2]

كَمْ وكم للهِ فى الناسِ يَدٌ يعجِزُ الشكرُ عليها باليدينْ ! [3]

دُرّةٌ من سُؤدَدٍ لامعةٌ ضمّها العرشُ لأغلى دُرّتينْ[4]

دُرّةٌ للمُلْكِ ما ماثلها كَرَمُ التِبْرِ ولا صَفْوُ اللُّجينْ[5]

وشُعاعٌ زاد فى لألائه أنّه من لَمحاتِ النيِّرينْ[6]

وشذًى من زهرةٍ ناضرةٍ جمّلتْ فى مصرَ أزهَى زهرتين[7]

شرفُ الدوْحَةِ لاقى شرفاً فنما الفرعُ شريفَ المنبِتَيْنْ[8]

قَرّتِ الأعْيُنُ لمّا أنجبتْ مصرُ للدنيا بها قُرّةَ عَيْنْ[9]

ونجا فاروقُها فاستبشرت وصفا الدهر فكانت بُشْرَيَيْنْ[10]

فاجتلت مصرُ مُناها مَرّةً ثم عادت فاجتلتْها مرّتينْ[11]

---

(١) الخافقين : أفقا المشرق والمغرب . المشرقين : مشرقا الشمس فى الصيف والشتاء !

(٤) سؤدد : مجد وشرف . درتين : يقصد ابنة فاروق الأولى فريال وابنته الثانية فوزية .

(٥) التبر : الذهب . اللجين : الفضة .

(٦) لألائه : لمعانه . النيرين : الشمس والقمر .

(٧) شذى : رائحة ذكية .

(١٠) ونجا فاروقها : من حادثة السيارة المشهورة ببلدة القصاصين بمحافظة الشرقية .

كم وَقَفْنا نرتجى البُشْرَى كما يُرْتَجَى بدرُ الدُّجَى فى ليل غَيْنْ[١٢]

واتجهنا نحو عابدين التى أصبحتْ ثالثةً للقِبلتينْ[١٣]

صورةٌ للحُبِّ ما أصدقَها ومن التصوير تزييفٌ ومَيْنْ[١٤]

ومشى أجدادُها فى مَوْكِبٍ زاحَمَ الدهرُ به بالمنكِبَينْ[١٥]

مَوْكِبٌ قد خفَقَت أعلامُهُ وعَلَتْ فوقَ مَناطِ الفَرْقدَينْ[١٦]

لم تَرَ العينُ له مِثْلاً ولا خَطَرَتْ أوصافُه فى أذنينْ[١٧]

يَخْطِرُ التاريخُ فيه مِثْلَما يَخطِرُ الفارسُ بين الجَحْفَلَيْنْ[١٨]

فيه مُحْيِي مصرَ فى أبنائه زينةِ الدنيا وفخرِ المَلَوَيْنْ[١٩]

مَنْ كإسماعيلَ فى آلائهِ أو كإبراهيم حامى الْحَرَمَيْنْ[٢٠]

جَذوةُ الحربِ إذا ما اشتعلَت وبدا الشرُّ وأبدَى الناجذين[٢١]

جَمَعَ الضادَ إلى رايته مُذ رآها أثراً من بعدِ عَيْنْ[٢٢]

بدّدَت دُهْمُ الليالى شملَها والليالى كلُّها من أبَوَيْنْ ![٢٣]

فحباها وَحْدَةً ما عَرَفتْ فى الهَوى حدّاً لأقصى بلدينْ[٢٤]

وصلتْ رضوَى بلُبْنانَ كما مزجت بالنيل ماء الرافِدَيْن[٢٥]

---

(١٢) غين : الغيم .

(١٣) القبلتين : المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى بالقدس .

(١٤) مين : كذب .

(١٥) المنكبين : مثنى منكب وهو العضد والكتف .

(١٦) مناط : بعد . الفرقدين : نجمان قريبان من القطب .

(١٨) يخطر : يمشى مهتزا مزهوا . الجحفلين : الجيشين .

(١٩) محيي مصر : المقصود محمد على باشا رأس الأسرة العلوية التى حكمت مصر حتى قيام ثورة ١٩٥٢ م .
الملوين : الليل والنهار .

(٢١) جذوى : جمرة النار المشتعلة . أبدى : أظهر . الناجذين : الأضراس الخلفية . والمقصود هو أظهر استعداده للقتال .

(٢٢) إشارة إلى سعى ابراهيم باشا فى توحيد الدول العربية .

(٢٣) دهم : ظلمة .

(٢٥) رضوى : هو جبل رضوى الشهير بالحجاز . الرافدين : دجلة والفرات نهران بالعراق .

عَجَباً من آيةٍ كانتْ له ... أصبحتْ بابنِ فؤادٍ آيتيْنْ ![26]

ليس للعُرْبِ سِواه عاهلٌ ... يَبْهَرُ الدنيا بعدلِ العُمَرينْ[27]

زَيّنتْه نشأةٌ طاهرةٌ ... وهو للطُهْرِ وللنشأةِ زَيْنْ[28]

قانِتٌ لله فى محرابِهِ ... لم يَشُبْ آمالَه فى الله رَيْنْ[29]

مَلِكٌ يجتابُ ثوبَىْ مَلِكٍ ... أينَ مَنْ يُشبهُه فى الناس أيْن ؟[30]

سرَقَ النيلُ الندَى من كفِّه ... فأسَالَ التِبْرَ فوق الواديينْ[31]

حُبُّه دَيْنٌ وَدِينٌ للورَى ... يَالَهُ فى الحبِّ من دِينٍ ودَيْنْ[32]

وبنى الملكَ أبوهُ جاهداً ... فَسما فوق بناء الهَرَمَينْ[33]

عَلَوِىُّ العزم إنْ رام العُلا ... لم يضِقْ ذَرْعًا ولم يمسَسْه أيْنْ[34]

رَفَعَ الشِعرَ إلى مَنْزِلةٍ ... لم يَنَلْها فى زمان ابن الْحُسَينْ[35]

دَوْلةٌ قامتْ تُناغِى دوْلةً ... فنعِمْنا فى ظِلال الدولتينْ[36]

رُبَّما فى الشعرِ قامتْ صَفْحةٌ ... بالذى يَعْيا به ذو الصفْحتينْ[37]

إنّما الشعرُ على كثرتِهِ ... لا ترى فيه سوى إحدى اثنتينْ[38]

نفحةٌ قُدْسِيَّةٌ أو هَذَرٌ ... ليس فى الشعر كلامٌ بَيْن بَيْنْ[39]

* * *

سلِمَتْ للتاجِ أصفَى دُرّةٍ ... وأقَرَّ اللهُ عينَ الوالديْنْ[40]

جَمَعَ اللهُ لها الخيرَ كما ... جمَع الدنيا لنا فى مَلِكَينْ[41]

---

(27) العمرين : هما عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما ويضرب بهما المثل فى العدل .

(29) قانت : طائع لله . رين : الرين هنا تغلب الهوى والميول .

(30) يجتاب : يلبس .

(32) الورى : الخلق . دَيْنٌ : حق له .

(34) علوى : نسبة إلى جده محمد على باشا . رام . أراد . لم يضق ذرعا : لم يتململ أو يشكو . أين : تعب .

(35) ابن الحسين : هو احمد بن الحسين أبو الطيب المتنى الشاعر العربى المشهور .

(37) ذو الصفحتين : السيف وله وجهان أو صفحتان .

(40) أقر : أعطاه حتى هدأت نفسه .

تَهنِئَة صَديق

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى حفل زواج صديقه محمد بدر الدين ، فى مايو سنة ١٩١٣ م.

هَـذِى الـدِّيَـارُ وَأَنْتَ شَـاعِـرْ فَـانْـثُـرْ كَـرِيمَاتِ الْـجَوَاهِـرْ[1]
وَافْـعَـلْ كَمَا يُـمْـلِى الْـهَوَى فَـاكْتُمْ حَدِيثَكَ أَو فَجَاهِرْ[2]
هِىَ مَنْ عَـلِـمْتَ مَـكَـانَـهَـا فَـارْبَـأْ بِـنَفْسِكَ أَنْ تُخَاطِرْ[3]
حَـاذِرْ «عَـلِىُّ» وَلَـيْتَ شِـعْـرِى هَـلْ يَـرُدُّكَ قَوْلُ : حَـاذِرْ ؟[4]
حَوْرَاءُ تَسْـرَحُ فِى الْـقُـلُو بِ كَـأَنَّـهَـا مَـرِحُ الْـجَـآذِرْ[5]

* * *

يَـا لَـيْـلَـةً حُـمِـدَتْ بِـهَـا عُـقْـبَـى الْمَوَارِدِ وَالْـمَصَادِرْ[6]
مَـرَّتْ كَـحَسْوَةِ طَـائِـرٍ قِصَـرًا وَكَـرَّاتِ الْـخَوَاطِرْ[7]

---

(٥) حوراء : صفة من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها وهذا من أعظم مظاهر الحسن . وتسرح : تمشى وتنتقل وأصله من سرحت الماشية : تنقلت فى المرعى . ومرح : صفة من المرح وهو الاختيال والنشاط والتبختر. الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسناء من النساء فى جمال العيون واتساعها .

(٦) العقبى : جزاء الأمر. الموارد فى الأصل : جمع مورد اسم مكان من ورد البعير وغيره الماء أى بلغه ووافاه ، المصادر : جمع مصدر اسم مكان من صدر عن الماء أى رجع ، والمراد بالموارد والمصادر الأوائل والنهايات .

(٧) حسا الطائر الماء : جرعه أى شربه . والكرات : جمع كرّة وهى الرجعة . الخواطر : جمع خاطر وهو الهاجس أو حديث النفس .

وَدَّ الْكَوَاعِبُ لَوْ تُمَدُّ بِمَا لَهُنَّ مِنَ الْغَدَائِرْ[٨]
أَوْ لَوْ وَصَلْنَ سَوَادَهَا بِسَوَادِ حَبَّاتِ النَّوَاظِرْ[٩]
نَشَرَ الْجَلَالُ لِوَاءَهُ فِيهَا وَصَفَّقَتِ الْبَشَائِرْ[١٠]
وَطَفَا السُّرُورُ عَلَى الْوُجُوهِ وَدَبَّ مَا بَيْنَ السَّرَائِرْ[١١]
وَأَتَتْ كَمَا يَأْتِي الشَّبَابُ مُبَارَكَ النَّفَحَاتِ نَاضِرْ[١٢]
إِنْ غَابَ فِيهَا بَدْرُ ذِي الدُّنْيَا «فَبَدْرُ الدِّينِ» حَاضِرْ[١٣]

* * *

«أَمُحَمَّدٌ» يَا زِينَةَ الْفِتْيَانِ يَا نَسْلَ الْأَكَابِرْ[١٤]
صَاهَرْتَ أَكْرَمَ أُسْرَةٍ نِعْمَ الْمُصَاهَرُ وَالْمُصَاهِرْ[١٥]
وَظَفِرْتَ مِنْ نِعَمِ الْحَيَاةِ بِنِعْمَةٍ يَا خَيْرَ ظَافِرْ[١٦]
يَا ابْنَ الْأُلَى بَزَّتْ فِعَالُهُمُ الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرْ[١٧]
يَا ابْنَ الْأُلَى كَانَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ مَآثِرْ[١٨]
كَانَتْ رَشِيدُ بِجَدِّكَ الْأَعْلَى تَتِيهُ عَلَى الْحَوَاضِرْ[١٩]
قَدْ كَانَ رِدْءًا لِلْعِبَادِ وَكَانَ مَوْئِلَ كُلِّ عَاثِرْ[٢٠]

---

(٨) ود : تمنى . والكواعب : جمع كاعب وهى الفتاة نهد ثديها أى نتأ . الغدائر : جمع غديرة وهى الذؤابة أى الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر .

(٩) النواظر : جمع ناظر وهو السواد الأصغر من العين ، ويريد بحبة الناظر إنسان العين .

(١٠) الجلال : العظمة . اللواء : العَلَم . البشائر : جمع بشارة وهى اسم من بشره تبشيرًا أى سره وأفرحه .

(١١) طفا : علا . دبّ : سار سيرًا لينًا . السرائر : جمع سريرة وهى السر ، والمراد مواضع السرائر وهى القلوب .

(١٢) النفحات : جمع نفحة وهى الرائحة الذكية . ناضر : جميل .

(١٤) النسل : الولد . الأكابر : جمع الأكبر .

(١٦) الظفر : الفوز وتنكير نعمة للتفخيم ، وفيها تورية لأن اسم العروس «نعمة» .

(١٧) بزت : غلبت وفاقت .

(١٨) المآثر : جمع مأثرة وهى المكرمة .

(١٩) تتيه : تتكبر وتفخر . الحواضر : جمع حاضرة وهى المدينة ، والحاضرة فى الأصل : ضد البادية .

(٢٠) الردء : العون . الموئل : الملاذ والملجأ . العاثر : اسم فاعل من عثر بمعنى زل وسقط .

كَمْ رَدَّ غَائِلَةَ الْمُحَا فِظِ وَالْمُحَصِّلِ والْمُبَاشِرْ[(٢١)]

عَصْرٌ بِجَدِّى ثُمَّ جَدِّكَ كَانَ بِالْعَلْيَاءِ زَاهِرْ[(٢٢)]

سَهِرَا فَنَامَ الْبَائِسُو نَ مُحَصَّنِينَ مِنَ الْمَخَاطِرْ[(٢٣)]

وَتَقَاسَمَا فَضْلَ الْفَخَا رِ وَنَادَيَا هَلْ مِنْ مُفَاخِرْ؟[(٢٤)]

جَدِّى بِعِلْمٍ نَاصِعٍ يَهْدِى وَلَيْلُ الشكِّ عَاكِرْ[(٢٥)]

وَبِمِقْوَلٍ يَفْرِى الحَدِيـ ـدَ وَيَصْرَعُ الْخَصْمَ الْمُكَابِرْ[(٢٦)]

فِى حِينِ جَدُّكَ بِالسَّمَا حَةِ يُخْجِلُ السُّحُبَ الْمَوَاطِرْ[(٢٧)]

دَانَ الزمانُ لِطَوْلِهِ فَأَتَى إِلَيْهِ وَهْوَ صَاغِرْ[(٢٨)]

سَلْ مَنْ رَأَوْهُ فَكُلُّهُمْ لِنَوَالِ «بَدْرِ الدينِ» ذَاكِرْ[(٢٩)]

أَمَّا أَبُوكَ فَقَدْ سَعَى فِى إِثْرِهِ سَعْىَ الْمُثَابِرْ[(٣٠)]

خُلُقٌ كَنَوْرِ الرَّوْضِ بَا كَرَهُ الْحَيَا والروضُ عَاطِرْ[(٣١)]

وَعَزِيمَةٌ أَمْضَى مِنَ الـ أَقْدَارِ فِى حَلَكِ الدَّيَاجِرْ[(٣٢)]

---

(٢١) الغائلة : اسم فاعل من غاله من باب قال إذا أخذه من حيث لم يدر ، أى أهلكه وقتله على غرّة كاغتاله ، والمراد بالغائلة الشر والعسف ، ويريد بالمحافظ والى المدينة وحاكمها ، وبالمحصّل جابى الضرائب ، والمباشر لقب بعض الرؤساء الجبارين فى ذلك العهد .

(٢٢) زاهر : مشرق مضئ .

(٢٥) الناصع : الخالص من كل شىء ، ونصع لونه : أشتد بياضه وخلص . عاكر : اسم فاعل من عكر الشراب ونحوه ، والمراد أنه كثيف الظلام مختلطه .

(٢٦) المقول : اللسان . يفرى : مضارع فرى الشىء إذا قطعه لإصلاحه . يصرع : يكبت ويفحم أى يسكت خصمه . المكابر : المغالب والمعاند .

(٢٧) السماحة : الكرم والجود والعطاء .

(٢٨) دان : ذل وخضع . الطول : الفضل والقدرة والغنى والسعة . صاغر : ذليل خاضع .

(٣١) النور : الزهر . الروض : جمع روضة . باكره : أتاه بكرة ، والبكرة أول النهار . الحيا : المطر . عاطر : اسم فاعل من عطر أى تطيب .

(٣٢) العزيمة : الإرادة القاطعة القوية ، أمضى : أنفذ وأقطع . الأقدار : جمع قدر وهو ما يقدر على الإنسان فى حياته . الحلك : شدة السواد . الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام .

بَـطْشُ كَـبَـطْشِ الـلَّـيْـثِ أَغْـ ـضَبَهُ الطوَى واللَّيْثُ خادِرْ[٣٣]

نـزَلَتْ مَـحَـبَّـتُـهُ الْـقُـلُو بَ وَأقْسَـمَتْ أَلاَّ تُـغـادِرْ[٣٤]

هُوَ خَـيْـرُ مَنْ هَـزَّ الْـيَـرَا عَ وَهَـزَّ أَعْوَادَ الْـمَـنـابِـرْ[٣٥]

فَـإذا انـبَـرَى لِـلْـقَوْلِ كـا نَ لَهُ مِنَ التوْفِيقِ ناصِرْ[٣٦]

فَـتَـكـادُ تَـأْكُـلُـهُ الـنـفُو سُ هَوًى وتَشْـرَبُـهُ الضمائِـرْ[٣٧]

«أعـــلـىُّ» إِنَّكَ أنْتَ أَكْـ رَمُ نـابِـهٍ فِـيـنـا وكـابِـرْ[٣٨]

إنْ عُــدَّ أَبْــطَـالُ الـرجـا لِ فَـأَنْتَ أَوَّلُـهُـمْ وآخِـرْ[٣٩]

---

(٣٣) البطش : الأخذ بالعنف . الليث : الأسد . الطوى : الجوع الشديد . خادر : مقيم فى خدره وهو عرينه

(٣٥) اليراع : جمع يراعة وهى القصبة ، والمراد باليراع الأقلام التى تتخذ من القصب عادة . الأعواد : جمع عود وهو الخشب .

(٣٦) انبرى : اعترض وتصدى .

بهجة الأفراح

أقامت مصر موكبا للزهور احتفالاً بزواج الأمبراطورة السابقة فوزية من إمبراطور ايران السابق محمد رضا بهلوى عام ١٩٣٩ م وأعدت جريدة البلاغ لهذه المناسبة عربة زينت بالورود . كتبت عليها بالأزهار هذه الأبيات :

هَنِّ إيـرانَ بـالـقِـرانِ ومِصْـرَا ... واملأ الـكونَ بـالـبشـائِر عِـطْرَا (١)

وانـثُـرِ الشِّـعْـرَ لـلـعـروسيـنِ زَهْرًا ... وانـظـمِ الزَّهْرَ للعروسين شِعْرا (٢)

بَـزَغَتْ فى مشـارقِ المجدِ شَـمْسًـا ... وبـدَا فى مـطـالِع السعدِ بَدْرا (٣)

شَـرَفٌ يـبـهَـرُ الـسـمـاءَ وعِـزٌّ ... يمتـطى هـامـةَ الـكواكبِ زُهْرا (٤)

سَطعَ «الفوْزُ» و«الرضا» بين تاجَيْـ ... ـنِ أعـادا لـلشرقِ عِـزًّا وذِكْـرا (٥)

وتلاقَى مجدٌ بـنـاه بـنـو الـنـيـ ... ـلِ بمجـدٍ بـنـاه دارا وكِسْـرَى (٦)

تهـنـئـات «الـبـلاغ» وهى ولاء ... صوَّرتها يـد الـطـبـيـعـة زهـرا (٧)

---

(٣) بزغت : طلعت . مطالع السعد : موضع طلوع السعادة والهناء .

(٤) يبهر : يضئ . يمتطى : يركب . وفيه استعارة بالكناية . هامة الكواكب : قمّة الكواكب . زهرا : نجوما مضيئة لامعة .

(٥) الفوز : الظفر بالخير . الرضا : الرضوان والارتضاء . وهنا أشارة الى اسمى العروسين . الأميرة فوزية والأمير رضا بهلوى شاه ايران .

(٦) دارا : من ملوك الفرس . كسرى : لقب ملوك الفرس .

(٧) البلاغ : هى جريدة البلاغ . ولاء : طاعة واخلاص .

دُعـابَـة

عام ١٩٣٨ م.

ضَـمّنى مجلسُ أنسٍ زانـه ... صـفوةٌ من نُـجباء الأصدقاء[١]

منطقُ الهزل بـه جِـدٌّ، وكـمْ ... نَطق الْجِدُّ به القول الهُراء ! [٢]

فـتطارحْنا حـديثًا عَـجَبًا ... فيه للروحِ وللعقلِ غِذاء[٣]

وتـجاذبْنا فـنونًا جَـمَعتْ ... طُـرَفًا مِـمَّا رواه الأدباء[٤]

ثم رُمْـنا أن نحاجى سـاعَـةً ... لنُريحَ النفسَ من كَدِّ العَناء[٥]

قلت : من يبدأُ ؟ قالوا : فابتدئ ... أنت ، فالكلُّ لما تُلْقى ظِماء[٦]

قلت للنحويِّ : قل ، قال : وهل ... تركت «حتّى» لنفسى من ذَماءٍ ؟[٧]

قلت : فليأت البديعيُّ بما ... شاءت الفِطْنةُ من لُغْزٍ وشاء[٨]

قال : أتقنتُ بديعى كُلَّه ... غيرَ نوعٍ هو «حسنُ الابتداء»[٩]

---

(١) نجباء : كرماء شرفاء عظام .

(٢) القول الهراء : القول الهزل .

(٥) نحاجى : نتبارى فى الأحاجى وهى الألغاز .

(٦) ظماء : متعطشون .

(٧) حتى : اضطربت أقوال النحاة فى معانى حتى وفى اعرابها حتى لقد أثر عن «الفراء» أنه قال أموت وفى نفسى شىء من حتى . من ذماء : من بقية روح .

(٨) البديعى : وهو العالم فى علم البديع والبلاغة . الفطنة : الذكاء . شاء : أراد .

قلت للصرفيّ : فابدأ . قال : قد عاقنى الإعلالُ فى « ريحٍ » و « شاء »[١٠]
ثم قالوا : قل ولا تُكْثِر فمن أكثر القول أملّ الْجُلَساء[١١]

* * *

قُلت من يُعرَفُ عِلمًا وحِجًا وذَكاءً وسماحًا فى رِداء[١٢]
يملأ الدنيا حياةً إن بدا كوكبًا يسطع فيّاضَ الضياء[١٣]
فأجابوا : الشمسُ ؟ قلتُ انتبهوا ليس للشمس نوالٌ وذَكاء[١٤]
ثم قالوا : زد ، فناديت وما مَوْرِدٌ قد راح فى الناس وجَاءَ ؟[١٥]
موردٌ يمشى إلى قُصَّادِهِ فيه رِيٌّ وحياةٌ وشِفاء[١٦]
فنأوا عنّى وقالوا : عَجَبٌ كيف يمشى مثلَما تزعُمُ ماء ؟[١٧]

* * *

قلتُ : هل أبصرتُمُ جِسمًا يُرَى للإخاء المحضِ أو صِدْقِ الوفاء ؟[١٨]
لِلعلا للفضلِ للدينِ وللأ دبِ الجمّ جميعًا والإباء ؟[١٩]
فأجابوا : قد عَجَزنا ، قل لنا ذاك فى الأرض يُرَى أم فى السماء ؟[٢٠]
قلت : فى الأرضِ ، وللأرضِ بهِ ويحكم ، أىُّ ازدهارٍ وازدهاء ![٢١]
هو فى الطبِّ « أبقراطُ » وفى حَلْبَة الشعرِ إمامُ الشعراء[٢٢]

---

(١٠) الصرفى : عالم الصرف وهو من علوم اللغة العربية . الإعلال : باب فى علم الصرف وهو من أهم أبوابه . فى ريح وشاء : فى ريح اعلال بقلب الواو ياء . أما شاء وهو جمع شاة فأصل الهمزة فيه هاء .

(١٣) فياض : كثير .

(١٤) نوال : عطاء . ذكاء . حدة القلب وقيل الاشتعال .

(١٥) مورد : منهل .

(١٦) رى : ارتواء ـ ماء .

(١٧) فنأوا : بعدوا .

(١٨) المحض : الخالص .

(١٩) الجم : الكثير .

(٢٢) ابقراط : فيلسوف وطبيب يونانى قديم وله قسم يعرف بقسم أبو قراط يقسمه الأطباء عند بدىء اشتغالهم بمهنة الطب .

وإذا أعــطى أبــيْــتُــم أَنَــفًــا أن تعُدُّوا «حاتِمًا» فى الكرمَاءْ[٢٣]
فـأجابوا : اكشف لنا ، حَيَّرتنا عن أحاجيك إن شئتَ الغِطاء[٢٤]
قـلت : كلاَّ فـانـظـروا وانـتبهوا ليس فى الأمر التباسٌ أو خَفاء[٢٥]

* * *

هــل رأيتم دَوْحَــةً مُـثـمـرةً كلَّ آن فى صباحٍ أو مَساء؟[٢٦]
هى فى الصـيف ظِلالٌ ونَـدى وهى دفءٌ وحَـنـان فى الشتاء[٢٧]
يجدُ الـبـائسُ فى سـاحتهـا مَوئلاً حُلْوَ الْجَنَى رَحْبَ الفِناء[٢٨]
سـألونى : محسنٌ؟ قـلت : نـعم ملجأ القُصّادِ كهفُ الفقراء[٢٩]
ثم قالوا : شاعرٌ؟ قلت : أجل شِـعْـرُه الـدرُّ بهاءً وصَـفـاء[٣٠]
ثم قـالوا : زاهـدٌ؟ قـلت : نـعم عـنـده الدنيا وما فيها هَبَاء[٣١]
فـأشـاروا : قِفْ عـرفـنـاه ، وهل يُجْهَلُ البدرُ؟ فما هذا الغَباء؟[٣٢]
عَـجَـبًـا حِـرنـا ولم نـفـطُنْ لـه واسمُهُ كالصبح نورًا وجَلاء![٣٣]
لا نُســمِّـيـه فـيـكفى وصـفُـه فـيـه عن كُلِّ تعريفٍ غَـنـاء[٣٤]
قُـم وسـجِّـل فضلَـه واهتِفْ بـه وابتكِرْ ما شئتَ فيه من ثناء[٣٥]

---

(٢٣) أبيتم : رفضتم . أنفا : عظمة وكبرياء . حاتما : هو حاتم الطائى الذى ضرب به المثل فى الجود والكرم .

(٢٤) أحاجيك : الغازك .

(٢٨) موئلا : ملاذا . حلو الجنى : حلو الثمر . رحب الفناء : متسع الجوانب .

(٣١) هباء : تراب دقيق لا يرى .

(٣٤) غناء : استغناء .

إلى أنطون الجميّل

بعث الشاعر بهذين البيتين إلى صديقه الأستاذ أنطون الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام وعضو مجمع اللغة العربية بمناسبة حصوله على رتبة الباشوية عام ١٩٤٦ م .

حينما نِلتَ آبداتِ المعالى ... وشفَيْنا المُنَى وكانَتْ عِطَاشَا[1]

قال لى الشعرُ: قمْ وسجِّلْ وأرِّخْ ... أىُّ بُشْرَى ! غدا الجميِّلُ باشا[2]

١١ ٥١٢ ١٠٠٥ ١١٤ ٣٠٤

١٩٤٦

---

(١) آبدات : خالدات . شفينا : سقينا .

الفيـوم

كانت زيارة من الشاعر لمدينة الفيوم حينما كان والده ـ رحمه الله ـ قاضيًا للمحكمة الشرعية بها فراعه ما أفاض الله سبحانه وتعالى عليها من جمال وأسعده ما اتصف به أهلها من وفاء فجاءت هذه الأبيات معبرة عمّا يجيش فى نفسه من مشاعر عام ١٨٩٨ م . :

سـاكـنِى الـفـيومِ إنِّى ذاكـرٌ	عـهدَكُمُ ، والذكر فى البعدِ وفَاءْ[١]
كـم شـدَا شـعرِى على دوحتِكُمْ	أىَّ شـعـرٍ غَـرِدٍ؟ أىَّ غِـنَاءْ ! ؟[٢]
بـلـدٌ كـالـزهـرِ حُسـناً وشَـذاً	بـيـنَ أظلالٍ وأنْـسـامٍ ومَـاءْ[٣]
مـثـل خـدِّ البـكـرِ فى تـلـوينـهِ	تـرتـدى فى كُـلِّ حـينٍ بـردَاءْ[٤]
فـهىَ بـالأمسِ سِوَاهَـا فى غـدٍ	وهىَ فى الصبح سِواهَا فى المَساءْ[٥]

---

(١) عهدكم : وصيتكم ـ ميثاقكم .

(٢) شدا : غنى بصوت حسن . دوحتكم : حديقتكم ذات الشجر الكبير .

(٣) شذا : رائحة العطر النفازة .

(٤) رداء : ثوب .

جورجي زيدان

أحد مؤسسي «دار الهلال» كان أديباً بارعاً وروائياً لامعاً قرأ له الشاعر منذ نعومة أظفاره، فنظم من أجله هذه الأبيات، تقديرًا وعرفانا عام ١٩٤٦ م :

رُدّا شَبَابِى ، وَرُدّا عهدَ زيدانِ ... ومِنْ روَائع ما أَمْلاَهُ زيدانى [(١)]

قرأتهُ ورياضُ العُمْرِ وارفةٌ ... فكانَ منهُ ومن سنِّى شبابَان ! [(٢)]

فى ضوءِ خافقةٍ فى الريف شعلتها ... كالسِّر ما بينَ إعلانٍ وكِتْمانِ [(٣)]

بدت بها زُمُرُ الأبطالِ ماثلةً ... تطوى القرونَ لألقاهَا وتلقانى [(٤)]

من كلٍّ ما شَادَ للإسلام مملكةً ... أبقى على الدهرِ من رضوى وثهْلانِ [(٥)]

للعُرْب «بالضادِ» إيمانٌ يُوحِّدهم ... كانُوا لعدنانٍ أو كانُوا لغسّانِ [(٦)]

ماخطّ «زيدانُ» أسطاراً على صُحفٍ ... لكن جلا صُوَراً من صُنْعِ فنّانِ [(٧)]

قد كانَ أوّل مُرتادٍ لأمّته ... والخلدُ فى هذه الدنيا لَهُ ثانى [(٨)]

---

(٢) وارفة : ممتدة الظل .

(٣) خافقة : مضطربة متحركة والمقصود هو مصباح الجاز الذى كان يستعمل فى الأرياف للإنارة .

(٤) زمر : جماعات .

(٥) رضوى : جبل رضوى الشهير بالحجاز . ثهلان : جبل مشهور أيضا .

(٦) الضاد : اللغة العربية . عدنان : أبو العرب المسلمة . غسان : أبو العرب المسيحيين .

(٧) جلا : أوضح .

(٨) مرتاد : نافع - رائد .

بــاريــس

يتألم الشاعر لذكرى سقوط باريس فى الحرب العالمية الثانية ، ويتحسر لسرعة استسلامها . ثم يذكر إنقاذ الحلفاء والفرنسيين الأحرار لها من أيدى الألمان عام ١٩٤٤ م فضمّن هذه القصيدة مشاعره وخوالج نفسه .

عُـرْسٌ أقـيـمَ على الـدمِ المسفوكِ ... أأُرَدِّدُ الألحانَ أم أبـــكـــيكِ ؟[١]
بـاريسُ حـيَّرْتِ القريضَ ، فـمَّرةً ... يشـدو ، وحـينـاً والِهـاً يَرْثيك[٢]
نهكَتْكِ داهيةُ الْخُطوبِ فلم تَدعْ ... لـلـفوْزِ غـيـرَ حُشـاشـةِ المنهوك[٣].
إنْ كـان مـا تـعْنِى الحياةُ تـنفُّساً ... « فـالعيشُ خَيْرٌ فى ظِلالِ النوكِ »[٤]
لَهفى عليكِ ! ولهفَ شعرى ! ما الذى ... لاقـيـتِ من جَـبَـريّـةٍ وفُـتوكِ ؟[٥]
مـا بين ظُـلْـمٍ كـالمنونِ مُـحـجَّبٍ ... عـاتٍ ، وظـلـمٍ كـاسمِـه مهتوك[٦]
ألـقـيتِ نـفسَكِ لـلطُغاةِ غنيمةً ... ومضَى القضاءُ فعزّ مَنْ يُنْجيكِ[٧]
جُـرْحُ الهزيمةِ لا تَـجِفُّ دِمـاؤُه ... وتـجِفُّ داميةُ القنا المشكوك[٨]
نـاديْتِ لا « بـيـتانُ » فى تِسعينهِ ... مُصْغٍ ، ولا « لا فالُ » بين ذَويك[٩]

---

(٢) القريض : الشعر . والها : مستجيرا حزينا جزعا .

(٣) نهكتك : أتعبتك . داهية الخطوب : الأمور الشديدة . حشاشة : حشوة البطن ــ بقية الروح . المنهوك : المكدود ــ المتعب .

(٤) النوك : الحمق .

(٥) جبرية : التجبّر والكبرياء . وفتوك : القتل غيلة .

(٦) كالمنون : كالموت . محجب : مستور . عات : متكبر مجاوز للحد . مهتوك : مقطوع ــ مفضوح .

(٨) دامية : الشجة تدمى ولا تسيل . القنا : الرماح . المشكوك : الداخل فى الجسم .

(٩) بيتان ولا فال : قائدان فرنسيان لجيوش الحلفاء (انجلترا وفرنسا وأمريكا) فى الحرب العالمية الثانية ضد دولتى المحور (المانيا وإيطاليا) .

ولقيتِ من عَسْفِ العدوِّ وكيدِه ... دونَ الذى لاقيتِ من أهليكِ ! [١٠]
وَلَّى الحُماةُ فما أجابوا دعوةً ... لمّا دعاهم للردَى داعيك [١١]
تركوك للموتِ الزُّؤام وأدبروا ... ياليتَهم للموتِ ما تركوك ! [١٢]
ومضَوْا حيَارَى ذاهلين. فما رأوا ... كَفَّيْكِ ضارِعةً، ولا سمِعوك [١٣]
قَذَفوا السلاحَ فصَبَّه أعداؤُهم ... غُلاًّ. فكاد حديدُه يُرْديك [١٤]
ونُعِيتِ للدنيا فشبَّتْ لوعةٌ ... أصلَى القلوبَ بحرِّها ناعيكِ [١٥]

* * *

وَيلَ الشبابِ من النُعومةِ إنَّها ... أعراضُ سُمٍّ للشعوبِ وشيك [١٦]
ما أتعسَ الزمنَ الجديدَ بِفِتْيةٍ ... قتلوه فى التصفيفِ والتدليك ! [١٧]
قَلْبٌ كقُرْطِ الغانياتِ مُفَزَّعٌ ... وإرادةٌ من حَيْرةٍ وشُكوك [١٨]
عاشوا صعاليكَ الحياةِ وليتَهم ... فازوا بصِدقِ عزيمةِ الصُّعْلوك ! [١٩]
أبقتْ ليالى الأنسِ من أخلاقِهم ... فزعَ النعامةِ وازدهاءَ الديك [٢٠]

* * *

باريسُ هالَتْكِ الدماءُ غزيرةً ... فسَقَطْتِ بين نِصالِ جزّاريك ! [٢١]
خِفْتِ القذائفَ أن تهدَّ معالمًا ... فتهدَّمَ التاريخُ فى أيديك ! [٢٢]

---

(١٠) عسف : ظلم . دون : أقل .

(١١) الحماة : الذين يدافعون عن حماك . للردى : للموت .

(١٢) الزؤام : الكريه . أدبروا : فروا .

(١٣) ضارعة : متوسلة . مبتهلة داعية .

(١٤) غلا : حقدا وكراهية . يرديك : يغتالك ويهلكك .

(١٥) نعيت : جاء خبر موتك (هزيمتك) . شبت : توقدت . أصلى : أحرق . بحرّها : بحرارتها . ناعيك : الذى جاء بخبر سقوطك وهزيمتك .

(١٦) وشيك : سريع الحدوث .

(١٧) قتلوه : قضوا عليه والمقصود أضاعوا وقتهم . التصفيف : تنظيم الشعر . التدليك : دلك الجسم بالطيب .

(١٨) قرط : ماتتحلى به النساء ويوضع فى شحمة الأذن . مفزع : خائف .

(٢٠) ازدهاء : افتخار .

(٢١) هالتك : أفزعتك . نصال : جمع نصل وهو حد السكين .

ماكان أحرىَ لو دُكِكْتِ إلى الثرىَ ... وتركتِ ذِكْرًا ليس بالمدكوكِ ! (٢٣)

ما بُرجُ «ايفلَ» حين يسلَمُ مانِعٌ ... هَمْسًا يطِنُّ غداً بأذْنِ بنيك (٢٤)

لو طال صبرُكِ فى المكارهِ ساعةً ... لرأيتِ أنّ الموتَ قد يُنجيك (٢٥)

إنّ الذى خلَق الكرامةَ صانها ... بالسيفِ يمحو رأْىَ كُلِّ أفيك (٢٦)

بين المهانةِ والمَعَزّةِ خُطوةٌ ... فإذا ضلِلْتِ فقُلْ مَنْ يَهديك (٢٧)

شتانَ بين فتًى يموتُ مجالِداً ... وفتًى يموتُ بجُرْعةِ « الفينيك » ! (٢٨)

شتّى أساليبُ الحياةِ ، ولا أرَى ... للمجدِ غيرَ طريقهِ المسلوك (٢٩)

سِرُّ البطولةِ فى الشدائدِ جُرْأةٌ ... سيّانِ : تَفرِى الخطبَ أم يَفريك (٣٠)

قد كنتِ فى « السبعينَ » أكرَم موقفاً ... والغانياتُ بشَعرِها تفديكِ (٣١)

* * *

باريسُ ، قد ضَربَ الثباتُ بلندُنٍ ... مَثَلاً إلى أمثالِه يدعوك (٣٢)

عبَستْ لهم « دنكركُ » فاقتحموا الردَى ... ومشَوْا بوجهٍ للمنونِ ضحوك (٣٣)

واستقبلوا نُوَبَ الزمانِ ضراغماً ... لما تخلّف عاهِلُ « البلجيك » (٣٤)

جعلوا الهزائِمَ سُلّماً ، فتسلّقوا ... للنصرِ فوقَ جماجمٍ وترِيك (٣٥)

---

(٢٣) أحرى : أجدى . دككت : سويت بالأرض .

(٢٤) برج ايفل : هو برج عظيم وأحد معالم باريس . يطن : يسمع (والطنين صوت الذباب) .

(٢٦) أفيك : كاذب فاسد الرأى .

(٢٧) ضللت : بعدت عن الرشاد .

(٢٨) مجالدًا : مجاهدا ومقاوما . جرعة : كمية صغيرة . الفينيك : سائل مطهر مبيد . ويموت بجرعة الفينيك يقصد يموت منتحرا .

(٢٩) شتى : كثيرة . أساليب : طرق . المسلوك : السائر فيه .

(٣٠) سيان : يستوى . تفرى : تقطع وتمحو . الخطب : الشدة .

(٣١) السبعين : حرب السبعين الشهيرة .

(٣٣) دانكرك : مدينة ساحلية بفرنسا تجاه انجلترا اشتهرت بمعركة انسحاب جيوش الحلفاء (انجلترا وفرنسا) من فرنسا إلى انجلترا فى الحرب العالمية الثانية .

(٣٤) نوب : مصائب . ضراغما : أسودا . عاهل البلجيك : ملك بلجيكا .

(٣٥) تريك : جمع تريكة وهى خوذة لوقاية الرأس فى الحرب .

أصْلَتْهُمُ الهيجاءُ نارَ جحيمها ... فتخلّصوا كالعَسْجدِ المسبوكِ[٣٦]
لو أنّهم وهَنوا لزالتْ ريحُهم ... وقضَوْا عبيدَ الذُلِّ والتفكيك[٣٧]
ولمّا رمى «شرْ بْرَجَ» منهم جَحْفَلٌ ... فى مأزقٍ كفمِ الليوثِ ضَنيك[٣٨]
ولما رأت «روما» طلائعَ نجدةٍ ... تشرى المحامدَ بالدمِ المسفوكِ[٣٩]
ولما مضى «روميلُ» يلعَقُ جُرْحَه ... ويجرُّ ذيلَ العاثرِ المفلوك[٤٠]
ولما جرتْ فى البحرِ تخطِرُ سُفْنُهم ... من آخرِ «الهادى» إلى «البلطيك»[٤١]

* * *

باريسُ — والذكرىَ جحيمٌ — فانظُرِى ... نحوَ السماءِ لعلّها تُنسيك![٤٢]
وتَذكّرِى ماضيكِ فهو مَجادةٌ ... قد كان أستاذَ الوَرى ماضيك[٤٣]
ياأُمَّ «هوجو» كلُّ شِعْرٍ يَرْتَجى ... لو كان يَلْقَى وَحْيَه من فيك[٤٤]
أشعلتِ مِصباحَ الفُنون فأشرقت ... بضيائه الأيامُ بعد حُلوك[٤٥]
فيكِ الثقافةُ بالمجانةِ تلتقى ... ماذا أقولُ وكُلُّ شىءٍ فيك؟[٤٦]
ياكعبةَ الدنيا، ويانادى الهوَى ... الآنَ كيفَ الحالُ فى ناديكِ؟[٤٧]

---

(٣٦) أصلتهم : أصابتهم . الهيجاء : الحرب . العسجد : الذهب . المسبوك : المذاب .

(٣٧) وهنوا : ضعفوا . زالت ريحهم : هزموا . قضوا : حكم عليهم . التفكيك : التفرق .

(٣٨) شربرج : قائد فى الحرب العالمية الثانية . الليوث : الأسود . ضنيك : ضيق .

(٣٩) تشرى : تشترى . المحامد : الخصال الحميدة .

(٤٠) روميل : قائد ألمانى شهير هُزم فى معركة العلمين الحاسمة فى الحرب العالميه الثانية . يلعق : يلحس . العاثر : الساقط المهزوم . المفلوك : البائس المسكين .

(٤١) تخطر : تسير متبخترة . الهادى : المحيط الهادى . البلطيك : بحر البلطيك .

(٤٢) جحيم : نار عظيمة .

(٤٣) مجادة : مجد وشرف . الورى : الخلق .

(٤٤) هوجو : فيكتور هوجو شاعر فرنسى عظيم وصاحب قصة البؤساء الشهيرة . يرتجى : يأمل فيه . يلقى وحيه : يستقبل ويأخذ الهامه . من فيك : من فمك .

(٤٥) أشعلت : أنرت . حلوك : ظلام .

(٤٦) المجانة : اللهو .

(٤٧) ياكعبة الدنيا : يا مقصد كل العالم .

أتَــرىَ الــبلابِــلُ لاتــزالُ صَـوادحـاً ... أم راعها الغِربانُ فى واديكِ؟[48]

والــغــانــيـاتُ؟ أفُــزِّعتُ أسرابُــهـا ... وتَفَرّق السُّمـارُ عن شاديك؟[49]

طَلَعتْ عليكِ مع الصباح فوارسٌ ... ومشَى الـغـريـمُ لحقِّـه المتروك[50]

طاحوا بقيدكِ فى الهواء، وكم لهم ... مِـنَـنٌ على المأسورِ والمملوك؟[51]

وجـنـودُكِ الأحـرارُ تستبقُ الخُطا ... لِـتَـردَّ صـفـعـتَـها إلى غازيك[52]

فـتـفـرّق الأعـداءُ عَـنْكِ بَـدائـدًا ... والـطعنُ فوقَ قفاهُمُ المصكوك[53]

سُبحانَ من لا حُكْمَ إلاَّ حُكمُهُ ... يُـمضِى إرادتَـه بـغير شريك[54]

عُودى إلى ظِـلِّ السلامِ وأشْـرِقى ... كالشمسِ تعلو الأفْقَ بعد دُلوكِ[55]

واستقبلى الدنيا جديداً واعلمى ... أنّ الأسَى والحزنَ لا يُـجـديك[56]

قَـدَرُ الإلـهِ إذا كـرِهْتِ لـقـاءه ... فلعَلَّ فى عُقْباه ما يُرضيك[57]

---

(٤٨) صوادحًا : مغرّدات بصوت جميل . الغربان : طيور سوداء صوتها مزعج وشكلها مقبض .

(٤٩) أسرابها : جماعات . السُّمار : المتحدثون ليلا للتسلية .

(٥٠) الغريم : المقصود جيوش الحلفاء التى هاجمت أوروبا بعد هزيمتها فى دنكرك وحاربت الالمان وهزمتهم وخلصت فرنسا ودول أوروبا الغربية من الاحتلال .

(٥١) منن : أيادى بيضاء .

(٥٢) جنودك الأحرار : يقصد جيشها الحر الذى كونه الجنرال ديجول لمحاربة الألمان . غازيك : محتلك وهم الألمان .

(٥٣) المصكوك : المضروب .

(٥٥) دلوك : زوال وغروب .

(٥٧) عقباه : آخرته .

مُعــــاهـدة ١٩٣٦ (*)

نُشرت بالعدد الثالث من السنة الثالثة لمجلة دار العلوم عام ١٩٣٧ م .

تقــــديم :

يصدر هذا الجزء من صحيفة دار العلوم ، وقد حقق الله لمصر ما كانت ترجوه وتجاهد فى سبيله جهاد الكماة فى حومة الوغى ـ ألا وهو الاستقلال الذى كانت تصبو إليه النفوس وتتجه الآمال ـ وانتهى ذلك الكفاح ، الذى طال أمده بين دولة قوية تملأ جنودها البر وسفنها البحر وطيرانها الفضاء ، وبين مصر الفتية الناهضة ، التى لم يكن لأبنائها من عدة ، سوى ما يعمر قلوبهم ، من إيمان ثابت وعقيدة راسخة بأن من حقهم الطبيعى أن يعيشوا أحرارًا ، كما خلقهم الله أحرارًا ، أو يموتوا كرامًا بين طعن القنا وخفق البنود .

فنى سبيل مصر تلك الدماء الزكية التى خضبت الأرض ، وفى ذمة الله تلك الأرواح الطاهرة ، التى قدمها شباب الوادى فداء للوطن العزيز .

لقد استقلت مصر فشملها الفرح وعمها السرور ولم ينس أبناؤها الأمجاد ـ وهم فى نشوة النصر ـ ما للزعماء عليهم من حق فقاموا يتناقشون فى صنوف التكريم ، ويتخذون مظاهر شتى لتقديرهم ، والاعتراف لهم بكل ما قدموا من خير لبلادهم .

وكان من أروع حفلات التكريم ، تلك الحفلة التى أقامها الموظفون لحضرة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا وصحبه المخلصين الذين أبلوا فى سبيل الاستقلال بلاء حسنًا ، فقد جمعت الحفلة جمهرة من خيرة المثقفين فى مصر ، وكان لأبناء دار العلوم حظ فى اشتراك جمهورهم فيها ، وكان لشاعرهم الفذ ، الأستاذ على الجارم بك ، المفتش الأول للغة العربية فى وزارة المعارف قصيدة من أمهات القصائد ، عبر فيها عما يكنون بين جوانحهم من وطنية صادقة وتقدير للعاملين لخير الوطن من رجالات مصر ؛ وإن مصر لتبدأ

(*) وهى اتفاقية « مونترو » التى أبرمها مصطفى النحاس باشا عندما كان رئيسًا لوزراء مصر عام ١٩٣٦ م . بين مصر وانجلترا ثم قام بالغائها عندما كان رئيسًا لوزراء مصر عام ١٩٥١ م .

هذا العهد الجديد بقلب فتى وهمة وثابة ، وهى ترقب من جميع أبنائها أن يشدوا العزائم ويؤدوا للوطن ما يرفع شأنه ويعلى مكانته .

وإننا ـ معشر المعلمين ـ لنعاهد الوطن على أن نسير فى إعداد الجيل الحاضر إعدادًا أساسه التفانى فى حب الوطن والإخلاص لأهله والعمل لخيرهم جميعًا .

وهذه قصيدة صاحب العزة الأستاذ الكبير على الجارم بك ننشرها فى صدر الصحيفة :

أَبَتْ أعلامُ مَجْدِكَ أنْ تُسَامَى ... وعَزَّتْ هِمةٌ لكَ أنْ تُراما[1]

تُحَلِّقُ للنجومِ فتَعتليها ... وتَبْغِى فَوقَ دَارتِها مَقاما[2]

بَعثْتَ الشَّرْقَ يَبْسُط ساعِدَيْه ... وَ يمسَحُ عن مَحاجِرِه المناما[3]

تمرُّ بصخرِهِ الأهوالُ حَسْرَى ... وتَخْشى الحادثاتُ به اصطداما[4]

وصَارتْ مصرُ قِبلةَ كُلِّ شَعْبٍ ... وقامَ المصطفى فيها إماما[5]

على دِينٍ من الأخلاقِ سَمْحٍ ... ورأيٍ ساطعٍ يمحو الظلاما[6]

وعزمٍ لو رمى جَنَبَاتِ رضوَى ... لَدُكَّ الطَّودُ وانهدمَ انهداما[7]

تطوفُ به الحوادثُ صاغِراتٍ ... فتُغْضِى أعْيُنًا وتخرُّ هاما[8]

نضاهُ اللهُ يومَ نضاهُ عَضْبًا ... يردُّ مَضاؤُهُ الجيشَ اللُّهاما[9]

يُصاحِبُه من الإيمَانِ قَلْبٌ ... ونَصْرُ اللهِ يتبعُه لِزاما[10]

ويَصْقُله الصِّدامُ المُرُّ حتى ... ظَنَنا أنه يَهْوَى الصِّداما[11]

وكَمْ فى الناسِ مِنْ سَيْفٍ صَقيلٍ ... تَراهُ ـ إذا دعا الداعى ـ كَهاما[12]

* * *

نَهَضْتَ بمطْلَبٍ وَعْرٍ جَسيمٍ ... فنِلْتَ بنَيلِهِ الشَّرَفَ الجُسَاما[13]

---

(١) تُسامى : تصل الى مستواها فى الرفعة والسمو . تُرامى : يريدها وينالها أحد .

(٢) تحلّق : تصل إلى عُلو النجوم .

(٣) يبسط : يمد . محاجره : كناية عن عيونه .

(٧) رضوى : جبل شهير بالحجاز . الطود : الجبل العظيم .

(٨) تغضى : يُخفض من نظره فلا يتمكن من الرؤيا . تخرُّ : تسقط وتتكسر . هاما : قمم .

(٩) نضاه : جرده من قرابه . عضبًا : كناية عن القوة . مضاؤه : سلاحه الحاد .

(١٢) صقيل : مصقول ـ قوى حاد . كهاما : كناية عن التفتت والاندثار .

تَخُوضُ له الصِعابَ الصُّمَّ خَوْضًا … وتَقْتَحِمُ الخطوبَ لهُ اقتحاما[١٤]

وتــزْأرُ دُونَــه زَأْرَ ابنِ غــابٍ … أبِىٌّ أنْ يُسَـاوَمَ أو يُسَـاما[١٥]

ومَنْ كـالمصــطفى لـلـحقِ رِدْءًا … إذَا الرِّعديدُ دونَ الحقِّ ناما؟[١٦]

ومَنْ طَلَبَ العُلا فى اللهِ أَلْقَى … إلـيـهِ شامِسُ الدَّهرِ الزِماما[١٧]

* * *

جَـفَا الدُنيا ، وهامَ بحُبِّ مِصرٍ … هُـيـامًـا أَلْـهَـمَ الصَّبَّ الهيـاما[١٨]

تـلوذُ بـه ، فـيـكـلؤها كَرَيمًا … وتَـرْجوهُ ، فـيـنصُـرُهـا هُماما[١٩]

ويـنـفَـحُ دونَـها فى الحَقِّ سَيفًا … ويَـهْـمِى فى مـرابِـعـهـا غماما[٢٠]

محامِـدُ ، لو حَواهـا الشـعرُ رَقَّتْ … حواشى الشعرِ، وانسجمَ انسجاما[٢١]

وآمـالٌ ، يُـتَـوِّجُ مُـبـتـغـاهـا … تمامٌ ، عَـلَّـمَ الـبـدرَ التماما[٢٢]

لـقــدْ ضـاقَ الحسودُ بما يُلاقى … ومَنْ ذا يكشِفُ الداءَ العُقاما؟[٢٣]

ومـا عَيْبُ الضِياءِ وقد تجَلَّى … إذا عَمِىَ المُكابِرُ ، أو تَعامى؟[٢٤]

إذا اعتصمَتْ بحبلِ اللهِ نَفسٌ … دَنا الغرضُ البعيدُ وقَدْ ترامى[٢٥]

وذُلِّلتِ السبيـلُ ، ودَانَ طَوْعًا … من الآمالِ أصْعَبُهـا مَراما[٢٦]

ومِنْ كَرمِ النفوسِ تَرى نُضارًا … ومِنْ هَوْنِ النفوسِ تَرى رَغَاما[٢٧]

ورُبَّ فتًى كصدرِ الرُمْحِ صُلْبٍ … وآخرَ خـائـرٍ يَحكى الثُّماما[٢٨]

---

(١٥) زأر : الزئير صياح الأسد . إبن غاب : الأسد .

(١٦) ردءا : مدافعًا وحاميًا . الرعديد : الجبان .

(١٧) شامس : الصعب . الزماما : المقود .

(١٨) جفا : خاصمها . الصبّ : المحبّ .

(١٩) تلوذ به : تلجأ إليه . فيكلؤها : يرعاها .

(٢٠) ينفح عنها : يدفع عنها الأذى . يهمى : يمطر . مرابعها : ربوعها . غماما : مطرًا .

(٢٣) الداء العقاما : المرض شديد الخطر العسير على الشفاء .

(٢٥) ترامى : بَعُدَ .

(٢٦) السبيل : الطريق . دان : قَرُبَ . طوعًا : طائعًا . مراما : هدفًا وغاية .

(٢٧) نضارًا : ذهبا . رغاما : ترابا .

(٢٨) صدر الرمح : أول شىء فى الرمح . خائر ضعيف . يحكى : يشابه . الثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص .

وَمَنْ خَـلَق الضَّـراغِـمَ واثـبـاتٍ إلى عَزَمَاتِها ـ خَلَقَ النَّعاما ! (٢٩)
زَعِـيمَ الشَّعْبِ ، أنتَ لـهُ رَجاءٌ إذا ما أشجَعُ الأبطالِ خَامَا (٣٠)
دَعَتْ مصرٌ ، فكُنْتَ لها جوابًا وَكُنتَ لِصَوْن وَحْدَتِها عِصاما (٣١)
رَعَـيْتَ حُـقوقَها ودَفَعْتَ عَنْـها وَمَنْ كالمصطفى يَرْعى الذِماما ؟ (٣٢)
وحـامَتْ حَوْلَكَ الآمـالُ نَشْوَى كطيرٍ دَفَّ فى رَوْضٍ وحاما (٣٣)
وأصبَحَ عَـهْـدُكَ الـزاهى سَلامًا يَـرِفُّ فلا نِفَارَ ولا خِصاما (٣٤)
تَوَطَّـدَتُ الـعـقـيـدَةُ واطـمـأنتْ فلا صَدْعًا نَخافُ ولا انقساما (٣٥)
وعـادَ لمصر مـاضيهـا مجيـدًا وقامَ العدلُ فى مصر قِياما (٣٦)
بَنَيْتَ فكان حينَ بَنيْتَ أُسًّا وأَرْسَيتَ الـقـواعِـدَ والدِّعاما (٣٧)
رأيتُ لـكُـلِّ مَـمْـلَـكَـةٍ نِـظامًا ولا كالعَدْلِ فى الدُّنْيا نِظاما (٣٨)

* * *

رَعاكَ اللهُ ، قَدْ أَرْضَيْتَ سَعْدًا وكُنْت لـفَـوْزِ دَعْوَتـهِ قِواما (٣٩)
يُـمِـدُّكَ مِـنْـهُ رُوحٌ عَبْـقَـرِيٌّ ويَـنْفُثُ فيكَ رَأْيًا واعْتِزاما (٤٠)
خَـلـيـفَـتـهُ ، وقـائِـدُ تـابِـعـيـهِ إلى أنْ يَبْلُغَ المجْدُ السَّناما (٤١)
تُـرفْـرِفُ رُوحُ سَـعْـدٍ مِنْ عُلاها عَلَيْكَ وتَمْلأُ الدُّنيا ابتساما (٤٢)
سَـلَـكْـتَ سَـبِـيلَـه شِبْرًا فشِبْرًا تُـقاسِى وَعْرَها عَامًا فعاما (٤٣)

---

(٢٩) الضراغم : الأسود.
(٣٠) خاما : مثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرّة هكذا ومرّة هكذا أى صَيّرته ضعيفا.
(٣١) عصاما : يعتصم به وملجأ وملاذ لهم.
(٣٢) الذمام : الحرمة.
(٣٣) دفّ فى روض وحاما : هبط وقرب من الأرض وطار وعلا فى السماء.
(٣٤) يرف : يتفق. نفار : نفور وكره.
(٣٥) توطدت : زادت تماسكًا. صدعًا : انشقاقًا.
(٣٧) أسًّا : أساسًا. الدعاما : ما يدعم ويثبت به.
(٣٩) قواما : عمادًا.
(٤٠) ينفث : يبثُّ.
(٤١) السناما : أعلا الشىء.
(٤٣) وعرها : طريقها الصعب غير الممهد.

تُلاقيكَ الصِّعابُ فَلا تُبالى ... أَماءً خُضْتَ فيهِ ، أَمْ ضِراما (٤٤)

فما ثَلَمَتْ لكَ الأحداثُ سَيْفًا ... ولا حَطَمَتْ لكَ الدُّنْيا سِهاما (٤٥)

ومَنْ عَقَدَ الإلهُ لَهُ لِواءً ... فلسْتَ تَرى لِعُقْدَتِه انفصاما (٤٦)

* * *

وحَوْلكَ مِنْ صِحَابِكَ كُلُّ نَدْبٍ ... عَيُوفٍ أن يُضِيمَ وأَنْ يُضَاما (٤٧)

نَسيمُ خَميلةٍ ، والجوُّ صَحْوٌ ... وعاصِفَةٌ ، إذا ما الجوُّ غَامَا (٤٨)

يَسيرُ لِقَصْدِهِ النَّائى إمَامًا ... إذا لم يُلْفَ سَبَّاقٌ أَمَامَا (٤٩)

شَمَائِلُ لو وَعاها الحِسُّ كَانَتْ ... عبيرَ المِسْكِ أو رِيحَ الخزامى (٥٠)

صِحَابُ المصطَفَى وَرِجَالُ سَعْدٍ ... مَقَامٌ لَا يُنَالُ وَلَا يُسَامَى ! (٥١)

* * *

نَزَلْتَ بِلُنْدُنٍ ، فرَأَوْا كريمًا ... أَبِيًّا ، قَادَ أَبْطالاً كِرامًا (٥٢)

بَليغًا صمْتُهُ ، والصَّمْتُ حَزْمٌ ... وسَحْبانًا ، إذا ارْتَجَل الكَلَاما (٥٣)

فَكَمْ فى غُمَّةٍ أَلْقَى ضِياءً ... وَكَمْ عَنْ حُجَّةٍ كَشَفَ اللِّثاما (٥٤)

لَهُ مِنْ قُوَّةِ الرحمنِ رُكْنٌ ... يَلُوذُ بِهِ اعتِزازًا واعتِصاما (٥٥)

---

(٤٤) ضراما : نارًا .

(٤٥) ثلمت : انكسر من حَدّه شيء .

(٤٦) اللواء : العلم . انفصام : تحلّ عقدته .

(٤٧) ندب : خفيف وسريع فى تلبية الحاجة . عيوف : مسارع فى عمل الخير . يضيم : يظلم

(٤٨) غاما : كثير الغيوم .

(٤٩) يلف : يجد .

(٥٠) شمائل : صفات حميدة . عبير : رائحة . المسك : نبات طيب الرائحة . ريح الخزامى : ريح باردة مشهورة عند العرب .

(٥١) مقام : مكانة عالية . لا يسامى : لا يرتفع ولا يصل إليه .

(٥٢) أبيًّا : يأبى فعل الصغائر .

(٥٣) سحبان : من أشهر خطباء العرب البلغاء .

(٥٤) غمّة : كربة . حجّة : برهان .

(٥٥) يلوذ به : يلجأ إليه .

رَأَوْا كَـرَمَ الـنِّضـالِ فـأَكـبَـرُوه	وكـانوا خَيرَ مَنْ قَدَرَ الأَنَاما[56]
ونـالتْ مِصْـر الاسـتـقلالَ طَلْقًا	وطَوَّحَت المقـاوِدَ والـخِـطـامـا[57]
وصـارَ الـقولُ فى جَـهْـرٍ حَلالاً	وكـانَ الهمْسُ فى سِرٍّ حَراما[58]
ولولا المصطفى لم تَـحْـظَ مِصْـرُ	ولا بَلَّتْ مِنَ الأمَلِ الأُواما[59]

* * *

مُـعـاهَـدةُ الصَّـداقـةِ والـتـآخى	غَدَتْ لجهودِكَ العُظْمَى وِساما[60]
رَفَـعْتَ بِـهـا عَنْ الأعـناقِ نِيراً	ومـزَّقْتَ الـغمائـمَ والكـمـامـا[61]
وسـابَـقْتِ الممالِكَ مِصـرُ وَثْـبًـا	إلامَ تَـظَـلُّ وانـيـةً إلامـا ؟؟[62]
تَـعـالى اللهُ هَـذا فَضْـلُ رَبِّى	كَشَفْتَ به عَن الفتحِ القَتاما[63]
وكُـلُّ عَـظـائِـم الـتـاريخ رَهـنٌ	إلى أَنْ يَسْتَخيرَ لَها العظاما[64]
ولا يَـحْـظَى بـنـيـلِ المجدِ إلَّا	فـتًى هَـجَـرَ الملالـةَ والسآما[65]
سِجلُّ الفَضْلِ كُنتَ له ابتداءً	وصُحْفُ النُّبْلِ كُنْتَ لها ختاما[66]
صِفـاتُكَ أَعْـجَزَتْ شِعْرِى ، وفَخْرٌ	لِـمِـثْلى أنْ يَـلم بها لمامـا[67]
بَـقَيْتَ لصَرْحِ الاستقلالِ رُكْنًا	ودُمْتَ لـرفْعِ رايتهِ ، وَدَاما[68]

* * *

---

(٥٦) الأناما : الناس .
(٥٧) طلقا : بدون قيود . طوحت : رمت بعيدًا . الخطاما : الزمام .
(٥٩) الأوام : شدة العطش .
(٦١) نيرا : ظلما .
(٦٢) وانية : متكاسلة ومتباطئة .
(٦٣) القتام : الغبار .
(٦٤) رهن : مرهونة. يستخير : يختار . العظاما : عظماء الرجال .
(٦٥) السآما : النفور من الملل .
(٦٧) يلم بها لماما : يحيط بها إحاطة سريعة .
(٦٨) صرح : بناء عظيم قوى . رايته : علمه .



قالوا..
في رثاء الشاعر علي الجارم

كلمة السيد الأستاذ أحمد العوامرى بك
عضو مجمع اللغة العربية

ألقاها فى حفل التأبين الذى أقامه المجمع فى ذكرى الأربعين لوفاة الشاعر على الجارم فى ٢٠ مارس ١٩٤٩ م بقاعة الجمعية الجغرافية ونشرت بمجلة المجمع بالمجلد السابع عام ١٩٥٣ م .

إنى ليحزننى أن أقف الليلة ، لأؤبن تلميذى وصديقى الجليل ، الأستاذ على الجارم . نعم ، إنه لموقف هائل حقا ، أن يمر على خاطرى الآن ، كرجع الطرف ، حقبة من الزمن ، تربى على أربعين عامًا ، شهدناها معا ، وعملنا فيها معا ، حقبة حافلة بذكريات الشباب والكهولة ، مليئة بالأحداث الجسام ، ولا سيما تلك التى لابست التعليم فى وزارة المعارف ، منذ أن كان بدائيا ، ملتويًا ، قليل الغناء إلى أن تطور وازدهر ، وتفرع وتخصص .

كان أول عهدى بالفقيد العزيز ، عندما رجعت من انجلترا عام ١٩٠٧ م ، وأسند إلى تدريس التربية وعلم النفس بدار العلوم ، وكان هو بالسنة الرابعة ـ أو النهائية ـ بهذه المدرسة . وكان بتلك السنة نحو ستة عشر طالبًا ، على ما أذكر .

فجعلت أتفحص عنهم ، وأسبر غورهم ، فلم ألبث حتى تبينت من بينهم طالبين ، امتازا بسعة الأفق ، ودقة الحس ، وكمال الاستعداد الأدبى ـ كان هذان الطالبان على الجارم ، وأحمد ضيف ـ الدكتور أحمد ضيف ـ رحمه الله .

كان على الجارم زعيم هذا الفصل علما وذكاء ولسانًا ، حاضر البديهة ، قوى المنطق ، حتى لقد كنت أعهد إليه أحيانا ـ وأنا مطمئن النفس ـ فى أن يلقى بعض دروسى وأنا حاضر بعد أن أكون قد دفعتها إليه من قبل ، مذكرات مكتوبة على عجل . فكان يعدها إعداد الفطن ويلقيها إلقاء من درب بالتدريس . ولم يكن الجارم بعد قد مارس منه شيئًا ، اللهم إلا ما كان على سبيل التمرين فى المدارس الابتدائية .

وبهرنى من الجارم أول ما بهرنى ، شباب رائع . كأتم ما يكون الشباب بهاء وروعة ، ثم حيوية فائقة يزينها مرح ، ودعابة عذبة هذبتها طبيعة سليمة . حتى لقد كان يبعث فى مجلسه وبين أقرانه ، بل فى الدرس نفسه ، من فكاهاته ومداعباته ، ما يجلو عن النفس صدأ الملل .

وغريب أن يلازمه هذا المرح طول عمره : ما رأيته مرة مطرقًا ، ولا واجما ، ولا مكتئبًا ولا ساهما . اللهم إلا حين ثكل ابنه البكر . فاستسرّ عنا حينا . ثم جاءنا ونحن فى بعض لجان المجمع ، فأقبل علينا يحيينا ويداعبنا ، كأن لم يكن قد طرقه بالأمس ، ذلك الطارق الأليم . ثم مضى معنا فى شأننا كعادته .

وغريب أيضًا أن المرض نفسه لم ينل من تلك الروح المتفائلة المستبشرة ، فظل يطرفنا بملحه فى جلسات المجمع ، ويرفه عنا ، ويذود عنا سأم الجدل ، وعنت المناقشة ، حتى آخر جلسة ، قبل وفاته بيوم واحد .

عاد الجارم من انجلترا ، وعين بمدرسة التجارة بالقاهرة . ثم نقل إلى دار العلوم سنة ١٩١٤ م ، وهى ميدانه الذى تأهل له ، ومعهده الذى نبت فيه ، ومن أجله تخصص فى التربية وعلم النفس .

ولم يكن للتربية وعلم النفس إذ ذاك كتب بالعربية ، يتداولها الطلاب ، غير كتاب كان قد صنفه عالم من أبناء دار العلوم ، هو حسن توفيق العدل ـ رحمه الله ـ فى أواخر القرن التاسع عشر ، وغير كتاب وجيز فى التربية وحدها ، للعلامة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش ـ رحمه الله ـ .

ألف حسن توفيق كتابه هذا فى جزأين . لما كان بألمانيا ، أستاذًا للغة العربية ، بمدرسة اللغات الشرقية ببرلين . وأرسله إلى وزارة المعارف . فطبع بالمطبعة الأميرية . وهو أول كتاب بالعربية فى موضوعه ـ على ما أعلم ـ متين العبارة ، نقى الأسلوب ، جمع بين آراء كبار المربين من الأوربيين فى ذلك العصر ، وآراء جلة علماء العرب ، ممن تصدوا لمعالجة مشاكل التربية والتعليم . ثم مزج كل ذلك بما ورد فى هذا الموضوع من الآثار الإسلامية الصحيحة .

ظل طلبة دار العلوم يتدارسون هذا الكتاب ردحًا طويلا من الزمن ، إلى جانب ما يلقيه عليهم أساتذتهم من محاضرات ، حتى جاء الجارم ، فرأى أن قد حان الوقت ، لأن يكون بأيدى الطلاب كتاب يلم بأطراف الجديد من «علم النفس» ، مطبقًا على الحديث من نظريات

التعليم ، مما انتهى إليه البحث إذا ذاك . فعكف مع الأستاذ مصطفى أمين فأنجزا كتاب «علم النفس وأثره فى التربية والتعليم» . فكان الطليعة فى هذا الميدان .

وكان حسن توفيق ـ رحمه الله ـ قد جهد فى وضع بعض مصطلحات علم النفس ، أو ترجمتها أو اقتباسها ممن تكلموا فى الأخلاق والفلسفة : كالغزالى وابن مسكويه ، وابن حزم وغيرهم . وجاء الجارم وصاحبه فى كتابهما هذا ، فقطعا فى هذه السبيل شوطًا موفقًا . حتى لقد أفاد المؤلفون بعدهما فى هذا العلم ، من ثمرة جهودها . ثم واصلوا البحث على غرارهما . فكان من كل ذلك ثروة صالحة من مصطلحات علم النفس .

نشط الجارم إذًا فى دار العلوم ، واستغل حيويته وشبابه ، وما حصله من خبرة وتجربة فى نفع طلابه . فتخرج عليه فى السنوات الثلاث ، التى قضاها هناك ، طائفة صالحة من المعلمين . برز منهم ـ فيما بعد ـ صفوة يفخر بها . ولم يطل لبثه بدار العلوم . فنقل سنة ١٩١٧ م إلى وزارة المعارف مفتشًا للغة العربية .

ورجل كالجارم لا يقنع بدورة التفتيش الآلية ، ولا يشبع مطامعه عمل كهذا . بل هو رجل همه الدءوب والإتقان ، وإنه بصدد خدمة اللغة ، وتخليصها من شوائبها ، وما علق بها من العامى والدخيل .

وتلك هى سنة سنها العالم اللغوى المحقق ، الشيخ حمزة فتح الله ـ رحمه الله ـ حين كان كبير مفتشى اللغة العربية ، فى نحو الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن الحالى .

وكانت اللغة العربية إذ ذاك لا تزال تتعثر فيما خلفته لها العصور الغابرة ، من سقم وضعف ، فهو أول من نبه المعلمين على المراجعة ، والبحث فى دواوين اللغة ومعجماتها . وكانت مهملة منسية ، وكان السجع ومحسنات البديع ، لا تزال تجد سبيلها إلى كراسات التلاميذ . فنهض ـ رحمه الله ـ باللغة نهضة قوية ، بما أسداه للمعلمين من إرشاد ، موقنًا أن ذلك هو مبدأ الإصلاح ، وأن المدارس هى الحقل الأول بعد المنزل الصالح لاستنبات اللغة الصحيحة التى لا تقوم حضارة إلا عليها .

نحا الجارم إذًا هذا النحو ، وسار على ذلك الدرب ، وساعفته ملكة عربية سليمة ، وولوع بالبحث والاطلاع . وكان له فى هذا الباب وغيره جولات موفقة ، فى مجلة المجمع والصحف والمجلات ، وعلى منبر المذياع .

ثم نظر نظرة فى النحو والبلاغة فى المدارس وما يقوم فى سبيل تعليمها من عقبات شداد كلنا أحسها ، وكلنا كابدها ، ولا يزال أبناؤنا حتى الآن يتعثرون فى بقاياها ، برغم ما بذل فى تذليلها من جهود ، وما أنفق من وقت .

وكان بأيدى الطلاب حينذاك (كتاب قواعد اللغة العربية) الذى ألفه حفنى ناصف ـ رحمه الله ـ مع آخرين . وهو كتاب جيد التأليف ، ولكنه مدمج مجمل ، فى حاجة شديدة إلى تفصيل وتبسيط ، وإلى أمثلة مما يسيغه التلميذ ، ويدخل فى معلوماته وتجاربه .

ولقد تحدثت أنا والجارم كثيرًا فى هذا الموضوع ، وفيما كانت عليه مناهج اللغة العربية من تعقيد وتراكب ، وما كانت تشمله من أبواب لا طاقة للطلبة بها . ولم نك نملك من أمر تغيير المناهج شيئًا ، ولا أن نحذف منها ما يجب حذفه ، أو نضيف إليها ما ينبغى إضافته . وما كنا نملك إلا إرشاد المدرسين إلى تبسيط الموضوعات وتذليلها جهد الطاقة ، حتى تعود أسلس قيادًا ، وأيسر جماحًا .

ومضينا فى سبيلنا على مضض ، حتى قال لى الجارم يومًا إنه اعتزم أن يضع مع صديقه مصطفى أمين ، كتابًا يسهل بعض الصعب ، وييسر بعض العسر ، فشجعته . فعكفا على العمل . فكان كتاب (النحو الواضح) فى ثلاثة أجزاء للمدارس الابتدائية ثم تلاه (النحو الواضح) للمدارس الثانوية ، فى أربعة أجزاء . وصدر بعدهما (البلاغة الواضحة) فى جزء واحد كبير . كل ذلك على نفس المنهج القائم إذ ذاك ، لم يتغير فيه شىء ولم يتبدل ، ولم ينقص منه شىء ، ولم يزد عليه .

وأقبل المدرسون والطلاب على هذه الكتب أيما إقبال ، لما فيها من وضوح فى الصوغ ، وجمال فى الوضع ، وتجديد فى الأمثلة . حتى لقد يمكن الطالب أن يخلو إليها من تلقاء ذاته ، ويراجعها فى غير استكراه .

على أن هذه الكتب لم تحقق الغرض كله . إذ بقيت بعض الأبواب والمسائل المعقدة فى النحو والصرف والبلاغة على حالها .

وهى أبواب ومسائل كلنا يعرفها ، وكلنا يشعر أن طلبة المدارس الابتدائية والثانوية ، لا يسيغونها مطلقًا ، وما يضيرهم ألا يعرفوها .

ودرج الزمن ، واقتنعت وزارة المعارف ، على تعاقب الأيام ، أن الحاجة ملحة إلى إعادة

النظر فى هذه المناهج ، فغيرت وعدلت مرة بعد أخرى ، وكان من نتائج هذا أن ألغى النحو الواضح ، والبلاغة الواضحة ، من المقررات .

إذًا فقد خدم الجارم التعليم ، وخدم العربية ، وظل عهده بالوزارة ، عضوًا عاملا بارزًا ، مرموقًا بالتجلة ، لمكانته فى العلم ، وحصافته فى الرأى ، وجلده على العمل .

وكان بين المعلمين نبراسًا ، يفزعون إليه فى المشكلات ، ويلجئون إليه فيما انبهم عليهم من المسألة . لا يترفع ، ولا يستعلى ، أخ لهم وصديق وأستاذ . وكان بين التلاميذ أبا عطوفًا ، ومرشدًا رءوفًا ، لا يعنف ولا يتسخط متحدب فى امتحانهم متلطف . لا تفارقه الابتسامة العذبة ، ولا البشاشة المؤنسة ، والقول اللين ، والدعابة الحلوة .

فقد ضرب للمعلمين المثل الحى فيما ينبغى أن يكون عليه الأستاذ من صفات ، تربط بينه وبين تلميذه ، وتحكم بينهما أواصر الإلف . ولم يكن الجارم فى كل أولئك بمتعمل ولا متكلف . بل كانت هكذا فطرته . فالذين عاشروه من غير المعلمين والمتعلمين ، يرون فيه الإنسان الوادع السلس ، الذى لا يريد أن يعقد حبل الحياة ، ولا أن يخلق المشاكل ، أو يثير الخصومة .

* * *

ولقد أتيح للجارم فى المجمع اللغوى نوع آخر من الحياة ، وتهيأ له فيه جو متسع من التفكير .

كان عضوًا ناشطًا فى مؤتمر المجمع ومجلسه ولجانه ، قوى الحجة ، ساطع البرهان ، تسعفه ذلاقة لسان ، وقوة بديهة ، وشدة عارضة . وتزينه تؤدة فى القول ، ورزانة عند الجدل ، وهدوء فى النقاش .

وكان ـ رحمه الله ـ من دعائم (لجنة الأصول) وهى اللجنة التى زودت المجمع ـ ولا سيما فى عهده الأول ـ بالقواعد التى يقوم عليها التعريب والاشتقاق ، والتضمين والنحت والقياس ، إلى غير ذلك . وأعضاء هذه اللجنة يتوفرون على دراسة كتب الأئمة ، وأقوال المجتهدين فى اللغة ، ويستخلصون منها ما ييسر عمل اللجان الأخرى ، كلجنة الطب ، ولجنة الطبيعة ، ولجنة الكيمياء إلخ ..

وكل ذلك يقتضى عناء ، ويقتضى سهرًا ومراجعة دقيقة . وكم كان للجارم فى هذه

اللجنة ، وحول تلك المباحث والأصول ، فى جلسات المجمع ، من أخذ ورد . وكم كان له فيها من محاورات ممتعة ومناقشات شائقة ، فلم يكن من أصل إلا له فيه دراسة ، ولا قاعدة إلا له فيها كلام .

والمتتبع لمحاضر المجمع منذ إنشائه ، يعجب مما للجارم فيه من نشاط متصل ، وما له من جهد دائب ، فى كل ما تناوله من بحوث ، وما انتهى إليه من قرارات .

وبينما كان العضو المحترم الأستاذ عبد العزيز فهمى يعرض على المجمع مقترحه المشهور فى تيسير القراءة والكتابة ، إذا الجارم يطلع بمقترح آخر فى التيسير ، وكانت له فيه دراسة سابقة . وقد أبقى فيه على الحروف العربية كما هى ، وعلى ما لها من اتصال وانفصال فى الكتابة ، إلا أنه أضاف إليها علامات متصلة بها ، تقوم مقام الشكل . وهى طريقة سهلة المتناول ، قريبة المأخذ ، لا تبعد كثيرًا عن الكتابة الحاضرة .

فانظر كيف كان – رحمه الله – حريصًا على أن يطرق كل باب يرى فيه نفعًا للفصحى ودعمًا لبنيانها .

ثم تيسير الإملاء – هذا الموضوع الخطير المعروض الآن على المجمع – كيف جاهد فيه وصابر ، وكيف كان يعد له العدة بعد العدة ليقيه غوائل الإخفاق التى غالته من قبل فى المجمع .

ولو ذهبت أحصى بحوثه واقتراحاته ، وأعرض لها واحدًا واحدًا ، ولما بذله معنا من جهد فى إخراج مجلة المجمع ومحاضر جلساته لأبى علىّ الوقت .

وفى ذاكرتى الآن ، لقرب العهد ، بحثه الطريف الذى ألقاه فى مؤتمر المجمع الأخير ، وعنوانه : (الجملة الفعلية أساس التعبير) وقد استظهر فيه فيما استظهر ، أن ميل العرب إلى البداءة بالفعل ، إنما كان لما يكتنفهم من التوجس ، والمفاجآت والمخاوف . فكانوا يندفعون لذلك إلى ذكر الحدث قبل من وقع منه الحدث – وكل البحث غرر ، جمع فيه بين آراء القدماء من علماء البلاغة ورأيه هو .

* * *

وهذا الرجل المرهق بالعمل ، المحلق ليلاً ونهارًا فى شعره وقصيده . يخرج علينا فى الأعوام الستة الأخيرة ــ وهو أحوج ما يكون إلى الراحة والجمام ــ بثمانى روايات ، هى من مفاخر ما كتب فى القصص التاريخى بالعربية .

وقد قصد فى كل رواية إلى قطعة بارزة من التاريخ العربى أو المصرى فدرسها وبلغ إلى أعماقها ، وتغلغل فى طبائع أشخاصها وبيئاتهم ، حتى إذا اكتملت فى نفسه هذه العناصر واستقام له سننها ، عمد لها فحاكها من غير تكلف ولا معاناة ، فى لفظ مترقرق ، وسرد محكم . وتصوير بارع .

والعجب من الجارم الذى لا عهد لنا به من قبل قصاصًا ، كيف استوت له هذه الملكة فى كهولته ، وكيف حذق أن ينسج من خيوط التاريخ الجافة هذا النسيج البديع ؟

وإنى لعلى ثقة أنه لو أفسح لنفسه الوقت ولم يعجل ولم يتقيد بصفحات معدودات ، وأطلق قلمه على سجيته لجاءت هذه القصص أعظم شأنًا ، وأبلغ بيانًا وأدق نسجًا .

وقلت له مرة : لماذا ــ وقد أوتيت هذه الموهبة ــ لا تحاول الشعر التمثيلى كما فعل شوقى ــ رحمه الله ــ فى أخريات أيامه ؟ هات لنا شيئًا من ذلك فإنه فن ناشىء عندنا ، يفتقر إلى بيان كبيانك . فسكت . وبدا عليه شىء من التفكير ولم يجب .

وللجارم قبل عهده القصصى ــ بل وفى أثنائه ــ جولات فى التأليف واسعة المدى . فقد حقق وشرح مع الأستاذ أحمد أمين «كتاب المكافأة» لأبى جعفر أحمد بن يوسف الكاتب وأخرج مع أحمد العوامرى «كتاب البخلاء» للجاحظ مشروحًا مضبوطًا محققًا .

وكان منذ سنوات يعمل مع الأستاذ شفيق معروف ، فى شرح ديوان البارودى ، وقد نجز منه جزءان ، وفى سنة ١٩٤٤ م ترجم كتاب « قصة العرب فى أسبانيا » عن الإنجليزية لا ستانلى لين بول . دفعه إلى ترجمته غيرته على مجد العرب بالأندلس فدرسه وأعجب بما فيه من بحث محقق . وقد قال فى مقدمة الترجمة : وهذا كتاب « نفح الطيب » ــ وهو خير كتاب ألف فى تاريخ الأندلس ــ كله اضطراب واستطراد وتكرار ، والتواء وتشتت ... ثم قال : فأحسست بدافع نفسى يلح بوجوب ترجمته إلى لغة العرب وشعرت بأن النكول عن هذه الرغبة عقوق لحسبى وقومى وتاريخى ... إلخ .

وقد فرغ من قصة ابن زيدون قبيل وفاته وستنشر قريبًا . وسمعت أنه كان يوشك أن يشرح

ديوان ابن سناء الملك ، ويحققه وينشره . وقد طبع من ديوانه ثلاثة أجزاء مشروحة مضبوطة . وأعتقد أن ما بقى من شعره قد يقع فى ثلاثة أجزاء أخرى أو نحوها .

وإذا أنا تحدثت عن الجارم الشاعر ، فما أنا بموفيه حقه فى كلمة كهذه ، ولا أنا بقائل بعض ما ينبغى أن يقال فى شعره . وإذا أنا قلت شيئًا ، فإنما هو مما علق بنفسى وتأثرت به عاطفتى واهتزت له جوانحى .

فإنما الشعر روحانية ، ونور يفيض على القلب ، ويغمر المشاعر . وما الألفاظ وحدها بمغنية ، ولا التراكيب الجزلة ولا الاستعارات البليغة . ولا التشبيهات الرائعة : كل أولئك قد يكون فى النظم تقرؤه ، ثم لا تهتز له ولا تطرب .

وإنما يكون الشاعر بصفاء الطبع ، ونضج القريحة ، واستكمال الأداة اللغوية ، واستحكام الملكة البيانية . بسعة الاطلاع على آثار الفصحاء والبلغاء وتعريف مواطن الجمال فى الأساليب . ومواطنه فى الألفاظ والتراكيب . وفيما تتركه فى الأعماق من رنين وهزة يكون عنها الطرب للنفس ، والبهجة للروح .

بهذا كان الجارم الشاعر الصائغ الملهم ، وبهذا عرفناه ونعمنا بفنه الرفيع واستمتعنا ببيانه المشرق .

وقد انعقد إجماع المثقفين فى الشرق العربى على شاعريته الفذة ، وتناقلوا شعره فى أنديتهم وسوامرهم ، وتدارسوه فى مجامعهم ومحافلهم وعنيت به المجلات وكتب الأدب الحديث . فأفردت الفصول لنقده ، والفحص عن خصائصه والاستشهاد بنوادره .

ويبهرك من الجارم عمق معانيه وصفاء ديباجته فى فخامة وجزالة وفحولة ــ تقرؤه فكأنما تقرأ لمهيار وعلى بن الجهم والبحترى وأضرابهم من أمراء الشعر ، فى العصور المزدهرة بالعلم والأدب .

ولاغرو فقد آثر الجارم هؤلاء ، وتوفر عليهم ، وأشرب فى قلبه فنهم . فتأثر بأساليبهم فى القول ومناحيهم فى تصريف المعانى .

فجاء نتاجه على غرارهم . فمدح وتغزل ، ووصف ورثى . وأتى بالحكمة الباهرة ، وضرب الأمثال البارعة : كل ذلك على سننهم ومنهجهم . فلم نر فى شعره ــ على كثرته وتعدد فنونه ــ نزوعًا لما يسمونه الآن بالتجديد فى أى صورة من صوره ، وأى مظهر من مظاهره .

وإنما كنا نود حقًا لو أنه قد أتيح له أن يقبس من أدب الغرب فى بعض شعره ، وهو الذى حذق الإنجليزية ، وتخرج فى بلادها ، ولو أنه أتحف العربية ، بروائع من قصص القوم أو شعرهم ، إذًا لرأينا فى مرآته الصافية صورًا من تفكيرهم ، وقبسًا من أخيلتهم وتصورهم للحياة .

ولعله كان يضمر شيئًا من هذا ، فيما أضمر من آماله الكبار فى خدمة العربية ورفع منارها .

وإنى إذ أختتم كلمتى هذه أستعير من الجارم فى رثاء شوقى قوله :

أيها الراحل الكريم لقد كنـ ـت سواد العيون أو إنسانه

نم قريرا فى جنة الخلد وانعم برضا الله ، واغتنم غفرانه

قصيدة الأستاذ عباس محمود العقاد

أقام مجمع اللغة العربية حفلاً كبيرًا بالجمعية الجغرافية فى ٢٠ مارس ١٩٤٩ م لتأبين الشاعر على الجارم عضو المجمع حضره جميع أعضاء المجمع وجمهرة كبيرة من رجال الأدب والفكر وألقى الأستاذ العقاد هذه القصيدة التى نشرت فى جريدة الأساس بعددها رقم ٥٥٥ فى ٢١ مارس ١٩٤٩ م كما نشرت بمجلة المجمع .

فجعت مصر يوم نعى «علىٍّ» … بالأديب الفهّامة الألمعىِّ

شاعرٌ لازم القريض إلى أن … كان يوم الفراق حرف روىّ

وقضى واجبين يوم قضى نحبا … وأعظم بالواجب المقضىّ

واجب الشعر ، والوفاء مدى … العمر ، فطوبى لشاعر ووفىّ

إن جهد الرثاء لوعة راث … فى مضامين شعره مرثىّ

* * *

لست أوفيه وصفه إنّ وصفًا … «لعلىٍّ» يغنى غناء السمىّ

علم فى الديار ، صنّاجة فى الحفل … ركن فى المجمع اللغوىّ

وسراج فى مفرق الرأى هاد … وجمال وبهجة فى الندىّ

وزميل سمح الزمالة برّ … وأخ بالإخاء جد حفىّ

ذلك الشاعر الذى ثكلته … مصر فى يوم مأتم وطنىّ

لم تزل تسمع المراثى حتى … سمعت فى الرثاء صوت نعىّ

تتنزى على زعيم أمين … وأديب جزل البيان سرىّ

* * *

لستُ أوفيه حقّه إنه حقّ بيـ   ـان عن البيان غنىٌّ

وارثُ الأصمعىّ فى لغة الضا   د ، وفى الشعر وارث البحترىّ

والأديبُ الذى له فطنة المصر   ىّ زانت سليقة البدوىّ

والمربى الذى تعهّد جيلاً   عهد علمٍ منه وعهد رقىّ

وأخو النشأتين شرقا وغربا   من قديمٍ باقٍ ومن عصرىّ

كم شهدناه فى شواهد نص   ورأيناه فى تعارض رأى

وسطا بين ممعن فى وقوف   عند ماض ، وممعن فى مضىّ

قائلا ناقلا ، سميعًا مجيبا   حسن تبيانه كحسن الصفىّ

* * *

«ياعليًّا» له مكان علىٌّ   بين دانٍ من جيله وقصىّ

إن شعرًا سمعته يوم ودّعـ   ـت سيملى وداع حىّ فحىّ

سوف يبقى مستشهدًا بمعانيه   وفاء لكل حرّ أبىّ

ولك القول حيث قلت غذاء   ودواء شاف لقلب الشجىّ

سوف يبقى لمنشدٍ وطروبٍ   وفخورٍ ، وناصحٍ ، ونجىّ

سوف يبقى مجدّدًا لك ذكرا   حيث يُروى فى العالم العربىّ

أنت أحييته تراثا على الدهـ   ـر ، فعش فى تراثه الأبدىّ

قصيدة الأستاذ الشاعر محمود غنيم

أقامت جماعة «دار العلوم» فى ٢٣ يونيو ١٩٤٩ م حفلاً كبيرًا لتأبين الشاعر على الجارم بمسرح حديقة الأزبكية حضره صفوة من رجال العلم والفكر والأدب وألقى الأستاذ محمود غنيم هذه القصيدة التى نشرت فى جريدة المصرى بعددها الصادر فى ٢٥/٦/١٩٤٩ م.

عرشٌ ينوح أسى على سلطانهِ ... قد غاب كسرى الشعر عن إيوانهِ
طوت المنون من الفصاحة دولةً ... ما شادها هارون فى بغدانه
فى ذمة الفن المقدسّ عازف ... لقى الحِمام على صدى ألحانه
لمّا تهامست الصفوف بنعيه ... كاد الفؤاد يكفّ عن خفقانه
ساءلت حين قضى «علىٌّ» فجأة ... هل حلّ يومُ الحشرِ قبل أوانه؟

* * *

سقط المؤبّنُ وهو يسمع شعره ... من ذا يؤبّنه بمثل بيانه؟
وصف الزمان لنا وجاد بنفسه ... لتكون برهانا على حدثانه
قال احذروا غدر الحمام معززا ... بحياته ما قاله بلسانه
لا تعجبوا من موْته فى حفله ... إنّ الشجاع يموت فى ميْدانه
بطلُ المنابر ماله من فوْقها ... يهوى وكمْ عرفت ثبات جنانه؟
إن خانه ضعف المشيب فطالما ... قهر المنابر وهو فى ريعانه
كلاّ لعمرى لم يخنه مشيبه ... لكنّ حمّى المرء من خوّانه
لم يجنها إلا رقيقُ شعوره ... والمرهفُ الحساس من وجدانه
حرٌّ قضى متأثرًا ببيانه ... ولكم جنى فنٌّ على فنّانه

* * *

يا شاعرًا طار اسمه بقوادم ... من عبقريته ومن إتقانه
ما دان يوماً للصغار بصيته ... أو دان للزُّلفى برفعة شانه
والمجد منه زائفٌ وممحصٌ ... لا تخلطوا بسلوره بجمانه
ما كل لمّاع ببرقٍ ممطرٍ ... البرق غير الآل فى لمعانه
عرشُ القوافى بعد موتك شاغرٌ ... يا طول ما يلقاه من أشجانه
قل للذى يومى إليه بلحظه ... هذا مجال لست من فرسانه
لاهُمَّ حكمك فى الورى جارٍ وما ... من حيلةٍ للعبد فى جريانه
الطير ملْ الروض أشكالاً فما ... للسهم لا يُصمى سوى كروانه ؟
يمضى العظيمُ من الرجال فينبرى ... لمكانه خلفاء من أقرانه
والشاعرُ الموهوب فلتة دهره ... إن مات أعيا الدهر سدّ مكانه

* * *

قل للرياض قضى «علىٌّ» نحبه ... ولطيرها الشادى على أفنانه
الشاعرُ الغرد المحلّق فى السها ... بجناحه قد كفّ عن طيرانه
بكت اللآلئُ بعده لا لها ... وتساءل الياقوت عن دهقانه
وتساءل التاريخ عمن شعره ... كان السجل لحادثات زمانه
بكت الكنانةُ فى «علىٌّ» شاعرًا ... جعل اسمها كالنجم فى دورانه
عفُّ اللسان مؤدبُ الأوزان لم ... يتلق وحى الشعر عن شيطانه
بل كان نفح الخلد أمتعنا به ... حينا وعاد به إلى رضوانه
للنيل شاد بشعره مالم يشدْ ... فرعونُ والهرمان من بنيانه
من كلِّ بيتٍ فى السُّها شرفاته ... تتلألأ الأضواءُ فى أركانه
يعيى الفراعنةَ الشدادَ أساسُهُ ... ويحار ذو القرنين فى جدرانه
شعرٌ إذا غُنى به لم يبْق من ... لم يروه كالبرق فى سريانه
غنى الطروبُ به على قيثاره ... وترنّم المحزون فى أحزانه
بهر العذارى حسنه فوددْن لو ... صيغت قلائدهنّ من عقيانه

ويـكـاد سـامـعـه يـفسّـر لـفـظه — من قـبـل أن يسرى إلى آذانهِ
تـغـرى سلاستـهُ الـغـريـرَ فيقتنى — آثــاره ســيــرًا على قضـبـانـه
حتى إذا هــدَّ المسـيـرُ كـيـانَـه — حصب الورى بالصلد من صوّانه
يـــارُب ديوانٍ تـــأنّق ربـــه — فى طـبـعـه وافـتـن فى عـنـوانـه
لا يسـمـع الـيـقـظان وقع قريضه — حتى يـدبَّ الـنـومُ فى أجـفـانـه
والشـعـرُ إمـا خـالـدٌ أو مـدرجٌ — من لـيـلـة الميلاد فى اكـفـانـه

* * *

قالوا : «علىٌّ» شاعرٌ فأجبت بل — ساقٍ عصير الـكـرم ملْ دنـانـه
قمْ سائل الفقهاء هل فى شرعهم — حـرجٌ على ثـمـلٍ بخمـرة حـانـه
كم خطَّ من صوّر الحياة مدادهُ — مـــا لم يخطّ مصوّر بـدهـــانـــه
ببراعـــــةٍ لو أدركت موسى رأى — من سحرها ما غاب عن ثعبانه
أين الـقصائـد كـالخرائـد كـلّـهـا — بـكـرٌ ، وبكر الشعر غير عوانه ؟
أحـيـا لـنـا ابن ربـيعة تشبيبها — وأعـــاد للأذهـــان عـهـدَ حسانـه
شيخٌ يحس الشيخ عـنـد نسيبه — بـدم الشـبـاب يسيـل فى شريانه
وإذا تحمّس قـلـت حـيـدرة انبرى — تحت الـعـجـاجة فوق ظهر حصانه
وإذا تـبـدّى قـلـت لابس بـردةٍ — قد جاء من وادى العقيق وبانه
وإذا تحضّـر قـلت نسـمـةُ روضـة — من فـرط رقّـتـه وفـرط حـنـانـه
يـا طـالما حـمـل الأثـيـرُ نشيدَهُ — وكـــأنما هو عـــازفٌ بكمـــانـــه
بـغـدادُ مصـغـيـةٌ إلى أنـغـامـه — ودمشقُ راقصـــةٌ على عـــيـــدانـــه
وكـأنّما الحرمـان عـنـد هـتـافـه — سمعـــا بلالاً هـــاتـــفًـــا بأذانه
يُـثنى على الـفـاروق تحسبـه فتى — ذبـيـــان قـــد أثنى على نـعـمانـه
والملكُ يـظـهـر بـالـثـنـاء جلالـه — والشـعـر مـثـل الـدرّ فى تيجانه
والشـعـر مـرآة النفوس يذيع ما — طويت قـــــرارتها على كتمانـــــه
من أحـــرفٍ سوداء إلا أنـــه — نـقشٌ يُـريك الـطـيفَ فى ألوانه

والشاعرُ الموهوب تقرأ شعره ... فترى جمالَ الله فى أكوانه
ياويح قومى كم أشاهد بينهم ... من شاعرٍ هو شاعرٌ بهوانه
ياراثى الموتى ومُخلد ذكرهم ... بالخالد السيّار من أوزانه
أرثيك حفظا للجميل وإنّه ... دينٌ أعيذ النفس من نُكرانه
ماذا يؤمّل شاعرٌ من راحلٍ ... أتُره يطمع منه فى إحسانه
وأنا الذى ماسمت شعرى ذلةً ... أو بعته بالبخس من أثمانه
يارب بيت قد ضننت ببذله ... ضناً على من ليس من سُكّانه
أقسمت ماجاوزت فيك عقيدتى ... قسم الأمين البر فى إيمانه
دارُ العلوم بنتك حصناً شامخًا ... للضاد تلق الأمن فى أحضانه
رزئت لعمرى فيك رزء الدوح فى ... كروانه والفلك فى ربّانه
دارٌ قد انتظمت أياديها الحمى ... أشياخه والنشئ من ولدانه
دارُ العلوم ونيلُ مصر كلاهما ... بنميره يروى صدى ظمآنه
فاضا على الوادى فكان العلمُ من ... فيضانها والماءُ من فيضانه
ياخادمَ الفصحى وكمْ من خادمٍ ... تعتز ساداتٌ بلثم بنانه
أفنيت عمرك زائدًا عن حوْضها ... ذود الكريم الحرِّ عن أوطانه
انصفتها من معشرٍ مستعجم ... الغرب أصبح آخذاً بعنانه
والضاد حسب الضاد فخراً أنها ... كانت لسان الله فى فرقانه
هى سؤدد العربى يوم فخاره ... وقوامُ نهضته وسرُّ كيانه
من ذاد عنها ذاد عن أحسابه ... بل عن عقيدته وعن ايمانه
نم يا «علىّ» جوار ربك آمناً ... لك عنده ماشئت من غفرانه
لك عند رب العرش أجر مجاهدٍ ... فانعم برحمته وعدن جنانه
كم من شهيدٍ مات فوق فراشه ... جمد الدمُ السيّال فى جثمانه
إن المجاهد من أغار بفكره ... لا من أغار بسيفه وسنانه
سيظل شعرك يا «علىّ» مردداً ... ماغرّد القمرى فى بستانه
أقسمت ما نال البلى من شاعرٍ ... يحيا حياة الخلد فى ديوانه

قصيدة الأستاذ الشاعر محمود حسن اسماعيل

ألقى الشاعر الأديب محمود حسن إسماعيل هذه القصيدة فى حفل جماعة دار العلوم بمسرح حديقة الأزبكية فى رثاء الشاعر على الجارم ونشرت فى جريدة الأساس بعددها رقم ٦٣٧ الصادر فى ٢٦/٦/١٩٤٩ م .

لا لحنه عازف ولا وتره ... ماكان طىّ النشيد ينتظرُهْ

أصغى لأنغامه ومهجته ... نوح مع الطير هاجه سحره

يهتزّ لهفان فى تسمعه ... كأنّما قد سرى به قدره

الله فى جنبه ، ولوعته ... هشيم غصن أذابه شرره

أحس بالعمر فى مقاطعه ... وقافيات العذاب تعتصره

والموت فى جرسها ونغمتها ... خطو من الغيب لا يرى أثره

مازال يدنيه من غياهبه ... حتى احتواه بنظرة بصره

فخرّ فى صمته ، وفرّ به ... سرٌّ على الناس غامض خبره

وقيل : ما باله ! وما وهنت ... خطاه .. قلت انتهى عمره !

باك أتى والدموع فى يده ... وبل من النار واكفٌ مطرهْ

ترتجُّ من حزنه قصيدته ... ويصطلى فى لهيبها ضجره

قد خاف من حرّها فراح لها ... يصغى بقلبٍ تخيفه ذكره

ما أوشكت تنتهى مناحتها ... وينتهى من معنيّها عبره

حتى غدا صرخةً على فمها ... وداع من لن يردّه سفره

لا تعتبوا الدهر فى منيته ... ولا تقولوا طحا به كبره

فإنها قصّة ينوء بها ... ضمير مصر وتكتوى سيره

محاربٌ فى سبيل عزّتها ... ما ردّه يأسه ولا حذرُهْ
ينقضُّ كالسهم فى دجنّتها ... فتحسب الليل هُتِّكت ستره
ويلطِمُ القيدَ، لا يروّعه ... حديدُ جبّاره ولا سقره
تنزهت كفّهُ وكلمته ... وعفّ والجوّ لاغطٌ هذره
عابوا على صمته، فهل سمعوا ... تهتزُّ فوقه نذره!
ارتاعَ قرصانهُ وساستهُ ... وأعوَلت من رياحه جزره
واستعجم القيد حين جابهه ... بحجة كالصباح تبتدره
وصيحةٌ كالردى مباغتة ... لا نابه ردّها ولا ظفره
وعاد للنيل صامتًا أنفًا ... لا طبله قارعا ولا زمره
يبنى لأوطانه ويرفعها ... والمصلح الحق من علا حجره
بنياه فى ضحوة يسير على ... أمانه عدلها سرى «عمره»
وإذ بها وصمة يشيح لها ... جبين مصر، وتنزوى صوره!
حيّا فحيّاه من تواضعه ... والغدر بالحق نادر خطره!
لكن قضى الله وانتهى بطلٌ ... كنا لريب الزمان ندخره
لا ذنب راميه للمناب ولا ... آمال أوطانه ستغتفره!
أنّى «علىّ» يسوق أدمعه ... ويندب الشرق ضللت غيره
وكم له وقفة وجلجلة ... والنيل من حولها صفى نهره
ومصر تصغى وشطها دنف ... يكاد للشدو ينحنى شجره
أسحاره، فجره، أصائله ... لليلاته الناغيات أو بكره
عرائس بالنشيد سابحة ... تلألأت فى جبينها درره
كم ناغم الشرق فى مواجعه ... وهلّلت فى سمائها غرره
من كل عرباء فوق حاجبها ... أو ما نزار البيان أو مضره
مرصوفة السحر خلت حاديها ... من أرض حسّان أقبلت عصره
يهزها هودجٌ، ويرقصها ... صنّاج بيد أهاجه سمره
تختال بالنيل فى مفوّفة ... يكاد يخضّل فوقها زهره

إن رقّ أبصرت حلم عاشقة ... وليلها والحنين يعتصرهْ

وإن تثره فما الرياح وما ... زئيرها إن تدفقت فكره

حمى بها الشعر بعدما لهثت ... أوزانه وارتمت به سرره

ساقوه حيران فى مواطنه ... لا بدوه فى الصدى ولا حضره

وبعضهم لم يقله غير صدى ... والبعض فى مهده بدت حفره

وأنت للضاد حارس أبدا ... ماخفّ امعانه ولا حذره

غنّيت بالشعر كلّ موطنها ... فعشبه فى صداك أو مدره

هواك بالنيل مثل اخوته ... سيان مطويّه ومنتشره

عروبة للسماك طرت بها ... جناح غيب شأى به قدره

وسقت للتاج نغمة عزفت ... غرام شعب تعددت صوره

حب لفاروق فى جوانحنا ... مخلد فى حياتنا أثره

بكتك دار العلوم أنت صدى ... سحرٍ لها لا تزال تبتكره

هذا الجنى من غراس جنتها ... فى كل واد مهدل ثمره

قصيدة الأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن

نشرت فى جريدة الاهرام بعددها الصادر فى ١٤ فبراير ١٩٤٩ م .

سكت الصوت الذى دوّى زمانًا ... وطوى الموتُ من الفصحى بيانًا

الفصيحُ القول قد أخرسه ... قدرٌ يُخرس فى الموت اللسانا

ما عهدناه على المنبر إلاّ ... ماضيا كالسيف نصلاً وسنانا

يُرسل الأشعارَ حمراء الّلظى ... والأغاريدَ صفاءً وليانا

كان صوتا عربيا خالصا ... يسلك البيد ويستّن الرعانا

يقطعُ الأرض وهاداً وربىً ... ويشق الجوَّ متناً وعنانا

بين «بيروت» و «بغداد» ترى ... منه فى الشعر الكريماتِ الحسانا

يُرسل الصيحةَ بالحق كما ... يُرسل الناعى إلى الله الأذانا

كان فى الحزمة أقوى مكسراً ... أىُّ خطبٍ دهم العودَ فلانا

أيّها الشاعر أزمعت السرى ... وتخيرت على البيْن الأوانا

كنت تهوى كل حفلٍ حاشدٍ ... فرماك الموتُ فى الحفل عيانا

لم تمت فوق سريرٍ ناعمٍ ... يكتسى ندا ، ويندى زعفرانا

إنما مت خطيباً فى فمٍ ... باغمٍ قد فقد اليوم الحنانا

من يجيب اليوم أبناءك إن ... هتفوا باسمك فيهم يا ابانا

ايّها الضوء الذى ابصرته ... لم يثر ولم ينفث دخانا

كنتَ فى الشعر مكاناً عالياً ... من تُرى بعدك يستد المكانا

قصيدة الأستاذ الشاعر بدر الدين على الجارم

احتفلت مدينة رشيد بلد شاعر العروبة الكبير الأستاذ على الجارم بإحياء ذكراه . فكانت لمسة وفاء من المدينة العظيمة تجاه وليدها الشاعر الكبير . وفى هذه المناسبة ، أنشأ الشاعر هذه القصيدة وقد نشرت بجريدة الأخبار بعددها الصادر فى ١٩٨٥/٢/١٠ م .

فى ربيع الزمانِ جَادَ زمانى   بـلـقـاء الأحـبّـة الإخـوانِ

وانتشى القلبُ بالحنانِ وبالحـ   ـبِّ ، وحلوِ الهوى ، وصفوِ الأمانى

وهفَا للرياضِ تعبقُ بالمسـ   ـكِ ، وأصغى لهمسةِ الأغصان

ودعانى الحنينُ فاشتغلَ الفكـ   ـر ، وزادَ الوجيبُ لمّا دعانى

وتركتُ العنانَ للشعرِ يسمو   عربيَّ اللّسانِ من عدنان

فانبرى يسبق السحابَ ويُضفى   بسمةَ الكونِ فوق ثغرِ الزمان

وامتطى صهوةَ الرياحِ جريئًا   وتحدّى الطيورَ فى الطيران

كُنْ معى يا قريض تُلهمنى الفـ   ـنَّ ، فأشدو بأروع الألحان

كمْ رأيْنا على مدى كلّ عصرٍ   كيفَ تُذكى قريحة الفنان

طِرْ بِنا إلى «رشيد» ورفرف   بجناحَيْنِ مِنْ هوى وحنان

لنحيى الأحبابَ جاءتْ تُحيّى   شاعرَ العُرْبِ ، سيِّدَ الأوزان

ضمّهم على الوفاء لقاءٌ   فتباروْا فى حلبةِ الميدان

وأعادوا إلى الحياةِ «عُكَاظًا»   تنشر الشعرَ عبقرى المعانى

* * *

يا تلاميذه وعارفى الفضلِ جئتم لتحيّوا «علىّ» فى المهرجان
خبرونى بربكم ، أينَ ولّى ؟ أينَ أصداء صوته الرنّان ؟
هو فى الزهر ، نفحةٌ من أريج عرفتها جوانبُ البستان
هو فى الطيْر ، نغمةٌ ولهاةٌ صوتها العذب فاق صوْت الكمان
هو فى البيدِ ، واحةٌ من نعيمٍ طوّقتها سواعِدُ الكثبان
هو فى البحرِ ، موْجةٌ تتهادى فاحتوتْها الرمالُ بالأحضان
هو فى النيلِ ، نسمةٌ تُنعِشُ الرو حَ ، وتحكى نضارةَ الشطئان

* * *

أصحيحٌ طوى المماتُ «عليًّا» فطوى شاعرًا فريد البيان
لم يمتْ مَنْ سعى الخلودُ إليه وجرى ذِكرهُ بكلِّ لسان
هو حىٌّ يُطلُّ من كلِّ بيتٍ دبّجته عصارةُ الوجدان
كلما شدّنى المزارُ إليه طالعتنى صحائفُ الديوان

علی بك الجارم

بقلم الأستاذ الدكتور أحمد أمين بك عضو مجمع اللغة العربية والذى نشره بمجلة الثقافة بعددها الصادر فى فبراير ١٩٤٩ م .

فقدت مصر والعالم العربى علَمًا من أعلام الأدب ، هو المرحوم على بك الجارم .

كان شاعرًا من الطراز الأول ، مشرق الديباجة ، رصين الأسلوب ، جيد المعنى والمبنى .

وكان شعره مرحًا ضاحكًا ، حتى إذا أصيب بفقد ابنه ـ وكان طالبًا فى الهندسة ـ تلوّن شعره بلون حزين باك ؛ فكان يجيد كل الإجادة فى الرثاء والحسرة على فوات الشباب .

وكان ـ رحمه الله ـ خفيف الروح ، يملأ مجلسه بالنشوة والارتياح والضحك فيما يروى من حديث وما يحكى من نوادر ، وما يعلق على أحداث ؛ حتى إذا أصيب بكوارث الزمن وانتابه مرض القلب ، لم تذهب بشاشته ولم تفارقه ابتسامته ولا ضحكته فى الظاهر ، ولكنه كان يخفى حزنًا عميقًا تدل عليه آهة أليمة يسمعها من يجلس بجانبه .

وكان ـ رحمه الله ـ ذوّاقًا طروبًا ، يتذوق المعنى الجميل ، والفكرة البديعة ، والنكتة الرائعة ، فيطرب لها أشد الطرب ويُشيع طربه فى كل من يجالسه ، وله حكم صائب على ما يقرأ وما يسمع ، يقوّمه تقويمًا دقيقًا ، وينقده نقدًا صحيحًا ، ثم هو لا يتعصب لرأيه ، فإذا سمع ما يخالفه أصغى إليه فى أناة ، وفكر فيه فى سماحة ، وإذا اقتنع بصوابه أعلن عدوله عنه فى صراحة .

له أثر كبير فى كل هيئة ينتسب إليها ، وفى كل عمل يتجه إليه ؛ اتجه إلى تبسيط النحو والبلاغة ، فبسطهما فيما ألف من كتب .

وكان حركة دائمة فى المجمع اللغوى ، يشترك فى وضع المعجم الوسيط ، ويشرف على إخراج مجلته ، ويساهم مساهمة فعالة فى أكثر لجانه ؛ وآخر ما فعل فيه إلقاؤه محاضرة قيمة عن الموازنة بين الجملة فى اللغة العربية وفى اللغة الأوروبية ، والسبب فى أنها أكثر ما تكون فعلية فى الأولى ، واسمية فى الثانية ، ثم مناداته القوية فى إصلاح الإملاء .

واشترك فى لجنة مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، فكان من أكثر الأعضاء عملاً ونقدًا واقتراحًا وإصلاحًا .

واتجه أخيرًا إلى التأليف فى القصص فأجاد فى تأليفها .

ولقد كانت حياة الفقيد ومماته نفسها روايتين من أروع الروايات ـ كانت حياته رواية ضاحكة مستبشرة تبعث فى جميع نظارتها البهجة والسرور ، وكان مماته رواية باكية تبعث الفزع والهلع فى كل من رآها أو سمع بها ـ كان ابن الفقيد على منصة الجمعية الجغرافية ينشد قصيدة تأبين فى رثاء المغفور له النقراشى باشا ، والفقيد يستمع مع الحاضرين ويردد أبياتها ويناغم إنشادها ، فلما وصل المنشد إلى قوله « نم هادئًا » نام الفقيد هادئًا ، ولكنه نوم أبدى يسعد هو به فى جوار ربه ، ويشقى به عارفو فضله لفقده .

جزاه الله على صنيعه أحسن الجزاء ، وعوض العالم العربى عنه أحسن العوض .

شاعر لبناني كبير يرثي على الجارم بك

نشرت بجريدة «المقطم» بعددها الصادر فى ٢ مارس ١٩٤٩ م .

حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير رئيس تحرير المقطم :

تحية واحترامًا وبعد فطيه قصيدة فى الفقيد الصديق شاعر النيل على الجارم بك أرثيه بها وهى من البحر والقافية التى رثى بها النقراشى باشا وختم حياته الأدبية بها وقد آثرت أن أرسلها للمقطم ولم أبعث بها لصحف لبنان لأن الفقيد مصرى ومن حق المصريين الاطلاع عليها قبل سواهم وإن كان الشاعر والأديب لأمته لا لأسرته وعشيرته ولا أخال المقطم إلا فاسحة لها مجالاً من صدرها كما عودتنا من قبل وخاصة لأن الفقيد رحمه الله ثالث الاثنين شوقى وحافظ من حيث الديباجة والجزالة وقد نال بين شعراء العرب مكانة مرموقة تجعله فى عداد صفوف الأولين الناخعين من شعراء العصر

صيدا لبنان　　　　　　　　　　　　محمد كامل شعيب العاملى

جزع البيان على الخليل الوافى　　　وغدت سلافته نقيع زعاف

حجب القضا ديم الغمام فأجدبت　　　مصر بمطل العارض الوكاف

وهوى على فلك القريض فزاغ عن　　　قطب النهى متمايل الأطرافَ

فإذا هزار الروض غير مغرد　　　وإذا سراج العبقرية طاف

مال النهار فلا البكور ضواحك　　　بعد المغيب ولا العشى غواف

وذوى البيان فكل مخضل الربى　　　طاوى الضلوع على بلى وجفاف

وبدا جلال الموت سابغ برده　　　عبل السواعد مرهف الأسياف

ألآلئٌ فرط القضاء عقودها　　　أم سمط دُرٍّ أمْ بساط سلاف

غرر كنسج أبى عبادة وشيها　　　وجلابب طائية الأفواف

وخمائل قد صوحت أوراقها ... فتناثرت كالعنبر المستاف

طفحت بآيات البيان وما انطوت ... إلا على خلق إبا وعفاف

برزت بها الكلم الحسان كأنها ... مجلى العرائس فى برود زفاف

إن رحت تزجى المتعات مراثيا ... علقت بكل حشى وكل شغاف

وإذا سبكت النيرات قلائدا ... سارت مسير الشهب بالاسداف

يا ثالث القمرين فى مصر التى ... منيت بفقد ثلاثة احلاف

شوقى وحافظ هل أجبت نداهما ... أم تلك شنشنة الكريم الوافى

اضربت عن كثب لبينك موعدا ... وزممت ركبك خشية الاخلاف

كنت العزاء لمصر بعد كليهما ... فإذا بك المتقارب المتجافى

ما أنصفتها الحادثات برزئها ... بخضارم فوق البحور طوافى

قل للقضاء رميت اشأم نبلة ... أردت بأكرم مفرس وقطاف

وقذفت ما بين الفراقد والسعى ... شهب البيان بحاصب قذاف

فإذا القصور العامرات على النوى ... كمحيل رسم أو سقيفة عافى

وإذا الآلى كانت مجاورة السعى ... أمست مجاورة فلا وفيافى

من بالكنانة بعد بيتك كافل ... للشعر من مترطنين سخاف

لم تهجر الفصحى ولم تزهد بها ... بسياق نظم أو رحاب قوافى

تغزو وتسبح فى الفضاء محلقا ... لم تخش من عى ومن اسفاف

أدب تفتق بالعبير نسيمه ... وخمائل كالروضة المئناف

لم يزر بالاسلاف فى أسلوبه ... وحبا البيان روائع الأسلاف

ويراعة كالخمر دب دبيبها ... طب النفوس ونجعة المعتاف

كالشمس يغنى ذكرها وشعاعها ... عن سائر الأسماء والأوصاف

كم شنفت فى الشرق آذانا وكم ... هزت بوادى النيل من عزاف

رمت الحفاوة بالشهيد فأوثقت ... كفيك عادية الردى الخطاف

والحفل يزخر بالمئين من الورى ... كتلاطم الأمواج والآلاف

فكأنها انتظمت فيالق وانبرت ... للذود عن مصر بيوم ثقاف

فرنت لبلبلها وساجع أيكها ... وهفت لرجع صدى وصوت هتاف

فـأبـيت بـالانشـاد عـنك مؤبـنـا ... وأعـرت سمعك بـغـيـة الأشـنـاف
لم تـدر أنك موشك أن تـقـتفى ... خـطـواتـه بمطـيـة مـيـجـاف
حتى إذا بـلـغ الـنصاب وقال نم ... حـام الحمام بجانح رفـراف
ولـفـظت أنفـاس الحياة وانت من ... نشو الـقـريض مرنح الأعـطـاف
فـاذ بـه مـرخى الـقـدائـر للأسى ... والـلـيـل مـعى والخطوب سوافى
وتـرقـرق الـدمـع المذال كـأنما ... صوب الـغمام بسـيـبـه المذراف
عفت الحياة وزهوها وقنعت من ... متـع الحياة بـنـجـعـة وكـفـاف
ونزحت عن هذى الدنا وحللت فى ... كـنـف الشهيـد كطارق الأضياف
أى مـطـرب الأسماع فى نـفـحـاته ... ومـقـوم المنـآد بـالارهـاف
مـاذا حـدا بك لـلـفـراق فـجـأة ... قـبـل الوداع ووحشـة الآلاف
أرأيت مـبـغـضـة الحياة سـعـادة ... ومجاهـل الـفـلـوات خير مـطـاف
فـاخترت مضـجـعـا يقفر ما به ... غير الـدوارس والـرفـات السـافى
أم هـل حننت إلى الالى نزلوا على ... ذئب الـبلا من هوة بضـفـاف
واجـبـت داعـيـة الـرفـاق اسى على ... ما فيه من حيف ومن اجحاف
فـجـريت والأقـدار إذ حـم الـقـضا ... سـلس الـقـيـاد موثق الأكـتـاف
ولـكـل خـطب قـد أنـاخ بـكـلـكـل ... إلا الـقـضـاء أو المنون تلافى
فـاض الـسـلـو فلا هـنـالك أوبـة ... لـلـظـاعـنين ولا الـزمـان مصـافى
خضعت لـه الأجيال واهية القوى ... من بـأسـه ورواغـم الآنـاف
كـيف السبيـل إلى معالجة الردى ... والموت لـيس لـدائـه من شـافى
وإذا رجـوت لـدى المنـيـة سعـفـة ... فـيـد الـطـبيب عـديمة الاسعاف
سفر وإن طال المدى أو لم يطل ... فى الحالـتين مـداهـم ومواف
فـإذا الحيـاة كـأنما هى لمحة ... وكـأنها طـيـف من الأطـيـاف
من لا يموت بـعـلـة فـبـغـيـلـة ... إن المنون كـثيرة الأهـداف
وفـراق خـل فى الحيـاة أشق من ... موت على الحر الـكـريم زؤاف
يـا راكب الأقـدار قـف بـظـعونها ... خـل الـرفـيـق فما الـطـريق بجاف
جعجع مطايا البين لا ترفل بها ... إن الوئـيـد من الـظعون لـكـاف

أمست طلائح بالرفاق كأنها ... اعجاز نخل كالقسى عجاف
ودع الصحاصح فتك والق عصا النوى ... وانزل بوادى النيل والأرياف
وانخ ركابك قبل بينك ساعة ... رفقا باكياد عليك لهاف
قم هات من ثغر البيان سلافة ... تفتر عن دور وحبوب نطاف
واطلع على الفصحى وانت جذيلها ... بلآلئ كلآلئ الأصداف
واتحف بنيها الناشئين بسلسل ... عذب المناهل كالنمير الصافى
واخلع على الأدب الطرير مطارقا ... من سندس أو ناعم شفاف
وصف الخلود وطالما لك مرقم ... بالوصف بز براعة الوصاف
فلم تمرد فاستطال على السهى ... ببيانه بأناقة وعياف
لبق بسرد البينات كأنه ... من هاشم أو آل عبد مناف
فكأنه عصف الرياح إذا جرى ... فى حلب سبق أو متون خصاف
كم درة اتحفت مصر بنظمها ... عقدا لجيد عرائس الاتحاف
من كل مألكة كساغية الظبى ... يوم الهزاهز والقنا الرعاف
وحلى عليها العبقرية والنهى ... قد اسبغا حلل البهاء الضافى
ماذا تزودنا ونحن ظوامئ ... لزلال شهد فى بيانك وافى
أترى البدائع ثم فوق نمارق ... فى جنة المأوى وتحت طراف
أم حوم مثل الفراش على السنا ... والطير ذات قوادم وخواف
أم هم رواقد فى الصعيد بمدرج ... داجى الجوانب ضيق الاجراف
تلك الجنان خمائل غناء من ... استبرق أم وارف رفاف
انهارها الريحان فى ضفاتها ... أم منبت الخابور والصفصاف
وهل النعيم هناك ظل زائل ... أم تلك دار غضة الاكناف
وهل المذاهب مثلما هى عندنا ... شتى هناك كثيرة الأصناف
الشرق مل مذاهبا لم تأتلف ... فرق النصارى فيه والاحناف
يدعو المسيح واحمد هذا الورى ... للرفق لا لتضاغن وتجاف
مازال رائدنا الخلاف وما أتى ... قوما نبى داعيا لخلاف
ضلوا سبيل العدل فى الدنيا فهل ... فى الخلد قسطاس العدالة وافى

فقيد الأدب العربى

على الجـارم بـك

بقلم الأستاذ طاهر الطناحى رئيس تحرير مجلة الهلال والذى نشر بمجلة الهلال الجزء ٣ المجلد ٥٧ مارس ١٩٤٩ م .

افتقد الأدب العربى ــ على غرة ــ أديبًا من نوابغه ، وشاعرًا من فحوله ، وصفيًا من أوفى أصفيائه .. أخلص للأدب ، ووهب حياته لخدمته ، وامتزج بروحه ونفسه ، فكان أجمل طبعًا ، وأصفى نفسًا ، وأرق شعورًا . وكان الوفاء أبرز ما تحلى به فى صناعته ، وبين إخوانه وبنى قومه ، فأحبه عارفوه ، وقدره كل من طالع آثاره البليغة ، وجاب رياض شعره الرائعة ، وحظى بما فيها من جمال وجلال .

تعشق ــ رحمه الله ــ الأدب صبيًا بفطرته ، وكان والده ممن يغرمون بالشعر ، ويحفظون الكثير من بدائعه ، فترسم خطاه ، وأغراه طبعه بالنسج على منواله ، فحفظ لكبار الشعراء ، وارتاد معالمهم ، حتى إذا شب فى التعليم ، دخل دار العلوم ، وهى معهد الأدب ، ومنتدى الأدباء .. فكان الطالب النابغ المجلى فى سنى دراسته ، حتى إذا فاز بشهادتها اختير فى بعثتها العلمية إلى انجلترا ، فأتم دراسته ، وعاد مبرزًا فائزًا ، فعمل مدرسًا بها . ثم اختير مفتشًا بوزارة المعارف ، ثم كبيرًا لمفتشى اللغة العربية فى هذه الوزارة . ولكنه على نبوغه فى التربية والتعليم أبت فطرته الأدبية ، وملكته الشاعرة الا أن يكون أديبًا شاعرًا ، فطغى هذا الجانب فيه على كل شىء سواه . وأصبح فى الصف الأول بين أدباء العصر وشعرائه المجيدين .

وقد امتاز ــ إلى ذلك ــ بجمال القائه ، وفصاحة بيانه ، وحلاوة صوته الرخيم ، فكان إذا أنشد قصيدة ملك من السامعين آذانهم ونفوسهم بلحنه الموسيقى الذى يرجعه ترجيعًا يغمر الجميع بالطرب ، فى غير لعثمة أو هيبة أو حرج .

وقد ذكرت له يومًا اعجاب الناس بشعره وانشاده ، فقال : «اعتدت حين أنظم الشعر ألا أستعين عليه بالكتابة ، بل بالحفظ والترجيع . فإذا خطرت لى الفكرة ، وألهمت بيتًا ،

أخذت اتغنى به حتى إذا ارتحت إلى معناه ومبناه ، نظمت غيره وتغنيت به إلى أن تتم القصيدة وقد حفظتها جيدًا ، فأعيد انشادها بيني وبين نفسي لأقف على مواضع قوتها وضعفها ، فأهذب ما يحتاج إلى تهذيب ، وأعود إلى انشادها مرارًا «فإذا وقفت فى الحفل ألقيها على الحاضرين وقد تمكنت منها ، وجدت من اقبالهم على الاستماع إلى شعرى ما يثير فى نفسى قوة كامنة لا أستطيع التعبير عنها ، فأنطلق فى القائها بترجيع موسيقى . والشعر كما تعلم مقيد بتوقيع وأوزان ، فينبغى أن يعطى حقه من النغم والألحان .

«والالقاء ككل فن من الفنون يحتاج إلى الموهبة النفسية ، وإنى لا أنكر أن الجانب النظرى من الفنون له أثره وفائدته فى تهذيب الفطرة ، وإنه ميزان صحيح توزن به المواهب ، وتوجه إلى الاتجاهات المثمرة .

«أما الشعر ، فإنه أعصى الفنون عن التعليم ، وأبعدها عن أن ينال بالدرس والتدرب ، بل هو شعاع يضعه الله فى قلب من يشاء ، وهبة يمنحها لمن يريد ، وحاسة معنوية يختص بها نفرًا من خلقه يحسون بها ما لا يحسه غيرهم من الناس ، فيترجمونه بيانًا ساحرًا وقولاً مبينًا» .

وقد كان شاعرنا الفقيد كاتبًا كبيرًا ، بليغ الأسلوب ، قوى العبارة . وله عدة كتب وقصص نشرت فى مناسبات مختلفة ، نذكر منها «غادة رشيد» و «الشاعر الطموح» و «فارس بنى حمدان» و «مرح الوليد» وغيرها من الآثار الأدبية النفسية . وقد ساهم فى التحرير بمجلة الهلال غير مرة . وكتب لها قصة ممتعة بعنوان «الفارس الملثم» لم يتح لنا نشرها فى هذا العدد ، وسننشرها فى عدد قادم . ولم يقعد عن المساهمة فى الكثير من الميادين الأدبية والاجتماعية ، وأحداث مصر والعروبة . ورثى العظماء والزعماء بأروع القصائد ، وكان آخر رثاء له رثاؤه صديقه الشهيد محمود فهمى النقراشى باشا . وكأنما كان يرثى معه نفسه . أو كأنما كان يحس بوداعه هذا العالم وهو يصف الموت الذى اختلسه خلسة مؤثرة حين قال :

والموت أعمى فى يديه سهامه ... يرمى البرية من وراء سجاف
والموت قد يخفى حماه بنسمة ... هفافة أو فى رحيق سلاف
يغشى الفتى ولو اطمأن لموئل ... فى الجو أو فى غمرة الرجاف .

رثـــاء الأربعـــين

فى شاعر مصر والعروبة حضرة صاحب العزة المرحوم على الجارم بك (مارس ١٩٤٩).
(من نظم محمد زكى عبد الرحمن المفتش بوزارة المعارف).

من بحر شعرك أنتقى أصدافى ... من دره وبديعه وقوافى
واخترت حرف الفاء قافية له ... وهى اختيارك فى رثا الأشراف
بحر تجمع فيه أشعار الورى ... من كل عصر صب فيه مصافى
للبحترى به بصيص ساطع ... ومهشم بالقاع ليس بخافى
وبموجه شعر ابن هانئ سابح ... من زهر قرطبة وخضر ضفاف
أصل الزخارف فى رصين قصيده ... وجمال رونقه وحلو سلاف
وعبابه علم الإمام محمد ... الفيلسوف وعبده الصواف
فتمازج الغزل المليح وفقهه ... فى شعر هذا الجارم القطاف
وأضاف للقطف الرقيق ثماره ... من غرسه وتعد بالآلاف
إنى فككت عقود شعرك آخذا ... من لفظه ما راق منه الصافى
وأعدت تركيب القريض سبائكا ... أرثيك منه ببحرك الرجاف
فإليك منك أصوغه وأرده ... وأضم فيه تحسرى بجزاف
من ذا يلوم إذا نثرت دراريا ... أختار منها أجود الأصناف
علمتنى نظم القصيد وحكمه ... وكأن ورثت الفن من أسلافى
وحللت من عقد اللسان لكونة ... فنطقت بالضاد الفصيح وقاف

* * *

فى حومة التخليد مات فقيدنا ... والشعر يقصف والرثاء سوافى
والسامعون على الأرائك خشع ... والحزن نقع والعيون غوافى
إذ طاش سهم قاتل من شعره ... أردى عليًا محمل الأكتاف
يا شعر قل لى من يكون أميرنا ... من بعده ويصون بالاشراف
صرت اليتيم فلا ترى لك راعيًا ... واليتم فيه مغبة الأضعاف

من بعد شوق قد رعاك الجارم … من ذا يقوم مقامه بكفاف
ركب الخيال مسخرًا أجياده … بين الأثير وبين وهد فياف
طورًا يحلق فى السماء وتارة … فوق البسيطة دون ما إسفاف
هل لا أتاك حديثه فى شعره … لما روى فى رقة الأطياف
(هذا دمى فى وجنتيك عرفته) … جردت منه بلحظك السياف
وإذا رواه اهتز فى أعطافه … طربًا كما يهتز عرس زفاف
وافتن فى الألحان فى نبراته … ما قد أثار له حسان هتاف

* * *

وسع المعانى علمه وأذاعها … بسخاوة الاغداق والاسراف
وحنت له هوج البيان رءوسها … مبطوحة الأطراف للأكتاف
إن شاء أطنب والكلام يطيعه … أو شاء أوجز فى انسجام جفاف
علم لأقطاب النحاة وصرفهم … هو حجة فى النكر والانصاف
وسعى لتبسيط البلاغة جهده … فبدا البديع موطأ الأكناف
أسلوبه سلس وفيه تركبت … تحت القوادم ألف ألف خوافى
وعظيمه فوق السماك مكانة … وقليله فوق السحاب طوافى

* * *

شخصية ملك الهدوء زمامها … لا تبتغى هرجا وشن ثقاف
ووداعة جذابة لا تنطوى … إلا على نبل وصون عفاف
رقت مشاعره فصارت شعرة … حتى دنت من شفرة الارهاف
ورأى المدقق فى حشاشة قلبه … حزنا عميقًا كامنًا بشغاف
من موت وارثه وفلذة كبده … فالطرف باك غارق بذراف
ولقد عرته من الرزية حسرة … جعلته يزرى العمر باستخفاف
وتأثرت أعصابه من صدمة … لم يلق فى برء لها من شاف
حمل المنية فى صميم فؤاده … مخبوءة كالراصد الخطاف

حتى إذا قال الرثا (نم هادئًا) ألقى الكمين قذيفة القذاف

وكأن مصرعه بمنطق شعره والنطق أحيانًا سهام زؤاف

ظل التصبر حائرًا لم يطفه دمع هتون من جفون غواف

وعلى المحيا نضرة مطموسة كالشمس شبح والرياح سواف

والثغر باسم والجبين مقطب كفلول برق داخل الألفاف

* * *

لم ينس نكتته بمجلس أنسه وكأنها مرصوصة برفاف

ورشيد مصدرها ومسقط رأسها سلمت من التنديد والاتراف

إن شاء ورى أو أبان بجرأة ورمى بإحكام إلى الأهداف

قول سديد أحكمت حلقاته كسلاسل محبوكة الأطراف

وجمال معناه يزيد بهاءه ويزيد فيه طلاوة الأوصاف

* * *

له صورة روحية جذابة فيها الوفاء وسرعة الاسعاف

ببياضها غرر الفعال سواطع وبظلها كنز المكارم كاف

وإذا استغاث المستجير أغاثه من عاديات الدهر والاجحاف

والعين تدمع والشفاه رواجف من عطف وجد ساكن بشغاف

وإذا الكوارث طاردت مذعورة أبلى لنجدتها بلا إيقاف

لا تعرف اليمنى فعال شماله إن شاءت اليمنى اقتصاد غراف

حكم خبير بالأمور وسيرها بالحق أفتى واتزان كفاف

مرح كوجه الصبح عند طلوعه فرح كساع للربى لقطاف

طرب بسراء الحياة وسرها راض بما أوتيه من ألطاف

سمح قنوع زاهد متدين قطب الهداة السادة الأحناف

حذر كعين النسر فى إبصاره عرف المخبأ من وراء سجاف

* * *

قاضى العروبة فى اختيار لسانها وخلاص لؤلؤها من الأصداف

ومحكها صقال رونق حسنها ... ومشذب أضغاثها بحفاف
كالصائغ الفنان أتقن رصها ... بملاقط مأبورة الأطراف
فترصعت من راحتيه عقودها ... وتلألأ الفيروز بالأشناف
وبدت بحسن بهائها وصفائها ... تغرى العيون بضوئها الرفاف
وتسربلت بثياب خز ناعم ... فوق العتيق تراه من شفاف
وتخلصت فى لفظها وهجائها ... من كل إشكال وكل خلاف
نعم المعلم فى وضوح بيانه ... عجبًا له من ساحر عراف
شهدت له دار العلوم بحذقه ... وبأنه من أنجب الأسلاف
تلميذها أستاذها وعميدها ... هى أمه وهو الوليد الوافى
متفوق فى علمه متمكن ... ما كان يوما فيه بالوقاف
ومفتش ما ضل فى تقديره ... أو حكمه بالبغى والاجحاف

* * *

قالوا أرثه فعجزت عن إيفائه ... كيف الرثاء ودمع عينى جافى
كم مرة أرثى وكم أبكى به ... هل لا يحق له الجفا لجفاف
حتى ولو قلت المثات لعاجز ... وعددته فى العهد غير موافى

* * *

يا قبر فيك ودائع مكنوزة ... ليست قليلات ولا بعجاف
فيك المكارم وسدت بجنادل ... وكذا المروءة كفنت بغلاف
فيك التأنى والتروى أودعا ... فيك المضاء وجرأة الأسياف
ووداعة ونزاهة وكرامة ... من كل صنف عسجدى ضافى
نثر وشعر ثم علم راسخ ... فى أصله من كافة الأصناف
هذى كنوز أودعت بمقره ... ككنوز فرعون أبى الأسلاف
وكأن صندوق العجائب قد حوى ... صور العلوم تسير كالأطياف
جبست صفات فى الثرى لو أطلقت ... لأقامت الأخلاق فى آلاف
قبر مكين للأئمة قبلة ... ومدار تبريك وقوس مطاف

سيكون كعبة فخرهم وملاذهم | ويكون مأوى السادة الأشراف

ويشع نور العلم من أرجائه | وشريعة المختار عبد مناف

نور على نور وليس بمظلم | والطيبات مسارج ونواف

تلك الضياء تخالها وكأنها | عبر السماء أشعة الكشاف

نم هادئًا ومسبحًا لا تبتئس | فلقد جمعت ذخيرة المعتاف

وغنمت فى الدنيا ثوابًا طيبًا | تجزى عليه بقيمة الأضعاف

* * *

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الثانى

رقم الإيداع : ١٩٥٠ / ١٩٩٠
الترقيم الدولى : ٨ـ ٣٩٧ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤
بيروت: ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣







